

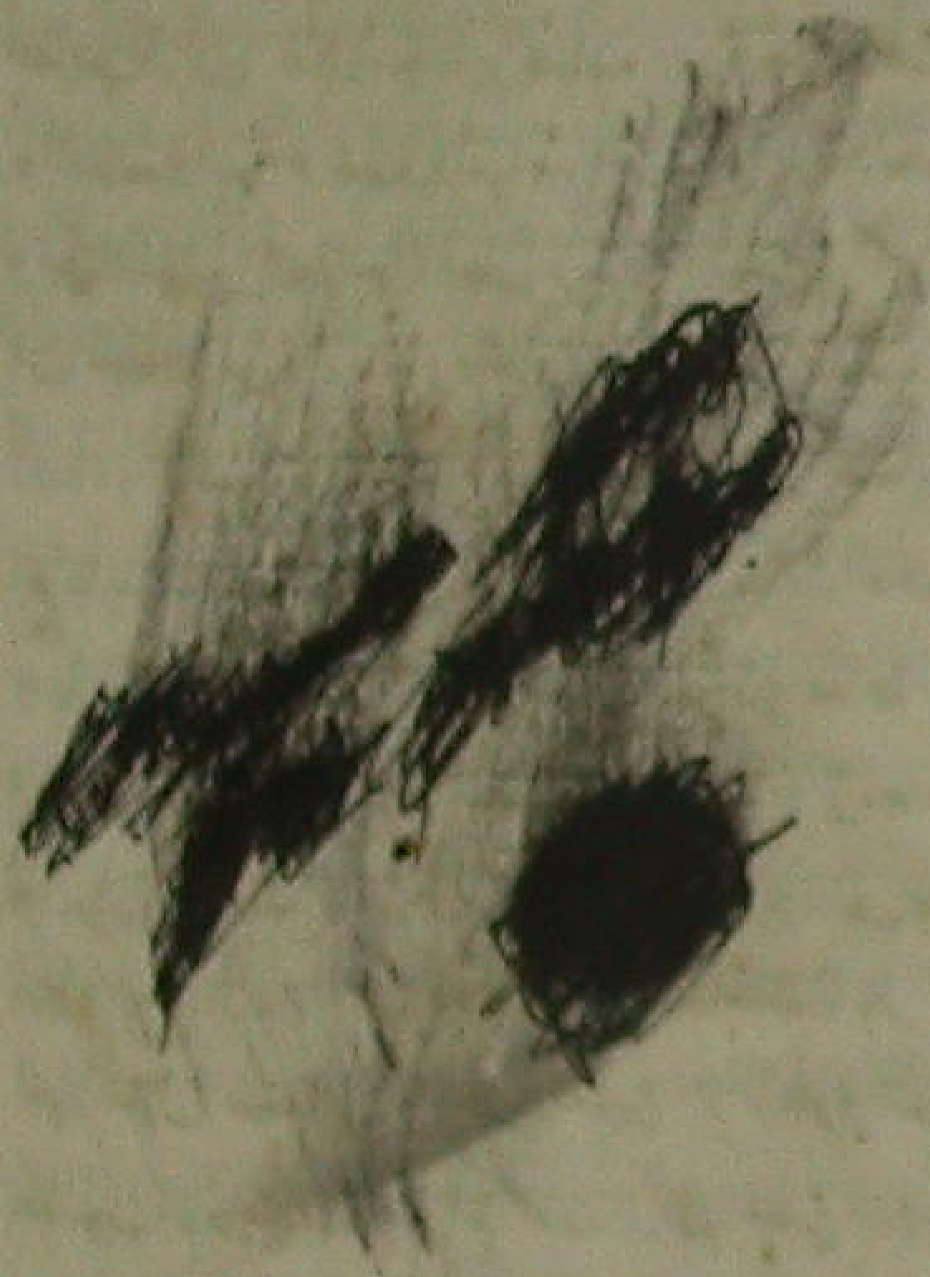
بحر علوم في تفسير القرآن

بحر العلوم في التفسير

للشيخ فاضل السيد علاء الدين علي بن يحيى السمرقندي

ثم القراماني المتوفى ٨٦٠ بلارنده





[redacted]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب قرانا عربيا مفصلا • ونزله تبيانا منجما مفصلا • وصيره مصدقا ولم
يجعل له عوجا • وعلم به ذوي البصاير بينات وحججا • كلاما قديما لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •
وفرقانا كريما لا يفضي اليه نسخ ولا تحريف في اصله وفي وصفه • فسبحانه من قديم تنزه عن الاكفاء والامثال ذاته
الاحدية الصمدية • وتقدس عن الحدوث والزوال صفاته الازلية الابدية • يفعل ما يشاء باهر قدرته •
ويحكم ما يريد بالغ حكمته • والصلوة على خير من اوحي اليه سيد الرسل • وهادي السبل محمد المنعوت بخاتم
النبيين • وخيرة الاصفياء وصفوة المرسلين • المبعوث رحمة للعالمين • ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين • فاكمل الدين بشريعته وختم الامر على طريقته • والشرايع كلها نسخت بشرعه • والانبياء باسرهم صاروا
من تبعه • وعلى اله وصحبه الحائزين لقصبات السبق في مضمار سماحة البنان • وفصاحة البيان • ودرك
لطايف القرآن • عظماء حظاير الجنان • ورؤساء اهل العدل والايمان • قد ابرموا قواعد الدين بكشف القوارع
والكروب • وشيدوا مبانيه بصرف العوادي والخطوب • فزينوا المشرقين بالمعارف ومكارم الاخلاق الزكية •
وعموا الثقلين بمحاسن الافعال المرضية • مطهرين الظواهر من الفسوق والعصيان • والبواطن من الزيغ والكفران •
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان • اما بعد فان العلم اشرف الماثر • واعظم الكنوز والذخاير
اضاء به الاسرار والضماير • وبانواره القلوب والبصاير • ثم العلوم متكثرة • والاحاطة بجملتها متعسرة • ومن
ثم تباينت طبقات العلماء • وتفاوتت درجات الفضلاء • فاذا على اللبيب ان يقبل بمجامع الهمة على الاهم •
وما الطالب فيه اتم • وان اشرف العلوم واعلاها • وانفعها واحراها • بصرف العمر والزمان اليها • واداب
الخاطر اليقظان فيها • علم التفسير الكافل بالارشاد الى المعارف الالهية • وما به الفوز الى المنافع الدينية والدنياوية •
وابراز نكت نظم القرآن • الذي لا يحيط بوصف عجايبه عقول الانسان • ولا يدرك كنه جزالته الملك ولا الجان •
فكل فصيح دون وصف جليات اسرار فصاحته قاصر • وكل بليغ دون كشف استار بلاغته حاير • ولن يستكمل
المرء خلال الاستقلال بالتحقيق في تفسيره • والنظر والتدقيق في تاويله • ما لم يكن ريانا من العلوم الدقيقة • سيما
الفنون الادبية • ومن ثم اتفقت كلمة المهرة الاعلام • من نحارير علماء الاسلام • على ان لا يخوض في لجج اسراره
ودقايقه • ولا يغوص على غرر فوايده وحقايقه • الا من برع في علمين مختصين بالقرآن • وهما المعاني والبيان •
ماهرا في اللغة والنحو والاستعمال • والاصول وعلم طرق القياس والاستدلال • فمن فسر كتاب الله برايه
من هواه • ضل في هداه وصار النار ماواه • ومن فسر براي استفاده من قواعد الدين • اهتدى
ورشد باتفاق ائمة المتقين • فاذا امكنه الاخراج لنفايس اعجاز القرآن عن معادنها • واظهار غرايب نظم
التنزيل عن مكامنها • وكان على وجوهه اوقف • وبدقايقه اعرف • واعلم ان معجزة كل نبي تظهر من جنس
ما يباهي به اهل زمانه • تنطق بسمو شانه وسطوع برهانه • وذلك كالسحر والشعوذة في زمن موسى
كان في ايات فارقة من اليد والعصى • ونحوهما من اياته الكبرى • وكذا الطب وعلم الطبايع في زمن عيسى
كان لهم معجزات من ابراء الاكمه واحياء الموتى • وغيرهما من ايات ربه الاعلى • وكذلك عهد نبينا اعظم الانبياء





قدرا واعزهم نصرة واكملهم بدرا واكثرهم حكمة زمن الفصاحة والبلاغة • فانهما قد بلغت في عهده الغاية
القصوى والدرجة العليا • وكانوا يفتخرون بها الاماجد في القبايل • ان اتاهم احد بفضيلة منها اتوه بفضايل
حتى علقوا السبعة بباب الكعبة تحديا بالمعارضة بها • كما يشهد بذلك كتب السير لمن استقراها فاتى كتابا الهيا
بفصاحة مصاقع الفصحاء • وابكم ببلاغة من يتحدى به من شقاشق البلغاء • فلم يتصد للاتيان بما يوازيه واحد
من غرر العرب العرباء وجهولها • ولم ينهض لاقصر سورة بل اية من اياته مدارة الخطباء وفحولها • مع ان الخصوم اكثر
من حصى البطحاء • ورمال الدهناء • والحرص الى سرعة اشاعة ما ينافي فخره وعلوه • وبطلان دعواه • فاعرضوا عن
المعارضة باسلات السنتهم • وفزعوا الى المقارعة باسنة اسلحتهم • فعجزوا باسرهم مع تظاهرهم وقوة دواعيهم
عن الاتيان بمثله • وتساقط مقدورتهم حين تحداهم به • ثم انه عليه السلام جاء بعد تفاوت الانبياء في الفضل
افضل منهم بدرجات كثيرة • حيث اوتي ما لم يؤت احد من ايات عظيمة • ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به
فضلا منيفا • عليا على سائر الرسل والانبياء جميعا لانه المعجز الباقي على وجه كل زمان • والقاهر على كل لسان
بكل مكان • واعلم ايضا ان الله تعالى لما جعل كتابه مختصا من بين الكتب السماوية • مع ما فيه من المنافع
الدينية والدنياوية • بصفة البلاغة التي تقاصرت البلغاء عن اخرهم دون معارضتها • وتقاصرت الفصحاء
عن منازعتها • محيطا بمحاسن العلوم وحقايقها • ونفايس الفنون ودقايقها • مشحونا بغرايب لا يدركها
الحجا • وفوايد لا يحصرها الاستقصاء • بعثني صدق الهمة في استطلاع طوالع انوارها • واستكشاف
استار اسرارها • على ان صرفت ابان العمر • وطول الشباب وعنفوان العمر الى النظر في العلوم ورمت
لجواهر فوايدها • واجالة الفكر في غوامض الفنون طلبا لغرايبها • غير ان الجهد والاقتدار من مثلي
في بذل القوى اكتساب لطايفها • وصرف النهى في طلاب معارفها • فالمنى رتبته من جوده وانعامه •
واوزعني من لطفه واحسانه • ان انتهج كتابا في علم التفسير والتاويل • حاويا لحقايق التنزيل • وعيون الاقاويل
شاملا لطايف مقترحة من انظار المتقدمين • وغرايب نكت اهتدت اليها افكار المتاخرين •
فانشات هذا الكتاب المترجم ببحر العلوم في تفسير القرآن • منطويا على فوايد شريفة تهتز لها رواكد
الاذهان • مع توضيح لما اقتصر فيه المحققون • وتنقيح لما اكثر المهرة المتقدمون • محتويا على لطايف
علوم جمة • مع [illegible] من صحف [illegible] موسومة • على عقايد علماء الملة • سيما لطايف اصول وعلم المعاني
والبيان • المطلع على نكت نظم القرآن • ونقده المتكفل باثاره معادن درره • ومعاني الصفات التي
هي المقصد الاقصى • والمطلب الاعلى في اصول الدين • والعمدة القصوى والعروة الوثقى للموحدين
من اهل الحق واليقين • واسالك اللهم يا علي الذات • ويا جليل البرهان • ويا من تفرد بالقدم والاحدية
وتوحد بالبقاء والصمدية • ويا من هو متصف بصفات الجلال والاكرام • وبعث الانبياء والرسل الكرام
عليهم السلام • ويا من هو عالم بجميع المعلومات • وقادر على كل الممكنات • ويا مقتدر على كل شيء • ويا
رازق كل حي • ويا ساتر عيوب المذنبين • ويا مجيب دعوة المضطرين • ويا ارحم الاكرمين
وارحم الراحمين عفوا عن جنايتي وحقوقك على كل احد • وتخصيصي بنعمتك وشمول نعمك بلا عدد •

ان تكرمني في الآخرة بالنظر الى وجهك الكريم غدوا وعشيا، وتنور قلبي بنور معرفتك ولوامع هدايتك
واحسانك ازليا وابديا، وتجعلني ممن بغيته الحق وقصده الهداية، وهمته الصدق والاخلاص في البداية
والنهاية، وتسعدني في سعيي هذا بالامن من الكفر والفقر، وفتن الدنيا والآخرة وعذاب القبر والمنافسة
والمباهاة والريا، وما اشبهها من الاستمالة، وجمع حطام الدنيا، وتعصمني من الخطا والسهو والنسيان،
والزلل والكذب والهذيان، وتنفعني به وسائر اهل الايمان، ونصيره وسيلة الى الرحمة والغفران، وانت
المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة الا بك، يا من هو قريب مجيب، وما توفيقي الا بالله عليه
توكلت واليه انيب، ونسالك بوجهك الكريم ان تصلي على نبينا وسيدنا محمد عبدك ورسولك
في الملا الاعلى، وتبعثه مقاما محمودا واعظم الدرجات العلى، وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين
وازواجه امهاتنا ابد الابدين. **سورة الفاتحة مكية** عند علي وابن عباس رضي الله عنهم
وعليه الجمهور وذلك لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو الفاتحة والآية مكية ولقول النبي
عليه السلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فيمتنع ان يقال انه اقام بمكة سنين يصلي بلا سورة الفاتحة وقال
لا صلاة الحديث وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت
العرش وعن عمرو بن شرحبيل انه قال اول ما نزل من القرآن الحمد لله رب العالمين وتسمى
فاتحة الكتاب لانها مفتتحه وسابقة سوره واول ما نزل من القرآن يقال فاتحة الشيء لاوله وخاتمته
لآخره والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون التانيث وايضا يفتتحون القراءة بها والمراد بالكتاب
ههنا المجموع الشخصي لا المفهوم الكلي على ما هو مصطلح الاصولي ولكون اول الشيء بعضه وما اضيف اليه
كله كانت اضافتها الى الكتاب بمعنى اللام وهل يجوز ان يكون بمعنى من نحو خاتم فضة وباب ساج
ففيه نظر وسورة الحمد والمثاني من التثنية وهي التكرير لانها تثنى في الصلاة او الانزال ان صح
انها انزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء
على الله تعالى وسورة الشفا والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء وسورة الصلاة لانها
انما تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها
وام القرآن لانها مبداه وكانها اصله ومنشاه ولذلك سميت اساسا او لاشتمالها على المعاني التي
هي اصول مقاصد القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بامره ونهيه فان معنى العبادة
يشملهما وكذا معنى الصراط المستقيم ومن وعده ووعيده وهو في يوم الدين اي الجزاء فيشمل الثواب والعقاب
وفي الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية
سلوك الطريق المستقيم والعثور على درجات السعداء ومراتبهم وطبقات الاشقياء ومنازلهم وسورة
الكنز والوافية والكافية لذلك والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم
آية دون التسمية ومنهم بالعكس واما عد انعمت عليهم الى الآخر آية واول السورة خالية عن التسمية
او معها آية واحدة او من كلها آية على حدة فمسالم بردّيه قول بسم الله الرحمن الرحيم

اختلفت الائمة في ان التسمية في اوائل السور هل هي آية منها او لا فقراء المدينة والشام والبصرة وفقهاؤها
على انها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها وانما كتبت للفصل بين السور والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها
في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومتبعيه وعليه مالك والاوزاعي الا ان مالكا قد قطع بانها ليست
من القرآن ومن ثم قال لا ينبغي ان تقرا في الصلاة المكتوبة لا سرا ولا جهرا ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء وسئل
محمد عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى والصحيح من مذهب اصحابنا انها آية واحدة من القرآن
انزلت للفصل والتبرك وليست بآية ولا بعض آية من شيء من السور ولذلك لا يجهر بها عندهم
في الصلاة والصحيح انه يجب التسمية في كل ركعة منها كما روي عن ابي حنيفة انه يأتي بها في الثانية كونه في الاولى
قال ابن مسعود رضه كنا نكتب باسمك اللهم فلما نزلت بسم الله مجريها ومرسيها كتبنا بسم الله
فلما نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتبنا بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبناها وفيه دلالة على انها نزلت من القرآن ولم تنزل اول كل سورة
وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي ومن تابعه وهو مذهب ابن عباس
وسعيد بن جبير وعطاء والزهري وكثير من السلف ولهم وجوه منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال
فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم ومنها قول ام سلمة رضي الله عنها قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن ثم اختلف في انها
آية برأسها او بما بعدها ومنها ما قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم انقضاء
سورة حتى ينزل عليه جبريل بسم الله الرحمن الرحيم في اول كل سورة ومنها ان السلف قد اثبتوها
في اوائل السور في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن من الزوائد ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن
لما اثبتوها وبالجملة فكونها من القرآن انما ثبت بحجة صحيحة غير مقطوعة فلم يكفر جاحدها ولا تجوز
الصلاة بها للشك ولا تلاوتها للجنب والحائض الا على قصد التيمن والتبرك كما جاز لهما تلاوة الحمد لله
رب العالمين على قصد الشكر دون التلاوة فكونها من القرآن بالاتفاق من اهل المذهب الا انها عند الحنفية آية
واحدة من القرآن كررت للفصل والتبرك وعند الشافعية مائة وثلاث عشرة آية من السور كما ان قوله
ويل يومئذ للمكذبين عدة آيات من سورة القرآن ولكن لم يثبت النقل المتواتر انها من السورة اختلف
القراء والفقهاء في كونها منها وانت خبير بان ادنى الاختلاف يورث شبهة ومن ثم لم يقطع احد بذلك
ولا يكفرون منكرها فظهر ان عدم تكفير المنكر في غير سورة النمل انما هو لقوة شبهة وهذا يغني عن ضعف
ما قال الشارح الكشاف من ان الحق القطع بانها في اوائل السور آيات من القرآن وسنتصور انه ما قال بعض
المحققين فالمعول ان الحق في بسم الله من القرآن هو انا نقطع انها ليست من القرآن في اول سورة اصلا
بدليل انه لم يتواتر من القرآن في اوائل السور فلا يكون قرآنا في اوائل السور لقضاء العادة بتواتر مثله وبهذا
الطريق قطعنا بان غيرها مما لم يذكر في القرآن ليس منه وانها تواترت بعضا في سورة النمل ولذلك لا خلاف
في عدم خلاف وقرا عاصم وابن كثير والكسائي انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ووافقهم حمزة على الفاتحة خاصة

دون التلاوة



ولم يعتقد الباقون انها منها ولا من غيرها والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا مثلا لان الذي يتلوه
في الذكر مقروء وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مقدرا لفظ ما جعله مبدأ له وليل هذا الحذف الشروع في الفعل
فانك اذا قلت عند الشروع في التلاوة بسم الله فانه يفيد ان المراد بسم الله اتلو وكذا عند الشروع في الاكل
او القيام او اي فعل كان فان المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبدأ له ولمرفي هذا الحذف نظاير
من التنزيل والاستعمال على ما لا يخفى وتقديم المعمول ههنا اوقع كقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على
الاختصاص وادخل في التعظيم وكفاك به دليلا قوله بسم الله مجريها ومرسيها واورد بقوله تعالى
اقرا باسم ربك لتقديم الفعل فيه فلو كان التقديم يفيد مع الاختصاص الاهتمام لوجب ان يقدم باسم
ربك ويؤخر الفعل لان كلام الله احق برعاية ما يجب رعايته واجيب بان الاهم فيه القراءة
فتقديم الفعل هناك اوقع لانها اول سورة نزلت على القول الاصح فكان الامر بالقراءة اهم وقد
يجاب بان هذا ايضا مؤخر الفعل بان يجعل باسم ربك متعلقا باقرا الثاني ومعنى اقرا الاول افعل القراءة
واوجدها على نحو قولهم فلان يعطي ويمنع في احد الوجهين وهو القصد الى نفس الفعل تنزيل
المتعدي منزلة اللازم اي يفعل الاعطاء ويوجد حقيقته من غير اعتبار تعلقه الى المعطى وهذا ربما
يشعر بان تعلق باسم ربك باقرا تعلق المفعولية ودخول الباء للدلالة على التاكيد والثبات كقولك
اخذت بالخطام والوجه المرضي عندنا هو الاول وان تعلقها تعلق الملابسة كما في تنبت بالدهن
على معنى متبركا باسم الله متبركا باسم ربك او تعلق الاستعانة كما في كتبت بالقلم اي مستعينا
باسم الله مستعينا باسم ربك ويجوز ان يجعل باسم الله متعلقا باقرا الاول وباسم ربك متعلقا
باقرا الثاني بناء على كون التسمية من السورة وقيل الاحسن ان اقرا الاول والثاني كلاهما منزل منزلة اللازم
اي افعل القراءة واوجدها ثم استعمال الباء ههنا في الملابسة اوفق واعرب لان استعمالها في الملابسة
اكثر من الاستعانة ولان في التبرك باسم الله من التادب ما ليس في جعله بمنزلة الالة التي لا يكون مقصودة
بالذات وايضا الغرض الاصلي تعليم العباد كيف يتبركون باسمه ويعظمونه وكثير من القران على هذا
المنهاج وانما كسرت ومن حق حروف المعاني المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر
كما كسرت لام الجر ولام الامر لتخلق على المظهر الفصل بينها وبين لام الابتدا فانهما لو فتحتا لتشاكلتا
بلام الابتدا سيما في مثل لهولاء ولهولاء فكسرت لام الاضافة لتكون حركتها على وفق اثرها وابقيت
لام الابتداء على الاصل الذي هو الفتح ومعنى كون الباء لازمة الحرفية والجر انها لا توجد بدونهما ولا تنفك
عنهما وهما قد توجدان بدونها على ما هو مصطلح الحكمة في اللزوم والاسم من الاسماء التي اوايلها ساكنة
وهي احد عشر فاذا ابتدي بها اوقعت قبلها همزة متحركة لانه ليس في لغتهم الابتداء بالساكن كما ليس
فيها الوقف على متحرك وتسمى همزة الوصل وحكمها ان يكون مكسورة والنجاتها في الدرج لحن فاحش
بالخروج عن كلامهم ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي
في كل سورة سمه واصله سمو كشهادة نقر بعضهم على اسما وسمي وصيت فحذفت الواو ثم زيدت الالف تعويضا

من طرح الواو كما في اخواته من ابن وابنة فليس فيه الا نحو يد ودم ونظايرهما من الاسماء التي حذفت
اعجازها واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى واشادة بذكره وشعار له هذا مذهب اصحابنا
من نحاة البصرة واما عند الكوفيين فمشتق من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت همزة
الوصل لثقل الاعلال ورد بان دخول الهمزة على ما حذف صدره مما لم يعهد في كلامهم وايضا لو كان
كذلك لجمع اوساما وصغر وسيما وكان الفعل وسمت وفيه خمس لغات اسم وسم بالضم
والكسر فيهما وسمى كهدى واما حذف الالف في الخط واثباته في قوله تعالى باسم ربك فلانهم
اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء
تعويضا من طرح الالف وعن زيد بن ثابت قال النبي صلعم اذا كتبت التسمية فبين السين
فيها وعن عمر بن عبد العزيز قال لكاتب طول الباء واظهر السينات ودور الميم وانما قال بسم الله
دون بالله للفرق بين اليمين والتيمن ولان التبرك والاستعانة بذكر اسمه تعالى واختلفوا في ان
الاسم هل هو التسمية او غيرها فذهبت المعتزلة الى ان الاسم هو التسمية وعليه بعض من الاشعرية والمختار
عندنا انه غيرها لان التسمية تخصيص الاسم ووضعه للمسمى ولا شك انه مغاير له وذهب جمهور
الشافعية الى ان التسمية نفس الاقوال الدالة وان الاسم هو نفس المدلول ثم اختلف هولاء فذهب الاشعري
الى تقسيم الاسماء ما هو عين كالموجود والذات ومنها ما هو غير كالرازق والخالق مما يدل على نسبة الى
الغير ولا شك انها غيره ومنها ما هو لا هو ولا غيره كالعليم والقدير مما يدل على صفة حقيقية فان المسمى ذاته والاسم
علمه الذي ليس بعين ذاته ولا غيرها وذهب بعضهم الى ان كل اسم فهو المسمى وكذا قولك خالق وعالم
فانه يدل على الرب الموصوف بكونه خالقا وعالما وذهب بعضهم الى ان لفظ الاسم مشترك بين التسمية
والمسمى فيطلق على كل منهما ويفهم المقصود بالقراين وقال الامام الرازي المشهور من اصحابنا ان الاسم
هو المسمى وعن المعتزلة هو التسمية وعن الغزالي انه مغاير لهما لان النسبة وطرفيها متغايرة قطعا
والناس قد طولوا في هذه المسئلة وهو عندي فضول لان الاسم هو اللفظ المخصوص والمسمى ما وضع
اللفظ بازايه فنقول الاسم قد يكون غير المسمى فان لفظ الجدار مغاير لحقيقته وقد يكون عينه فان لفظ الاسم
اسم للفظ الدال على المعنى المجرد عن الزمان ومن جملة تلك الالفاظ لفظ الاسم فيكون لفظ الاسم اسما لنفسه
فاتحد ههنا الاسم والمسمى واختلفوا ايضا في ان اسماء الله تعالى هل هي بالتوقيف او بالاصطلاح فذهب
اهل الحق الى انها ماخوذة من التوقيف الشرعي وذهبت المعتزلة والكرامية الى انها ما يجوز من القياس
والاصطلاح الله اعرف الاسماء واخصها لانه لم يسم به غيره ولا يطلق عليها سواه اصلا لا حقيقة ولا
مجازا وساير الاسماء قد يسمى بها غيره وهذا ما اشير اليه انه اعظمها واعلم انه كما تحيرت العقول في ذاته
فكذا في اللفظ الدال عليه من انه عبري او عربي اسم او صفة مشتق او غير مشتق علم او غيره اسم خاص او عام
غالب فقال ابو زيد البلخي ان الله ليس من العربية لان اليهود والنصارى يقولون الها والعرب
قد اخذوا هذا اللفظ منهم فغيروا فيه وجعلوا من جنس كلامهم واجمع المحققون قاطبة على انه عربي

وهو الصحيح ثم اختلف هولاء فذهب من اعاظم الائمة واكابر الملة كابي حنيفة ومحمد والشافعي رضي الله عنهم
وعلي بن الحسين بن الفضل والقفال الشاشي وابو سليمان الخطابي والغزالي والامام الرازي ومن تابعهم الى انه علم جامد
لا اشتقاق له وهو احد قولي الخليل وسيبويه والمبرد وذهب كثير من اهل السنة وعليه جمهور المعتزلة الى انه
مشتق اصله الاله قال معاذ الاله ان يكون كظبية ونظيره لفظ الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على
الاناس الامنينا فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله
الا انه مخصوص بالمعبود بالحق الصانع للعالم تعالى وتقدس والاله في الاصل من اسماء الاجناس اسم لكل معبود ثم غلب
على المعبود بالحق ونظيره الكتاب والبيت والنجم والسنة والقول الاول هو الوجه بل هو الصحيح وذلك لوجوه
الاول لو كان مشتقا لما كان قولنا لا اله الا الله تصريحا بالتوحيد لكنه توحيد فوجب كونه عدم مشتقا بيان الملازمة
ان المفهوم من اللفظ المشتق ذات موصوفة وهذا المفهوم كلي لا يمنع نفس تصوره من الشركة بل الشركة قد
تمتنع في نفس الامر الا انه انما يستفاد من خارج لا من مفهوم اللفظ فثبت انه لو كان الله مشتقا لكان كليا ولو كان
كليا لم يمنع من وقوع الشركة فيلزم حينئذ ان يكون قولنا المذكور غير مانع من الشركة ولما بطل ذلك باجماع الانبيا
والعلماء علمنا ان هذا الاسم علم جامد الثاني ان المشتقات صفات والصفات لا تذكر الا بعد ذكر الموصوف
فلا بد لذاته من اسم ولما صار ما سوى هذا الاسم من قبيل الصفات وجب القطع بانه اسم لها الثالث انه دال
على الذات المستجمعة لجميع الصفات الالهية بحيث لا يشذ شيء بخلاف ساير الاسماء فانها لا تدل احادها الا على احاد المعاني
من رزق وخلق وقدرة الى غير ذلك الرابع ان ساير الصفات قد اضيفت الى هذا الاسم فوجب ان يكون
اسما للذات ويدل عليه التنزيل غير موضع واحد نحو ولله الاسماء الحسنى هو الله الذي لا اله الا هو الى غير ذلك
والحديث كقوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما وقد اضيف فيهما ساير الاسماء المشتقة اليه فوجب ان يكون
علما غير مشتق الخامس قوله تعالى هل تعلم له سميا اي ليس في الوجود واحد تخصص باسم الله الا الله وهو يدل
على انه اسم غير مشتق اذ لو كان مشتقا لما كان اسما بل صفة وهي وان تسمى بالاسم لكن بالمجاز لا بالحقيقة والاصل هو الحقيقة
السادس اجماع الائمة الثلث وجمهور اصحابهم وهو الوجه المختار وايضا ينبغي انك تعرف ان جميع ما ذكر في اشتقاقه
وتعريفه وعدم اسميته تعسف وتكلف وكفاك به شهيدا اختلافهم ورد بعضهم بعضا على ما تحققه الان واحدا
فواحدا فنقول وبالله التوفيق • اما القايلون باشتقاقه فقد اختلفوا فيه فقال المحققون منهم انه مشتق من اله
بالكسر اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وانما سمي الباري تعالى به لان العقول
تتحير في معرفة ذاته وصفاته والاوهام تدهش في كنه صمديته وجلاله ولذلك قال سيد البشر نبينا صلى الله عليه وسلم
كلكم في ذات الله حمقى فاذا كان اوليك المخاطبون الكمل في عصره عليه السلام حمقى فما ظنك بمن دونهم
ومن هاهنا صار النظر الصحيح قليلا والضلال كثيرا ولما امعن النظر بعضهم وقال ان من هذا الاسم يلزم الاله
اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر من الناقة والحجر اورد عليه بانه جعل اله بالفتح من الاله
والاله مشتقا من اله بالكسر مع تناسب الكل في المعنى والتركيب فيكون تحكما واجيب بانه كان استوضح
بدليل لاح له من نقل او تتبع ان وضع الاله للمعبود مقدم على وضع اله بالفتح بمعنى عبد وتاله تعبد واستاله استعبد

فحكم باشتقاقها منه ردا على من زعم ان الها فعال بمعنى مفعول من اله بالفتح الهة عبد عبادة بخلاف اله بالكسر تحير
فانه ليس فيه معنى العبادة بل الامر بالعكس فمال الى ان اشتقاق الاله منه وايضا ذهب الى هذا مع قلة استعمال اله الظبي
سيما في الثلاثي لما ان اله بالفتح بمعنى عبد كانه لم يوجد في اللغة الاصلية واستعمال الاقدمين ولا يخفى على المتامل
المنصف ما في بعض هذه المقدمات من التكلف والاضطراب على ان من عدم وجدان الشيء لا يلزم عدمه كيف
وقد وقع في التنزيل ويذرك والهتك على ما قراه ابن عباس رضي الله عنهما وفسره بقوله اي عبادتك وهو من اعلم
العلماء باستعمال اللغات العربية ومعانيها سيما لغات القران ومعانيها اللطيفة وهو من اله بالفتح لا غير وقيل
مشتق من اله الرجل يأله الها اذا فزع اليه وعليه الحارث المحاسبي من اعاظم ائمة المتكلمين ومشايخ العارفين
واعترض عليه بوجوه انه تعالى اله البهايم والجمادات وان لم يوجد الفزع منها اليه تعالى وانه ما كان يفزع اليه
الخلق في الازل فوجب ان يقال انه ما كان الها هناك وان هذا الاسم هو اشرف الاسماء ويبعد عقلا ان يكون
مشتقا مما اشتق من افعال الخلق لان كل ما هو مشتق من الصفات الذاتية دايمة الوجود سالمة عن التغير
وما اشتق من افعالهم فبضد ذلك واجيب عن الاول بان الجماد وان لم يفزع اليه لكن لكل من الممكنات
احتياج الى ايجاده تعالى وتكوينه وذلك عبارة عن هذا الفزع وعن الثاني بانه كان موصوفا ازلا بالصفات
التي متى فزع الخلق لم يكن ذلك الا اليه وهذا الاعتبار كان حاصلا في الازل وعن الاخير بان اشتقاق هذا الاسم
ليس من فزع الخلق اليه بل من موصوفيته بصفات يستحق بها ان يكون مفزعا للكل وقيل من وله
اذا احب حبا شديدا حتى تخبط عقله وكان اصله ولاه كاساد واشاح مثلا ويرده الجمع على الهة دون
اولهة وقيل من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله واورد عليه بانه تعالى كان
في الازل الها وما كان اذا عابد يعبده وبانه اله لمن لا يصلح العبادة كالجماد مثلا وبانه يلزم ان يكون الاصنام
الهة لعبادة الكفار اياها واجيب بان هذه الاشكالات انما تلزم ان لو قلنا الاله هو المعبود مطلقا
لعلها اذا قيل زالت • وقيل من لاه يليه لاها اذا احتجب وتستر لانه تعالى محجوب عن ادراك البصاير
وهذا مما جوزه سيبويه • واورد عليه انه لا يصح ان يقال انه تعالى محجوب بل محتجب لدلالة الاحتجاب
على كمال القدير اذ هو عبارة عن قادريته على قهر العقول عن ادراك حقيقته وكنه صمديته والانقياد
عن الانتهاء الى حضرة جلاله واما المحجوب فيدل على العجز والانتهاء لانه هو الذي صار مقهورا والله تعالى
ليس بعاجز ولا متناه في كل شيء له • وقيل من اله بالمكان اذا اقمت به او الهت الى فلان اذا سكنت
اليه لان القلوب تطمئن بذكر الله والنفوس تسكن الى معرفته وفساده ظاهر اذ العقول تستبعد استبعادا
ان يكون مشتقا من الاسماء المشتقة من افعال الخلق كما مر وقيل من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد صح
يولعون بالتضرع في الحوايج سيما الشدايد والجواب الجواب واعجب من هذا قول من قال ان هذا اللفظ
لا يجوز ان يكون اسما واحتجوا على وجوه الاول اسم العلم قايم مقام الاشارة ولما كانت الاشارة اليه تعالى
ممتنعة كان اسم العلم في حقه محالا وبطلانه ظاهر وهذا مع ما فيه من الخروج عن قانون الوضع واستعمالات
العرب يلزم ان تكون الصفات غير جارية على اسم موصوف بها وانه لمحال الثاني الغرض من وضع اسم العلم

تميز المسمى عما يشاركه في جنسه او نوعه وهو منزه عن كونه تحت شيء منها فامتنع ان يوضع له ذكره والجواب
الجواب على انه لا يجوز ان يكون المفهوم من اسم العلم تميزه عما يشاركه في الوجود والشبه الثالث اسم العلم
لا يوضع الا ما كان معلوما ولا يعلم احد حقيقته المخصوصة فوضعه له محال وقد عرفت الجواب على ان
حقايق كثير من الاشيا كالروح مثلا غير معلوم للبشر على ما زعم جمهور فحول العلماء ولم يمنع ذلك من وضع
الاسم لها واما ان الله من الاعلام الخاصة او الاعلام الغالبة فاختلف القوم فيه واضطرب كلامهم
والمختار عندنا انه من القسم الاول وكفاك به دليلا اجماعهم على انه اسم لم يسم به غيره وذلك ان اهل الملل والنحل
من المسلمين وغيرهم قد اجمعوا على ان الله اسم خاص تفرد به صانع العالم تعالى وتقدس لا شركة فيه لاحد قطعا ولا
يطلق على غيره اصلا قال الله تعالى حكاية عن الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولما اجمع على انه اسم خاص تفرد به الصانع ولم يسم به غيره وجب القول
قطعا بانه علم خاص دون علم غالب واما القوم فانهم يجعلونه تارة من الاعلام الخاصة واخرى من الغالبة
لكن بالاعتبارين اذا عرفت هذا فاعلم ان الله علم للذات الواجب الوجود المعبود بالحق الصانع للعالم وليس
مفهومه المعبود بالحق او الواجب لذاته او المستحق للعبودية له كالاله ليكون كليا فلا يكون علما لان مفهوم
العلم جزئي الا ترى الى قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد اجماعا فلو كان الله اسما لهذا المفهوم الكلي لا علما للفرد الخاص
الموجود منه لما افادت التوحيد لافادة الكلي الكثرة وسيجي لهذا زيادة تحقيق ان شاء الله تعالى فان قلت
هل تفخم لامه قلت هو سنة وقد اجمع القراء على تفخيمه اذا وقع بعد فتحة محققة او ضمة محققة كما لو
اجمعوا على ترقيقها ولو مع الميم اذا وقع بعد كسرة وقيل غلظت لامه وان كان الاصل فيه الترقيق تفخيما له
وتعظيما وقيل فرقا بينه وبين اللات اذا وقف عليها بالهاء وكان حقه ان تفخم لهذا الغرض مطلقا الا ان
تفخيمه بعد الكسرة يؤدي الى تنافر اللفظ وثقله بالخروج من التسفل الى التصعد ولهذا بقي على اصله من الترقيق
وبه يحصل التلاوم والتطييب في الاسماع وقال الزجاج العرب كلهم على ذكره واطباقهم عليه دليل انهم
ورثوه كابرا عن كابر وحذف الفه لحن فاحش تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وان جاء في بعض
الاشعار واتفق جمهور القايلين بان الاسم الاعظم لله اسم معين معلوم للخلق على انه هو هو لوجوه منها انه
يدل على ما دل عليه ساير الصفات من الرحمة والقدس والعزة وغيرها مما فيها ومنها انه كلما حذف منه حرف
كان الباقي من اسماء الله تعالى وليس هذه الخاصية في ساير الاسماء ومنها انه لا يصح اسلام الكافر الا اذا قال لا اله الا الله
لقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم
فالنجاة والفوز موقوف على هذا الاسم ومنها ان ساير الاسماء مضافة اليه كما مر ومنها الحق عند الجمهور
ان لا سبيل الى معرفة اشتقاق كنه هذا الاسم كما لا سبيل الى معرفة مسماه على ما هو راي المحققين فله زيادة مناسبة
مع هذا المسمى من هذا الوجه والباقي ليس كذلك فوجب ان يكون اعظمها الرحمن الرحيم قال ثعلب انه
عبراني وكان بالخاء فعرب بالابدال والحذف واتفق المحققون قاطبة على انه عربي وزنه فعلان من رحم
كسكران وغضبان وكذا الرحيم فعيل منه كسقيم من سقم ولما قيل انه صفة مشبهة اورد بان رحم متعد

فكيف تشتق منه واجيب بان المتعدي قد يجعل لازما وينقل الى فعل بالضم فيبنى منه الصفة المشبهة كما في فقير
ورفيع فان رفيع الدرجات معناه رفيع درجاته لا رافع للدرجات وكذلك الرب وغيره وفي الرحمن من المبالغة
ما ليس في الرحيم فبينهما تفاوت هذا على راي ائمة الادبية ومن ثم قالوا الرحمن ادل من الرحيم واحتجوا عليه بالاستعمال
يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وبالقياس حيث وقع في الرحمن زيادة على حروف الاصول فوق ما وقعت
في الرحيم وهم يقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى واورد بحذر فانه ابلغ من حاذر واجيب
بان ذلك اكثري لا كلي وبان ذلك فيما اذا كان اللفظان المتلاقيان في الاشتقاق متحدي النوع في المعنى كصد
وصديان مثلا لا كحذر وحاذر للاختلاف والرحمة معناها رقة القلب وحنو وانعطاف تقتضي
التفضل والاحسان ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها وهي من الاعراض النفسانية كالخداع والاستهزاء والحياء
والمكر مثلا ولها مبادي وغايات واسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
والاوايل التي هي انفعالات مثلا الرحمة كيفية تعرض للنفس بسببها يرق القلب ويعطف ارادة لايصال
الخير ودفع الشر فابتداؤه رقة القلب وغايته ارادة ايصال الخير ودفع الشر او الايصال والدفع فهو
اي الرحمة في حق الله تعالى محمول على الغاية دون المبدا الذي هو رقة القلب وقس عليه البواقي واما
قدم ما هو ابلغ والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى لكونه اشبه باسم الله من جهة الاختصاص وزيادة المعنى
حتى صار كالعلم من حيث انه اسم لم يتسم به غيره ولان الله يدل على كمال الرحمة والرحمن كالمتوسط والرحيم
كالرتبة الاخيرة او لان الرحمن لما دل على جلايل النعم وعظايمها واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
من الدقايق واللطايف فيكون كالتتمة والرديف له وذهب المحققون من الملتين وغيرهم الى ان
معناهما واحد قال امام الحرمين هما اسمان ماخوذان من الرحمة ومعناهما واحد عند المحققين
كالندمان والنديم وان كان الرحمن يختص به تعالى ولا يوصف به غيره هذه عبارته فمن قال باتحادهما
نظر بمعطي جلايل النعم ودقايقها او بمزيد الانعام على الخلق فعلى الاول مرجعهما صفة فعلية وعلى
الثاني مرجعهما صفة الارادة ومن قال بانهما متباينان فقال الرحمن هو المنعم بجلايل النعم والرحيم هو المنعم
بدقايقها وقال بعضهم اسم الرحمن خاص بالحق تعالى عام في الاثر واسم الرحيم عام في الاسم خاص في الاثر
لجواز اطلاقه على الغير ولقوله وكان بالمؤمنين رحيما وقيل ان لم يكن احدهما ابلغ من الاخر كانا مترادفين
من جميع الوجوه من غير تفاوت في المعنى وذلك بعيد وهو من الصفات الخاصة دون الغالبة على ما زعم
بعضهم لانه وصف خاص تفرد به منعم النعم كلها الصانع للعالم لم يوصف ولا يوصف به غيره اصلا ولا شركة
فيه لاحد قطعا وفي كلام علي كرم الله وجهه دلالة على هذا حيث قال اما الرحمن فهو عون لكل من امن به
وهو اسم لم يتسم به غيره وقال ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غير الله وقال الزجاج الرحمن اسم الله خاصة
لا يقال على غيره والاظهر انه غير منصرف وان منع الاختصاص ان يكون له مؤنث على فعلانة او فعلى
قياسا على اخواته من بابه نحو سكران وعطشان مثلا وفي ورود التسمية بهذه الصورة وتخصيصها
بهذه الاسماء تنبيه على ان العارف ينبغي ان يتالم ويكون مستغرق القلب بالله تعالى لا يرى غيره معرضا عما سواه بحيث

يصرف عنان الهمة من جميع الجهات الى جنابه تعالى وتقدس ولا يرجو ولا يخاف الا اياه عالما بان المستحق للاستعانة
في الامور كلها هو الموجود الحقيقي المنعم بالنعم كلها وكيف لا وقد فهم من قوله الله انه اسم للواجب المنفرد بالوجود
الحقيقي الجامع لصفات الجلال والاكرام وكل ما سواه فانه هالك اذ كل موجود سواه ليس يستحق الوجود بذاته
وانما استفاد الوجود منه فهو من حيث هو هو هالك ومن الغير موجود فكل شيء هالك الا وجهه وله الامر
من قبل ومن بعد فاذا وجب على كل احد ان يقبل بجامع الهمة على الاستمداد به عن غيره ويشغل سره وعلانيته
بذكره ولا يتوجه تلقاء نفسه بل شراشره الى جنابه قدسه وعلى ما يتعلق باحوال العباد من الابتداء والابقاء والجزاء
وهي تستفاد من ذكرها على الترتيب واليه الاشارة بقول النبي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم هي ام القران وهي السبع
المثاني رواه ابو هريرة وذلك لاشتمالها على كليات المعاني التي في القران اذ الغرض الاصلي منه الارشاد الى معرفة
المبدا والمعاد وما بينهما من مدار التكليف مع ما فيها من الثناء والثناء على كمال ذاته وعظمة صفاته وجميل نعمائه
وجزيل الائه التي تقاصرت النفوس عن وصفها وتضاءلت العقول دون بيانها مما وصل الى العباد في الدنيا وما
اعد في العقبى من النعم التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واجلها النظر الى وجهه الكريم
جعلنا الله واياكم ممن هم من اهله بمنه وكرمه ومما يؤيد هذا ما قال بعضهم من ان المفهوم من الرحمن نوع
من الرحمة هي ابعد من مقدورات العباد وهي ما يتعلق بالسعادة الاخروية فان الرحمن هو العطوف على العباد
بالايجاد اولا وبالهداية الى الايمان واسباب السعادة ثانيا والاسعاد في الاخرة ثالثا وزيادة الانعام بالنظر الى
وجهه الكريم رابعا وقيل الرحمن بما ستر في الدنيا والرحيم بما غفر في العقبى وقيل الرحمن بالنعماء والرحيم
بالالاء وقيل بالانقاذ من النيران والرحيم بادخال الجنان وقيل بازالة الكروب والعيوب والرحيم بانارة القلوب
بالغيوب وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان عيسى اسلمته امه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم قل
بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى وما بسم الله الرحمن الرحيم قال المعلم لا ادري فقال له عيسى الباء بهاء الله
والسين سناؤه والميم ملكه والله اله الالهة والرحمن رحمن الدنيا والاخرة والرحيم رحيم الاخرة وعن نبينا
صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم فاذا كتبتم كتابا فاكتبوها اوله وهو مفتاح كل كتاب
انزل ولما نزل علي بها جبريل اعادها ثلثا وقال هي لك ولامتك فمرهم ان لا يدعوها في شيء من امورهم فاني لم ادعها
طرفة عين منذ نزلت على ابيك ادم عليه السلام وكذلك الملائكة وروي ان اهل التوحيد اذا دخلوا النار قالوا بسم الله
فتنزوي النار عنهم وتصوب وتقول ما لي واهل بسم الله وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كتبتم كتابا
فجودوا النقش ببسم الله الرحمن الرحيم تقضى لكم الحوائج وفيه رضا الله تعالى **الحمد لله** هو الوصف بالجميل
على قصد التعظيم من نعمة وغيرها والشكر على النعمة وحدها قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم من وجه واخص من وجه وقيل الحمد هو المدح والوصف بالجميل وانه المصرح بانهما مترادفان
وليس كذلك لان الحمد انما يكون على الافعال الاختيارية من العلم والكرم مثلا بخلاف المدح فانه عليها وعلى غيرها
والاختصاصية باهل العلم بخلاف المدح فالمدح اعم وكم بين الاعم والاخص ومن ههنا قيل الحمد لا يكون الا على
الجميل الاختياري بخلاف المدح تقول حمدته على علمه وانعامه ولا تقول حمدته على صباحة خده ورشاقة قده بل مدحته

فالحمد شعبة من شعب الشكر من جهة المورد ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده فان من لم يعترف
بالمنعم ولم يجهر بالثناء عليه لم يعد شاكرا ولم يظهر منه ذلك وان اتى بالعمل والاعتقاد لان عمل اللسان وهو النطق
هو المنبئ عما في الاعتقاد وضعا والمظهر له حقا وفيه تأييد لما قال بعضهم من ان الاقرار له اعتبار في حقيقة الايمان
على ما لا يخفى فذكر النعمة باللسان اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وعمل الجوارح لخفاء الاعتقاد وما في اداب
الجوارح من الاحتمال والحمد نقيض الذم والشكر حقيقة معناه اشاعة النعمة ونقيضه الكفران الذي هو
الستر والتغطية ورفعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب وقد قرئ به والعدول الى الرفع للدلالة
على الدوام والثبات كما في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع سلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم عليه السلام
حياهم بتحية احسن من تحيتهم لكونها بالجملة الاسمية الدالة على معنى دوام السلام لهم وثباته دون تجدده
وحدوثه وهو من المصادر السادة مسد الافعال وتقديم الحمد لكونه اهم نظرا الى المقام
وان كان ذكر الله اهم في نفسه وللعين نحمد الله حمدا بلفظ المضارع ونون جماعة المتكلمين لكونه مقولا على
السنة العباد ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم هذا مذهب جمهور المحققين
قالوا انما صح كون العبادة بيانا للحمد الذي هو فعل اللسان باعتبار اقتضى غاية الخضوع يقتضي الاعتراف
بالانعام التام ووصف المنعم بصفات الكمال ولا حمد ابلغ من ذلك غايته انه يفيد زيادة في البيان او
احمد الله حمدا بلفظ المتكلم وحده بناء على انه تعالى حمد نفسه كما هو راي الاخرين حيث قالوا حمد الرب
نفسه تعليما للعباده كيف يحمدونه ويمجدونه وقالوا حمد الله الثناء عليه بصفاته الحسنى وبما انعم
على عباده وليكون مطابقا للمفرد المضمر عليها قال بعضهم من ان قل ههنا مضمر ومعنى قوله الحمد لله قل
الحمد لله على طريقة قوله قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا والسور المفتتحة به نحو قل هو الله احد ويعضده
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان شئتم فاحمدوا ما حمد الله به نفسه قبل ان يحمده خلقه وما مدح به نفسه الحمد لله وقل
هو الله احد فمن لم يشفه القران فلا شفاه الله واختلف في لامه فقيل للجنس وقيل للاستغراق وهذا
وهم فالاولى ان يكون لتعريف الجنس دون الاستغراق لان اللام لا يفيد سوى التعريف والاشارة والاسم لا يدل
الا على مسماه فاذا لا يكون ثمه استغراق اي مستفاد من اللام وقيل لان المتبادر الى الفهم الشائع في الاستعمال
سيما في المصادر وعند خفاء قرائن الاستغراق ورد بان المتبادر الى الفهم من اسم الجنس المعرف باللام في المقامات
الخطابية والشائع في استعماله هنالك انما هو الاستغراق سواء كان مصدرا او غيره وقيل لان الحمد من المصادر
النائبة مناب الفعل انما يدل على الحقيقة دون الاستغراق فكذا ما ينوب منابه ورد بان نائب الفعل انما
هو المصدر النكرة نحو سلام عليك ورحمة الله لا مانع من ان يدخله اللام ويقصد به الاستغراق اجيب ببطلان الحصر
فانه قد يقع المصدر المعرفة نائبا مناب الفعل نحو سبحانك ومعاذ الله وصبغة الله الى غير ذلك وقيل السبب
في اختيار الجنس ان دلالة اللفظ على الجنس وعلى الاختصاص بالله تعالى لا يحتاج فيها الى الاستعانة بالمقام مع ان
اختصاص الجنس يقوم مقام اختصاص جميع الافراد فلا حاجة ههنا في تادية ما هو المقصود يعني انتفاء
المحامد عن غيره تعالى وثبوتها له الى ما يزاد على الجنس معنى زائد يستفاد من القراين والاحوال اذا علمت هذا فاعلم ان

وضع اللام للتعريف ومعناه الاشارة والتعيين وهي وحدها حرف التعريف عند سيبويه والهمزة قبلها
همزة وصل جلبت للابتدا بها كما في اسم واخواته والخليل على ان حرف التعريف ال كبل وبالجملة الاشارة اما الى
نفس الحقيقة كقولك الانسان حيوان ناطق مثلا ويسمى لام الجنس والحقيقة والطبيعة وقد يراد به واحد باعتبار
عهديته في الذهن كقولك اكلت الخبز وشربت الماء واشتر اللحم ومثله في التنزيل اخاف ان ياكله الذيب ويخص
باسم المعهود الذهني وهو في المعنى كالنكرة ومن ثم يعامل معاملة المنكر وقد يراد به جميع الافراد نحو عالم
الغيب والشهادة ويسمى لام الاستغراق واما الى معهود بينك وبين مخاطبك واحدا كان او اثنين كقولك ما فعل الرجل
لرجل معهود بينكما ويسمى لام العهد والحاصل ان اللام اما لتعريف الجنس او لتعريف العهد والجنس قد يراد به
نفس الماهية من غير ان يكون في ضمن الوجود • وقد يراد واحد من الافراد باعتبار الوجود في ضمن بعضها وقد
يراد به جميع الافراد ومما عليه المحققون من علماء المعاني ان المعرف بلام الجنس اذا جعل مبتدا فهو مقصور
على الخبر معرفة كان او نكرة نحو الكرم التقوى والتوكل على الله والكرم في العرب وبهذا يظهر ان معنى الحمد لله
هو اختصاص الحمد به وقصره عليه بدلالة لام الجنس عليه كما في الامثلة المذكورة سيما مع لام الاختصاص وانه به
حقيق على الدوام به البقا ومنه المبدا واليه المعاد لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله وينبغي ان
تعلم ان المراد بالجنس ههنا الجنس من حيث هو هو لا من حيث انه في ضمن جميع افراده بمعونة القراين فان الجنس
عندهم ما يشمل الكثير على ما هو معنى الكلي الطبيعي سواء كان جنسا منطقيا او نوعا او غير ذلك وفيه تنبيه على انه
تعالى حي قادر عالم مريد اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه • وقرا الحسن البصري رضي الله عنه الحمد لله
باتباع الدال اللام وقرا ابرهيم بن ابي عبلة بالعكس وهو في الكلمتين انما يكون لتنزلهما منزلة كلمة واحدة
لكثرة استعمالهما معا والافضل اتباع حركة البنائية الاعرابية التي هي اقوى من جهة انها مختلفة الدال لاتبع المعنى
وقرا قطرب الحمد لله باسكان الهاء فانشد فيه • الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال •
رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به للمبالغة
كما وصف بالعدل والصوم ويجوز ان يكون بمعنى المالك من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم لانه يصلح
ما يملكه الى الكمال ومنه قول صفوان بن امية الجمحي لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني
رجل من هوازن اي يكون مالكي والاول ارجح لما اشرنا اليه من ان القصد بالوصف بالمصدر هو المبالغة حتى
يكون المعنى في رجل عدل انه تجسم من العدل واذا جعل بمعنى الفاعل او حذف المضاف فات ذلك ولم يستعملوا
لفظ الرب بدون الاضافة في غير الله الا نادرا وفي حقه يجوز الاضافة والاطلاق قال الله عز من قايل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقال ابن عباس معناه سيد العالمين ويجوز ان يحمل عليه ايضا قول
صفوان ومعنى يربني يكون لي سيدا مالكا ساده وكان له سيدا وقد جاء في الحديث ايضا السيد قال رجل للنبي
عليه الصلاة والسلام يا سيد فقال السيد هو الله كانه قصد المنع من المدح مشافهة كقوله عليه السلام اياكم والمدح
فانه الذبح والاظهر قال انا سيد ولد ادم ولا فخر • وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على
المدح او بفعل دل عليه الحمد كانه قيل نحمد الله رب العالمين بناء على ان العامل في الصفة هو العامل في الموصوف • والعالم اسم

وبلغه

لكل موجود يعلم به الصانع جنسا كان او لا مرة ذوي العلم او كالخاتم لما يختم به والطابع والقالب بدليل قوله تعالى
وهو رب كل شيء ولقوله عليه السلام ان لله تعالى اربعين الف عالم الدنيا من الشرق الى الغرب اصغر الاعلام من اربعين
الفا والاعلام جمع علم وانما سمي العالم لكونه علما على الله تعالى وقد اتفق جمهور ايمة التفسير والاصول والفقه
والنحو على ان الجمع المعرف باللام يتناول كل واحد من الافراد كالمفرد حتى ذكروا في قوله والله يحب المحسنين
انه جمع ليتناول كل محسن وفسر العالمين بكل جنس مما سمي به العالم وقال الحسن وقتادة ومجاهد
جميع المخلوقين وانما جمع ليشمل كل جنس من الاجناس وجمعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء على ان فيه معنى
الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم فالنكتة في الجمع مع التعريف افادة تعدد الاجناس واستغراقها • وقيل
اسم لذوي العلم من الملايكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع • وقال ابو عبيدة هم اربع امم الملايكة
والانس والجن والشياطين ولا يقال للبهايم عالم لانها لا تعقل • وقال ابن عباس الجن والانس لانهم المخاطبون
بالخطاب قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وفيه نظر لتنافي القرينتين لان النذارة قرينة مخصصة
للعالمين بالثقلين اذ لا انذار لغير الجن والانس بخلاف التربية فانها قرينة معممة للعالمين لعمومها على ما لا يخفى
فتكون الايتان متنافيتين عموما وخصوصا • وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث
انه يشتمل على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع تعالى كما يعلم بما ابدعه في العالم
ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال عز من قايل وفي انفسكم افلا تبصرون • وفيه اشعار بانه تعالى يتصرف
في كل من الممكنات تصرفا تاما وملك الاشيا قبل وجودها بمعنى انه قادر على اخراجها من العدم الى الوجود ويملكها
حال حدوثها لان القدرة انما تؤثر في احداث الشيء حال حدوثه لا قبل ثم هو ان كان قابلا للبقاء فهو تعالى
مالك له بمعنى انه قادر على ابقائه وان كان غير قابل له فكذلك لكن بمعنى انه قادر على اعادته بعد عدمه
فظهر بهذا ان كل ما سواه تعالى من الجايز والممكن هو مربوب له ومملوك سواء كان موجودا او معدوما
ويفتقر الى المبقي حال بقائه كما انه مفتقر الى المحدث حال حدوثه ولا يخفى ان مفهوم الكلام قصر الربوبية
فان قوله رب العالمين معناه ليس في الوجود من له الربوبية غيره وكل موجود سواه مربوب له لان اضافة
المصدر تفيد الحصر كما يقال ضربي زيدا في الدار والصفات الاتية بعده مؤكدة في الدلالة على ما هو الموجب للحمد
وانه لا احد احق بالحمد والثناء الجميل منه • وقيل الوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه المتفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب
عليه تقضيه لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد • والرابع لتحقيق الاختصاص بانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما
وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين الرحمن الرحيم مالك قرا عاصم والكسائي ويعقوب يوم الدين
مالك بالالف ويؤيده يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ولان الحسنات فيه اكثر كما قال عليه السلام من قرا القران
فاعرب في قراته كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قراه بغير اعراب كان له بكل حرف عشر حسنات ولان اسم
وقرا الباقون ملك وهو الاختيار لانه قراة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم وملك الناس ولما فيه من
التعظيم وايضا الرب هو المالك فلذا قال رب العالمين ثم قال ملك يوم الدين اي بوصفين مختلفي المعنى وهو ابلغ

في النظم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
من الملك وقيل الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن غيره ويحتاج اليه كل موجود سواه في كل شي له
وملك يوم الدين من اضافة صفة مشبهة الى غير معمولها مثل رب العالمين في بناء الصفة بالنقل فتكون معنوية
نحو ملك العصر وحسن الوجه مثلا لا لفظية هي اضافتها الى فاعلها نحو كريم الاب فالقصر ابلغ لان الصفة
المشبهة تدل على الثبوت • وروى عبد الوارث عن ابي عمرو وروي ايضا عن ابن عامر وعمر بن عبد العزيز
ملك بتخفيف اللام • وقرا ابو هريرة والاعمش ومحمد بن السميفع وابن ابي عبلة مالك بالنصب على المدح
او الحال او النداء • ومالك بالرفع منونا على انه خبر مبتدا محذوف • وملك مضافا بالرفع والنصب
وقرا ابو حنيفة ملك بلفظ الفعل ونصب اليوم وهو في حرف جبير بن مطعم وعبيد بن عمير • وروي
عن الكسائي مالك بالامالة وهو ضعيف • ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واضيف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة بدليل قراة
ابي حنيفة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة
وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة وان كان مالكا
جميع الايام اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه وقيل القضاء كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين
الملك يعني في قضاه واليوم اسم مدة من طلوع الشمس الى غروبها عرفا ومن طلوع الفجر الثاني الى غروب
الشمس شرعا والمراد به ههنا الوقت من النشور الى دخول الجنة والنار او الوقت الذي ليس بمحدود
وهو الابد الدايم **اياك نعبد** ايا ضمير منصوب منفصل وما يتصل بها من الكاف والهاء ونحوهما
حروف دالة على احوال المرجوع اليه كالتاء في انت والكاف في رايتك ولا محل لهذه اللواحق
من الاعراب انما هي علامات كالتنوين وياء النسب وتاء التانيث والخليل على ان اللواحق اسماء
اضيف اليها ايا واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ
لا يعول عليه وقال الزجاج والسيرافي ايا اسم ظاهر واللواحق مضمرات اضيف اليها ايا كانت اياك
بمعنى نفسك • وقيل الضماير هي اللواحق وايا دعامة لها كانها لما انفصلت عن العامل تعذر النطق بها
مفردة وضم اليها ايا ليستقل به وكذا في انت انا ضمير وانت دعامة وقيل اياك واياي واياه بكمالها
اسماء وتقديم المفعول للاختصاص كما في قوله لالى الله تحشرون ومعناه نخصك بالعبادة ونخصك
بالاستعانة اي نجعلك منفردا بالعبادة لا نعبد غيرك على ان الباء داخلة في المقصور لا المقصور عليه والعجب
من ابن الاثير كيف انكر هذا حيث قال في المثل السائر ان التقديم في اياك نعبد واياك نستعين لمراعاة حسن
النظم السجعي الذي هو على حرف النون لا للاختصاص فان من له ذوق صحيح وتدرب في معرفة تراكيب البلغا
ليعرف ان ليس للمعنى فيه وفي مثاله الا الاختصاص وان امكن ذلك العدم بحسب النظر الظاهر والتامل
القاصر وليت شعري ما يخطر ايما عنها واي شي ندب الى ترك ايثار نكتة ذات جلالة على ان ما ذكره خروج لا جمع عليه

المحققون واختاره المهرة المتقنون • وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء وأياك بكسر الهمزة
وتخفيف الياء وقرئ الدين ياك بحذف الهمزة وروى ابو حاتم عن بعضهم وياك كما قرئ وقتت
في اقتت ومعنى العبادة قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الاوامر والنواهي وهي اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك
لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى وقيل معناه اياك نطيع طاعة نخضع فيها لك وقيل اياك نوحد
ونطيع وقرا علي رضي الله عنه نعبد باشباع الراء حتى يصلها بواو وهي لغة للعرب وقرا بعض
الكوفيين نعبد وهي لغة للعرب معروفة يجزمون آخر الكلم من غير جازم فيقولون هو يكلم ويتحدث
مثلا ونحوه كثير في القرآت والاشعار فانه قد مر امجاهد او تحدث لم ذكر باسكان الثاء تخفيفا •
وزيد بن علي في العنوان جنتا كل منها ساكنة اللام ومنها الحجة وقال الشاعر تاني قضاعة ان تعرف
لكم نسبا • وابنا نزار فانتم بيضة البلد بسكون الفاء لحرف التخفيف وقرا الحسن يعبد بالياء
والبناء للمفعول **واياك نستعين** والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها
والضرورية ما لا يتاتى منها الا بتمامه وصف الرجل بالاستطاعة الآية كاقتدار الفاعل مثلا وغير الضرورية
تحصيل ما يتيسر به الفعل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او بعث الفاعل على الفعل وهذا القسم
مما لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في اداء العبادات • وقيل في المهمات كلها وعموم
المهمات من اطلاق الاستعانة وحذف مفعولها والاولى ان يراد الاول ويكون احد نايبا للاعانة كانه
قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا فتناسقت الجمل الاربع وتلاومت حيث وقع اياك نعبد بيانا للحمد واياك
نستعين طلبا للاعانة على العبادة واهدنا نايبا للاعانة وعلى هذا الحمد في الحمد الاختصار للقرينة
وعلى الثاني التعميم مع الاختصار واما كان اولى لتلاوم المذكور وليكون العبادة له لذاته لا وسيلة
الى طلب الحوايج والاستعانة في المهمات • وقيل قدمت العبادة على الاستعانة لكونها وسيلة الاستعانة
حاجة وتقديم الوسيلة عليها انسب لكونه اقرب الى الاجابة الى الحاجة واعون على استحقاق الجزا
وقيل لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك
نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب الا بمعونة منه وتوفيق • وقيل الواو للحال
والمعنى نعبدك مستعينين بك • وقرا يحيى بن وثاب وعبيد بن عمير بكسر النون فيهما وهي لغة
بني تميم فيكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها قال ابو حاتم بكر هو الكسرة علينا
لانها كسرة فلا تكسر الكسرة الالتفات انما هو في اياك نعبد والباقي جار على اسلوبه والتنبيه على المراد ما
هو المقصود الاعظم مع الرمز الى اجلية نعمة الهداية لان اجل النعم الواصلة الى العباد هو الهداية الى دين
الاسلام اذ هو السبب المفضي الى النظر الى وجهه الكريم وبه التوصل الى النعيم الدايم في دار السلام ولذلك
امرنا بقراة السورة المشتملة عليها في الصلوة وتكريرها • ومن عادة العرب التفنن في الكلام والنقل من اسلوب
الى اسلوب ويسمى هذا النقل عند علماء المعاني التفاتا وهو ستة اقسام فقيل وجه حسنه ان الكلام اذا نقل

من اسلوب الى اخر كان احسن تطرية لنشاط السامع واكثر ايقاظا للاصغاء اليه وقد يختص مواقعه بلطائف غير هذا
الوجه العام فاللطيفة المختص بها هذا الموضع هو ان فيه تنبيها على ان العبد اذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد
من نفسه محركا للاقبال عليه وكلما اجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوي ذلك المحرك الى ان يؤول الامر الى خاتمتها المفيدة
انه مالك الامر كله يوم الجزاء فحينئذ يوجب الاقبال عليه والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة وقيل هو انه
لما ذكره واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء والعبادة فالتفت
وخوطب ذلك المعلوم المتميز بها فقيل اياك نعبد يا من هذه صفاته نعبد ليكون الخطاب ادل على ان العبادة
له لاجل ذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به لان المخاطب ادخل في التميز واعرق فيه فكان تعليق العبادة به
تعليقا بلفظ التميز ليشعر بالعلية واوضح منه ما قيل من انه اختار اياك على اياه الذي يقتضيه ظاهر السياق
اشعارا بان الغايب نزل بسبب صفاته المذكورة الموجبة لتميزه وظهوره منزلة المخاطب فيهما ثم اطلق
عليه ما هو موضوع للمخاطب ففي هذا الاطلاق ملاحظة لتلك الاوصاف المناسبة لترتب الحكم عليها كانه قيل ايها
الموصوف المتميز بهذه الصفات العظام نخصك بالعبادة والاستعانة فينبه ذلك رمزا الى الذهن ان العبادة له
والاستعانة به لاجل تميزه بتلك الصفات لما تقرر عندهم من ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بالعلية وقيل
ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا
ذكر العبد اسمه الجامع لصفات الكمال ومحاسن الافعال ووصفه بانه هو الموجد من العدم والمنعم بالنعم ومالك
امور الامم تعلق العلم بمعلوم متفرد بالقدم والاحدية حقيق بالعبادة والاستعانة وتوجهت نفسه بشراشرها
الى جناب قدسه وغنيت عن غيره بانسه كما هو دأب اوليائه وخالصة عباده وعند ذلك يصير من اهل المشاهدة
ويراه عيانا فيناجيه شفاها فيقول اياك يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد الا اياك
ولا نستعين سواك وذلك ان النظر اذا صح والحجبة اذا ارتفعت والوصلة اذا اتمت لم يكن بين نظر البصر
وشهود السر فرق ولا في حال الشهود والغيبة بون بل تتفق الاوقات وتتساوى الاحوال فيكون في كل الحال
شاهدا وبكل جارحة ناظرا وهذا مما لا يدركه كل عقل سبحان من تفضل على المصطفين من عباده والمرتضين
من اوليائه بما لم يكن تبلغه همتهم ولا تتصل اليه اوهامهم فاعانهم واكرمهم بما لا يخطر على القلوب
ولا تدركه العقول فضلا منه ورحمة انه هو ذو الفضل العظيم والبر الرحيم وان في ايراد الاستعانة على اسلوب
العبادة واقترانها بها نكتا منها ما قد تقدم ذكره ومنها وهو احسنها كما يشهد به الذوق الصحيح ان العبادة كما
اذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا باطلا وكفرا وجحودا كذلك الاستعانة
اذا وجهت الى الغير لم يكن الا باطلا وتفريطا وخروجا عن الصحيح الى الفاسد المظلم وتعرضا لدرك الشقا عن ابن
عباس كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فلو ان الامة اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء
كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك طويت الصحف وجفت الاقلام وعنه
عليه السلام يقول الله تعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي دون غيري الا اعطيته قبل ان يسالني واستجبت له قبل ان يدعوني

وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني الا قطعت اسباب السماء من بين يديه وارسخت الارض تحت
قدميه ووكلته الى نفسه وقال عامر بن قيس فوض امرك الى الله تسترح وقال زهير بن عباد وعبد العزيز بن
عمير دخل جبريل على يوسف عليهما السلام في السجن فعرفه يوسف فقال له يا اخا المنذرين ما لي اراك بين
المذنبين قال اما تراني كاسير بين الخاطئين فقال جبريل يا طاهر بن الطاهرين ان الله عز وجل كرمني بك
وبآبائك وهو يقرئك السلام ويقول لك اما استحييت مني ان استعنت بغيري وعزتي لالبثنك في السجن
بضع سنين فقال يا جبريل وهو عني راض قال نعم قال اذن لا ابالي فاذا كان حال يوسف الصديق وهو من
المرسلين جرى عليه بتركها ما جرى فما ظنك بمن دونه فحق على كل احد ان لا يوجه الاستعانة الى ما سواه
اذ لا ينفع ولا يضر شيئا والالتفات ههنا من الغيبة الى الخطاب كما في قول الحرث بن حلزة طرق الخيال
ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج انى اهتديت لنا وكنت رجيلة والقوم قد قطعوا متان السجسج
اهدنا الصراط المستقيم الهداية خلق الاهتداء وقد يطلق على الدلالة والدعوة الى الاهتداء مجازا
والمعتزلة على انها بيان طريق الصواب وليس كذلك لقوله انك لا تهدي من احببت مع انه بين الطريق والمشهور
ان الهداية عندنا هو الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء او لم يحصل وعندهم
الدلالة الموصلة الى المطلوب واستدل على اعتبار الوصول الى المطلوب في مفهومها بوجوه احدها وقوع الضلالة في مقابلتها كما
الوصول الى
نطق به القران وثانيها ان الانسان يمدح بكونه مهديا ومعلوم ان من دل على المطلوب لم يستحق المدح ما لم
يصل بل لو لم يصل لربما استحق الذم وثالثها ان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى
اصله نحو جمعته فاجتمع وكسرته فانكسر الى غير ذلك والوصول معتبر في الاهتداء فكذا في الهداية واعترض
على الاول ان المقابل بالضلال هو الهداية بمعنى الاهتداء ورد بانه لا فرق الا باللزوم والتعدي لانه مطاوعه
وعلى الثاني بان التمكن من الوصول الى المطلوب ايضا فضيلة يستحق المدح وبان المراد بالمهدي في مقام المدح هو
المنتفع بالهداية حتى ان من لم ينتفع ولم يهتد فكانه لم يحصل له الهداية ورد بان التمكن مع عدم الوصول
نقيصة وبان الاصل في الاطلاق الحقيقة وعلى الثالث بانه منقوض بمثل امرته فلم ياتمر ورد بعد
تسليم المطاوعة بانه نادر والحكم انما هو على الغالب وبان حقيقة الامر لا يحصل الا بالائتمار ما لم يمنع مانع وهنا
لزوم الجبر وسقوط الاختيار مانع وعورضت الوجوه بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
الهدى واجيب بانه ليس المراد بهديناهم معناه الحقيقي بل معناه المجازي وهو افاضة اسباب الهداية
من بعث الرسل والتنبيه على الصراط المستقيم ورد بان الاصل الحقيقة واصله ان يتعدى باللام او الى
كقوله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق فعومل معاملة اختار في واختار موسى قومه والمطلوب
زيادة الهدى او الثبات عليه وله اسباب منها افاضة القوى والالات التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
ومنها بعث الرسل وانزال الكتب ومنها تعريف الطريقين المشار اليه بقوله وهديناه النجدين ومنها اشراق
النور في عالم النبوة والولاية اذ يهتدى به الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي به التكليف وامكان التعليم وايتاه
عن بعد قوله قل ان هدى الله هو الهدى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اضافة الى الذهن واختص به هو الهدى المطلق

الذي سماه نورا في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعن علي وابي اهدنا ثبتنا وعن ابن عباس ارشدنا وهو في حرف ابن مسعود وعن الكلبي امتنا على دين الاسلام وصيغة الامر موضوعة لطلب الفعل سواء كان على سبيل الاستعلاء فايجاب او ندب او التضرع فدعاء او التساوي فالتماس والكل حقيقة والسراط من سرط الشي اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم او بالعكس والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء لكونهما من المستعلية بخلاف السين فانه من المنخفضة ففي الجمع بينهما بعض الثقل ومن قرا بالسين جاء به على الاصل وقال الكسائي لولا اني احب مخالفة المصحف لقرات السراط لانه ماخوذ من سرط الطعام وقالوا انما يدل على انه هو الاصل استعمالهم الصاد فيه اذ لو كان الصاد هو الاصل لما رد الى السين لانهم لا يردون الاقوى الى الاضعف بل يردون الاضعف الى الاقوى ولانهم انما يستعملون القلب وما اشبهه ارادة التجانس والخفة فلم يكونوا ليتركوا الصاد التي هي مجانسة الطاء واللفظ معها اخف ويجعلوا مكانها السين مع عدم مجانستها لها وثقل اللفظ معها لما يحصل فيه من التصعد بعد التسفل وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابو عمرو وابن ابي ليلى الزراط بالزاء الخالص والكل لغات معروفة فان ابن كثير قراه بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام الذي جمع الناس عليه عثمان باجماع الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقرا زيد بن علي والضحاك والحسن صراطا مستقيما وقال داود بن [illegible] ما سمعت جعفر بن محمد يقرا صراط المستقيم بالاضافة وانا اصلي خلفه كذا في كتاب غرايب القرات ويجمع صرطا ككتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمستقيم المستوي وقيل القيم كقوله ذلك الدين القيم وقيل الثابت يعني الصراط الثابت بالبراهين والادلة والمراد بالصراط المستقيم طريق الحق ۷ وقيل القران واصل الطريق الواضح الذي لا عوج فيه بدل منه بدل الكل وهو في حكم

۷ وقيل ملة الاسلام

تكرير العامل كانه كرر اهدنا كما كرر اللام في قوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وفايدته التوكيد والتنصيص على ان الطريق المستقيم هو صراط المسلمين شهادة لها بالاستقامة على ابلغ وجه واكده لما فيه من التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام لقصد الشمول اذ الاسلام هو النعمة كل النعمة وقيل الانبيا عليهم السلام وقيل اصحاب موسى وعيسى قبل النسخ والتحريف وعن عاصم عن ابي العالية انه النبي عليه السلام وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قال عاصم ذكرت ذلك للحسن البصري فقال صدق والله ابو العالية وقرا عبد الله صراط من انعمت عليهم وفي كتاب غرايب القرات روي عن عمر وعلي وعبد الله بن الزبير وعلقمة والاسود صراط من انعمت عليهم اي مننت عليهم بالهداية والاشفاق والانعام ايصال النعمة قال الجوهري النعمة اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك وقيل هي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من نعمة وهي اللين ونعم الله تعالى على كثرتها ترجع الى دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني

ان يعفو ما فرط من الانسان ويرضى عنه ويبوئه في عليين مع المقربين ابد الابدين والمراد هو الثاني وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر

بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي الايمان كما مر وبين السلامة من الغضب والضلال وعن ابن كثير نصبه على الحال من ضمير المجرور او على المدح او الاستثناء ان فسر الانعام بما يعم المؤمن والكافر وهي قراة رسول الله عليه السلام وعمر بن الخطاب وروي عن علي وابن الزبير وابن [illegible] وابي رجاء وابن ابي عبلة ورواها الخليل عن ابن كثير واصل غير ان يكون من الفاظ الاستثناء وان حكمه حكم الاسم الواقع بعد الا فيجري فيه البدل والنصب في غير الموجب وتنصبه في الموجب والمنقطع وعند التقديم والاصل ان يكون وصفا يتبع اعراب ما قبله ومعناه المغايرة خلاف المماثلة ودلالته عليهما من جهتين ذاتا وصفة وهو من اسما توغلت في ابهامها فهي نكرات وان اضيفت الى المعارف فتوصف بها النكرات كقولك رايت رجلا غيرك او مثلك او شبيهك ولذلك تقع غير صفة لقوله الذين انعمت عليهم اذ لا توقيت فيه فهو كقولك ولقد امر على اللئيم يسبني ثم لم يقصد به معهود لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه والموصولة هنا كالمعرف باللام ولم نظاير مما نطق به التنزيل نحو قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا فان يحمل صفة الحمار ولان غير المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذا الابهام الذي يابى عليك ان يتعرف فعلى هذا يكون غير المغضوب عليهم معرفة بناء على اشتهار المنعم عليهم بمغايرة المغضوب عليهم وتقرير المقام ان لغير ثلثة مواقع ان يقع موقعا لا يكون فيه الا نكرة وهو اذا اريد النفي الساذج نحو مررت برجل غير زيد وان يقع موقعا لا يكون فيه الا معرفة وهو اذا اريد به شي قد اشتهر بمغايرة المضاف اليه ومضادته في معنى لا يضاده فيه الا هو نحو مررت بغيرك اي المشهور بمضادتك الا ان هذا الوجه لا يحسن ان يجري صفة والثالث ان يقع موقعا فيه تارة نكرة وتارة معرفة نحو مررت برجل كريم غير لئيم والرجل الكريم غير اللئيم قال عبد القاهر غير المغضوب عليهم من قبيل القسم الثالث وقد جعل فيما تقدم من قبيل القسم الثاني وقولنا ان فسر الانعام بما يعم المؤمن والكافر تحقيقه ان ما اعطي الكفرة من الملاذ والغنى وسلامة البدن ونحو ذلك فهي نعمة على الحقيقة عند الحنفية وعلى المعتزلة والقاضي من الاشعرية فهي نقمة وليست بنعمة لانها سبب العذاب من الاخرة والنعم ما يتوسل بها الى الجنة فكل ما يتوسل به الى النار فهي عقوبة واحتجوا بانه لو لم يكن نعمة لما وجب عليهم الشكر على اسداء تلك النعم اليهم ولو لم يجب لم يجز العذاب بتركه فاستحقاقهم العذاب بتركه دليل على كونها نعما لم يحققهم وايضا لا يمكن ان يقال انهم اقاموا بالدنيا طول عمرهم وما انعم الله عليهم بشي من نعمه على انه قال واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه وقال فكفرت بانعم الله اخبارا عن اهل قرية كفروا انعمه تعالى بعدما انعم عليهم بها وقد قيل ان الرحمن معناه المنعم على المؤمن والكافر بالنعم وقال معاذ قال النبي صلى الله عليه وسلم بيس القوم اليهود انعم الله عليهم كثيرا فجحدوا ذكر يكفر النعم حتى صير الله تعالى منهم القردة والخنازير واذا ثبت هذا فقوله انعمت عليهم يشمل المؤمن والكافر لما تم من تحقق نعم الله في حق جميع الناس فيكون غير المغضوب استثناء منه والغضب غليان القلب ارادة الانتقام وهذا من الاعراض النفسانية التي لا تخلو عن تغير ونقصان كالصبر والحيا والخداع والرحمة والاستهزاء ونظاير ذلك فلا تمتنع ثبوته شرعا وتقدس فمن قام عنه البرهان على امتناع ثبوته نحو الغضب والحيا مثلا لله تعالى حملها على الغاية لتتميم

كما مر تحقيقه وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية بخلاف الثانية فان محلها الرفع على الفاعلية وقرا الحسن
والجحدري عليهمي بكسر الهاء واشباع الميم حتى يصلها بياء وابن ابي اسحق وعيسى عليهمو بضم الهاء والميم
ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي والتنصيص على شمول العدم بمعنى ان النفي متعلق بكل من المعطوف والمعطوف عليه
وتوضيح ذلك ان الواو اذا استعملت في النفي ودلت قرينة على انها لشمول النفي وسلب الحكم عن كل واحد فهو لشمول
العدم كما لو حلف لا يرتكب الزنا واكل الحرام وكما اذا اتى بلا الزائدة المؤكدة للنفي نحو ما جاءني زيد ولا عمرو وان لم تدل
عليه فهو لعدم الشمول وهذا الثاني ليس بمقصود ههنا فذكره لتكميل الكلام وهذا اي كونها مزيدة للتاكيد انما هو على
راي البصريين والكوفيون على انها بمعنى غير وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وعن ابي عبيدة
بلغنا ان عمر قرا غير المغضوب وغير الضالين برفعهما على المدح اي اولئك هم وعلى هذا يجوز ان يكون نصبهما
على المدح وقرئ ولا الضألين بالهمز هربا من التقاء الساكنين وعن سعيد بن عروة كان ايوب السختياني
احرص الناس على الهمز حتى همز ولا الضألين بهمزة مفتوحة وهي لغة معروفة عند العرب في كل الف وقع بعدها
حرف مشدد نحو جانّ ودابّة وانما قلب الالف همزة ليصح حركتها لئلا يجتمع الساكنان والضلال
عدم الاهتداء بالجور عن المنهاج فاستعير للعدول عن السداد في الدين وقيل اصله الغيبوبة والضلال من ضل
اللبن في الماء غاب وهلك وقيل الضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطا وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير وما ذكرنا فهو تصريح بان الهداية والضلالة متقابلات تقابل الملكة والعدم وقيل
المغضوب عليهم اليهود لقوله لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا
وقيل المغضوب عليهم كل من اخطا في العمل والضالين كل من اخطا في الاعتقاد لان اللفظ مطلق والتقييد خلاف الاصل
ويؤيده دخول حرف التعريف عليهما وقوله عليه السلام اربعة اصناف من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب ولا في الجنة
نصيب ولا تنالهم شفاعتي ولا ينظر الله اليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المرجية والقدرية والجهمية
والرافضية وقيل المغضوب عليهم المشركون والمنافقون لقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
الى قوله وغضب الله عليهم والضالين اهل البدع والاهواء لقوله ومن اضل ممن اتبع هواه وقوله عليه السلام
اهل البدع شر الخلق وقوله كل بدعة ضلالة ومن محاسن النكت ولطايف المعاني ههنا انه اسند
النعمة اليه بطريق الخطاب تقربا ولما صار الى ذكر الغضب عدل عن ذلك الى الغيبة تعززا ومعنى الغيبة
ترك الخطاب قيل ولم يصرح باسناد الغضب اليه ادبا صوت سمي به الفعل الذي هو استجب
كما سميت باخواته الافعال وقال بعضهم انه من اسماء المصادر النائبة مناب الافعال وجعلها اسما الافعال
قطر الناقة ولهذا قال الزجاج ان امين حرف موضوع موضع الاستجابة كما ان صه موضوع موضع السكوت
وعن ابن عباس سالت رسول الله صلعم عن معنى امين فقال افعل وبني على الفتح لاجتماع الساكنين وعن
مجاهد انه اسم من اسماء الله ومعناه يا الله استجب دعانا وقيل معناه كذلك فليكن وقيل ليست بعربية
بل لغة سريانية بناء على ان فاعيل مثل هابيل وقابيل مما لم يوجد في ابنية العرب والجمهور على انها عربية
واصل امين على وزن فعيل فاشبع فتحة الهمزة فتولدت منه الالف كما في انتا انتا ومن ثم قالوا فيه لغتان مد الهمزة

وقصرها قال في الممدود يرحم الله عبدا قال امينا وقال في القصر امين فزاد الله ما بيننا بعدا قدم للاهتمام
وليس من القران وفاقا وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي يعني بقوله اهدنا وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه
وعن اصحابه انه يخفيها لما رواه عبد الله بن مغفل وانس رضي الله عنهما وعند الشافعي يجهر بها في الجهرية لما
روي عن وائل بن حجر ان النبي صلعم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته والماموم يؤمن لقوله صلعم
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله عليه السلام
اذا امن القاري فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن النبي صلعم
علمني جبريل امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي كرم الله وجهه
امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلعم قال لابي بن كعب الا
اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها
السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وكلمة لم ينزل بالتانيث لكونها مسندة الى مثلها بمعنى سورة مماثلها
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال بينا رسول الله صلعم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرا حرفا منها الا اعطيته

اعلم ان للعلماء في الايات المتشابهة مذهبين الاول ان علم تاويلها موكول الى الله
وهكذا في المتشابه من الاخبار والقدوة فيه ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلي وعبد الله ومعاذ وسلمان وكثير
من التابعين فقال ابو بكر رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور وقال عمر وعثمان وابن مسعود رضي
الله عنهم ان الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال الشعبي والزهري ومالك ووكيع والاوزاعي وغيرهم
الم وساير حروف الهجاء في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي سر القران فنحن نؤمن بها ونكل
العلم فيها الى الله الملك العلام وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال الاوزاعي سالت الزهري عن بعض الاخبار
المتشابهة فقال من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم امروا احاديث رسول الله صلعم كما جاءت
وكذا روى سالم بن هاني عن وكيع وعبد الله بن نافع عن مالك واليه ذهب الجم الغفير من فقهاء الاثر ونقلة الخبر
يرون روايتها ولا يرون البحث عنها ولا يأولونها الثاني ان البحث عن متشابه التنزيل والحديث واجب
في الاصول والعقول فرارا عن تعطيل الصفات واقة التشبيهات والقدوة في هذا علي وابن عباس رضي الله عنهما
وعليه كثير من المحققين قالوا بمعرفة المحكم والمتشابه يتميز الفاضل من غيره والحكيم من الجاهل ورد المتشابه
منهما على ما جاء طريق سهل يستوي فيه الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانما يتبين التميز والفضل بالبحث و
استخراج الحكم من الاية والسنة وحملهما على ما يوافق الاصول ويقتضيه العقول فقال علي كرم الله وجهه
هو اسم من اسماء الله تعالى فرقت حروفه في السور ومنها هو في معناه ما قال سعيد بن جبير هذه الحروف
منها ما يهتدي الى كيفيات تركيبه مثل الر حم ن فان مجموعها الرحمن ومنها ما لا يهتدي الى كيفية تركيبها

فاسم الله الاعظم فيها وقال ابن عباس رضي الله عنهما الم معناه انا الله اعلم وقال محمد بن كعب الالف آلاؤه واللام
لطفه والميم ملكه قال الزجاج وهذا احسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها وقيل الالف الله واللام
جبريل والميم محمد عليه السلام وقيل كل حرف منه مفتاح اسم من اسمائه تعالى قلت ان الاصل في هذا قول النبي صلعم
تعلموا ابجد وتفسيرها ويل لعالم جهل تفسيرها الالف الله والا آلاء الله وحرف من اسماء الله والباء بهاء الله
والجيم بهجة الله والدال دين الله فان قلت قد علم من كلامهم انهم سموا الالفاظ التي تتهجى بها حروفا
حيث قالوا انها الحروف المقطعة ونحو ذلك مما ينادي بانها حروف فما بال المتاخرين قضوا لها بالاسمية حتى ان
الموثوق بهم من ائمة العربية قد صرحوا بانها اسما قلت سميت هذه الالفاظ حروفا مجازا وانما هي اسما مسمياتها
الحروف المبسوطة التي منها يتركب الكلام لصدق حد الاسم عليها دون الحرف ولانها متصرف فيها بما يختص بالاسم من
التعريف والتنكير والاسناد والاضافة مثلا وناهيك بتصريح الخليل وابي علي دليلا بينا على صحة ذكر حيث قال
لاصحابه كيف تلفظون بالكاف في لك والباء في ضرب فقالوا كاف با فقال انما اتيتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال اقول كه به وقال ابو علي في بعض اماليه يا من ياسين انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان
كان حرفا فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف لاجل اليا فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر واما قوله
عليه السلام اما اني لا اقول الم حرف ولكن اقول الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به المعنى اللغوي لا المعنى
الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به اصطلاح جديد ولعله سماه باسم مدلوله وهي ما لم تلها العوامل
ساكنة الاعجاز موقوفة خالية عن الاعراب لفقد المقتضي والعامل الا انها صالحة له لانها من اسماء معربة دون
مبنية اذ لو بنيت لكانت وزانها وزان اين وهولا ولم يقل صاد وق مغتفرا فيهما التقاء الساكنين ولما
كثر استعمالها موقوفة اشتبهت للمبنيات التي اجتمع في اخرها ساكنان فعوملت تارة معاملة هولا
واخرى معاملة اين فمن قرا صاد وق ونون بالكسر راعى ما هو اصل حركة الساكن كهولاء ومن قرا بالفتح
حركه به للخفة كاين والان والاحسن ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وعدم دخول التنوين انما هو
بامتناع الصرف للتعريف والتانيث لكونها بمعنى السورة وقد صرفها من قرا صاد بالجر والتنوين على تاويل
الكتاب مثلا قالوا انتصابها اما بفعل مضمر نحو اقرا او بحذف حرف الجر واعمال فعل القسم والاول هو الوجه
لان من قرا بالفتح لو جعل منصوبا على حذف حرف الجر واعماله لزم العدول عن الوجه المستحسن الى الوجه المستكره بلا
ضرورة لوجهين الاول ان القران والقلم بعد هذه الفواتح مقسم بهما فلو جعلت منصوبة على ذلك التقدير
لكانت هي ايضا مقسما بها فح اجتمع قسمان على مقسم عليه واحد وانه مستكره ولهذا قال الخليل الواو الثانية
والثالثة في قوله تعالى والليل اذا يغشى واو العطف فقال سيبويه قلت له لم لا تكونان واو القسم قال انما اقسم بهذه
الاشياء على شيء فاشتركت في مقسم عليه واحد فلابد من حرف التشريك وهو واو العطف لان استعمال كلام اخر
بدون حرف التشريك انما يجوز اذا كان انقضى قسمه الاول على شيء كقولك بالله لافعلن كذا بالله لاخرجن اليوم
واما اذا لم يكن كذلك بل كان القسم الاول متوجها الى ما توجه اليه الثاني كقولك وحقك وحق زيد فجعل الواو الثانية
للقسم دون العطف ليس بعيدا لما فيه من قصد التشريك بلا داعية ولا يخفى ان في هذا الكلام اشارة الى ان ذكر غير ممتنع لكن يجوز

على استكراه الثاني انه لو وقع موقع الواو الفاء وثم كقولك والذاريات ذروا فالحاملات وقرا وكما يقال بالله
ثم حيوتك لافعلن كان المعنى على حاله فانه كما ان الفاء وثم للعطف كذا الواو لكن ما بعد الواو ههنا مجرور وما قبلها
منصوب فلا تجعل للعطف فتعين القسم ولزوم الاستكراه فلم يصح حمل انتصابها على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم فحمل
على الانتصاب بفعل مضمر ثم ان مسمياتها لما كانت بسائط الكلم واصولها التي ركبت منها افتتحت السور بطائفة من اسمائها
ووردت مسرودة على نمط التعديد ايقاظا لمن تحدى بالقران وبغرابة نظمه وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام من
جنس كلامهم منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلو كان كلام البشر لم يرتق في البلاغة الى الاعجاز عن طوقهم ولم تقصر هممهم
عن الاتيان بمثله ولم تتساقط مقدرتهم دون معارضته على انهم كانوا الحراص على التسابق في رهان المفاخر والاحرياء الكيس
على ركوب الشطط في افتنان القصيد والخطب ولتهاني المفاخر وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق
بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام بخلاف النطق باسماء الحروف فانه مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة استبعاد الكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذكرها ما يعجز عنه مصاقع الخطباء
عن اخرهم واكبر شقاشق العرب العرباء باسرهم وهو انه اورد في هذه الفواتح منها اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف
المعجم ان جعل الالف والهمزة حرفا واحدا كما هو راي البعض في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي الالف واللام
والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون مشتملة على انصاف اجناس
الحروف وذلك ان فيها من المهموسة المجموعة في قولك ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف
[illegible] نصفها لن يقطع امر ومن [illegible] المجموعة في اجدك قطبت نصفها الالف والقاف
والطاء والكاف ومن [illegible] نصفها حمس على نصره ومن [illegible] التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها
الصاد والطاء ومن [illegible] وهي ما عداها نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء
والقاف والياء والنون ومن [illegible] وهي التي تتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة نصفها القاف
والصاد والطاء ومن [illegible] وهي ما عداها نصفها احد عشر ومن [illegible] وهي حروف تضطرب عند
خروجها مجموعة في قد طبج نصفها القاف والطاء وقالوا مخارج الحروف التسعة والعشرين ستة عشر على هذا النهج
ومن حروف البدل وهي احد عشر نصفها الستة المذكورة المجموعة في اهطمين فانهم عدوا ثمانية من حروف الزيادة
وهو ما عدا السين واللام وزادوا ثلاثة اخرى وهي الجيم والطاء والزاي وقيل اثنا عشر بزيادة اللام وقيل ثلاثة عشر
بزيادة الصاد والزاي وقيل ثمانية عشر بزيادة الخمسة المذكورة وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط
وباربعة اخرى وهي الفاء في اجداف والعين في عن والثاء في ثروغ والباء في باسمك وعلى هذا الراي نصفها
تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين والقول الاول هو الشايع المشهور مما ذهب اليه سيبويه وابن جني
ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المتقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين
والضاد والظاء والشين والواو والزاي والفاء نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها
الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الفصاحة والخفة ومن الاربع التي
لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها واما الحروف الحلقية الستة والذولقية المجهورة

في ريب منقل فلكثرة استعمالها اورد ثلثتها وقد اورد من الحروف الزيادة التي يشملها سألتمونيها او السمان
هويت او واتاه سليمان او اليوم تنساه سبعة اشعار بان ابنية المزيد لا يجاوز السباعية ثم اذا استقريت الكلم
وتراكيبها وجدت الحروف التي الغى الله ذكرها من كل جنس من الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة بناء على ان الحروف
المذكورة كثيرة الدور والاستعمال في السنة العرب وتراكيب كلامهم وغير المذكورة قليل الاستعمال فقامت المذكورة
مقام الكل تنزيلا للمعظم الشيء والعدد الكثير منه منزلة كله فكانه قد عدد عليهم بهذه الاسماء القائمة مقام الكل
جميع الحروف التي منها تراكيب كلامهم ايقاظا لهم وتبكيتا ومما يؤيد انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا
في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما في التراكيب جاءتا مكررتين لفظا ومعنى في معظم هذه الفواتح وهو
ثلث عشر سورة ثم في ايرادها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية تنبيه على ان المتلو عليهم انما نزل
بلسانهم مصبوبا في اساليب كلامهم واستعمالاتهم فان العرب كما ان ابنيه كلماتهم على كلمة وكلمتين الى خمسة كلمات لم تجاوز
ذلك المسلك فانه قد جاءت ثلث مفردات في ثلث سور واربع ثنائيات في تسع سور طه وطس ويس وحواميم
ما عدا حم عسق وثلث ثلاثيات في ثلثة عشر سورة الم في ستة سور والر في خمس سورها والخمس وطسم في سورتها
ورباعيتين المص والمر وخماسيتين كهيعص وحم عسق فان قلت اذا كان المقصود من تعديدها
الايقاظ والتبكيت فهلا عددت جملة الحروف باساميها في اول القران قلت لانها اسماء السور وعليه اطباق الاكثر
ومن ثم جاءت مفرقة على السور وقيل لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير
موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وفي التسمية بها تنبيه
على انها كلم عربية معروفة التركيب فلو كان من عند غير الله لم يعجزوا اعراضهم عن الاتيان بمثل اقصر سورة منها
لا يقال القول بانها اسماء السور خروج عن كلام العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم بل يعود
الى ما ليس في لغتهم لانا نقول التسمية بثلثة فصاعدا انما يستنكر اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة
معدي كرب فاما اذا جعلت غير مركبة ونثرت نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه
ان يحكى حكاية كما سموا بالجمل نحو ذري حبا مثلا وكما لو سمي بيت شعر فان قلت لو كانت اسمائها
لزم اتحاد الاسم والمسمى قلت لا لانه يلزم ذلك لان الاسم هو جزء السورة والمسمى كلها فلا اتحاد فان قيل
جزء الشيء متقدم عليه واسم الشيء متاخر عنه فجزء الشيء لا يكون اسمه لتنافي لازميهما اجيب بان الجزء متقدم
من حيث ذاته ومتاخر باعتبار كونه اسما فلا اشكال فان قيل هذه الفواتح التي جعلت اسماء السور هي اسامي
للحروف والمسميات التي هي نفس الحروف وقاعدة الخط انه اذا اسمي باسماء الحروف يكتب على صور الاسماء لا على
صور الحروف مثلا اذا اسمي واحد بطاسين فقاعدة الخط ان يكتب بصورة طاسين لا بصورة طس فاذا خولفت
القاعدة وكتبت في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اسمائها فان ذلك يدل على انها ليست
اسماء السور اجيب بانه لا شك ان جميع الكلم مركبة من الحروف واستمرت العادة اذا تهجيت وقيل للكاتب
اكتب الف با تا مثلا ان يلفظ بالاسماء ويكتب الحروف فعمل في كتابة هذه الفواتح على تلك الشكلة المالوفة فانه
يلفظ بالاسماء وهي الف لام ميم ويكتب الحروف وهي الم وايضا لما لم يلتبس في هذه الفواتح اذ المقصود هو التلفظ بالاسماء اذ هو

في الكتابة ما هو اوجز واخف وهو صور الحروف وذلك لوجه شهرة امر هذه الفواتح فانه تمنع الالتباس وان ليست
الغاية في التلفظ بها اذ لم تكن متهجاة فان اللفظ لو لم يتهج بها ولا يقول القلم ميم بل يقول الم لا يحلى بطائل منها
وان بعضها موقوف لا يخطر ببال احد الا مورده الذي هو عليه وهو ان يتلفظ بالاسم مثل ص وق اذ لو كان في مثلا
امرا لكتب بالهاء وايضا قد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن قياسات علم الخط والهجاء واتباع خط
سنة لا تخالف وقيل استدل على انها اسماء السور بانها لو لم تكن مفهمة لكان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل
والتكلم مع الزنجي بالعربي ولو لم يكن القران العظيم باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له
في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي فلا يحمل
على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قال قطرب
او اشارة الى الكلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي لنا قالت قاف كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال الالف الاء الله واللام لطف الله والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن
وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي القران العظيم نزل من الله تعالى بلسان جبريل على محمد صلعم والى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية
متمسكا بما روي انه قال عليه لما اتاه اليهود وتلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى
وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم ثم قالوا فهل غيره قال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري
بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة
وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقرطاس
او لدلالته على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان
القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم
ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة
لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها
من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار في كلم معينة
في لغتهم واما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا تخصيص
لفظا ومعنى وبقوله لا تفسير فيه نظر كما لا يخفى فان قوله الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك هو تصريح بانه تفسير ولا يحتاج
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها
وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها وهذا ليس مرضيا عند اهل الحق ان كلا من هذه
الوجوه ونحوها مما ياتي بعد محتمل غير ممتنع وانما الممتنع التخصيص ببعضها وقد قال ابن عباس والشعبي
والاخفش وغيرهم من اكابر الائمة انها مقسم بها حيث قالوا اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها اذ هي مباني اسمائه الحسنى

وقد تقدم الجواب عن الاخرين التسمية بها والاتحاد وعن التاخر بالامر بعد الآن الوجه الاول اقرب للتحقيق واوفق للطايف
التنزيل واختصاراته واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من وضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو
مقصود العلمية وقيل هي اسماء الله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يدعو اذا اصعب عليه امر يا كهيعص يا حم عسق
ولعله اراد يا منزلهما وقيل اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها سر الله كما هو مذهب
اصحاب النبي عليه السلام وغيرهم قال داود بن ابي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود لكل كتاب سر
وان سر القران فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفي بعض الكتب قال الشعبي ان لله تعالى سرا جعله في كتبه وان
سره في القران هو الحروف المقطعة ولا يخفى ان قولهم انها اسرار الله استاثر الله بعلمها يدفع ما قيل لعلهم ارادوا انها
اسرار بين الله ورسوله صلعم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد على ان عدم علمهم بمعانيها لا يقتضي
ان لا يفيد شيئا وان لا يكون لذكرها معنى في حيزها لما مر من انه قد ذكر اسماء هذه الحروف من حروف المعجم على سبيل
التحدي والتنبيه على الاعجاز وايضا يجوز ان يكون تنبيها على انها اسماء السور التي اعجزت العرب وقيل الالف من اقصى
الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي
ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم فانك اذا جعلتها اسماء الله
او السور او القران او حروف المعجم كان لها محل من الاعراب رفعا ونصبا او جرا لمشابهتها الاسماء الاعلام اما الرفع فعلى الابتداء
او الخبر واما النصب فعلى حذف حرف القسم وايصال فعله اليها كقولهم الله لافعلن بالنصب او على اضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر
كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتانيث والتعريف على ما ذكرت ويجوز ان يكون انتصابها بفعل مضمر نحو
اذكر او اقرا وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في طس ويس وحم لو قرئ به واما الجر فباضمار باء القسم لا بحذفها
فقد جاء عنهم الله لافعلن بالجر ونظيره قولهم لاه ابوك ويؤيده ما روينا عنهم انهم قالوا اقسم الله بهذه الحروف
لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله تعالى ومادة خطابه ومباني كتبه المنزلة ومباني الاعراب لفظا والحكاية
فيما كان اسما مفردا نحو صاد وق ونون او موازنا لمفرد نحو حم وطس فانها كهابيل والحكاية فيما عدا ذلك
نحو المر وكهيعص واما ان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة حروف التنبيه فلا حظ لها من الاعراب كالجمل
المبتداة والمفردات المعدودة ورد على الاول بانه ينبغي ان تتعين الاعراب ولا يسوغ الحكاية كساير الاعلام
المنقولة من المفردات او المركبات من كلمتين ليست بينهما نسبة واما الحكاية فيما وقع علما من الجمل مثل ضرب فعل ماض
وحرف جر اشعارا بانه لم ينقل عن الاصل بالكلية او كانت جملة واما اذا جعل مثل ضرب بدون اعتبار الضمير اسم رجل
فلا وجه للحكاية واجيب بان ذلك في هذه الاسماء خاصة اذا جعلت اعلاما للسور خاصة اما اذا جعل صاد مثلا
علما للرجل او الفاتحة علما للسورة فلا حكاية وذلك انها قد اشتهرت ساكنة الاعجاز وكثر استعمالها كذلك فكانها نقلت
على تلك الهيئة سيما وفيها شبهة من ملاحظة الاصل من جهة ان مسمياتها مركبة من الحروف المبسوطة فجعلها نسخة من قولك
ضرب فعل ماض ومن حرف جر والحكاية ان تاتي بقول بعد نقله على استيفاء صورته الاولى كقولك قرات الرحمن
علم القران وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الاخر وجدنا
في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وكقوله تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا على انه مفعول به

او مصدر والظرف متعلق به ومجرورا دعواها الحكاية وقال سيبويه سمعت من العرب لا من ابو وامي ابي اين يا فتى
عن هذا السؤال واسالني ما هو الاهم فادخل لا على كلام السائل وحكاه على حاله ويوقف عليها وقف التام اذا
حملت على معنى مستقل بحيث لا يحتاج الى ما بعده وذلك اذا رفعت على الابتداء او الخبر او نصبت بفعل مضمر او القسم
محذوف الجواب وكذا اذا جعلت بمنزلة الاصوات او جعل كل حرف منها من كلمة والوقف قطع الكلمة عما بعدها فان كان
على كلام مفيد فحسن وان كان على كلام غير مفيد فناقص ان كان ما بعده متعلق بما قبله في الاعراب فهو الكافي
والا فهو التام والكوفيون على ان الم في سورها الست والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحم عسق
ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه وقد يروى انها عندهم في السور كلها ايات
وقيل في ال عمران ليس باية واما غيرهم فلم يعدوا شيئا منها اية ذا اسم الاشارة واللام
جيء بها مزيدة وقيل للدلالة على البعيد وعليه الاكثر وكذا في هنالك والكاف للخطاب تتصرف مع المخاطب في احواله
من التذكير والتانيث والتثنية والجمع والكل ما نطق به التنزيل وفرق بين ذا وذاك وذلك بان الاول للقريب والثاني للمتوسط
والثالث للبعيد وربما جعل البعد ذريعة الى التعظيم ومنه قوله تعالى الم ذلك الكتاب تنزيلا لبعد درجته ورفعة
محله منزلة بعد المسافة وقوله فذلكن الذي لمتنني فيه حكاية عن امراة العزيز حيث لم تقل فهذا وهو حاضر وكثيرا ما
يذكر المعنى السابق بلفظ ذلك لان المعنى غير مدرك بالحس فكانه بعيد فذلك اشارة الى القران اول بالمولف من هذه
الحروف او فسر بالسورة او التنزيل او القران فانه لما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد او وصل من المرسل
الى المرسل اليه كان في حد البعد اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكير اسم الاشارة اذ المعنى بالم السورة لتذكير الكتاب
لكونه خبر ذلك او صفته فاجري بحكم الخبر على المبتدا في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك فان الضمير
لما يعود الى المخاطب وهو مذكر لكنه انث بالنظر الى الام او الى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود به في
ابرهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فانه لما دعا بذلك قيل قد
استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلعم وعلمه الكتاب وهو القران العظيم الذي انزل عليه
وقيل بقوله سنلقي عليك قولا ثقيلا وقيل الموعود على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ولفظ ذلك صالح للاشارة
الى كل غايب عينا كان او معنى لكن الاصل في اسماء الاشارة ان تستعمل في المحسوسات وان كان استعمالها في غير
المحسوسات اكثر من ان يحصى تنزيلا لغير المحسوس منزلة المحسوس والاشارة العقلية منزلة الاشارة الحسية وانما
جعل الاصل فيها ذلك لان معرفة مدلول اسم الاشارة في اصل الوضع بالعين والقلب وما عداه بالقلب فقط ولهذا
ذهب من المحققين الى انه اعرف المعارف وقيل ان ما لا يحس بالبصر فالاشارة اليه بلفظ ذلك وهذا سواء
كما اذا قيل دخل الامير البلد فقال السامع سمعت هذا ولو قال سمعت ذلك كان صحيحا ايضا لان الاشارة الى
الاخبار عن دخول الامير والاخبار مما لا يحس بالبصر فمن حيث لا يحس بالبصر اشبه المحسوس الغايب ومن حيث
هو مدرك عاينته النفس اشبه المحسوس الحاضر ومن ثم قال مجاهد ومقاتل وعكرمة وابن جريج والكسائي والاخفش
وابو عبيدة ان معنى ذلك الكتاب هذا الكتاب وفي رواية البخاري وقال معمر ذلك الكتاب هذا القران هدى للمتقين
وما قيل من ان ذلك اشارة الى ما في التورية والانجيل والم اسم القران او اشارة الى التورية والانجيل كليهما والمعنى الم ذلك الكتاب

او اشارة الى اللوح المحفوظ او اشارة الى الوعد وهو انه تعالى قد كان اهل الكتاب ان ينزل على محمد صلعم كتابا فذكر
اشارة الى ذلك الوعد وان معنى الكتاب اي الكتاب الذي كتبت على الخلائق بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق او الى
الكتاب الذي كتبت على نفسي في الازل ان رحمتي سبقت غضبي فالكل من التاويلات الجية الا ان الاسم القران وقال المبرد
المعنى هذا القران ذلك الكتاب الذي كنتم تستفتحون به على الذين كفروا وروي عن الكسائي ان قال ذلك اشارة الى القران
الذي في السماء لم ينزل بعد فمن عمل بظاهر لفظ ذلك جعله اشارة الى ما هو غايب عن النبي عليه السلام ومن جعله عبارة عن
هذا جعلها اشارة الى الكتاب الحاضر عنده وان كان بعضه غير موجود تغليبا للموجود على ما لم يوجد والكتاب مصدر سمي به
المكتوب غلب في عرف الشرع على الكلام المنزل على محمد عم المنقول عنه بين دفتي المصاحف تواترا والقران
في اللغة مصدر بمعنى القراءة وهي الجمع غلب في العرف العام على المجموع المتلو المعين من كلام المنزل على الرسول المنقول
بالتواتر ثم كل من الكتاب والقران يطلق تارة على الكل وتارة على الكلي الشامل للكل والبعض وقيل هو فعال بمعنى المفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة معناه
ان القران ليس محلا للريب ومظنة لثبوت ولا ينبغي ان يرتاب فيه لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث
لا ينبغي لاحد بعد التامل والنظر الصحيح ان يرتاب في انه وحي من عند الله وليس معناه ان احدا لا يرتاب فيه لقوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب عنهم وانما ارشدهم وعرفهم الطريق الى ازالة ما ثبت
لهم من الريب وهو ان يستفرغوا مجهودهم في معارضة نجم من نجومه سورة من اصغر سورة ليود بهم النظر الى ان
يستيقنوا انه لم تتصاول المعارضة دونها ولم تظهر مجهودهم عنها ولم ياتوا بمثلها الا لانه ليس بكلام البشر وانه
كلام خالق القوى والقدر فيتيقنوا عند تساقط مقدرتهم انه ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب
فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وقالوا لم يقدم الظرف على المسند اليه
لئلا يفيد معنى هو بعيد من المرام غير لايق بالمقام وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه لان المقصود من ايلاء الريب حرف
النفي نفي كونه محلا للريب واثبات انه حق وصدق لا باطل وليس المقصود نفي الريب عنه واثباته في كتاب اخر
وقيل لو قدم الظرف لافاد ثبوت الريب في ساير كتب الله بناء على اختصاص عدم الريب بالقران وذكر الطل والريب
مصدر رابه شككه والريب الشك والتهمة ومنه الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق
طمانينة اي دع ما يشككك ويحصل فيك الريبة وهي في الاصل قلق النفس واضطرابها الا يرى كيف قابل بالطمانينة
وهي السكون وذلك ان النفس تستغرق لشك قلق ومتى ايقنت سكنت ومنه ريب الزمان لنوايبه التي
تقلق النفوس ومنه قوله عليه السلام لا يريبه احد بشيء حين مر بظبي حاقف اي لا يقلقه ولا يحركه وكان ذكره في الحرام وقرئ
لا ريب فيه بالرفع والقراءة المشهورة بالفتح وفرق بان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه وذلك لان
النكرة في سياق النفي اذا لم يقصد به الواحد بصفة الوحدة او كانت مع من ظاهرة او مقدرة نحو ما من رجل
في الدار ولا رجل في الدار تفيد العموم قطعا لا تحتمل عدمه لكونه لنفي الجنس بالكلية فقوله لا ريب في المشهورة مبني
لتضمنه معنى من الاستغراقية منصوب المحل على انه اسم لا التي لنفي الجنس العاملة عمل ان من حيث انها نقيضتها
ولازمة للاسماء لزومها وفي غير المشهورة مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره او صفة والمتقين خبره وهدى نصب على الحال

او الخبر محذوف كما في لا ضير ولا باس والدليل على عموم النكرة المنفية النص والاجماع اما الاول فقوله تعالى قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى في جواب ما انزل الله على بشر من شيء وجه الاستدلال انهم قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
فلو لم يكن هذا الكلام السلب الكلي لم يستقم في الرد عليهم الايجاب الجزئي وهو قوله قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى الثاني كلمة التوحيد وذلك لان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد اجماعا فلو لم يكن صدر الكلام
نفيا لكل معبود بحق لما كانت اثبات الواحد الحق تعالى توحيدا والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم
انهما وقفا على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وقرا الزهري وابن [illegible] فيه
بضم الهاء حيث وقع والحسن فيه مضمومة مشبعة وقرا ابو عمرو فيه هدى بالادغام وروي عنه ابو الوارث
لا ريب فيه مدغما وفي حرف عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه منونا وذكر بعضهم ههنا كلاما لا يخلو عن
فايدة وهو ان الم اما ان يقدر مؤلفا من هذه الحروف او يكون اسم السورة او القران او اسم الله ومقسما او فعلا
فهذه ستة اوجه فعلى الاول الم مرفوع بانه مبتدا او خبر مبتدا محذوف او منصوب بتقدير اقسم او اذكر او نزع الخافض
او مجرور بتقدير الحرف فعلى تقدير ان يكون مبتدا الثاني يكون ذلك خبرا له والكتاب خبرا او مبتدا ثانيا وما بعده خبره
والجملة خبر المبتدا الاول او يكون ذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره او يكون ذلك الكتاب بدلا وما بعده خبره او عطف بيان وما بعده
خبره او جملة معترضة وما بعده خبره فهذه سبعة اقسام وعلى تقدير كل قسم اما ان يكون لا في لا ريب فيه بمعنى الجنس او بمعنى
ليس وعلى التقديرين اما ان يكون خبره فيه او للمتقين او محذوفا ويكون ستة وعلى تقدير كل واحد اما ان يكون لا ريب فيه
خبرا بعد خبر او بدلا او جملة مستانفة فيبلغ اربعة وعشرين ثم نضرب الستة في تلك الجملة يحصل مائة وثمانية واربعين
قسما وعلى تقدير كل قسم منها اما ان يكون هدى مرفوعا بكونه بدلا او خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والجملة
اما ان يكون بدلا او خبر بعد خبر او صفة او مستانفة او منصوبا على الحال او المدح فهذه ثمانية اقسام واذا ضرب في مائة
ثمانية واربعين قسما حصلت الف ومائة واربعة واربعون قسما وعلى تقدير ان يكون خبرا لمبتدا المحذوف
وستمائة وثمانين قسما واما على تقدير ان يكون منصوبا لا يخفى اقسام السبعة [illegible] الكتاب بالقسمان وهو ان يكون
ذلك مبتدا والكتاب خبره او المجموع مبتدا وما بعده خبره والثاني ان يكون ذلك خبرا او بدلا او ذلك الكتاب مبتدا او بدلا
او خبرا بعد خبر او مدحا او صفة او منصوبا على الحال فقط واذا كان كذلك يضرب في تلك القسمين [illegible] اربعة
وعشرين قسم لا ريب فيه يحصل ثمانية واربعين قسما ويضرب تلك الاقسام في هدى للمتقين وهي ثمانية يحصل ثلاثمائة
واربعة وثمانون قسما وكذا اذا كان منصوبا بتقدير اذكر او نزع الخافض او مجرورا بتقدير الحرف فيصير المجموع الفا
وخمسمائة وستة وثلثين قسما واذا ضم هذا المجموع الحاصل من كون الم منصوبا بتقدير اقسم او اذكر او نزع الخافض
او مجرورا بتقدير الحرف الى ذلك المجموع الحاصل من كونه مبتدا او خبر مبتدا محذوف يحصل اربعة الف ومائتان
واربعة وعشرون قسما هذا على تقدير ان يكون الم مقدرا بالمؤلف من هذه الحروف وكذا على التقدير الثاني والثالث
فالمجموع بلغ الى اثني عشر الفا وستمائة واثنين واما على التقدير الرابع فمبتدا او خبر مبتدا محذوف وذلك الكتاب
مبتدا وخبر او ذلك الكتاب مبتدا وما بعده خبره فتضرب الاولى وهو كون الم مبتدا او خبر مبتدا محذوف في اقسام الحاصلة
من ضرب هذين القسمين وهي ثلثماية وستون قسما واذا ضم هذه الاقسام الى الاقسام الحاصلة من كونه منصوبا

بتقدير اقسم اواذكر او بنزع الخافض او مجرور او هي الف و خمسماية و ستة و ثلثون قسما يحصل الفان و ثلثماية و اربعة اقسام فاذا
ضمت هذه الاقسام الى الاقسام السابقة يصير المجموع اربعة عشر الفا و تسعماية و ستة و سبعين قسما هكذا يقال والاحسن
ان يقال ان الاية تحتمل وجوها من الاعراب وهي ان الم على وجوه الاربع او الست اما مرفوع على الابتداء او الخبرية او منصوب
باضمار الفعل او حذف حرف القسم او مجرور باضماره وعلى تقدير الاول اما ان يكون ذلك خبره والكتاب صفة ذلك ومعناه هو
ذلك الكتاب الموعود او يكون ذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره على معنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كان
ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص بل ليس بكتاب كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية كان من سواه بالنسبة اليه ليس برجل وكما
قال هم القوم كل القوم يا ام خالد او صفته وما بعده خبره والجملة خبر المبتدا الاول وعلى الثاني وهو ان الم خبر مبتدا محذوف
اي هذه الم يكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ويجوز ان يجعل الم بمنزلة الصوت وذلك مبتدا خبره الكتاب او الكتاب صفته
والخبر ما بعده او ذلك خبر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب والاولى ان يضرب عن هذه المحال
التي هي بجوه محتملات اللفظ صفحا وان يقال انها جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولهذا لم يدخل العاطف بينها
فالم طايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها او جملة مستقلة وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين
رابعة فترى كيف ترتبت الجمل من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية اخذ بعضها بحجزة بعض فالم جملة لبيان التحدي
بالقران سواء كانت مسرودة للتعديد او اسما للسورة تنبيها على ان المتحدى به مؤلف من الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم
ثم تقرر جهة التحدي بالجملة الثانية الدالة على ان الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم تقرر جهة الكمال بنفي الريب عنه واثبات انه
حق وصدق لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم تقرر جهة نفي الريب بانه هدى للمتقين فانه يؤكد كونه حقا لا ياتيه الباطل
ويقينا لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع البدل للمبدل او البيان للمبين او التاكيد المعنوي
او استتباع التاكيد اللفظي اما الاولى والثانية فلما بينهما من كمال الاتصال لما مر من كون ذلك بدلا او تقريرا
وبيانا للمتحدى به واما الثانية والثالثة فلما بينهما من كمال الاتصال ايضا لكون الثالثة بدلا عنها او بيانا لها او مؤكدة
لها تاكيدا معنويا لدفع توهم تجوز او غلط وذلك انه لما بولغ في وصف الكتاب بانه بلغ الدرجة القصوى في الكمال
حيث جعل المبتدا ذلك وعرف الخبر باللام جاز ان يتوهم السامع قبل التامل ان ذلك الكتاب مما يرمى به جزافا غير صادر
عن روية وايقان فاتبعه لا ريب فيه نفيا لذلك التوهم وقد اصيب به المحز اتباع نفسه زيدا ازالة لما عسى يتوهم السامع
انك في قولك نصرت زيدا متجوز او ساه وكذلك الرابعة مؤكدة للذي قبله ومقررة لمضمونه لان قوله ذلك الكتاب لا ريب
فيه مسوق لوصف القران بكمال كونه هاديا وقوله هدى للمتقين تاكيد وتحقيق كقوله لا ريب فيه وزيادة تثبيت له
كانه قيل هو لا ريب فيه كما ان لا ريب فيه تاكيد وتحقيق لذلك الكتاب تاكيدا لفظيا على راي فانه ذكر في دلايل الاعجاز
انه بمنزلة التاكيد اللفظي حيث قال لا ريب فيه بيان وتاكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة ان تقول
هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته وقيل تستتبعها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه
اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه ان الكتاب البالغ حد
الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة
هدى للمتقين ثم في كل واحدة من الاربع بعد ان نظمت هذا النظم السوي نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود

الكتاب ح

على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز باحسن وجه والطف وفي الثانية ما في جعل المبتدا لفظ ذلك وتعريف الخبر من المبالغة
والفخامة بشهادة الاصول البيانية من ان ذكر اسم الاشارة للبعيد اذا استعمل في القريب يفيد بحسب المقام التعظيم
وبعد الدرجة وعلو المرتبة وان الخبر اذا عرف بلام الجنس يفيد الحصر في المسند اليه وان الحصر اذا لم يكن حقيقيا كان
مبالغة في كماله ونقصان ما عداه حتى التحق بالعدم فصار الجنس منحصرا فيه لذلك فيؤول المعنى الى المبالغة كانه قيل
هو الكتاب البالغ على درجات الكمال هو الكتاب لا غير كان ما عداه لا يستحق ان يسمى كتابا او هذا الكتاب البالغ في كماله
اعلى درجات الكتب هو الذي يستحق ان يسمى كتابا دون غيره وفي الثالثة ما في تاخير الظرف عن الريب حذرا عن ايهام
الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر مبالغة والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف
على ما سياتي بيانه وايراده منكرا للتعظيم والايجاز في ذكر المتقين فان معنى هدى للمتقين ان الكتاب في الهداية
بلغ درجة لا يدرك كنهها لما في تنكير هدى من الابهام والتفخيم حتى كانه هداية محضة حيث وضع المصدر موضع
الوصف الذي هو هاد يهديهم الى الحق والى طريق مستقيم والهدى مصدر كالتقى والسرى
ومعناه الحقيقي خلق الاهتداء قالوا انه مثل هداه فلم يهتد مجاز عن الارشاد والتنبيه والدلالة والدعوة الى الاهتداء
وقد يجي بمعنى التوفيق وخلق الايمان في القلب وافاضة اسباب الهداية كقوله ولكن الله يهدي من يشاء واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى لكن الاصل في الاطلاق الحقيقة وعند المعتزلة بيان طريق الصواب وهو باطل
لقوله انك لا تهدي من احببت مع انه بين الطريق ودعاهم الى الاهتداء واياما كان يكون الهدى مما لا سبيل
لاحد الى طلب الفضايل الا به فهو مبدا الخيرات كما قال واعطى كل شيء خلقه ثم هدى وللعلماء البيان في كون القران
هدى للمتقين مع ان المتقي هاد وجهان احدهما ان المراد بالهدى زيادة الهدى والثبات عليه وثانيهما ان المراد
بالمتقين المشارفون للتقوى والصايرون اليه وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه قالوا ووجه حسن هذا الايجاز مع ان احدهما المجاز المستفيض اي المشهور
نوعه وهو وصف الشيء بما يؤول اليه كما في قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وقوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ومنه قولهم
من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فان هذا النوع من المجاز شايع كثير في الكلام وان لم يستفض هذا الفرد وهو التعبير عن الضالين الصايرين الى التقوى بالمتقي
وقيل المراد انه مجاز مستفيض النوع فجاز ان يقصد بخلاف ما ليس كذلك مما يحتاج الى السماع كتخلة الانسان طويل
فانه لا يجري في كل مورد دونه ولا يسمى كل طويل نخلة وفيه نظر لانه يكون لامتناع العلاقة كالمشابهة في المثال المذكور
وكل علاقة بنوعها مستفيض وثانيهما التوصل الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني
بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده وهم المتقون لان اللفظ الذي مدلوله الحقيقي ذلك والالفاظ الصايرون
الى التقوى ليسوا اولياء الله ما لم يحصل لهم التقوى بالفعل والظاهر ان الحصول بالفعل ليس بلازم في المجاز باعتبار
ما يؤول بل يكفي توهم الحصول كما في عصرت خمرا فانه في الحالة مجاز باعتبار ما يؤول مع عدم حصول حقيقته
الخمر المسمى بالفعل اصلا وتسمية البقرة وال عمران بالزهراوين لاضائتهما واشراقهما من بين سائر السور الاضاءة
او لتشبيههما بالشمس والقمر المسميين بالازهرين ثم التقوى بصيغة المصدر اسم لما يوقى من فعل وترك اعتقادا

[illegible]

وتنزه عنه وخص المتقون بالهدى لانهم هم المنتفعون به وهم على مراتب واجلهم من يتقي ويتنزه عما يشغل سره عن الحق
جميعا اذا قال قال لله واذا عمل عمل لله وسأل عمر بن الخطاب ابيا رضي الله عنهما عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك
قال نعم قال فما عملت فيه قال تشمرت وحذرت قال فذاك التقوى يعني التقوى الحذر عن الذنوب كلها صغيرها
وكبيرها هذا ومعلوم ان ذلك انما هو بحسب الاعتقاد والا فالمؤمن لا يخلو عن افراط وتفريط بل لا بد له من ذلك
لوجوب ظهور ما كتب عليه في اللوح ولان ذلك مظهر الرحمة والمغفرة وقيل الصحيح انه لا يشمل الصغائر لانها مكفرة
عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل
الا على المختبر وبالجملة فهو مما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وتقربهم الى الله تعالى قال النبي صلعم تدرون
ما اكثر ما يدخل الناس الجنة ان اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق
فيه للمتقين اوجه الاول انه موصول بالمتقين مجرور على انه صفة كاشفة ان كان الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة
عبارة عن فعل جميع الطاعات وترك المنكرات باسرها او صفة مادحة وفيه غناء عن ذكر فان مجرد اقام الصلوة
مدح للمتقين او مخصصة وهذا بناء على ان المراد بالمتقي تارك المنهيات سواء ياتي بالاوامر ام لا او منصوب او مرفوع
على الاختصاص اي اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون والموصول الثاني وهو الذين يؤمنون بما انزل اليك عطف
عليه واولئك على هدى استيناف الثاني ان الموصول الاول مبتدأ والثاني عطف عليه واولئك على هدى خبره والجملة استيناف
وهو خير الوجوه لجهات فتأملها الثالث ان الموصول الاول صفة المتقين او نصب او رفع على الاختصاص والثاني مبتدأ
خبره اولئك على هدى وعلى هذا يكون الآية خارجة من الاستيناف فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام
واذا كان مفصولا عن المتقين وهو الوجه الثاني كان وقفا تاما قالوا وفي اختصاص الصفة بالموصوف في قوله تعالى
هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب اشارة بطريق الكناية الى نفي كون الكتاب هدى للمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا
قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون وهم غير المتقين المؤمنين عن اخلاص والباء
في بالغيب للالة والمصاحبة والغيب على معناه المصدري اي يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي عليه السلام او من جماعة المسلمين
واما اذا كان الباء صلة يؤمنون والغيب بمعنى الغائب او تخفيف مراد به ما هو غائب عن الحواس من الله والملائكة واحوال
الحشر ونحو ذلك فلا تعرض والجار والمجرور على الاول في موضع الحال كقوله تعالى تنبت بالدهن اي مع الدهن بمعنى تنبت
ودهنها فيها ومنه قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهوره والايمان في اللغة التصديق
مطلقا اي اذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقا افعال من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة
وعدي بالباء على تضمين معنى الاعتراف وذلك بان يجعل الفعل المذكور حالا مثل يعترفون بالغيب مؤمنين او بالعكس
مثل يؤمنون بالغيب معترفين واياما كان يكون الفعل المذكور في معناه الحقيقي فان حقيقة التضمين ان يقصد بالفعل معناه
الحقيقي مع فعل اخر يناسبه وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة
اي ما وثقت والمعنى يثقون بان الغيب حق واما في الشرع فتصديق الرسول في جميع ما علم مجيئه به ضرورة وهو
اختيار الشيخ ابي منصور وقيل التصديق والاقرار باللسان وقال اكثر من السلف مجموع التصديق والاقرار والعمل فمن اخل
بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق واليه ذهب اصحاب الاثر وكثير من المعتزلة الا ان الفاسق

يجعلون الاعمال اي الطاعات ركنا من الايمان الكامل بحيث لا يخرج تاركها من حقيقة الايمان خلافا للمعتزلة والخوارج فانهم
يجعلونها ركنا من حقيقة الايمان بحيث ان تاركها لا يكون مؤمنا وقال الجبايان واكثر المعتزلة الطاعات المفترضة دون
النوافل وقال العلاف وعبد الجبار وعلى كثير من الخوارج انه مجموع الطاعات وقالت الكرامية الاقرار باللسان فحسب
اي كلمتا الشهادة وقيل المعرفة فقط وهو مذهب جهم بن صفوان وقوم بالله وبما جاء به الرسل اجمالا وهو
مذهب بعض الفقهاء وقال قوم انه اعمال الجوارح وهذه ثمانية اقوال تدل على ان الايمان في الشرع تصديق خاص والقول
الاول هو المختار لوجوه الاول ان الايمان جاء مقرونا بالعمل الصالح في مواضع من الكتاب والسنة كقوله الذين امنوا
وعملوا الصالحات فدل على التغاير وان العمل ليس داخلا فيه لان الشيء لا يعطف على نفسه ولا الجزء على الكل الثاني انه قرن
بضد العمل الصالح نحو وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فانه اثبت الايمان مع وجود القتال ومعلوم ان الشيء لا يمكن
اجتماعه مع ضده ولا مع ضد جزئه الثالث انه جعل الايمان شرطا لصحة الاعمال في قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
والمشروط لا يدخل في الشرط قطعا لاستحالة اشتراط الشيء بنفسه ولا يخفى ان هذه الوجوه وغيرها انما تقوم حجة على
من يجعل الاعمال ركنا من حقيقة الايمان بحيث ان تاركها لا يكون مؤمنا كما هو مذهب المعتزلة والخوارج لا على من ذهب
الى انها ركن من الايمان الكامل لا يخرج تاركها من حقيقة الايمان كما هو مذهب كثير من السلف كالشافعي وغيره ولنا ايضا
النصوص الدالة على محلية القلب للايمان فانها تدل على ان الايمان هو التصديق كقوله عز من قائل وقلبه مطمئن
بالايمان وقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقوله تعالى اخبارا عن الكفار قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم ومن الايات في الختم والطبع على القلوب لورودها بيانا لامتناع الايمان
عنهم وبعضها قوله عليه السلام اللهم ثبت قلبي على دينك وقوله لاسامة حين قتل من قال لا اله الا الله هلا شققت قلبه فثبت ان
الايمان هو التصديق القلبي غير متغير عن وضعه اللغوي والاتيان للاعتبار بالتوقيف كما في تغيير الصلوة والزكوة
وليس فعل الجوارح والاقرار كما قيل والمعرفة لانه خلاف الاصل لاستلزامه التغيير والنقل المذكور الا التصديق اللساني
لقوله جل من قائل ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين وقوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
فانه اثبت في الاثنين التصديق اللساني ونفى الايمان فعلم ان المراد به هو التصديق القلبي فلا التصديق باللسان
وقد انعقد الاجماع على ايمان من صدق بقلبه وقصد الاقرار باللسان ومنعه مانع والخلاف في ان مجرد التصديق القلبي
كاف لانه المقصود او لا بد معه انضمام الاقرار به للتمكن منه والحق هو الثاني لانه من شعاره ولكونه شرطا لاجراء احكام
الدنيا فان تصديق القلب امر باطن لا بد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وان لم يكن مؤمنا
في احكام الدنيا والغيب مصدر بمعنى الغائب وصف به مبالغة كالعدل او فيعل بمعنى فاعل خفف كقيل في قيل
وقد عرفت ان المراد به ما لا يدرك الا بنصب الدليل عليه او الاعلام من الصانع والنبوة والحشر ونحو هذا اذا جعلت بالغيب
صلة الايمان وواقعا موقع المفعول به وان جعلت حالا كان بمعنى الغيبة اي يؤمنون غائبين عنكم او عن المؤمن به
وتحقيقه ملتبسين بالغيب ويؤيده ما روي عن عبد الله انه قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب
ثم قرا هذه الاية وقول النبي صلعم افضل اهل الايمان ايمانا قوم في اصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني وفي رواية
ولم يروني يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه وقيل المراد به القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
في

فالباء على هذا للالة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي في موضع الكلية غيبا
يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها كقوله على صلوتهم
دايمون على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها اذا جعلها نافقة غير كاسدة قال
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يتنافس فيه
المتنافسون واذا عطلت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادايها من غير فتور ولا توان من قولهم
قامت الحرب على ساقها وقام بالامر اذا جد فيه وتجلد وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط
او يودونها فعبر عن ادايها بالاقامة اي فعل القيام تسمية للكل باسم جزئه كما عبر عنه بالقنوت والركوع والسجود
وهذه اربعة اوجه الاول المتبادر على الفهم من اطلاقها ليس الا ادلة ها وايقاعها في الخارج والصلوة فعلة
من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبنا بالواو على لفظ المفخم وانما سميت الهيئة المخصوصة بها لاشتمالها على الدعاء
فهي في اللغة حقيقة في الدعاء مجاز في الاركان المخصوصة وفي الشرع بالعكس وقيل صلى حقيقة في تحريك الصلوين
لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده مجاز لغوي في الاركان المخصوصة استعارة في الدعاء تشبيها للداعي
في تخشعه بالراكع والساجد ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل اشتقاقها من الصلا وهو العظم الذي عليه الاليتان لان المصلي يحرك صلويه
في الركوع والسجود ولا يخفى ان ورود الصلوة بمعنى الدعاء في كلام العرب قبل شرعية الصلوة وفي كلام من
لا يعرف الصلوة بالهيئة المخصوصة دليل المشهور على ان الاشتقاق من غير الحدث قليل
الرزق عندنا كل ما انتفع به حي بالتغذي او بغيره مباحا او حراما مملوكا او غير مملوك والرازق هو الله
اذ الرزق مخلوق ولا خالق سواه ولا يجب عليه بل ان رزق فبفضله وان منع فبعدله وعند المعتزلة الحرام ليس
برزق لانهم فسروه تارة بالحلال وتارة بمملوك يأكله المالك وكل منهما باطل لقوله عز وجل وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فانه اثبت ان للبهايم رزقا مع انه لا يتصور في حقها حل ولا ملك وتارة بما يمنع من الانتفاع به
فيلزم على الوجهين ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله اصلا وهو خلاف الاجماع من الامة قبل ظهور المعتزلة
واما ما كان ليس المراد بما رزقناهم الا الحلال وفاقا اما عندنا فلانه تعالى وصفهم بالتقوى ومدحهم بالانفاق
من الرزق وهذا انما يكون في الانفاق من الحلال خصوصا اذ اسند الرزق الى الله فانه يختص بالافضل الاكمل
واما عندهم فلما ان الحرام ليس برزق بينما عند التصريح باسناد الرزق الى نفسه فانه يعلم بانهم لا ينفقون
الا حلالا لان القبايح لا تسند الى الله فالاسناد للتعظيم والتحريض للانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم وقيل
للاعلام بانهم ينفقون من الحلال ما هو من عظايم المنايح وادخل من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه
وقدم المفعول للاهتمام ووجه التخصيص كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق
ويجعلونه منفردا به والمراد بذكر البعض الزكوة المفروضة وعليه ابن عباس لاقترانه بالصلوة التي هي
اختها وشقيقتها وقيل نفقة الرجل على اهله وهو قول ابن مسعود لانها افضل النفقات واعظمها
اجرا لقوله صلى الله عليه وسلم افضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته

في سبيل الله ودينار ينفقه في سبيل الله رواه ثوبان وقوله عليه السلام دينار انفقته في سبيل الله ودينار
انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته
على اهلك رواه مسلم عن ابي هريرة وقيل صدقة التطوع نظرا الى ان الزكوة انما تاتي بلفظها المختص
وهو الزكوة فاذا جاءت بلفظ غير الزكوة احتملت الفرض والتطوع فاذا جاءت بلفظ الانفاق لم يكن الا
التطوع وهو قول الضحاك قال كانت النفقة قربانا يتقربون بها الى الله تعالى على قدر جدتهم حتى نزلت
فرايض الصدقات والناسخات في براءة وقيل مطلق ما ينفق في سبيل الله فرضا كان او نفلا نظرا الى اطلاق
اللفظ من غير قرينة الخصوص وبالجملة معناه وبعض ما رزقناهم ينفقون وحقيقته بعضا مما رزقنا هم
على انه اوقع موقع موصوف محذوف ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع النعم ظاهرة وباطنة واليه
ذهب من قال ومما علمناهم يعلمون ومن قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون
وذلك ان من المعلوم قطعا ان اجل جلايل النعم العلم والمعرفة لانهما مبدا كل فوز وسعادة وايضا ينال بهما
تعظيم الله تعالى وكرامته والكرامة اعظم اصناف النعم واشرفها ولانهما باقيان لا يفنيان ابدا فهما
احق الاشياء بالبذل بل بذلهما الجود كل الجود والرزق في الاصل الحظ والنصيب قال الله عز قايلا
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم وانفق الشيء وانفده اخوان متناسبان في اصل المعنى
واكثر الحروف واذا استقريت الكلم وابنيتها رايت كل ما فاؤه نون وعينه فاء كنفق ونفذ ونفع ونفس
ونفي دالا على معنى الخروج والذهاب فبينهما التناسب والاشتراك في الاشتقاق الاكبر والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه ممن اشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا ازال عنهم ما اعتقدوه
من محض الباطل مثل انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
ومن خلطة الحق بالباطل مثل اقرارهم بالمعاد واعادة الارواح الى الاجساد ثم اختلافهم في كيفية تلك الاحوال
وكمية الازمان فمنهم من قال نعيم الجنة من جنس نعيم الدنيا فاثبتوا التلذذ فيها بالمطاعم والمشارب والمناكح
ودفعه آخرون زاعمين ان ذلك انما هو في الدنيا لمكان الحاجة واهل الجنة مستغنون عنه فلا لذة فيها
الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور دون المطاعم والمشارب والمناكح وكذا
اختلافهم في دوام الجنة وانقطاعها فيكون المعطوف غير المعطوف عليه سواء كان المعطوف عليه المتقين
فيكون التقدير هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك او الذين يؤمنون بالغيب فيدخلان
في المتقين دخول اخص تحت اعم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ويحتمل
ان يراد به الاولون ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الكريم والشجاع والنحرير وفي
قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب على معنى انهم جامعون بين تلك الصفات من الايمان بالغيب الى سايرها وبين هذه الصفات من
الايمان بالكتب المنزلة والايقان بالآخرة لكن اعادة الموصول يرجح جانب التغاير فانه تكرير للموصول

وعدم الاكتفاء بعطف الصلات دليل على مزية هذه الصفات حتى كان الموصوف بها غير الموصوف بما
تقدم ولذلك ذهب بعضهم الى ان المراد طايفة منهم وهم مومنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين
على الجملة كذكر جبريل وميكايل بعد الملايكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل
والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي مع ان بعضه مترقب
تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمترقب منزلة المتحقق ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميع الكتاب ولم يكن كله منزلا حينئذ لكن اذا كان بعضه
نازلا وبعضه مترقب النزول جعل غير المتحقق بمنزلة المتحقق حتى كان الكتاب قد نزل كله وسمعوه
فان قيل الكلام من الاعراض المتزايلة التي لا استقرار لاجزائها فكيف تصور انزاله اجيب بانه يجعل
انزال المحل الذي تقوم الحروف الملفوظة المسموعة في الجملة ولو عند الاداء الى المنزل اليه او صورها المحفوظة
او المكتوبة انزالا للكلام مجازا كما في وصف الكتاب بوصف صاحبه او حامله فيكون كل من الانزال والقران على
حقيقته والقران لفظ مشترك بين الكلام الازلي كما في قوله عليه السلام القران كلام الله غير مخلوق الحديث وهو
صفة قديمة منافية للسكوت والافة ليست من جنس الحروف والاصوات لا يتكثر الى الامر والنهي والخبر
ولا يتعلق بالازمنة الثلثة الا بحسب التعلقات والاضافات كساير الصفات القديمة وبين الكلام
اللفظي الحادث المولف من الاصوات والحروف القايمة بمحالها الدال على ذلك المعنى القديم وقيل هو مستعمل
في معنى مجازي فمن قال القران معنى قايم بذات الله تعالى فانزاله ان يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك
المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال القران هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته في اللوح المحفوظ
لان الانزال انما يكون بعد الوجود ويحتمل ان يراد بانزال القران اظهاره وايجاده في السماء الدنيا
بعد الاظهار والايجاد في اللوح المحفوظ فانه قد روي ان الله تعالى انزل القران جملة واحدة في ليلة القدر
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة فحفظوه او كتبه الكتبة في الصحف ثم كان
ينزل منها الى النبي صلى الله عليه وسلم منجما على حسب المصالح وكفا الحوادث في ثلث وعشرين سنة
والمراد بما انزل من قبلك ما عدا القران من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء عليهم السلام والايمان بهما
فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية لان وجوبه على
كل احد يوجب الحرج وقالوا المراد بانزال الكتب السماوية على الرسل ان يتلقفها الملك من الله تعالى
تلقفا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم وفي الاية دلالة على ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبياء لا نبي بعده حيث قال وما انزل من قبلك غير معبر عن الايمان بما انزل من بعده ولا ارتياب كما في
حق ساير الانبياء عليهم السلام وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا
عليه من محض الباطل وخلط الحق بالباطل وههنا تخصيصان احدهما تقديم بالاخرة فان تقديم
الظرف للتخصيص كما في قوله تعالى اليه المصير وقوله له الخلق والامر اي المومنون يوقنون بحقيقة
الاخرة لا بشيء هو غيرها كما هو حال الكفرة من اهل الكتاب وهذا قصر غير حقيقي قصد به التعريض بان الاخرة

وقرا ابن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك
للفاعل فيهما وعبيد بن عمير ... انزل اليك
بحذف الهمزة وادغام اللام في اللام

التي عليها اهل الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وغير ذلك ليست بالحقيقة اخرة
بل محض باطل وثانيهما من تقديم هم وبنا يوقنون عليه فان تقديم المسند اليه يفيد الضمير وبنا الفعل عليه
ايضا التخصيص والحصر كما في قولك انا كفيت مهمك والمعنى ان الايقان بالاخرة مقصور على المومنين
لا يتجاوزهم الى اهل الكتاب الذين كفروا بالقران فان قولهم صادر عن جهل وريبة لا عن علم ويقين وهو
ايضا قصر غير حقيقي اريد به التعريض بان ايقان اهل الكتاب بها ليس بالحقيقة ايقانا فحصل من هذين
القصرين التعريضان تعريض باهل الكتاب وتعريض بان اعتقادهم وقولهم في امر الاخرة ليس بمطابق
ولا صادر عن ايقان اعني الامالتين امالة الكلام من عرض الى الدلالة على ان ما يزعمونه الاخرة ليس باخرة بل
وهم لا حقيقة له وامالته من جانب الى الدلالة على ان ما يعتقدونه اليقين ليس بيقين بل محض جهالة
وانما الاخرة ما يعتقده المومنون واليقين ما عليه المسلمون والقصر لافادة تعلق حكم بشيء مع نفيه عن غيره
والايقان اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يوصف به علم الله تعالى ولا العلوم الضرورية
لا يقال تيقنت ان الانسان ناطق وان الماء بارد وهو مبدا كل خير كما ان الريبة مبدا كل شر وشعار الايمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا سلك في قلبه اليقين والتصديق واذا اراد الله بعبد
شرا سلك في قلبه الريبة والتكذيب وقال عليه السلام ان للاسلام علامة وعلامة الايمان وللايمان
علامة وعلامة اليقين وللمتقين علامة وعلامة الاخلاص وللاخلاص علامة وعلامة الورع وعلامة الورع



الزهد في الدنيا فمن تمسك بالورع والزهد بلغ غاية كل درجة رفيعة ومن تخلى منها لقي الله يوم القيمة
على غير ملة والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الاخرة
فغلبت على الحالة كالدنيا على ضدها وكثيرا ما يترك موصوفها اجراء لها مجرى الاسماء حتى كانها ليست من قبيل
الصفات وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام كقوله ايه الارض وقري يوقنون
بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى واو وجوه ووقتت ونحوه كحب المؤقدان الي موسى
وجعدة اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم وقد عرفنا ان هذه الجملة
في محل رفع ان كان احد الموصولين مقتطع من المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بها والا فلا محل لها مقطعة
عما قبلها بطريق الاستيناف كانه قيل ما للمتقين الموصوفين بهذه الصفات اختصوا بهدى لا يدرك كنهه
ولا يقادر قدره مقولا في حقهم هدى للمتقين الذين والذين بتنكير هدى فاجيب ان اولئك الموصوفين
غير مستبعد ان يفوزوا دون من سواهم بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا ونظيره احسنت الى زيد صديقك
القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة لان الاشارة الى الموصوف
بالصفات الا الى نفس الذات والاوجه ان يجعل خبر الموصول الاول ويخص الاول بالاستيناف الذين يومنون
بالغيب ادخل في البلاغة من الاستيناف فاولئك على هدى الخ كانه بيان لسبب اختصاصهم بالهدى
المذكور وهو اتصافهم بالصفات المذكورة فكانه لما قيل هدى للمتقين فقيل ما بالهم خصوا بذلك اجيب
بقوله الذين يومنون بالغيب الى اخر الكلام وهو هم المفلحون وذلك ان يجعل من توابع المتقين

ويجعل الموصول الثاني مبتدا واولئك خبره مرادا به التعريض باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم مفلحون عند الله اعني امالة الكلام
من عرض وجانب الى الدلالة على ان ظنهم ذلك فاسد وطمعهم خايب وليسوا من اهل الهدى والفلاح
وانما يكونان لمن امن بالكتب المنزلة كلها لا بالتورية وحدها ولم يوقن بالاخرة على وجهها لا كما يزعم اليهود
من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان التلذذ فيها ليس الا بالنسيم والارواح العبقة ونحو ذلك
مما هو معتقدهم في الاخرة والفصل من هذه الوجوه لا استينافي والذين يؤمنون بالغيب لجهات عدة منها الانطواء
المذكور فتاملها وفي اسم الاشارة اعني اولئك تنبيه على ان المشار اليهم احقاء بما يرد بعده من كونهم على الهدى
عاجلا والفوز بالفلاح اجلا لاتصافهم بتلك الخصال السالفة كقول حاتم الطائي ولله صعلوك يساور همه
ثم عدد خصال الافاضل من المضاء على الاحداث متقدما والصبر على الم الجوع والانفة من ان يعد التبع مغنما
وتيمم كبرى المكرمات والتاهب للحروب بادواتها ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه
وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما وافادته حقيق باتصافه بما ذكر بعده ومعنى الاستعلاء في على هدى
من ربهم تمثيل وتصوير لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحال من اعتلى الشيء وركبه فيكون
الصفة بمنزلة المركوب وقد صرحوا بذلك التمثيل والتشبيه في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى
وجعل الغواية مركبا وتنكير هدى للتعظيم وافادة نوع ايكتنه كنهه كما ان التنكير كانه قيل على اي هدى كقوله
لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد
تعظيمه بانه تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت نون من ربهم في الراء بغنة وبغير غنة واولئك
هم المفلحون وفي تكرير اسم الاشارة تنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كلا من الاثرتين وان
كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم وانما وسط العاطف لاختلاف الجملتين في التعقل والوجود اذ الهدى حاصل
في الدنيا والفلاح في الاخرة بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم
بالغفلة والتشبيه بالبهايم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل
فيه ثلث فوايد يفصل الخبر عن الصفة ولهذا سمي ضمير الفصل ويؤكد الحكم والنسبة لما فيه من زيادة الربط
ويفيد قصر المسند على المسند اليه دون العكس بشهادة النقل والاستعمال في مثل ان الله هو الرزاق وكنت
انت الرقيب عليهم او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والتعريف في المفلحون للعهد على
معنى ان المتقين هم الناس الذين سمعت انهم المفلحون في الاخرة كما اذا سمعت ان شخصا قد اثنى
عليك ثم استخبرت من هو فقيل زيد المثني اي هو الذي قد اخبرت بثنايه عليك ويجوز ان يكون اشارة
الى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم
لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل سمعت بالاسد وتعرف حقيقته فان كنت تعرفها
فزيد هو هو بعينه فانظر كيف نبه الله عز وجل على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله كل احد على وجوه
شتى من ايراد اسم الاشارة وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل اظهارا لقدرهم وترغيبا لاقتفاء اثارهم

ووجه التنبيه على الاختصاص بتوسيط الفصل وتعريف المفلحين بلام العهد ظاهر واما بالمعنى الاخير
فلانهم هم لا يعدون الحقيقة اي انهم عينها فضلا عن الحصر والاختصاص هذا هو حصر الفلاح واما حصر
الهدى فانه يستفاد من قوله اولئك على هدى نظرا الى انه جواب عن السؤال عن سبب اختصاصهم بالهدى
المستفاد من هدى للمتقين ويشير الى ذلك السبب اجمالا ما يكون من ترتيب الحكم على الوصف المناسب
المختص فيكون مختصا ايضا وقيل من القام ومقارنة الفلاح وقد يستدل به المعتزلة على خلود
الفساق من اهل القبلة في العذاب بناء على ان لا هداية ولا فلاح لغير المتقين ورد بان المراد كمال الهدى
والفلاح اي الكاملون في الهدى والكاملون في الفلاح ويلزمه عدم الكمال فيهما لمن ليس على صفتهم
لا عدمهما راسا ولا يخفى ان فيه تقوية لكون اللام في المفلحون للجنس دون العهد حيث قيل معناه الكاملون
في الفلاح كقوله تعالى كما امن الناس اي كما امن الكاملون في الانسانية والمفلح بالحاء والجيم الفايز
بالبغية والمطلوب كانه الذي فتحت له وجوه الظفر واللطف ومنه استفلحوا بامرك بها ومثل
هذا التركيب مما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده من المصطفين الاخيار وخالصة اوليائه من الابرار بصفاتهم
التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبه بذكر اضدادهم العتاة المردة الذين لا يجدي عليهم الهدى ولا يغني عنهم
الايات والنذر فانه سواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته وانما قطع
ما قبله الامتناع عطفه عليه لجهات عدة منها انه كلام في شان الكفرة وتعيينهم في كفرهم وما قبله
في شان الكتاب وانه هدى للمتقين فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب بعيد من العطف بمعزل
واما امتناع العطف على الذين يؤمنون بالغيب فلانه استيناف مبني على تقدير سوال ناش عن قوله هدى
للمتقين فذلك واد راجع الى حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري
عليه لان الجواب مبني على السوال والسوال على منشاءه وكذلك الجملة بعده اعني الموصول الثاني مع خبره فان جملة
والذين يؤمنون بما انزل اليك مع خبره بتمامها من لوازم هدى للمتقين بحسب المعنى وتوابعه فيما يلي الواو
الثاني والواو فيها للحال فالفصل لازم للانقطاع اذ العطف فيه مثل يبرز في معرض التوهم الجمع بين الضب
والنون وان حرف تؤكد مضمون الجملة وكذا ان بالفتح الا ان الجملة مع المكسورة على استقلالها بفايدتها
والمفتوحة تقلبها الى حكم المفرد وهما من حروف المشبهة بالفعل في لزوم الاسماء وعدد الحروف والبناء
على الفتح واعطاء معانيها التعدي في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمل الفرعي وهو نصب الجزء
الاول ورفع الثاني تنبيها على انها فرع في العمل وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي
بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب والرافع الحرف ورد بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط
بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وتعريف الموصول يكون للعهد
وللعهدية والجنسية والاستغراق والبعضية فلفظ الذين اما للجنس شاملا لمن صمم واصر على الكفر
وغيرهم الا ان الحديث عنهم باستواء الانذار وعدمه دليل على ان المراد بالذين كفروا المصرون منهم

دون غيرهم من الذين لم يترسخوا في الكفر ولم ينهمكوا في الضلال وهم الذين اسلموا من الكفار كقوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء فان الحكم فيه بالتربص بثلثة قروء دال على ان المراد بالمطلقات
ذوات الاقراء خاصة او للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي جهل وابي لهب والوليد بن مغيرة واضرابهم
وقرينته ان هولاء ايمة الكفر وروس الكفرة بحيث يتبادر الفهم اليهم عند الاطلاق والكفر في اللغة
الستر وفي الشرع عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيه به ضرورة فان قيل اطفال المومنين لا تصديق
لهم فيلزم ان يكونوا كفارا لا مومنين وهو باطل قلنا هم مصدقون حكما لما علم من الدين ضرورة
انه عليه السلام كان يجعل ايمان احد الابوين ايمانا للاولاد فان قلت ما قولك في الصبي العاقل والشاهق الجبل
انهما مكلفان ام لا قلت قيل نعم هما مكلفان بالايمان حتى انهما يعذبان اذا لم يعتقدا كفرا ولا ايمانا
وعند الاشعري يعذبان فلم يعتبر ايمان الصبي والكفر شاهق الجبل فيقتص قاتلهما هكذا يقال والصحيح عندنا
ان الصبي العاقل لا يكلف بالايمان لعدم استيفاء المدة وكذا الشاهق اذا لم يبلغه الدعوة فانه لا يكلف به
بمجرد عقله فلا يقتص قاتله على ان العصمة لا تثبت بدون دار الاسلام حتى لو اسلم في دار الحرب ولم يهاجر
الينا فقتل لم يقتص قاتله وكذا الصبي والمجنون اذا اقتلا فيها والكفر عند كل طايفة مقابل ما فسروا به
الايمان فقالت الخوارج كل معصية كفر والمعتزلة على ان المعاصي منها ما يدل على الجهل بالله
وبرسالة الرسول فهو كفر ومنها لا وهو قسمان قسم يخرج مرتكبه الى المنزلة بين المنزلتين اي الايمان والكفر
ويعبر عنها بالكبائر اي من تلك المعاصي المخرجة الى تلك المنزلة كقتل العمد العدوان والزنا ونظايرهما ويحكم
على صاحبها بالفسق وقسم لا يخرج ككشف العورة والتغنى ويسمى بالصغاير ولا يوصف صاحبها بالكفر
ولا بالفسق بل يوصف بالايمان ومن ههنا اختلف في مرتكب الكبيرة من اهل القبلة فالجمهور على انه
مومن وهو الحق والحسن البصري على انه منافق وذهب الخوارج الى انه كافر والمعتزلة الى انه
لا مومن ولا كافر وطوايف الكفار الدهرية والمشركة والصابية واليهود والنصارى والمجوس
والبراهمة ومنكر القطعيات عن علم واباؤا ان تكفروا احدا من اهل القبلة الا اذا رايت انه صدر عنه
علما واختيارا شيء من امارة التكذيب مصرا عليه فان في التكفير خطرا والسكوت لا خطر فيه وانما عد شد
الزنار ولبس الغيار كفرا لدلالتهما على التكذيب فان من ضرورة التصديق ان لا يجترى على مثلها ظاهرا
لا لانها كفر في انفسها حتى لو علم انه لم يشد الزنار لتعظيم دين النصارى واعتقاد حقيته بل شده وقلبه
مطمين بالايمان لم يحكم بكفره ديانة وفيما بينه وبين الله تعالى وان اجرى عليه حكم الكفر ظاهرا وقالوا
هكذا في سجود الشمس فانه لم يحكم بكفره الا قضاء واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي
على حدوثه لاستدعايه سابقا مخبرا عنه وقد اسلفت ما هو جواب عنه وهو ان القران لا يختلف
الا الامر والنهي والخبر ولا يتعلق بالماضي والحال والاستقبال الا بحسب التعلقات والاضافات
كالعلم والقدرة وساير الصفات القديمة وايضا انما يقوم منك حجة على الحنابلة لا علينا لانا قايلون
بحدوث النظم وان الكلام في المعنى القديم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون

الجبلة

وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام
سواء للسايلين بمعنى مستوية رفع بانه خبر ان وما بعده في محل الرفع على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو
عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر ان والفعل انما يمتنع الاخبار
عنه اذا اريد به اللفظ او مطلق الحدوث دون معناه فقوله انذرتهم ام لم تنذرهم وان كان جملة فعلية لكنه
في المعنى مصدر مضاف الى الفاعل فيصح الاخبار عنه ومما جرى فيه حانبا اللفظ الى المعنى قوله تعالى يوم ينفع
الصادقين صدقهم اي نفعهم ومنه تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن والتقرير ان تسمع
باضمار ان وهي مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان يكون عطفا على لا تاكل لانه يلزم عطف الاسم على الفعل فلا بد
ان يحال لا تاكل الى معناه حتى يحصل عطف الاسم على الاسم اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن على معنى ان المصدر عطف
على مصدر ماخوذ من مضمون الجملة السابقة لا ان الفعل وحده في تاويل المصدر فانهم والهمزة وام مجردة عن معنى الاستوا
مستعملة معنى الاستفهام واسما كما جردت حروف النداء من الطلب للتخصيص في قولك اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة ومنه قولهم انا اكرم الضيف ايها الرجل ونحن نفعل كذا ايها القوم ومعناه اللهم اغفر لنا مخصوصين
من بين العصايب وانا اكرم الضيف مخصوصا من بين الرجال فكان هذا جرى على صورة النداء وليس
بنداء كذلك انذرتهم ام لم تنذرهم على صورة الاستفهام وليس باستفهام ومعنى الاستواء الذي جردت الهمزة وام له
استواؤهما في علم المستفهم عنهم لانه قد علم ان احد الامرين كاين اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم
غير معين ويجوز ان تكون الهمزة بمعنى ان الشرطية كانه قيل فانهما يستويان حصولا وام بمعنى او لاشتراكهما في افادة
احد الامرين وسواء عليهم في موضع الجزاء والجملة الشرطية خبر ان والمعنى ان الذين كفروا ان انذرتهم او
لم تنذرهم سواء عليهم وقرا الخليل سواء عليهم وقرى انذرتهم بتخفيف الهمزتين وتخفيف الثانية
بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يلزم جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف بينهما
محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرى
قد افلح هكذا يقال والاسم الذي هو حسنة القراءة وكذا القراءة عليهم انذرتهم بفتح الميم وسكون النون من غير همز اصلا
مما لم يوجد ولا اعتداد بالتحريف ودعوى التخويف من عذاب الله تعالى قبيل وانما اقتصر عليه لانه اوقع
في القلب اشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع المضار اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كان عدم البشارة
بعدم النفع اولى وقوله لا يومنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او مؤكدة للجملة
قبلها او حال مؤكدة او خبر لان والجملة قبلها اعتراض واحتج بهذه الاية من جوز تكليف ما لا يطاق فانه
تعالى اخبر عن عدم ايمان الكفار وامتناع الكذب على الله تعالى وامرهم بالايمان والايمان منهم
محال لافضايه الى انقلاب خبره كذبا واجيب ان الخبر تابع للمخبر عنه فلا يكون موجبا ومما يؤيد واقع
في الجميع لذاته اتفاقا واقع عند الاشعري في غيره كما في ابي لهب ومحمد من [illegible] ابي جهل تكليفا بالايمان
بناء على ان القدرة العبد تاثير في افعاله والتزامها من الجبر العبد وقال ان الله تعالى علم في الازل ان الجمال
اصلا فان امن ينقلب علم الله تعالى جهلا وهو محال فيما يستحيل في المحال وانه ليس في الايمان يكون تكليفا بالمحال وما حاجة الا الانتفاع

علم كل شيء على ما هو عليه والعلم تبع للمعلوم فعلمه بانه لا يؤمن باختياره لا يخرجه عن حيز الامكان اي عن ان يكون
مقدورا او مختارا له وعنده لا تاثير لقدرة العبد في افعاله بل هو مجبور ثم عندهم عدم جواز التكليف
بما لا يطاق ليس بناء على ان الاصلح واجب على الله تعالى خلافا للمعتزلة بل بناء على انه لا يليق من حكمته وفضله
وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ومما ينتبه
ههنا ان قطع لا يؤمنون وختم الله لكمال الاتصال لان لا يؤمنون يقرر لما افاده قوله سواء عليهم
انذرتهم ام لم تنذرهم من ترك اجابتهم الى الايمان فان المقصود بالتسوية ترك الاجابة فلا يؤمنون
منزلة التاكيد اللفظي لما قبله وختم الله يقرر لما دل لا يؤمنون عليه من انه ليس لهم قلب يخلص الى الحق
وسمع يدركه وحجة وبصر يلحظ عبرة فان قلت هلا جعل ختم الله تاكيدا لقوله لا يؤمنون قلت لعدم دلالة
لا يؤمنون على مضمون ختم الله لا يقال فاذا كانا تاكيدين لعدم التفاوت بين الانذار وعدم الانذار
كان الاولى عطف احد التاكيدين على الاخر لانا نقول التاكيد الاول من تتمة المؤكد فالثاني على ما تقدم و
ويجوز ان يكون ختم الله استئنافا على ما سيجيء بيانه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
اتفق اهل الحق قاطبة قبل ظهور اهل البدع والاهواء على ان الختم والطبع ونحوهما مما صرح به القرآن
العظيم عبارة عن خلق الضلال في القلب وانما سميت بذلك لمكان التناسب فان هذه الامور لغة
موانع في الحقيقة وخلق الضلال في القلب مانع من الهدى فصح تسميته بهذه الكلمات حتى كانها استعملت في
موضعها الاصلي على ان هذه الايات اعني ختم الله على قلوبهم الاية بل طبع الله على قلوبهم وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه الى غير ذلك نصوص في ان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في موضع امتناع الايمان منهم لاجل
ذلك حيث قال سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم اي لا يؤمنون لاجل
الختم وهي مما ذكروا لا يصلح لكونه سببا لامتناع الايمان فان مجرد الوصف بالختم والطبع وجعل
الاكنة على قلوبهم لا يمنع من الايمان وكذا الوسم بعلامة مميزة ومنع اللطف والاخلاص لا يقتضي
امتناعه فلا يصح الحمل عليها وقد اخبر الله تعالى بها عن اقتداره على ضمائرهم واسرارهم ويتقى ان
القلوب بحكم بيده يصرفها الختم والطبع عن سواء السبيل وسنن الرشاد كما قال ونقلب افئدتهم وابصارهم
فكيف يستجاز حملها على التسمية والتلقيب ونحو ذلك والختم والكتم اخوان في اصل المعنى والتركيب
وهو معنى الاشتقاق الاكبر فان الختم وهو ضرب الخاتم على الشيء معنى الكتم والمختوم مكتوم بحيث لا يتوصل
اليه كل احد ولا يطلع عليه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء يستعمل على الشيء كالعصابة
والعمامة ولا ختم ولا تغشية ههنا على الحقيقة وانما المراد بهما ان يوجد في قلوبهم الظلمة والضيق والزيغ والتمنع
عن اذعان الحق وقبوله والقرين على تحبيب الكفر والمعاصي وشرح الصدر بها بسبب اعراضهم عن الحق واستكبارهم
عن امتثاله وانهماكهم في التقليد فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق ولا يخلص الى ضمائرها واسماعهم تنبو عن
الاصغاء وتمجه وتعاف عن الاستماع كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي ايات الله المنصوبة في الافاق و
الانفس كما تجتليها المستبصرين كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الادراك وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل
القلوب

او مثل القلوب والاسماع والابصار المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية بجامع عدم الانتفاع
وقد عبر عن الايجاد المذكور بالطبع في قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاقساء
في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وهي من حيث ان الممكنات
بأسرها افعال العباد من الكفر والايمان والطاعة والعصيان مسندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت الى الله تعالى
ومن حيث انها مسببة مما اكتسبوه بدليل بل طبع الله عليها بكفرهم وذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت
الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم ولا اشكال على هذا وانما الاشكال على اهل المعتزلة
وقواعدهم الباطلة وهو ان منع الايمان وخلق الضلال قبيح فكيف يجوز اسناده الى الله تعالى على الوجهين
المذكورين بالاستعارة والتمثيل اجابوا بانه مجاز وذكروا فيه وجوها الاول انه كناية عن فرط تمكن الصفة
المعبر عنها بالختم في الكفار لان هذا المعنى ملزوم لكون الفعل مخلوقا لله تعالى كقولهم فلان مجبول على الشر كناية
عن فرط تمكن الشر فيه حتى صار كالطبيعة له فقصد من لوازمه الى المعنى المستقل منه ملزومه الثاني ان الجملة كلام
استعارة تمثيلية مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من الامتناع والتجافي عن الحق بحال قلوب البهائم التي خلقها الله تعالى
خالية عن الفطن او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها بان خلقها عديمة الانتفاع بالايات حتى لا تعي شيئا منها
ولا تفقه ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته فكما انه ليس هناك من الوادي
والعنقاء عمل في هلاكه وفي طول غيبته فكذا ههنا ليس من الله فعل في تجافيها عن الحق واستكبارها عن قبوله وهو متعال
عن ذلك الثالث ان اسناد الختم الى الله تعالى اسناد مجازي من باب اسناد الفعل الى السبب مثل بنى الامير المدينة وهو
لغيره حقيقة فان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر نفسه لكن لما كان صدوره باقدار الله تعالى اياه
اسند اليه الختم اسناد الفعل الى المسبب الرابع انهم لما بلغوا في الكفر غاية لا ينفعهم الايات والنذر وصاروا
[illegible] بحيث لم يبق طريق الى ايمانهم سوى القسر والالجاء ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم اشعارا على تمادي امرهم في التصميم والاصرار على الكفر وتناهي انهماكهم في الغي والضلال الخامس
ان يكون حكاية لكلام الكفرة بعبارة اخرى فان قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب هو معنى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة والقصد من هذه الحكاية التهكم
والاستهزاء ونظيره في الحكاية والاستهزاء قوله عز من قائل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تاتيهم البينة السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه ويؤيده قوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمات تعرفها الملائكة فيتميز لهم قلوب
الكفار من قلوب الابرار ولا يخفى على المتامل المنصف بطلان الجميع لا سيما فان الاول منها مبني على امتناع اسناد
الكفر والمعاصي باسرها بل جميع افعال الاجسام الى الله تعالى على ان الفعل انما يسند حقيقة الى من قام به لا الى من خلقه
واوجده والله تعالى عنده خالق لا فاعل لها فالكافر والقاعد انما يعني حقيقة لمن قام به الكفر والقعود لا لمن
خلقها والثاني مما لا قرينة عليه والثالث يأباه سوق الكلام ونظمه لكونه تقريرا للكلام السابق وتاكيدا له والرابع
لا [illegible] والسابع الاخرة بل هو في الدنيا والاخرة هو مثل قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون [illegible]

ذلك
و قوله لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ونظاير
مما اخبر الله تعالى فيه عما فعل بهم مطلقا غير مقيد باحدهما من سلب العلم عن جميع الجهات بحيث لا يبقى لهم ادراك من جهة اصلا
وايضا مما علم بالضرورة ان الحال اهل المحشر تجري هذه الاوصاف على حسب جريها في الدنيا وقوله تعالى ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا الاية تصريح بهذا وكذا قوله عليه السلام كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون
وكما تبعثون تحشرون * والخامس مما قدم من وجه بطلانه والمعتزلة قد اطنبوا الكلام في هذا المقام لانه اول ما
ورد من اسناد القبيح عقلا الى الله تعالى ونحن نقول بان القبيح لا يسند اليه لكن لا قبح بالنسبة الى خلقه وايجاده والصدور
عنه وانما القبح في قيامه بالعبد وكسبه وصرف قدرته وارادته مطلقا * وعلى سمعهم عطف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم والتناسب فانهما لما تناسبا في ادراكهما
من جميع الجوانب جعل المانع عن ذلك الختم الذي يمنع من جميع الجهات حتى لا يكون لهما ادراك من جهة اصلا ولما كان ادراك
البصر من جهة المقابلة وهي جهة واحدة جعل المانع عنه بما يكون كذلك لظهور ان الغشاء يكون بين الرائي والمرئي وكرر
الجار في قوله وعلى سمعهم ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما في الحكم * ووحد السمع للامن عن اللبس
كما وحد البطن لذلك في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولكونه في الاصل مصدرا والمصادر لا تجمع ويجوز ان تقدر مضافا
محذوفا اي وعلى حواس سمعهم * وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم * والمراد بالقلب مضغة في الجسد اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله وهي محل العلم والايمان ومما يدل على محلية القلب للايمان بعد آيات دالة على الختم
والطبع على القلوب وكونها في اكنة قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا فتح له قفل قلبه وجعل فيه
اليقين والصدق وجعل قلبه وعاء واعيا لما سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة وجعل اذنه
سميعة وعينه بصيرة وقد ضرب عليه السلام له ثلثة امثلة فقال مثل القلب كمثل ريشة في فلاة يقلبها الريح ظهرا لبطن
وقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا اجتمعت غليا وكان اكثر [illegible] على عظم
صنع الله تعالى في تصريف القلوب وتقليبها ان يدعو بها ويحلف فيقول اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك
ويقول لا ومقلب القلوب * وقال ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف
يشاء وقال كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه
قيل وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما كان تذهب هذا
لان المراد بالاية الحث على النظر والتوبيخ على تركه فان اراد هذا المفسر بتفسيره ان المعنى لمن كان له عقل مطلقا فهو
ظاهر الفساد وان اراد ان المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمل بما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ان يعد العقل
بما هو عري عن الفائدة الصحيحة ووصف القلب بذلك بدليل قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولذلك نرى عبد القاهر قد
شدد النكير على من فسر بهذا التفسير والجسد هو سلطان الجسد هو القوى الظاهرة والباطنة باسرها والاعضاء
اخرها خدامه وجنوده * والبصر نور العين وهي قوة مودعة في العصبتين المجوفتين الملاقيتين في مقدم الدماغ
ثم يفترقان الى العينين يدرك بها المرئيات من الالوان والاشكال والحركات وغيرها مما يخلق الله تعالى ادراكها في النفس
عند استعمال

العصب
عند استعمال تلك القوة وقد يطلق على العضو * والسمع ادراك الاذن كما ان البصر ادراك العين وهي قوة مرتبة في
المفروش على سطح باطن الصماخ يدرك بها الاصوات وقد يطلق على العضو وهما اعظم جنود القلب حتى كل منهما
مجبول على طاعته لا يستطيع له خلافا فان العين انما خلقت للقلب ليهتدي بها الى الظلمات وينظر الى عجائب ملكوت
الارض والسموات والاذن انما خلقت له ليتوسل بها الى استماع والعمل بكلام الله وسنة رسول الله عليه السلام وحكم اوليائه
واذا امرهما بالانفتاح انفتحا وبالانقباض انقبضا وكذلك حكم ساير الاعضاء الظاهرة والباطنة وهؤلاء الكفرة لما استعانوا
بتلك النعم العظام على معصية الله تعالى وهو غاية الكفران وعادوا في اماتته وهو غاية الطغيان فكانوا لا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون * وقد امال ابو عمرو ابصارهم لان الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذكر [illegible] على الامالة * وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه والجار
والمجرور عند الاخفش ويعضده العطف على الجملة الفعلية اي ويستقر على ابصارهم غشاوة * وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة
وقرئ غُشاوة بالضم والرفع وغَشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع والنصب وعشاوة بالعين
غير المعجمة والرفع من العشى مصدر عشي * ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما هو اهل له قيل
والظاهر عطف على جملة ان الذين كفروا او على خبر ان وجزئها اما مفرد او جملة لا محل احد التأكيدين لان ثبوت
العذاب العظيم لا يفيد زمنه تقرير التسوية في التأكيدين السابقين وقيل قوله ولهم عذاب عظيم ايضا [illegible]
التقرير السابق اذا جعل عطفا على لا يؤمنون او ختم الله وجهه ان ثبات خاصية الشيء وهو العذاب العظيم
لعدم الاجابة الى الايمان تأكيد وتقرير لثبوته وان عطف على جملة ان الذين كفروا فلا والعذاب كالنكال بناء
ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه
يزيده ولذلك سمي نقاخا وفراتا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب فيكون وزن فرات فعالا ثم
اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض * والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير والعذاب
لما وصف بالعظيم كان المعنى نوع عظيم منه وليس تنكيره للتعظيم كما يسبق الى بعض الاوهام بخلاف تنكير غشاوة فانه
للتعظيم اي غشاوة عظيمة تحجب ابصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الادراك اذ المقصود بيان بعد حالهم من الادراك
والتعظيم ادل عليه ويجوز التنكير للتنويع والقصد الى نوع منه كما في العذاب * فالمعنى ان على ابصارهم نوعا من الغطاء
غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن الآيات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس
رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لا يعذب من خلقه الا المارد المتمرد وعليه ابى ان يقول
لا اله الا الله * ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه بذكر اوليائه وخلص عباده [illegible]
اعدائه المتمردين [illegible] بالكفر ظاهرا وباطنا المصرين عليه قلوبا والسنة ثنى باضدادهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكميلا للتقسيم وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء
ولذلك اطنب سبحانه في وصف حالهم واتى لذلك بثلاث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم وجهلهم واستهزاءهم وتهكم بافعالهم وسجل على طغيانهم

وعمهم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها
عطف على قصة المصرين ولفظ من مشعر بالتقسيم واقسام الناس بحسب القسمة العقلية كما هو الواقع ثلثة ولايات المتنوعة
الاقسام الثلثة لانهم اما مومنون او كافرون والكافرون اما غير متظاهرين بالايمان او متظاهرين وهم المنافقون
واصل ناس اناس لقولهم انسان واناسي وانس فحذفت همزته حذفها في لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف
وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يجمع بينهما وانما قلنا كاللازم لانه قد جاء الاناس لاسيما وهو من اسماء الجمع
كرخال لا جمع اذ لم يثبت فعال في الابنية ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لظهورهم وانهم
يونسون اي يبصرون ولذلك سمي بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم والقياس في تصغيره انيس واما انيسين فعلى
خلاف القياس كرويجل في رجل وانيسيان في انسان فان القياس فيهما رجيل وانيسين وقد يقال ان مخالفة القياس في قلب
الالف واوا مع انها ثالثة لا ثانية وليس بشيء لانه كالضوارب صورة ولان قلبها واوا اولى من الياء لاجتماع الياءين
واللام فيه للجنس ومن على هذا التقدير موصوفة اذ لا عهد كانه قيل ومن الناس ناس يقولون والجار مع المجرور في محل
الرفع على الابتداء بمعنى وبعض الناس وبعض من الناس من يقول كقوله تعالى ومنا دون ذلك اي بعضنا او بعض
منا دون ذلك وعلى الاخبار فان قيل لو كان من الناس خبرا ومن يقول واللام فيه للجنس كان المعنى من يقول من الناس
فظاهر انه لا يتصور لمثل هذا الاخبار فائدة اجيب بانه للاخبار بالبعضية او التعجب او الاستعظام اذ يختص بعض
من الناس بمثل تلك الصفات فانها تنافي الانسانية بحيث كان ينبغي ان لا يعد المتصف بها من الناس قيل وهذا
الجواب ضعيف لان مثل هذا التركيب شائع ذائع في مواضع لا يتاتى فيها مثل هذه الاعتبارات ولا يقصد فيها
الا الاخبار فان من هذا الجنس طائفة متصفة بكذا فالوجه ما تقدم فيكون مناط الفائدة تلك الاوصاف ووقوع الظرف
في موضع المبتدا ليس بمستبعد كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما احد منا الا له مقام معلوم ونظايره كثيرة
او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة كانه قيل من هولاء المصرين على الكفر القوم المصرون على النفاق
وهم عبد الله بن ابي واصحابه ونظراؤه ممن صمموا على النفاق فانهم من هذا الجنس دخلوا في عداد الكفرة المختوم على قلوبهم
واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يمنع دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تنوعت بزيادات تختلف
فيها ابعاضها وكا اختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وكشف عن
افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة والفسق وتنبيه على انهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به
النفاق لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله وباليوم الاخر ليس بايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان
الجنة لا يدخلها غيرهم وغير ذلك وايضا اراد المومنين انهم امنوا مثل ايمانهم فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا
وكفرا موجبا لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه
تمويها على المسلمين وتهكما بهم وايضا نفقا وحرموا هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واحتاطوا بطرفيه
وآمنوا بالمبدأ والمعاد على ما هما عليه وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد منهما على الاصالة والصحة والاستحكام
ويتوضح ذلك على ما قيل ان قولهم امنا بالله ايمان بالمبدأ على ما هو عليه فيتضمن الايمان به تعالى ذاتا وصفة وفعلا ويندرج
الايمان فيه بالنبوات لا محالة لا تفاوت بالفرق ويندرج من وجه آخر في الايمان باليوم الاخر لان الطريق اليه السمع بالاجماع

بالاجماع وقولهم امنا باليوم الاخر اخبار عن الايمان بالمعاد فيتناول الايمان كله فهو تفصيل من وجه مع الاجمال والاختصار وفيه
من الحسن ما لا يخفى على اولي الابصار فان قلت لم جعلت من في من يقول موصوفة على تقدير الجنس وموصولة على تقدير
العهد وهلا زعمت انها بالعكس قلت هذا بناء على المناسبة والاستعمال فلو زعمت ذلك لركبت شططا فان الموصوفة لتنكرها
يناسب الجنس لابهامه والموصولة لتعرفها يناسب العهد لتعينه واما الاستعمال فلان الشائع في مثل هذا المقام هو التنكير
الموصوفة اذا جعل بعضا من الجنس كقوله تعالى من المومنين رجال صدقوا فان اللام في المومنين للجنس وارد بعده
نكرة موصوفة وهو رجال صدقوا والموصول مع الصلة اذا كان بعضا من المعهود كقوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي
فان الضمير في منهم عائد الى القوم المتقدم المذكور في قوله ولكنكم كنتم قوما فاسقين وقوله ولكنهم قوم يفرقون وقد
ذكر سبحانه منهم طائفتين فقال ومنهم من يلمزك في الصدقات الاية ومنهم الذين يوذون النبي الاية والمعهود قد يكون
مذكورا بلفظ آخر واعتبار آخر قوله وباليوم الاخر هو يوم القيمة لكونه آخر الايام وقيل المراد به من وقت الحشر الى
ما لا ينتهي والى ان يدخل الجنة والنار اهلهما لانه آخر الاوقات المحدودة لا حد للوقت بعده واما توحيد الضمير في يقول
وجمعه في هم فللحمل على لفظ من ومعناه **وما هم بمؤمنين** وما للنفي وزيادة الباء لزيادة التاكيد فان الجملة
الاسمية المنفية تفيد تاكيد النفي ودوامه لا نفي التاكيد والدوام فاذا دخلت عليها الباء ازداد ذلك التاكيد كما ان الاسمية المثبتة
تفيد تاكيد الثبوت ودوامه فاذا دخلت عليها اللام افادت زيادة التاكيد ولذلك ترى ائمة علم المعاني يقولون ان قوله تعالى
وما هم بمؤمنين رد لقولهم انا امنا على ابلغ وجه واكده وان قولنا ما بزيد مررت لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص
مع انه بدون حرف النفي يفيد الاختصاص ثم ان قوله تعالى وما هم بمؤمنين مثل قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب وما انت علينا بعزيز
قصدا الى اختصاص النفي بمعنى ان عدم الايمان مقصور عليهم لا يتجاوز الى غيرهم وعدم العزة مقصور عليك لا يتجاوز الى
لا بمعنى نفي الاختصاص بمعنى ليسوا منفردين بالايمان ولست منفردا بالعزة وذهب كثير من المحققين الى الحصر والاختصاص
في مثل وما انت علينا بعزيز وما انت عليهم بوكيل وما انا عليكم بحفيظ وما انا بطارد المومنين مما يلي الضمير حرف النفي
بناء على ان تقديم الضمير والياء حرف النفي الحصر وان كان الخبر صفة لا فعلا ورد قوله وما هم بمؤمنين لا يقال ان قوله وما هم بمؤمنين
وقوله وما انت علينا بعزيز مثلا من باب انا عارف وهو لا يفيد الحصر وانما يفيده التقديم على الفعل نحو انا عرفت لكون
المشتقات قريبة من الافعال لا يقتضي كونها كالافعال في الحصر والاختصاص لانا نقول ان الضمير مثلا في انا عارف
مبتدا لا غير كما في انا عارف فلا تقديم ولا حصر واما فيما نحن فيه فهو فاعل واقع موقع الخبر والمبتدا في معنى الفعل حتى كان
مع الفاعل كلاما تاما كصريح الفعل فكان ما انا عارف وما انا بعارف بزيادة الباء من قبيل انا عرفت في اعتبار التقديم وافادة
الاختصاص بخلاف انا عارف فيكون قوله وما هم بمؤمنين وما انت علينا بعزيز من باب ما انا بعارف لا من باب انا عارف
وترك الباء وقيل هذا ليس من باب التقديم لافادة الاختصاص او لحمل الكلام في لسان القائل اذ لا يلائم … العدول
الى الجملة الاسمية لرد كلامهم على ابلغ وجه كانه قيل انهم ليسوا في شيء من الايمان ولا يصدق هذا الوصف عليهم البتة فان قيل الاسمية
على الثبات فنفيها يفيد نفي الثبات لا ثبات النفي وتاكيده اجيب بان ذلك اذا اعتبر اثبات بطريق التاكيد والدوام ثم
ذلك منفيا وهنا اعتبر النفي اولا ثم اكد وجعل بحيث يفيد الثبات والدوام وذلك لان … النفي …
وتحقيقه انه اذا اعتبر الثبات والتاكيد اولا ثم نفي رجع النفي اليهما ولو اعتبر النفي ثم اكد وجعل بحيث يفيد الثبات رجع التاكيد والثبات الى النفي

والثبات لا لنفي التأكيد

الا ان هذا مخالف لقولهم الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام والتأكيد فاذا دخلت عليها حرف النفي يكون لتأكيد النفي وثباته
والاية تدل على ان الايمان ليس فعل اللسان بل فعل القلب لانه اثبت فيها التصديق اللساني ونفى الايمان فمن ادعى الايمان الحق صحيح
القلب وخلوص الاعتقاد ليس بمؤمن لا ان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف في [illegible]
في الثاني فلا تقوم حجة عليهم يخادعون الله والذين آمنوا وانما قطع عما قبله لكونه موضحا ومبينا من حيث انهم
حين كانوا يوهمون بالسنتهم انهم آمنوا وما كانوا مؤمنين بقلوبهم قد كانوا في حكم المخادعين وقيل لانه استيناف كانه قيل لم يدعون
الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون والحمل على البيان اولى لانه ايضاح لما سبق وتصريح ان قولهم هذا
خداع وانما قلنا في حكم المخادعين لان مخادعة الله والمؤمنين مما لا يصح لان علام الغيوب لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح
لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطر من قريش كل منخدع وقوله صلى الله عليه
المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم الغر الكر الذي يخدع بسهولة لقلة تجاربه والخب بالفتح الخداع الخبيث فقد جاء
النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع واما قيل يخادعون وصيغة المفاعلة يقتضي كونه من الجانبين لوجوه الاول ان المراد
بالخداع المعاملة الشبيهة به فيكون استعارة تبعية تمثيلية وذلك ان صورة صنعهم مع الله والمؤمنين حيث يتظاهرون بالايمان وهم
كافرون صورة صنع الخادعين وكذا صورة صنع الله والمؤمنين معهم حيث اجروا عليهم احكام المسلمين مع كونهم عندهم وعند الله
الكفار واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع ايضا الثاني ان المراد حقيقة الخداع بزعمهم الفاسد وظنهم الباطل
كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم الثالث ان المراد يخدع الله خدع رسوله لانه الناطق باوامره ونواهيه كقوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فالمجاز في التحقيق في النسبة الايقاعية لا في الطرف للاطباق على ان لفظ الله لا يطلق
على غيره لا حقيقة ولا مجازا الرابع ان المراد يخدعون الذين آمنوا وذكر الله لمجرد التوطئة والتمهيد لا لتعليق الخدع به
وفائدة هذه الطريقة اعني تعلق الفعل بالشيئين والمقصود تعلقه بما عطف عليه قوة اختصاص المعطوف بالمعطوف عليه لانه
على ان التابع من المتبوع بمكان يصح ان تنسب افعاله واحواله اليه قصدا لانه بمنزلته ومنه والله ورسوله احق ان يرضوه فان
افراد الضمير لانه على ان المقصود ارضاء الرسول عليه السلام وانما ذكر الله لافادة قوة اختصاص النبي به وكونه بمكان منه ومنه يؤذون
الله ورسوله فانهم لا يؤذون حقيقة الا الرسول وحده ويخادع في الوجهين الاخيرين بمعنى يخدع اذ لا خدع من الرسول والمؤمنين
ولا وجه لكونه حقيقة من احد الجانبين مجازا من الجانب الاخر لاتحاد اللفظ ووجه العدول عن يخدع الى يخادع قصد المبالغة
لان المفاعلة في الاصل للمغالبة والمباراة والفاعل اذا غولب في الفعل زاد قوة الداعي اليه واجتهاده في تحصيله
فجاء ابلغ واحكم ويؤيده قراءة ابي حيوة يخدعون الله والذين آمنوا وعلى هذا فالمنافقون في حكم المخادعين
او مخادعون حقيقة ولهم في ذلك اغراض منها الاختلاط بالمؤمنين ليطلعوا على اسرارهم الذي كانوا حراصا على اذاعتها
الى منابذيهم ومنها ان يفعل بهم ما يفعل بالمسلمين من الاحسان والاعطاء والاكرام ومنها ان يعفوا عن المحاربة
ويدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة الى غير ذلك من المقاصد ولولا ان الله يستر على المنافقين لما علم ويدعوا
به علما من المصالح التي لو اطلع عليها المؤمنين لانقلبت مفاسد وشارك ابليس وذريته وما هم عليه من [illegible]
النفاق ولا عوا اكثر واشد من ذلك لكن له قدر من المصالح بالخداع النفس وغرورها اشد من ذلك كله كما قال عليه السلام
اربع لا شك كان اعدى [illegible] النفس وخداع ابليس الخ وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وفيه وجوه

وفيه وجوه الاول ان الخداع مجاز عن المعاملة الشبيهة به ومعنى قصره على انفسهم ان ضرره لا يحيق الا بهم ومكره لا يحيق الا بهم
مجازا باعتبار المآل فههنا مجاز على المجاز الثاني ان يراد حقيقة المخادعة لما يجري بين الرجل ونفسه من تمنية كل واحد
منهما بالاباطيل وتحديثه بالاكاذيب والمعنى انهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويحدثونها بالاكاذيب
وخدعتهم انفسهم حيث تمنيهم وتحدثهم بالاماني الفارغة والمخادعة مما لا يخفى عليه خافية الثالث ان يراد وما يخادعون
وما يجري به على لفظ يفاعلون للمبالغة فلا يحتاج الى اعتبار الخدع من جانب الانفس ولا الى جعله مجازا وعلى الاول
وهو كون المخادعة استعارة للمعاملة الشبيهة بالخداع يراد بانفسهم ذواتهم [illegible] مخادعتهم ذواتهم ان الدائرة يحيق
بهم لا يتجاوزهم الى غيرهم وعلى الاخيرين حقيقة المخادعة ويخادعون بمعنى يخدعون يراد القلوب والدواعي وعلى الاول
ان الخداع اما اشارة الى الخداع الاول استعارة للمعاملة الشبيهة بالمخادعة فالكلام مجاز وكناية عن اقتصار ضررها
على انفسهم او خداع اخر جار فيما بين اثنين اعني فيما بينهم وبين انفسهم من الجانبين بمعنى انهم في تلك المعاملة مع المؤمنين
يوهمون انفسهم الاباطيل وانفسهم توهمهم الاماني والاكاذيب فانه يقتصر على ذلك اغراضا ومقتصرا على واحد ويراد
وما يخدعون بعبارة اخرى ان اريد بالانفس الذوات تعين التجوز والكناية عن لحوق الضرر وان اريد الدواعي
فلا وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون
على البناء للمفعول فيكون انفسهم فيمن لم يجوز تعريف التمييز نصبا بنزع الخافض اي عن انفسهم والنفس ذات الشيء
وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لان النفس الا يرى الى قولهم المرء باصغريه وقيل لانه محل الروح او
متعلقه وللدم لان قوام النفس به وللماء لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وللرأي في قولهم فلان
يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري ايهما يرجح كانهم ارادوا داعي النفس وهاجس النفس
فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس وعلى هذا وجه التجوز بالنفس عن الرأي اطلاق السبب على المسبب واما لكونهما يشبهان
ذاتين يامرانه ويشيران عليه وعلى هذا وجهه اطلاق اسم المشبه به على المشبه وما يشعرون والشعور الاحساس
حس من الشعار وهي العلامة ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر المخادعة بهم كالمحسوس ولكنهم لتمادي غفلتهم كالذي
لا حس له فهو ابلغ والبس من لا يعلمون لان الشعور في العلم مطلقا لا في العلم الخاص فانكار شعورهم بما كان حسيا اولى
ان لا يعلم غيرها وفيه تنبيه على تمام [illegible] في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة في الالم
مجازة الامراض النفسانية التي تخل بكمال النفس كسوء الاعتقاد مثلا [illegible] المراد في الاية حقيقة المرض بل المراد ما في قلوبهم
مما هو فساد وافة ونقصان كالجهل وسوء العقيدة والكفر والغل والحسد وحب المعاصي والبغض [illegible]
على المسلمين غلا وحنقا وبغضهم اشد البغضاء ويحترقون تحسرا على ما يرون في ثبات شانهم واستعلاء [illegible]
ذكرهم وعلاء امرهم [illegible] ان رسول الله [illegible] عبد الله بن ابي [illegible] سعد بن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم
طلب العفو والصفح وذكر ما روي في سيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] على حمار يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر فمر
حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول قبل ان يسلم [illegible] في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة
فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف
الى الله تعالى وقرا عليهم القرآن فقال [illegible] ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع
الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك [illegible]

والمرهو حتى كاد وا يقتتلون فلم يزل النبي عليه السلام يخفضهم حتى سكتوا انصار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع
الى ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي فقال يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك اي لم يقدر على الساغته
والصبر عليه لتعاظمه فكانه اعترض في حلقه فغص به كما يغص الشارب بالماء والمقصود من اتيان القصة
اثبات الحسد والغل والبغضاء للمنافقين بناء على ثبوت السبب قبل اظهارهم الاسلام ويحتمل ان يراد
بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور والضعف حين شاهدوا نصر الله وامداده بالملائكة واظهار
دين الحق على الدين كله وقذف الرعب في قلوبهم وشوكة المسلمين وزيادة التضعيف بما زاد لرسوله عليه السلام
تبسطا في البلاد وتسلطا على العباد ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والمراد بزيادة المرض زيادة الكفر و
الحسد والضعف فانه كلما انزل على النبي الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم وكلما زاد له
نصرة وفتح البلاد ازدادوا غلا وحسدا وازدادت قلوبهم ضعفا وجبنا وتجوز اسناد زيادة الاخيرين
الى الله تعالى حقيقة دون الاول عند المعتزلة لكونه قبيحا واما عندنا فحقيقة وكذا ان تجعل الاسناد مجازا على
التقادير ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع فالمجاز في المسند والاسناد مثل في ختم الله ولا فرق بين
الطبع والختم وقيل هو اعم لان الطبع هو الرين الذي يكون في المعاصي ايضا والختم لا يكون الا في الكفر
الاصلي وما قيل انه ان تنكير مرضا المغايرة الاول لضرورة مغايرة المزيد للمزيد عليه فميل الى ما اشتهر ان النكرة
اذا اعيدت نكرة فالثاني غير الاول والمعرفة بالعكس بناء على ان هذا هو الاصل عند الاطلاق وخلو المقام
عن القراين والا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يعني قوة الشباب
ومن باب التوكيد اللفظي والزيادة ههنا تتعدى الى مفعولين ويجي لازما والازدياد بمعناه الا انه لا يتعدى
الى مفعولين وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرضا ومرضا بسكون الراء ولهم عذاب اليم يقال الم فهو
اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به كوصف الضرب بالوجيع مجازا في قوله تحية بينهم ضرب
وجيع اذ الاليم والوجيع حقيقة هو المعذب والمضروب وقيل انه من قبيل الاسناد الى المصدر وليس
مثل جد جده وليس بذاك لانه ليس مصدرا للفعل المسند وانما يكون كذلك لو قيل الم الم ووجع وجيع ومن
ههنا قد يتكلف بعضهم ويقول العذاب هو الالم الفادح والضرب اي المضروبية هو الوجع
وقيل الاليم بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وفيه نظر لانه ليس بثبت هكذا قال كثير
من العلماء وهو من غلط اللغة لان المفسرين قالوا ان البشير والنذير بمعنى المبشر والمنذر في نحو
قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا كما سيمر عليك في مواضع بما كانوا يكذبون بسبب كذبهم
او بدله والمراد به قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهو قراءة عاصم وحمزة والكسائي وانما خص الكذب
بالذكر مع انهم اخبث الكفرة وجهات استحقاقهم للعذاب كثيرة استعظاما له وتنفيرا عن ارتكابه و
في ترتيب العذاب على كذبهم رمز واشارة خفية الى قبح الكذب وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم لاجل

وجل كذبهم حيث علق به استحقاق العذاب ونظيره قوله مما خطيئاتهم وانما قلنا تخييل لان السامع يعرف
ان لهم فنونا جهات يستحقون بها العذاب ادناها الكذب وان الغرض من ذكره التمرن الى قبحه وسماجته
زجرا عنه وتنفيرا عن ارتكابه كما خصت الخطيئات بالذكر استعظاما لها وتصويرا لقبحها وسماجتها
في نظر السامعين حتى ينزجروا عنها كل الانزجار والكذب الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع اي الاعلام
بالنسبة على الوجه الذي هو مخالف به بمعنى ان كل حكم بين امرين فهو في الواقع اما بالاثبات او النفي فالاخبار
عنه ان كان على الوجه الذي هو به من الاثبات او النفي فصدق وان كان على خلاف ذلك بان يكون في الخارج
الواقع بالاثبات وانت تخبر بالنفي او بالعكس فكذب قيل الكذب حرام كله وقيل قبيح كله وفي القولين نظر
لانه قد تعين لعصمة دم نبي او ولي قال النبي عليه السلام لا يحل الكذب الا في ثلث يحدث الرجل
امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس وقال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام
في حديث الشفاعة اذهبوا الى ابرهيم فياتون ابرهيم عليه السلام فيقول اني كذبت ثلث كذبات ثم قال النبي عليه السلام
ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله تعالى وفي بعضها لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات ما يحل به
عن دين الله فقد كذب جلالي وعن ابن سيرين عن ابي هريرة قال لم يكذب ابرهيم غير ثلث قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم هذا وبينما هو اذ نزل في ارض جبار رفاق الجبار فقيل قد نزل ههنا رجل معه امراة من
احسن الناس فارسل اليه فاتاه فقال ما هذه المراة منك قال اختي قال اذهب فارسل بها فانطلقت فقال ان
هذا سالني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله وليس في الارض مسلم غيري وغيرك هذا
كله لفظ حديث ابي هريرة فمعنى قوله عليه السلام لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات انه لم يتكلم على صورة الكذب
الا هذه الثلث فانها في الظاهر وعلى التوهم من السامع اخبار على خلاف الواقع وانها لم يكن في الحقيقة
كذلك لانها في التحقيق تعريضات بما هو المقصود بالذات واشارات الى ما هو الغرض الاصلي وذلك
ان الغرض من قوله اني سقيم اني سقيم القلب لما علم ذلك بامارة النجوم او انه سقيم لما يجد من الغيظ باتخاذهم
النجوم الهة والغرض من قوله بل فعله كبيرهم التنبيه على ان من لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه
كيف يقدر عليه عن غيره وكيف يصلح الها ومن قوله هي اختي الاخوة في الدين تخلصا من بطش الجبار
فانه كان من طريقته السياسية التعرض لذوات الازواج دون غيرهن لانهن لا اخترن التزوج فاستعلا
لحق بها من زوجها واما اللاتي لا ازواج لهن فلا سبيل لطلبهن الا ان يرضين وبهذا يظهر ضعف
ما قيل الكذبات الثلث قوله ثم شعرات هذا ربي في الكواكب وقيل الثالث قوله هذا ربي
لا قوله هي اختي وعلى هذا فالغرض من قوله هذا ربي حكاية قولهم فانه من باب مجاراة الخصم واظهار
العنان اليه حيث يراد تبكيته لا الاعتقاد بالالوهية او الغرض التقدير تنبيها على خطائهم
وارشادا الى انه لا يصلح للالوهية لقيام دليل الحدوث وقيل يجوز ان تكون تلك كذبات لانها
لما كانت في دفع عن الدين لا تكون معصية بل كانت مباحة بدليل قوله عليه السلام يحل الكذب الا في
الحديث وقد علم مما ذكرنا ان كل كذبة يكون في الحرب واصلاح بين الناس بين المراة وزوجها والنفع للدين

هو حرام لا ينبغي لاحد ان يقربه وهو المراد بما نقل عن الصديق الاكبر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم
والكذب فانه مجانب الايمان وقد قرءها ابو عمرو وابن عامر يكذبون بالتشديد على انه
للتعدية بمعنى يكذبون النبي اي يجعلونه كاذبا بمعنى ينسبونه الى ذلك ويعتقدونه كذلك ومن
نقيض صدّقه بالتشديد او للمبالغة اي الزيادة في الكيفية كابو بكر في صدّق فقيل صدّق ونظيرهما
بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص يعني يكذبون كذبا عظيما او للتكثير اي الزيادة في الكمية
من جهة كثرة الفاعلين كموّتت البهائم وبرّكت الابل اي كثر موت البهائم وبروك الابل او على
انه من كذّب الوحشي اذا وقف وتردد لان المنافق متوقف متردد في امره وهو مجاز عن الذي للتعدية
كانه يكذب رايه وظنه فيتردد ولذلك قيل مذبذب وقال النبي عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة اي المتردد بين قطيعتين واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
عطف على كانوا لانك لو قلت لهم عذاب اليم بما اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون
كان صحيحا وكذا اذا عطف على يكذبون او على يقول آمنا وايا ما كان فهو من عطف الجملة
الشرطية على غير الشرطية والثاني اوجه لانه اقرب ولتكون الاشارة الى قبح الفساد ووجوب الاحتراز
عنه كالكذب الى غير ذلك وقد يمال الى الثالث اوجه لانه اذا عطف على يقول آمنا تكون الايات
على سنن تعديد قبائحهم فيفيد صفة اخرى لهم على الاستقلال ولان قوله واذا قيل لهم آمنوا وقوله
واذا لقوا الذين معطوفان على واذا قيل لهم لا تفسدوا فلو عطف على يكذبون كانا ايضا معطوفين
عليه فيدخلان في حيز سبب العذاب فينتفي فائدة اختصاص الكذب بالذكر بالكلية فان قيل العطف
على جملة ومن الناس من يقول اوفق لسياقة هذه الاحوال فلم لم يعتبر اجيب بانه لا يفيد دخول هذه
الاحوال في ذكر المنافقين وبيان قبائحهم واحوالهم ولا يحسن عود الضمائر اليهم عن قرب معرفة باساليب الكلام
والافساد جعل الشيء فاسدا ولم يكن صنيعهم ذلك بل مؤديا اليه فانهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على
المسلمين بافشاء اسرارهم واغرائهم عليهم ويحثون بالدين وذلك مؤد الى هيج الفتن والاختلال
بنظام العالم والاعراض عن الشرائع فالكلام محمول على المجاز باعتبار المآل والمعنى لا تفعلوا ما يؤدي
الى الفساد وهذا اولى مما قاله بعضهم في هذا المقام كان فساد المنافقين انهم كانوا يمالئون الكفار
لان ممايلتهم الى الكفار ومعاونتهم اياهم على المسلمين افساد لا فساد ولانهم انما نهوا عن الافساد
وصاحب التنبيه لو ان معنى الافساد ليس الا تيان بالفساد وفعله ليصح حمل الكلام
على الحقيقة ثم فساد الفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في
الارض من الناس والدواب والزروع والمنافع الدينية والدنيوية يقال
هاج الشيء يهيج واهاجه غيره هيّج النار وهاجه غيره يتعدى ولا يتعدى والانسب
ان يحمل ههنا على غير المتعدي لان المتعدي افساد وانما سميت حرب كانت بين
طي حرب الفساد لانهم جزعوا فيها الانوف وصلموا الاذان وقطعوا الايدي والارجل

ونحو ذلك

ونحو ذلك وحقيقة الفساد خروج الشيء عن حال استقامته واعتداله وكونه منتفعا به والصلاح نقيضه وهو
الحصول على الحالة المعتدلة النافعة ومما يشتملون كل ضار ونافع ومن جعل الجملة في حمل الفساد على هيج الحروب
والفتن دون تغيير الملة وتحريف الكتاب ودعوة الكفار في السر الى تكذيب المسلمين علم قال بعض
المفسرين زيادة بيان للغاية قوله في الارض وقال قتادة نزلت في حق اليهود وفسادهم كفرهم بالقرآن
وتغييرهم نعت محمد عليه السلام بالرشوة اليسيرة والاصح هو الاول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد
فقيل لعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة
بما قبلها بالضمير الذي فيها والقائل هو الله تعالى او النبي عليه السلام او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون
ان تأكيدا لاثبات المسند للمسند اليه ثم لتضمنها ما الكافة لا النافية على ما توهم بعضهم تفيد تأكيدها على ما هو اهل
ولهذا يثبتوا بعدها الكلام قال الله تعالى انما الله اله واحد وقالوا انما يأتيكم به الله فناسب ان يفيد معه القصر
لان قصر الموصوف على الصفة وبالعكس ليس الا تأكيدا للحكم على تأكيد فان قولك زيد منطلق لا عمرو لمن يردد
الانطلاق بينهما يفيد اثبات الانطلاق لزيد صريحا في قولك زيد منطلق وضمنا في قولك لا عمرو لان نفي الانطلاق
لما كان مسلم الثبوت لاحدهما فاذا نفيته عن عمرو ثبت لزيد بالضرورة على ان كلا من الاثباتين تأكيد والدليل
على انها تفيد القصر كونها متضمنة معنى ما والا لقول المفسرين انما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب
معناه ما حرم عليكم الا الميتة وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم في الميتة
والدم ولقول النحاة انما لاثبات ما يذكر بعده ونفي ما سواه نحو انما زيد قائم انما يقوم زيد ولصحة انفصال
الضمير معها نحو انما يضرب انا كما تقول ما يضرب الا انا قال الفرزدق انا الذائد الحامي الذمار وانما
يدافع عن احسابهم انا او مثلي وقال عمرو بن معدي كرب قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس
الا انا على حد تطرب وهما جاراتها ومما يدل على انها متضمنة معنى ما والا ان النكرة الواقعة
في سياق انما تعم كالواقعة في حيز النفي مثل انما لامرئ ما نوى اي ليس لاحد من الرجال الا ما نوى به
سوى ما يكون الجزء الاخير مثل انما جاءني رجل فانه لا يعم لكونه كالواقع بعد الا وههنا
فنقول في قصر الموصوف على الصفة انما زيد جاء لمن يردد بين المجيء والذهاب من غير قطع
لاحدهما او قلبا لمن يقول زيد ذاهب لا جاء وفي قصر الصفة على الموصوف بالعكس انما
جاء زيد واصل انما ان تستعمل في حكم لا يعتقد المخاطب نفيه لما هو حقيقة كقوله
تعالى انما انت منذر من يخشيها فانه كل احد ممن هو مسك يعلم انه لا ينذر انما يكون
انذاره ويكون له تأثير اذا كان مع من يؤمن بالله وباليوم الاخر ويخشى عذاب الاخرة وقوله
تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وقولهم انما يعجل من يخشى الفوت وقوله انما هو اخوك
وانما هو صاحبك القديم لمن يعلم ذلك ويقر به مصحوب بمعنى التعاطف عليه قوله انما انت
والد والاب القاطع احنى من واصل الاولاد وادعاء كقوله تعالى حكاية عن المنافقين انما نحن
مصلحون ادعوا على مجرى عادتهم في الكذب ان كونهم مصلحين امر جلي لا شبهة فيه ولذلك

﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ للرد عليهم مؤكدا بما ترى من ايراد الجملة الاسمية الدالة على الثبات
وتعريف الخبر الدال على الحصر وتوسيط الفصل المؤكد لذلك وتصدير الكلام بحرف
التنبيه الدال على ان مضمون الكلام مما له خطر وبه عناية ثم تعقيبه بما يدل على التقريع
والتوبيخ وهو قوله ﴿ولكن لا يشعرون﴾ فانه يدل على ان كونهم مفسدون مما ظهر ظهور المحسوس
لكن لا احساس لهم ليدركوه ومثله قول الشاعر انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ادعى ان كون مصعب كما ذكر جلي معلوم لكل احد على عادة الشعراء اذا مدحوا ان يدعوا في كل
ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء وانهم قد شهروا به حتى انه لا يدفعه احد كما قال الآخر
وتعذلني ابناء سعد عليهم وما قلت الا بالتي علمت سعد وكما قال البحتري لا ادعي لابي العلاء
فضيلة حتى يسلمها اليه عداه والحاصل ان انما نحن مصلحون قصر افراد لا قصر قلب
على ما يخلد بعضهم لان غيرهم عن الافساد بشعرهان فيهم افسادا فنفوا ذلك بادعاء انهم مقصورون
على الاصلاح من غير شائبة وجه من وجوه الافساد وآثروا انما لدلالة على ان ذلك امر ظاهر
جلي من شأنه ان لا يجهله المخاطب ولا ينكره فأكد الامر جل وعلا في تكذيبهم ورد عليهم ما ادعوه
من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد واكده بقوله الا انهم هم المفسدون قصر قلب اي هم
مقصورون على الافساد لا ينتظمون في جملة المصلحين اصلا والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن والتأكيدين في كلمتي
الا وان الى غير ذلك كما قد بيناه ومما يجب التنبيه له ان فائدة ضمير الفصل في التحقيق عائدة
الى المسند اليه والمسند جميعا لانه يجعل احدهما مخصصا ومقصورا والآخر مخصصا به
ومقصورا عليه ومن ههنا نقول انه تأكيد الحكم اي النسبة التي بين الطرفين لما فيه
من زيادة الربط حتى ان معنى قولنا زيد هو القائم زيد ثابت له قائم اسب وقد يتوهم انه
تأكيد المسند اليه لانه بمنزلة زيد نفسه القائم وفساده بين وما شرط كون الخبر معرفا
باللام او اسم تفضيل افعل من غيره او فعلا مضارعا والاظهر انه اذا كان في الكلام
ما يفيد القصر وهو الخبر المعرف باللام فضمير الفصل انما يفيد تأكيد القصر اذ القصر حاصل بدونه
سواء كان قصر المسند على المسند اليه نحو زيد هو القائم ومنه ان الله هو الرزاق اي لا رازق الا هو
او بالعكس نحو الكرم هو التقوى والحسب هو المال اي لا كرم الا التقوى ولا حسب الا المال
قال ابو الطيب اذا كان الشباب السكر والشيب هما فالحياة هي الحمام اي لا حياة الا الحمام
ومعنى التعريف في المفسدون الدلالة على ان المنافقين هم الناس الذين بلغك عنهم
انهم يفسدون في الارض كما اذا بلغك ان شخصا قد فسق من جيرانك ثم استخبرت من هو
فقيل زيد الفاسق اي هو الذي قد اخبرت بفسقه او على انهم الذين ان حصلت صفة المفسدين
وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فالمنافقون هم لا يعدون تلك الحقيقة

الهمزة في ألا للاستفهام بطريق الانكار ولا للنفي وانكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات وتحقيق
وهذا معنى قولهم الاستفهام اذا دخل على النفي افاد التحقيق والاثبات كقوله تعالى
أليس الله بكاف عبده اي ان الله لكاف عبده ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة
بمثل ما يتلقى به القسم واختها أما التي تقع في مقدمات القسم وطلائعه أما والذي
لا يعلم الغيب غيره لكنهما بعد التركيب صارت كلمة تنبيه تدخل على ما لا تدخل عليه
كلمة لا نحو الا ان زيدا قائم ولا يقال له أما ان زيدا عالم ولا يقال له والذكرى
على ان ألا وأما حرفان موضوعان لا تركيب فيهما اوهم في الفصيحة من جهتين
احدهما النهي عن الافساد تخلية عما لا ينبغي حيث قيل واذا قيل لهم لا تفسدوا والثاني
الامر بالايمان تحلية بما ينبغي حيث قيل واذا قيل لهم آمنوا فكان من جواب
المنافقين ان سفهوا المسلمين بقول بعضهم لبعض انؤمن كما آمن السفهاء ولذا لفظ سفههم
وتمادي جهلهم قيل وفي هذا الكلام اشكال وهو ان فيه اشارة الى ان القائل
الآمر بالايمان هم المؤمنون لا المنافقون بعضهم لبعض فيما بينهم على ما يقال لكن ينبغي
ان يكون قولهم انؤمن كما آمن السفهاء مقولا فيما بينهم لا في وجوه المؤمنين والا لكانوا
مجاهرين لا منافقين وظاهر عبارة فكان من جوابهم ان سفهوهم اي نسبوهم الى السفه مما يشعر
بان القول كان في وجوه المؤمنين فيتأكد الاشكال ﴿واذا قيل لهم آمنوا﴾
من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين احدهما التخلية والاعراض عما لا ينبغي
وهو المطلوب بقوله لا تفسدوا وثانيهما التحلية والاتيان بالايمان بما ينبغي وهو المقصود
بقوله آمنوا واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا اسناد الفعل الى لفظه كأنه قيل واذا قيل لهم
هذا القول وهذا الكلام فهو مثل قولنا ألف ضرب من ثلاثة احرف ومنه ليس بمشتبه وانما المشتبه
هو الاسناد الى معنى الفعل معبرا عنه بمجرد لفظه على ان القول متعد والمحكي هو الجملة الواقعة بعده
مفعول به واطلاق الفعل عليه من قبيل ضرب فعل ماض [illegible] ومنه زعموا مطية الكذب
فان الوارد بعد الزعم كلام غير موثوق به لان الزعم هو القول بغير تثبت و[illegible]
وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ﴿كما آمن الناس﴾
وما في كما كافة او مصدرية او موصولة اي كالذي آمن الناس وحينئذ يحتمل الايمان
الذي آمن الناس على انه واقع موقع موصوف محذوف واللام في الناس للجنس اي كما آمن
الكاملون في الانسانية او من هم الناس في الحقيقة فان من عداهم كالبهائم بل اضل
من البهائم والاحسن ان يكون للعهد اي كما آمن النبي عليه السلام والمؤمنون وهم ناس
معهودون على الاطلاق او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدة المنافقين وهم يهود
عندهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم الذين كانوا منكم واستدل به على قبول توبة الزنديق

وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**
الهمزة فيه للانكار اي لا يكون ذلك واللام مشار بها الى الناس اي الكاملين او الذين
من عداهم في حكم العدم او المعهودين وهنا عهد بلفظ آخر وباعتبار وصف
آخر او الى جنس السفيه على ما يراه بعض الاصوليين من بطلان الجمعية وتعيين الجنسية
او جنس السفهاء الذين جرى ذكرهم من الناس الكاملين او احد الاخيرين لان جنس السفيه
اعم من ذلك بحسب دلالة اللفظ وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد واعتقادهم
الباطل لانهم عند المنافقين ضلال في السفه واعرق الناس فيه وانما سفهوهم واستركوا
عقلهم مع انهم العقلاء المراجيح لاعتقادهم فساد رأيهم وان ما هم فيه هو الحق
وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها او لتحقير شأنهم فان المنافقين كانوا
في رياسة وسطة في قومهم ويسار واكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال رضي الله عنهما
او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم كعبد الله بن سلام واشياعه توقيا من الشماتة بهم
مع علمهم انهم بمعزل والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيها نقصان العقل والحلم
يقابله فان السفه واخواته من النفس والحلم واخواته من الروح عن وهب بن منبه
انه وجد في التورية في صفة آدم عليه السلام ان الله تعالى قال جعلت فيه نفسا وروحا
فمن النفس حرارته ومن الروح برودته فمن النفس حزنه وخفته وشهوته ولهوه وضحكه
وسفهه ومن الروح حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وفقهه وكرمه وصدقه
ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون اعلم ان من ضمر القطع للموجب قوله الا انهم هم
السفهاء لم يعطف لمانع من العطف وذلك لانه لو عطف لعطف اما على جملة انما نحن مصلحون
واما على جملة قالوا وكلاهما لا يصح لانه لو عطف عليهما لكان من مقول المنافقين وليس منه
وكذلك قوله تعالى الا انهم هم المفسدون فيما تقدم وقوله الله يستهزئ بهم فيما تأخر فانه لو عطف
على انا معكم او على انما نحن مستهزئون لكان من مقولهم وليس منه ولو عطف على قالوا لشاركه
في الاختصاص بالظرف المتقدم واعترض عليه بانه يجوز ان يكون المقطوع في المواضع الثلثة
معطوفا على الجملة المصدرة بالظرف سواء سميت جملة شرطية او فعلية مقيدة بظرف مثل
خرجت يوم الجمعة ودخلت يوم السبت لان اذا الشرطية ليست الا ظرفية استعملت
استعمال الشرط وما قيل من انه ليس في الكلام عطف غير الشرطية على الشرطية فظاهر الفساد بدليل
عطف ولا يستقدمون على مجموع اذا مع الجزاء لا على الجزاء اذ لا معنى لقولك اذا جاء اجلهم لا يستقدمون
وكذا يجوز العكس اي عطف الشرطية على غيرها فان قوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر عطف على وقالوا
لولا انزل عليه ملك بل وفي هذه الآيات الشرطيات المصدرة بالواو عطف على كانوا يكذبون
في قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون او على يقول آمنا كما مر تقريره وبهذا يمكن دفع ما اورد من

الاعتراض

نظمه ان لا وجه لعطف الا انهم هم المفسدون والا انهم هم السفهاء والله يستهزئ بهم على كانوا
يكذبون فلذا ان يحمل ترك العطف في الآيات الثلث على الاستيناف فنقول ترك العطف
في الا انهم هم المفسدون للاستيناف ليطابق مقتضى الحال فان ادعاءهم الاصلاح لانفسهم
مع توغلهم في الافساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده الا انهم هم المفسدون
بدون الواو هو المطابق كما ترى وكذلك الا انهم هم السفهاء للاستيناف ايضا ليطابق مقتضى
الحال بعين ما تقدم وكذا ترك العطف في الله يستهزئ بهم على الاستيناف من حيث ان حكاية حال
المنافقين فيما تقدم لما كانت تشوق السامع وتحركه ان يسأل ما مصير امرهم وعقبى حالهم
وكيف معاملة الله اياهم لم يكن من البلاغة ان يعرى الكلام عن الجواب فلزم المصير الى الاستيناف
ومنه قول الشاعر زعم العواذل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي فانه لما ابدى الشكاية
عن جماعات العذال بقوله زعم العواذل انني في غمرة كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل اصدقوا في ذلك
ام كذبوا فصار هذا السؤال مقتضى الحال فبنى عليه تاركا للعطف عليها ايراد الجواب عقيب
السؤال ومثل قول جندب زعم العواذل ان ناقة جندب بجنوب خبت عريت واجمت
كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت ففصل كذب العواذل
فلم يعطفه لتعين السؤال اقتضاء الحال عند حكاية قول النساء العاذلات بقوله زعم العواذل ان ناقة جماعات
جندب وهو اكذب العواذل ام صدقوا فانما فصلت هذه الآية بلا يعلمون وما التي قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين وان المؤمنين على الحق وهم على الباطل
مما يفتقر الى نظر وتفكر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من الفتن و
الفساد فانما يدرك بادنى تأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا** بيان لما يستعمل مع المؤمنين والكفار وذلك ان المنافقين اذا لقيهم
المؤمنون تكذيبا لهم واستهزاء بهم ولقيتهم بوجوه المصادقين واوهموهم انهم معهم واذا
فارقوهم الى شطارهم وخلفاء دينهم صدقوهم ما في ضمائرهم روى ان ابن ابي واصحابه استقبلهم
نفر من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم
فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت
وتقول التقية ولا تفشوا اي سنفعله واعلم ان مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول
قصة المنافقين فليس بتكرير فقد بين تكراره نظرا الى مجرد الشرطية اعني اذا قالوا الذين
لكن يظهر لنا تأمل ان واذا خلوا الى شياطينهم قالوا عطف عليها حتى انهما بمنزلة كلام واحد سوقهما

قصة واحدة وليست بشرطية مستقلة معطوفة على ما سبق مسوقة سوق الشرطيتين السابقتين واذا
قيل لهم لا تفسدوا واذا قيل لهم آمنوا وقرأ ابو حنيفة واذا لاقوا ونسبها صاحب غرائب القرآن الى
ابن السميفع ويحيى بن يعمر وزيد بن علي وابن عمير وهو من الملاقاة ومنه قوله ملاقوا ربهم
الان يحيى بكسر الواو فيقرأ لاقوا الذين آمنوا وذلك مذهبه في الواو الساكنة اذا استقبلها ساكن
وإذا خلوا الى شياطينهم اذا هنا ظرفية قدمت على عاملها وهو قالوا لقصد الاختصاص
فيلزم ان يكون قولهم انا معكم مختصا بحال خلوهم الى شياطينهم وخلوا من خلوت بفلان واليه
اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الماضية او من خلوت به
اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به وعدي بالى لتضمين
معنى الانهاء والمعنى اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما في احمد اليك
فلانا اي انهي حمده اليك وهذا بيان المعنى واما التقدير فسخروا منهين اليهم واحمد منهيا اليك على
ما هو قاعدة العربية فان حقيقة التضمين يرجع الى ان يكون الفعل في معناه الحقيقي مع حذف
حال ماخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية وقيل التضمين ان يراد بالفعل معناه
الاصلي مع فعل آخر بحيث يقع احدهما قيدا للآخر يعني سواء كان الفعل المذكور في معناه الحقيقي
والمتروك قيد له كالمثال السابق وكقولك يقلب كفيه على كذا اي يقلب كفيه نادما على كذا او بالعكس
كقوله تعالى يؤمنون بالغيب اي يعترفون به مؤمنين بناء على ان تعدية الايمان بالباء لتضمينه
معنى اقر واعترف كما مر وقد جعل ههنا الفعل المذكور قيدا للمتروك وحالا عنه كما ترى وقد يقال
ان ذكر صلة المتروك يدل على زيادة القصد اليه فيجعل اصلا والمذكور فيجعل حالا وتبعا او يجاب
بان ذكر صلته دلالة على اعتباره في الجملة لا على زيادة القصد اليه اذ لا دلالة بدونه فتعين
جعل الاصل اصلا والتبع حالا واما ما ذكرنا فيدل على انه يجعل كذلك تارة وبالعكس اخرى
كما هو الصحيح وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم هي
للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية
من شطن اذا بعد لبعده من الحق والخير بدليل قولهم تشيطن واخرى زائدة من شاط اذا بطل
ومن اسمائه الباطل **قالوا انا معكم** اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين
بالجملة الفعلية كلام مع المنكر بدون التاكيد وشياطينهم بالاسمية محققة بان كلام مع غير المنكر
وقانون البلاغة يقتضي عكس ذلك والجواب انهم قصدوا بالاولى دعوى حدوث الايمان
وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه وايضا ترك التاكيد كما يكون لعدم الانكار فكذا يكون
لعدم الباعث من جهة المتكلم ولعدم الرواج والقبول من جهة السامع وهكذا التاكيد كما يكون لازالة
الشك ونفي الانكار فكذا يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم ونيل الرواج والقبول
من السامع الا يرى الى الحكايات الله قول المؤمنين ربنا انا آمنا لما لم يكن لهم باعث من عقيدة

وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا طمع رواج ادعائهم الكمال في الايمان عليهم علما منهم
انه لا يروج عنهم لو قالوا على لفظ التاكيد والمبالغة وكيف يطمعون فيه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل بخلاف ما خاطبوا به الكفار رجاء آمنا بالجملة
الفعلية بدون التاكيد وانا معكم بالاسمية وحرف التاكيد **إنما نحن مستهزئون**
تاكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون نفي ورد
للاسلام ونفي نقيض الشيء تاكيد لثباته وذلك لان الاستهزاء بالاسلام والاستخفاف به اثبات
وقبول للكفر واصرار عليه وقيل لما كان المراد بانا معكم هنا انا معكم قلوبا وكان معناه انا
نوهم اصحاب محمد الايمان وقع قوله انما نحن مستهزئون تقريرا وتاكيدا لذلك او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر ثم الاشبه ان يجعل بمنزلة بدل الكل والاحسن ان نحمله على الاستيناف
لانصباب انا معكم وهو قول المنافقين لشياطينهم الى ان يقولوا لهم فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون
المؤمنين فاجابوا بقولهم انما نحن مستهزئون وانما كان احسن من البدل لان علماء البيان لا يقولونه
في الجملة التي لا محل لها ويعنون بما لا محل له ما لا يكون خبرا او صفة او حالا وان كان في موقع المفعول
للقول والظهور بمظنة السؤال والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الخفة من الهزء وهو القتل
السريع يقال هزء فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزء به اي تسرع وتخف وقرأ ابو جعفر وشيبة
والشموري والاعمش مستهزون بغير همزة ولا ياء ومثله الخاطون والصابون ومتكون وماكون
وما ضاهاها وعن نافع عن مسلم بن جندب انه قرأ مستهزيون والخاطيون بالياء المضمومة وحذفها
قال ابو حاتم ترك الهمزة لغة رديئة لا يفصل العرب واما اثبات الياء فهي لغة معروفة على تخفيف الهمزة
الله يستهزئ بهم ومعنى استهزاء الله بهم انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ
غرضه الذي يرميه هو الخفة والزراية بمن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه فيكون مجازا
عما هو بمنزلة الغاية للاستهزاء فيكون من اطلاق المسبب على السبب نظرا الى النفس وبالعكس
نظرا الى الوجود او المراد بالاستهزاء ههنا المعاملة الشبيهة به فان صورة صنعهم مع الله والمؤمنين
حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الساخرين وصورة صنيع الله معهم
حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل
صورة صنع المستهزئ والساخر فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم فيكون استعارة
تمثيلية حيث اطلق الاستهزاء على تشبيه صورته بصورة الاستهزاء وقيل سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة المعنوية بالمقابلة او لكونه مماثلا له في القدر فيكون
مشاكلة وتسمية جزاء الشيء باسمه وهي كثيرة في الكلام الا انه مشكل من جهة المعنى وانما لم يعطف
الله يستهزئ بهم على قالوا لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله واذا خلوا
الى شياطينهم فان استهزاء الله بهم ان خذلهم وخلاهم وما سولت لهم انفسهم مستدرجا اياهم

وهو

من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال سواء خلوا الى شياطينهم اولا وانما لم يعطف
على انا معكم لاستلزامه ان يكون من مقول المنافقين وليس منه وقيل انما فصل عما قبله لكونه
استينافا فانه في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله لا يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي يضمحل
استهزاؤهم في جنبه لصدوره عمن يضمحل في جنب علمه وقدرته علمهم وقدرتهم ان الله تعالى
يتولى مجازاتهم ويكفي مؤونة المؤمنين انتقاما لهم ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين باستهزاء
مثله الذي هو مجرد سخرية واستخفاف وفيه تعظيم لشان المؤمنين وتنبيه اشعار بالحصر المستفاد
من بناء الفعل على المبتدا وبمعنى ان الله المستهزئ بهم لا المؤمنون ومعنى الحصر ههنا ان الله تعالى هو الذي
يتولى الاستهزاء بهم بالمعنى الذي يليق به ولا يتولاه المؤمنون بالمعنى الذي يليق بهم وعاقل استهزاء
المنافقين فيما ذكرناه دلالة على هذا وانما قال الله يستهزئ بهم بالمضارع دون اسم الفاعل قصدا
الى استمرار الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله في المنافقين وبلاياه
النازلة بهم تتجدد وقتا فوقتا وتحدث حالا فحالا او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
وما قد يسبق الى بعض الخواطر من ان هذا المعنى مستفاد من تقديم المسند اليه حتى يحصل التجدد من
الفعل والاستمرار من كون الجملة الاسمية فلا مترجح عليه الا يرى ان في قوله وويل لهم مما يكسبون
وقوله لو يطيعكم في كثير وغير ذلك قد دل المضارع على التجدد والاستمرار من غير تقديم المسند
اليه وينبغي ان يعلم ان هذا غير ما يستفاد من الجملة الاسمية فانه ثبات واستقرار لا استمرار بمعنى
الحدوث حالا فحالا ومرة بعد اخرى **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومنه مددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر والدليل على انه من المد بمعنى الامداد
واعطاء المدد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد بمعنى عطاء
المدد وليس من المد في العمر والله تعالى لا يمد في شيء ولان المد في العمر يعدى باللام كاملي لهم لا بنفسه فلا يقال
مده بل مد له والحذف خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل ولما تعذر على المعتزلة اجراء الكلام
على ظاهره باعتبار ان لا يعني اعطاء المدد ما كان في القبائح والشرور كالطغيان لم يصح اسناده الى
الله تعالى تاولوا وجوها الاول ان المراد باعطاء الله اياهم مددا في الطغيان ما تزايد من الرين
والظلمة في قلوبهم بسبب منع الالطاف وخذلانه اياهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه فسمى ذلك
ما به التزايد مددا واسند اعطاؤه الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بسبب كفرهم اسناد الفعل الى
السبب البعيد الثاني المراد بالمد في الطغيان منع القسر والالجاء الى الايمان وهو فعل الله حقيقة الثالث
انه على حقيقته لكن اسند اليه تعالى وان كان فعل الشيطان لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه
وبين اغواء عباده فالمجاز على الوجه الاول في المسند والاسناد جميعا وعلى الثاني في المسند خاصة
وعلى الثالث في الاسناد خاصة ويؤيد ما قيل وهو انه من مد الجيش وامده بالمعنى الذي ذكر تفسير الحسن

يمدهم بقوله في ضلالتهم يتمادون وكون هو لاعتبر طبع الله على قلوبهم لان التمادي في الضلال
والطبع على القلوب يناسب تزايد الظلمة والضلال لا امتداد العمر والامهال وانما التجأ بعض المفسرين
الى تفسير المد في الطغيان بالامهال خوفا لاقدام على ان يسند الى الله سبحانه ما اسند الى الشيطان ولكن
المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان نسبة المعنى من اللفظ بمنزلة الاروى من
النعام ومن حق المفسر ان يتعهد اوضاع اللغة ليسبق نظم القران على حسنه وبلاغته على كمالها
والا فمن تعهدهما على مراحل ولا يخفى ما في كلامهم من التعريض باهل السنة والطغيان بالضم
والكسر كلقيان ولقيان ضماه كسرا الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وفي اضافته اليهم اشارة
الى ان الطغيان مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم تحقيقا ان يضاف اليهم ويختص بهم لا الى الله
اذ الاصل ان ينسب الفعل الى من قام به لا الى من خلقه واوجده سيما المعاصي فانها انما تضاف
الى من قامت به واتصف بها والله تعالى خالق لا فاعل لا محل لها فالطغيان الذي يتمادون فيه
فعلهم بطريق المحلية والاتصاف كسبا بالاتصاف وليس في هذه الاضافة دلالة على انه بايجاد العبد
لا بايجاد الله تعالى وارادته والعمه مثل العمى لكن العمى في البصر والعمه في البصيرة وهو شدة
التحير في الامر بحيث لا يدري اين يتوجه يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها ومنه قوله
بالجاهلين العمه اي الذين لا دراية لهم بامر الطرق لدروس الاعلام وعدم المنار بها **اولئك الذين**
اشتروا الضلالة بالهدى استعير الاشتراء للاختيار والاستبدال ثم قفي بالربح
والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء والمعنى اختاروا الضلالة على الهدى واستبدلوها
به فان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا والمسلم الذي اشترى النصرانية بالاسلام جبلة
ابن الايهم من ملوك غسان وقصته انه كان نصرانيا واسلم في عهد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه وجاء الى
مكة في احسن زي وكان يطوف بالكعبة فوطئ ثوبه رجل من بني فزارة فلطمه جبلة لطمة هشم
بها انفه وكسر ثناياه فشكى الفزاري الى عمر فحكم اما العفو واما القصاص فقال جبلة أينقص
مني وانا ملك وهو سوقة فاجتهد غاية الاجتهاد فلما عجز سال التاخير الى غد فلما كان من الليل ركب
في بنيه ولحق بالشام مرتدا وتنصر ثم ندم عليها فعلى وقال في ذلك تنصرت بعد الحق عارا للطمة
ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر وادركني فيها لجاج حمية فبعت لها العين الصحيحة بالعور فيا ليت امي لم تلدني وليتني
صبرت على القول الذي قال لي عمر وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين
وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بالاخرة ويحتمل تمكينهم من الهدى ما اعطوه لهم معا للتكليف
به بمنزلة تملكهم اياه فتجوز في نفس الهدى حيث اريد به التمكن منه او في نسبته اليهم حيث
اشعر بثبوته بتمكينهم منه واذا اريد الهدى المحصل لهم بالفطرة فلا مجاز اصلا او هو في الهدى
فقط ان كان وقرا يحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق اشتروا الضلالة بكسر الواو [illegible]

ولا تنسوا الفضل وجعلوا ذلك مذهبا في الواو الساكنة التي بعدها ساكن قال ابو حاتم هي لغة غير فاشية
وقال غيره يكون على ان بنية هذه الواو السكون وقرا ابو السمال كلها بفتح الواو اتباعا للحركة
ما قبلها ونحو يكالها باخف الحركات **فما ربحت تجارتهم** والربح الفضل على راس المال
ولذا لا يسمى شفا والتجارة طلب الربح بالبيع والشرا وعدم الربح ههنا مجاز عن الخسران كانه قيل خسرت
تجارتهم وهذا بناء على ان التجارة فاعل فعل مثبت متضمن حرف النفي فهو كقولك ما نام ليلك اي سهر
وما صام نهاره اي فطر وتحقيقه انه اعتبر نفي الفعل اولا ثم اسند لا العكس فانه لو اسند الفعل ثم نفي
لم يكن من المجاز في قولك ما نام الليل وما صام النهار قصدا الى نفي النوم عن الليل والصوم عن النهار نسخ
والحاصل انه لو اعتبر نفي الفعل ثم اسند فمجاز فلو اعتبر اسناد الفعل ثم نفي فحقيقة فاسناد الخسران الى التجارة
وهو لازم بانهما من الاسناد الى السبب لكونها سببا للربح والخسران وقيل ذلك لملابستها بالفاعل فان التجارة
ملابسة للتاجر فاسند فعله الى ملابسه بطريق المجاز فان قيل فعلى هذا ينبغي ان يصح ربح عبدك
وخسرت جاريتك مجازا لكونه متلبسا بالبايع وقد ذكر على الربعي وهو من اكابر ائمة النحو انه لا يصح
اجيب بانه يصح اذا دلت الحال وقامت القرينة على ان العبد والجارية راس المال ولكن الشرط في صحة
سائر المجازات نحو رايت اسدا وانبت الربيع المقدام فانه لا يشترط السماع في افراد المجاز وان لم تقم
قرينة دالة لم يصح واذ قد عرفت ان ذكر الربح والتجارة بعد استعارة الاشتراء للاستبدال تفصيل الترشيح
ترشيح فاعلم ان معناه عند علماء البيان ان يقرن بالمجاز صفة او تفريع كلام يلائم المعنى
الحقيقي واكثر ما يكون في الاستعارة نحو جاوزت بحرا متلاطما امواجه وقد يكون في المجاز المرسل
كقولهم له اليد الطولى اي القدرة الكاملة وانه انما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة في التصريحية
وبالتخييل في المكنية وانه قد يكون مجازا عن شيء كالوكر والتعشيش في الابيات الآتية يجيء هنا وقد لا
يكون كالخطل والحبل التوام وتلاطم الامواج وقد اجتمعا في قوله فلما رايت النسر عز ابن داية * وعشش
في وكريه جاش له صدري * فانه لما استعار النسر للشيب وابن داية وهو الغراب للشعر الفاحم اتبعه
ذكر التعشيش والوكر وهو ترشيح عز غلب جاش اضطرب والوكران مجاز عن اللحية والراس او عن
الفودين اي جانبي الراس والتعشيش عن الحلول والنزول وقد علم من هذا ان الترشيح قد يكون
مجازا ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين * وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام * اذا الشيطان قصع
في قفاها * تنفقناه بالحبل التوام * اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل
المثنى المحكم يعني اذا جرمت واساءت الخلق وغضبت اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها
استعار التقصيع اولا ثم ... التنفق ثم الحبل التوام ومنه قولهم جاء رجل كان اذن في قلبه خطلا وان
قصد التجعل كالعمار واثبات الاذن والخطل ترشيح ويحتمل ان يكون القلب استعارة بالكناية والاذن اذنان
استعارة تخييلية والخطل ترشيحا يقال اذن خطلاء اي مسترخية طويلة ومما يجب التنبه
له ان الاوصاف الملائمة قد يكون بطريق الجزم وقد يكون بطريق الظن والادعاء والتشبيه وقد ابت

ابن اي حمله تجاراتهم **وما كانوا مهتدين** هذا ايضاح يرجع الترشيح فانهم لما اضاعوا راس المال الذي
هو الهدى حيث اخذوا الضلالة التي هي عدم ما اعتقدوه واعتقدت بذلك بلاية من عدم اتصالهم
باصابة الربح وعدم اهتدائهم لطرق التجارة فبقوا خاسرين ضالين فاقدين للاصل فقد علمت بهذا
وجه الجمع بين العدمين بالواو وترتيبهما على اشتراء الضلالة بالهدى وان هذا ليس بتكرار كما يسبق
الى بعض الاوهام وايضا هو تحقيق وكشف بحيث يتجلى به حقيقة صفتهم فان الضلالة تجعل صاحبها
كمن يتخبط في الظلام ولا يهتدي الى الطريق ولا ينفصل الشيء من غيره فلا يزال بين سقوط على الوجه
وبين وقوع في مهلكة والهدى بعكس ذلك على ما سبق في تحقيقه **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما
جاء بحقيقة صفتهم عقب على اثرها بضرب المثل قصدا به زيادة الايضاح والتقرير فانه اوقع في القلب
واقمع للخصم الالد فانه يريك خبيات المعاني ابدانا ويكشف القناع عن وجوه الحقايق كلها بحيث
يريك المتخيل محققا والمتوهم متيقنا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء
عليهم السلام والحكما قال الله عز من قائل وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن
الانجيل سورة تسمى سورة الامثال فالامثال مصابيح الاقوال يهتدي بها المعتمد والمثل في الاصل كلامهم
بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده
والمراد بالمورد الحالة التي ورد فيها الكلام وبالمضرب الحالة المشبهة بها قال المبرد المثل ماخوذ من
المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول وهذا معنى قولهم التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله
على سبيل الاستعارة سمي مثلا ولكون المثل تمثيلا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا تغير الامثال
عن لفظها الذي ورد في الاصل تذكيرا او تانيثا افرادا وغير ذلك لان الاستعارة استعمال اللفظ
المشبه به في المشبه فلو غير لفظ المثل عما ورد عليه لم يكن لفظ المشبه به بعينه فلا يكون استعارة
فلا يكون مثلا فقولهم لو ذات سوار لطمتني لا يغير عن طريق التانيث وان استعمل في حق المذكر
وكذا اذا طلب رجل شيئا ضيعه قبل ذلك يقول له بالصيف ضيعت اللبن بكسر التاء في الخطاب
لان المثل قد روي كذلك في امراة والحاصل ان المحافظة على الامثال وعدم تغييرها من جهة
ان المثل استعارة فيجب ان يكون هو اللفظ الدال على المشبه به ولا يغير من حال المورد المشبه به
لحال المضرب المشبه ليصح انه استعارة وهذا لا ينافي ما قيل من ان ذلك من جهة اشتماله على غرابة
من بعض الوجوه ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان
عجيب ونوع غرابة كقوله عز وعلا مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اي حال المنافقين وقصتهم العجيبة
الشان كحال الجنس او الفوج الذي استوقد نارا عظيما اي طلب وقودها وسعى في تحصيلها وقوله
النار سطوعها وارتفاع لهبها وفيه من التصنيع اي قد بان او كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفة العجيبة
وكقوله مثلهم في التوراة والانجيل اي صفتهم وشانهم المتعجب منه وكذا مثل الجنة التي وعد المتقون
اي فيما قصصنا عليكم من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولما في المثل من معنى الغرابة

قالوا فلان مثلة مستعملين هذا اللفظ في الخير والشر ومعناه العجيب الشأن والذي بمعنى الذين كقوله وخضتم
كالذي خاضوا وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لوجوه الاول ان اللام وان
كان اسما موصولا كالذي لكنه في صورة حرف التعريف حتى ذهب بعضهم الى انه حرف أجري مجراه
في وجوب مطابقة الصفة بعده للموصوف به وليس كذلك الذي مجازا فرادا لضمير في صلته نظرا الى
ظاهر اللفظ الثاني انه جعل ذلك على طريق الحذف والتخفيف فان الذي لكونه وصلة الى وصف المعرفة
والتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتعريف ولاستحقاقه التخفيف جرى هذا
النوع من التخفيف في صيغة جمعه ولم يجر في جميع الصفات ومن ثم تصرفوا بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم انتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين حيث قالوا اللذِ
بكسر الذال واللذْ بسكونه والضارب بحذف ما سوى اللام الثالث انه نص جنس المستوقدين
فلا يختص بالواحد ليلزم المحذور الرابع انه جعل موصوفه لفظا مفردا دالا على معنى الجماعة كالجمع
والفوج قال الجوهري الذي اصله لذي فادخل عليه الالف واللام ولا يجوز ان ينزعا منه للتنكير
وفيه لغات الذي والذِ بكسر الذال واللذْ باسكانها والذيّ بتشديد الياء وكثير من المحققين على
ان الذي بكماله اسم موضوع معرفة وبعضهم على ان الموصول هو لذي واللام مزيدة لتحسين اللفظ حتى
لا يكون الموصوف به لمعرفة توصف بالنكرة وجعلت لازمة لانها لو دخلت تارة ونزعت اخرى لا
لأوهم انها للتعريف ثم الجمهور على ان اللام التي هي من الموصولات ليست منقوصة الذي بل اسم موضوع
برأسه التزم دخوله الاسم لكونه في صورة حرف التعريف وظهر اعرابه في ذلك الاسم فهو اسم في صورة
الحرف وصلته فعل في صورة الاسم والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق وفي قوله فلما اضاءت ما حوله
دلالة ظاهرة على ان النار من قبيل المضيء لذاته كالشمس وما سوى القمر من الكواكب فانها مستضيئة لذواتها
غير مستفيدة ضوءها من مضيء آخر والقائم بالمضيء لذاته هو الضوء والقائم بالمضيء لغيره نور كالقمر
ووجه الارض المستضيء بضوء الشمس قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فانه اذا
قوبل الضوء بالنور اريد بهما هذان المعنيان وفيه تنبيه على انهما من الاعراض لا الاجسام على ما زعم بعضهم
هذا على اصطلاح المتكلمين وقال الامام الغزالي رحمه الله ربما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس
والقمر والسراج والنيران المشتعلة ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الاجسام على ظواهر الاجسام الكثيفة
فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق
على نفس هذه الاجسام المشرقة لانها ايضا في انفسها مستنيرة هذا كلامه واما عند علماء العربية فالنور ضوء
كل نيّر حتى انهم قالوا اطلاق النور على الضوء من اطلاق الاعم على الاخص لصدق النور على النور الكامل
فان قلت هب انهما من الاعراض ومحلهما النيّر لكن الانتقال عليهما محال فما معنى قولهم ان في النور
حركة واضطرابا كما في النار قلت معنى حركة العرض حركته بتبعية المحل من حيز الى آخر فانه اذا
تحرك الجسم تحرك ما فيه من الاعراض وليس ذلك من الانتقال المستحيل في شيء وزعم قوم ان النور جسم

الربع

لانه متحرك بحركة المنير كما في الشمس والمرآة والحركة من خواص الجسم ورد بان مقابلة المنير تكيف بكيفية النور
لا انه ينتقل النور من الموضع الاول الى الموضع الثاني وقيل الضوء اجسام صغار تنفصل عن المضيء
وتتصل بالمستضيء ورد بوجهين الاول انها لو كانت غير محسوسة بالبصر لا يكون الضوء محسوسا
به والضرورة تكذبه او محسوسة فسترها ما تحتها فيكون الاكثر ضوءا اكثر استتارا للشاهد مع ان
ما هو اكثر ضوءا يكون اكثر ظهورا وفيه نظر فان ذلك ان كان للاجسام الملونة فانها تستر ما وراءها
لعدم نفوذ شعاع البصر فيها لا كان للاجسام الشفافة التي ينفذ البصر فيها ويحصل بها ما وراءها
فان الصفحة البلور والزجاج الشفاف يزيد ما خلفها ظهورا ولذلك يستعين بها الطاعنون في
السن على قراءة الخطوط الدقيقة الثاني لو كان الضوء جسما لكان حركته بالطبع فكانت حركته
الطبيعية الى جهة واحدة فلم يقع الضوء من كل جهة والتالي باطل لان الضوء يقع على الاجسام
من جهات متعددة مختلفة ومما يقرب عدم كونه جسما ان النور اذا دخل البيت من الكوة
ثم سددناها دفعة واحدة فانه لا يخرج من البيت لا قبل السد ولا بعده ولا ينعدم ذاته بل
كيفيته التي كانت مبصرة وهو مرادنا وايضا فالشمس اذا طلعت من الافق استنارت الدنيا في اللحظة
وحركته لا يعقل في تلك اللحظة اللطيفة اي حركة النور الفائض على الدنيا من الفلك الرابع واما
اشتقاق النار فمن نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها لما بينهما من المناسبة
وهي ان الحركة والاضطراب يظهر في النار اولا وبالذات وفي النور ثانيا وبالعرض **فلما اضاءت**
ما حوله ولما ظرف بمعنى اذ يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماض لفظا او معنى وهو الثبوت
الثاني لثبوت الاول واضاءت لازم لانه بمعنى صار ذا ضوء ومتعديا بمعنى جعل مضيئا فعلى الاول ما حوله
ظرف لغو لاضاءت بزيادة ما او ظرف وقع موقع الصلة بكون ما موصولة في معنى الامكنة والموصولة مع
صلته مفعول فيه وضمير اضاءت للنار وما حوله اي اضاءت الاماكن التي حول المستوقد وعلى الثاني ما حوله
مفعول به وضمير اضاءت للنار اي جعلت النار مضيئا فان قيل يرد على الظرفية ان النار لا توجد فيما حول المستوقد
فكيف تشرق فيه ومذكرات معنى الاية على تقدير الظرفية اضاءت النار فيما حوله لكن اضاءت النار فيما حوله انما يكون
لو وجدت النار فيما حوله وليس كذلك اجيب بان النار وان لم توجد فيما حوله لكن ضوء النار موجود حوله فجعل
اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها اسنادا للفعل الى السبب كما يقال بنى الامير المدينة فان الكاتب
لاشراق ضوء ما حول المستوقد كما ان الامير سبب لبناء المدينة ويرد على الاخير خاصة انه لا بد من اظهار في لانهم
انما جوزوا حذفها من لفظ مكان حملا له على الظروف المكانية المبهمة لكثرة استعماله وكذا المحصول المعنى
هو المكان بل هو قبيل حرف الحاجة ان يكون من قبيل قول الطريق الثعلب وقالوا يحبون تحول العدوان و
الطاقة وقيل العام حوله لانه يدور وحال الانسان حول رضي التي يدور ويعتري عليها الحال الى الشيء و
اشتغاله اي تغيره وحال الرعد انقلب حال وتحول الى المكان آخر تحول وقرأ ابن ابي عبلة فلما اضاءت
وكما اضاءت لهم **ذهب الله بنورهم** واعلم ان الظاهر نظرا الى المعنى ان هذا جواب لما بالنظر

الى اللفظ استيناف لاختلاف الضمير في حوله وبنورهم ولكون الانسب ح ذهب الله بضوءهم
وايضا اشتراك حال المنافقين في المعاينة التي عبرت في حال المستوقد يجب ليس بظاهر كانهم لما شبهت
حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد
فقيل له ذهب الله بنورهم او بدله من جملة التمثيل على سبيل البيان وجواب لما على هذين الوجهين محذوف
اي خمدت النار وكان من حالهم ما كان وتركهم في ظلمات فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوات
الضوء خائبين ونحو ذلك مما لا يحيط به الوصف وحذف الجواب اولى من الاثبات لوجوه الاول
ان جملة ذهب الله لا يصلح لذلك ظاهرا لما بينهما من الموانع المفتقرة الى التاويل والصرف عن الظاهر الثاني
ان في الحذف وجازة ونوعا تقليلا بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى الثالث ان الحذف يعرب عن صفة المستوقد
وعن حاله بما هو مبالغة فيه من جهة الاشارة الى انه بحيث لا يحيط به العبارة كقوله تعالى حتى اذا جاءوها
وفتحت ابوابها حذف جواب اذا لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على شيء لا يحيط به الوصف
واما تقدير الجواب بما قدر فليس المراد ان الجواب مقتصر عليه وانما الغرض منه التنبيه على جنسه واذا كان الحذف
ابلغ كانت المبالغة في المشبه المستلزمة للمبالغة في المشبه اكثر وكان هذا التمثيل بالتمثيل الاتي وفق لما فيه من المبالغة
سيما في الاستيناف المذكور من حيث المعنى اذا جرى ذلك فتحصل غاية المبالغة والموافقة وميل صاحب المفتاح الى
ان ذهب الله بنورهم جواب لما والاولى دخوله في التمثيل لما جعلها شيئا واحدا وقال وجه تشبيه المنافقين بالمستوقدين
الذين شبهوا بهم في الاية هو رفع الطمع الى تسني المطلوب وتسهله بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان
والخيبة بسبب انقلاب الاسباب الى ما يوجب عدم حصوله كاذهاب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لكون البدل
اوفق بتادية المقصود الذي هو بيان حالهم وتشبيههم بحال المستوقد لدلالته على اعتبار اوصاف في جانبهم مثل ما
اعتبرت في جانب المستوقد لان قوله وتركهم في ظلمات الى قوله لا يرجعون من جملة هذا البيان وقول ذهب الله
بنورهم وتركهم في معنى كان لهم نور فزال وبقوا متحيرين خائبين واسناد الاذهاب الى الله تعالى حقيقة لان
الكل بخلقه ويحتمل ان يكون من الاسناد الى السبب فان اطفاء النار بسبب خفي او امر سماوي ريح او مطر فتقاطعوا
اثر وذهب بنور المستوقد اذ هو السبب في الريح والمطر وقرأ اليماني اذهب الله نورهم ومعنى اذهبه ازاله
وجعله ذاهبا وكان الثلاثي اولى من المزيد لما فيه من المبالغة يقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به وذهب
السلطان بماله اخذه فما ذهب به ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم فامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له
فهو ابلغ من الاذهاب لما فيه من الاخذ والامساك وانما قال بنورهم ولم يقل بضوءهم مع انه مقتضى اللفظ
لان ذكر النور ابلغ فان صدق النور على النور الكامل على ما قيل صدق الاعم على الاخص ونفيه لا يستلزم نفي الاخص
بخلاف العكس فلو قيل ذهب الله بضوءهم لاحتمل الاذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا وليس بمراد وانما
الغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا يرى كيف وضح ذلك بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها واتبعها ما يدل على انها ظلمة خالصة
لا يتراءى فيها شبحان وهو لا يبصرون فان قيل هذا قليل اذا رئيت من حوله ولم وصف النار مع ضعفها وسرعة خمودها

بالاضاءة التي هي ابلغ من الانارة اجيب بان هذا على طريقة قولهم للباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة
عصفة ثم تخفت يعني تظهر بشدة وتضمحل بسرعة واهل الحق على تخطيهم وتحريهم وخفية رجاءهم ونار العرفج
مثل لنزوة كل طماح والعرفج شوك تنبت في السهل والنزوة الطفرة والوثبة وفي الصحاح رجل طماح شره
ففي قوله فلما اضاءت دلالة على فرط تلمس تلك النار لان الاضاءة فرط الانارة وفي قوله ذهب الله بنورهم وتركهم
على انطفائها بسرعة خمودها كنار العرفج فانها تشتعل وتظهر بشدة ثم تخمد بسرعة اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اي من غير توقف **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** وترك لا يعني متعلقا بواحد بمعنى طرح
وخلى كقولهم تركه ترك ظبي ظله وفي ظلمات لا يبصرون حالين مترادفين او متداخلين واذا علق بالشيئين
كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقوله فتركه جزر السباع ينشنه ما لاشبه ان الاية من هذا لان
الاصل هم في ظلمات ثم دخل ترك منصب الجزءين ولا يبصرون حال او استيناف او مفعول آخر بمنزلة الخبر
بعد الخبر واختلف في الظلمة بوجود او عدم وتعريفها المحققون على انها امر عدمي ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي
عدم الضوء عما من شانه ان يكون مضيئا وقيل هي عدم النور عما من شانه فعلى القولين بين النور والظلمة تقابل
الملكة والعدم وقيل عرض ينافي النور فبينهما تقابل التضاد وقيل هي عدم النور والراجح عدم النور مطلقا
الظلامة فكان بينهما تقابل الايجاب والسلب والدليل على كونها عدمية رؤية الجالس في الغار المظلم الخارج عنه
ولا عكس وليس ذلك الا لان ليس الظلام امرا حقيقيا قائما بالهواء مانعا من الابصار اذ لو كان كذلك لمنع ابراهيما
الآخر اصلا او الوجودية العاقل من العدمية بينهما متحقق انها عدم النور وعدم الضوء واشتقاقها من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وتنكيرها للتهويل والتكثير اي ظلمات هائلة متكثرة
وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد ومفعوله لا يبصرون من قبيل المطرح المتروك
كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فانه غير متعد في اصله يكون تركهم في ظلمات لا يبصرون بمنزلة ويتركهم في طغيانهم
يعمهون لفظا ومعنى فان قلت اي تناسب بين جانبي الجملتين حتى يتوسط بينهما العاطف قلت فيه وجوه
الاول ان النور امر وجودي والظلمة امر عدمي فبينهما تناسب من حيث التقابل الثاني ان النور والظلمة لا يتناولان
متكررات في جنسين كالارض والسماء كقوله وجعل الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل
الثالث ان ترك الله اياهم في الظلمات من جنس ... لان الله اياهم فهو مناسب لذهابه بنورهم الرابع ان
الجملتين قعودود تناسب وصاف في جانب واحد مثل ما اعترف في جانب آخر على ما مر من ان ذهب الله بنورهم
وتركهم في معنى كان لهم نور فزال وبقوا متحيرين خائبين وقوله في ظلمات اي ظلمات بعضها فوق بعض
وهي ظلمة انهم المظلمة وظلمة اشد من الهوى ولذلك قال الله تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه وقال عليه السلام الهوى
ابغض اله عبد في الارض واعتقاداتهم الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات المظلمة الفاسدة التي هي حاجبة
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وحجابا بعد حجاب بين الكفر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور القرآن
والايمان والعقل فان خاصية الظلمة ان تسد البصر وتحجب اشراق النور وهذه المذكورة ظلمات تحجب عن معرفة
الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة ولذلك حجبتهم عن معرفة لطائف صنع الله نفسهم مما فعل الله بهم وعن معرفة

بجانب احوال رسول الله عليه السلام مع قرب متناوله وظهوره بادي تامل واذا كانت هذه كلها مظلمة كانوا في
ظلمات بعضها فوق بعض ومن ثم شغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهايم فحجبوا عن السير بالظلمة المحضة وقد علمت من هذا
ان اعظم السعادات ادراك الاشياء على ما هي عليها بل لا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة ولا شقاوة الا بالجهل
ثم لما كانت الضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يخبط في الظلماء فلا يهتدي الى الطريق فلا يزال
بين عثور على فنه وبين تردي في مهواة مهلكة شبهها بالظلمة ولما كان الهدى وكل ما هو علم يصير صاحبه كمن
يمشي في نور الشمس فيهتدي الى الطريق المعبد فلا ينعسف شبهت بالنور ولمن يتجلى انوار الايمان ثم
الصم هواهم بحبهم دينارهم واشربوا في قلوبهم حبهما واعلم ان الاية مشتملة على تشبيهات فانه شبه
فيها الحال بالحال وهذا هم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حوله المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على
قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات اي شبه المنافق على ما قيل بالمستوقد نارا واظهاره الايمان
بالاضاءة وانتفاعه بالكلمة المجراة على لسانه بالاضاءة وانقطاع انتفاعه باطفاء النار والصحيح الذي عليه المحققون
ان التمثيل من التمثيلات المركبة دون المفرقة وكذا التمثيل الاتي اعني او كصيب من السماء الاية فان قيل فاي معنى
قصد اشتراك المشبه والمشبه به فيها حال المنافقين وحال المستوقدين اجيب بان وجه الشبه هو انهم عقيب الاضاءة
حبطوا في ظلمة وتورطوا في خيبة وحيرة وضمير انهم للمنافقين او للمستوقد والمنافقين جميعا بمعنى وتشبيه عقيب مباشرة
اسباب المطلوب وملاحظة خيال المحبوب في خيبة وحيرة وحسرة وحرمان ويجوز ان تشبه حالهم بحال المستوقد
في انهم غب الانتفاع المشبه بالاضاءة وقعوا في ظلمة النفاق التي يؤدي بهم الى السخط والعقاب السرمدي وظلمة الافتضاح بين
المؤمنين بالاطلاع على اسرارهم وظلمة الطبع الحاصل من عقابهم الخبيثة وذنوبهم المتراكمة لان قلوبهم منكوسة وعقولهم
منكسة وكذلك سائر ادراكاتهم ولذلك قال جل من قائل صم بكم عمي فهم لا يعقلون قال عليه السلام قلب المؤمن اجرد
وفيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس ولذلك تعاونت على الضلالة وانصرفت عن طريق الهدى وذكر ظلمة
اخرى بل شر من الظلمة لان الظلمة لا تهتدي الى الحق والتعاون على الضلال والصرف عن الهدى باطل صرف وظلمة
بحتة فهم في ظلمات كثيرة متراكمة حتى لا يبقى للقلب مكان الاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه
عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت القوى والجوارح على وفق الهوى والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله افرايت
من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
صم بكم عمي فهم لا يرجعون اعلم ان بدن الانسان كالمدينة وعقله كمليكها مدبر لها وحواسه الظاهرة
والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته فهو باصل فطرته مركوز فيه التدبير وماخاصيته الا العلم بحقايق
الاشياء والاحاطة بدقايق الامور على ما هي عليها والقلب بالجبلة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين
متساويا من غير ترجيح وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى او بمخالفته فمن جاهد هواه واستعمل جميع قواه
واعضاءه استعانة بها على العلم والعمل فقد صار من الفائزين المهتدين وتشبه بالملائكة المقربين وحري
بان يلحق بهم وحقيق بان يسمى ملكا ومن تمادى من صرفها الى ضد ذلك فقد انحط الى حضيض البهايم
ورضي بالهوى في اسفل السافلين وجدير بان يسمى اضل من الانعام ويجعل في الغابرين بل هو زائغ من الشياطين

فانتج

فانه متى استعملها في مراعاة اعلام الله ورسوله وهي المعصية كل المعصية كان محزولا مشتبكا قال النبي الله سبحانه
مضيعا للجنود التي اعدها ناصرا له على اعداء الله مختلط الحرب وسكانه قد عبثا بهما حملة ومهما تراكمت المعاصي وتتابعت الذنوب
يسود القلب وتظلم وبصيرته الكلية تحجب عن الله سبحانه وهو الطبع والرين قال ميمون بن مهران اذا
اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران
وبالجملة المعاصي مسودات القلوب لا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يتمادى الرين ويطبع على القلب
وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وتفسد الحواس والاعضاء بتبعيته فينتكس جملة حتى يبقى صاحبها مثل
البهيمة قال الله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب فان الكفار من فرط جهلهم وتماديهم في غفلة وانهم كالبهايم مطبوع
النظر منهم كطمعة منها لذلك شبههم الله تعالى في ما يشبههم تارة بالانعام واخرى بما هو اصم وابكم واعمى
ويقول مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع الاية صم بكم عمي مع ان حواسهم كانت سليمة لكن لما
سدوا مسامعهم عن المصاحبة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان يتبصروا الايات بابصارهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم
اذنوا وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر
يوم الفخار واسلوب صم بكم عمي من اسلوب حمل المشبه به بحذف اداة التشبيه والمشبه جميعا اي هم صم بكم فان
المحققين على انه تشبيه بليغ لا استعارة لان المستعار له وهو المشبه مذكور وهم المنافقون والاستعارة
انما تطلق حيث يطوى ذكر المشبه بالكلية بان لا يكون مذكورا ولا في حكم المذكور نحو رايت اسدا يرمي
ويكون الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد باسم المشبه به معناه الحقيقي والمجازي لولا دلالة الحال او المقال على ان
المراد هو المعنى المجازي كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم اي تام السلاح وكذا
شاكي السلاح وشاك السلاح بالقلب الحذف مقذف اي رجل شجاع يقذف به كثيرا الى الوقايع والحروب فالاسد
هنا مستعار للرجل الشجاع والبيت مما اجتمع فيه التجريد والترشيح ولاجل ان الاستعارة مبنية على طي ذكر المستعار له
ترى المفلقين السحرة منهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا كقول ابي تمام في مدح بني يزيد الشيباني وذكر علوه
ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء في مدارج الكمال ثم بنى عليه ما يبنى
على علو المكان والارتقاء الى السماء ونسبة الظن الى الجهول زيادة مبالغة في المدح فلولا ان قصدهم ان يتناسوا التشبيه ويضربوا
عن توهمه صفحا لما كان لهذا الكلام وجه ولهذا استطرف كل المستطرف قول بعضهم ولا تجعلوا في شجاعتهم من حيث المسافة
انكاره ان ذكره في الكلام اصلا بل ان لا يذكر مع المشبه به وجه يتبين عن التشبيه ولهذا استحسن قوله
الشمس وكان بنى على ان الشمس هي هذا المقصود
ظلمتني ومن عجب شمس تظللني من الشمس استعارة وكذا التورية قوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر
والتعجب في البيتين الاولين والنهي عنه في الثاني يدل على تناسي التشبيه قصدا في الثاني لذلك قصد تناسي التشبيه
والانكار لما لو كان التعجب والنهي عنه بجهة فجعل الحسان حقيقة وجعل قمر حقيقيا ولولا ذلك لما كان لهما معنى
ونظيره في طي ذكر المشبه وانه في حكم المنطوق قول ابن خاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
والمنعوت كالمسند فهو في حكم المنطوق فتخاء اي لينة المفاصل مسترخية الجناح قيل وفي التمثيل بهذا البيت المنافرة

الى ان اسم المشبه به وان ذكر بعده ما يشعر بانه ليس في معناه كلفظ على فالكلام تشبيه كما تقول النزاع في معنا
المتكلم ليس لفظيا محضا بل مبنيا على ان اسم المشبه به معناه معناه الحقيقي حتى لا يستقيم الكلام الا بتقدير الكاف
ويكون تشبيها او في معنى المشبه كالرجل الشجاع مثلا ليكون استعارة بمعنى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي
ويصح الحمل من غير تقدير الكاف وهذا هو المختار عندي وقد شهد بها الاستعمال فان معنى اسد على بحتري صايلي
بمعنى نعامة في الحروب جبان هارب وقرئت ثلثتها بالنصب على الحال من مفعول تركهم وهي قراءة عبد الله
وابن عمير والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به
لعدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يكون بصيرا وقد يقال لعدم البصيرة وقوله لا يرجعون اي لا يعودون
الى الهدى بعد ان باعوه وضيعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين
الواقفين في مكانهم الذين لا يهتدون الى الرجوع الى حيث ابتدأوا منه كالحاير في الظلمة والغاية في فهم الدلالة على
ان اتصافهم بالصفات السابقة سبب لعدم رجوعهم ولتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء واو في الاصل
للتساوي في الشك استعملت في مطلق التساوي والمعنى ان القصتين سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير بايتهما شبهت
اصبت والاصل في الكاف ونحوها من الفاظ التشبيه ان يليه المشبه به لفظا نحو زيد كالاسد او تقديرا كالاسد وقوله
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فان المشبه به هو مثل المستوقد اي حاله وقصته العجيبة او تقديرا كقوله تعالى او كصيب من السماء
فان التقدير او كمثل ذوي صيب فحذف ذوي لدلالة يجعلون اصابعهم في آذانهم عليه لان هذه الضماير لا بد لها من مرجع
وحذف مثل لقيام القرينة وهو عطفه على قوله كمثل الذي استوقد نارا الا انه لا يخفى ان التشبيه ليس بين مثل المستوقدين وبين
ذوات ذوي الصيب انما التشبيه بين مثل المنافقين وبين مثل ذواته فالمثل المشبه به قد يلي الكاف لان المقدر في حكم الملفوظ
ثم التشبيه متى كان وجهه وصفا منتزعا من امرين او امور كما في تشبيه الثريا بالعنقود المنور وتشبيه الشمس بالمرآة في كف
الاشل وتشبيه الحلب بالبدوي المصطلي في تشبيه في قوله مثل الذين حملوا التورية الآية وغير ذلك يسمى باسم التمثيل
قال عبد القاهر في اسرار البلاغة التمثيل التشبيه المنتزع من عدة امور واذا لم يكن التشبيه تمثيلا يقال انه تشبيه
التشبيه والا يقال ان فيه تمثيلا وضرب مثل وان كان عقليا جاز اطلاق اسم التمثيل عليه وان يقال ضرب الاسم مثلا كذا
يقال ضرب النور مثلا للقرآن والحيوة للعلم وظاهر السكاكي يكون غير حقيقي حيث قال التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي
وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار فان وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بابلغ
نافع مع الكد والتعب في استصحابه فهو وصف مركب من متعدد وليس بحقيقي بل هو عايد الى التوهم فالتمثيل تفسير
السكاكي اخص منه بتفسير الجمهور واما الزمخشري فيجري التمثيل مرادا للتشبيه من غير فرق فمعنى التشبيه المركب
ان ينتزع كيفية من امور متعددة فتشبه بكيفية اخرى كذلك فيقع في كل من الطرفين عدة امور وكلما كان التركيب
من امور اكثر كان التشبيه ابعد وابلغ كقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الى قوله بالامس فانها عشر جمل اذا فصلت
والتشبيه منتزع من مجموعها من غير ان يمكن فصل بعضها من بعض حتى لو حذف منها جملة اخل ذلك بالمقصود
من التشبيه ووجه الاول ان المراد تشبيه حالها العجيبة في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها

الجواح

بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما غض والتف وتزين الارض بخضرته حتى طمع فيه اهله
وظنوا انه سلم من الجوايح وكذا قوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه الآية ولا حاجة الى تقدير كلا ماء
لان المعنى هو الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور وهو الكاف واعتبار جانبين من هذا التشبيه ليس
الغرض تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل تقديره انما الغرض تشبيه حالها في نضرتها وما يعقبها من
الهلاك بحال النبات الحاصل من الماء يكون اخضر وارفا ثم ييبس فتطيره الرياح كان لم يكن
وكذلك ههنا فانه لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت
حالهم بحال من استوقد نارا او بحال من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
واعلم ان مجرد كون التشبيه مركبا وتشبيها للحال والقصة بالحال والقصة لا يوجب ان يكون ما يلي
الكاف هو المشبه به ولهذا لا يتقدر في انما مثل الحيوة الدنيا الآية كمثل ماء وكذا في قول لبيد وما الناس الا كالديار	واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع فان شبه الناس بالديار وانما شبه حالهم في حلولهم الدنيا وسرعة رحيلهم عنها بحال اهل
الديار في حلولهم بها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية خاوية فكذا لا حاجة ههنا الى طلب المشابهة بين الصيب والمعطوف
على كمثل الذي استوقد نارا لم يحتج الى تقدير مثل ذوي وكان قوله او كصيب عين التشبيه للحال بالحال والحاصل
ان نفس التشبيه لا يقتضي تقدير شيء والضماير تقتضي الا تقدير ذوي واما تقدير مثل فيكون على وفق
المعطوف عليه وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة سايغ من ذلك قوله تعالى فكان قاب قوسين
اي ذا مقدار مسافة قرب مثل قاب قوسين والصيب فيعل من صاب المطر
يصوب اذا نزل ويراد به المطر وفيه ظلمة كما تقدمت بابيع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل والرعد والبرق
في علا او منه مشتملين به وان يراد السحاب وظلمة سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل قال الشماخ وراجم
دان صادق الرعد صيب وتنكيره لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ
كصايب والصيب ابلغ لان فيعلا من صيغ المبالغة وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء
كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء اي تشبيه المبالغة في صيب
في حيث مبالغات من جهات ثلاث فيها وجعلوا اصابعهم ويشبه اصحاب الصيب كيف حالهم مع ذكر العذاب
اي يجعلون انامل في آذانهم من اجل الصواعق حذرا من الموت فيه ظلمات ورعد وبرق
وارتفاع ظلمات بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف وما خلف ايما بمعنى الا الاخفش لا يحتاج
فيه الى ان يجعل مرتفعا بالظرف بل بالابتداء ويجوز ان يكون معنى الظلمات من لمعة الظلمة ومن
ظلمة وسن ظلمة الليل ويصير تنبه الظلمة بعد حيازة الظلمات نهوا بسط الظلمات لكن جعل الصيب ظرفا للظلمات
على المجاز لكونها ادخلت التلبس في الدلالة الاصيب وعلته الثانية على الحر والرعد صوت يسمع
من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد
كالمرسل الشوبرية الوجه من المواجهة والبرق لمعان من السحاب من برق يقال برق الشيء بريقا اذا لمع
والصاعقة في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا ولذلك لم يجمعا في جمع كان في الخبر

باعارضا متلبسا ببرده يختال بين برقه ورعده فان قيل اذا ريد بالصيب السحاب فمعنى ظرفيته للرعد
والبرق ظاهر لكن ماذا اريد به المطر فما وجه ظرفيته لهما وهما يسلخ المطر فى السحاب قلنا تدعو الحاجة
فى الوجه الاول من وجهيه وهما انهما لما كانا فى على المطر ومصبه اى الموضع الذى ينصب فيه المطر
وهو السحاب جعلا كانهما فيه بطريق الاستعارة كلمة فى التلبس المخصوص تشبيها بتلبس الظرفية الحقيقية
كقولك فلان فى البلد تشبيها لكونه فى بعض اجزائه بالكون فيه نفسه لا باعتبار كون المراد من البلد جزء
الذى فيه فلان ومعنى الظرفية التى تستفاد من كلمة فى اعم من ان يكون على وجه التمكن فى المكان
اى على وجه الحلول فى الحلال او على وجه الاختصاص بالزمان وتنكيرها للنوعية كانه قيل ظلمات داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف او للتعظيم والتهويل لان المقام مقام للمبالغة والتعظيم اذ دل عليه وادى
بتاديته وكذا فى صيب كانه قيل حالهم كحال قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة وهو ان يكون هناك مطر
عظيم فيه ظلمات عظيمة هائلة ورعد عظيم هائل وبرق عظيم وصواعق يخافون منها غاية الخوف فلقوا منها
ما لقوا من الخبط والضلال والحيرة والدهشة **يجعلون اصابعهم فى اذانهم** الضمير لاصحاب
الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعود اليه الضمير كما
عول على بقاء معناه فى قوله يستقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير
لان المعنى ماء بردى ولا محل لهذه الجملة للاستيناف وهو ان كان متكرر بوجه آخر وهو انه لما ذكر
الصيب على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال كيف حالهم مع ذلك فاجيب بها ثم قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك الرعد العظيم والبرق الهائل فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم وفى القران شحون بالمجاز والنوع
من المجاز المرسل تسمية الشىء باسم كله كالاصابع المستعملة فى الانامل التى هى اجزاء من الاصابع فى قوله
اصابعهم فى اذانهم اراد اناملهم وكذا قوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذى
هو الى المرافق والذى الى الرسغ وفى ذكر الاصابع والمبالغة ما ليس فى ذكر الانامل لايذانه بشدة الرعد والبرق
حتى كانهم من شدتهما يدخلون جميع اصابعهم فى آذانهم لئلا يسمع شيئا من الصاعقة قيل انما ذكر الاسم العام
دون الخاص الذى السبابة فعالة من السب فاجتنابها اولى باداب القران وفيه نظر لانها من السب لا غير وذكر ان
الله تعالى لما اعطا ادم عليه السلام نور محمد عليه السلام وادخله الجنة تسرر حواء راها من اولها الى آخرها بركته
فتعجب من ذلك النور واراد ان يبصره وكان فى جبهته فامره تعالى اياه بان ينتقل من جبهته الى كفه الايمن فانتقل
حتى انتهى الى راس الاصبع الذى بين الابهام والوسطى فرفع آدم تلك الاصبع ورا ذلك النور فلما نظر فيه
بالارواح جميع الخلايق والعرش والكرسى من بركته سمى سبابة لانها سبب رؤية ذلك النور وبسبب قطع وسوسة
الشيطان ودفعها كما نطق به الحديث فالوجدان يقال انما ذكر الاصابع لانها اخص من جمع السبابة او المسبحة او
المهللة او الزماعة واعذب واسلس واخف ولو كان ذكرها من الآداب لما ذكره الحديث كان حديث النبى
احق برعاية ما يجب رعايته وقد قال عليه السلام اذا وجدت ذلك فارفع اصبعك السبابة اليمنى فاقطعه فى فخذك
اليسرى وقل بسم الله فانها سكين الشيطان قال له رجل قال اشكو اليك يا رسول الله وسوسة اجدها فى صدرى

ان ادخل فى الصلوة فلا ادرى على شفع انفتل ام على وتر ولما كان يذكر اصحابه قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قعد فى التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلثة وخمسين
واشار بالسبابة ومثله عن عبد الله بن الزبير حتى قال واشار باصبعه السبابة **من الصواعق** متعلق بيجعلون
اى من اجلها يجعلون اصابعهم كقولهم سقاه من العيمة وهو شهوة اللبن اى من اجلها بمعنى انها الباعث فان من هذا
بمعنى لام فى المفعول له فقد يكون باعثا متقدم وجوده وقد يكون غاية يتقصد حصوله والصاعقة
قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشىء الا اتت عليه وكثيرا ما تقع على الجبل فتدكه دكا ويحكى ان صيتا كان في صحراء
فاصاب ساقيه صاعقة فسقط رجلاه ولم يخرج منه دم لحصول الكى بحرارتها الا انها مع حدتها سريعة
الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت وهى من الايات التى يرسل الله ويخوف بها
عباده فحق على كل احد عند رؤيتها تحى بين ذلك الايات ان يفزع الى ذكره تعالى وتقديم دعائه واستغفاره عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك وعن عائشة قالت كان النبى عليه السلام اذا ابصرنا شيئا من السماء يعنى السحاب ترك عمله و
استقبله وقال اللهم انى اعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله حمد الله وان مطرت قال اللهم سقيا نافعا وعن
ابن عباس انه قال ما هبت ريح قط الا جثا النبى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذكر ان الريح للعذاب والرياح للرحمة قال الله عز وجل
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا ارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح ان يرسل الرياح مبشرات
واشتقاقها من الصعق وهو شدة الصوت استعيرت لكل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته فصعق اى مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله وخر موسى صعقا اى مغشيا عليه وعن الحسن
... وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين فى التصرف يقال صقعه على
راسه وصقع الديك وصعقته الصاعقة ونظيره جبذ وجذب كاستوائهما فى الاشتقاق وكون الصاعقة صفة
لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية والعلامة او مصدر كالعافية والكاذبة انما هو على
الاصل والا فهو اسم كما ذكره وعلى كل تقدير له شذوذ فى جمعها على فواعل **حذر الموت** نصب على العلة
كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما اعتبار سببيه والحق انه الكلمة الفصيحة
بعض الى معرفة بالاضافة مثل حذر الموت وقرا الضحاك وابن ابى ليلى حذار الموت وروى ايضا
حذار بفتح الحاء والموت عدم الحيوة عما اتصف بها وقيل عدم الحيوة عما من شانه ان يكون حيا
وعلى التعريفين فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة وقيل الموت كيفية وجودية يخلقها الله
فى الحى بعرضها لقوله خلق الموت والحيوة والخلق بمعنى الايجاد لا يتصور الا فيما وجود ورد بان
الخلق هنا بمعنى التقدير دون الايجاد وتقدير الامر العدمية جائز كتقدير الوجودية والحيوة
قوة تتبع اعتدال النوع ويفيض منها سائر القوى الحيوانية كقوة الحس والحركة والتصرف فى
الاغذية فالحيوة تابعة للاعتدال النوعى ومتبوعة لما عداها من القوى الموجودة فى الحيوان

والله محيط بالكافرين والمعنى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخدع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها وهي ان يؤتى في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل
لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام وقيل قد يكون الاعتراض لدفع الايهام وقيل قد يكون في
آخر الكلام واما اشتراط كونه للتاكيد فمما لم يسمع والنكتة في الاعتراض التنبيه على ان الحذر
من الموت لا يغني وفي وضع الكافرين موضع المضمر دلالة على ان عذاب الله وشدة الامر وتفاقمه
انما لحقتهم لكفرهم ويجوز ان يكون هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين
المنافقون فانهم من عذاب الله في الآخرة واهلاكه اياهم في الدنيا بحيث لا يدفع له ووسط بين
احوال المشبه به تنبيها على شدة الاتصال وفرط التناسب يكاد البرق يخطف ابصارهم
كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد
شرط او لوجود مانع تقول كادت الشمس تغرب تريد ان قربها من الغروب قد حصل وعسى لمقاربة
الخبر على سبيل الرجاء والطمع تقول عسى الله ان يشفي مريضك تريد ان قرب شفائه مرجو من عند الله
مطموع فيه وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا ولا باسم فاعل منصوب لان كاد لتقريب
الفعل من الحال واسم الفاعل غير مختص بالحال بل يقال مررت برجل ضارب امس او ضارب غدا ويفعل
موضوع للحال ولهذا اشترط ان يكون خبرها مضارعا حتى يكون الدلالة على الغرض تم ولا يجوز
تشبيه احدهما بالآخر الا عند ضرورة الشعر كما شبه عسى بكاد في قوله عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب وبالعكس في قوله قد كاد من طول البلى ان يمصحا وعن ابي يكاد البرق بالتاء
لعله اراد الجمع واحدها برقة مثل سحاب وسحابة والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء
والفتح افصح وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطّف بفتح الياء والخاء واصله يختطف
وعنه يخطّف بكسرها على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يُخطِّف من خطّف وعن ابي يتخطف
من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم مشوا فيه استئناف ثالث كانه جواب
لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا معنى كلما اضاء لهم مشوا فيه
تمثيل لشدة الامر على المنافقين وما هم فيه من فرط التحير بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه
من غاية التحير فهذا في التحقيق من جملة تفاصيل الاحوال واضاء اما متعد والمفعول محذوف
بمعنى كلما نور لهم ممشى وكلما منصوب فيه بمنزلة يوم الجمعة لانه كما اضيف الى ما المصدرية مع الفعل بتقدير
الزمان اي في كل وقت اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة بمعنى الوقت والعائد محذوف اي كل وقت
اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها والفرق بين كل وكلما ان كلمة كل تعم الاسماء وكلما تعم الافعال ولو قال
كلما كلمت فلانا فلله علي ان اتصدق بدرهم كلما كلمته يومين فعلي ان اتصدق بدرهمين كلما كلمته ثلاثة
ايام فلله علي ان اتصدق بثلاثة كلما كلمته اربعا فلله علي ان اتصدق باربعة كلما كلمته خمسة فلله ان
اتصدق بخمسة فكلم الرابع والخامس لزمه ان يتصدق بشيئين لان اليوم الرابع هو الدور الرابع

اي اليوم الاول

في اليمين الاولى وهو اليوم الثاني من الدور الثاني من اليمين الثانية وهو الثالث من الدور الثاني في الثالثة
وهو الاخير من الاول في الرابعة وهو الرابع من الاول في الخامسة فلزمه خمسة عشر وقد كلمه في اليوم الخامس
فيلزمه مثل ذلك لتلك الدور وان تكرر غير ان اليمين منعقدة بلفظة كلما وهذا وان كان يدخل
على الفعل لكن الاسم متى قرن به عم بعمومه كما لو قال كلما تزوجت امراة فهي طالق فتزوج امراة
مرتين طلقت ثنتين ولو قال كل يوم اكلم فيه فلانا فلله علي ان اتصدق بدرهم هكذا الى خمسة ايام على
ما ذكرنا فكلم في الرابع والخامس تصدق باثنين وعشرين درهما لان اليمين منعقدة بكلمة كل وانها
لتعميم الاسم لا غير فكل دور حنث فيه مرة لا يحنث ثانيا وقد حنث في الدور الثالث والخامس مرة
فلا يحنث ثانيا وكلمة كلما عند المنطقيين علم في الشرطية حتى ان قولنا كلما كلمت فلانا فلله علي ان
اتصدق بدرهم موجبة كلية احد طرفيها كلمت فلانا والآخر لله علي ان اتصدق بدرهم ويجعلون
كلا من الطرفين خارجا عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب ويعتبرون الحكم بينهما بلزوم الثاني
للاول واما عند اهل العربية فالجملة الشرطية ليست الا جملة خبرية هي مضمون الجزاء مقيدة
بقيد مخصوص هو مضمون الشرط والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي واذا ازداد فهو
عدو ونحو عدا اشد مضا فيه واتى مرورا فيه ومعنى فيه ما ذكرنا وقيل اي في ضوئه والمعنى بضوئه
واذا اظلم عليهم قاموا واظلم لازم ويحتمل ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة اظلم على
البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ونقل عن الازهري
ان اضاء واظلم يكون لازما ومتعديا وعن الليث اظلم فلان علينا اذا اسمعك ما يكره وظلم العجاج وظلم الليل
واظلم بمعنى حكاه الفراء وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا
منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف وقد ترد الشهادة المذكورة بانه يجوز ان يكون الفعل
مسندا الى عليهم ويجب بان عليهم ظرف مستقر كلهم في اضاء لهم ولو جعلنا هذا متعلق على تقصير معنى العقد
والتفجع فعطف اذا اظلم على كلما اضاء لهم ووقوعهما جوابا للسؤال عن صنيعهم حالتي خفوق البرق وخفيته
يستدعي اسناد اظلم الى ضمير البرق حتى كلما نفعهم البرق باضاءة اغتنموها واذا ضرهم بالاظلام تحيروا ومعنى
البلاغة على رعاية المناسبات على ان في صلوحه للاقامة مقام الفاعل عند تعلقه باظلم باعتبار التضمين
نظرا واما الجواب بان اظلم المتعدي اكثر وان بناء المجهول من المتعدي اكثر فلا يجدي فيه والشعراء
طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون اي الذين ادركوا الجاهلية والاسلام مثل حسان
ولبيد والمتقدمون من الاسلاميين نحو فرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابي تمام والبحتري
ولا يستشهد بشعرهم في اللغة لكن لا يبعد ان يجعل ما يقولونه بمنزلة ما يرويه ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت اي سكنت وكسدت وقام الماء جمد ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم اي لذهب بسمعهم ولو هنا لمجرد الشرط عند ... انه لابتناء الاصلي
من انتفاء الشيء لانتفاء غيره وفيه نظر ومفعوله محذوف لدلالة الجواب عليه والمعنى لو شاء الله

ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما وانقدح كاثر حذف المفعول في شاء واراد ونحوهما اذا وقع شرطا لان
الجواب يدل عليه ويبينه لكنها انما يحذف ما لم يكن تعلق فعل المشية به غريبا نحو فلو شاء لهديكم اجمعين
اي هدايتكم اجمعين واما اذا كان تعلقه به غريبا فانه لا يحذف في نحو ولو شئت ان ابكي دما لبكيته
فان تعلق فعل المشية ببكاء الدم غريب فذكره ليتقرر في نفس السامع ويانس به ومنه قوله عز من قائل
لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا وليس من هذا قوله * فلم يبق مني الشوق غير تفكري
فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرا لان المراد بالاول البكاء الحقيقي لا التفكري والتحقيق ولو شاء الله ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء
كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع
قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشية الله تعالى وان
وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته ان الله على كل شيء قدير والشيء عندنا يختص بالموجود
والوجود والثبوت والتحقق والكون والحصول الفاظ مترادفة معناها بديهي التصور ولفظ
الشيء مع انه مذكر يطلق على ما يخبر عنه مذكرا كان او مونثا والخلاف بيننا وبين المعتزلة في الشيئية
اعني الثبوت والتقرر في الخارج لا في اطلاق لفظ الشيء فانه بحث لغوي مرجعه الى النقل ولا بد من
تقرير هذا المقام فنقول لفظ الشيء عندنا يطلق على الموجود فقط فكل شيء موجود وكل موجود شيء
وقال بعض المعتزلة منهم الجاحظ هو المعلوم ويلزمهم اطلاقه على المستحيل لانه معلوم وقال ابو العباس
هو القديم وفي الحادث مجاز وقالت الجهمية هو الحادث وقال هشام هو الجسم وقال ابو الحسين والنصيبيني
من معتزلة البصرة هو حقيقة في الموجود ومجاز في المعدوم والنزاع لفظي والحق ما ساعد عليه اللغة
والنقل اذ لا مجال للعقل في اثبات اللغات والظاهر هنا فان اهل اللغة في كل عصر يطلقون لفظ الشيء على
الموجود حتى لو قيل عندهم الموجود شيء تلقوه بالقبول ولو قيل ليس بشيء قابلوه بالانكار ونحو خلقتك من قبل
ولم تك شيئا ينفي اطلاقه حقيقة على المعدوم لان الحقيقة لا يصح نفيها فيبطل به قول الجاحظ وقوله
والله على كل شيء قدير ينفي اختصاصه بالقديم لان القدرة انما تتعلق بالحادث دون القديم والاصل
في الاطلاق الحقيقة فيبطل به قول ابي العباس وقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك ينفي اختصاصه فيبطل
به قول هشام بن الحكم وقول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل ينفي اختصاصه بالحادث لان الاصل
في الاستثناء ان يكون متصلا فيبطل به قول الجهمية والقدير والقادر معناهما ذو القدرة لكن القدير
اكثر مبالغة والقدرة صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها على وفق الارادة فخرج عن هذا التعريف العلم
اذ لا تاثير له وان توقف تاثير القدرة عليه وقيل القدرة ما هو مبدأ قريب للافعال المختلفة وخرج عن التعريف
القدرة الحادثة عندنا لانها لا تؤثر في فعل اصلا فلا تدخل في التعريف الاول وليست مبدأ لاثر قطعا فلا تدخل
في التعريف الثاني وان كان لها عندنا تعلق بالفعل يسمى ذلك التعلق كسبا والدليل على انها ليست موثرة انه
لو كان فعل العبد بقدرته وتاثيرها فيه والحال انه واقع بقدرة الله لما سيجيء من انه تعالى قادر على

الشيء عندنا يختص بالموجود عند المعتزلة

جميع الممكنات والدليل على ان قدرة الله تعم جميع الممكنات ان المقتضي للقدرة هو الذات
والمصحح للمقدورية هو الامكان لان الوجوب والامتناع الذاتيين يحيلان المقدورية ونسبة
الذات الى كل الممكنات سواء فاذا ثبتت قدرته على بعضها ثبتت على كلها فيصح على كل شيء قدير على كل ممكن
اذ لا قدرة على الواجب والمستحيل وهذا الاستدلال بناء على ما ذهب اليه اهل الحق من ان المعدوم ليس بشيء
وانما هو نفي محض لا امتياز فيه اصلا ولا تخصص خلافا للمعتزلة والحكماء وهذا الاصل اي عموم
قدرته تعالى للممكنات كلها من اعظم الاصول الكلامية واعلم انه انكر هذا الاصل فرق
الاولى الالهيون من الفلاسفة فانهم قالوا انه تعالى واحد حقيقي فلا يصدر عنه اثنان والصادر عنه
ابتداء هو العقل الاول والبواقي صادرة عنه بالوسايط والجواب منع قولهم الواحد لا يصدر
عنه الا الواحد الفرقة الثانية المنجمون ومنهم الصابئة قالوا الكواكب هي المدبرات
امر الدوران والحوادث السفلية مع مواضعها في البروج واوضاعها بعضها الى بعض والى السفليات
واظهرها ما شاهد من اختلاف الفصول والطوالع والجواب ان الدعاوى لا ينبغي لعاقل سيما
اذا تحقق تخلف كما في توأمين احدهما في غاية السعادة والاخر في غاية الشقاوة وانما قام البرهان
على نقيضه فان البراهين العقلية والنقلية شاهدة بان لا موثر في الوجود الا الله الثالثة الثنوية
ومنهم المجوس فانهم قالوا انه تعالى لا يقدر على الشر والا لكان خيرا شريرا معا والجواب انا لا نسلم
الثاني فانه تعالى خالق الخيرات والشرور كلها وانما لا يطلق لفظ الشرير عليه لانه يوهم ان يكون الشر الثابت وعاملا به
او لعدم التوقيف من الشرع واسماء الله تعالى توقيفية الرابعة النظام ومتبعوه قالوا لا يقدر على
الفعل القبيح لان مع العلم بقبحه سفه ومع عدمه جهل وكلاهما نقص يجب تنزيهه تعالى عنه والجواب انه
لا قبح بالنسبة اليه فان لكل مالك ملكه فله ان يتصرف فيه على اي وجه اراد وان سلم فغايته منع الفعل لوجود الصارف
وهو القبح وذلك لا ينفي القدرة عليه الخامسة ابو القاسم البلخي ومتابعوه قالوا لا يقدر على مثل فعل العبد لانه
اما طاعة او معصية او سفه خال عنهما او مشتمل على حسن وبين منهما وكل محال منه تعالى والجواب ان ما
ذكرتم من صفات الافعال اعتبارات تعرض للفعل بالنسبة الينا واما فعله تعالى فمنزه عن هذه الاعتبارات
فجاز ان يصدر عنه تعالى مثل فعل العبد مجردا عنها فان الاختلاف بالعوارض لا ينافي التماثل في الماهية ولكن
لفعل الصادر عنا لغرض كما انا فعله المنزه عن الاغراض ولا يلزم العبث السادسة الجبائية قالوا
لا يقدر على عين فعل العبد بدليل التمانع وهو انه لو اراد الله فعلا من افعال العبد واراد العبد عدمه لزم اما
وقوعهما معا فيجتمع النقيضان او لا وقوعهما فيرتفع النقيضان او وقوع احدهما فلا قدرة للآخر
على مراده والمقدر خلافه لا يقال يقع مقدور الله لان قدرته اتم من قدرة العبد لانا نقول انها اتم
منها لتعلقها بما لا يتصور تعلق قدرة العبد بها لا انها اقوى منها في هذا المقدور
ولا اثر له في هذه المقدورية بل متساويان فيه والجواب انه مبني على تاثير القدرة الحادثة وقد عرفت بطلانه
وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه وبالجملة فمعنى القادر

فيهما في هذا المقدور

ماية

ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل وهذا مما اتفق المليون والحكماء والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء
ولذلك لم يوصف غير الله تعالى واما المقدور بين قادرين فجوزه ابو الحسين المعتزلي مطلقا واهل السنة
لا مطلقا بل بين قادرين خالق وقادر كاسب حتى على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره ايجادا بل
متعلقة به تعلق الكسب وان جميع الممكنات مستندة الى قدرة الله تعالى فيكون مقدور العبد كسبا
مقدورا لله تاثيرا وانما الممتنع تعلق القدرتين تاثيرا وايجادا ومنع المعتزلة جوازه مطلقا بناء على
امتناع قدرة غير مؤثرة على رايهم بل لا تكون القدرة عندهم الا مؤثرة فيلزم التمانع على تقدير كون
مقدور بين قادرين وفي حواشيه وقد يتوهم ان مسئلة المقدور بين قادرين هو بعينه مسئلة تعلق
قدرة الله تعالى بعين فعل العباد بعينه وليس كذلك كما قد بيناه وينبغي ان تعرف ان القديرية المتين
والقهار راجعة الى القدرة مع زيادة اضافة فان الشيء تمام القدرة والمتانة شدتها والقهر تاثيرها
في المقدور بالغلبة واشتقاقهما من القدرة لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه
ارادته وقيل من التقدير كالمقدر من التقدير والوجه من المواجهة والانسب ان يكون المجرد من المجرد
الا ان بعضهم لا يبالي بجعل المجرد من المزيد قصدا الى الحاق الاخفى بالاشهر في المعنى المشترك

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد الله تعالى فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف
امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها و ر... علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني
فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب مختص بمشركي مكة واعترض بان سورة البقرة مدنية فكيف يكون
هذه الاية مكية ولو سلم فكونها مكية لا يوجب اختصاص الخطاب بمشركي مكة كما ان كونها مدنية لا يوجب
اختصاصها بكفار مدينة الجواب بان مرادهما ان كل حكم وخطاب نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي
سواء نزلت الاية بمكة او بالمدينة والظاهر ان الخطاب لجميع الناس لانه لما وصف كل فرقة من الناس
خاطبهم جميعا كانه قال يا ايها المؤمنون استمروا على العبادة وازدادوا فيها ويا ايها الكافرون انتهوا عن
الكفر واحدثوا العبادة ويا ايها المنافقون اجتنبوا النفاق واخلصوا العبادة وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية ويا حرف وضع لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه
ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب بالاولى تشبيها بالبعيد باعتبار راجع الى احدهما
واذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا وقول
الداعي يا رب ويا الله استقصار منه لنفسه وهضم لها واستبعاد عن مظان القبول والاستماع واظهار الرغبة
في الاستجابة بالبلوى اذ مع فرط التهالك عليها واجتهاد في طلب الاقبال والاذن للابتهال وانما ينادى المعرف
باللام نحو الرجل مثلا لتعذر جمع ... تعاقب الى الاسم المبهم فيقال يا ايها الرجل ويا ايهذا الرجل ويا هذا الرجل وانما
احتيج الى التوصل بالمبهمات في نداء ما فيه اللام لانهم استكرهوا اجتماع اداتي التعريف وهما اللام وحرف النداء فكرهوا
والحرة فقصدوا الفصل بينهما باسم مبهم يحتاج الى ما يزيل ابهامه وادخلوا حرف النداء عليه وجعلوا الاسم المعرف

تابعا له اصلاحا للفظ فصير المنادي في الظاهر هو المبهم وفي التحقيق هو المخصوص الذي يزيل
الابهام ويعين الماهية فيكون المنادي متميز الماهية معلوم الذات واتفقوا على ان المنادى المبهم
في ان اي واسم الاشارة فاي يوصف بشيئين بما فيه الالف واللام محضة بينهما كلمة التنبيه وباسم الاشارة
نحو يا ايها الرجل ويا ايهذا قال ذو الرمة الا ايهذا الباخع الوجد نفسه واما اسم الاشارة فلا يوصف
الا بما فيه الالف واللام كقولك يا هذا الرجل ويا هؤلاء الرجال وكلمة التنبيه لتاكيد معنى ما في حرف النداء
ومعاونته بتاكيد معناه لان النداء والتنبيه من واد واحد 2 وقعتا عوضا عما يقتضيه اي من
الاضافة لان اي لم يكن يخلو عن مضاف اليه وتنوين يقوم مقامه اذ وضع في اصل المبهم ما يضاف
اليه عاقلا ام لا نحو حرب يقع مبتدأ نحو ايهم يأتيني اكرمه ومفعولا نحو ايهم بعضه اضرب ومصدرا
نحو اي ضرب اضرب وظرفا نحو اي يوم تخرج اخرج ومجرورا نحو بايهم تمر امرر وليس هذا موضع
التنوين وكلمة التنبيه تناسب النداء فجعلت عوضا عن المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة
في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظائم امور
عظام وخطوب جسام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق
بان ينادوا بالاكد الابلغ واعلم ان الله عز وجل جمع الخير كله ووضعه في العبادة ولم يرد من الناس
وغيرهم الا ايا ما فيه من حسن الرأفة والرحمة والشفقة ما لا يخفى فانهم اذا عبدوه حق العبادة ساقهم
ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه ودعاهم الى الحبل الى النظر الى وجهه الكريم ومن ثمة امرهم بعبادته ان
امرهم بعبادته لنفسه ولن يحصل العبادة للعبد الا بعد اتصافه بالمعرفة والمعرفة على ثلثة اوجه اولها
نفي تشبيه ذات الله تعطيل صفاته وذلك بان الله اله قديم واحد لا شريك له ولا نديم سواه وانه
احدث العالم وما خرج من العدم الى الوجود وارسل الرسل وانزل الكتب مع اجلال من شئنه بخلقه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا ومما اعظم كفر من عطل صفاته فلم يصفه بما وصف به نفسه فقد نفاه من حيث اراد اثباته
وعطله من حيث قصد تنزيهه الثاني معرفة الآء الله ونعمائه فالاول النعم الظاهرة وعاد في النعم
ولطف وخفاء في جلائل النعم وعظايمها واصولها وكلاهما مما لا يدخل تحت العبادة ولا يحيط به الا علم الله
واجل النعم واعظمها الهداية الى الايمان به ومخرج الضمير وما الرسول الذي ارسل والكتاب الذي
انزل قال الله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
قل بفضل الله وبرحمته الاية ومن النعم ما اعطى من مصالح الابدان قال الله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم
ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثالث معرفة ما يلزم للعبد لما امر ونهى
وفيما حكم وقضى وامر الله تعالى فرايض ومنها فرض على المال ومنها على النجاة والنفس ومنها الترغيب به
النفس بالزجاة والحياة اذا مر لعينك كالاعين لبدنك فهي لا يصلح جسدك الا بالاعين كذلك لا يصلح
ايمانك ولا يصلح دينك الا باقامة الاوامر وادا الفرائض ويشهد له قوله عليه السلام العلق فان لكل شي
وقوله الصوم جنة وقوله الصدقة تطفئ غضب الرب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم

ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي جاءه ملك الموت ليقبض
روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من امتي قد بسط عليه عذاب القبر
فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من امتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا
منع فجاءه صوم رمضان فاستنقذه وسقاه وارواه ورأيت رجلا من امتي والنبيون
قعود حلقا حلقا كلما جاء حلقة طرد عنها فجاءه غسله من الجنابة فاخذه بيده فاقعده الى
جانبي ورأيت رجلا من امتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن
فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير في الظلمات فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمات
فادخلاه النور ورأيت رجلا من امتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءه صلة الرحم فقال يا معشر المسلمين
والمؤمنين كلموه فانه يصل رحمه فكلمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم ورأيت رجلا من امتي
يتقي وهج النار فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه واما المناهي فارتكابها يجرح ايمانه
ويفسد جوده ويورث غضب الرب تعالى وسخطه فان كثيرا منها مما يجعل صاحبه من اهل النار مخلدا
كالشرك والكفر والنفاق قال الله تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال ان الله حرمهما على الكافرين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعنه عليه السلام ثلثة لا يرضى
الله عنهم يوم القيمة الرجل يموت وهو مدمن خمر والرجل يموت وهو قاطع الرحم والرجل يموت وهو مانع
في الارض وعنه عليه السلام الزنا يورث الفقر وفي الخبر اليمين الغموس الكاذبة تذر الديار بلاقع وعنه
عليه السلام لا يلج جنان الفردوس مدمن خمر ولا العاق ولا المنان عطاءه قال الله تعالى انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واياك
ثم اياك ان تكون من الفسقة فتهلك هلاكا لا يرجى لاحدكم ولا ينتظر صلاحكم وكن من المتقين والتقوى
عبارة عن امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه **الذي خلقكم** وفي قوله ربكم الذي خلقكم اشارة الى
ان الناس اذا سلكوا الطريق الذي يبين الصانع بايجاده لما اوجد وتعليمه اياه علم قدرة واتبعوا
فيه الحجة الباهرة وهو العقل الهادي عن الضلال لزمهم الاعتراف بكونه ربا وان لا رب سواه وان
العبادة له منهم ومن الخلق اجمع حق فقوله الذي خلقكم صفة جرت عليه مدحا وتعظيما ان كان
الخطاب للفرق جميعا ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب
اعم لان المشركين كانوا يعتقدون ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فكان قوله الذي خلقكم
صفة موضحة مخصصة والتوضيح والتخصيص هما الاصل في الصفة والخلق ايجاد الشيء على تقدير
واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم
بالادغام **والذين من قبلكم** وقرأ ابو السميقع وخلق والذين من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي

والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في
قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين
المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك والاولى ان يقال كلمة من مزيدة على ما هو مذهب الكسائي او موصوفة
او موصولة واقعة خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة الذين اي الذين هم من قبلكم وذلك انه لم يعهد
التأكيد للفظ الا باعادة اللفظ ومع ذلك فقد صار حرا بامثال هذا قبل الصلة **لعلكم تتقون**
ولعل للترجي او للاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال عز وجل لعل
الساعة قريب ولعلكم تفلحون تهيج العباد واستجلب تصور الترجي من الله لانه انما يكون فيما
جهلت عاقبته وهو مستحيل في حقه فلهذا صرفه الى العباد وكذلك قوله لعله يتذكر او يخشى
معناه اذهبا انتما على رجائكما ذلك من فرعون وقد جاء لعل في مواضع من القرآن للاطماع لانه
كلام الكريم الذي لا فرق بين اطماعه وجزمه بحصول المطموع فيه او لانه كلام العظيم
الذي يناسبه الاقتصاد في المواعيد المقطوع بانجازها على التكلم بكلمة لعل وعسى كما هو دأب
العظماء او لان فيه التنبيه على انه لا ينبغي ان يتكل العباد ومن هنا ما روي عن معاذ رضي الله عنه
قال كنت ردف النبي عليه السلام على حمار فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله
قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان
لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا اي يتكلوا ويتركوا
الاجتهاد في العبادة واعلم ان الظاهر ان قوله لعلكم تتقون متعلق بخلقكم والترجي على عالم الغيب
والشهادة محال فيحمل لعل على الاستعارة بان شبهت حال خلقه العباد في ان فوض اليهم الامر ومكنهم
من الفعل والترك ووضح لهم الاختيارين ليبلوهم مع ارادة التقوى بحال من يترجى منه التقوى
ثم استعير لهذه الحالة لحالة مع العباد فاستعمل فيه لعل فالمشبه المحذوف المستعار له هي الحالة
المخصوصة المشبهة بالترجي لا العباد انفسهم والحاصل ان لعل موضوعة لحقيقة الترجي فاستعيرت
هنا لتلك الحالة التي حاصلها ارادة الخير والتقوى منهم مع تفويض الاختيار اليهم استعارة تبعية
والحالة المشبهة بها حاصل معناها ترجي الخير والتقوى من المخاطبين فما نقل عن سيبويه وغيره ان معنى
لعلكم تتقون ونحوه كي تتقوا اجمل بحاصل معنى الاستعارة لان خلقهم مع ارادة التقوى في معنى خلقهم لاجل
التقوى والقول بان الترجي من العباد لعل متعلق باعبدوا اي اعبدوا راجين ان تصلوا الى نعمى
غايات العبادات او بخلقكم على معنى خلقكم مقدرا رجاؤكم التقوى فالتقدير من الله خالق الخلق والرجاء
من العباد ولو بعد حين بعيد جدا اما الاول فلانه لا يرجح تعليقه بالاقرب الى الابعد واما الثاني
فلان المقصود من الخلق هو التقوى لا رجاؤها بدليل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ما خلقتهما الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها وليست التقوى غير العبادة على ان الاشهر
الاكثر والاصح دخل المخاطبون في قوله لعلكم تتقون على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهما جميعا

لما مر من ان لعل متعلقة بخلقكم لا باعبدوا حتى يختص بالناس المخاطبين اذ لا معنى لقولنا اعبدوه
لعلكم تتقون **الذي جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية او منصوب او مرفوع على المدح
او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل يجيء لازما بمعنى صار وطفق ومتعديا الى مفعول كقوله وجعل
الظلمات اي خلق والى مفعولين بمعنى صير ومنه جعل لكم الارض فراشا والتصيير تارة بالفعل
وتارة بالقول او العقد وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا
ومهادا ان ابرز بعض جوانبها عن الماء وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى
صارت مهيأة لان يقعدوا عليها وينامو ويتقلبوا كالفراش المبسوط الذي يتقلب احدهم عليه
وبساطا ومهادا وذلك لا يقتضي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها
وتباعد اطرافها لا تنافي الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او طرافا او خباء ومنه ابنية العرب لاخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها
خباء جديدا والبيت من الطين او اللبن والشعر وغير ذلك والقبة مثل الخيمة والطراف من الادم
والخباء من الصوف والوبر **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم**
عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته لكن جعل الماء سببا لخروجها ومادة لها
كماء الفحل في خلق الولد بان اجرى عادته بافاضة الصور والكيفيات على المادة الممتزجة منه
او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد باجتماعهما انواع الثمار كقوله ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد
كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء
سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد
سحابا ماطرا ومن في الثمرات للتبعيض اما اولا فلمطابقته الآيات الواردة في هذا المعنى كقوله فاخرجنا به من
كل الثمرات اذ لا وجه للبيان لانه لم يسبق مبهم يكون هذا بيانا له واما ثانيا فلاكتناف المنكرين له اعني
ماء ورزقا فان المخرج ببعض الماء لاجل بعض الرزق لا يكون الا بعض الثمرات فمعنى البعضية مراد
في الثلثة واما ثالثا فلمطابقته للمعنى في الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء بل بعضه ولا اخرج بالمطر
كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق وعلى هذا يكون من الثمرات مفعولا به اي بعض الثمرات وحقيقته شيئا
من الثمرات لاجل ان يرزقكم او للتبيين من رزقا وهو مفعول به لاخرج بمعنى المرزوق ولكم
صفة له وهنا الثمرات حال منه اي اخرج مرزوقا لكم من الثمرات كقولك انفقت الفا من الدراهم وانما
اوثر الثمرات جمع قلة على الثمر والثمار لان الثمرات جمع الثمرة التي هي بمعنى الكثرة لا الوحدة اذ المراد

لان من حرف لا اسم ويكون رزقا مستعملا في معناه المصدري
مفعولا له ولكم مفعول رزقا اي اخرج بعض الثمرات صح

بالثمرة

بالثمرة معنى الثمار والثمار اذا تلاحقت واجتمعت تطلق عليها الثمرة ونظيره قولهم كلمة الحويدرة
والقصيدة كلمات متلاحقة فالكثرة المستفادة من الثمرات اكثر من الكثرة المستفادة من الثمار او لان الثمرات
واقعة موقع جمع الكثرة كما في قوله كم تركوا من جنات لان كم للتكثير كما يقع جمع الكثرة موقع جمع القلة
مثل ثلثة قروء لان مميز الثلثة لا يكون الا جمع قلة او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة
ويؤيد الوجه الاول قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد لكن الحق ان جمع الصحيح انما يكون للقلة اذا
لم يعرف باللام **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على معنى اذا امرتم بعبادة ربكم فلا تشركوا به
شيئا ليكون عبادتكم على التوحيد الذي هو اصل العبادة واساسها وهذا اولى من جعله عطفا على
اعبدوا لان الانسب حينئذ العطف كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وعلى ما ذكرنا يمتنع ان يكون نهيا
منصوبا باضمار ان كما في ذرني فاكرمك لان تعتبر اصالة التوحيد للعبادة يأبى كون العبادة سببا له
على مقتضى انتصاب المضارع بعد الاشياء الستة او متعلق بلعل فينتصب باضمار ان تشبيها له
بليت وقد نحى في لعل معنى ليت من قرأ فاطلع بالنصب وهو في حرف عاصم اي خلقكم لكي تتقوا
عقابه فلا تشبهوه بخلقه وهذا اخل بحاصل معنى الاستعارة كما ذكرنا فالمعنى خلقكم في صورة
من يرجى منه التقوى اي الخوف من العقاب لكون ذلك سببا لعدم اشراككم او بالذي جعل لكم
ان رفعته على الاخبار عنه على انه نهي مرتب على مضمون الجملة اي هو الذي نصب لكم
دلائل التوحيد فلا تشركوا والند المثل المخالف المناوئ قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديدا اي اتجعلون تيما ندا الي وهو لا يصلح ندا لمن هو دون من شأنه
ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته ونافرته وتسمية الاصنام اندادا لان المشركين
لما تركوا اليها وعظموها حتى تركوا عبادة الله تعالى الى عبادتها وسموها آلهة اشبهت حالهم
حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على مخالفته ومضادته فتهكم بهم بلفظ
الند وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لله الذي يستحيل ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية
زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا
اي وحالكم وصفتكم انكم من صحة التمييز بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال
بمنزلة لا تدفعون عنه ومفعول تعلمون مطروح متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة واصابة
الرأي والتوبيخ في التزام آكد اي انتم العارفون المتميزون المصيبون في التأمل فلو انكم تأملتم ادنى تأمل
اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منزه عن الامثال والاكفاء متوحد بالقدم ما لبثتم في وجوب
الذات ومتعال عن الاشتباه ... وان ما انتم عليه من عبادة الاصنام وجعلها اندادا هو
غاية الجهل ونهاية سخافة العقل فان وجود الممكنات واستنادها ... على ان
في الواقع موجودا هو ... يدل على توحيده ... يشهد بها كل نفس ...

[illegible]

ان الله لا يماثل او وانتم تعلمون ان الاصنام لا تفعل ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت فمضمون الايتين
هو الامر بعبادة الله والنهي عن اتخاذ الشريك والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه
ان الحكم اذا قرن بصفات مناسبة كان ذلك الحكم مضافا الى [illegible] الصفات بطريق
الايماء فلما رتب سبحانه الامر بالعبادة في قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم على صفة
الربوبية اشعر بانها العلة لوجوبها فان شكر المنعم واجب ثم بين ربوبيته بان خلقهم
احياء قادرين لان جميع النعم موقوف على ذلك فهما بمنزلة اصول النعم والسبب في
التمكن من العبادة والشكر وخلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وخلق
السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وساق ما يحتاجون
اليه في المعاش من المطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول
والمشروب وهذا ليتفكروا في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه
المخلوقات لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس
كمثله شيء حتى لا يجعلوا له اندادا ولما شهدت هذه الامور على وحدانيته رتب عليها
النهي عن الاشراك به قيل ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق
فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات
على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه
من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى
النفسانية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا
ولكل حد مطلعا وبالجملة ففي الايتين دليل خمس اثنان من الانفس وثلثة من الافاق اما
دليل النفس فاولهما خلقكم وثانيهما خلق من قبلكم من الاصول بانعام على الفروع واما
دليل الافاق فخلق الارض وخلق السماء واخراج الثمرات ثم في كل منها ايات تدل على الصانع
وتوحيده وقدرته وحكمته وتوجيهه اما الانفس ففي ابتدائها وتنقلها من حال
الى حال وفي بواطنها وظواهرها ما يتحير فيه الاوهام من بدائع الفطرة سيما القلوب
وما ذكر فيها من العقول التي خصت باجناس الاحوال واصناف المعارف فانها ايات ساطعة
وبينات قاطعة على موجدها وتوحيده وقدرته وحكمته ودع الالسن والاسماع
والابصار وساير الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما خلق في الاعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين
واما الافاق فسياتي بيان كل منها في موضعه باذن الله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما اثبت الوحدانية وابطل الشرك وبين الطريق الموصل

ثلث ح

والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية ع

والانعام على الاصول ح

الى العلم بذلك وهو النظر في الافاق والانفس وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله
واستبدل خلاف الفطرة ذكر عقيبه ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو القران العظيم الذي اعجز بفصاحته مصاقع المنطقاء واخرس ببلاغته شقاشق
العرب العرباء مع كونهم المراض في الساجل والسابق في رهان المناجزة المنهمكين على الاعتياد
وركوب الشطط في امتهان المناجزة وارشدهم الطريق الى مزيل الريب وما يتعرف به
اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعي وهو ان يجتهدوا انفسهم ويبرزوا فرسانهم
في البلاغة هل تتم المعارضة ام تتضاءل فيتحقق عجزهم ان ليس فيه مجال الشبهة ولا
مدخل الريبة واعلم ان ان واذا للشرط في الاستقبال لكن اصل ان عدم القطع بوقوع
الشرط كقول القائل لصاحبه ان اكرمتني اكرمتك وهو لا يعلم ايكرمه ام لا ولهذا
لا تقع في كلام الله تعالى على الاصل الا حكاية واصل اذا القطع بوقوعه كقولك
اذا زالت الشمس اتيتك فاذا استعملت ان في مقام القطع والجزم لم تخل عن نكتة كالتجاهل
لاستدعاء المقام اياه وكعدم جزم المخاطب وكتنزيله منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم
وكالتوبيخ على الشرط وتصوير ان المقام لاشتماله على ما يقلع الشرط عن اصله لا يصلح الا لمجرد
فرضه كما يفرض المحال لغرض كقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين
فيمن قرا ان بالكسر فكونهم مسرفين امر مقطوع به لكن جيء بلفظ ان لقصد التوبيخ والتجهيل
في ارتكاب الاسراف وتصوير ان الاسراف من العاقل يجب ان لا يكون الا على سبيل
الفرض والتقدير وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به ويجيء قوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا بلفظ ان يحتملها وكذا قوله وان كنتم في ريب من البعث
وبيانه ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا مع المخاطبين المرتابين في حقية القران
وكونه من عند الله وقوله وان كنتم في ريب من البعث مع المرتابين في المعاد
وحشر الاجساد لقصد توبيخ المخاطبين على الارتياب في امر يشتمل المقام على ما يدل
على حقيته وزوال الارتياب فيه بالكلية وهو الاعجاز المشار اليه بقوله
فاتوا بسورة من مثله وابتداء الخلق المشار اليه بقوله فانا خلقناكم من تراب ثم من
نطفة ثم من علقة ولتصوير ان الارتياب في مثل هذا المقام لا ينبغي ان يثبت
الا لما قلنا الا على سبيل الفرض والتقدير كما يفرض المحالات لاغراض يتعلق بها
كالتبكيت لاشتمال المقام على ما يدل على ان الارتياب مما لا ينبغي ان يصدر
عن عاقل اصلا كما بينا نحو منزلة المحال والمحال وان كان مقطوعا بعدم وقوعه
لكنهم يستعملون فيه ان لتنزيله منزلة ما لا قطع بعدمه على سبيل المساهلة و
ارخاء العنان لقصد التبكيت ومثله قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا

وقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فان قيل الشرط هو الارتياب
والاسراف في الاستقبال وذلك مما لا قطع بوجوده ولا بعدمه فلا حاجة الى تاويل
اجيب بان الظاهر من حالهم الارتياب والمسرف بقاؤه على حاله ومثل هذا
يعد في العرف قطعا اي جزما والصواب ان ليس المراد الارتياب او الاسراف
المستقبل بل الماضي المتحقق في الحال ومن ثم قال الكوفيون ان ان ههنا
بمعنى اذ وعند المبرد والزجاج كلمة ان لا تقلب كان الى معنى الاستقبال
وذهب كثير من النحاة الى انه اذا اريد بقاء الماضي على معناه يجوز ان يجعل
الشرط لفظ كان كقوله تعالى ان كنت قلته وان كان قميصه قد من قبل
وذلك لقوة دلالة كان على معنى المضي لتمحضه للزمان لان الحدث المطلق
الذي هو مدلوله يستفاد من الخبر فلا يستفاد منه الا الزمان ومما
اي كون الفعلين للتوبيخ والتصوير المذكور احد الاحتمالين والاحتمال
الثاني هو ان يكون استعمال ان فيهما لتغليب غير المرتابين من المخاطبين
اذ كان فيهم من لا يرتاب على المرتابين وجعل الكل بمنزلة غير المرتابين
فان قيل اذا جعل الجميع بمنزلة غير المرتابين كان الشرط قطعي اللاوقوع والانتفاء
فلا يصح استعمال ان فيه كما اذا كان قطعي الوقوع والثبوت لانها انما
يستعمل في المعاني المشكوكة قلنا المراد تغليب غير المقطوع بارتيابهم
على المقطوع بارتيابهم وقيل لما غلب صار الكل بمنزلة غير المرتابين
وصار الشرط قطعي الانتفاء فاستعمل ان فيه على سبيل الفرض والتقدير
للتبكيت والالزام كقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وقل ان كان
للرحمن ولد الاية واما ما يقال ان البعض مرتاب قطعا والبعض غير مرتاب
قطعا فجعل الجميع كانه لا قطع بارتيابهم ولا بعدم ارتيابهم فيصلح نكتة
اخرى في استعمال ان في هذا المقام وليس من التغليب في شيء وانما قيل
نزلنا دون انزلنا لما فيه من الدلالة على التدريج والتوزيع والنكتة
لان نزوله نجما نجما بحسب المصالح ووقوع الحوادث على ما ترى عليه امر الشعر
والخطابة مما يريبهم وهو من عبارة لمكان التحدي وذلك احد اسباب طعنهم
وارتيابهم في القرآن وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة
فقيل لهم ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا التدريج نجما ومفصلا
الى السور والايات فاتوا بسورة من سوره ونجم من نجومه فانه اسهل من ان
ينزل القرآن جملة واحدة ويتحدى بها فما احاروا بنت شفة ولا رجعوا

في مقام تلاوة الآية عليهم عن موصوف كالسورة والصفة كالفصاحة والبلاغة
المشار اليهما بقوله من مثله على انهم كانوا امراء الكلام وزعماء الحوار ثم لم
العصبية الابية عضت مناجزهم كما هو ان لا يصعب ضبط مطراته جهاما ولم
ينبض منهم عرق من كثرتهم ما قراطيهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعارة
والمباراة وهذه غاية التبكيت والالزام ومنتهى ازاحة العلل والشبه واضاف
العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ على عبادنا يريد
رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث ايات ومعنى
المترجمة المسماة باسم كسورة الكوثر وسورة الاخلاص ونحو ذلك وفيه تنبيه الاحتراز
عن العشر والربع ونحوهما مما هو عدة ايات من سورة وقولنا التي اقلها ثلاث ايات تنبيه
على ان اقل ما يتالف منه السورة ثلاث ايات لا قيد في التعريف اذ لا يصدق على شيء
من السور انها طائفة مترجمة اقلها ثلاث ايات كما يظهر بادنى تامل وهي ان كانت
واوها اصلية منقولة من سور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة
محوزة على حيالها او افرادها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس
من الفوائد احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط
حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى
فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة
وان جعلت واوها مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء
والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم
وتسهيل الحفظ والترغيب فيه وتنشيط القارئ فانه اذا ختم سورة او بابا من الكتاب
ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث له كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا
او طوى فرسخا او بريدا نشط للسير ونفس ذلك عنه ومن ثم جزأ القراء القرآن وغير ذلك
من الفوائد فاتوا بسورة من مثله جزاء الشرط قال الفاضل ان كان ماضيا او
ماضيا صحيحا او مبتدا وخبرا فلا بد من الفاء لتكون دليلا على تعلق هذه الجملة الواقعة
جزاء الشرط فانه انما يتعلق بالفاء حيث لم يقدر على الجزم فيه والاية تثبت النبوة
معجز الكريم والمتكلمون لهم مسالك في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها انه عليه السلام
ادعى النبوة وظهر المعجزة على يده اما الاول فثابت بالتواتر المفيد بالعيان واما الثاني
فمعجزة القرآن فانه تحدى به ولم يعارض فكان معجزا اما انه تحدى به فقد ثبت بالتواتر
بحيث لم يبق فيه شبهة وايات التحدي كثيرة كقوله تعالى فاتوا بحديث مثله وقوله فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله

وقوله فأتوا بسورة من مثله تحداهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول الصاحب
اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه يقول فاقتصر منك على
سطر واحد وأما أنه لم يعارض فلأنه لو عورض لتواتر لأنه مما تتوفر الدواعي إلى نقله
سيما والخصوم أكثر من حصى البطحاء وأكثر عدداً من رمال الدهناء وأحرص الناس على إشاعة
ما يبطل دعواه واختلفوا في جهة إعجازه مع الاتفاق على كونه معجزاً فالمحققون على أنه
بكونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة وقيل بإخباره عن المغيبات وقيل بأسلوبه الغريب
وقيل بصرف الله العقول عن المعارضة والصحيح ما عليه المحققون ومنها الاستدلال بأحواله
قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها وأخلاقه العظيمة وأحكامه الحكيمة المفصلة في الكتب
المعتبرة وإقدامه حيث يحجم الأبطال فإنه عليه السلام لم يفر قط من أعدائه وإن عظم الخوف
مثل يوم الأحزاب ويوم أحد وذلك يدل على قوة قلبه وشهامة جنانه ولولا ثقته بعصمة
الله إياه من الناس لامتنع ذلك عادة وهذا المسلك مما ارتضاه حجة الإسلام الغزالي
رحمه الله والجاحظ ومنها أخبار الأنبياء المتقدمين عليهم بنبوته عليه السلام في التوراة
والإنجيل ومنها أنه عليه السلام ادعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم أني بعثت من عند الله
بالكتاب المبين والحكمة الباهرة لأتمم مكارم الأخلاق وأكمل الناس في قوتهم العلمية بالعقائد
الحقة والعملية بالأعمال الصالحة وأنور العالم بالإيمان والعمل الصالح ففعل ذلك وأظهر
دينه على الدين كله كما وعده الله حتى اضمحلت تلك الأديان الزائغة وزالت المقالات
الفاسدة وأشرقت شموس التوحيد وأقمار التنزيه في أقطار الآفاق ولا معنى للنبوة إلا ذلك
فإن النبي هو الذي يكمل النفوس البشرية ويعالج الأمراض القلبية التي هي غالبة على أكثر النفوس
فلا بد لهم من طبيب يعالجهم ولما كان تأثير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في علاج القلوب المريضة
وإزالة ظلماتها أكمل وأتم وجب القطع بكونه نبياً وهو أفضل الأنبياء والرسل وهذا مما
ارتضاه الإمام الرازي رحمه الله وقال هذا برهان ظاهر من باب برهان اللم فإنا بحثنا
عن حقيقة النبوة وبينا أن تلك الماهية لم تحصل لأحد كما حصلت له عليه السلام فيكون أفضل
ممن عداه وأما إثباتها بالمعجزة فمن برهان الإن ولكن إن تقرر هذا المقام بعون الله على كل
تقدير فإن الآية مما يتعلق بالعقائد الدينية واعلم أن العلماء اتفقوا قاطبة على أن صيغة
الأمر هاهنا ليست مستعملة لطلب الفعل استعلاء كما هو معناه الحقيقي بل للتعجيز إذ ليس المراد طلب
إتيانهم بسورة من مثله لكونه محالاً ومن مثله ظرف متعلق بفأتوا والضمير لعبدنا أو صفة
لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من القرآن شبيهة به في البلاغة وحسن النظم أو
لعبدنا أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم
فإن قيل لم لا يجوز على الأول أن يكون الضمير لما نزلنا كما جاز على الثاني أجيب بأنه يقتضي

ثبوت

ثبوت مثل القرآن في البلاغة وعلو الطبقة بشهادة الذوق إذ التعجيز إنما يكون عن المأتي به
ورجوع المجاز إلى أن يؤتى منه بشيء ومثل النبي عليه السلام في البشرية والعربية موجود بخلاف مثل
القرآن في البلاغة وحسن النظم وأما إذا كان وصفاً للسورة فالمعجوز عنه هو الإتيان بالسورة
الموصوفة ولا يقتضي وجود المثل وإنما يقتضي انتفاءه حيث تعلق به أمر التعجيز وحاصله أن
قولنا ائت من مثل الحماسة ببيت يقتضي وجود المثل بخلاف قولنا ائت ببيت من مثل الحماسة
وقد يجاب بوجه آخر الأول أنه إذا تعلق بفأتوا فمن للابتداء قطعاً إذ لا إبهام يبين ولا سبيل
إلى التبعيض إذ لا معنى لإتيان البعض ولا مجال لتقدير الباء مع من كيف وقد ذكر المأتي به صريحاً
وهو السورة وإذا كانت من الابتداء تعين كون الضمير للعبد لأنه المبدأ للإتيان لا مثل القرآن
وفيه نظر لأن المبدأ الذي يقتضيه من الابتدائية ليس هو الفاعل حتى يتعين هاهنا المبدأ للإتيان
بالكلام في المتكلم الثاني أنه إذا كان الضمير لما نزلنا فمن مثله فأتوا كان المعنى فأتوا
من منزل مثل بسورة وكان مماثلة ذلك المنزل لهذا المنزل هو المطلوب لا مماثلة سورة
واحدة منه بسورة من هذا والظاهر أن المقصود خلافه كما نطقت به الآي الأخر وفيه نظر
لأن إضافة المثل إلى المنزل لا تقتضي أن يعتبر موصوفه منزلاً ألا ترى أنه إذا جعل صفة
سورة لم يكن المعنى بسورة من منزل مثل القرآن بل من كلام مثله فكيف يتوهم ذلك والمقصود تعجيزهم
عن أن يأتوا من عند أنفسهم بكلام مثل القرآن بل ولو سلم فهذا ادعاء من لزوم خلاف المقصود له
غير بين ولا مبين [illegible] أنها إذا كانت صلة فأتوا كان المعنى فأتوا من عند المثل كما يقال
ائتوا من زيد بكتاب أي من عنده ولا يصح ائتوا من عند مثل القرآن بخلاف مثل العبد وهذا أيضاً
بين الفساد إذ لا قصد إلى مثل ونظيره هنالك بطلب الإتيان بسورة منه بل المراد بالمثل ما
هو على صفة القرآن في نهاية البلاغة أو من هو مثل محمد عليه السلام في كونه عربياً أمياً وهو إن
كان محققاً لكن ليس القصد هنا إلى القصد إذ لم يقصد أحد كون مثله كقول القبعثرى للحجاج
وقد قال له لأحملنك على الأدهم مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب أي من كان على صفة الأمير
من السلطان وبسطة اليد ولم يقصد أحد يحمله مثل الحجاج ورد الضمير إلى المنزل أوجه لأنه
المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولأن الكلام في المنزل لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب الإيجابي إلا أن المعنى وإن
ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيئاً مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب
لو رد الضمير إلى النبي أن يقال وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولأن
مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جنسهم وأهل
جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت واحد آخر
بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان

حدوث ... فمن لم يكن على صفته ولا يليق به قوله وادعوا شهداءكم
من دون الله امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويستظهروا
بهم حقيقة او تهكما وادعوا شهداءكم
الشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام
وكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب
للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد
لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة تحضره من دون الله
ومعنى دون في الاصل ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون
وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء
بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها ودونك هذا اي خذه من ادنى
مكان منك ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون
عمرو في الشرف والعلم ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي حكم الى حكم اي استعمل لكل تجاوز من غير اعتبار التفاوت و
الانحطاط قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى
تجاوزوا المؤمنين وادعوا رؤساكم ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثل القرآن يعني انهم ايضا
لا يشهدون بذلك لو فضحهم بطلانه او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان
ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او ادعوا من
دون الله شهداءكم ... [illegible] ... الا الله تعالى ... [illegible]
... [illegible] ... بمثل القرآن ... [illegible] ... فان المعنى على هذا
ادعوا للاستظهار في معارضة القرآن الذين اتخذتموهم ... [illegible] ... انها تشهد لكم
يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم ... [illegible]
... [illegible] ... بمثل ما ... [illegible] ... الموضحين ... [illegible]
... [illegible] ... بطلانه ... [illegible] ... الاستظهار ... [illegible]
... [illegible] ... والخامس ... الاستظهار ... [illegible]
والتعريض ... [illegible] ... شهيدا
... [illegible] ... كما في سائر الظروف

غير المستغرقة وهي التي تكون مسبوقة على الظرف ... [illegible]
او الادعاء فقد انتهى امر دون الله وان التعلق بالشهداء او معنى يشهدون بين يدي الله فللتبعيض ... [illegible]
... [illegible] ... الجالس بين يديه ... [illegible]
... [illegible] ... كما تقول جئته من الليل اي بعض الليل ان كنتم صادقين اي في كلامكم
وجوابه محذوف ... [illegible] ... والصدق وهو الخبر عن الشيء على ما هو به ... والصدق والكذب
يوصف بهما الكلام والمتكلم وقد يستعمل ... [illegible] ... كما تقول ان كنتم
في ريب ... [illegible] ... في مقام التاكيد ... [illegible]
... [illegible] ... فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما ... [illegible] ... الريب وما ... [illegible]
القرآن معجز ... [illegible]
... [illegible]

عن الهمداني بالضم تسمية بالمصدر فان الوقود قد يكون مجازا عما يتوقد به كقولهم فلان فخر قومه اي ما يفتخر به قومه ويجوز
ان يكون على حقيقته والمجاز في الاسناد كما في قولك حيوة المصباح السليط وهو الزيت الجيد حيث جعله حيوة
لكونها لا يتحقق الا بالسليط كانها نفس السليط فالمجاز في الاسناد نفسه حيث جعله كانها تجسمت من الاقبال والادبار
والغرض من الوصف بالمصدر هو المبالغة حتى يكون المعنى في رجل عدل انه كان مجسم من العدل ولو جعلناه
بمعنى اسم الفاعل او حملناه على حذف المضاف اي ذو عدل وذو وقود ذات اقبال وادبار لفات ذلك
وخرجنا الى شيء مفسول وكلام عامي مرذول والحجارة جمع حجر نحو جمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس
واختلف فيها فقيل المراد بها اصنامهم التي نحتوها وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دون الله ليقربهم الى الله زلفى قال
تعالى عما يقولون كل ظالم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فان قوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى
الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقدوا في حجارتهم المعبودة انها الشفعاء والشهداء
جعلها الله عذابهم وقرنهم بما هو منشا جرمهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم كما عذب الكافرون بما كنزوه الا غافي الاجرام
واغرافا في تحسيرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويمنعونها من الحقوق فيحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها واسرعها وقودا
وابطئ خمودا والصق بالبدن وانتن الرائحة وهو مما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما واعترض عليه بانه تخصيص بغير دليل
وابطال للمقصود وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل والمراد بالتخصيص هاهنا التقييد
اذ لا عموم ولا وقود لكل حجارة وانما المراد الجنس وقد دل قوله انكم وما تعبدون الاية ان الحجارة التي هي الاصنام وقود
جهنم فيكون الواقع المشهود لهذا المعنى واما انه ابطال للمقصود فلان الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد
بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله اراد به ان الاحجار كلها
لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران وقيل معنى وقودها الناس والحجارة اي حطبها الناس اذ صاروا
اليها والحجارة قبل ان يصيروا اليها وقيل معناه ان مع كل انسان من اهل النار حجر معلق في عنقه حتى اذا طفئت النار
رسبته الحجر الى الاسفل ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة بازائها فان صلة الذي والتي يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب
فان قيل انار جهنم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة اجيب بانها نيران شتى منها نار
تتوقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل
لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها الناس جزاء لكل جنس بما يشاكله
من العذاب اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة مستانفة او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان كان مصدرا للفصل
بينهما بالخبر وفيه دليل على ان النار مخلوقة معدة لهم الان وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
قد يتوهم ان وبشر عطف على اعدت وليس كذلك بل هو عند جماعة عطف على صريح الامر وهو فاتقوا النار على طريقة
قولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم واعترض عليه اولا بان الجملة [illegible]

رجل عدل الغرض من الوصف بالمصدر [illegible] مرذول

بينهما وان كانت موجودة باعتبار التقابل بين المسندين والمسند اليهما لكن العطف بين امرين لمخاطبين مختلفين من غير التصريح
بالنداء مثل قم يا زيد واقعد يا عمرو مستقبح عندهم بل صرح بعضهم بعدم جوازه وثانيا بان فاتقوا جزاء
لقوله فان لم تفعلوا وليس قوله وبشر مسببا عن ذلك الشرط فلا يصح عطفه على جزائه واجيب عن الثاني بان المعنى
فان لم تفعلوا فاتقوا النار واتقوا ما يغيظكم من حسن حال اعدائكم فاقيم وبشر مقامه لان التبشير مقصود في نفسه
ايضا مع غيظهم وهذا القدر من الربط كاف وقيل هو من عطف القصة على القصة لان المعتمد بالعطف هو مجموع
وصف ثواب المؤمنين فهو معطوف على مجموع عقاب الكافرين وقيل الاقرب ان يكون الامر هاهنا وفي سورة
الصف وبشر المؤمنين معطوفا على مقدر يدل عليه ما قبله وهو هاهنا فانذر ونحوه اي فانذرهم وبشر الذين
امنوا وفي ذلك فابشر ونحوه اي فابشر يا محمد وبشر المؤمنين واختار السكاكي انهما معطوفان على قل مقدرا
قبل يا ايها الناس اعبدوا وقبل يا ايها الذين امنوا لان ارادة القول وتقديره بواسطة انصباب الكلام
الى معناه كثير في القران والكلام فيما نحن فيه منصب الى معناه لانه تم بامرهم ونهيهم على لسان النبي عليه السلام
وذكر طرقا كثيرة منها قوله وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اي وقلنا او قائلين كلوا وقوله قد علم كل اناس
مشربهم كلوا واشربوا وقوله ورفعنا فوقكم الطور خذوا وكان الواجب ان يتعرض لدفع ما فيه من مانع قوي
وهو ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى اخره ان لم يكن داخلا في حيز القول المقدر اختل نظم الكلام
وان دخل كان النبي عليه السلام مامورا بان يقول ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وهو ظاهر الفساد ووجه الدفع
انه داخل فيه بمعنى انه مامور بتادية معنى الكلام بعبارة يليق به كانه يقول وان كنتم في ريب مما نزل علي او مامور
بتبليغ هذه العبارة على طريق الحكاية عن الله تعالى فلا اشكال ونظيره قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
اي اذا الهم هذا الكلام بطريق الخطاب وبطريق الحكاية فكما ان هنا يعدل عند التادية عن طريق الغيبة
الى الخطاب كذلك هنا يعدل عن طريق التكلم الى الغيبة وعن طريق الغيبة الى التكلم فيقال فان كنتم في ريب
مما نزل الله علي والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ومن ثم قال العلماء رحمهم الله استعمال
البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم
ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من
اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فيما استعمل فيه ضد معناه بتنزيل التضاد منزلة التناسب
تهكم ان قصد الهزء والتهكم او تمليح ان قصد به الظرافة والاتيان بشيء فيه ملاحة وذكر العذاب قرينة على ان تبشيرهم
استعارة تبعية تهكمية فيقصد به [illegible] وتحقيق ذلك
ان فبشرهم وانذرهم بتشبيه البشارة التي هي الخبر [illegible] الانذار الذي هو [illegible]
الانذار في جنس البشارة [illegible] واما قوله [illegible]
ولا يخفى امتناع اجتماع التبشير والانذار من جهة واحدة وكذا الشجاعة والجبن والصالحة [illegible]
مجرى الاسم [illegible] من الاعمال ما سوغه
الشرع وحسنه واللام للجنس وفي عطف العمل على الايمان دليل [illegible] ان العطف يقتضي المغايرة

وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه وان الجنة منصوب بنزع الخافض وايصال الفعل اليه او مجرور باضماره والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل لالتفاف اغصانه قال السدي جنة الفافا اي مختلطا والمدار التركيب على الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان وقيل سمي بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليين وفيه نظر بل الصحيح انه قال ثمانية كما سيجي تقريره وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال قال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده لا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك وامثال ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها فان قلت الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن اولا قلت نعم انهما مخلوقتان عند اهل الحق باسرهم واليه ذهب الجبائي وابن المعتمر وابو الحسين البصري واكثر المعتزلة وقالوا انهما يخلقان يوم الجزاء لنا وجوه الاول قصة آدم وحواء واسكانهما الجنة واخراجهما من الجنة على ما نطق به القرآن العظيم واذا كانت مخلوقة فكذا النار اذ لا قائل بالفصل الثاني قوله تعالى في صفتهما اعدت للمتقين اعدت للكافرين بلفظ الماضي وهو صريح في وجودهما ومن استقراء الحديث الصحيحة وجد فيها شيئا كثيرا مما يدل على وجودهما ولا يخفى الثالث مجيئها في القرآن على اسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحو ذلك وانما شبهت بهذه الاسماء اشعارا بانها لم تصر علما لانها قد تنكر وقد تعرف وقد تجمع وقد توصف بها اسماء الاشارة نحو تلك الجنة ووجه الحاقها بالاعلام ان اطلاقها ينصرف الى المعين وان كان المفهوم كليا لكن غلبة الكتاب مع اللام في عرف الاصول على كتاب الله تعالى وفي عرف العربية على كتاب سيبويه من قبيل الاعلام واما المنكرون فتمسك عباد الصيمري في استحالة كونهما مخلوقتين الآن بدليل العقل وابو هاشم بدليل السمع قال عباد لو وجدتا فاما في عالم الافلاك او العناصر او في عالم اخر والثلاثة باطلة اما الاول فلان الافلاك لا تقبل الخرق والالتيام فلا يحلها شيء من الكائنات الفاسدات وهما على الوجه الذي يثبتونه من قبيل ما يتكون ويفسد واما الثاني فلانه قول بالتناسخ لان النفوس تتلذذ بابدان موجودة في العناصر بعد ان فارقت ابدانا فيها وانتم لا تقولون به وقد ابطل بدليله واما الثالث فلان الفلك بسيط وشكله الكرة ولو وجد عالم آخر لكان كرويا ايضا فيوجد بينهما خلاء وانه محال واجاب اهل الحق بانا لا نسلم امتناع الخرق على الافلاك ولا لزوم في عالم العناصر قول بالتناسخ وانما يلزم ذلك لو قلنا بالعود الى ابدان اخر ولا نسلم ان وجود عالم اخر محال وتمسك ابو هاشم بوجهين الاول قوله تعالى في وصف الجنة اكلها اي ما كولها دايم مع قوله كل شيء اي موجود هالك الا وجهه فلو كانت الجنة مخلوقة وجب هلاك اكلها فلم يكن دايما

ان الجنة والنار انهما مخلوقتان عند اهل الحق

دايما وهو باطل بدليل الاية الاولى فليست مخلوقة الآن وكذا النار والجواب اكلها دايم بدلا اي كلما فني منه شيء جيء ببدله فان دوام اكل بعينه غير متصور ودوام الكل على سبيل البدل لا ينافي هلاكه اما انا نقول ان كل شيء هالك في حد ذاته بمعنى ان الوجود الامكاني بالنظر الى الوجود الواجبي بمنزلة العدم وايضا الهلاك يكون بتفريق الاجزاء دون اعدامها ثم بعد ذلك يجمعها وذلك كاف في هلاكها فيكونان دائمين الثاني قوله تعالى في وصف الجنة عرضها السموات والارض ولا يتصور ذلك الا بعد فناء السموات والارض لامتناع تداخل الاجسام اجيب بان المراد ان عرضها كعرض السموات والارض لامتناع ان يكون عرضها عرضهما بعينه لا حال البقاء ولا بعد الفناء اذ يمتنع قيام عرض واحد شخصي بمحلين موجودين او احدهما موجود والاخر معدوم وللتصريح في آية اخرى بان عرضها كعرض السموات والارض فيحمل هذا على تلك كما يقال ابو يوسف ابو حنيفة اي مثله تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها فانه لا يخفى ان الانهار انما تجري تحت الاشجار فيكون على حذف المضاف وقيل اي من اسافل ارضها وقيل من تحت غرفها وقيل من تحت ما علاها من القصور والغرف لا تحت الارض كقوله عليه السلام تحت كل شجرة حجر جاءنا اي تحت ما علاها لا تحت الجلد وقيل اي بحيث تقع ابصارهم وهم في العلو وذلك انزه عند الناس واعلا واطيب ولا تذهبن الى ان الجنة نفس الاشجار الملتفة او الارض التي فيها ذلك بل الى انها عبارة عن مجموع الشيئين وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود والاخدود شق في الارض مستطيل الاعراف انها رابعها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة محمد هم على الاعراف حائط الجنة تجري فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار هذا كله لفظ الحديث واللام في الانهار للجنس والاحسن ان يكون للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والسيحون والجيحون كما يتعلق به الخبر والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها اي ما فيها من الاموات والمراد بسبب الاخراج الى مكانه وجوده تعالى حقيقة فان قلت اخبرنا من اهل الجنة قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وقال انس قال عليه السلام الا اخبركم باهل الجنة من لا يشتغل عن الجمعة حر شديد ولا برد شديد ولا زمهرير وعن بريدة الاسلمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها امتي واربعون من سائر الامم قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة شباب جرد مرد مكحلون لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة مرد الا موسى ابن عمران فان لحيته الى سرته ومن اعظم صفاتهم واجلها انهم في الدنيا احسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم الخليل ان احسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي وان اسقيه من حظيرة قدسي وان ادنيه من جواري

وقال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كاشد كوكب دري
في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من
من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون
ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود
مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء
وقال عليه السلام اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون
الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله فما اعطوا
شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين احسنوا الحسنى وزيادة . وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة
منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر
الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هم او هي لا شانها لعدم العائد وان اريد ان الجملة خبر من قبل
عن ضمير الشان فلا يكون المحذوف شانها بل هي بمعنى القصة والشان او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم
جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها
اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله وههنا بحث وهو ان الجملة
المحذوفة المبتدا اما ان يجعل صفة او استئنافا فاعتبار الضمير لغو واما ان يكون كلاما مبتدأ غير صفة ولا استئناف
فليكن مع قطع اعتبار الحذف لذلك وكلما نصب على الظرف مفعول فيه بمنزلة يوم الجمعة كما مر بيانه
اي في كل حين رزقوا منها ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من
الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدئا من ضمير الجنات
ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدئا من ثمرة وعلى هذا المراد بالثمرة النوع لا الفرد اذ لا معنى
لابتداء الرزق من الجنات من تفاحة واحدة او رمانة فذة فانه يوجب ان يكون المرزوق قطعة منها يكون
من للابتداء دون البيان ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا كما في قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد
وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع والفرد اي مرزوقا هو نوع من الثمر او فرد من النوع ورزقا
على الوجهين ثاني مفعولي رزقوا ومن ثمرة على الاول لغو وعلى الثاني حال من رزقا فان قيل هلا يجعل
من ههنا للتبعيض اجيب بان الابتداء والبيان اصل لا يعدل عنه الا بقرينة كما في قوله تعالى فاخرج به من الثمرات
رزقا لمفعول الجمع معرفة وتنكير رزقا على ما مر بيانه وههنا المجرور نكرة مفردة على انها لو حملت على التبعيض كانت
في موقع المفعول ولزم كون رزقا مفعولا مطلقا لا يفيد الا التاكيد والتاسيس اولى من التاكيد وهذا
اشارة الى ما رزقوا نوعا كان او فردا والمشار اليه المرزوق في الاخرة فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا
من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمار الدنيا لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل

اميل فاذا متى راى شيئا لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه هكذا يقال ولا يخفى ان هذا مخالف لما قيل
ان نعم الجنة والدار الاخرة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد نقل عن ابن عباس
وغيره من اجلة العلماء انهم قالوا ليس في الجنة شيء تشبه ما في الدنيا الا الاسماء والوجه ان يقال في قوله
من قبل اي من قبل هذا في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما يحكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم
مختلف ويعضده ما روي عن النبي عليه السلام انه قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول
الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلما راوها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك لكن الاول
اظهر لانه يعود على الثاني الفوائد كتشابه ثمرتي الدنيا والاخرة وكالاستغراب وعموم كلما اذ لا يصح قولهم هذا الذي
رزقنا من قبل في المرة الاولى اذ لم يرزقوا قبلها في الجنة واتوا به متشابها اعتراض للتقرير والضمير في به راجع
الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل وذلك لان المبتدا اعني هذا
اشارة الى المرزوق في الاخرة والخبر اي الذي رزقنا اشارة الى المرزوق في الدنيا وهما متحدان جنسا فافرد الضمير
العائد اليهما نظرا الى الوحدة الجنسية وصح جعل متشابها حالا عنه نظرا الى التعدد النوعي او الشخصي واندفع
الاشكال الشائع بين افراد الضمير وايقاع متشابها حالا عنه ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى
بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل
اولى به على التوحيد وذلك لانه ثنى الضمير في بهما مع ان المرجع احد الامرين وهو غنيا او فقيرا وان الضمير
في الشرط وهو ان يكن مفرد نظرا الى التعدد الجنسي فان المانع من الشهادة على الاقرباء غالبا اما خوف فقرهم
ان كانوا اغنياء او تضررهم بها ان كانوا فقراء فقال الله اشهدوا عليهم ولا يمنعكم عن الشهادة عليهم غناهم وفقرهم
ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بجنسي الغني والفقير فتوسط افراد الضمير لئلا يتوهم ان اولويته
بالنسبة الى ذات المشهود عليه فنبه على انها باعتبار الوصفين لعموم المشهود عليه وغيره في الحكم اذا والضمير مع ان
ظاهر المرجع اثنان وفي النظير وهو اولى بهما ثنى الضمير مع ان ظاهر المرجع واحد وقد يعترض بان المناسب به
في الاخرة ليس هو المرزوق في الدنيا والاخرة بل في الاخرة فقط فاجيب بانه لا دلالة لقوله تعالى واتوا به
متشابها على ان الاتيان في الاخرة خاصة لجواز ان يراد واتوا به في الدارين ويحتمل ان يرجع الضمير في به
الى الرزق المذكور في قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا والمعنى واتوا المرزوق في الجنة متشابه الافراد والامثال
والتفسير الاول هو الكامل المعول عليه على ما قررناه . قيل لله ثمة محمل آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة
في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا
الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا
ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة ومعنى تطهيرهن ان تطهرن مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن
كالحيض والاستحاضة وكدنس الطباع وطبع الاخلاق لا طرد كونهن من العيوب والمراق الشوه فان التطهير يستعمل
في الاجسام والافعال والاخلاق وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل

ومنه بيت الحماسة وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والإفراد
على تأويل الجماعة فالمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بتشديد الطاء والهاء بمعنى
متطهرة والمناسب أظهر أصله تطهر أدغم التاء في الطاء وزيد همزة الوصل والمصدر اطّهّر بفتح الطاء وضم الهاء
المشددة بين والأصل تطهّر أدغمت وجئ بهمزة الوصل ومطهرة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأن مطهرا
طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والأنثى وهو في الأصل لما له قرين من جنسه
كزوج الخف فإن قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ
النوع وهو مستغنى عنها في الجنة أجيب بأن مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها
الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام
حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود
في الأصل المكث الطويل دام أو لم يدم لقوله تعالى خالدين فيها أبدا ولو كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد
لكان ذلك تكرارا قالت المعتزلة الخلود حقيقة في الدوام لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
مع أنه تعالى قد جعل لكثير منهم المكث الطويل فلو حمل الخلود على المكث الطويل كما هو مذهب أهل السنة
لم يصدق هذه الآية والجواب أن ما ذكرتم من الاستدلال على أنه حقيقة في الدوام معارض بما ورد
في الاستعمال الشائع نحو مخلد ووقف مخلد وخلد الله ملكه والمراد طول المدة بلا شك فالأولى أن
يجعل حقيقة في المكث الطويل سواء كان معه دوام أو لا احترازا عن لزوم المجاز والاشتراك والآية حملها
على الدوام الذي أحد أفراد المكث الطويل بقرينة الحال فلا يلزم مجاز لأن خصوصية ذلك الفرد مستفادة
من خارج لا مقصودة بنفس اللفظ فيكون من قبيل استعمال اللفظ في بعض أفراد معناه فإن المكث الطويل
أعم من أن يكون بصفة الدوام وذلك شائع ذائع فإن قيل الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية
معرضة للاستحالات المؤدية للانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان أجيب بأنه تعالى يعيدها
بحيث لا يعتورها الاستحالات بأن يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيف متساوية في القوة لا يقوى
شيء منها على إحالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا
وإن قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة ولما ذكر
ذكر سبحانه ما أعده للمؤمنين في ذلك العالم من المساكن والمطاعم والمناكح كمله بقوله وهم فيها خالدون
وهذا التكميل نهاية لحسن لأن النعمة وإن كثرت وعظمت ينغصها خوف الزوال والانقطاع وإذا
تيقن دوامها وعلم عدم انقطاعها كمل التنعم بها وزاد الابتهاج والاغتباط وصارت صافية من شوائب
الألم وفيه دليل على كمالهم في السرور والنعيم إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة
لما تضمنت الآيات المتقدمة ضروبا من التمثيل فبين ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والحكمة فيه وهو
أن التمثيل لبيان حال الممثل به فينبغي أن يكون على وفق الممثل له فيختلف باختلاف حاله فإن كان الممثل له عظيما
لزم أن يكون التمثيل بالمعظمات وإن كان حقيرا وجب أن يكون بالمحقرات فإذا ليس العظم والحقارة فيه

الا امرا

الا امرا تستدعيه حال الممثل له ولما في التمثيل من كشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وإدنائه للمتوهم
من المتيقن وإبراز المتخيل في صورة المحقق وإراءة المعقول محسوسا والغائب مشاهدا شاعت الأمثال
في الكتب السماوية والأحاديث الإلهية وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء ومقالات
الحكماء وعبارات البلغاء ومن الأحاديث الإلهية ما أخبر به النبي عليه السلام أوحى الله عز وجل
إلى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلبا
مثلهم فتجر معهم يا داود طيب الطعام ولين اللباس والصيت في الناس وفي الآخرة الجنة لا يجتمع أبدا ولقد
مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير وفي كلام
الكفار واستغربوا من كون المحقرات مضروبا بها المثل ليس بموضع له بل ذلك من أعجب العجائب فإن الناس
لم يزالوا يضربون الأمثال المحقرات بالبهائم والطيور وحشرات الأرض والهوام وقد جاء في كلام العرب
أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأجمع من ذرة وأجرد من جرادة وأجرأ من الذباب وأضعف
من بعوضة وآكل من السوس وأعز من مخ البعوض ولما كان حال آلهتهم في الضعف والحقارة والذلة بحيث
لا حال أحقر منها وأذل وأضعف ومن ثم جعل بيت العنكبوت مثلا في الضعف وجعلت أقل من الذباب وضربت
لها البعوضة لما فيها من أصابه المحز فالذي دونه مثلا لم يستنكر ولم يستغرب ولم يقل لله المثل يستحيي من تمثيلها
بالبعوضة لما فيه من إصابة المحز وتطبيق المفصل وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله تعالى هذه الآية
وأيضا لما أراهم الحجة التي بها يعرفون أمر النبي عليه السلام وأرشدهم إلى ما يدل على صحة نبوته وكونه
المتحدى به وحيا معجزا منزلا من عند الله ورتب عليه وعيد من أنكر وكفر به ووعد من آمن وصدق بعد تبين
حاله وظهور أمره أخذ في جواب ما طعنوا به فيه فقال إن الله لا يستحيي أن لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب
ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي إذا اعتلت نساه وحشاه وإذا وصف
به الباري تعالى كما ورد في الخبر إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع
فيهما خيرا فهو على طريق الاستعارة التمثيلية فإنه مثل تركه تخييب العبد وتحرجه من ترك رد المحتاج إليه حياء منه
وكذلك معنى الآية إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل حياء من أعدائه فإن قيل إثبات الاستحياء
لله يحتاج إلى دليل وأما نفيه فلا يحتاج إليه كما في قولهم الله ليس بجوهر مثلا وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولم يلد
ولم يولد فأي حاجة إلى جعل لا يستحيي من قبيل التمثيل والمشاكلة أجيب بأنه إنما يصح مثل ذلك
على الإطلاق بمعنى أنها ليست من شأنه وأنه لا يتصف كما في الأمثلة المذكورة لم يحتج إلى تأويل وأما إذا قيد
على التقييد فقد يرجع النفي إلى القيد ويفيد ثبوت أصل الفعل وإمكانه له فاحتاج إلى التأويل كما إذا قيل
لم يلد ذكرا ولم يأخذه نوم في هذه الليلة وليس بعرض قار الذات وأما بيانه على سبيل المشاكلة فهو أن يجعل
أن يكون هذا في كلام الكفار فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالعنكبوت والذباب فجاء على



ان الله لا يستحيي على المقابلة واطباق الجواب على السوال وهو فن بديع وطراز عجيب وامثال هذه اللطائف
لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء البلاغة وقد استعير الحيا فيما لا يصح فيه اذا ما استحيين الماء يعرض
نفسه كرعن يسبت في اناء من الورد وقرا ابن كثير يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقال استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا قال الخليل ان يضرب في محل مخفوض
المحل باضمار من وقال سيبويه منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها وضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب
اللبن وضرب الخاتم وفي الخبر اضطراب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب اي صنع واتخذ لنفسه
ومعنى مثلا ما اي مثل وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان
وينفرع على الابهام الحقارة مثل اعطه شيئا ما والفخامة مثل قولنا ولامر ما الكنا الله في كتبها الامثال او مزيدة
للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت
بعوضة فاذا رفعتها فهي موصولة وصلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما في تماما
على الذي احسن ووجه آخر وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله للاصنام بالحقرا
ورد استبعادهم اياه فقال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل الله ان يمثل للاصنام
وحقارة شانها بما هو احقر من ذلك واصغر قيل كما لو مثل بالجزء الذي لا يتجزى او بالمعدوم كقولهم
فلان اقل من لا شيء في العدد وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة
مقدمة عليها او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقراءة الرفع تعزى الى روبة بن العجاج قلت لا بل هي
بل قرا الضحاك وابان بن تغلب ورؤبة ما بعوضة قال بعضهم ما موصولة اي الذي هو بعوضة
وفي حرف ابن مسعود مثلا بعوضة برفع بعوضة وبحذف ما وهذه القراءة حجة لمن جعل ما صلة
والبعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه
والبعوض في الاصل صفة على فعول كالقطوع ثم غلبت على هذا النوع كالخموش وهي لغة هذيل يريد فهي
البعوض فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعلت اسما ومعناه فما زاد عليها في الجثة
كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه واستغربوه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض
فما هو اكبر منه او في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو الحقارة والقلة كجناحها فانه عليه السلام ضرب
مثلا في الدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت
عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام
ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضها والجسم فيكل ما يطلق عليه الادنى
كما قال عليه السلام ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها
ولكن نقول بل هو اعم كما قال صلى الله عليه وسلم ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا اذى ولا حزن
حتى الهم يهمه الا كفر الله به من خطاياه فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما تضمنت معنى الشرط ولذلك

الا بعد ذلك الا لاصل الا الاسم اللازم للشرط ويلفظها معه

الابتداء والفعل الذي هو الشرط فلتضمنها معنى الشرط لا يجاب بالفاء اللازمة للشرط غالبا وقد جاءت
في الاخبار القدسية من كلام العزة مجردة عن الفاء وهو ما اخبر النبي عليه السلام انه انتسب رجلان على عهد موسى فقال
احدهما انا فلان بن فلان حتى بلغ تسعة اباء وقال الآخر انا فلان بن فلان ابن الاسلام فاوحى الله عز وجل
الى موسى ان ايت هذين المنتسبين وقل اما انت ايها المنتسب الى تسعة هم في النار وانت عاشرهم في النار
واما انت ايها المنتسب الى اثنين هما في الجنة وانت ثالثهما في الجنة وفايدته اما في الكلام ان يعطيه فضل
توكيد تقول زيد منطلق فاذا اردت توكيده قلت اما زيد فمنطلق ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن
من شيء فزيد منطلق وهذا التفسير يفيد فايدتين بيان كونه تاكيدا وانه في معنى الشرط واستعمالها على
وجهين الاول ان يستعملها المتكلم لتفصيل ما اجمله سابقا كما اذا قلت جاءني القوم اما زيد فاحسنت اليه
واما بكر فضربته واما خالد فتجاوزت عنه الثاني ان يستعملها ابتداء في كلام مستانف من غير ان يتقدمها الكلام
ومنه ما يجاب في اوائل الكتب وهو قولهم اما بعد واطبقوا على ان العامل فيه بعد ثم لانها نائبة
عن الفعل تعلق الظرف حامد وفي تصديرها الجملتين بها احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم الحق وذم
على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلم الحمقا والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق
الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من
قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد
الله بهذا مثلا قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان
قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه وماذا يحتمل
وجهين ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبا مع ما مجعولتين اسما
واحدا فيكون كلمة واحدة بمعنى اي شيء وهو على الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى
الثاني منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاصوب في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني
ليطابق الجواب السوال ويجوز عكس ذلك كما تقول في جواب ماذا رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب
ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين
فان قيل فيكون احدى القراءتين على غير الاصوب اجيب بانه لا بل يكون احدى القراءتين على تقدير والاخرى
على تقدير آخر وانما يلزم ذلك لو كانت القراءتان على تقدير واحد وهو ليس بلازم فقولنا على التقدير
دفع لهذا السوال والارادة صفة تخصص احد المقدورين بالوقوع لا احد لا وقات مع استواء نسبة
القدرة الى الكل وكذلك الصفة عن الميل ولا مشروطة ولا باعتقاد النفع وفيما ذكر تنبيه على الرد على من الم
ان معنى ارادة الله تعالى فعله انه غير ساه ولا مكره ولا مغلوب ومعنى ارادته فعل غيره انه آمر به وطالبه
واما عند الفلاسفة فارادته هو العلم بكمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح ويسمونها العناية والمتكلمون والحكما على ان ارادته تعالى اذا تعلقت بفعل من افعال نفسه لزم وجود ذلك الفعل وامتنع تخلفه
عنه واما اذا تعلقت بفعل غيره ففيه خلاف المعتزلة القائلين بان معنى الامر هو الارادة فان الامر لا يوجب حصول المامور

كما فى العصاة ثم الارادة الحادثة كارادة احدنا اذا تعلقت بفعل لا توجب وجوده اتفاقا من اهل السنة
وان كانت مقارنة له عندهم ووافقنا فى ذلك الجبائيان واكثر من متاخرى المعتزلة خلافا للنظام والعلاف
وابن حرب فانهم جوزوا ايجابها للمراد اذا كانت قصدا الى الفعل وهو ما نجده من انفسنا حال الايجاد
لا عزما عليه فانه قد يتقدم على الفعل وعندنا ارادة الله تعالى قديمة لانها لو كانت حادثة لاحتاجت الى ارادة
اخرى وهلم جرا ولزم التسلسل فى الارادات الموجودة وقالت المعتزلة انها حادثة قائمة بذاتها لا بذاته تعالى
وقالت الكرامية انها حادثة قائمة بذاته تعالى ويعرف بطلانهما بما ذكرنا من لزوم التسلسل فى الارادات
وايضا قيام الصفة بذاتها غير معقول ولا يخفى بطلان قيام الحادث بذاته تعالى وذكر الامام فى الاربعين
ان كونه تعالى مريدا اما ان يكون نفس ذاته وهو قول ضرار واما امرا سلبيا وهو احد قولى النجار كما ان نفيا
من كونه غير ساه ولا مكره ولا مغلوب واما امرا ثبوتيا اما معللا بذاته تعالى وهو القول الاخر له واما معللا بغير
ذاته وح اما ان يعلل بمعنى قديم قايم بذاته تعالى وهو قول اصحابنا واما بمعنى حادث اما قايم بذاته تعالى وهو
قول الكرامية او موجود لا فى محل وهو قول الجبائية او قايم بذات غير الله تعالى ولم ار احدا ذهب اليه ويبطل الاول
انا نعلم ونشك فى كونه مريدا ويبطل الثانى لزوم كون الجماد مريدا لانه غير مغلوب ويبطل الخامس والسادس لزوم
التسلسل فى الارادات والخامس خاصة انه لا يقوم الحادث بذاته تع والسادس خاصة انه يلزم عرض لا فى محل وان نسبة
ما لا محل له الى جميع الذوات سواء وكون ذاته تعالى لا فى محل لا يوجب اختصاصه به لان كونه لا فى محل امر سلبي
فلا يكون علة للثبوت. وفى لفظ [illegible] على الاستحقار والاسترذال كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك ما اردت بهذا جوابا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية
وفيه اى هذا حكى شيخنا ان العامل فى الحال فيما نحن بصدده اسم الاشارة كالمثال الثانى واما التمثيل بالاول
ففى مجرد ان الحال اسم جامد يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا تفسير وبيان للجملتين المصدرتين بأما
كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم بعد قوله ان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا الى آخره وكل من الفريقين موصوف بالكثرة فان قيل لم وصف اهل الحق بالكثرة والقلة شيمتهم
وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ووجدت الناس اخبر تقله اجيب
بانهم كثيرون فى انفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من اهل الهدى كثير
فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا وتحقيقه ان كلا من القلة والكثرة قد يعتبر بحسب
الذات وقد يعتبر بحسب الاضافة ثم انه وان فرض قلتهم فى انفسهم ايضا فهو باعتبار الصورة فقط واما باعتبار
المعنى والحقيقة فهم كثير جدا لقيام الواحد منهم مقام الالوف من غيرهم وهذا الثانى على تقدير تسليم قلتهم
فى انفسهم فيكون مثل قول الشاعر ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وصف الكرام بالقلة
فى انفسهم نظرا الى الصورة وبالكثرة من حيث المعنى والحقيقة وغير الكرام بالعكس او تسجيل بان العلم بكونه حقا هدى
وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسق ويجوز ان يكون جواب ماذا اى اضلال كثير واهداء
كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد واسناد الاضلال الى الله تعالى حقيقة وقيل مجاز من اسناد

الفعل الى السبب ولا يخفى ان قوله تعالى به وهو التصريح بذكر السبب يأبى هذا التاويل وقرأ زيد بن على وغيره
يضل به كثير ويهدى به كثير وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق فى الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى
التغابى وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة
الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خطاه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس
الكفر وما دام هو فى درجة الاولى والثانى فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بحقيقة الايمان وهو التصديق
ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وبهذا يرد ما قالت الخوارج من ان كل معصية كفر وقالت المعتزلة
المعاصى اقسام ثلثة اذ منها ما يدل على الجهل بالله ووحدته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وبرسالة الرسول كالقاء
المصحف فى القاذورات والتلفظ بكلمات دالة على ذلك فهو كفر ومنها ما لا يدل على ذلك وهو قسمان قسم يخرج
مرتكبه الى منزلة بين المنزلتين اى لا ايمان ولا كفر على معنى انه لا يحكم على صاحبها بالكفر من اعمال الصالحة ولا
بالايمان لايهامه عدم التصديق بل يحكم عليه بالفسق ويعبر عنها بالكباير كقتل العمد العدوان والزنا وما يشبههما
واول من احدث القول بهذا الاخراج واصل بن عطا وعمرو بن عبيد وقسم لا يخرج ككشف العورة و
العبث ويسمى بالصغاير ولا يوصف صاحبها بالكفر ولا بالفسق بل بالايمان وقد اسلفنا نبذا من هذا الكلام
التنكير والتكرير لتقرير الاسماع والقلوب وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه
الذى اعدهم للاضلال واداهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرأ النخعى وزيد بن على وابن ابى عبلة ويحيى بن وثاب وما يضل به الا الفاسقون
الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله
فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من جهة تشبيه العهد بالحبل على طريق الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة
بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك ومعنى الاستعارة بالكناية فى كلام السلف هو ان لا يصرح
بذكر المستعار بل يذكر رديفه ولازمه الدال عليه فالمقصود بقولنا اظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة
الاسد للرجل الشجاع فى قولنا رايت اسدا الا انا لم نصرح بذكر المستعار وهو السبع بل اقتصرنا على ذكر لازمه
وهو الاظفار لينتقل منه الى المقصود كما هو شان الكناية فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه
هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية ومن اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشى المستعار
ثم يرمزوا اليه بذكر شى من روادفه فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس ففيه تنبيه على ان الشجاع اسد والعالم بحر والحاصل ان المستعار هو المشبه به المتروك صريحا المرموز اليه
بذكر لوازمه وان قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد تكون تحقيقية كما فى النقض حال كونه

البتهان بتشديد الياء وكسرها ومثله التيحان للمرء المقدام وذكر المطرزي انه يروي بكسر الياء وفتحها
وقال المرزوقي هو فيعلان بفتح العين ولا يجوز ان يروى بكسرها لان فيعلانا لم يجر في الصحيح
فيبنى المعتل عليه قياسا وهكذا نقل عن سيبويه القول استعاره لاستعارة الحبل للعهد ضرب عام القطع
للنقض وبيعة العقبة الثانية للانصار قبل الهجرة في سنة ثلث عشر من النبوة والبيعة الاولى في سنة احدى
عشر منها والعهد الموثق هو الميثاق من عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه
واستوثق منه وقد يقال العهد لليمين والذمة والامان والحفاظ والوصية والمراد بهؤلاء الناقضين
لعهد الله الكفار جميعا وهو الاظهر او احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم والمراد بالعهد
اما ما ركز في عقولهم من الحجة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره
ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل هو ما اخذ الله
العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهود الله
الى خلقه ثلثة عهود عهد اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا بربوبيته وهو قوله
واذ اخذ ربك وعهد اخذه على النبيين بان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو
قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ويحتمل ان يكون المراد بالعهد ههنا ان لا يعبدوا الشيطان
فان يتخذوه عدوا لقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الآية من بعد ميثاقه
الضمير للعهد او لله والميثاق في الاصل الموثق اي العهد بما وثق به العهد على انه اسم آلة او بالتوثقة
والاحكام على انه مصدر كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة اما على تقدير عود الضمير الى العهد
فلانه ليس لهذا العهد كثير معنى واما على تقدير عوده الى الله تعالى فلانه لا معنى لقولنا ينقضون عهد الله
من بعد عهد الله فالمعنى على الاول من بعد ما وثقوا به عهد الله من قبولهم والزامه انفسهم او من بعد
توثقته وعلى الثاني من بعد توثيق الله عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله
فجعل التوثيق على الاول من جهة الناقضين بالقبول لانه ادخل في تعريضهم وتقبيح حالهم حيث نقضوه
بعد ما احكموه بانفسهم وعلى الثاني من جهة الله بالتاييد بالادلة السمعية لاضافة الميثاق اليه ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل قيل معنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المومنين و
وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم
ببعض وقيل كل قطيعة لا يرضاه الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المومنين والتفرقة
بين الانبياء والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع
الوصلة بين الله تعالى وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل وقراءة الخليل ويقطعون بالتشديد

والامر قوله

والامر قول القايل استعلاء افعل والنهي قوله استعلاء لا تفعل والامر حقيقة في هذا القول اتفاقا مجاز
عن الفعل عند الجمهور وعند البعض حقيقة وذهب ابو الحسين الى ان لفظ الامر مشترك بين القول
المخصوص والشيء والفعل والصفة والشان لتردد الذهن عند اطلاقه الى هذه الامور ورد بالمنع بل يتبادر
الى القول المخصوص وقيل هو حقيقة في القدر المشترك بين القول والفعل اعني مفهوم احدهما دفعا للمجاز
والاشتراك وهو قول حادث مخالف للاجماع فلم يلتفت اليه والامر بمعنى القول الطالب للفعل
مع العلو كان او مع الاستعلاء واحد الاوامر وقد يطلق على واحد الامور اطلاق المصدر بمعنى المفعول
لانه كان مامورا به من جهة تشبيه الداعي له بالآمر به فهو مامور به بمعنى مدعو اليه كما قيل له شان وهو
الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده والتشبيه بتسميته شانا اي مشوبا انما هو لكونه
مصدرا بمعنى المفعول اذ هو مقصود حقيقة وليس بمامور به الا على طريق التشبيه وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض
اي يعبدون غير الله ويستهزؤون باياته ويتعدون في الافعال حتى كانهم صاروا افسادا ما في الارض ويحللون
ويفعلون ما يؤدي الى الفساد مستمرين عليه اولئك هم الخاسرون حيث اهملوا الخير الماهر
وهو العقل الهادي عن النظر واستبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها
بثوابها اي عقاب النقض والقطع والفساد بثواب ما يقابلها كيف تكفرون بالله كيف في الاصل
للسؤال عن الحال اذا قيل كيف زيد جاء به صحيحا وسقيما او مشغولا او فارغا او شيخا او كهلا لان يلتمس الاحوال
كلها واما قولك لمن يؤذي اباه كيف تؤذي اباك فللانكار والتعجب والتوبيخ وعليه قول من قايل
كيف تكفرون بالله وتحقيق ذلك على ما قيل ان الكفار حين صدور الكفر منهم لا بد من ان يكونوا على احد
الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد علمت ان كيف
للسؤال عن الحال والكفر مزيد اختصاص بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق اليه لكنما ذي حال العلم بالله
تكفرون ام في حال الجهل به ثم اذ قيل كيف تكفرون بالله تعقيبا وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ومآل المعنى
كيف تكفرون بالله والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي انكم كنتم امواتا فصرتم احياء وستكونون كذا وكذا اصير
الكفر ابعد شيء عن العاقل فصار وجوده منه مظنة التعجب ووجه بعده عنه هو ان هذه الحالة تابى ان
لا يكون للعاقل علم بان له صانعا قادرا عالما حيا سميعا بصيرا موجودا غنيا في جميع ذلك عن سواه قديما
غير جسم ولا عرض حكيما خالقا منعما مختصا بارسال الرسل منبيا منعا فيها وعلى ان لهذا الصانع بالحال انكم
وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فصح ان يكون قوله
تكفرون الى آخر الآية تعجبا وتعجيبا وانكارا وتوبيخا وصار المعنى في اي حال تكفرون حال العلم بالصارف
القوي للعاقل عن الكفر والتعجب بمعنى ان كل عاقل اذا اطلع على هذه القصة يتعجب والتعجيب بمعنى سمعوا انتم
ايها السامعون ايها الناظرون وتعجبوا من كفرهم الجلي مع هذا الصارف القوي والتوبيخ بمعنى ايها الكفار
حيا انتم الكفر من ارتكاب هذا الامر الشنيع القبيح نفسه المقرون بصارف قوي من الخارج والخطاب

وانظروا

والخطاب مع الكفرة فانه لما ثبت الوحدانية وابطل الشرك وهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك اعنى اثبات الوحدانية
وعدم الشركة وهو النظر في الآفاق والانفس المشتملة على خمس دلايل على وجود الصانع وتوحيده واحوال
انفسهم اذ لابد لهم من وجود وبقاء وكمال وكل ذلك من الله وحده لا شريك له واحوال آبائهم والامهات
واحوال الارض واحوال السماء واحوال الانبات منهما ثم وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث
الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضي خلاف ذلك
والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا وقد عرفت ان الواو للحال وهي داخلة
على الجملة الى قوله ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم
امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت في القبور ويوم يقوم الناس
لرب العالمين وفي التحقيق الحال هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بها
وباولها وآخرها والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فاحياكم بخلق الارواح ونفخها
فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي
آجالكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب
فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل انهم علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا
انه يحييهم واليه يرجعون اجيب بان تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم
في ازاحة العذر وكثير منهم علموا ثم عاندوا ولقد عدد الله نعمه عليهم في هذه القصة آيات عظاما
ونعما جساما حقيقا بان تشكر ولا تكفر ولهذا انكر اجتماع الكفر معها واستبعد صدوره منهم واستعجب
عنهم اما الآيات العظام فهي الاحياء ثم الاماتة ثم الاحياء ثم الحساب واما النعم الجسام فهي الحيوة في الدنيا
والآخرة وكون الله تعالى مرجعا وعظم الآيات وكبر النعم يوجب شكر المنعم وزيادة الايمان والاذعان
دون المعصية والكفران اعاذنا الله تعالى واياكم من المعصية والكفران بنعمه ورزقنا الثبات على الايمان
والنظر الى وجهه بمنه وكرمه وبمحمد سيد البشر وعترته وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع
القرآن وقد برهن على صحة الحشر بقوله وكنتم امواتا فاحياكم الآية الى آخرها هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا بيان آية اخرى مع نعم اخرى مرتبة على تلك الآيات العظام والنعم الجسام
فان منها ما يتوقف عليه وجودهم وكمالهم وهذه منها ما يتوقف عليه بقاؤهم وتتم به معاشهم وقوله لكم
اي لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال
والنظر بما فيها من عجايب الصنع على ذات الصانع وصفاته والتذكير بالآخرة وثوابها وعقابها
لاشتمالها في الارض على اسباب اللذة والانس التي هي نظاير الثواب واسباب المشقة والوحشة
من انواع المكاره التي هي نظاير العقاب وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها
ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد ثم انهم قالوا اللام في لكم تدل

بالاغراض
تدل على ان الغرض من خلق ما في الارض انتفاع الناس به ومن ذهب الى ان افعال الله تعالى ليست معللة
يعني انه لا يفعل فعلا لغرض اوّل اللام ههنا وفي قوله الا ليعبدون وقال انه تعالى لو فعل فعلا يترتب
عليه شيء لو فعله غيره كان ذلك الشيء غرضا للفعل اطلق عليه الغرض بسبب هذه المناسبة فان قيل
لا شك ان هذا اللام للتعليل فيكون مدخوله علة لكن لا يلزم ان يكون كل علة غرضا اجيب بان علة
الفعل ان كان متقدما في الوجود على الفعل فهو لا يكون غرضا بل مجرد علة كما في قعدت عن الحرب
للجبن وان كان متاخرا فيه عن الفعل فهو غرض مطلوب من الفعل والانتفاع متاخر عن الخلق فيكون غرضا
والناس في هذه المسئلة على ثلثة مذاهب الاول ان افعاله تعالى ليست معللة بالاغراض وعليه كثير من اهل
السنة ووافقهم جبابرة الحكماء وطوايف الالهيين الثاني وهو مذهب المعتزلة انه وجب تعليلها الثالث
عدم ذلك وهو مذهب الفقهاء فانهم قالوا لا يجب تعليلها لكن افعاله تابعة لمصالح العباد تفضلا و
احسانا ولهم وجهان يبطلان المذهبين وجوب التعليل ووقوعه تفضلا الاول لو كان فعله
تعالى لغرض من تحصيل مصلحة او دفع مفسدة لكان ناقصا لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصلح
غرضا للفاعل الا ما هو اصلح له من عدمه وهو معنى الكمال فان قيل لا نم الملازمة لان الغرض قد يكون
عايدا الى غيره فليس كل من يفعل لغرض يفعل لغرض نفسه فيجوز ان يكون غرضه راجعا الى عباده وهو الاحسان
اليهم بتحصيل مصالحهم ودفع مفاسدهم ولا محذور فيه اجيب ان نفع غيره والاحسان اليه ان كان اولى
بالنسبة اليه تعالى من عدمه جاء الالزام لانه تعالى يستفيد بذلك النفع والاحسان ما هو اولى به واصلح له
وان لم يكن اولى بل كان مساويا او مرجوحا لم يصلح غرضا له كيف وانا نعلم ان خلود اهل النار فيها من فعل الله
ولا نفع فيه لهم ولا لغيرهم ضرورة الثاني ان غرض الفعل امر خارج عنه يحصل تبعا للفعل ويتوسط اي يكون للفعل
مدخل في الوجود وهذا مما لا يتصور في افعاله لانه تعالى فاعل لجميع الاشياء ابتداء فلا يكون شيء من الكاينات
الا معلولا له صادرا عنه بلا تاثير قدرته فيه ابتداء بلا واسطة لا غرضا لفعل آخر بحيث لا يحصل ذلك الشيء الا به ليصلح
غرضا لذلك الفعل وليس جعل البعض غرضا اولى من البعض وايضا اذا عللت افعاله بالاغراض فلا بد من الانتهاء
الى ما هو الغرض في نفسه والا تسلسلت الاغراض الى ما لا نهاية لها ولا يكون ذلك الغرض آخر الا ذلك خلاف ما فرض
واذا جاز ذلك بطل القول بوجوب الغرض اذ قد انتهى فعاله الى فعل لا غرض له وهو الذي كان مقصودا في
نفسه ولبعض اصحابنا في هذا البحث كلام لطيف اوردته في سورة آل عمران عند قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا
ويتخذ منكم شهداء الآية وقوله ما في الارض ما يتناول كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وتحقيق ذلك ان ما من الفاظ العام وفاقا لكن اختلف فيه فقيل ما في غير العقلاء
وهو قول بعض ائمة اللغة والاكثرون على انه يعم العقلاء وغيرهم وقد يستعار لمن ومن ثم قال العلماء
ان قال ان كان ما في بطنك غلاما فانت حرة فولدت غلاما وجارية لم تعتق لان المراد الكل وان قال طلقي
نفسك من ثلث ما شئت تطلق ما دونها وعندهما ثلثا اما وجه قول ابي حنيفة رضي الله عنه فهو ان ما وان كان
عاما لكن من للتبعيض فيجب ان يكون ما شاءت بعض الثلث واما وجه قول صاحبيه فهو ان ما عام ومن للبيان

والثلث جمع عدد الطلاق المشروع فان قيل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر يجب قراءة جميع ما تيسر عملا بالعموم
كما في قوله انكان ما في بطنك غلاما فانت حرة اجيب بانه بناء الامر على التيسير دل على ان المراد ما تيسر
بصفة الانفراد دون الاجتماع لانه عند الاجتماع ينقلب متعسرا وجميعا نصب على الحال
من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
الى شيء والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام و
اعتدل لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من صفات الاجسام وخواصها تعالى الله
عن صفات المحدثين وقيل استوى اي استولى وملك قال قلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وطاير
اي استولينا وقال الآخر قد استوى عمرو على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل
والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء فانه لو كان هذا المعنى يعدى بعلى كالاستيلاء دون الى
والمراد بالسماء الهيكل العلوي وجهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق وثم لعله لتفاوت ما بين
الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على ما خلق فيها
عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه ءانتم
اشد خلقا ام السماء بناها مثل تعرف الارض وتدبر امورها بعد ذلك لا انه خلاف الظاهر قال الحسن
خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه
السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وقيل
كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه
فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتق الارض فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع
فسويهن عدلهن وخلقهن مصونات من عوج وفطور فارجع البصر هل ترى من فطور وهن ضمير السماء والسماء في معنى
الجنس وقيل جمع سماءة والاول اصح والوجه او ضمير مبهم يفسره سبع سموات كقولهم ربه رجلا ونعم رجلا
وبالجملة وقيل هو بدل سبع سموات هي افلاك الكواكب السبعة فان الفلكين الآخرين يسميان كرسيا
وعرشا وهو بكل شيء عليم وههنا ابحاث البحث الاول في تعريف العلم وهي صفة ازلية تنكشف المعلومات
عنده تعلقها بها ثم انه تعالى عالم بعلم قادر بقدرة مريد بارادة على هذا القياس وهذا مما اتفق عليه اهل الحق
البحث الثاني في اثبات كونه تعالى عالما وهو متفق عليه بيننا وبين الحكماء لكن المسلك فيه مختلف اما المتكلمون
فلهم مسلكان الاول ان فعله تعالى متقن اي محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة
وكل من فعله متقن فهو عالم اما الاول وهو اتقان فعله فظاهر لمن نظر في الآفاق والانفس وتأمل
ارتباط العلويات بالسفليات سيما في الحيوانات وما هديت اليه من مصالحها واعطيت من الآلات الملائمة

لها ويعين على ذلك علم التشريح ومنافع خلقة الانسان واعضائه التي قد كثرت عليها المجلدات
على ما سنذكر كثيرا منها في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى واما الثاني وهو من كان فعله متقنا كان عالما
فضروري وتنبيه عليه ان من راى خطا حسنا يتضمن الفاظا عذبة رشيقة تدل على معان دقيقة
مونقة علم بالضرورة ان كاتبه عالم وكذا من سمع خطابا منتظما مناسبا للمقام من شخص بضبط الحادثة جزم
بانه عالم على ان المراد بالمتقن ما نشاهده من الصنع الغريب والترتيب العجيب الذي يتحير فيه العقول ولا شك
في دلالته على علم الصانع المسلك الثاني انه تعالى قادر لما مر تحقيقه وكل قادر فهو عالم لان القادر هو الذي
يفعل بالقصد والاختيار ولا يتصور ذلك الا مع العلم فان قيل كون كل عالم قادر عالما ممنوع اذ قد
يصدر عن النائم والغافل فعل قليل متقن اتفاقا واذا جاز ذلك جاز صدور الكثير عنه لان حكم الشيء حكم
مثله قلنا لا نم الملازمة اذ العرف فارق فانها تجوز صدور قليل من المتقن عن قادر غير عالم ولا يجوز
صدور كثير عنه واما الحكماء فلهم في ذلك مسلكان الاول انه مجرد اي ليس جسما ولا جسمانيا وكل مجرد فهو عاقل
لجميع الكليات الثاني انه تعالى يعقل ذاته واذا عقل ذاته عقل ما عداه اما الاول فلان التعقل حضور الماهية
المجردة عن العلايق وهو حاصل في شانه لان ذاته مجردة عن غايته عن ذاته فيكون عالما بذاته واما الثاني فلانه
مبدا لما سواه والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بذاته وبجميع معلولاته ويرد على المسلك الاول
منع الكبرى القائلة بان كل مجرد عاقل المفهومات الكلية ويرد على الثاني انا لا نم ان التعقل ما ذكرتم وتعريفه
بذلك لا يوجب الجزم ان حقيقته ذلك ما لم يقم عليه برهان اذ غايته انهم يعنون بالتعقل ذلك المعنى ولكن من
اين لهم ان الحالة التي نجدها من انفسنا ونسميها العلم حقيقة ذلك الذي ذكروه لا بد له من دليل سلمنا ان
حقيقة العلم ما ذكرتموه لكن لم لا يجوز ان يشترط فيه التغاير سلمنا عدم اشتراطه لكن لا نم ان العلم بالعلة
يوجب العلم بالمعلول والا لزم من العلم بالشيء العلم بجميع لوازمه القريبة والبعيدة نعم يلزم ذلك اذا علم
الشيء الذي هو علة وعلم انه علة للشيء الآخر الذي هو معلول وعلم انه يلزم من وجود العلة وجود المعلول
فلم قلتم ان ذلك كله حاصل ليحصل مطلوبكم ثم مسلكا المتكلمين يفيدان العلم بالجزئيات كما يفيدان العلم
بالكليات وذلك لان الجزئيات كالكليات صادرة عنه على صفة الاتقان ومقدورة له فيكون عالما بها معا بخلاف
مسلكي الحكماء فانهما لا يوجبان الا علما كليا لان ما علم ماهيته المجردة او علم بعلته يعلم علما كليا فان المعلوم ماهيته
كذا او مع كونها معلقة بكذا والماهية كلية وكونها معلقة بكذا كلي ايضا وتقييد الكلي بالكلي لا يفيد الجزئية البحث الثالث
انه تعالى يعم علمه المفهومات كلها الممكنة والواجبة والممتنعة فهو اعم من القدرة لاختصاصها بالممكنات كما سبق وانما
قلنا بعمومه للمفهومات لما مر في القدرة وهو ان الموجب للعلم ذاته والمقتضي للمعلومية ذوات المعلومات
ومفهوماتها ونسبة الذات الى الكل سواء فاذا كان عالما ببعضها كان عالما بكلها والمخالف في هذا الاصل ايضا
فرق ست ولنكون كلامهم من الجهالات الصرفة والخيالات الفاسدة لا طائل تحتها اعرضنا عنها وبالجملة فكل من علم
ان الله تعالى عالم بالكليات والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء وعلم انه عزيز حكيم الله تعالى كل آن وحين
ثم مع ذلك لا يخشى من الصفات والافعال ما يعتقدانه فيها من القبح والشناعة الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا

فقد سجل على غباوته وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ولتخف بفكره وراية الذى ينسب اليه شنا
من عدم العلم بشى فانه فى الجهل وقلة العقل وكمال الغباوة والغواية فى حد لا يكتنه كنهه ولا يدرك
نهايته ومن ثم لم يرانه يتساهل بذلك عنه ولم يدر انه فى معرض سخط عظيم وعذاب اليم واعلم ان الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين والعلماء اجمعوا على انه تعالى منزه عن النقايص كلها لا يتطرق الى سرادقات
قدسه وساحات عزته شايبة نقصان وانه جامع لجهات علو الشان ومخالفة اجماعهم كفر وضلال
ولا يجترى به الا من اراد ان يخر من السماء ورضى باشد عذاب النار ومن المعلوم عند كل احد
ممن به ادنى مسكة ان الجهل بشى من صفات النقص كالصمم والعمى فامتنع اتصافه تعالى به واستحال
ان يقرب ساحة عزته فوجب اتصافه بالعلم فى كل شى قطعا وجزما فنقول المفهومات كلها من الازل
الى الابد معلومة لله تعالى وتقدس ولا تغير فى صفة من صفاته ولا نقصان لما قد علمت آنفا ان المقتضى
لعلمه خصوصية ذاته والمصحح للمعلومية ذوات المفهومات ولا شك ان نسبة ذاته الى جميعها على سواء
فوجب عموم علمه اياها فالقول بان الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات كفر صريح وقايله ومعتقده كافر
بل الحق انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات ولا فى العرش ولا فى الكرسى ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين وقس على هذا اقوال ساير الفرق الجهلاء الكفرة على ان وجود العالم
ونظامه على الوجه الاوفق الاصلح دليل على ان صانعه عالم قادر مختار فقوله جل قايلا وهو بكل شى عليم
فيه تعليل كانه قال وكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا الترتيب الاكمل الاصلح والوجه الاوفق الانفع
واستدلال بان من كان فعله على هذا الصنع الغريب والنسق العجيب والترتيب الانيق كان عالما فان اتقان
الافعال واحكامها سيما اذا كان على وجه تحير فيه العقول ولا تهتدى الى كمال ما فيه من المصالح والمنافع لا يتصور
الا من عالم حكيم ضبها وازاحة لما يختلج فى بعض الصدور من الشك فى الاعادة وذلك لما يسبق الى وهمهم من ان العظام
رميمة متفتتة واختلطت اجزاء الابدان والاعضاء بعضها ببعض فكيف يصح حشرها وكيف يميز اجزاء بدن عن
اجزاء بدن آخر واجزاء عضو عن اجزاء ساير الاعضاء حتى يتصور الاعادة فقوله وهذه الآية تمهيد لما يريد
ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذكرها من دقايق علمية ولطايف حكمية فقوله بكل شى عليم اشارة الى جواب
هذا فانه عز وجل عالم بالاشيا كلها فيمكنه تمييز اجزاء الابدان والاعضاء قادر على جمعها واحيائها وقد برهن
على صحة الحشر بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم الآية فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها
يدل على قابليتها لها ذاتا وما بالذات لا يزول وهذه المسئلة من المسايل الكلامية ولها فضل حاجة الى تحرير
واف وتحرير شاف اعلم ان اهل الملل والشرايع باسرهم اجمعوا على جواز حشر الاجساد ووقوعه وانكرهما
الفلاسفة اما الجواز فلان جمع الاجزاء على ما كانت عليه واعادة التاليف المخصوص فيها امر ممكن لذاته لان
الاجزاء المتفرقة المختلطة بغيرها قابلة للجمع بلا ريبة والله تعالى عالم بتلك الاجزاء وانها لاى بدن من الابدان وقادر
على جمعها وتاليفها لما قدمنا من ان علمه عام لجميع المعلومات والمفهومات وعموم قدرته لجميع الممكنات وصحة
القبول من القابل والفعل من الفاعل يوجب صحة الجواز والوقوع قطعا واما الوقوع فلان الصادق الذى علم صدقه

بادلة قاطعة اخبر عنه فى مواضع لا تحصى بعبارات لا تقبل التاويل حتى صار معلوما بالضرورة كونه من الدين
القويم والصراط المستقيم وكل ما اخبر به الصادق فهو حق واما انكار الفلاسفة فبناء على امتناع
اعادة المعدوم بعينه وضعيف انه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر بالمقصود لان مرادنا ان الله تعالى
يجمع الاجزاء الاصلية للانسان ويعيد روحه اليه سواء سمى ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم وبهذا
سقط ما قالوا انه لو اكل انسان انسانا بحيث صار المأكول جزءا منه فلو اعاد الله ذينك الانسانين
بعينهما فتلك الاجزاء اما ان تعاد فيهما وهو محال لاستحالة ان يكون جزء واحد بعينه فى آن واحد
فى شخصين متباينين او يعاد فى احدهما وحده فلا يكون الاخر معادا بجميع اجزائه وذلك
لان المعاد انما هو الاجزاء الاصلية الباقية من اول العمر الى اخره والاجزاء المأكولة فضل فى الاكل
لا اصلية فان قلت هل يعدم الله الاجزاء البدنية ثم يعيدها او يفرقها ويعيد فيها التاليف
قلنا الحق انه لم يثبت ذلك ولا جزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل على شى من الطرفين وما يحتج به
على الاعدام من قوله تعالى كل شى هالك الا وجهه ضعيف فى الدلالة عليه فان التفريق هلاك كالاعدام
فان هلاك كل شى خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التاليف الذى به يتم منافع الاجزاء و
التفريق كذلك فانها خروج الشى عن صفاته المطلوبة منه فيكون هلاكا ومثله يسمى فناء عرفا قال
الامام الرازى رحمه الله مسئلة المعاد مبنية على اركان اربعة وذلك ان الانسان هو العالم الصغير
وهذا العالم هو العالم الكبير والبحث عن كل واحد منها اما عن تخريبه او تعميره بعد تخريبه فهذه مطالب
الاربعة الاول كيفية تخريب العالم الصغير وهو بالموت والثانى انه كيف يعمر بعدما خرب وطوله
بعيده كما كان حيا عاقلا ويوصل اليه الثواب والعقاب والثالث انه كيف يخرب هذا العالم الكبير
التخريب بتفريق الاجزاء او بالاعدام والافناء والرابع انه كيف يعمر بعد تخريبه وقال ايضا اما القائلون
بالمعاد الروحانى والجسمانى معا فقد ارادوا ان يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على ان
سعادة الارواح بمعرفة الله ومحبته وان سعادة الاجسام فى ادراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين
فى هذه الحياة غير ممكن لان الانسان مع استغراقه فى تجلى انوار عالم الغيب لا يمكنه الالتفات الى شى من اللذات
الجسمانية ومع استغراقه فى استيفاء هذه اللذات لا يمكنه ان يلتفت الى اللذات الروحانية وانما تعذر
هذا الجمع لكون الارواح البشرية ضعيفة فى هذا العالم فاذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة
قويت وكملت فاذا اعيدت الى الابدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الامرين ولا شبهة فى ان هذه
الحالة هى الغاية القصوى من مراتب السعادات واما المنكرون للمعاد مطلقا فهم الذين قالوا ان النفس هى المزاج
فاذا مات الانسان فقد عدمت النفس واعادة المعدوم ممتنع محال هذا كلامه ونحن نقول بجواز اعادة
المعدوم كما ورد فى الكتاب والسنة فان الاعادة على الله اهون من الابتداء وله المثل الاعلى ولنا ايضا
فى جوازها انه لا يمتنع وجوده الثانى لذاته ولا للوازمه والا لم يوجد ابتداء لكونه من قبيل الممتنعات
لان مقتضى ذات الشى اولا لا يختلف بحسب الازمنة واذا لم يمتنع كذلك كان ممكنا بالنظر الى ذاته

على ان منكر الاعادة لما سلّم كونه تعالى خالق العالم الكبير والعالم الصغير لزمه ان يسلّم كونه قادرا على اعادتهم
فان ما صحّ عليه في كل الاوقات فان يسلّم كونه قادرا على ايجاد عالم آخر لان القادر على شيء قادر لا محالة
على مثله وقرا نافع والكسائي وابو عمرو وهو بجزم الهاء تشبيها له بالعضد وقرا الباقون بضم الهاء
وهكذا في جميع القرآن وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة واذ نصب باضمار
اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار رحمته وحكمة قصة ربك والملائكة ومن ثم قال الفراء معناه
واذكر اذ قال ربك ويحتمل ان يكون منتصبا بقالوا وقال ابو عبيدة معناه قال ربك واذ زيادة
وقال مقاتل معناه وقد قال ربك واذ واذا من الظروف الا ان اذ لما مضى من الدهر واذا لما يستقبل
منه وهما مضافتان ابدا ولكن اذ تضاف الى كلتا الجملتين بخلاف اذا فانها لا تضاف الا الى الفعلية
تقول اتيتك اذ زيد نائم واذ نام زيد واذ يجلس زيد واذ زيد يجلس وتقول اذا قعد زيد واذا
يقعد زيد قالوا وعلة بنائهما ان وضعهما الزمان منسوب الى نسبة فيهما محتاجان الى جملة تبيّن معناهما
كاحتياج الحرف لجملة معه والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء
لتانيث الجمع واعلم انه قد اختلف في عصمة الملائكة فللمنكر وجهان الاول ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم
في هذه الآية أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا يخفى ما فيه من
وجوه المعصية وهي اربعة اذ فيه غيبة لمن يجعل الله خليفة بذكر مثالبه وفيه العجب وتزكية النفس
بذكر مناقبهم وفيه انهم قالوا ما قالوا من نسبة الافساد والسفك رجما بالظن واتباع الظن في هذا غير جائز
لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وفيه انكار على الله تعالى فيما يفعل وهو من اكبر المعاصي الثاني
ابليس عاص بترك السجود حتى صار مطرودا ملعونا وهو من الملائكة بدليل استثنائه منهم في قوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس واجيب عن الوجه الاول بان قولهم أتجعل استفسار عن الحكمة الداعية
الى خلقهم لا انكار على الله في خلقهم والغيبة اظهار مثالب المغتاب وذلك انما يتصور لمن لا يعلم والله
عالم بكل الاشياء ما ظهر منها وما بطن فلا غيبة هناك وكذلك لا تزكية اظهارا لمناقب النفس فلا يتصور بالنسبة
الى الله ولا رجم بالظن وقد علموا ذلك بتعليم الله تعالى او بعيونهم كفرانهم ذلك من اللوح المحفوظ
وعن الوجه الثاني بان ابليس كان من الجن بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه
وصح الاستثناء ايضا ولا الامر للغلبة ولان طائفة من الملائكة يسمّون الجن خلاف الظاهر مع ان
ذكر كونه من الجن في معرض التعليل لاستكباره وعصيانه بإبائه وللتثبيت لا يتك الدالة على عصمتهم نحو قوله
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقوله
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واجيب بان الاستدلال بتلك الآيات انما يتم اذا
ثبت عمومها اعيانا وازمانا ومعاصي حتى يثبت بها ان كلهم مبرؤون عن جميع المعاصي في جميع الازمنة
ولا قاطع فيه نفيا ولا اثباتا بل ادلة الطرفين ظنية والظن لا يغني في مثل من المسائل اليقينية عن الحق شيئا
ثم جمهور المسلمين على ان الملائكة اجسام لطيفة يظهرون بصور مختلفة ويقوون على افعال شاقة وهم عباد مكرمون



مكرمون يواظبون على الطاعة ولا يوصفون بالذكورة والانوثة وزعم الحكماء انها جواهر مجردة
مخالفة للنفوس الناطقة حقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق تعالى والتنزه
عن الاشتغال بغيره جل وعلا كما وصفهم القرآن العظيم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الملائكة
المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض كما سبق به القضاء وجرى القلم لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية والعلوية اعني السماوية
افضل على السفلية الارضية والانبياء على كل الملائكة باسرهم كما سيأتي والمقول لهم في الآية الكريمة الملائكة
كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن
فانه تعالى اسكن الجن في الارض فعبدوه دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا
فبعث الله اليهم ابليس مع جند من الملائكة فطردوهم منها والحقوهم بشعب الجبال وجزائر البحور
وسكنوا اماكنهم وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ومعناه مصيّر في الارض خليفة ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة
من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لان الملائكة كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فعلى
هذا المراد بالخليفة الكل باعتبار موصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى اي من يخلفكم او خلفاء
يخلفونكم فانه عليه السلام كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي ومن ناب منابه كالخلفاء الاربعة لنبينا
صلى الله عليه وسلم وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم الآية ويجوز ان يريد بالخليفة آدم وحده والمعنى على جعله مع ذريته خلفاء في الارض
استغناء بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر من هو اصل القبيلة عمن يتفرع عليه في قولك مضر
وهاشم فكذا فالخليفة وخلفاؤه هم ذريته كما تقول الخلافة في قريش اي فيه وفي اولاده بالنظر الى الاصل
وان صار قريش ومضر مثلا اسما للقبيلة ولم يعبر الخليفة عبارة عن الكل وقرا ابن قطيب خليقة بالقاف
وقرا ابن السميفع اني جاعل في الارض خليفة باضافة جاعل الى خليفة اي اني جاعل خليفة في الارض قالوا
وفائدة قوله تعالى للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر سبحانه بوجوده سكان
ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضل الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان
ان الحكمة يقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير
اول من لبّى الملائكة قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فزادوه فاعرض عنهم فطافوا بالعرش ست سنين يقولون لبيك لبيك اعتذارا
اليك لبيك نستغفرك ونتوب اليك قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء استفسار عن الحكمة
بطريق التعجب من ان يستخلف لعمارة الارض من يفسد فيها ويسفك او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
لا انكار لانه لا يتصور من الملائكة ولا اعتراض على الله تعالى والتكذيب لكن ظاهر الحديث يدل على انه صدر منهم نوع من الالم
وهو قوله عليه السلام فزادوه فاعرض عنهم لانه فان الاعتذار والاستغفار والتوبة يكون من الذنب

ويشهد به الكتاب والسنة والعرف وقرئ يُسفك مجهولا فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا
محذوفا اى يسفك الدماء فيهم وقرئ ويسفك بضم الفاء ويُسفك ويُسَفِّك من اسفك وسفّك والسفك
والسبك والسفح والشن انواع من الصب والسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح
في الصب عن فم القربة ونحوها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والواو في ونحن للحال كقولك اتحسن الى اعدائك
وانا الصديق المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والغرض الاستفسار عن الحكمة
الداعية الى خلقهم لا تزكية النفس بذكر مناقبها كما ذكرنا والتسبيح تبعيد الله عن السوء يعدى بنفسه وباللام و
كذلك وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد فاللام لك
في المعنى متعلق بالفعلين وكذلك الحال اعني بحمدك اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك على ما الهمتنا
معرفتك ووفقتنا لتسبيحك وفائدة الجمع بينهما ان التسبيح بالطاعات والعبادات والتقديس بالمعارف و
الاعتقادات يريد فقر ان مجرد وجود المانع فيهم والمرجح فينا كافية ان لا نجعلهم مكاننا وخلايف منا
فكيف وقد اجتمع الامران قوة المانع فيهم وكمال المرجح فينا وذلك انهم علموا ان للانسان ثلث قوى عليها
مدار امره قوة شهوية هي مبدأ الفساد وقوة غضبية هي منشأ سفك الدماء وقوة عقلية هي مظهر المعرفة
والصلاح ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة
ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وذهلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطاوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا جهة الكمال فنبههم الله تعالى على ذلك بقوله اني اعلم ما لا تعلمون
ثم اطلعهم على جهة التفضيل بقوله وعلم آدم الاسماء كلها قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من الحكم في ذلك ما هو
خفي عليكم ولعله قال استيناف وكذا قالوا الا انهم يجعل عاملا في اذ قال مجاهد علم من ابليس المعصية ومن آدم الخلقة
والطاعة ولم تعلم الملائكة بذلك قال ابن عباس قد علم انه سيكون من بني آدم من يسبح بحمده ويقدس له ويطيع امره
ويقال قد علم انه سيكون من ولده من الانبياء والصالحين والابرار وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري
باسمائها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل وقد بين الله سبحانه للملائكة بعض الحكم على وجه
يرشد لكونه اصل الفوايد وعلم عطف على قال وقيل على محذوف ليكون المجموع بمنزلة التفسير لما لا تعلمون ولا
دلالة عليه والتعليم جعل الشخص عالما بالكليات والتعريف مختص بالجزئيات هذا بالنظر الى الاصل وانما اوثر
التعليم على التعريف لكون كل مما يحتاج اليه كليا من كليات كلية وذلك لان الله تعالى اراه الاجناس التي خلقها
وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بقر وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها
وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وتعليم الخالق لا يخطئ اصلا وقطعا وان كان المتعلم غبيا بخلاف
تعليم المخلوق فانه قد لا يترتب عليه العلم وما قيل من ان التعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته
فلم يتعلم فانما هو القسم الثاني وتفسير التعليم في الآية به بعيد جدا على ما لا يخفى وقد يقال التعليم والتعلم بالذات واحد
وبالاعتبار اثنان فان معنا واحدا وهو انسياق ما الى اكتساب مجهول بمعلوم يسمى بالنظر الى الذي يحصل فيه

فيه تعليما بالقياس الى الذي يحصل عنه وهو الفاعل تعليما كالتحريك والتحرك وآدم اسم اعجمي كشالخ وآذر وفالغ
مثلا واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عن النبي عليه السلام
انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك اتى بنوه اخيافا او من الادم والادمة
بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس وذلك لان كون
الاسماء الاعجمية مشتقة من المصادر والالفاظ العربية ليس بمستقيم واما انه يجوز ان يجري الاشتقاق في
ساير اللغات وان توافق لغاتهم لغات العرب في ماخذ هذه الاشتقاق او ان آدم كان يتكلم بالعربية فذلك
بحث آخر وظاهر قوله عليه السلام اول من فتق لسانه بهذه العربية المبينة اسمعيل وهو ابن اربع عشرة سنة
يدل على ان اول من تكلم بالعربية اسمعيل عليه السلام واما الرد بان الاعلام القصدية بمعزل عن الدلالة والمعقولة
لا معنى للاشتقاق فليس بشيء لانه اذا تحقق بين اللفظين تناسب المعنى والتركيب فهو معنى الاشتقاق وكذا الرد بان
آدم كان في غاية الجمال والادمة والادم لا يناسب ذلك وقيل الاسم بحسب الاشتقاق ما يكون علامة
للشيء واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مطلقا واصطلاحا في المفرد الدال على معنى غير مقترن باحد الازمنة
الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلق آدم من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
واجناسها من المحسوسات والمعقولات والمتخيلات والموهومات وعلمه حقايق الاشياء واحوالها واسمائها
واصول العلم وقوانين الصناعات وما يتعلق بها وقوله الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة
المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا وانما احتيج الى اعتبار هذا الحذف ليتحقق مرجع
ضمير عرضهم في قوله انبئوني باسماء هؤلاء ولم يقدر المحذوف مضافا اي مسميات الاسماء لينتظم تعليق
الانباء بالاسماء فيما ذكر بعد التعليم والكلام في الاسم والمسمى قد مر فلا نعيده ثم عرضهم على الملائكة
اي عرض المسميات وانما ذكر الضمير لان في المسميات العقلاء فغلبهم ثم الغرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون
المعروض نفس الاسماء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء
وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت والالزام ان كنتم صادقين فيما زعمتم من اني استخلف
من غالب حاله الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون فيه ما يصلح لان يستخلف لان ذلك لا يصلح ما نعلم من الخلافة
اذ لم يكن معه سلب التحجب ومنافع راجحة على مصلحة المقيدة ومصالح زائدة على مصلحة المفسدة وانما قال هذا الادلة
لوقوعها لهم ودلالة على ان فيمن يستخلفه فضايل العلم التي هي اصول الفضايل كلها وهم لاجلها احقاء بالخلافة ولا يطلع
ما في هذا الكلام من الدلالة على جلالة العلم ورفعة محله والاشعار بشرف اهله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
اعتراف بالعجز واقرار بالتقصير وايذان بان سؤالهم كان استفسارا لا انكارا واعتراضا وانه قد تبين لهم ما كان خفيا
عليهم من الحكمة في خلقه الانسان واستخلافه وعلم التسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر لا يكاد يظهر اظهاره اي نسبحك
سبحانا بمعنى تسبيحا ثم نزل سبحان منزلة فعله فسد مسده وذلك دال على التنزيه البليغ من كل النقص وجميع ما لا يليق [illegible]
كبريائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق وقول الخليل لا بد لنا الرفع والتنوين

انك انت العليم الحكيم وضمير الفصل هنا لمجرد التأكيد فان التخصيص حاصل بدونه وذلك باعتبار تعريف الطرفين
اي لا علم الا انت وهو قد يكون لافادة قصر المسند على المسند اليه مثل قوله تعالى ان الله هو الرزاق اي لا رازق الا الله
وقد يكون بالعكس اعني قصر المسند اليه على المسند نحو الكرم هو التقوى اي لا كرم الا التقوى والاية من قبيل الاول
دون الثاني فكانهم قالوا لا علم لنا الا جنس علمك علينا ساقط مع علمك ومغمور بلا كنهه العليم الذي لا يخفى
عليه السر واخفى ومن علم المغيبات كما لم تخف عليه الاوساط التي منها حال آدم عليه السلام وذريته وقوله الحكيم
اي المحكم لمبتدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وهذا منهم تفويض للامر الى علم سلطانه واتكال على علو
شأنه في اتقان افعاله واظهار لشكر نعمته بما عرفهم من فضل احسانه وقولهم هذا اعني سبحانك الى قولهم الحكيم
من احاسن الكلام فان اوله تسبيح واوسطه اقرار واخره تفويض قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اخبرهم واعلمهم وقرئ
انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما وقرأ الاعمش انبئهم بغير همزة ولا ياء فلما انبأهم باسمائهم قال
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله اني
اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح حيث تعرض للتفاصيل وان كان ما لا تعلمون
اوجز واشمل الا اذا خص بما خفي من مصالح الاستخلاف فيكون هذا اشمل واكمل والهمزة للانكار وقد مر انها
اذا دخلت على النفي افادت التقرير والتحقيق والغيب مصدر واضافة المصدر تفيد الحصر والاختصاص كما يقال
ضربي زيدا في الدار وهذا في التحقيق مثل قوله قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون ما تعلنون وما تسرون اي جميعهما لدلالة لفظ ما على العموم وقيل ما تبدون قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احق بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل
ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية وفي الخبر لما اراد ان يخلق آدم بعث جبريل ليجمع التراب من وجه الارض
فلما نزل واراد ان يجمع قالت له الارض بحق الله عليك لا تفعل فاني اخشى ان يخلق من ذلك خلقا يعصي الله
تعالى فاستحيي من ربي فصعد جبريل وقال لو امرني بالرجوع اليها لفعلت ثم بعث ميكائيل فتضرعت اليه مثل
ذلك فرجع ثم بعث عزرائيل فتضرعت اليه فقال عزرائيل امر الله تعالى اولى فجمع التراب من وجه الارض الطيبة
والسبخة والاحمر والاصفر وغيره ثم صعد الى السماء فقال الله تعالى له اما رحمت الارض حين تضرعت اليك
فقال يا رب رأيت امرك اوجب من قولها فقال انت تصلح لقبض ارواح ولده فصار ذلك التراب طينا اربعين سنة
ثم كان صلصالا وكان ابليس [illegible] مر عليه مع الملائكة فقال ارأيتم هذا الذي خلق لم تروا شيئا من الخلائق يشبهه
ان فضل عليكم وامرتم بطاعته فما انتم فاعلون قالوا نطيع امر ربنا فاسر ابليس في نفسه وقال لئن فضل علي لا اطيع
وان فضلت عليه لاهلكنه فلما سواه ونفخ فيه من روحه علمه اسماء الاشياء كلها وامره بان ينبئهم باسمائهم واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة
لآدم وابو يوسف واخوته له مع ما في السجود من طرح الكبرياء وخفض الجناح ويجوز ان يختلف
الاحوال والاوقات فيه قال النبي عليه السلام اول من عانق خليل الله ابرهيم وكان قبل ذلك السجود فهذا
يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا فجاء الاسلام بالمصافحة وحقيقة السجود وضع الجبهة على الارض لا وضع الرأس

الرأس حتى لو وضع الرأس من جانب احد العذارين او من جانب القفا لم يكن ساجدا وقد يطلق على الانقياد
والخضوع وهو المراد بسجود الجمادات من الشجر والمدر والليل والنهار وغير ذلك لله سبحانه دون الاول
لاستحالته منها وهذا ليس باعتبار ان ليس ذلك في قدرة الله تعالى بل باعتبار انه ليس لها وجوه ولا جباه
كما يحكم عليها باستحالة النظر بلا اعين والمشي بلا ارجل وقيل لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له
اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله واعلم انه اجمع جماهير العلماء على ان الانبياء
افضل من الملائكة ليس النزاع في انهم افضل من الملائكة السفلية انما النزاع في الملائكة العلوية واما انهم افضل
من الملائكة فلوجوه الاول قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فانه تعالى امرهم بالسجود لآدم تعظيما
وتكريما بدليل قوله تعالى حكاية ارايتك هذا الذي كرمت علي وامر الادنى بالسجود للافضل هو السابق
الى الفهم وعكسه على خلاف الحكمة لان السجود اعظم انواع الخدمة واخدام الافضل للمفضول مما لا يقبله
العقول واذا كان آدم افضل منهم كان غيره من الانبياء كذلك اذ لا قائل بالفصل الثاني قوله تعالى وعلم آدم
الاسماء كلها الى قوله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فانه يدل على ان آدم علم الاسماء كلها ولم يعلموها والعالم افضل
من غيره اذ الآية سيقت لذلك حيث قصد بها الى تفضيل آدم على الملائكة وبيان زيادة علمه واستحقاقه التعظيم
والتكريم ولقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الثالث ان البشر يحصل الفضائل
والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق من الشهوة والغضب وحاجة الضاغطة من اكتساب الكمالات
وليس للملائكة شيء من ذلك ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والموانع اشق وادخل في الاخلاص
فيكون افضل لقوله عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها الرابع ان الانسان ركب تركيبا بين الملك
عقل بلا شهوة والبهيمة التي لها شهوة بلا عقل فبعقله له حظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ثم ان من
غلب طبيعته عقله فهو شر من البهائم لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل ان شر الدواب عند الله الآية وذلك
يقتضي بطريق قياس احد الجانبين على الاخر ان يكون من غلب عقله طبيعته خيرا من الملائكة وذهب المعتزلة
والفلاسفة وبعض الاشاعرة كالقاضي ابي بكر وابو عبد الله الحليمي الى ان الملائكة افضل وتمسكوا بوجوه
عقلية ونقلية اما العقلية فستة الاول ان الملائكة ارواح مجردة عن علائق المادة وتوابعها
فليس شيء من اوصافها بالقوة بل كمالاتها كلها بالفعل مبدأ الفطرة بخلاف النفوس الناطقة الانسانية
فانها في ابتداء فطرتها خالية عن كمالاتها وانما تحصل على التدريج والانتقال من القوة الى الفعل والتام الكامل
الثاني الروحانيات متعلقة بالهياكل العلوية المبرأة عن الفساد والنفوس الانسانية متعلقة بالاجسام السفلية
الكائنة الفاسدة ونسبة النفوس كنسبة الاجساد الثالث انها مبرأة عن مبادئ الشرور والآفات كالشهوة
والغضب فانهما اصل الشرور والاخلاق الذميمة كلها وفاقا الرابع ان الروحانيات نورانية لطيفة لا تحجب
بها عن الانوار الفلكية فهي ابدا مستغرقة في مشاهدة الانوار الربانية والجسمانيات مركبة من المادة والصورة
والمادة ظلمانية تمنع عن كمال المشاهدة المستمرة الخامس انها قوية على افعال شاقة عجيبة كالزلازل والسحب

[illegible]

لا يحجبها بذلك فتور بخلاف الجسمانيات السادس انها اي الروحانيات اعلم لاحاطتها بالكوائن ماضيها وآتيها وعلومهم
كلية فعلية فطرية آمنة من الغلط والجسمانيات بخلافه والجواب ان ذلك كله مبني على الاصول الفلسفية دون
الاسلامية ثم انهم بدليل قوله علمه شديد القوى وقوله نزل به الروح الامين ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم
والجواب ان التعليم من الله والملائكة انما هو المبلغون الثاني الملائكة رسل الله الى الانبياء والرسول اقرب
الى المرسل من المرسل اليه كالنبي بالنسبة الى الامة والجواب ان ما ذكرتم قاعدة كلية فيجب ان يكون واحد من آحاد
الناس اذا ارسل ملك الى ملك افضل من الملك المرسل اليه وهو باطل قطعا الثالث قد اطرد في الكتاب والسنة
تقدم ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذاك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة والجواب انه ذلك انما هو بحسب ترتيب
الايمان فان وجودهم اخفى فالايمان به اقوى فيكون تقديم ذكرهم اولى الرابع قوله تعالى ولا اقول
لكم اني ملك فانه كلام في معرض التواضع ونفي التعظيم والترفع والجواب لا نسلم انه في معرض التواضع بل المنازلة
ما قبل هذه الاية وهو قوله والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون والمراد قريش استعجلوا العذاب
تهكما به فنزلت لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك بيانا لانه ليس له انزال
العذاب من خزائن الله يفتحها ولا يعلم ايضا متى ينزل بهم العذاب منها ولا هو ملك يقدر على انزال العذاب
عليهم كما يحكى جبريل عليه السلام قلب بجناحه المؤتفكات فقد دلت الاية على ان الملك اقدر واقوى فاين هذه
الافضلية التي هي كثرة الثواب فان النزاع من المتكلمين في الافضلية بمعنى كثرة الثواب الخامس قوله لن
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملائكة
من عيسى عليه السلام اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف الوزير من هذا الامر ولا
السلطان ولا يقال والسلطان ولا الوزير ثم لا قائل بالفصل بين عيسى وغيره من الانبياء والجواب ان النصارى
استعظموا المسيح لما راوه قادرا على احياء الموتى ولكونه بلا اب والملائكة فوقه فيهما فانهم قادرون على ما لا يقدر
عليه ولكونهم بلا اب وام فاذا لم يستنكفوا من العبودية ولم يصر ذلك سببا لادعائهم الالوهية فالمسيح اولى بذلك
وليس ذلك من الافضلية التي نحن بصددها في شيء السادس قوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين اذ يلزم انه حرضهما على الاكل من الشجرة لما منعا عنه بان المقصود بالمنع قصورهما عن درجة
الملائكة فكلا منها يحصل لكما ذلك الشرف فقبلاه واقدما عليه والجواب تسليما ان الملائكة احسن صورة
واعظم خلقا واكمل منه منها فتمناهما مثل ذلك وخيل اليهما ان الكمال الحقيقي والفضيلة المطلوبة السابع قوله
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته والمراد بكونهم عنده ليس القرب المكاني اذ لا مكان له تعالى بل قرب الشرف والرتبة
وايضا جعل عدم استكبارهم عن عبادته دليلا وهو انهم اذا لم يستكبروا فغيرهم اولى ان لا يستكبروا
فذلك دليل افضليتهم اذ مع التساوي او المفضولية لا يحسن ذلك الاستدلال والجواب المعارضة بقوله
في حق البشرية مقعد صدق عند مليك مقتدر وبقول الرسول عليه السلام حكاية عن الله تعالى انا عند المنكسرة
قلوبهم وكم بين من يكون عند الله ومن يكون الله عنده كما يشهد به الذوق السليم واما الاستدلال بعدم الاستكبار
فبكونهم اقوى واقدر على الافعال لا بكونهم افضل وقرا ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز

ابليس

ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله بكسر الدال فسجدوا الا
اي فسجد الملائكة كلهم امتثالا لامر ربهم واجلالا لخطابه وتكريما لآدم الا ابليس فانه توقف واستعظم
ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وعد ابليس من الملائكة عد الانثى من الذكور وقوله
الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا
ثم استثني منهم استثناء واحد منهم والظاهر ان الامر لجميع الملائكة لا للارضين خاصة فالسجود لبعضهم واما
عد ابليس من الملائكة حتى تناولهم امرهم بالسجود وصح استثناؤه من ضميرهم في الاخبار بالسجود فمن تغليب
الكثير على القليل والجماعة على الواحد في اطلاق الاسم مثل لتعودن في اسناد الفعل الا انه يغلب عد الانثى من الذكور
من جهة انه اطلق الاسم الموضوع بجوهر حروفه للملائكة خاصة على الملائكة وابليس من غير اشراكه لهم في مدلول الاسم
اصلا كما انه اطلق الاسم الموضوع بهيئته للذكور خاصة على الذكور والاناث بالمشاركة لهم في مدلول جوهر الحروف
اعني القنوت في قوله وكانت من القانتين ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا ووجه الانقطاع انه ليس بملك
فلا يتناوله اسم الملائكة لكن ذكر الاباء والاستكبار يدل على انه مامور بالسجدة وان لم يتناوله لفظ الملائكة
ابى واستكبر جملة مستانفة وقعت جوابا للقائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر المفعول اي مفعول
وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف تثبطا وقيل امتنع
مما امر به واستكبر عنه والتكبر ان يرى الشخص نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك وقد روي
ان ابليس لقي موسى فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله
اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربك ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل
فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر
وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني
عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم
واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي
واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار اللعين فيما
الى ان سبب ابائه وامتناعه من سجود آدم هو الحسد وكل الحرص على ما تقلده وهو ما ادى ان نوحا
عليه السلام لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك
قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فيكون قلوبهم معي وابدانهم معك فقال له نوح اخرج يا عدو الله فانك رجيم
فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه
لا حاجة بك الى الثلث مره يحدثك بالثنتين فقال ما الثنتان قال هما لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك
الناس الحسد والحرص وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فقد ابيح لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه
بالحرص ولا جل ان الحسد والحرص والكبر والغضب من اعظم مداخل الشيطان نهى النبي عليه السلام عنها
فقال دل على انه اياك عن اربع الحسد والحرص والكبر والغضب فان الحاسد متسخط قضاء الله وقدره

ومعترض عليه تعالى فيما لا علم له فيه وانما صار الحسد تسخطا على الله واعتراضا عليه لانه تعالى حكيم منزه عن فعل
السفه والعبث وانما يضع الشيء في موضعه والحاسد كانه يرى انه وضع الشيء في غير موضعه لانه يريد ازالتها عنه
فهو كانه ينسب ربه الى السفه او العبث او الجهل والله عز وجل متعال عن هذه الصفات وعن سائر النقايص كلها علوا
كبيرا قال عليه السلام رواية عن الله من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي وقال
عليه السلام اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب واما الحرص فهو مسابقة قدر الله ومن
سابق القدر سبق وهو مغالبة الله ومن غالبه غلب قال النبي عليه السلام لكعب الاحبار ان القابل جاءت بحنك
تغالب ربها ولتغلبن مغالبها الغلاب • قال نعم قال ما شيه ربكم لما كان الحريص مغالبة الله لان الحريص
يريد ان ينال ما لم يقدر الله له واما الكبر وهو عدّ الشخص نفسه كبيرا عظيما وهو منازعة الله في صفته
المختصة به فمن نازع الله في صفته فالنار ماويه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منها القيته في النار وعن ابي هريرة عن النبي عليه السلام يجاء بالجبارين
والمتكبرين رجالا في صور الذر يطاهم الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضي بين الناس ثم يذهب
بهم الى نار الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة اهل النار وعقوبة المتكبر في الدنيا
المقت والذلة بين عباد الله تعالى روي انه عليه السلام قال لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال عليه السلام
ما منعه الا الكبر فقيل ما رفعها بعد ذلك واعتلت يده فاذن الكبر على الخلق عظيم لانه يدعو الى التكبر
على امر الله تعالى نعوذ بالله من ذلك وانما ضرب بابليس مثلا لهذا وما حكى احواله الا لنعتبر قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى وكان مبداه الكبر
على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه ابد الابدين ومن ثم قال في التواضع
قال النبي عليه السلام ما من احد الا وفي راسه سلسلتان احدهما في السماء السابعة والاخرى في الارض
السابعة فاذا تواضع العبد رفعه الله تعالى في السلسلة التي في السماء اليها واذا اراد ان يرفع نفسه وضعه الله
فهذه عقوبته في الدنيا وفي الاخرة نار الانيار عصارة اهل النار واما الغضب فقد حذر عنه
النبي عليه السلام نهى عليا كرم الله وجهه عن تسخط قضاء الله والاعتراض عليه وعن مسابقة قدره
ومغالبته بطلبه وعن منازعته صفته التي لا يستحقها غيره ولا يليق باحد سواه وعن الغضب فقد بين له
جميع خصال الشر ومبادي الاخلاق الذميمة ودواعي الهلاك ودله على طلب النجاة اعاذنا الله من جميع مناهيه
ووفقنا لاوامره التي ترضيه وهو اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وعليه التكلان **وكان من الكافرين**
اريد وهو دكفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان منطلقا في جنس الاوقات الماضية وهو صالح لانها
شئت او اريد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله تعالى ويجوز ان يراد وكان في الكتاب
مذكورا بانه من الكافرين موصوفا به او صار منهم بامتناعه مما امره واستكباره عنه والاحسن ان يقال
ان هذه الجملة تذييل للتعليل كما يفصح الفاء في قوله تعالى ففسق عن امر ربه خروجه عن الطاعة والانقياد امره
السجود بسبب كونه من جنس كفرة الجن فمعنى قوله وكان من الكافرين اي من جنس كفرة الجن وشياطينهم فالاباء

والاباء والاستكبار منه معللان بكونه من كفرة الجن وقيل لما استثنى ابليس من الساجدين وكان يحتمل ان يظن
انه كان معذورا في ترك السجود بين سبحانه انه لم يسجد مع وجود القدرة وعدم العذر بقوله ابى لان الاباء
هو الامتناع مع الاختيار ثم انه قد يجوز ان يكون كذلك بدون الكبر فبين ان ذلك الاباء مع الاستكبار ثم جاز
ان يكون الاباء والاستكبار مع عدم الكفر فبين انه كفر وعلى هذا لا يكون قوله وكان من الكافرين تذييلا بل
عطفا للتقييد ثم الجمهور على ان جميع الملائكة كانوا مامورين بالسجود لآدم لان لفظ الملائكة يفيد العموم
سيما وقد اكد في قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون ولانه استثنى منهم ابليس والاستثناء اخص الواحد دليل ان
ما عداه داخل في الحكم ومنهم من انكر ذلك وقال المامورون بالسجود هم الملائكة السفلية دون العلوية واما
الحكماء الذين احالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المراد بالملائكة المامورين بالسجود
القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفوس الناطقة فقد سجلوا على انفسهم بالكفر حيث خالفوا الكتاب والسنة
واجماع القرون السلف اولئك هم العادون وائمة النار العادون **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة**
اسكن امر من السكنى اي اتخذ الجنة مسكنا لا من السكون بمعنى ترك الحركة ولذا ذكر متعلقه بدون في الا ان مرجع
السكنى الى السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للضمير اسكن ليصح العطف عليه فان العطف على المرفوع
المتصل بلا فصل ممتنع في فصيح الكلام وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له وتوجيه
انه قيل اسكن ولم يقل اسكنا اشعارا بالاصالة والتبعية ومخاطبة امر الغايب بصيغة افعل للتغليب مثلا انا وزيد
فعلنا والجنة دار الثواب كما مر لان اللام للعهد ولا معهود سواها ومن زعم انها لم يخلق بعد قال انه بستان كان
كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه امتحانا لآدم وحمل الهبوط على الانتقال منه الى ارض الهند
كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** اي اكلا رغدا واسعا رافها يقال عيش رغد ورغد ورغيد
اي واسع وفلان في رغد من العيش ورغد بالكسر رغدا وقرا عيسى بن عمر رغدا بسكون الغين وقال الغد نعيم
حيث شئتما وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اما كونه للابهام وتفسيره بالعموم فلذلك الحال
وعدم المرجح واما عدم كونه متعلقا باسكن مع انه اظهر منه معنى فلوقوع الفاصل وانما وقع الامر عليها و
اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها
الفايتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات
التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه لا تقربها وجعل قربها سببا للظلم فان القرب من الشيء يورث
داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم
فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة والتاء فيها
للوحدة والظاهر انه لا يبقى مقام التوضيح الوحدة الشخصية ويحمل التوعية فانما كان فاللام في وصفها
للجنس وقيل للعهد وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن
ابي عمرو انه كرهها وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها والبرابر جمع بربر جيل من الناس يسكنون ما بين الحبشة
واليمن واكثر سودان منهم سموا بذلك لانه لما ابتلوا ابا لمقيس قال لهم ما اكثر بربرتكم وهي الصوت وكلام في غضب

وقد يقال انما كان النهي عن الاكل من الشجرة للمحنة لان الدنيا دار محنة وقد خلق من الارض ليسكن فيها
فامتحن بذلك كما امتحن اولاده في الدنيا بالحلال والحرام فتكونا جزم عطف على لا تقربا او نصب
جواب للنهي وقوله من الظالمين جعل اكلها سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بمعصية
الله وارتكاب المناهي فان الفاء تفيد السببية فازلهما الشيطان عنها اى حملهما الشيطان على الزلة
بسبب الشجرة وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة ومثل عن هذه في قوله تعالى وما فعلته
عن امري فان معناه ما اصدرت فعله عن امري وفي قول شاعر ينهون عن اكل وعن شرب والمعنى يصدر
تناهيهم في السمن عن الاكل والشرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته
وزل عني ذاك اذا ذهب عنك ويعضده وتعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زلة يقتضي
عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين وقرا ابن مسعود
فوسوس لهما واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على سبيل الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول قربا على جهة التقريب والتكرمة
كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء
فيكلمهما وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وروي انه اراد
الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والله اعلم فاخرجهما مما كانا فيه اى من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير عن الشجرة اذ لو كان للجنة
لكان الاخراج قبل الازلال او معه فلا يصلح العطف بالفاء الا بتاويل فيه وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان
عنها قيل هذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها وقيل يجوز ان يكون الضمير للجنة
على تضمين الوسوسة معنى التبعيد والازالة وقلنا اهبطوا قيل خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل
والحية والصحيح انه لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما لما كانا اصل الانس جعلا
كانهما الانس كلهم بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها الضمير عن الواو اى اهبطوا متعادين ومعنى بعضكم
لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والدليل على ان المراد التعادي
والتباغي فيما بين بني آدم لا فيما بينهما وبين ابليس قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كفروا وكذبوا باياتنا الآية فانه قسمهم الى المؤمنين والكافرين وبين ما لكل من الفريقين
من الجزاء وقيل استيناف بتقدير السؤال وكذا قوله ولكم في الارض مستقر يجوز ان يكون مستانفا وان يكون
حالا والحالان مقدرتان لان تعاديهم واستقرارهم ليسا في حال الهبوط والهبوط النزول الى الارض ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين الى يوم القيمة لانه متعلق بالظرف
الواقع خبرا عن مستقر ومتاع والاستقرار ثابت الى يوم القيمة لمكان القبر وقيل الى الموت نظرا الى تعلقه
بمتاع اذ لا تمتع بعد الموت بكى آدم عليه السلام على الفريط حتى جرت الاودية من دموعه كان كلما ذكر الجنة فلو

ثلاثة وكلما يرى الملائكة يحترق بلغ المراهم لجراح الجرائم الندم والوطاء وتغير العذر والقلق قال ابو هريرة رضي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه واسجد لك ملائكته خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال آدم انت موسى كلمك الله تكليما
وخط لك التورية بيده واصطفاك برسالته فبكم وجدت في كتاب الله وعصى آدم ربه فغوى قال باربعين
قال اتلومني على شيء قدره الله تعالى علي قبل ان يخلقني باربعين سنة قال فحج آدم موسى فحج آدم موسى عليهما السلام
ثلثا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ارضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلثون يوما
هي مثل ايام الدنيا ثلثون مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق آدم وابليس
فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات
على انها استقبلته وبلغته واتصلت به وتلك الكلمات قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك
قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقوله اراجعي انت اسم فاعل اضيف الى المفعول وانت فاعله لاعتماده على الاستفهام
ويجوز ان يكون مبتدأ والجملة في موقع الجملة الاستفهامية جزاء الشرط بحذف الفاء فتاب عليه فرجع عليه
بالرحمة وقبول التوبة والفاء للترتيب الفاء على تلقي الكلمات المتضمنة معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه
من حيث هو هو مع عزمه ان لا يعود اليه اذا قدر عليه وقولنا الندم لقوله عليه السلام الندم توبة
وقولنا عليه اى على ذنب لان الندم على فعل لا يكون معصية بل مباحا او طاعة لا يسمى توبة وقولنا
من حيث هو ذنب لان من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصداع وتزلف العقل والاخلال بالمال والعرض
لم يكن تائبا وقولنا مع عزم ان لا يعود اليه زيادة تقرير لان النادم على الامر لا يكون الا كذلك ولذلك
ورد في الحديث الندم توبة على ان الندم على الذنب من حيث هو ذنب يستلزم ذلك العزم كما لا يخفى
واذا قدر لان من سلب قدرته على الزنا وانقطع طمعه من عود القدرة اليه اذا عزم على ترك
لم يكن ذلك توبة منه وفي هذا بحث فتامل واكتفى بذكر توبة آدم مع ان المراد آدم وحواء لان حواء
تبع لآدم في الاحكام ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة انه هو التواب الرجاع على عباده
بالمغفرة وقبول التوبة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة فالتوبة في اللغة الرجوع قال الله تعالى ثم تاب
عليهم ليتوبوا اى رجع عليهم بالفضل والانعام ليرجعوا الى الطاعة والانقياد فالتوبة في حق العبد
عبارة عن الرجوع الى الخدمة بالعبودية وفي وصف الباري الرجوع عن العقوبة الى الفضل
والاحسان اللائق بالربوبية قال الخطابي يجيء لازما ومتعديا يقال تاب الله على بمعنى وفقه
الله للتوبة حتى تاب وكونه تعالى توابا معناه المبالغة في توفيق عباده للطاعة وقيل توبة الله تعالى
على العبد عبارة عن قبول توبة العبد وهو من باب تسمية الشيء باسم بعض ما يتعلق به والا فهو من قبيل [illegible]

على المسند اليه بعنوان الله هو الرزاق كما مر الرحيم البالغ في الرحمة و في الجمع بين الصفتين وعد للتائب
بما لا يدركه كنهه من الفضل والانعام قال علي كرم الله وجهه قال النبي عليه السلام اوحى الله تعالى الى داود يا داود قل
للعاصين ان يسمعوني ضجيج اصواتهم فاني احب ان اسمع ضجيج العاصين اذا تابوا الي يا داود لن يتضرع
المتضرعون الى من هو اكرم مني ولا يسال السائلون اعظم مني جودا وان العبد ليعصيني كانه لا يعرفني
ثم يقبل علي فاقبل على ما كان منه وانا ارحم الراحمين وعنه عليه الصلوة والسلام اوحى الله تعالى الى موسى
انك لن تتقرب الي بشيء احب من الرضا بقضائي ولم تعمل عملا احبط لحسناتك من الكبر يا موسى لا تتضرع
الى اهل الدنيا فاسخط عليك ولا تخف بدينك لدنياهم فاغلق عليك ابواب رحمتي يا موسى قل للمذنبين
النادمين ابشروا وقل للعاملين المعجبين اخسروا وقرا الحسن ويعقوب والجاهد والزهري تاب اي لانه
قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى فان قيل على الاول
لم قدم ذكر تلقي الكلمات عليه وعلى الثاني ان ما ذكر لا يصلح علة للتكرير اذا امكن ان يناط الزيادة بالاول
من غير تكرير والجواب على ما قيل اما الاول فلفرط الاهتمام بصلاح حاله وفراغ باله والاخبار بقبول توبته
والنجاة وزعن هفوته وازاحة ما عسى يتشبث به الملائكة فيما زعموا في حقه وقد فضل عليهم وامروا
بالسجود له واما الثاني فليكون بيانا لحالي فريقي المومنين والكافرين كالمذكور قصدا حيث لم يؤتف له
ذكر الامر بالهبوط ليترتب عليه الابتداء بالتكليف وفي الكلام اشارة الى الرد على من زعم ان الهبوط الاول
من الجنة الى السماء والثاني من السماء الى الارض كيف وقد جعل الاستقرار في الارض والتمتع حالا من الاول
وان كانتا حالا مقدرة وقيل كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول على ان هبوطهم الى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله
هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة
حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى نكالا لمن اراد ان يذكر وجميعا
حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان
واحد كقولك جاؤا جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما زائدة اي ان مع زيادة ما في آخرها التاكيد ومنه قول الشاعر
فاما ترينّي اليوم ازجي ظعينتي ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى
ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز حيث كتب الله الامن من كل غم
فلم يذقه ابدا وانما جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه غير واجب عقلا فلا قطع
بالوقوع بل ان شاء هدى وان شاء ترك لكن لما علم من فضله ورحمته الكل اذنا والفعل بالخبر انباء
للرجحان جهة الوقوع وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به
الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان
يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع فان الخوف غم

حرف
غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع وحصول ضار وقيل والمعنى فاما يأتينكم مني
برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله اليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي
يعني جعل متابعة الهدى في مقابلة الكفر والتكذيب بالايات المنزلة على لسان الرسل فيكون متابعة
الهدى عبارة عن الايمان والتصديق بتلك الايات وهذا توطية لما ذكره في تصحيح حرف الشك قوله
فاما يأتينكم يعني ان اتيان الهدى بطريق الرسول والكتاب ليس بواجب فنزل اتيانهم الكتاب والرسول
او منزلة فالايمان بالله وتوحيده واجب لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال
فلو لم يكن طريق العقل كافيا لكان اتيان الكتاب والرسول واجبا فلم يكن يصح الاتيان بحرف الشك فلما اتى به
اشعر انه ليس بواجب فتعين الوجوب بطريق العقل وهو اما على اصلنا وهو انه لا وجوب على الله فتوجيه
كلمة الشك ظاهر كما ذكرنا فان قيل الخطيئة التي اهبط بها آدم عليه السلام ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على
الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج والاهباط كما فعل بابليس
ونسبة الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة واجيب بانها انما كانت
صغيرة عن نسيان لكن عوتب عليها لترك التحفظ وفرط الاحتياط ولهذا نسب الى الغواية والعصيان ونحو ذلك
وفي هذا تحذير لهم وترهيب لامتهم واعلم انه اجمع اهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمة الانبياء عليهم السلام
عن تعمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه من الله الى الخلق وفي
جواز صدوره عنهم على السهو والنسيان خلاف والصحيح انه يمتنع صدور الكذب منهم لدلالة
المعجزة على صدقهم واما سائر الذنوب فهي اما كفر او غيره اما الكفر فاجمعت الامة على عصمتهم منه قبل
النبوة وبعدها ولم يعرف في ذلك مخالف غير ان الازارقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب
وكل ذنب عندهم كفر فلزمهم تجويز الكفر وجوز الشيعة اظهاره تقية عند خوف الهلاك
وذلك باطل قطعا لانه يفضي الى اخفاء الدعوة بالكلية وترك تبليغ الرسالة اذ اولى الاوقات بالتقية
وقت الدعوة للضعف وكثرة المخالفين وايضا ما ذكروه منقوض بدعوة ابرهيم وموسى عليهما السلام
في زمن نمرود وفرعون مع شدة خوف الهلاك واما غير الكفر فاما كبائر او صغائر وكل منهما اما ان يصدر
عمدا او سهوا فالاقسام اربعة اما الكبائر فيمتنع صدورها منهم عمدا عند الجمهور سمعا عندنا وعقلا
عند اهل الاعتزال ويجوز سهوا عند الاكثرين والمختار عندنا خلافه واما الصغائر عمدا
فجوزه الجمهور الا الجبائي واما سهوا فهو جائز اتفاقا الا الصغائر الخسيسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة
فانه لا يجوز اصلا لا عمدا ولا سهوا والاتفاق المذكور انما هو فيما ليس من الخطرة وكلمة سواد ادرة في خصام
هذا كله بعد الوحي والاتصاف بالنبوة واما قبله فقال الاكثر لا يمتنع ان تصدر عنهم كبيرة اذ لا دلالة له
للمعجزة عليه ولا حكم للعقل بامتناعها ولا دلالة سمعية عليه ايضا واحتج المخالف المجوز صدور الكبائر
منهم بعد البعثة سهوا والصغائر عمدا ايضا بقصص الانبياء بوهم صدور الذنب عنهم في زمان النبوة
والجواب عنها اجمالا ان ما كان منها منقولا بالآحاد وجب رده لان نسبة الخطا الى الرواة اهون من نسبة المعاصي الى الانبياء

وما نقل منها بالتواتر فما دام له محمل آخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلايل العصمة وما لم نجد له محملا حملناه
على انه كان قبل البعثة او من ترك الاولى او من صغاير صدرت عنهم سهوا ولا ننفيه ولا الاستغفار
عنه ولا الاعتراف بكونه ظلما منهم كما في قصة آدم عليه السلام اذ لعل ذلك لعظمهم او عندهم
الا يرى ان حسنات الابرار سيئات المقربين او لانه قصدوا به هضما من انفسهم ومن جوز الصغاير عمدا
فله زيادة فسحة في الجواب اذ يزداد له وجه آخر وهو ان يقول جاز ان يكون الصادر عنهم صغيرة
عمدا لا كبيرة ولنورد ههنا من الادلة التي بالقصص ما هو المناسب لما نحن بصدده فنقول
احتج المخالف بقصة آدم وتفيهق في التمسك بها من ستة اوجه الاول قوله وعصى آدم ربه مؤكدا
بقوله فغوى والعصيان من الكباير لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم الثاني
قوله فتاب عليه ولن يكون التوبة الا عن الذنب لانها الندم على المعصية مع العزم على الترك الثالث
مخالفة النهي عن اكل الشجرة وارتكاب المنهي عنه ذنب الرابع قوله فتكونا من الظالمين جعلهما
من الظالمين على تقدير الاكل منها والظلم ذنب الخامس قوله حكاية ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والظلم ذنب والخسران لولا المغفرة دليل كونه كبيرة السادس
قوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه واستحقاق الاخراج بسبب ازلال الشيطان يدل
على كون الصادر عنهما كبيرة والجواب كيف يدعى انه في الجنة ولا امة له هناك كان نبيا وهل كان
الاجتباء بالنبوة الا بعد تلك القصة كما يدل عليه قوله فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه فان كلمة ثم
للتراخي والمهلة ولئن سلم ان القصة كانت قبل النبوة وليس الوقيعة في الانبياء بمثل هذا التمسك الظاهر
دفعه الا بالمتعمق في الضلالة والجهل المفرط في الغواية وقس على هذا ساير تمسكاتهم وسيمر
عليك ما في واحدا واحدا في موضعه ان شاء الله رب العالمين وقرئ فمن تبع هديَّ على لغة هذيل
وهي ان تقلب الالف المقصورة ياء وتدغم في ياء الاضافة ليكون قبلها اخت الكسرة وفلا خوفَ بالفتح
وعن نافع والاعرج والاعمش هُدايْ بالياء الساكنة وكذلك محيايْ وعصايْ وبشرايْ وما اشبه
ذلك والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع الى آخره
منهم لكانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فتوجه
الفعلان الى شيء واحد وهو قوله بآياتنا والمراد بها كتاب الله والاصحاب جمع صاحب وصحب بالسكون
كناصر وانصار وشاهد واشهاد وكنهر وانهار وطهر واطهار ورب وارباب او جمع صحِب
بالكسر تخفيف صاحب كنمر وانمار وبما ذكرنا يظهر ضعف ما قيل ان جمع فاعل على افعال لم يثبت وسيجيء
لهذا زيادة بيان باذن الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له لكونه علما يشعر بمدح بحسب الاصل فان معناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وكذا ايل عبارة عن الله اذا اريد الاشعار بان عبد الله تشريفا وهو كابرهيم واسمعيل غير منصرف للعجمة
والعلمية وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء واعلم ان الذكر على اقسام

ذكر باللسان

ذكر باللسان وبالجنان وبالاركان اما الذكر باللسان فهو اللفظ الدال على التحميد والتسبيح والتمجيد واما الذكر
بالقلب فعلى ثلاثة اضرب اولها ان يتفكر في دلايل ذات الله تعالى وصفاته وتوحيده وحدوث ما سواه وثانيها ان
يتفكر في دلايل التكاليف من الامر والنهي والوعد والوعيد وثالثها ان يتفكر في صنع المخلوقات واسرارها
اما الاول فيزيل الشبه ويشرح الصدر لما في جبلته الانشراح بنور اليقين واليه الاشارة بقوله
بقوله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون فان الايمان هو اليقين والنور الذي يقذفه الله
في قلوب اوليائه وخالصة عباده حتى قيل بل اجمع علماء النحو كل النحو واما الثاني اعني التفكر في دلايل
التكاليف فيسهل على المتفكر فعل الطاعات واجتناب المنهيات واما الثالث وهو التفكر في المخلوقات
واسرارها فيفتح البصيرة للنظر والاستدلال والاعتبار حتى لا ينظر اليها نظر البهايم ويصير كل الذرات
كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم الغيب فاذا نظر العبد بعين عقله اليها وقع اشعة بصره الروحاني منها على عالم
الجلال وهذا اعظم المقامات واجل العبادات واسلم من المغترات قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر
وعنه عليه السلام اذا ذكر العبد ربه كتب الله ذلك في صحيفته ثم يعارض الملائكة يوم الخميس فيريهم الله ذكر عبده
له بقلبه فيقول الملائكة ربنا كل عمل هذا العبد احصيناه اما هذا فلا نعرفه فيقول تعالى ان عبدي ذكرني بقلبه
فاثبته في صحيفته وذلك قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون واما ذكر الله بالجوارح فهو ان تصير الاركان
مشغولة بالعبادات مستغرقة في الطاعات تاركة لما هي خالية عن المنهيات اذا تمهد هذا فنقول قوله عز وجل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يتضمن الامر بجميع ما انعم الله به عليهم فان قوله نعمتي وان كان موحد اللفظ
لكنه جمع في المعنى كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ومعنى اذكروا اشكروا واحفظوا لان
في الشكر ذكرا وفي الكفر نسيانا فان ذكر النعمة شكرها وشكر النعمة ذكرها وقيل اراد بها ما انعم على
آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وغير ذلك وعليهم من ادراك زمن
محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل وقد جمع بين الحقيقة والمجاز حيث جعل عليكم مرادا به انعم
عليهم وعلى آبائهم فينبغي ان يحمل على حذف واعتبار معنى جامع ان يحمل الخطاب بجميع بني اسرائيل الحاضرين
والغايبين ما انعم به اشارة الى حذف العايد الى الموصول وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان
الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة
كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله وقرئ بعهديَ بفتح الياء اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف
الى المعاهِد والمعاهَد لانه نسبة بينهما فتارة مصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول ولا خفاء
في ان الفاعل هو الموفي فاذا اضيف الى الموفي مثل اوفيت بعهدي ومن اوفى بعهده فهو مضاف الى الفاعل
واذا اضيف الى غيره مثل اوفيت بعهدك فالى المفعول فمعنى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم يجوز الاضافة الى المفعول
في كليهما فان معناه اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة اوف بما عاهدتكم عليه من حسن
الثواب على حسناتكم ولا يستقيم غير هذا اذ لا معنى لقولك اوفيت بما عاهدت عليه غيرك وقيل

وقيل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدماء والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقاء الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم فبالنظر الى الوسايط وتفصيل العهدين فوقه تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون والفاء للعطف على المفسر المحذوف فهو ارهبوا والمفسر هو فارهبون اي واياي ارهبوا فارهبون قيل وفيه نظر لانه لا بد في العطف من المغايرة ولا مغايرة واجيب بان في الاول الاختصاص دون الثاني فتغايرا وانما لم يعتبر في الثاني التخصيص لان الغرض منه مجرد تفسير الفعل من غير قصد الى كيفية تعلقه بالمفعول واعترض بانه لا بد من التعقيب ولا تعقيب واجيب بانه باعتبار التفسير فان مرتبة المفسر ان يقع عقيب المفسر كالتفصيل بعد الاجمال في نحو قوله تعالى فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم على ما هو المشهور وقيل في وجه التغاير انه عطف المفسر على المفسر بالفاء لان مدلول الكلام ارهبوني رهبة بعد رهبة وجه كونه مفسرا للمعطوف عليه باعتبار الاتحاد النوعي فالرهبة المستفادة من فارهبوني بعد الرهبة المستفادة من اياي ارهبوا فتغايرا ان هذا على تقدير كون الفاء عاطفة دون الجزائية وقال بعضهم ان هذا كله ذهاب عن قصد السبيل اذ ليس معنى اياي فارهبون على تعدد الرهبة ولو كان فيقال ليس من تاكيد الاختصاص في شيء واجتماع حرفي العطف في مثل وربك فكبر فالاوجه ان يقال لا وجه لجعل الفاء عاطفة مفتقرة الى تعسفات كثيرة مع ظهور الجزائية الموافقة لمقصود الكلام ونقل الثقات نعم لما حذف الواقع موقع الجزاء حقيقة زحلقت الفاء الى المذكور المفسر له تحقيقا للمطابقة ودلالة على الجزائية واقامة المذكور مقام ما لزم حذفه فانه كان بعد الفاء كانه قيل ان كنتم ترهبون شيئا فاياي ارهبوا فارهبون وكذا قوله فاياي فاعبدون اصله فان لم يتأت ان تخلصوا العبادة لي في ارض فاياي في غيرها اعبدوا فاعبدون اي فاخلصوها في غيرها فحذف الشرط وعوض عنه تقديم تقديم المفعول مع ارادة الاختصاص بالتقديم لحصل من تقديمه فايدتان التعويض والتخصيص وتقدير الشرط لقراين الاحوال غير ممتنع والقران مشحون بذلك واما عطف واياي ارهبوا بالواو فعلى مذكور متقدم هو اذكروا نعمتي واوفوا بعهدي وقيل في اياي فارهبون وجوه من التاكيد تقديم الضمير المنفصل وتاخير المتصل والفاء الموجبة معطوفا عليه ومعطوفا تقديره اياي ارهبوا فارهبون احدهما مضمر والثاني مظهر وما في ذلك من تكرار الرهبة وما فيه من معنى الشرط بدلالة الفاء كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة الخوف قال الجوهري رهب بالكسر يرهب رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك اي خاف والآية متضمنة للوعد والوعيد ومشعرة على وجوب الوفاء بالعهد

بالعهد ودالة على ان المومن من شانه ان لا يخاف احدا الا الله كقوله وخافون ان كنتم مومنين وقوله ولا يخشون احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر ولحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهد وتقييد المنزل وهو القرآن العظيم بانه مصدق لما معهم من ساير الكتب السماوية تنبيه على ان اتباعه لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به لمكان علمهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمانه والمستفتحين به على الكافرين وكانوا يعدون اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا الى قوله ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله اول كافر به خبر عن ضمير الجمع بتقدير اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به لان الحكم على المجموع يجوز ان يكون حكما على كل واحد واحد وهو المقصود بقولهم كسانا حلة اي كل واحد منا ويجوز ان يكون من قبيل حذف اداة التشبيه اي لا تكونوا مثل اول فوج كفروا به وهم المشركون من اهل مكة والمعنى لا تكونوا في الكفر والعناد مثل المشركين وانتم اتيتم من المعرفة والكتاب ما ليس لهم واول افعل التفضيل بدليل الاولى والاوايل كالفضلى والافاضل وقيل اصله اوأل فابدلت الهمزة واوا وادغمت وقيل اءول وافعل التفضيل اذا اضيف الى النكرة كان لتفضيل الموصوف على المضاف اليه بالتفضيل الى ما هو عليه من العدد فيجب مطابقته له مثل هو افضل رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال وههنا الموصوف جمع والمضاف اليه مفرد فلو جعلنا ويل في المضاف اليه بجعله جمعا في المعنى او في الموصوف ان يجعل مفردا ليحصل التطابق وكلاهما ظاهر وقيل الضمير في به تحقيقية مبنية على تشبيه استبدال الرياسة التي كانت لهم بآيات الله تعالى بالاشتراء وجرت في الفعل التبعية لما معكم لا لما انزلت لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا والاشتراء استعارة تحقيقية مبنية على تشبيه استبدال الرياسة التي كانت لهم بآيات الله تعالى بالاشتراء وجرت في الفعل بالتبعية كما في قوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فان تنصر المسلم بعد كونه اي ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا وان لم يكن الاشتراء استعارة كان استبدالا لم يستقم لان الثمن لا يصلح مشتري وانما هو مشترى به في الاستبدال الحقيقي وقد علمت من هذا ان الثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وفيه من التقريع والتجهيل ما لا يخفى وقيل كانوا ياخذون الرشى على التحريف والتسهيل فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الباطل كانه قيل ان كنتم تتقون شيئا فاياي اتقوا وان كنتم متقين شيئا فاتقون فامل وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام لا للاختصاص لقوله واتقوا النار الآية وقوله واتقوا يوما الآية وقيل للاختصاص كما في قوله واياي فارهبون اي فاخصوني بالرهبة والاتقاء وقيل لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امر

أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على قوله ما قبله واللبس الخلط وجي بمعنى الالتباس يقال لبس الحق بالباطل
من باب ضرب أي خلط ولبست عليه الأمر ولبسته بالتشديد والتبس عليه الأمور وفي أمره لبس ولبسه
بالضم إذا لم يكن واضحًا فالباء على الأول لصلة والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم
حتى لا يميز بينهما فإنهم كانوا يكتبون في التورية ما ليس منها وعلى الثاني للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم والمعنى
لا تجعلوا الحق ملتبسًا مشتبهًا بغيره واضح بسبب باطلكم الذي تكتبونه والأول أرجح لأنه أظهر وأكثر وقرائه
على ولا تلبسوا وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع
أي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن على أن المراد بلبس الحق بالباطل كتبهم
وزيادتهم في التورية ما ليس منها وبكتمان الحق إخفاءه بعض ما فيها أو نقصهم نحوه عنها أو تحريفه وتبديله إلى خلاف
ما هو عليه فيها وإعادة تصريح لفظ الحق دون ضميره ربما شعر بذكره في مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين
فإن قيل المضارع المثبت إذا وقع حالًا لا يجوز معه الواو قلنا بأول حذف المبتدأ أي وأنتم تكتمون
حتى يكون جملة اسمية فيصح معه الواو وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون فإنه أقبح إذ الجاهل
قد يعذر وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين
منهم لأن اليهود لا ركوع لهم في صلوتهم فاللام في الصلوة والزكوة والراكعين للإشارة إلى المعلوم المعين ويحتمل
أن يكون للجنس والدلالة على أن صلوة غير المسلمين ليست بصلوة أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم
بأصوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله
ويجوز أن يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرًا بأن تصلى مع المصلين يعني في الجماعة
كأنه قيل وأقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين وللقائل بوجوب الجماعة أن يتمسك بهذا الوجه والجواب
أنه للنهي عما كانوا عليه من عادة الانفراد فيكفي كونها سنة موكدة يمنع من اعتقاد تركها ويقابل على الإصرار
وبالجملة فصلوة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس ومزيد القبول
أتأمرون الناس بالبر الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم ويشترط فيه أن يليها المقرر به سواء كان
ذلك أي ما يحمل المخاطب على الإقرار به فعلًا أو فاعلًا أو غير ذلك وتحقيق المقام أن التقرير عند علماء المعاني يقال بمعنى
بمعنى التحقيق والتثبت وبمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه والجائه إليه كقولك أفعلت هذا أو أضربت زيدًا
إذا أردت أن تحمله على الإقرار بالفعل وكذا أضربت زيدًا فإن تقرير الفعل يجري في الماضي والمضارع وكقولك أأنت
ضربت إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل وذهب كثير من المحققين إلى أن قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا
يا إبرهيم من هذا الضرب أي مما جعل الهمزة فيه لتقرير المخاطب بالفاعل إذ ليس مراد الكفار حمله على
الإقرار بأن كسر الأصنام قد كان بل على الإقرار بأنه منه كان كيف وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم
أأنت فعلت هذا وقال عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت
أو لم أفعل كذا في دلائل الإعجاز واعترض بأنه يجوز أن يكون همزة الاستفهام على أصلها إذ ليس في السياق ما يدل على

الاستفهام
ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأن إبرهيم عليه السلام هو الذي كسر الأصنام حتى يمتنع حملها على حقيقته
واجيب بأنه يدل عليه ما قبل الآية وهو أنه عليه السلام قد حلف بقوله تالله لأكيدن أصنامكم بعد
أن تولوا مدبرين ثم جعلها جذاذًا وكسر الأصنام قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يقال له إبرهيم فالظاهر أنهم قد علموا ذلك من حلفه ومن ذمه الأصنام وذكر في قوله تعالى فراغ عليهم
ضربًا باليمين فأقبلوا إليه يزفون أن البعض منهم قد أبصروا وشاهدوا أنه يكسر الأصنام فأقبلوا إليه يسرعون
ليكفوه وأما نظير التقرير بمعنى التحقيق والتثبت فكقولك أضربت زيدًا بمعنى أنك ضربته البتة وكقولك أأنت ضربته
بمعنى أنك ضربته البتة وكلاهما مناسب قوله أتأمرون الناس بالبر أما هذا أي التقرير للتحقيق فظاهر فإن الآية
نزلت في أحبار اليهود المدينة وهم كما قال ابن عباس كانوا يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد
صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها
خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسًا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم
تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها وأما الثاني فظاهر أيضًا
فإنه تعالى يقررهم بأنهم فاعلون أي يحملهم على الإقرار بما يعرفونه من أمرهم للناس بالبر وتركهم أنفسهم
عن الخير وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى أأنت قلت للناس فتقرير بالمعنى الثاني أي يقرره بأنه لم يقل ذلك
والبر اسم جامع لكل فعل مرضي يفضي بصاحبه إلى الجنة قال عليه السلام البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه
القلب والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب في حديث آخر البر ما انشرح به صدرك والإثم ما حاك في الصدر
وإن أفتاك الناس وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وفيه إيماء إلى أن تنسون استعارة تبعية
مبنية على تشبيه تركهم أنفسهم من البر والخير بالنسيان في الغفلة والإهمال فلا يجوز أن يكون المراد بالنسيان
هنا معناه الحقيقي وهو زوال الصورة عن القلب بحيث يحتاج إلى كسب جديد لأن أحدًا لا ينسى نفسه وهو أبعد
من السهو والخطاء فإن قلت ما معنى الترك في الأصل قلنا اختلف فيه فقيل هو عدم فعل المقدور سواء
كان هناك قصد عن التارك أو لا وقيل إن كان قصدًا أي عدم فعل المقدور إنما يسمى تركًا إذا كان حاصلًا
بالقصد فلا يقال ترك النائم الكتابة ولذلك يتعلق به المدح والذم والثواب والعقاب فلولا أنه اعتبر فيه القصد
لم يكن كذلك قطعًا وقيل إنه من أفعال القلوب لأنه انصراف القلب عن الفعل وكف النفس عن ارتياده وقيل الترك
فعل الضد لأنه مقدور وعدم الفعل مستمر من الأزل فلا يصلح أثر للقدرة الحادثة والمراد بالفعل هنا الإيقاع
المعنى المصدري وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون أي تتلون التورية وفيها نعت محمد
أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم توبيخ عظيم بمعنى
أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول
لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فإنه قيل هذا الوعيد دليل
على أن قبح هذه الأشياء عقلي قلنا بل على أنه شرعي حيث رتب التوبيخ على ما عدد بعد تلاوة الكتاب
واعلم أن العقل مأخوذ من عقال البعير سمي به لأنه يعقل الإنسان عن الردي

الوقوع في المهالك بعقله على ما يحسن ثم يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم بها تدرك هذه الادراكات وهو العلم المستفاد بتلك
القوة قيل والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل
بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما
لا يوجب الاخلال بالآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر
والصلوة اى بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على اداء الصلوة متحملين لتكاليفها وما يحق ويناسب فيها
من اخلاص النية بالقلب والطهارة وستر العورة والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة ومجاهدة النفس
والهوى والشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن واظهار الخشوع بالجوارح الى غير ذلك حتى مباشرة
الارض بالكفين فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر في صلوة عبد لا يباشر بكفيه الارض
رواه ابن مسعود رضي الله عنه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقيل استعينوا بالصبر
على نصرة النبي عليه السلام وقال مجاهد استعينوا بالصوم والصلوة وسمى الصوم صبرا لانه حبس
عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل استعينوا على البلايا والنوايب بالصبر عليها والالتجاء
الى الصلوة عند وقوعها وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه
نعي اليه اخوه قثم وهو في السفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي
الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وان يستعان على البلايا
بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه للبلايا والاقرب ان المخاطبين بهذا الامر بنو اسرائيل
لا المسلمون لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك النظم فانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من
الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عالج الله تعالى هذا المرض بامرهم بالصبر والصلوة وانها
اى وان الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر
او جملة ما امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي الى قوله واستعينوا لكبيرة لشاقة
ثقيلة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه وقيل واستعينوا بالصبر وانه لكبيرة وبالصلوة
وانها لكبيرة فحذف احدهما اختصارا الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات والتطامن
ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته القول
قال الله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول وقيل الخشوع
بالجوارح والخضوع بالقلب والصحيح انه يعمل اللسان والقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله والرجوع اليه او يتيقنون ويعضده قراءة يعلمون وهو الثابت
في مصحف عبد الله وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم ملاقوا الله تعالى حفاة عراة مشاة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا ولما امتنع ملاقاة الله على حقيقته لكن القائلين بجواز الرؤية يجعلونها بمعناها
قالوا ان لقاء الله لا يستعمل الا الوصول الى الله ومن وصل الى الله تعالى فقد رآه لا محالة حيث لا مانع كما في حق الكفار

والمنافقين ولم يجوزوا الرؤية كالمعتزلة فبعضهم فسر الملاقاة بما يناسب المقام كلقاء ثواب الله مشاهدة
او لقاء الجزاء او العلم المحقق الذي كانه المعاينة والمشاهدة فان كان الظن بمعنى التوقع والطمع فمعنى ملاقاتهم
لقاء الثواب ونيل ما عند الله من الكرامة لظهور ان لا قطع بذلك وان كان الظن بمعنى التيقن او فسر ملاقوه
بكانه يظنون فمعناها لقاء الجزاء فان لقاء الجزاء ينبغي ان يكون مقطوعا عند المؤمن لان التردد في يوم
الجزاء كفر لا يصح ان يذكر في معرض المدح كما في هذا المقام لكن حينئذ قوله وانهم اليه راجعون على
انهم ملاقوا ربهم بتفسير الظن بالتيقن البتة فان الرجوع الى الله المفسر بالنشور او بالمصير الى الجزاء
مما لا يكفي فيه الظن بل يجب القطع اذ عدم القطع بشيء منها كفر فان قلت لم لم يقدر المعطوف عاملا
اى ويعلمون انهم اليه راجعون قلت لا امتناع في ذلك الا ان الاولى الظاهر وانما لم تثقل على الخاشعين ثقلها
على غيرهم كالمنافقين والمرائين اعمالهم لان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله
مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال النبي عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول
ارحنا بالصلوة يا بلال ارحنا بها اى اذن بالصلوة نستريح بادائها من شغل القلب بغير الله وقيل كان اشتغاله
بالصلوة راحة له فانه كان يعد غيرها من الاعمال الدنيوية تعبا وكان يستريح بالصلوة لما فيها من مناجاة الله
وهذا هو الوجه وهو من ارحنا جعلته راحة للاستراح واما ارحنا كما في بعض الروايات فمعناه اعلنا
بالاذان والاقامة يقال ارحته اى ازاحه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتأكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصاصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني
فضلتكم على العالمين اى عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم ممن كان في عهد موسى عليه السلام وبعده
حيث جعل فيهم انبياء وملوكا وآتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين فليس المراد بالعالمين ههنا ما سوى الله
ليلزم تفضيلهم على الملائكة ولا جميع الناس ليلزم تفضيلهم على نبينا فان المراد عالمي زمانهم او الجم الغفير
من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله
فيحمل على الموجود بالفعل فلا نبينا ولا من مضى ومن يوجد بعدهم على ان لو سلم العموم في العالمين فلا دلالة على
التفضيل من كل جهة عموما ولا من جهة القرب والمكانة عند الله تعالى خصوصا واتقوا يوما يريد يوم القيمة
والتنكير للتعظيم ومن تعلق القرآن بعضه ببعض في عدة مواضع لا تجزي نفس عن نفس شيئا اى لا تقضي
عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث ولن تجزي عن احد بعدك اى لا تؤدي عنه الواجب ولا تقضيه وشيئا
مفعوله ويجوز ان يكون مصدرا اى قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا وقرئ لا تجزئ من اجزا
عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وذلك لان اجزأ عنه بالهمزة لازم بخلاف الثلاثي فانه متعد
وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة
منصوبة المحل صفة ليوما والعائد الى الموصوف محذوف اى لا تجزي فيه ونحوه قوله ترجى احدا ان تقتلي اى ما اجد
ان تقتلي فيه واشار المصنف الى ان تقتلي مربط المعنوي ولا فالمتكلم لا يجد عائدا الى الموصوف المقدر وقد
توهم ان لا ضمير فيه وانما قدمان تقتلي فلا بد من تقدير العائد الى الموصوف لكن اجاز اعمال الاسم الظاهر

في هذا الموضع خارج عن القاعدة ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول
ثم حذف كما حذف من قوله وما ل أصابوا اي اصابوه قال السيد البحري في اماليه قد يحذف العائد المجرور
مع الجار كما في هذه الآية واختلف النحاة في هذا الحذف فقال الكسائي لا يجوز الا ان يكون قد يحذف الجار
اولاً ثم العائد ثانياً وقال بعضهم لا يجوز الا ان يكون المحذوف جملة الجار والمجرور معاً وقال اكثر اهل العربية
منهم سيبويه والاخفش يجوز الامران ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية
العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون
قهراً او غيره والاول النصرة والثاني ان يكون مجاناً او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو
ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه بدلاً والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فرداً فجعله الشفيع شفعاً
بضم نفسه اليه والعدل الفدية لانها تعادل المفدي ومما ورد فيه العدل بمعنى الفدية قول النبي صلى الله عليه وسلم
من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الناس لم يقبل الله تعالى منه يوم القيمة صرفاً ولا عدلاً اي توبة ولا فدية و
سميت التوبة صرفاً لانها تصرف من الحالة الذميمة الى الحالة الحميدة وقيل العدل البدل واصل التسوية
سمي به الفدية لانها سميت المفدي وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى ونصب
الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا ولا هم ينصرون لا يمنعون
من عذاب الله تعالى والضمير عائد الى النفس لتاويله بالنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره
بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس باعتبار مع تانيث لفظ النفس وكذلك الاول لا نفس الا تحاصر او الرجال
والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد اطنب عز وعلا في قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس
فاطاب واطاب ولم يؤثر ايجازه وهو قوله واتقوا يوما لا خلاص من العقاب فيه لكل من جاء مذنباً اذ كان
كلاما مع الامة لتنقش صورة ذلك المطلوب في ضمائرهم وفي الامة الجاهل والعالم والمعترف والجاحد والمسترشد
والمعاند والفهم والبليد لئلا يختص المطلوب من الامة بواحد دون احد وان لا يكون بحيث ينبو عنه
سامع دون سامع او يختلف المحضر بعض دون بعض لان الناس مختلفون في الاستعداد للادراك وحصول الاسباب
وارتفاع الموانع فربما تنتقش صورة المطلوب في ضمير البعض ببعض خواصه ومعانيه وفي ضمير البعض الآخر
بخواص ومعان أخر فلا بد من الاطناب في ذكره على ان الاطناب ربما يكون فيه ما يردع الجاحد والمعاند و
يفيد بالنسبة اليهما لكونه مما لا يسبق لهما مصير الى العناد والجحود سبيل ثم المعتزلة قد استدلوا بهذه الآية على نفي
الشفاعة لاهل الكبائر والجواب بعد تسليم دلالتها على العموم في الاشخاص والازمان والاحوال انه يجب تخصيصها
بالكفار جمعاً بين الادلة وهي الآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت
فيهم ردة الزعم الباطل وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وهو مشهور بل الاحاديث في باب الشفاعة
متواترة المعنى واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمل في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف
على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل بدليل اهيل فابدلت هاؤه الفا وخص
استعماله في الاشراف واولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون علم لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لمن ملكا العجم والروم

والروم ولعتوه وطغيانه الوليد بن المصعب من العمالقة ولتجبره اشتقوا منه تفرعن فلان بمعنى تجبر وظلم وقيل
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة
وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم يبغونكم من سامه خسفاً اذا اولاه ظلماً واصله من سام السلعة
اذا طلبها سوء العذاب اشده وافظعه فانه قبيح بالاضافة الى ما سواه من العذاب والسوء مصدر ساء
يسوء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة
حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعاً لان فيها ضمير كل واحد منهما وقيل استيناف يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان لقوله يسومونكم ولذلك لم يعطف كقوله يضاهئون قول الذين كفروا
وقرئ يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقراءة عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك
لان فرعون راى في المنام او انذره الكهنة بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يرد
اجتهادهما في التحفظ من قدر الله شيئاً وفي ذلكم بلاء والبلاء هو الاختبار ويكون بالشر ليصبروا ويكون
وهو هنا الشر ذلكم الى صنيع فرعون ويكون بالخير ليشكروا ويكون نعمة وهو اشارة الى الانجاء
ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى
وتوفيقه لتخليصكم منه او بهما عظيم صفة بلاء واذ فرقنا بكم البحر فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت
مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر
بعدد الاسباط وفي بكم اوجه الاول انه للاستعانة والتقييد بالآلة فيكون استعارة تبعية في معنى باء الاستعانة
وذلك لانهم لما سلكوه انفرق البحر عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما والثاني انه للسببية
الساعة بمنزلة اللام اي فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم والثالث المصاحبة فيكون الظرف مستقرا في موضع الحال
بمعنى فرقناه ملتبساً بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل
قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم
اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
كلامهم فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه
كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون
الى ذلك من غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة اي انتم تشاهدونه لا تشكون
فيه او ينظر ويشاهد بعضكم بعضا وهذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات
الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام قال الخليل
في ذكر قصة فرعون وغيره دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاقاصيص المذكورة
في القرآن لم تكن قريش وقومه واهل بلده في شيء من الاحاطة بها فلم تعرف تلك الا
بالوحي فلما اخبرهم بها من غير قراءة كتاب ولا مجالسة اهل العلم ولا تعلم منهم دل انه ليس الا بالوحي
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب

يرجعون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما قال
اربعين ليلة وخص الليل بالذكر مع ان الميقات ذو القعدة وعشر ذي الحجة بايامها ولياليها لان غرر
الشهور تكون بالليالي حين يرى الهلال وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا
وهو من المفاعلة التي تكون من الواحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وعافاك الله فتكون
القراءتان بمعنى واحد وقيل من المفاعلة من اثنين على ان الله تعالى وعد الوحي ووعد موسى
المجيء الى الطور للميقات وفيه نظر لان جعل متعلق المفاعلة بالنسبة الى كل من المتشاركين شيئا
آخر محل بحث وعلى تقدير صحته فاربعين ليلة اما مفعول فيه او مفعول به لا سبيل الى الاول
لان المواعدة لم يقع فيها وانما الكلام في المناجات في انها كانت فيها كلها او في اولها او في العشر الاخير
او بعد انقضائها على ما ذكر المفسرون في سورة الاعراف ولا الى الثاني اما بدون تقدير
مضاف فلانه لا معنى لمواعدة نفس الزمان واما مع تقدير المضاف فلانه اما ان يقدر الامران
المذكوران اي الوحي والمجيء وهو باطل لامتناع تقدير مضافين محذوفين لشيء واحد مثل لقيت
زيدا بمعنى ثوبه وفرسه او يقدر واحد منهما وليس يصح تعليق المواعدة به لان الوحي موعود من الله
لا من موسى والمجيء بالعكس وانما يصح ذلك في قراءة وعدنا اي وعدنا موسى وحي اربعين ليلة اجيب
بوجهين احدهما انه على حذف مضاف يكون من الجانبين وينفك الى ما لهما من الامرين اي واعدناه
لقاء اربعين ليلة واللقاء الموعود لا من الله لاجل الوحي ومن موسى لاجل الاستماع وثانيهما انه على
اعتبار التفكيك في الفعل بمعنى ينفك واعدنا الى فعلين يتعلق بكل منهما واحد من الامرين اي
وعدنا نحن وحي اربعين ووعد موسى مجيء اربعين كما تقول بايع الزيدان عمرا بمعنى باع زيد من
عمرو وباع صاحبه ايضا من عمرو وان لم يكن هناك مفاعلة صدرت عنهما معا وللقوم ههنا اعتراضات
واجوبة وحاصلها القلق فالاولى ان لا تحوم حولها والتحقيق على ما قيل ان اربعين ليلة في موضع
المفعول به باعتبار ما يتعلق بها من الاحوال والاعمال الصالحة لتعليق الوعد به ويكون من
الطرفين وعد متعلق به الا انه من الله تعالى الوحي وارسال التورية ومن موسى المجيء والاستماع
والقبول وكذا الكلام في كل موضع بين الاختلاف الطرفين في باب المفاعلة واما ان يذكر المفعول
الثاني مثل جاذبته الثوب ونازعته الحديث ويراد تعليق الفعل في كل من الطرفين لشيء آخر ويطلق
فاعل ويراد من طرف اصل الفعل ومن طرف مقابله فانا بريء من عهدته **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا **من بعده**
والضمير لموسى بدون تقدير مضاف او مع تقديره اي من بعد مضيه الى الطور **وانتم ظالمون** باشراككم والواو حالية
او اعتراضية كما في قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا وقول امرئ القيس الا هل اتاها والحوادث جمة وليست بعاطفة
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك** من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو الاتخاذ
العجل وعظمه مستفاد من لفظ ذلك مع قرب المشار اليه **لعلكم تشكرون** والمعتزلة يستعملون لعل في معنى الارادة مجازا
لان الترجي ضد ارادة شيء منتظر وهو على عالم الغيب والشهادة محال فجعلوه مجازا عن مطلق وان جاز ان لا يشكروا لان مراد الله تعالى قد يقع

قد لا يقع على مذهبهم واما عندنا فلا يصح هذا لان الارادة يستلزم الوقوع ولم يقع فيحمل على كي تشكروا النعمة
في العفو عنكم او على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر وان لم يتعلق به الارادة **واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان**
يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل كقولك رايت الغيث والليث تريد
الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا والوجه الاخر انهما متغايران فالكتاب
التورية وفي الفرقان وجوه فقيل اراد بالفرقان البرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد
وغيرهما من معجزاته الفارقة بين الحق والباطل وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر وقيل الفرقان انفراق البحر **لعلكم تهتدون**
لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم**
العجل فتوبوا الى بارئكم واصله يا قومي بالياء فحذف الياء واكتفى بالكسرة لانها تدل عليه وقد كثر هذا في القرآن باتخاذكم
العجل اي بعبادتكم العجل وفي الخبر ان البقر سموا عبد العجل لما رفعت رؤوسها الى السماء حياء من الله عز وجل فتوبوا
الى بارئكم فاعزموا على التوبة والتوبة والرجوع الى خالق الخلق الذي براكم بها بلطف حكمته على الاشكال المختلفة
بريا من التفاوت **فاقتلوا انفسكم** حمل هذا على الظاهر وهو البخع وهو ان يقتل الرجل نفسه
وقيل لما قال لهم توبوا اليه قالوا كيف لنا التوبة امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل يرى ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله
فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم واخذ الذين
لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل
فيقولون آمين فقتلوهم من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت
بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى
سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا
على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم فاشتق ذلك على موسى فاوحى
الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة وكان من قتل شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه
وذلك قوله فتاب عليكم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل
تتمة لتوبتكم **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية
وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لما فيه من التقريع بما صدر منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي
خلقهم بريا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة الى عبادة البقر التي هي مثل
في الغباوة والبلادة حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم
من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها وفيه تنبيه
على ان من لم يعرف واحق منعم حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **فتاب عليكم** والفاء

بارئكم [illegible]
[illegible]
[illegible]

يحتمل وجهين احدهما ان يتعلق بمحذوف تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب عليكم والفاء
اذ جعل من كلام موسى لهم اذ لا معنى لان يقول الله لهم الا ان فعلتم فقد تاب عليكم وثانيهما ان يكون
عطفا على محذوف اى ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم باريكم ويكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات
من الغيبة الى الخطاب بحيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ قومه انه هو التواب الرحيم لا رجاع على العباد
وقبول التوبة وتوفيقها الا الله وهو الذى يبالغ فى الفضل والانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
لاجل قولك ولن نقر لك حتى نرى الله جهرة اى عيانا وهى مصدر من قولك جهر بالقراءة والدعاء
استعيرت للمعاينة اذ حقيقة الجهرة الصوت ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية فانتصبت بفعلها
كما تنتصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال من الرائى او المرئى وقرئ جهرة بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة
او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل قاله عشرة الاف
من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك وانك نبي وذلك ان الله تعالى امر موسى ان ياتيه
فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم وقال
لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى
ادع لنا ربك نسمع كلام ربنا فقال افعل فدنا موسى الى الطور فوقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل فى الغمام
وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
لا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى انى
انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى
وانكشف الغمام قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معاينة فاخذتهم الصاعقة وهلكوا فجعل
موسى يبكى ويقول ماذا اقول لبنى اسرائيل وقد اهلكت خيارهم ولو شئت اهلكتهم من قبل واياى
فلم يزل يناشد الله تعالى حتى احياهم واحدا بعد واحد بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض فذلك
قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم اى احييناكم لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم والبعث اثارة الشئ عن محله من بعثت
البعير والنائم ولو ماتوا باجالهم لم يبعثوا الى يوم القيمة وعلماء اجمع اهل الحق على ان رؤية الله تعالى فى الدنيا
والاخرة جائزة عقلا واختلفوا فى جوازها سمعا فى الدنيا فاثبته بعضهم ونفاه اخرون والمعتزلة حكموا بامتناع
رؤيته تعالى فى الدنيا والاخرة عقلا لذى الحواس واستدلوا بان الايات الواردة فى سؤال الرؤية مقرونة
بالاستعظام والاستنكار فانه ما ذكر سؤال الرؤية فى موضع من كتابه الا وقد استعظمه وذلك فى ثلث ايات الاولى
قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ولو امكنت الرؤية
لما عاقبهم بسؤالها فى الحال الثانية قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله
جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم سمى الله سؤال الرؤية ظلما وجازاهم فى الحال باخذ الصاعقة ولو جاز كونه مرئيا لكان سؤالهم
هذا سؤال الحجة زائدة ولم يكن ظلما ولا سببا للعقاب الثالثة قوله عز وجل وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ولو كانت الرؤية ممكنة لما كان طالبها عاتيا اى متجاوزا مستكبرا رافعا

الصحيح ان رؤيته فى الدنيا والاخرة جائزة عقلا

وعليه اهل السنة والجماعة

رافعا نفسه الى مرتبة لا يليق بها ولما كان ذكرنا لا منزلة طالب الرؤية والجواب ان الاستعظام انما كان
لطلبهم الرؤية تعنتا وعنادا لا لامتناعها ولذلك استعظم انزال الملائكة واستكبر انزال الكتاب
مع امكانهما بلا خلاف ولو كان لاجل الامتناع لمنعهم موسى عن ذلك كما فعل حين طلبوا الها بقوله
وهو ان يجعل لهم الها كما لهم الهة فقال بل انتم قوم تجهلون وهذا مشعر بامكان الرؤية فى الدنيا ولهذا
اختلف الصحابة رضى الله عنهم فى ان النبى صلى الله عليه وسلم هل راى ربه ليلة المعراج والاختلاف فى الوقوع
دليل الامكان كيف وقد قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عليه الصلوة والسلام
انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة
وقد اجمع الائمة على وقوع الرؤية فى الاخرة قبل ما ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبههم و
تاويلاتهم وسيجيء لهذا زيادة تقرير فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى فاخذتكم الصاعقة
لفرط التعنت والعناد وطلب المستحيل فانهم ظنوا ان الله تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام
فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى
الاخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا والصاعقة ما صعقهم اى اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى لم تكن صعقته
موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرا علي رضى الله عنه فاخذتكم
الصعقة وقال الخليل الصاعقة هى ان يغشى على الانسان من هول وفزع وانتم تنظرون اى ينظر بعضكم الى بعض اي
اخذكم الموت او تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم وقيل تقدير الكلام فاخذتكم الصاعقة ثم بعثناكم من بعد موتكم وانتم
تنظرون لعلكم تشكرون وحل بهم ما حل بهم لان سؤالهم كان تكذيبا واجترائهم خلافا لموسى عليه السلام كان سؤال افتقار
واستشبا لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذ رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم
الغمام سخر الله تعالى لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين و
السمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر
عليهم السلوى فيذبح الرجل منها ما يكفيه وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى
كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه ايجاز واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا
فاختصر لدلالة عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر لانه لا يتجاوزهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
بيت المقدس وقيل [illegible] وقال ابن كيسان الشام وقال الضحاك الرملة والاردن وفلسطين وتدمر
وقيل الامر به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصب على المصدر او الحال من الواو وادخلوا
الباب اى باب القرية وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى سجدا
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا اى خاضعين متواضعين [illegible]
[illegible] قال ابو حنيفة [illegible] وقيل السجود ان ينحنوا
ويطاطئوا رؤوسهم ليكون دخولهم بخشوع وخضوع [illegible] فلم يخفضوها [illegible]

لا الى جهة

نتر حفيه عنه او ارادكم **وقولوا حطة** اي مسئلتنا حطة او امرك حطة اي ان نحط عنا ذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة
والركبة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها واما رفعها فلافادة معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل
صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة واسماعيل حطة بالنصب قال ابو عبيد يكون على المصدر بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة
نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وخطايا اصله خطايا ي
كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا
وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وقرا الحسن والاعمش خطاياكم نكم
وقرا الاعرج وقتادة يغفر لكم خطيئاتكم وعن الحسن يغفر لكم **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء
وسبب زيادة الثواب للمحسن وعطفه على قوله نغفر لكم ولم يجزم لوجود السين واخرجه عن هذا الطريق ليدل
على انه يفعل ذلك البتة وعن يحيى بن وثاب والنخعي وسنزيد بالياء **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**
اي وضعوا مكان حطة قولا غير الذي قيل لهم يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ٢
ولم يمتثلوا امر الله وهو قولهم حبة في شعرة على ما روى ابو هريرة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وهو قوله عليه السلام
قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة
وقيل لهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن
طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا **فانزلنا على الذين ظلموا** كرره وفي وضع المظهر موضع المضمر
مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان انزال الرجز عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا
ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار **رجزا من السماء بما كانوا**
يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بضم الراء والمراد به
الطاعون روي انه مات في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا وقرا الاعمش وابن محيصن يفسقون
بكسر السين على لغة هذيل **واذ استسقى موسى لقومه** عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك
الحجر واللام فيه للعهد والاشارة الى حجر معلوم على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان حجرا مربعا له
اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة
الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه مع العصا وقيل هو الحجر
الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله في مخلاته او للجنس
اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي
انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته حيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه
فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
تمل وكان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول
موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار قوله آس الجنة اي آسها قيل هذا بعيد جدا والمعلوب من
آس

آس الجنة يعني من شجر آس الجنة وبهذا صفة العصا بهذا القائل فلا دلالة على الحجر وانما يحسن في العصا فوجه طوله عشرة
اذرع ابعد **فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب
فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ
وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان **قد علم كل اناس** كل سبط [illegible] وفي اثبات الهمزة انما
هو مع الاسم كالاسم لا نبيا واما [illegible] فصيح **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا** على تقدير القول
من رزق الله يريد ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه
ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب
المتعدي في الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا حـ
كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا وقرا الاعمش ولا تعثوا
بكسر التاء على لغة تميم ولا تعثوا بضم الثاء من عثا يعثو **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد**
يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى او ارادوا بالواحد ما لا يتبدل ولا يختلف كقولهم طعام مائدة الامير واحد
يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك [illegible] وضربوا واصلا انهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة [illegible]
الا كثرهم واصلهم واشتهوا ما الفوه من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك **فادع لنا ربك** سله
بدعائك ايانا **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب الامر وقرا [illegible] بفتح الياء **مما تنبت الارض**
ومن للتبعيض [illegible] الانبات الى الارض [illegible] وقرا الخليل تنبت وزيد بن علي تنبت بفتح الياء **من بقلها**
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد
اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها [illegible] والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا
وقيل الثوم ويؤيده قراءة عبد الله وثومها وهو اوفق للعدس والبصل [illegible] والاصل الثوم [illegible]
كانت من جنس العدس وقرئ [illegible] بالضم وهو لغة فيه **قال اتستبدلون الذي هو ادنى** اقرب
منزلة وادون مقدارا [illegible]
فقيل بعيد [illegible] وقرا زهير الفرقبي ادنى بالهمز من الدناءة [illegible] وانما [illegible]
[illegible] وكذا العدس واما الثوم فلانه كريه الرائحة [illegible] وكذا البصل [illegible]
قال [illegible] صلى الله عليه وسلم من اكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى بما يتاذى
منه بنو ادم [illegible] وقال ايضا قال عليه السلام من اكل ثوما او بصلا فليعتزلنا او ليعتزل مسجدنا وليقعد في
بيته [illegible] **بالذي هو خير** يعني المن والسلوى فانه خير في اللذة والطعم والنفع وعدم الحاجة الى السعي
اهبطوا مصرا [illegible] فقلنا اهبطوا [illegible] والهبوط النزول [illegible]
[illegible] اذا خرج [illegible] العظيم واصله [illegible] بيت المقدس [illegible]
[illegible] من حيث [illegible]
الارضية فيؤنث وانما صرفه مع اجتماع سببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما

بعد والتنوين فيها باعتبار كونها بلدا فلا ثانية وان جعل اسم جنس واريد به مصرا من الامصار فلا سببية وفي مصحف عبد الله وقرأ
الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله تعالى ادخلوا مصر وان جعل عرب مصرايم فانما جاز الصرف لعدم الاعتداد بالعجمة لوجود
التعريف والعدم الثانية قال الجوهري مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث وعن ابن عباس [illegible]
فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة
لازب من ضرب الطين على الحائط فالذلة استعارة بالكناية حيث شبهت بالقبة او بالطين وضربت استعارة تبعية تحقيقية
بمعنى الاحاطة والشمول لهم او بمعنى اللصوق واللزوم بهم والا تخييلية وعلى الوجهين فالكلام كناية عن كونهم اذلاء
متصاغرين فان اليهود في غالب الامر اذلاء ومساكين ومدقعة اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف عليهم
الجزية وباءوا بغضب من الله اي صاروا احقاء بغضبه من قال باء فلان بفلان اذا صار كفوا له وحقيقا بان
يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب من الله بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء فان اليهود قتلوا
شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم ايضا واللام للجنس والمعنى انه باطل محض وظلم صرف في اعتقادهم ايضا كما في الواو
ونون الجنس تفيد العموم كالنكرة في قوله بغير حق على ما في آل عمران وقد يجعل اللام للعهد اشارة الى ما عندهم من الحق الذي تدينون به
ويعتقدونه [illegible] ما يعتقدونه بجواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وقرأ علي كرم الله وجهه ويقتلون
بالتشديد ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون تكرير الاشارة [illegible] فصلا [illegible] بسبب [illegible] اعاد اسم الاشارة ولم يكتف بعطف
احد السببين على الاخر لئلا يتوهم ان سبب اجتماع الامرين بل كل منهما سبب مستقل فالسبب الاول هو الكفر والقتل والثاني هو العصيان
والاعتداء [illegible] وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار به الى الكفر والقتل والباء للسببية فيكون
بيانا للسبب [illegible] العصيان والاعتداء فانهما يجران الى الكفر بالآيات والقتل للنبيين فان صغار الذنوب
سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها او للمصاحبة [illegible] مع انه ذكر الكفر والقتل
كائنين مع العصيان والاعتداء [illegible] ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب
وهم المنافقون [illegible] على الكفر وتنظيمهم في سلك الايمان والاخبار بأن من آمن منهم ايمانا خالصا فله
كذا والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية [illegible] ويهود اما عربي من هاد
اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا كأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى
جمع نصران [illegible] جمع [illegible] والياء في نصراني للمبالغة [illegible]
[illegible] وقيل سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
او ناصرة فسموا باسمها او باسم من اسسها والصابئين هم قوم من النصارى وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وقيل هم عبدة
الكواكب وهو قول الامامين قال ابو حنيفة الصابئة تحل مناكحتهم [illegible] وعلى هذا الخلاف حل ذبيحتها وقال عمر [illegible]
الصابئة قوم من اهل الكتاب [illegible] ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم [illegible]
وهذا بناء على اشتباه مذهبهم فعنده هم قوم من النصارى يعظمون الكواكب تعظيم القبلة وعندهما عبدة الكواكب فكانوا
كعبدة الاوثان وقيل هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقتادة هم يعرفون الزبور
قالوا

ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا وقيل انقرضوا ما بقي منهم احد وقيل هم قوم عدلوا
عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من الدين وقرأ نافع وحده بالياء اما
لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا قيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا اصيلا وقيل من كان منهم
في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه ومن آمن الرفع ان جعل مبتدأ خبره فلهم اجرهم و
النصب ان جعل بدلا من اسم ان والمعطوف عليه وهو بدل البعض لان من ليس حقيقة من هؤلاء الكفرة بعضا منهم فان قيل كيف يكون
المؤمن الخالص بعضا من المنافقين والكافرين الجاحدين واجيب بان المراد [illegible]
الايمان ان يصدق عليهم ذلك الوصف فلهم اجرهم عند ربهم خبر ان على تقدير [illegible]
بالجملة كما مر [illegible] والفاء لتضمن من معنى الشرط سواء جعل بدلا او مبتدأ وذكر ان اسم ان والمعطوف عليه لا تتضمن
معنى الشرط لفقد السببية للاخر فاعتبر التضمن في البدل الذي هو المقصود ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل في التوراة
ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى لما جاءهم بالالواح ورأوا ما فيها من الآصار و
التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور من اصله فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا
القى عليكم حتى قبلوا [illegible] خذوا ما آتيناكم
وفي حرف ابن مسعود ما آتيناكم بقوة وتذكروا ما فيه [illegible] وادكروا ما فيه بتشديد الذال والكاف
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه [illegible] ان الذكر باللسان والجنان [illegible] لعلكم
تتقون اي ادرسوا ما في الكتاب واحفظوه واعملوا به ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او
رجاء منكم ان تكونوا متقين [illegible]
بالفعل المحذوف [illegible]
على الله تعالى [illegible] ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن
الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة [illegible] الصلوة والسلام
يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة [illegible]
والخبط والضلال [illegible]
لامتناع الاول [illegible]
الثاني [illegible]
لم يهلكوا [illegible] ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت واللام موطئة
القسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية [illegible] ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق
حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت كما قال تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم [illegible]

لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم
السبت فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم أي مجاوزتهم ما حدّ لهم من التجرد للعبادة
وتعظيم السبت وفي مصحف ابن مسعود عدوا منكم يقال عدا عدوا وعدوانا إذا جاوز الحد وكذا اعتدى وقوله تعالى
فيسبوا الله عدوا أي اعتداء فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي كونوا جامعين بين صورة القردة
والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار
في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وقال النبي عليه السلام إن الله تعالى لم يهلك قوما أو لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا
والعاقبة وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك وصيغة الأمر هاهنا للتسخير لا لطلب الفعل إذ ليس الغرض أن
يطلب منهم كونهم قردة لعدم قدرتهم عليه وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز
فجعلناها نكالا أي عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها من الأمم و
المسخة أو العقوبة
مستعاران للزمان وأقيم ما سيقع من تحققه أنهم في مقام العظمة والكبرياء والمعنى لمن قبلها من الأمم الذين بقون
الذين مضوا وكان في كتبهم أنه تكون تلك المسخة فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين
أو لمن بين يديها معاصريهم ومن بعدهم أو بحضرتها من القرى وما تباعد عنها وقيل نكالا عقوبة منكلة
لما بين يديها لأجل ما تقدمها من الذنوب وما تأخر عنها أي جعلنا المسخة عقوبة لأجل ذنوبهم المتقدمة
على المسخة والمتأخرة عنها يعني الباقية آثارها والأولاد ذنبتهم بعد المسخة والحاصل أن المراد
بما يكون بعد المسخة على الثبات والبقاء لا الصدور والحدوث ولا يخفى أن قوله وموعظة للمتقين لا يلائم
هذا المعنى فاللام على هذا الوجه للتعليل وما عداها والنكال بمعنى العقوبة لا العبرة وعلى الوجهين
أن يقيم للصلة وما بمعنى من والنكال العبرة وموعظة للمتقين من قومهم أو من الذين نهوهم لا غير
عن الاعتداء من صالحيهم أو لكل متق سمعها وخص المتقين بالموعظة وإن كانت العظة للكل لأنهم
هم المنتفعون بها وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أول هذه القصة
قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وإنما فكّت عنه وقدّمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم
وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال وقصته أنه كان في بني
إسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه
فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا مكان هزء
أو أهله أو مهزوا بنا والهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ بضمتين
وقرأ حمزة وإسمعيل عن نافع بسكون الزاء نحو كفؤا وكفوا وحفص عن عاصم بالضمتين والواو
كذلك كفوا وقرئ علي وابن مسعود [illegible] بغير همزة ولا واو قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين
لأن الهزء في مثل ذلك أي مقام التبليغ والإرشاد جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على سبيل الكناية
وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا والعياذ واللياذ من واد قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي سؤال عن حالها وصفتها لأن ما السؤال عن مدلول الاسم أو حقيقة المسمى أو وصف والأولان معلومان فتعين
الثالث

الثالث وذلك أنهم سمعوا التعليق بصفة ليست من شأن جنس البقرة وهي إحياء الميت بضرب بعضها فتعجبوا منها وسألوا عن
حالها وصفتها أما إذا عني بقرة معينة فظاهر لأنه للاستفسار وبيان المجمل وأما إذا عني بقرة من جنس البقر فلمكان التعجب
وتوهم أن مثل هذه البقرة لا تكون إلا معينة وقيل ما هاهنا أقيمت مقام كيف أو أي فإن السؤال عن الصفة إنما يكون
بأحدهما قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو
القطع كأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف الأداء
أبكار وعون وقد عونت بين ذلك أي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذا أضيف إليه بين فإنه لا يضاف إلا إلى
متعدد وعود اسم الإشارة إلى الأشياء المتعددة بتأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما يقال
متعددة سابقة كقولك للرجل نعم ما فعلت بعد أن ذكر أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يقع
مثله في الضمير لأنه في الإشارة أكثر وأشهر قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد
توليع البهق إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذلك ويلك والذي
حسّن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ومن جاء بالذي بمعنى الجمع فافعلوا
ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمركم بمعنى مأموركم بالمصدر بمعنى
المفعول به كالمأمور بمعنى المأمورية فتقبلوه ولا تكرروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول
إنها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه ولذا يؤكد به فيقال أصفر فاقع ووارس
كما يقال أسود حالك وحانك وكذا كل ما وقع موقع التأكيد من ألفاظ الشدة في الألوان نحو أبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي
وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطباني وأرمك رداني وفاقع صفة صفراء ولونها فاعله أو مبتدأ مقدم خبره لا فيه
من نقل اللفظ بلا داع فيكون صفراء فاقع صفراء فاقع لونها سواء في كونها من باب الوصف بالحال وإن كان الأول
أو كونه قيل فيه شديد الصفرة صفرتها فكان من قبيل جد جده وجنون جنونه وتوضيح ذلك أن في صفراء فاقع تأكيدا
وكونها تأكيدا لأن فاقع كونها وصفتها يعني أن شدة صفرتها ازدادت بحيث صفتها ما يصفها بها حتى صفرتها
كما في قولك جنونك مجنون وليس بواحد بعد ازداد جنونه حتى من الكمال حيث ينبغي أن يسمى بصفة تلك
حق الجنون وتحقيقه ما ذكره الطيبي وهو أن هذا من الفرس البشرية المنقولة من ألفاظ التي يريدون بها المبالغة
في وصف ما يتبعونه به تأكيدا وتجنيسا لتأكيد كقولهم ظل ظليل وداهية دهياء وليل أليل وشعر شاعر
وعن الحسن سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من قوله تعالى جمالات صفر فإن الأعشى كما يروى
أولاد ركاب الزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لأنها من مقدماته أو لأن سواد الإبل يعلوه صفرة أقبل في نعلها
لأن الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع وقيل الحكاكي ما لونها النفس عن ما صلح لونها فقعها تبين وقيل الليل
فاقع لونها بالإضافة وتسر الناظرين بأنها تسر الناظرين أي تعجبهم والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين والسواد لا يليق بمركوب أو بعض النعال السود ف
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الأول وتأكيد للسؤال عن حالها وصفتها
واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا

شدد الله عليهم والاستقصاء شوم وفي الخبر دلالة على منع السؤال عما لم يبين لا السؤال فان سؤالهم كان
كذلك فان المامور به اولا ذبح بقرة مطلقة وانما نشأ ايجاب ذبح المعينة بشوم سؤالهم ومن شوم السؤال ما كان من
امر الخوارج حين اعترضوا على علي كرم الله وجهه في امر الحكمين فلم ينقادوا للامر مع طواعيتهم له وكونهم معه و
معرفتهم بانه على الحق وانه المطاع فيهم ولولا ذلك ما قاتلوا من خالفه ولا اتبعوا من ناوى امرهم بالحكمين و
ولم يتركوا ما [illegible] اعترضوا عليه برأيهم فاقتضاهم شوم الاعتراض الى ان خرجوا عليه وشهدوا على انفسهم بالكفر حيث
كفروا خليفة الحق واصحابه وقتلوا اخيار الناس وفارقوا المسلمين فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وصاروا
كلاب النار وشر قتلى تحت اديم السماء قاله ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شوم السؤال والاعتراض ما كان
ابليس الكافرين فانه لما امره الله تعالى بالسجود لادم عليه السلام اعترض على الله تعالى اباء ونظرا الى نفسه فقال ل
أاسجد لمن خلقت طينا وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال الله تعالى واستكبر وكان من الكافرين و
منه أتجعل الملائكة حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الاية وقيل لما قالوا هذا ارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم بيان م
وقصة هاروت وماروت وما اصابهما باعتراضهما شاهد [illegible] جمع على شوم الاعتراض وما [illegible] قوله صلى الله
عليه وسلم للمكاشفة لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتموها لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فانما هلك
من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم الاية وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار [illegible] اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثيرة فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ [illegible] والشامة المعروفة بالياء [illegible] في العلوم [illegible] وتوسعان
الياء [illegible] بالياء والتشديد وقرأ [illegible] ان الباقر تشابه بالتخفيف وقرأ [illegible] على انه [illegible] بالتاء وقرأ
تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت مخففا ومشددة وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومشتبهة ومشبهة وقرئ [illegible] بالياء والوضع [illegible] وانا ان شاء
الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى القاتل وفي الخبر لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم
يقولوا ان شاء الله واستدل به على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط
بعد الامر معنى واحتجت به المعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق واعلم
ان ارادة الله تعالى ومشيته عندنا عبارة عن شيء واحد وما يجري من الخير والشر كله بارادة الله تعالى ومشيته
وحكمه وقضائه وتقديره لان الكل بخلق الله وانكرت المعتزلة ارادة الله الشرور والقبائح حتى انه اراد من
الاحمق والكافر طاعته وايمانه لا فسقه وكفره زعما منهم ان ارادة القبيح قبيحة كخلقه وايجاده ونحن نقول لا
قبح بالنسبة الى الخلق والايجاد والصدور عنه وانما القبح في قيامه وكسب العبد وصرف قدرته وارادته الى القبيح
كسب القبيح والاتصاف فعندهم يكون اكثر ما يقع من افعال العباد على خلاف ارادة الله تعالى وهذا بعيد
سخيف شنيع جدا حكي ان القاضي عبد الجبار الهمداني دخل على الصاحب وعنده الاستاذ [illegible] فقال سبحان
من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء والمعتزلة اعتقدوا ان الامر
يستلزم الارادة والنهي عدم الارادة فجعلوا ايمان الكافر مرادا وكفره غير مراد ونحن نقول انه تعالى مريد
بجميع

بجميع الكائنات غير مريد لما لا يكون فكل كائن مراد له وما ليس بكائن ليس بمراد له هذا مذهب اهل الحق فانهم اتفقوا على
ان جميع الكائنات مراد الله تعالى حيث جوزوا اسناد الكل اليه جملة اما الاول وهو انه مريد للكائنات كلها فلانه خالق
الاشياء باسرها وخالق الشيء بلا اكراه مريد له بالضرورة واما الثاني وهو انه غير مريد لما لا يكون فلانه تعالى علم ان الكافر
مثلا انه لا يؤمن فكان الايمان منه محالا لاستحالة ان ينقلب العلم جهلا والله عالم باستحالة الشيء لا يريده بالضرورة ويؤيد
هذا اجماع السلف والخلف في جميع الاعصار والامصار على اطلاق قولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والاول اي
ما شاء الله كان دليل الثاني وهو انه تعالى مريد لما لا يكون لانعكاسه بعكس النقيض الثاني دليل الاول وهو انه مريد الكائنات
كلها قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا السقي للحرث
ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ولا بمعنى غير كما في قوله لا فارض [illegible] اسم كما ذهب اليه بعضهم لكون [illegible]
صورة الحرف ظهر اعرابها فيما بعدها وجوز ان يكون حرفا كما يجعل الا بمعنى غير في مثل لو كان فيهما الهة الا الله [illegible] لا قائل
بالسببية ولا الثانية حرف زيدت لتأكيد النفي والتأكيد لا ينافي الزيادة على انه يفيدها التصريح بعموم النفي اذ بدونها [illegible] باحتمال اللفظ
على نفي الاجتماع وبهذا استوى المؤكد والمنفي الفعلان صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية [illegible] صفة
للمنفي [illegible] العطف [illegible] التأكيد [illegible] فيه دفع لما قال صاحب الكواشي من ان [illegible] على الحال [illegible]
السلمي [illegible] رضي الله عنه [illegible] لا ذلول [illegible]
[illegible] حيث [illegible] صفة ذلول كناية عن [illegible] كما قال [illegible] كناية عن [illegible]
مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي [illegible] ايضا [illegible]
[illegible] مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل [illegible]
[illegible] اخلص لونها [illegible] اذا اخلص لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لون فيها يخالف
لون جلدها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه
ثور موشي القوائم قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا [illegible]
[illegible] الاستفهام [illegible] بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والفاء الفصيحة [illegible]
محذوف [illegible] والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وكانت البقرة اذ ذاك [illegible]
الوجود [illegible]
مقارنة الرؤية والاتيان في قوله وما كادوا يفعلون [illegible]
انتهت سؤالاتهم [illegible]

فعندنا انه يصح متراخيا وعندنا لا يكون المتراخي تخصيصا بل يكون نسخا وقصة البقرة فان قوله تعالى ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة يعم الصفراء وغيرها ثم خص متراخيا وعلم ان المراد بقرة مخصوصة قلنا في قصة البقرة نسخ الاطلاق لان
الاول يجوز ذبح اي بقرة شاءوا ثم نسخ هذا كذا في التوضيح **واذ قتلتم نفسا** خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم **فادارأتم**
فيها مجاز على الاطلاق في الاختصام اي فاختلفتم واختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه
ويزحمه او كناية عنه لان معناه بالحقيقة وهو التدارؤ اي التدافع من روادف الاختصام ولوازمه وهو معنى الحقيقة
اي يطرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه فكل من الفريقين طارح ومطروح وكل منهما من حيث انه مطروح
عليه يدفع الآخر من حيث انه طارح او كل منهما يدفع الآخر عن البراءة الى التهمة فكل منهما دافع ومدفوع وهو معنى
التدافع وقيل ههنا وجه آخر وهو ان طرح القتل في نفسه دفع له وكل من الطارحين دافع فتطارحهما تدافع من
غير احتياج الى ان يعتبر بعد التطارح دفع المطروح عليه الطارح ورد بان هذا لا يكون تدافعا لان معناه دفع
كل منهما الآخر لا دفع كل منهما القتل مثلا وانما يصح مثل هذا في المتعدي مثل طارحنا الكلام وتطارحنا وادارأتم
اصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال وزيدت همزة الوصل لئلا يقع الابتداء بالساكن وبالاصل قرأ ابن مسعود وانس
وابو صالح وفي حرف ابي فتدارأتم **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهره لا محالة بدلالة العدول الى الجملة الاسمية واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم والجملة الواقعة
بينهما اعتراض والضمير في اضربوه للنفس على التذكير على تأويل الشخص والانسان او للقتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون
ببعضها ببعض البقرة واختلف فيه فقيل بصغيرها وقيل بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بالاذن وقيل بفخذها وهو
اصل الذنب وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن والغضروف ما لان من العظم وقيل البضعة بين الكتفين وقيل
بقطعة لحم والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة ... اي فضربوه المعطوف على قلنا والفاء الفصيحة مع المعطوف ... قوله
كذلك يحيي الله الموتى ... اي ان حيوة القتيل كانت بمحض قدرة الله وخلقه من غير ... الضرب بالبعض ويحتمل انهم
ضربوه فقام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل
بعد ذلك **كذلك يحيي الله الموتى** وهذا اما خطاب مع الذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى
يوم القيمة وضربه بينكم ولعلكم راجع اليهم لا حرف الخطاب في كذلك وانه خطاب لمن يتلو الكلام ايماء الى ان الاحياء
امر عظيم عجيب يخاطب به كل من يتأتى له ان يخاطب او خطاب لمنكري البعث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **ويريكم**
آياته دلائله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون** لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على
احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث او تعلمون على قضيته وهذا بناء على ان كونهم يعقلون محقق
لا في صورة المرجو فان القوم كانوا عقلاء فاذا لم ينتظم ان يقال اريكم آياته لكي تصيروا عاقلين ولو قيل لعلكم
تعقلون الآية بتقدير المفعول ولم ينزل منزلة اللازم لم يحتج الى هذا التأويل ولعله سبحانه انما لم يحيه ابتداء وشرط
في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها لما فيه من الحكم والفوائد العملية والعلمية من التقرب الى الله تعالى بها واداء الواجب
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وتحصيل الجزاء بما لا يعلم كنهه من الكلام
للكلام والتنبيه على ان من حق الطالب لمن يريد قربه والمتقرب الى ربه ان يتوق في اختيار ما يتقرب به ويتحرى الاحسن

وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب انما هي
امارات لا اثر لها فان الموتى لو ماس الحاصلين في الحس لا يعقل ان يتولد حيوة بمس احدهما بالآخر وضربه به **ثم قست قلوبكم**
القساوة عبارة عن الغلظ وثم لاستبعاد القسوة بعد ذكر اسباب اللين والرقة والخشية ومعنى ثم الذي يذكر اي
بعد لوقوع فان معناه اي بعد ثم للاستبعاد ان يعدلوا بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم هؤلاء للاستبعاد لان ثم روا
بعد ما ثبت انه تعالى يحييهم ويميتهم ويأخذ منهم ... ان لا مزيد لئلا يقع لمثله ... على قطع القرابة وكذلك ثم اقررتم
والعدل الى لفظ قست استعارة تبعية تمثيلية تشبيها لحال القلوب في نبوها عن الاعتبار والاتعاظ بالقسوة وكذا الضرب به
بنقول فهي كالحجارة اي ثم صارت قلوبكم غليظة يابسة تنبو عن تقبل الحق ولا تميل لا تنفع فيها الآيات والنذر والمواعظ والزواجر
او ردية مغشوشة بالباطل والغي وهذا لا تقبل الحق ولا تليق به ... درهم قسي وهو الردي بحيلة لانه مشتق من القسوة
لان ثم لفظ الغالب في المغشوش يبسا وصلابة وخشونة وقست قسوة وقسوة ... وقيل وقلنا في قلوبكم كناية
بالكناية والقسوة قريب منها كما ان التشبيه فهي كالحجارة ورد بانه لا يحتمل لا يستقيم ... فهي كالمبتدأ
وذكر لان الاستعارة الحبل اصل والنقض ترشيح على ما هو الواجب في الاستعارة بالكناية وهو ما نحن فيه الامر كذلك ...
الرياح والمنافي **من بعد ذلك** اشارة الى احياء القتيل والى جميع ما ذكر من الآيات المعدودة نحو مسخ القردة ورفع الجبل
وتفجير الانهار وغيرها مما يوجب لين القلب لحدوث الرقة والخشية وقيل معنى قوله قست قلوبكم اي يئست ...
ان يعيشوا الى خشية الله والشفقة على الخلق وكل القلب الخالي منهما فهي كالحجارة **فهي كالحجارة** في قسوتها مثل الحجارة **او اشد**
قسوة منها والمعنى انها في القسوة مثل الحجارة او انها زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة قال ابن الفضل اي في مصحف ابن مسعود فكانت
كالحجارة او اشد قسوة وقرأ ابو حيوة قساوة وزيد بن علي وابن عمر قست قلوبكم ولعل المعنى ... ان او مهما ... التخيير
بمعنى ان من عرفهم شبههم بالحجارة او بما هو اشد قسوة فانه مصيب في القول او كجعب بين الشيئين وانهما قد يقبله ...
سواء اخذ كونه اشد قسوة ... ودل على شدة القسوة لدلالة عليها ... اللفظ الموضوع لها مع بقية ... المعنى
فيها وجه آخر وهو انه لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد
قسوة والوجهان ... الى السابق لكونه اشتغاله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ويكون مثل الشدة والمبالغة ... للاول
وفيه وجه ... ضرب المفضل عليه لعدم الالتباس ... فهو فضل **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار**
بيان التفضيل وتقرير لقوله او اشد قسوة ... واما في اللفظ فعطف على جملة هي كالحجارة او الجملة قسوة ... للتخفيف
على انها المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ومنها قوله وان كل لما جميع لدينا والتفجر التفتح
بسعة وكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر **وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء** اي يتشقق وبه قرأ الاعمش فادغم التاء
بالشين **وان منها لما يهبط من خشية الله** ... والمعنى ان
من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا فينبع منه الماء ...
ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لامر الله تعالى ... وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امر الله تعالى ...
الماء وقيل قلوبهم لا تتبع الانقياد لامر التكليف بطريق القصد والاختيار ... عليه طريق ...

كما في الجلالة وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده
والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويأتوا مستجيبين
لكم كقوله فآمن له لوط فاللام للتعليل او لاعتبار معنى الاستجابة مع انا لم يحملوا على الصلة كما في وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لان
مثله لا يوجد في الفعل و[illegible] فآمن له لوط على معنى احدث الايمان لاجل دعوة ابن عمه والاستجابة له والضمير في يؤمنوا لليهود وقيل
للذين في عهد النبي [illegible] فريقا منهم وان كان احداث الايمان لا يختص بالاسلاف المعاصرين وقد كان فريق منهم طائفة
اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية واعلم ان الكلام يقال للجملة والمركب التام ايضا في اطلاق اهل العربية
وبعضهم يفرق بين الكلام والجملة بان الكلام قد يطلق على الجمل الكثيرة والجملة لا تطلق الا على واحدة وبانه يقال كلام الله ولا يقال
جملة الله وبان الجملة اذا عرض لها ما يسلب صحة السكوت عليها كالجملة التي وقعت شرطا او صلة ولا يقال لها كلام وقرأ الكسائي
[illegible] كلم الله ثم يحرفونه كما حرفوا نعت محمد عليه وسلم وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من
السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهي ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم ان لا تفعلوا فلا بأس فعلى الاول سماع كلام الله بمعنى يتلونه كما يسمع كلام من القرآن
وعلى الثاني من الله تعالى بلا واسطة كما سمعه موسى عليه السلام والتحريف على الاول التغيير وعلى الثاني الزيادة فيه افتراء [illegible] تحقيق
المحققين لا يخفى ان فيما افتروا اشارة على فساده حيث علقوا الامر بالاستطاعة والنهي بالمشيئة وبينهما لا تنافي [illegible] كأنهم
ارادوا الامر على الوجوب [illegible] افعلوا ان شئتم وان شئتم فلا تفعلوا ثم قال والقائلون بقول على الوجه الاول [illegible]
جعل ضمير يسمعون لمطلق اليهود وجعل [illegible] الحقيقي [illegible] من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق [illegible] في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا
على هذه الحالة فكيف يطمع من جاهلهم وسفلتهم الايمان وترك التحريف فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا
قيل ضمير لقوا لمنافقي اليهود [illegible] وقيل منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم المبشر به في التورية
وضمير قالوا للذين لم ينافقوا [illegible] على غيرنا [illegible] احسن واوفق بما
النظم حيث [illegible] فاعل فعل الشرط والجزاء واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا عاتبين
على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وقال [illegible]
لاعقابهم [illegible] للتعصب في اليهود [illegible] ايضا [illegible] والاستفهام [illegible]
للعتاب والانكار على ما كان يصدر من المنافقين من التحديث بمعنى ما كان ينبغي [illegible] وعلى الثاني للانكار [illegible]
عن الاعقاب تحديث فيما يستقبل من الزمان بمعنى لا ينبغي ان يقع ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في
كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله فان قولنا هو في كتاب الله كذا وعند الله كذا واحد معنى
وحكم [illegible] وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر لان الاخفاء
لا يدفعه افلا تعقلون اما من كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى
للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم وقرأ محمد بن عبد الله بن محيصن
افلا يعقلون بالياء اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون

وما

وما يعلنون اي جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته كتمان الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم
واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب عطف الجملة على الجملة [illegible]
فريقين يعني ان بعضهم علماء معاندون وبعضهم جاهلون لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويحققوا
ما فيها والامي منسوب الى امة العرب الذين لا يكتبون ولا يقرؤون او الى الام بمعنى انه كما ولدته امه في انه لا يعرف من الكتاب
ولا يعلم الخط [illegible] فكثيرا ما يقرؤه من غير علم بالمعاني ولا يتصور لفظه [illegible] وقيل الامي من لا يحسن الخط حرفا
معناه الاسماء في حرفه قيل من لا يحسن الكتابة والقراءة وهذا لا ينافي ان يكتب ويقرأ في الجملة الا اماني استثناء منقطع
لان ما هم عليه من الاباطيل وسمعوه من الكاذبين ليس من الكتاب الا ما يقرؤونه تلقفا من علمائهم لما فيه من التحريف
والافتراء ولانه ليس من جنس العلوم والمعارف لكنهم يعلمون ذلك ويعتقدونه جهلا او يظنونه تقليدا وهي جمع امنية وامنية
في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر [illegible] يقال على الكذب وعلى ما يتمنى قال اعرابي لابن داب في شيء حدث به
رويته ام شيء تمنيته اي اختلقته وعلى ما يقرأ اي الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبر من قوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل [illegible]
بانهم [illegible] وقرأ [illegible] بالتخفيف وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون ولا علم لهم ذكر سبحانه وتعالى
علماءهم الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه عليهم [illegible]
يعني ان العلماء يعلمون ويعقلون على [illegible] ما يعلمون والعوام يقلدونهم ولا يحققون وهذا بناء على ان [illegible]
يطلق الظن بازاء العلم عند الاصوليين على اعتقاد [illegible] جازم به صاحبه [illegible] والزائغ عن الحق
لشبهة فويل اي كلمة دعاء بالهلاك والعذاب وهي في الاصل مصدر لم يستعمل له فعل وانما صح الابتداء بالنكرة
لانه دعاء ومن قال انه واد او جبل [illegible] ان فيها جهنم موضعا [illegible]
للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد [illegible]
[illegible] ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا [illegible] من اعراض الدنيا وانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العذاب [illegible] فويل لهم
مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون قال بعضهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
سواء كانت ما مصدرية او موصولة وقيل [illegible] وقالوا لن تمسنا النار
[illegible] الا اياما معدودة [illegible]
[illegible]

معدودات قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون روي في الخبر انه اذا مضت عليهم في النار تلك المدة قال لهم
الخزنة يا اعداء الله ذهب الاجل وبقي الابد فايقنوا بالخلود وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف
الله عهده جواب شرط مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده اذ الخلف محال عليه فان قيل فلا يصح
جعل فلن يخلف الله جزاء لانتفاء السببية والترتب بل يكون لمحض الاستقبال واجيب بان ذلك ليس بلازم في الفاء الفصيحة فتدبر
خلسانا ولو سلم فتقديره ترتب على اتخاذ العهد الحكم بانه لا يخلف العهد فيما يستقبل من الزمان قط كما في قوله تعالى وما بكم من
نعمة فمن الله أم تقولون على الله ما لا تعلمون وأم اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم
على القول الثاني وحقيقة الاستفهام وذلك لان علم المستفهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم حاصل بان المتحقق احد الامرين
على التعيين وهو قولهم على الله بالافتراء وبهم عليه او منقطعة وعلى هذا فالاستفهام في اتخذتم للانكار اي لا يكون ذلك
منكم وفي ام تقولون للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت اي بل انكم تقولون على الله وتفترون عليه ما لا تعلمون او بمعنى الانكار
الا انه بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه عام ليكون كالبرهان على بطلان قولهم
وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد
بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم وأحاطت به خطيئته والمعتزلة
تفسر السيئة بالكبيرة لان احاطة الصغيرة لا توجب الخلود في النار وفسروا الاحاطة بعدم التوبة والاولى تفسير الكبيرة بالتوبة
لان ذلك كان عندهم في الخلود وعندنا المراد الاحاطة بجميع جوانبه من القلب واللسان والجوارح وهو معنى الكفر والكفر فسر بها
السلف وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيه وخطياته على القلب والادغام فيهما وقيل احاطة الخطيئة عبارة عن عدم التوبة وقيل
من غلبة على الطاعة وفسر الحسن بكونها كبيرة لان الكبيرة هي التي اوعد الله تعالى عليها بالنار وروي انه سال رجل عنها فقال سبحان
الله الا اراك ذا لب وما تدري ما الخطيئة المحيطة انظر في المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار
فهي الخطيئة المحيطة والاحاطة حقيقة في احاطة جسم بجسم آخر كاحاطة السور بالبلد فأولئك أصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم
يلازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذلك
التي قبلها فلا بد للتأبيد من الدليل والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته تعالى
وجل في كتابه الكريم وفرقانه العظيم ان يشفع الوعد بالوعيد ويذكر الترهيب مع الترغيب لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف
العمل على الايمان دال على انه خارج عن مسماه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله اخبار في معنى النهي
اي لا تعبدوا وهو قراءة عبد الله وأبي وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من اعتبار ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ولا بد من ارادة القول قبله ليرتبط بما قبله ويستقيم المعنى تقديره واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل وقلنا لا تعبدوا الا الله ويدل عليه ذلك اي على انه بمعنى الانشاء عطف قولوا عليه لا تعبدون مع اختلافهما
لفظا وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون ان مفسرة لما في اخذنا ميثاق بني اسرائيل من معنى القول وان يكون ان
مع الفعل بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار اي اخذنا ميثاقهم بان لا تعبدوا وعلى ان لا تعبدوا وبهذا يعلم ان لا تعبدون
في قراءة العامة اذا كان في معنى ان لا تعبدوا كان بدلا عن الميثاق او معمولا على حذف حرف الجر وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه

قال حلفناهم لا تعبدون وقرا ابو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء
لانهم غيب قال صاحب الغرائب القرات ذكر عمرو بن رشد عن نافع اسرائل مثل اسرفيل ولم تقرا به وعن الحسن وعيسى والاعمش اسرائيل
بغير همز وبالوالدين احسانا لا بد له من فعل فاما ان يقدر خبرا بمعنى الطلب اي وتحسنون بالوالدين بمعنى احسنوا لكن
لملائمة خبر لفظا او انشاء معنى قالوا وفائدة تقديره خبرا ثم جعله بمعنى الانشاء اما لفظا فالملاءمة مع قوله لا تعبدون
واما معنى فالمبالغة باعتبار ان المخاطب كانه سارع الى الامتثال فهو يخبر عنه او يقدر من اول الامر صريح الطلب مما هو الظاهر اي واحسنوا
احسانا فيكون من انشائيات معنى ولفظا الاول اظهر والفظ الثاني انشاء وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين
ويتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من تفرد عنه واليتم الانفراد ذكروا في جمع اليتيم على يتامى وجهين احدهما انه جمع
على يتيم كاسير لان اليتيم من وادي الآفات والاوجاع ثم جمع فعلى على فعالى كما سار بجمع القياس ان يجمع يتيما على ايتام كالشريف
يجري بالاسماء كصاحب وفارس فيقال ايتام ثم قياس على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد
عن الاب لكنه غلب في من لم يبلغ البلوغ مبلغ الرجل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا
قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرا حسنا بفتحتين وحسنى بغير تنوين وهو لغة اهل الحجاز وهو مصدر كبشرى
وفيه رد على النحاة حيث منع هذه القراءة وجعلها منه انه حسنى تانيث الاحسن فلا يستعمل بدون اللام وأقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة وذكر في الاصول ان الواو قد يدخل بين الجملتين فلا يوجب المشاركة في فعله من الطلاق تطلق ويطلق
يطلق في طالق الثانية واحدة وانما تثبت المشاركة اذا افتقر الاخرى الى الاول فيثبت ذلك الاول فيها تم الا والنسبة لا تستقيم بدون الخبر ان يكون
ما تم به الاول متمما في المعطوف فعلى هذا اذا قال ان دخلت الدار فانت طالق وطالق وطالق تعلق الكل او قوله ان دخلت الدار
فانت طالق فلا يقع الثلث عند ابي حنيفة رضي الله عنه بخلاف الكل او تقديرها انه ممتنع الاتحاد نحو قام زيد وعمرو ولا بد
ان يكون قيام زيد غير قيام عمرو بعضهم اوجبوا الشركة في عطف الجملة ايضا حتى قالوا ان القرآن في النظم يوجب القران في الحكم
فقالوا في اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة لا تجب الزكوة على الصبي كما لا تجب الصلوة عليه وهذا فاسد لان الاصل في الواو الشركة
بين المعطوف والمعطوف عليه انما تثبت اذا افتقرت الثانية وتوضيحه ان الواو العاطفة الاصل في العطف الشركة فيحمل على الشركة
ما امكن وهذا الحكم في المعطوف يفتقر الى ما قبله حقيقة كما في المفرد او حكما كالجملة التي يكون الخبر فيها مفردا فيحمل
على الشركة لتكون الواو جارية على اصلها بقدر الامكان واما اذا لم يكن حملها على الشركة فلا يحمل عليها اذا كان المعطوف جملة لا يكون
في المفرد ولا يكون مفتقرا الى ما قبلها كما في اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة قالوا والمراد بها ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم
على طريقة الالتفات لانه ذكر بني اسرائيل انما وقع بطريق الغيبة والخطاب في قوله توليتم للموجودين
منهم في عهد النبي عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اي ثم اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم قيل هم من اسلم منهم في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في عهد موسى عليه وقرئ إلا قليل منكم بالرفع على انه بدل كقولك ما مررت بأحد الا زيد
الا بعض وكانت قلت عمرو لم يجرح قاله ابو معاذ وأنتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة والتولية
انما هي جملة مذيلة لا محل لها من الاعراب كقولك فلان يتعلق بالحق ويعقابه وقيل انها منكر وقوله ثم توليتم دون ان يريد
اصل الاعراض انه غير مواجهة الى جهة الغرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من
ديارهم

على نحو ما سبق في لا تعبدون لا يسفك بعضكم دم بعض ولا يخرج بعضكم بعضا من دياركم او لا تفعلون ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم او لا تراقوا دماء غيركم فيقتص منكم فكأنكم سفكتم دماءكم وقيل معناه لا تقتلوا انفسكم كما يفعله بعض الفرق ثم اقررتم بالميثاق

من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة
التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي وقوله الحقيقة من ... فلا تسفكون بضم الفاء وعن ابي نهيك لا تسفكون ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون على انفسكم تاكيد كقولك اقر فلان على نفسه بكذا شاهدا عليها وقيل وانتم ايها الموجودون
تشهدون على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا وكذا افعال المتقدمين عليه وانما كانت من
اسلافهم وتعريض ذكره انه تعالى اخذ عليهم ... ترك القتل وترك الاخراج وقيل الاسارى ... العهود والاقرار
والشهادة من اسلافهم الا انهم خوطبوا بها واسندت اليهم لكونهم على طريقتهم وسنتهم ... وقيل اخذ الميثاق
والاقرار من اسلافهم والشهادة منهم وههنا قول آخر ... ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه من القتل والاجلاء و
العدوان بعد اخذ الميثاق والاقرار والشهادة عليه فصار الخطاب للموجودين والاسناد اليهم حقيقة وصحح ذلك الاستبعاد و
وان كان الميثاق والاقرار والشهادة من اسلافهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون يعني انكم قوم آخرون ... للكل
للتقريب بالميثاق ... تغير الصفة منزلة تغير الذات كقولك رجعت بغير الوجه الذي خرجت به ودلالة قوله ثم انتم هؤلاء
على اعتبار التغاير انما جاء من قبل البيان بقوله تقتلون انفسكم وبقوله تخرجون فريقا منكم وكونهما في معرض البيان ...
على زيادة ايضاح تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم واختلفت الاقوال ههنا فقيل قوله تقتلون
الى آخره بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل حال والعامل فيها معنى الاشارة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل هؤلاء
موصولة بمعنى الذين والجملة بعده صلة والمجموع هو الخبر وقرئ يقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر قرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين و
وقرئ باظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون وقرا ابو حيوة تظاهرون بالياء وتشديد الظاء والالف اصل تتظاهرون و
والكل بمعنى التعاون وان ياتوكم اسارى تفادوهم وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى وقيل
وقتيل واسارى جمع اسرى كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه و
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض وهو ضمير الشان او مبهم تفسره اخراجهم وقيل راجع الى ما دل عليه تخرجون
من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وذلك انهم اعرضوا عن الميثاق التي
قبلها وتكفرون ببعض اي بحرمة القتال والاجلاء روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له
حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم و
لكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا وقيل اخذ الله عليهم اربعة عهود ترك القتال وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء اسراهم
فاعرضوا عن كل ما امروا به الا الفداء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا والخزي قيل في قريظة و
واسرهم واجلاء بني النضير وقيل ضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب واشارة من فعل منهم ذلك اي اشد العذاب لان عصيانه اشد من كفر البعض من كتابه ايضا في
اشارة الى انه ليس المراد باشد العذاب من عذاب الدنيا بل اشد انواع العذاب لا تقابله يوم القيمة وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد

وقد

وقرا عاصم يردون بالتاء لقوله منكم وقرا ابن كثير ويعقوب ونافع بالياء ... الضمير عائد الى من اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة اي آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب في الدنيا بنقص الجزية وكذا في الآخرة ولا هم
ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الكثير من الرسل
كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وذلك لان الجمع الموضوع للقلة بدون الاستغراق وعن ابي عمرو وابن اسحاق بالرسل بسكون
السين قيل كان بين موسى وعيسى اربعة آلاف نبي وقيل سبعون الف نبي الا انهم كانوا على دين موسى عليه السلام فجاء
عيسى ناسخا لشريعته فلذا خصه بالذكر فقال بعد ذلك تفصيلا وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات والحجج
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومعناه السيد ومريم بمعنى الخادم
وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة بن العجاج قلت لزير لم تصله مريمه ...
... وقال الزير من الرجال الذي يكثر زيارة النساء والمريم من النساء التي تحب محادثة الرجال ... من رام
يريم اذا فارق وبرح ولا يستعمل الا في النفي فيكون مفعلا لا فعيلا اذ لم يثبت فعيل ...
ولا المادة اي من رم ... ان مريم في الاصل ... الاشتقاق ... على تقدير ...
واما في البيت فاسم ... الا ضعف وايدناه قويناه ... وقرئ آيدناه ... بالمد ...
بعد ضعفه ... بروح القدس بالروح المقدسة ... رجل صدق ... اراد به جبريل وقيل
روح عيسى ووصفها بالقدس كما قال وروح منه ... بالاختصاص والتقريب ... وكذا ...
وقيل لطهارته عن مس الشيطان وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل الانجيل كما قال في القرآن روحا
من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم الفاء عطف على الكلام الذي قبله ... والهمزة ...
والمعطوف عليه للتوبيخ والتعجيب من شانهم ... المعطوف ... للتوبيخ والتعجيب من ترتيب هذا الفعل ...
ولقد آتينا بني اسرائيل انبياءكم ... فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الاتباع ويجوز ان يكون ...
والفاء للعطف على مقدر ... ما ... تهوى اي بما لا تحبه
يقال هوي ... استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل وهو جواب كلما وعامله
ففريقا كذبتم كموسى وعيسى وفريقا تقتلون اي فريقا كذبتم على التمام وفريقا ... كذبتموه ...
تقتلون اي ما ... على التمام وانما ...
... الفاصلة ... الفريق ...
... والقتل ... الفريق ...
بعد ... مستقبل ... تقتلون ... بالقتل ... الفاصلة ...
يعني عبارة الفاصلة ... الفريق ... صلى الله عليه وسلم ...
... الفريق من قتلوه من الانبياء والتعبير ... الفاصلة ...
... الحال ...

في النفوس فان الامر فظيع مع ما فيه من رعاية الفواصل واو يراد فريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري تعاودني اي تراجعني
من عادة اللسعة اذا اتته لعداد والعداد اهتياج الوجع لوقت معلوم كان يعاود صاحبه ايام الافاقة فاذا تم العدد اصابه
وعداد السليم سبعة ايام ما دام فيها قيل يعوده عداده والابهر عرق مستبطن في القلب يتصل به فاذا انقطع مات صاحبه والكلام
على حذف المضاف اي عادية اكلة خيبر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف مثل حمر واحمر خلقة وجبلة مغشاة باغطية
لا يصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختتن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل اصله
غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره
بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا من كون قلوبهم مخلوقة كذلك وذلك انهم ادعوا عدم تمكنهم من قبول الحق فرد الله عليهم
بان الامر ليس كذلك بل انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله لعنهم وخذلهم بسبب انهم صرفوا القدرة
والارادة الى الكفر فخلق الله تعالى في قلوبهم ولو صرفوهما الى الايمان والهدى لخلقهما على ما جرت به عادته فهم كاذبون
فيما ادعوا من عدم الاستطاعة فانه لا نزاع في قدرة العبد وانما النزاع في تاثيرها او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى
العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في القلة ومعناه انهم يؤمنون ببعض الكتاب وليست نافية لان
ما في حيز ما لا يتقدم عليها ولانه كان بمعنى لا يؤمنون قليلا فضلا عن الكثير لكن ربما يوهم بسبب التقديم انهم لا يؤمنون قليلا
بل كثيرا ولا مصدرية ومؤولها وقيل اراد بالقلة العدم ويجوز ان يكون نصبا على الظرف لانه من صفة الاحيان وما للتاكيد
معنى القلة والعامل ما يليه كما في قليلا ما تشكرون اي في قليل من الاحيان قال بعضهم ايمانهم بالله تعالى قليل لانهم يؤمنون
ببعض ويكفرون ببعض ومنهم من لم يجوز ذلك قال انما لم يجعل قليلا من صفة الاحيان لانهم لم يؤمنوا قط وقال بعضهم
معناه لا يؤمنون الا قليلا منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه ولما جاءهم كتاب من عند الله اي القرآن مصدق
لما معهم من كتابهم لا يخالفه يعني موافقه في التوحيد وما يتعلق بالنبوة وغير ذلك مما وافق فيه القرآن التوراة وقرئ
مصدقا بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف يدل عليه جواب لما الثانية وانما لم يجعل الثانية جوابا
للاولى لانه لم يجئ في فصيح الكلام جواب لما الا فعلا ماضيا بدون الفاء ولا يبعد ان تكون تكرارا للاولى والفاء للاشعار بتحقق
مجيئه عقيب استفتاحهم به لان ما عرفوا هو الكتاب وكانوا من قبل يستفتحون حال منه واستقام النظم لما بين الكتاب في
الذي المستفتح به من الاتصال حتى ان الاستفتاح به استفتاح به وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على المشركين اذا قاتلوهم ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب اوانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه اي
يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق
كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم
لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد اشارة الى اهل الكتاب ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان
الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس المستكن اي بئس شيئا
اشتروا

اشتروا به انفسهم فوقع اشتروا صفة ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا
انفسهم من العقاب بما فعلوا او موصولة بمعنى الذي وهو اسم بئس وعلى الوجهين قوله وفي حرف
عبد الله شروا به ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم وما قيل من ان ما نكرة غير موصوفة
منصوبة على التمييز واشتروا صفة لمحذوف هو المخصوص تقديره شيء اشتروا وفاعل بئس مضمر فيه وان يكفروا خبر
مبتدا محذوف اي هو ان يكفروا او في موقع جر بدلا من الهاء في به او هو مبتدا وبئس مع ما بعده خبر عنه ففيه من التمحل
ما لا يخفى وكذا ما قيل من كون ما مصدرية اي بئس شراؤهم وفاعل بئس مضمر لان المصدر ههنا مخصوص ليس بمخصوص بغيا
نصب على المصدر لان ما سبق يدل على انهم بغوا بغيا او المفعول له اي طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو في الاصل الطلب ويجوز
ان يكون من البغي بمعنى الظلم وهو علة اشتروا اي اشتروا لبغيهم وقيل هو علة ان يكفروا دون اشتروا للفصل بينهما بان
المخصوص بالذم وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله لكن لا اخفاء في انه اجنبي بالنسبة الى الفعل الذي ضعف
به تمييز الفاعل والمعقول بان المعنى على ذم ما باعوا به انفسهم حسدا وهو الكفر لا على ذم ما باعوا به انفسهم وهو الكفر
حسدا فحكم وقيل جعل المخصوص بالذم ان يكفروا انما يصح لو قال كفروا بلفظ الماضي لظهور ان ما باعوا به انفسهم
واستبدلوا به في الماضي ليس مع ان يكفروا في المستقبل والجواب انه ان يكفروا بمعنى ان كفروا بدليل قوله كفروا به لما
عليه والقصة واحد ان ينزل الله اي لان ينزل الله وصيغه على ان ينزل الله ومفعول ينزل محذوف اي شيئا ومن فضله
بيان له واذا كانت تبعيضية تكون هي مفعولا اي بعض فضله من فضله من وحيه على من يشاء من عباده من نكرة موصوفة
اي على رجل او موصولة ومفعول يشاء محذوف اي على الذي يشاء نزوله اليه ويجوز ان يكون يشاء بمعنى يختار على
من يختاره للرسالة ومن عباده حال من الضمير المحذوف او في موقع جر صفة اخرى لمن فباءوا بغضب على غضب
فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه ويدل على الاستحقاق العطف بالفاء على
اشتروا الى ساقه واستحقاق ترادف الغضب بتضاعف الجريمة على ما يدل عليه قوله بغيا وهذا على المعنى انها
وجناية سيئة مثلها كانه قيل فبكفرهم على كفرهم صاروا احقاء بغضب على غضب وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام
وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم وقوله بغضب حال وعلى غضب صفة له
وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
ولفظ ما عام يتناول الكتب المنزلة كلها قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه حال اما
على حذف المبتدا او تجويز الواو في المضارع المثبت وانما لم يجعل عطفا على قالوا لقصد الاختصار والاستمرار
لان الحال ادخل في رد مقالتهم اي قالوا ذلك مقارنا بشاهد على بطلانه ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولهذا عد من الاضداد وهو الحق
حال مما وراءه والمراد به القرآن وتعريف الخبر لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه خاصة هو الحق الذي يقارب
تصديق كتابهم ولو قال الحال اي مصدقا لم يستقم الحصر الا بعد ملاحظة كتابهم وهو حال ايضا مصدقا لما معهم من
التوراة غير مخالف له وهو حال مؤكدة يتضمن رد مقالتهم انهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة

لا تسوغه والقتل
هذا انما كان من اسلافهم
يعني اسنده اليهم
لانهم على طريقتهم
ومتعصبون لهم
حيث رضوا بفعلهم
وعزموا عليه
ثم الاستفهام
ليس على حقيقته
للتعجب منه
الفرق بين الاستفهام
والتقريع
...

تقتلون ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات الواضحات المبينة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
ثم اتخذتم العجل من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال يعني اتخذتم العجل وانتم ظالمون
في هذا الاتخاذ من اتخذ خاتما صنعه او عملا او بمعنى عبدتم العجل وانتم ظالمون بعبادته وعلى هذا فايدة الحال
زيادة التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وفائدته ظاهرة حيث لم يتقيد ظلمهم بكونه في
العبادة بل مطلقا وعلى سبيل العادة وانما قيل في الحال البحث تقييد الفعل به وارتباطه بالفعل فان الحال
يجب ان يكون بمنزلة البيع للفعل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد وعزيمة واسمعوا سمع طاعة ذكر رفع الطور
اي حديثه لما ينطبه من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التأكيد وذلك انه قال اولا واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه في الآخرة وههنا مكان اذكروا ما فيه
اسمعوا ومكان ثم توليتم قالوا سمعنا وعصينا والزيادة التي ليست في الآية الاولى هي قوله واشربوا
في قلوبهم العجل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قيل لما قال اسمعوا فكان الجواب المطابق
ان يقولوا سمعنا او لا نسمع من غير ذكر شيء آخر فلم زادوا وعصينا وليس هذا الا مستدركا واجيب
بان هذا انما يكون اذا امروا بمطلق السماع وههنا قد امروا بسماع مقيد فاجابوا بنفيه باعتبار انتفاء
القيد فهو مطابق وذلك انه تعالى قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع طاعة فقالوا سمعنا لكن لا سماع
طاعة فلا استدراك واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حب العجل والحرص على عبادته يقال اشرب
الثوب الصبغ اذا دخل الصبغ في اعماقه واجزائه ولا يخفى ما في حذف المضاف واسناد الاشراب اليهم
من المبالغة كانهم اشربوا بجملتهم العجل نفسه وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم
نارا وفي القصص ان موسى عم امر ان يبرد العجل بالمبرد ثم نذر في النهر وامرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه
شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه وهو استيناف او حال بتقدير قد وعامله قالوا
اي قالوا ذلك وقد اشربوا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية فلم يروا جسما
اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية لانه ليس في التورية
عبادة العجاجيل التي هي غاية في البلادة واسناد الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك وكذا
اضافة الايمان اليهم كما في قولهم ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون تحقيرا واستهزاء ودلالة على ان مثل هذا لا يليق
ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين واستعمال ان ههنا
على سبيل الفرض والتقدير للتبكيت والالزام كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وهذا اولى مما يقال ان استعمال ان ههنا تشكيك في ايمانهم لاستحالة الشك على الحكيم
على ما هو اصل ان اذ لم يعهد استعمال ان للتشكيك الناشئ عن ... قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم
ليس لاحد سواكم فيها حق كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وانتصاب خالصة على الحال من الدار الآخرة

او لما ذا يحسن الفصل بالظرف بين الاسم والخبر وكذا تقديم لكم على خالصة واما عند الله فمتعلق بكان او بخالصة وتقديم الظرف لكان
لمجرد الاهتمام فذلك وان كان للاختصاص فلفائدة اخلال التأكيد والتعيين من دون الناس ... قبل اليهود وهم
المسلمون فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما روي
عن علي كرم الله وجهه انه كان يطوف بين الصفين في غلالة ... فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال
يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وقال عمار بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه ...
قالوا لا افلح من ندم ...
بفتح الواو ... ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم ... ليس التأبيد ... المؤكدة المستقبل فقط
وابدا ظرف بمعنى الزمان المتطاول والمعنى لن يتمنوا الموت ابدا ما داموا في الدنيا بسبب ما قدموا من الكفر لكنهم يتمنونه في الآخرة للخلاص من
العذاب ... ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وما موصولة او موصوفة او مصدرية حذف ... من موجبات النار
كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية واليد تستعمل تارة في ... القدرة وهو الاغلب ...
والضرب والقتل والقطع والوضع والرفع وغيرها من الافعال التي ... قوله عليه السلام المؤمنون
تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم فهو استعارة والمعنى ان ... مثل اليد الواحدة
فكما لا يتصور ... فكذلك سبيل المؤمنين في تعاونهم على المشركين لان كلمة التوحيد
جامعة لهم قيل وفيه نظر لان قوله عليه السلام وهم يد تشبيه لا استعارة لان ذكر طرفي التشبيه ينافي الاستعارة ...
ابدا اخبار بالغيب وكان كما اخبر ... لن تفعلوا لانهم لو تمنوا لنقل ذلك واشتهر فان التمني ليس من فعل القلب ...
بلسانه ليت لي كذا ... لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمين في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو
لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة من وجد بمعنى علم المتعدي الى المفعولين ومفعولاه هم واحرص ...
الضمير المتصل المنصوب ... وتنكير حياة لانه اريد نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزايدة ... احرص الناس على ان
عاشوا ما عاشوا على ان يزدادوا الحياة في الماضي ... في المستقبل فان الانسان لا يوصف بالحرص على شيء الا اذا لم يكن ذلك
موجودا له حال وصفه بالحرص عليه ... ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فان معنى احرص الناس احرص من الناس كما
قال كثير من المحققين والاصوب ان يقال احرص من باقي الناس فانه بعض من المضاف اليه ...
...
بالجزاء والمشركون ينكرونه ... فلا يستبعد حرصهم عليها ...
معترفين بالعاقبة ... اعظم التوبيخ ويجوز ان يراد ...
... يود احدهم لو يعمر الف سنة ...
كما في قوله ...
حذف الموصوف ...

وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
قول الاعاجم زي هزار سال لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان القياس لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود
احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن والف سنة ظرف وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل
بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه او هو مبهم و
ان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون
والزحزحة التبعيد والانجاء مكرر الزح وهو الجذب بعجلة وعن ابي عمرو بمزحزحه بسكون الهاء وفتح عبد الله بمزحزحه و
الله بصير بما يعملون فيجازيهم والبصير ذو بصر والبصر قوة تتعلق بالمبصرات فيدرك ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم
ولا على طريق تأثر حاسة ولا يلزم من قدمها قدم المبصرات كالعلم والقدرة فانه من قدمها لا يلزم قدم المعلومات والمقدورات
والحدوث انما هو في التعلقات وسياتي لهذا زيادة تقرير في تفسير السميع قرا الحسن والاعرج تعملون بالتاء قل من كان عدوا
لجبريل من شرطية حذف جوابها تقديره فليمت غيظا فانه نزله نزل ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلعم وسأله
عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبرائيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا
يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امر الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقيل دخل عمر مدراس اليهود
يوما فسالهم عن جبريل فقالوا هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما كان عدو الاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبرائيل قد سبقه
بالوحي فقال النبي صلعم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقوله لانتم اكفر من الحمير اي جهلا
وبلادة لان الكفر نتيجة الجهل والبلادة فالحمار مثل فيهما وقال الميداني في قولهم اكفر من حمار هو رجل من عاد يقال له حمار ابن مويلع كان له واد
طوله مسيرة يوم في عرض اربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب اخصب منه فخرج بنوه يتصيدون فاصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر
فقال لا اعبد من فعل هذا وقع سهوا ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله فاهلكه الله واخرب واديه فضرب به
المثل فيجوز ان يكون الحمير عبارة عنه وعن قومه الذين كفروا وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبريل بوزن
سلسبيل وهو قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة وهو قراءة ابن كثير وجبرئل بوزن جحمرش قراءة عاصم وجبريل
بوزن قنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل وجبرال بلام شديدة وجبرين
ومنع صرفه للعجمة والتعريف قال ابو امامة قال رسول الله صلعم اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن
وعنه عليه السلام ان اقرب الخلق الى الله عز وجل جبريل وميكائيل واسرافيل وهم من الله بمسيرة خمسين
الف سنة وعنه عليه السلام انه قال لجبريل هل رايت ربك فانتفض جبريل وقال يا محمد بيني وبينه سبعون حجابا من نور لو دنوت
من بعضها لاحترقت وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم ان الله خلق اسرافيل منذ خلقه صافا قدميه لا يرفع بصره
بينه وبين الله تبارك وتعالى سبعون نورا ما منها من نور يدنو منه الا احترق فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن
اي بالقصد قبل الذكر دلالة على فخامة شان صاحبه واشارة الى ان القران متعين لتعلق التنزيل اليه لا يحتاج الى التصريح
بذكره ولا يذهب الوهم الى غيره فاكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمك فان معنى التنزيل

المسند الى جبريل هو التحفيظ والتفهيم كانه جعل نازلا بالقلب لا فيه والا فالمنزل حقيقة هو الله تعالى وكان حق الكلام ان
يقال على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
بامره وتيسيره حال من فاعل نزل جزاء وانه مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين والمنصوبات الثلث
احوال من مفعول والظاهر ان قوله فانه نزله جزاء للشرط والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما
من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي او فلا وجه لمعاداته لانه نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فحذف الجزاء و
اقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقران
ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له وقيل التقدير من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه
نزله على قلبك ونحو هذا قوله وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وافراد الملكين بالذكر للدلالة على فضلهما
وانهما لما بلغا في الفضل حتى كانهما من جنس اخر غير جنس الملائكة فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات
كما قال ابو الطيب فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال لان المسك لا يعد من الدماء لخصلة التي
لا توجد في الدماء وقرأ نافع ميكائل بوزن ميكاعل وابو عمرو وعاصم ويعقوب ميكال بوزن قنطار وقرئ ميكائيل كميكاعيل
وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل وانما وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان الله تعالى انما عاداهم لكفرهم وتنبيها على ان من عادى
احدهم فقد كفر وان عداوة الملائكة والانبياء كفر والمعنى من عادى احدا من الملائكة والرسل فقد عاداه الله وعاقبه العقاب
الاشد للكافرين ولقد انزلنا اليك آيات بينات موضحات للحق من الباطل وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من
الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره نزلت في ابن صوريا حين قال
لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها واللام في الفاسقون للجنس والاحسن كونه للعهد اشارة
الى اهل الكتاب لان الآية نزلت فيهم وطرف الكلام في شانهم والوصف بالتمرد انسب بحالهم اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للاستفهام
مراد بها الانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا ولا يخفى ان العطف فيه من قبيل العطف
هو الفعل العامل في كلما وهو نبذه وكلما منصوب على الظرفية اي كل وقت عاهدوا وقد يجعل هذا ومثله من قبيل العطف على الكلام
المذكور وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد
الله مرارا كثيرة وآية مثل هذا الوجه يفيد تساوي الامرين في الوقوع وهو ان الثاني ابعد البعيد بان لا يقع ليحصل علو ما بعد
كما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقول الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين
املح وقد دلت عليها ههنا القرينة وهي قوله بل اكثرهم لا يؤمنون ترقيا الى الاغلظ فالاغلظ وقرئ عوهدوا وعهدوا اليهود
موصوفون بنقض العهود ونبذه وقيل اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج كفروا به ولما ذكرهم رسول الله ما اخذ
الله عليهم من الميثاق وعهد اليهم في محمد ان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد شيئا فانزل الله تعالى هذه الآية نبذه
على فكما قرئ نبذه اي نقضوا من المعاهدين بحيث لم ينقضه نبذه فريق منهم نقضه وقرأ عبد الله نقضه واصل النبذ الطرح
لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة والقران المنزل عليهم او بالتوراة وليسوا من الدين في
شيء فلا يعدون نقض العهد ذنبا ولا يبالون به وهذا رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به

خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله يعني
التوراة لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالمعجزات وقيل كتاب الله
القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني علمهم به رصين ولكنهم كابروا
وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه شبه حال الكتاب في تركهم إياه وإعراضهم عنه وقلة التفاتهم إليه بحال
الشيء المرمي به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه ثم استعير له ما كان مستعملا هناك وهو النبذ وراء الظهر وعن الشعبي كان بين أيديهم
يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه وتفسير النبذ على
القولين الأخيرين فيما إذا أريد بكتاب الله التوراة وفي قوله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله [illegible] برصين وتقييد العلم بصانه
علمهم ووضع المظهر موضع المضمر حيث قال من الذين أوتوا الكتاب ولم يقل منهم [illegible] دلالة على أن جل اليهود أربع فرق
فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم بقوله بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ
عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم
الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون المرادون بقوله كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو
الشياطين عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعبذة التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الإنس أو من الجن
والإنس [illegible] الشياطون قال أبو [illegible] على [illegible] مثل المسلمين والمسلمون [illegible]
والمساكين [illegible] وقال ابن [illegible] تذهب به العرب [illegible]
اللام في الأصل شيطان [illegible] الشياطون [illegible]
على ملك سليمان أي عهد ملكه [illegible]
أي [illegible] وزمانه وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى
الكهنة وهم قد دونوها في الكتب ويعلمون الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وإن ملك سليمان تم بهذا
العلم وأنه تسخر به الجن والإنس والريح التي تجري بأمره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد
السحر والعمل به والتعبير عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيا كان معصوما منه ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به إغواءهم وإضلالهم والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب
إلى الشياطين مما لا يستقل به الإنسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط في التضام والتعاون
وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه [illegible] وقيل كل ما لطف مأخذه [illegible]
[illegible] التمويه والتخييل ولوجود حقيقته عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

القصة ببابل ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل قال ابن مسعود بابل أرض الكوفة [illegible] بلد بسواد الكوفة
[illegible] العراق حيث [illegible] الألسن [illegible] هاروت وماروت عطف بيان للملكين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت
منهما فمحكي عن اليهود [illegible]
[illegible] بكسر اللام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وايضا السياق يدل على ان متعلق يعلمون هو بئسما شروا به انفسهم لانا نقول [illegible] فوائد اهمها واحد منهما [illegible] بما اشتروا وعدم
تعلق نفع به في الآخرة وترتب نصيب عليه وجواب لو محذوف اي لامتنعوا من تعلم السحر والانبار [illegible] او لكان خيرا لهم ومن الغريب
ما يقال ان قوله يعلمون جواب لو [illegible] كان محذوف اي لو كانوا يعلمون بعلمهم ونظيره في الاثبات والنفي قوله وما رميت اذ رميت حيث اثبت له
الرمي لا يعقل صدوره عنه ظاهرا ونفاه عنه حيث بلغ من التأثير حدا لا يبلغه رمي البشر ولذا قال ولكن الله رمى وقوله وان نكثوا ايمانهم الآية
حيث اثبت لهم الايمان بدلالة الاضافة اليهم وايقاع النكث عليها ثم نفاها بقوله انهم لا ايمان لهم من جهة عدم الاعتداد بها بناء على عدم وفائهم بها
وقيل الآية الاولى التي نحن في صددها من امثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم بناء على ان قوله
لو كانوا يعلمون معناه لو كان لهم علم بذلك الشراء لامتنعوا منه لكن ليس لهم علم به فلا يمتنعون وهذا هو الخبر الملقى اليهم لان هذا الكلام يلوح
عليه اثر الاجمال او على ان قوله ولقد علموا الآية القي اليهم مع علمهم به لان هذا الخطاب للنبي واصحابه ولا دليل على كونهم عالمين به وفيه نظر
لان كونها من الامثلة غلط وليس في الكلام القاء هذا الخبر اليهم وانما القصد الى اثبات العلم لاهل الكتاب وجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم
كانهم منسلخون عنه وقيل المثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب من غير تحقيق
ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا الله بترك المعاصي التي هم عليها من نبذ كتاب الله واتباع كتب السحر والاشارة على انفسهم لمثوبة من عند الله
خير وليست الاسمية جواب لو كما زعم بعضهم اما لفظا فلاتفاق النحاة على انه لا يكون الا فعلية ماضوية واما معنى فلان خيرية المثوبة
لا يتقيد بايمانهم واتقائهم ولا ينتفي بانتفائهما فالاولى ان الجواب محذوف اي لاثيبوا ومثوبة من الله خير مما اشتروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة ويدل عليه قراءة ابن السماك لمثوبة بالنصب وانما نكر المثوبة [illegible] ولم يقل
لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب خير كقوله ورضوان من الله اكبر وقيل لو هنا ليس للشرط بل للتمني على سبيل المجاز عن
ارادة الله ايمانهم لان التمني على الله محال [illegible] لا يقع واما نحو القائلون باستحالته فلا يجوز عندنا حملها على التمني الحكاية على معنى
انهم بحال يتمنى العارف ايمانهم واتقائهم تلطفا عليهم وجملة لمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة والقاسم للجزاء ثوابا
ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وتأن بنا حتى نحفظ ونفهمه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين
راعنا افترصوه وخاطبوا به النبي عليه السلام يعنون به تلك المسبة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام فنهي المؤمنون عنها وامروا
بما هو في معناها وهو انظرنا بمعنى انظر الينا وانتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج [illegible] اي لا تقولوا حمقا ولا تقولوا قولا ذا حمق
الاخفش اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن وتامر اي ذو درع وذو لبن وتمر وانما كانت تلك الكلمة ذو رعن
اي حماقة لانها صارت سببا للسب [illegible] ان سب النبي عليه السلام حماقة وفي اللغة [illegible] والتوقي عليها وفيه المنع من ان يتجاوز الشيء
من موضعه الذي وضع به واسمعوا واحسنوا سماع ما يلقي الرسول عليكم من العلم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الطلب مراعات
او واسمعوا سماع قبول وطاعة لا كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه [illegible]
اي اسمعوا ما امرتم به من قوله تعالى قولوا انظرنا وقوله لا تقولوا راعنا فانا امرنا بترك هذه الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا
يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت

وللكافرين

وللكافرين عذاب اليم يعني اليهود الذين تهاونوا بالرسول وسبوه عذاب اليم ووصف العذاب بالاليم مجاز اذ الاليم حقيقة هو المعذب
وقيل انه من قبيل الاسناد الى المصدر مثل جد جده وليس كذلك وانما يكون مثله لو قيل الم اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولهذا يستعمل
في كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
وقرأ الاعمش وابن ابي عبلة ولا المشركون عطفا على الذين كفروا ان ينزل عليكم من خير من ربكم ومن الاولى مزيدة لاستغراق الخير لانه
نكرة في سياق النفي بالواسطة حيث وقع فاعلا لينزل وهو مفعول يود المنفي [illegible] فهم [illegible] من الاستغراق فتفيد زيادة
في العموم وتاكيدا وليست [illegible] ومن الثانية من ربكم لابتداء الغاية وفسر الخير بالوحي [illegible] والمعنى انهم يرون انفسهم احق
بان يوحى اليهم فيحسدونكم بالوحي وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه [illegible] والله يختص برحمته
بالنبوة من يشاء اي يجعله متفردا بالرحمة لا يرحم بها سواه [illegible] فيستنبئه ويعلمه الحكمة [illegible] ولا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه
من حكمته وفي وضع المظهر موضع المضمر في قوله والله يختص حيث وضع لفظ الله موضع ضمير ربكم اشعار بان تخصيص بعض الناس بالنبوة
دون بعض مناسب للالوهية كما ان انزال الخير على العموم ملائم للربوبية ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود
الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا والنسخ في اللغة الازالة يقال نسخت
الشمس الظل ازالته والنقل يقال نسخت الكتاب اي نقلت ما فيه الى آخر ونسخت النحل نقلتها من موضع الى موضع ومنه المناسخات في المواريث
وفي الشرع عبارة عن ان يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي مقتضيا خلاف حكمه وقد يطلق على [illegible] وقد يطلق على فعل الشارع
وبالجملة النسخ بيان [illegible] في علم الله تعالى وتبديل بالنظر الى علمنا [illegible] فهو عندنا كالقتل بيان للاجل
في حق [illegible] وهو جائز في احكام الشرع عندنا خلافا لليهود فعند بعضهم بالباطل نقلا وعند
بعضهم عقلا ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب [illegible]
[illegible] وقرئ ما ننسخ من آية [illegible] ما ننسخ بضم النون [illegible]
او جبريل بنسخها وقرأ ابن كثير وابو عمرو او ننسأها اي نؤخرها [illegible] وقرئ ننسها وننسها بالتشديد [illegible]
الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها [illegible]
وتشديد السين [illegible] او تنسها بالتاء [illegible]
نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة [illegible]
بالآية على [illegible] نسخ الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والآية دلت على جواز النسخ [illegible]

اما الاول فلان الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة واما الثاني فلان الايات نزلت والاحكام شرعت لمصالح العباد
وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره
واستدلت بها المعتزلة على حدوث القرآن حيث قالوا النسخ هو رفع او انتهاء ولا شيء منهما متصور في القديم لان ما
ثبت قدمه امتنع عدمه وبقوله اذ قال ربك للملائكة واذ ظرف زمان ماض فيكون قوله الواقع في هذا الظرف
مختصا بزمان معين والمختص بزمان معين محدث وبقوله حتى يسمع كلام الله وبقوله انا انزلناه الى غير ذلك مما يدل على الحدوث
والجواب عن هذا الوجه انها تدل على حدوث اللفظ وهو غير متنازع فيه الم تعلم الخطاب للنبي عليه والمراد هو وامته لقوله
وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ان الله له ملك السموات والارض لا لغيره اعتقد علمت قطعا ويقينا بالعقل والوجدان ان الله
يختص به ملك العالم خلقا وعلما فيتصرف في ملكه كيف يشاء وهذا بمنزلة الدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فهو يملك اموركم ويجريها على ما يصلح لكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من
ناسخ ومنسوخ الولي قيل معناه الحافظ والولاية اي النصرة فمعناه المحب الناصر وقيل المتولي للامر القائم به والنصير مبالغة في
النصرة ومعنى نصرته انه يمنع اعداءه وينصر اولياءه قال تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقيل
الفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه هذا
ليس بمناسب للمقام جدا لان الكلام في ولاية الله ونصرته ولا يتصور الضعف هنا لكنه لافادة التعميم ولا تغير في ذات الله وصفاته
ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل والمعنى انه تعالى لما بين انه هو مالك الامور كلها ومدبرها ورد على اليهود
طعنهم في النسخ وهم الخطاب للكل بقوله الم تعلم اراد ان يوصي المسلمين بالثقة بالله فيما ينزل عليهم من الآيات والاحكام وان لا يقترحوا
على رسولهم ما اقترحته اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم ارنا الله جهرة اجعل لنا الها وغير ذلك وانما ذكر
التوصية بلفظ ام المنقطعة بمعنى بل والهمزة الانكارية مبالغة في النهي كانهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال
يعني ان من شأن العاقل ان لا يتصدى للارادة فكيف ذلك وقوله كما سئل موسى بلفظ المجهول ترشيح لهذا المعنى اذ [illegible] هذا
السؤال الحقيق بان ينهى عن ارادة المقال والاوفق للمناسبة ان يشبه سؤالهم بسؤالهم وسؤال نبينا عليه السلام بسؤال موسى عليه السلام
على المصدر المبني للمفعول ويحتمل ان تكون ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما
اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء
وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن [illegible] انه قال ان رهطا من كفار قريش فيهم ابو جهل فقالوا يا رسول
الله صلعم ان كنت نبيا فاكشف عنا الغطاء زيادة جهرة فنزلت ام تريدون وعن الزهري ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وعن
ابي جعفر والاعمش كما سيل بضم السين وكسر الياء غير مهموز ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات المنزلة
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تسألوا [illegible] الاشياء التي سألها
موسى ولا تقترحوا فتضلوا سواء السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقد عرفت مما ذكرنا ان ما
كما سئل على وجهين احدهما ان تكون مصدرية في موضع المفعول المطلق والثاني ان تكون موصولة وكما في موضع المفعول [illegible]
سؤال الاشياء التي سألها موسى ود كثير من اهل الكتاب روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل

ونحن

ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا
فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول
الله صلعم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت ود كثير الاية لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا
علة ود من عند انفسهم متعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم من قبل شهوتهم لا من قبل
التدين والميل مع الحق او متعلق بحسدا وجوابه ان يكون مستقرا صفة له اي حسدا كائنا من عند انفسهم بمعنى منبعثا من اصل نفوسهم
والفرق بين الحسد والغبطة ظاهر فان الاول ارادة العدم والثاني ارادة الوجود من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
في التورية وقرأ زيد بن علي من بعد ما تبين لهم فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الا
الاذن في قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف قيل فيه نظر اذ الامر
غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم بالصبر والمخالفة
والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما وقرئ تقدموا من اقدم قرأ
ويدعى على ما تقدموا بالقاف تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا
البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وابصاره متعال عن ان يكون بآلة وانطباع وفي تحقيقه سبيل ذلك
ان شاء الله تعالى وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ذكر الفريقان
على الاجمال بالضمير العائد اليهما وهو في قالوا ثم ذكر ما لكل منهما اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين الفريقين او القولين اجمالا لعدم الالباس والثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
او [illegible] معنى للعلم بتضليل كل فريق صاحبه واعتقاده ان داخل الجنة هو لا صاحبه ونحوه قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى
فان قيل اللفظ بطريق الجمع كان المناسب ان يكون النشر كذلك لان رد السامع يقول لكل فريق [illegible]
وكذلك [illegible] احدهما ويجيب بان مقول الجميع [illegible] دخول الفريقين بل دخول احدهما لكن بعضهم [illegible]
وبعضهم [illegible] وهو جمع هائد [illegible] وتوحيد الاسم المضمر كان [illegible]
[illegible] الا من [illegible] ابن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا [illegible]
[illegible] لن يدخل الجنة [illegible] لن يدخل الجنة [illegible] اشارة الى الاماني [illegible]
[illegible] اشارة الى [illegible] الا من [illegible] اماني [illegible]
والامنية [illegible] والجمع باعتبار [illegible] البرهان [illegible]
وهو مشتق من البره [illegible] اشتق السلطان من السليط [illegible] برهان [illegible]
بدخول الجنة وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى [illegible] البرهان [illegible]
ليست الامة [illegible] ان كنتم صادقين في دعواكم [illegible]
في معرض [illegible] لن يدخل الجنة [illegible] من اسلم وجهه لله [illegible]
واصل الجزء [illegible] النفس [illegible] الذات [illegible] فيضيع [illegible]
[illegible] ان كانت شرطية [illegible]

ان يكون من فاعل فعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الدنيا والقبور والاخرة فيبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
اى على امر يصح ويعتد به قالوا هذه مبالغة عظيمة لان المحال لا يقع عليه اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء على ما هم عليه فقد بولغ في تركه الا
عتداد بالحد الذي بعد حد وهذا كقولهم اقل من لا شيء واطلاق لفظ الشيء على المحال مبني على تفسير المنقول عن سيبويه وهو ما يصح
ان يعلم ويخبر عنه نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم وتقاولوا بذلك فكفرت اليهود
بعيسى والانجيل وكفرت النصارى بموسى والتورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك والحال انهم من اهل العلم والكتاب
كذلك مثل ذلك الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون الكتاب مثل الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قوم الذين لا يثبتون
الصانع وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء اجيب بانهم لم يقصدوا ذلك وانما قصد
به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين اليهود والنصارى
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقال الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد
الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزلت في الروم لما غزوا اهل بيت المقدس وخربوه ومنعوا الناس ان يصلوا
فيه وقتلوا وسبوا واحرقوا التورية او في المشركين لما منعوا رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان خصوص السبب لا يستلزم
خصوص الحكم والحديبية بتخفيف الياء الاخير وقد تشدد موضع قريب من مكة ونحوه قوله من قائل وقيل لكلاهما مرة والمنزول فيه الخفيف
شريف وقرا الضحاك مسجد الله كانه اراد مسجد بيت المقدس ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع يقال منعته الشيء ومنعته عنه ومنه ويجوز ان يحذف
حرف الجر مع ان قياسا مطردا او كان يجعله مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر فيها اسمه قيل فاذا جعل مفعولا له فالمفعول الثاني محذوف
اى العارفين بها او العبادة فيها ونحو ذلك وقيل هو يكون مساجد الله ممنوعا عنها والمفعول الاول محذوف اى منع الناس عن المساجد كراهة ان
يذكر فيها اسمه قال على هذا لو جعل بدلا عن مساجد الله بلا تقدير بدل الاشتمال لكان اظهر وقال القايل الاول وقيل الاول محذوف اى منع الناس
مساجد الله بلا تقدير عن ثم قال وليس تقدير الكراهة من جهة ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل مقارنا له فيصح حذف اللام لانه جائز مع ان وان
بدون ذلك بل من جهة ان المفعول له اما غاية يقصد بالفعل حصوله او باعث يكون علة للاقدام على الفعل والذكر في المستقبل لا يليق ان يكون
منها واما الباعث كراهة الذكر وقد يقال ان ذكر الارادة او الكراهة في امثال هذه المواضع بيان للمعنى والتحقيق انها على حذف المضاف
فان قيل اليس الشرك اظلم ممن منع مساجد الله اجيب بان المانع من ذكر الله تعالى في خراب المساجد لا يكون الا كافرا مبالغا في الكفر لا اظلم
منه في الناس او المراد من المانعين الكفرة لان الكلام فيهم لكن يحمل على عموم الكافر المانع وتخصيص المانعين الذين فيهم نزلت الاية كما صرح
بعموم المساجد مع نزول الاية في مسجد خاص وهو بيت المقدس والمسجد الحرام وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل وانقطاع الذكر فيها
اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها
او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها او يمنعوا المؤمنين
منها او المعنى ما كان الواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في علم الله وقضائه يعني ان الله كتب في اللوح وحكم ان ينصر
المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده فانه
لا يدخل بيت المقدس احد من اليهود والنصارى الا متنكرا مسارقة وقد روى انه كذلك في زمان احد وقيل نادى رسول الله صلعم الا
لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرى بعد ذلك الا خيفا وهو شاذ وقيل ان اللفظ وان كان في صورة الخبر

فهو

فهو في معنى النهي عن تمكين الكفرة من الدخول والتخلية بينهم وبين المسجد الحرام كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله واختلف
الائمة في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب
الجزية وقيل الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ومنعهم عن الطاعة ولله المشرق والمغرب
اى بلاد المشرق والمغرب اى له الارض كلها لا يختص به بلد دون بلد فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا ومن
الضحاك ولله المشارق والمغارب فاينما تولوا ففي اى مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة وذكر ان اين ظرف لا مفعول به فمفعول
تولوا محذوف ولا دلالة للكلام على جواز التوجه الى اى جهة كانت فثم وجه الله اى جهته التي امر بها ورضيها فان امكان التولية لا يختص بمسجد
او مكان او فثم ذاته التي هي قبلتكم الحقيقية اى عالم مطلع بما يفعل فيه وعن ابن عمر رضه نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وكان
رسول الله صلعم يصلي على راحلته حيث توجهت به وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا
وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر لم يرد الصلوة ومن جعل الاية نازلة في صلوة المسافر اي حيث كانت او حملها على التولية للدعاء
دون الصلوة لم يقصد التولية مفعولة لكن لا يبقى لظرفية اينما كثير معنى فلا وجه لحمله على الجهة المتوجهة اليها بمعنى اى جهة توجهوا وجوهكم على ان
يكون مفعولا به اذ هو لازم الظرفية لكن استوى اينما توجهوا بمعنى اى جهة توجهوا شايع ذايع وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود
ان يكون في حيز وجهة وقرا الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وفي حرف ابن مسعود فثم وجه الله بغير فاء ان الله واسع
عليم واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها واسع من السعة وهي تضاف مرة الى العامل اذا
اتسع واحاط بالمعلومات واخرى الى الانعام اذا عم فالله تعالى احق بان يسمى به اذ لا نهاية لمعلوماته ولا نهاية لنعمه وفي الاية فعل الواسع للمطلق
وقالوا اتخذ الله ولدا الضمير لمن سبق ذكرهم من الكفرة فانها نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله والمشركون الملائكة
بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو لما عطف على قالت اليهود او منع ومفهوم قوله من اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه
تنزيه له عن ذلك وتبعيد فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام
العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده و
المعنى انه خالق جميع ما فيهما ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم عن تكوينه ومشيته ومن كان
بهذه الصفة لم يجانس شيئا فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس الوالد ويكون من جنسه وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون
على تغليب اولي العلم تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ونحوه قوله سبحان ما سخركن لنا وقيل ان لما في السموات
والارض اشارة الى مقام الالوهية والعقلاء فيه بمنزلة الجمادات وكل له قانتون اشارة الى مقام العبودية والجمادات فيه بمنزلة العقلاء فان
قيل قد سبق ان ما يعم العقلاء وغيرهم فكيف قطعت القول بانه لغير العقلاء اجيب بان ذلك انما هو في موضع الابهام واذا اوقع القيود فهي
ومن تنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما وانما لم يقدر المضاف اليه الجنس كل احد على احوال الشايع في كل احد ان مثله لا يكاد
قانتون بلفظ الجمع ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له قانتون مطيعون مقرون بالعبودية منكرون لما اضافوا اليهم فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة قال بعضهم الاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك
وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع ومعه نظير
بناء السميع في قول عمرو بن معدي كرب امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر لانه لا يجيء لكنه على الاستشهاد بالبيت على
الشاذ لا يصح القياس عليه ان ثبت والاشتقاق من بدع الشيء فهو بديع نحو بزع الرجل فهو بزيع او ظريف ذلك قيل وهو

وهو حجة رابعة وتقريرها ان الولد عنصر الوالد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون له ولد والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو
تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير
في له ومنصوبا على المدح فاذا قضى امرا اي اراد شيئا كقوله انما امرنا اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والقضاء في التحقيق
اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي حكم او فعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن
واتقن امرهن واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون ذهب
اكثر المفسرين منهم الشيخ الامام علم الهدى ابو منصور رضي الله عنه الى ان هذا الكلام مجاز عن سرعة الايجاد وسهولته
على الله تعالى وكمال قدرته تمثيلا للغائب بما هو اظهر قد تم المراد بالشاهد عن امر المطاع للمطيع في حصول المامور من
غير امتناع ولا توقف ولا افتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس ههنا قول ولا كلام وانما وجود الاشياء بالخلق
والتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وذهب بعضهم الى انه حقيقة وان الله تعالى قد اجرى سنته في تكوين الاشياء ان
يكونها بهذه الكلمة وان لم تمتنع تكونها بغيرها والمعنى يقول له احدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد هو الكلام النفسي
المنزه عن الحروف وعن الاصوات لا الكلام اللفظي المركب منهما لانه حادث فيحتاج الى خطاب آخر ويتسلسل ولاستحالة قيام
الصوت والحروف بذاته تعالى وعلى المذهبين اي سواء كان قوله كن فيكون مجازا او حقيقة يكون الوجود والحدوث مرادا
من هذا الامر اعني امر كن اما على المذهب الثاني فظاهر لان معناه احدث فيحدث اي كلما وجد الامر بالوجود تحقق الو
الموجود عقيبه واما على المذهب الاول فلانه جعل الامر قرينة الايجاد ومثل سرعة الايجاد بالتكلم بهذه الكلمة وترتب
المامور به عليها فلو لم يكن الوجود مقصودا بالامر لما صح هذا التمثيل لعدم الجامع اكد بعضهم عن بقوله اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون استبعاد الولادة المدلول عليه بقوله سبحانه وفيه تقرير لمعنى الابداع واشارة الى حجة خامسة وهي
ان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل هو ان اتخاذ الولد يكون باطوار
ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك والسبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى
باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد
به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي
جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة
وكلم موسى او يوحي الينا بانك رسوله استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية حجة على صدقك جحودا لان يكون ما اتاهم من الله آية
آيات واستهانة بها وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم السالفة مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد كقوله اتواصوا به وقرئ بتشديد الشين قال ابو
حاتم لا يجوز لانه يصير تتشابهت والتشديد [illegible] قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي ايقانا عن الانصاف انها آيات
يجب قبولها واذعانها والاكتفاء بها عن غيرها فان تحقق الايمان بدون اذعان وقبول بلا استكبار وبالنفس ايمان وقيل
يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او
لطلب مزيد يقين وانما قالوه عنادا او استكبارا فانهم تيقنوا انها آيات واجبة القبول لكن لم يذعنوا عتوا وعنادا انا

ان

انا ارسلناك بالحق ملتبسا او مقترنا بالقرآن او بالصدق او بالاسلام او بالعدل بشيرا ونذيرا اي مبشرا ومنذرا لا مكرها
على الايمان فلا يضيق صدرك باصرارهم ومكابرتهم وتصميمهم على الكفر ولا يخفى ما بين التسلية والتسرية وقال الطيبي اي مبشرا
للمؤمنين بالثواب ومنذرا للكافرين والعصاة بالعقاب ولا يخفى ما فيه من الرد على من زعم ان فعيلا بمعنى مفعل ليس بثابت
ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله تعالى فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي ما فعل بهما والطيبي انتهى وهو
نهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن
الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه
ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأله وتؤيد القراءة الاولى قراءة عبد الله
لن تسأل وقراءة ابي وما تسأل لانهما خبران كما انها خبر بخلاف قراءة الثانية فانها نهي وتنصرها قراءة الاعرج ولا تسأل بضم التاء و
جزم اللام والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم
انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى كلامهم عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان
هدى الله هو الهدى اي ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه فانه الاهواء بدليل قوله ولئن اتبعت
اهواءهم اي آراءهم الزائغة التي هي اهواء وبدع والهوى رأي يتبع الشهوة والهوى في الاصل ميل النفس الى الشيء ثم قيل لما تميل اليه النفس
قال الواحدي الهوى ميل الطبع الى الشهوات [illegible] الشرع وصاحب الهوى هو المبتدع المائل الى ما يهواه فاهل الدين و
كثيرا ما يتادى الى الكفر والعياذ بالله وصح انه قال النبي صلى الله عليه وسلم ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وقد سئل عليه السلام اي الجهاد
افضل فقال الجهاد ان تجاهد هواك وفي الآية دلالة على ان اتباع الهوى يورث الخذلان من الله كما قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ومن ههنا اتفقت كلمة اهل الحق قاطبة على ان صاحب الهوى [illegible] كالروافض
والخوارج والمعتزلة والمجسمة لا تقبل روايته [illegible] واعلم ان الناس في الهوى على ضروب
منهم من يغلب الهوى عليه بحيث يملكه ولا يقدر ان يخالفه وهم الاكثرون كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
ومنهم الذين قال فيهم [illegible]
جميع اوقاته [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة تقسيم والمقصود منهما واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما وقيل اختبره باوامر ونواه
واختبار الله عبده لا يكون بطريق الحقيقة لان الاختبار حقيقة انما يصح فيمن خفي عليه العواقب بل هو مجاز على طريق التمثيل شبه حال الله
مع العبد في تمكينه من الامرين الطاعة والمعصية وارادة الطاعة فيه بحال المختبر مع المختبر ثم عبر عنها بالاختبار كانه يمتحنه ليعلم اي
شيء يفعل حتى يجازيه على حسب ذلك وقد يقال انه مجاز باعتبار اطلاق الفعل على ارادة ما هو غاية منه وهذا ما قال الراغب ان
الابتلاء والبلاء يتضمن امرين تعرف ما يجهل من امره وظهور جودته ورداءته وربما قصد الامران وربما قصد احدهما واذا
نسب الى الله تعالى فهو للامر الثاني وكانهم لم يجعلوه من ابتلاه الله تعالى بكذا اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه اما لان حمل الاوامر والنواهي
على المكاره وعدها من البلايا ليس بمناسب واما لانه ايضا اختبار فانه قد يكون بالخير وقد يكون بالشر والضمير لابرهيم والاضمار قبل
الذكر لفظا حسن صحيح ولما تقدمه لفظا ومعنى كما لو قيل ابتلى ربه ابرهيم فلا سبيل الى صحته وقرا ابو حنيفة وهي قراءة ابن عباس ابرهيم
ربه برفع ابرهيم ونصب ربه على معنى انه دعاه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه اليهن ام
وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن المستكن فيه يجب ان يرجع الى مفعول ابتلى لان الفعل الواقع مقابلة الاختبار يجب ان يكون فعل المختبر
اسم مفعول اي فاداهن كملا وقام بهن حق القيام من غير تفريط وتوان كقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي فاعطاه
جميع ما دعاه وطلبه لم ينقص منه شيئا ويروى ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنا
واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا قال اني جاعلك للناس اماما استيناف على تقدير ان يكون عامل اذ مضمرا نحو
كان اذكر او نحوه كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب بقوله قال اني جاعلك للناس اماما واما اذا كان العامل فيه قال اني
جاعلك فلا يكون معمولا متاخرا والواو داخلة على قال اني جاعلك عطفا على ما قبله عطف القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله يا بني اسرائيل
اذكروا او بيان لقوله ابتلى وتفسير له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامور الاربعة ليتحقق تعددها للتجرد القول بانه جاعلك
للناس اماما فانها واحدة لكونه دخول الامور الاربعة وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام في خبر قال الخفاء لا يخفى ويشق
انك تعرف ان هذا انما هو على الوجه الاول وعلى قراءة العامة وكون الاستيناف ايضا انما هو عليهما وقد يقال ان جواز البيان مبني على الوجه
الثاني ايضا فانه يجوز في قولك اعطاه حين اكرمه ان يكون اعطاؤه بيانا لاكرامه فكذا في قوله قال اني جاعلك حين ابتلاه هذا وان استقام
من حيث المعنى لكن لا يطلق به يرتفع قال سوى ان يكون جملة معطوفة فلا يكون وجها آخر فليتامل وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق
وهو تفريق شعر الراس الى الجانبين وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد وهو حلق ما حول
الحديد بحلق العانة والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين من شرائع الاسلام بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في القرآن
عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسال سائل من قوله الذين هم في صلاتهم
خاشعون الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون ومن قوله على صلاتهم دائمون الى قوله الذين هم على صلاتهم يحافظون فان قيل المذكور
في السورتين تسعة عشر في المؤمنون وثمانية في سال سائل واذا اسقط المكرر وجعل الدائمون على الصلوة والحافظين عليها والذين هم لفروجهم
حافظون غير الحافظين المذكور المشتمل على ما في سال سائل من الاقارب والاجانب لم يتحقق في كل من براءة والاحزاب عشر لكون
المؤمنين [illegible] بانه يجوز ان يجعل الآمرون ايضا غير الحافظين او يجعل الراعون الامانات والعهد اثنين ليتحقق في السورتين احد عشر
وبراءة والاحزاب تسعة عشر [illegible] الثلثين لكن لا يبقى حرف في براءة والاحزاب عشر وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام

والتعريف

والتعريف وغيرها وقيل ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر والختان وذبح ابنه والنار والهجرة وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام
اسم من يؤتم به اسم الآلة فان فعالا من صيغ الآلة كالازار والرداء وغيرهما وامامة ابرهيم عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف في جاعلك فان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال ومن تبعيضية كانه قال وجاعل
بعض ذريتي كما يقال لك ساكرمك فتقول وزيدا اي وتكرم زيدا وهذا يسمى بعطف التلقين لا انه يريد تلقينه ذكره والذرية نسل الرجل
فعلية او فعولة قلبت واوها الثالثة ياء كما في تقضي من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي
بكسر الذال وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة
الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر قبل
البعثة وعلى ان الفاسق لا يصلح للامامة ووجه دلالة الآية على ان الظالم لا يصلح للامامة والخلافة ابتداء ظاهر واما انه لا يصلح لذلك بحيث
ينعزل بطريان الظلم فانه قد ظهر الظلم وانتشر الفسق من الايمة والولاة والامراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون
لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم لان العصمة ليست بشرط للامامة ابتداء فبقاء اولى وعن الشافعي ان الامام ينعزل بالفسق
والجور وكذا كل قاض وامير فان الفاسق ليس من اهل الولاية عند الشافعي لانه لا ينظر لنفسه كيف ينظر لغيره وعند ابي حنيفة من اهل
الولاية حتى يصح للاب الفاسق تزويج ابنته الصغيرة والمسطور في كتب الشافعية ان القاضي ينعزل بالفسق بخلاف الامام والفرق
ان في انعزاله ووجوب نصب غيره اثارة الفتنة لما له من الشوكة بخلاف القاضي وفي رواية النوادر عن العلماء الثلثة انه لا يجوز
قضاء الفاسق وقال بعض المشايخ اذا قلد الفاسق ابتداء يصح ولو قلد وهو عدل ينعزل بالفسق لان المقلد اعتمد عدالته فلم يرض بقضائه
بدونها واجمعوا على انه اذا اخذ القاضي القضاء بالرشوة لا يصير قاضيا ولو قضى لا ينفذ قضاؤه واذا ارتشى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت والبيت اسم غالب على الكعبة كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا
يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم فان الزوار يثوبون اليه باعيانهم وانفسهم او بامثالهم واشباههم ومن يقوم مقام انفسهم الخلف
ان الزائر ربما لا يثوب لكن يصح اسناد الثواب الى الكل لاتحادهم في الاسلام وقصد الحج والعمرة والاتحاد بالجنس [illegible]
فضلا من التوبة او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد
وامنا وموضع امن كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم لا يامن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او
يامن الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج والاحتفاء [illegible] بكون آمنا اسم فاعل مجازا لان الآمن هو الساكن والملتجئ وكذا اذا جعل البيت
قوله آمنا على لفظ المصدر بمعنى اسم الفاعل او جعل البيت لفرط الامن عنده كانه الامن نفسه نحو انما هي اقبال وادبار على
الاول فالمجاز واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو عطف على
المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا ولعل الخطاب للامة وهو امر ورد على وجه
الاستحباب دون الوجوب بدليل الاثنين على جواز الصلوة والتولية شطر المسجد الحرام في انه كان تفوق من غير تفرق بين الكعبة
وغيرها ونزول الآية بعد سوال عمر رضي الله عنه يحب ان يؤثر بالصلوة فيكون الاجماع [illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر فقال
هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره بالصلوة فيكون كما بدر [illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم اؤمر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر انه عليه السلام لما [illegible] مشى الى مقامه حتى اذا
فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى [illegible] واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان [illegible]

اسلم

عطف التلقين

والموضع

الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم وقيل مقام ابرهيم الحرم كله لانه كان اتخذه مقاما ومسكنا حيث
كان اسكن فيه ذريته فعلى هذا القول معنى الامر استحباب اداء العبادات فيه او وجوب التوجه اليه للآفاقي كما في قراءة واتخذوا بلفظ الماضي فانه
ليس بمعنى ان الناس كانوا يصلون فيه بل اليه وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقوله الخليل مقام بضم الميم
الاقامة وقرئ الكعبة بنيان ابرهيم بغير الف في سورة البقرة والحج ابراهيم كل ما في البقرة وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا
بيتي بان طهرا ويحتمل ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يعني طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او
اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده وهم المجاورون الذين اقاموا لا يرجعون او المعتكفين يقال عكف على
الشيء اي اقام مواظبا كالعتف المجاور والمعتكف مقيم مواظب وفيه دلالة على جواز المجاورة وصحتها في المسجد الحرام والواقفين يعني القائمين
في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي قال بعضهم
واما جعله بمعنى الواقفين فكانه عكفوا حول الشيء استداروا والعكف انما يكون بمعنى الوقف المتعدي يقال عكفه يعكفه اي حبسه ووقفه ومنه قوله تعالى والهدي
معكوفا والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن فيكون من باب النسب
كلابن وتامر وعيشة راضية فيمن جعلها بمعنى ذات رضى او بمعنى مرضية اسنادا للمفعول الى الفاعل او آمنا اهله فيكون اسنادا الى المكان مجازا
كما في ليل نائم الى الزمان وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ومن آمن بدل من اهله بدل البعض للتخصيص يعني وارزق
المؤمنين من اهله خاصة قال ومن كفر عطف على من آمن عطف تلقين كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك كانه قال الله وارزق من كفر
ايضا فانه محل وما قيل معناه ان المعنى وارزق من كفر بلفظ المتكلم تقرير المعنى لا تغيير اللفظ والاحسن ان يكون عطفا على المحذوف الحذف
من آمن ومن كفر بلفظ الخبر وجعل في اماما وبعض ذريتي بلفظ الامر فيحصل التناسب فيكون المعطوف والمعطوف عليه مقول واحد او
او مبتدا لتضمن معنى الشرط وقوله فامتعه قليلا اي ومن كفر فانا امتعه وانما قدر المبتدا ليصح الفاء وقرئ فامتعه وقليلا نصب على المصدر
او الظرف فعلى الكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعل مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف
عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرا مجاهد
استعمر بغير فلو وقرا فامتعه على الدعاء وكذلك فمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة على لغة تميم واطره
وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره وقرئ بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابرهيم وضمير قال لابرهيم بعد مسئلة اختصاص المؤمنين بالرزق
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره قال ابن جني وحسن اعادة قال لطول الكلام او الانتقال من دعاء قوم الى دعاء آخرين ويجوز ان يكون ضمير
قال لله اي فامتعه يا قادر يا رازق خطابا للنفس على طريق التجريد ولم يتعرض به كثير منهم لبعده وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء
كما قالوا اطجع وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو عذاب النار
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية كانه قال واذ كان يرفع والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة
غالبة من القعود بمعنى الثبات ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يراد بها سافات البناء اي الصفوف من اللبن والطين لان كل ساف قاعدة لما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها فانه اذا وضع
سافا فوق ساف فقد رفع الساقات وقيل المراد رفعة مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم
لشأنها وليس المراد بعود وتبيينها ان من بيانية بل ابتدائية في موضع الحال من القواعد ويحتمل ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي
استوطأ من جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى خلق

موضع

موضع البيت قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط آدم عليه السلام الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى
فانزل الله البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه
ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك
الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي
ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء
وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وعن ابن عباس انه نزل الحجر
الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم واسمعيل قيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ويشبه ان يكون تقديم القواعد
على عطف اسمعيل اشارة الى هذا وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل
النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا وفيما دله ان الاصل
في العمل النية وفي الحال للمفرد انك انت السميع العليم فقد قيل كثر منهم التسميع بدعائنا والعليم بضمائرنا ونياتنا الترتيب بما قبله وكانه
الا انه يقال انت السميع تسمع دعاءنا والعليم تعلم ضمائرنا وتكرير الضمير بعد انقطاعه لان تاكيده على تاكيد اختصاصه الله
بالسمع المتضمن معنى الاجابة من سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من قوله
اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم واستسلم اذا انقاد وخضع والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وطلب الزيادة فيهما لانا اصلهما
حاصل وقرئ مسلمين بصيغة الجمع على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع [illegible]
ام الكل على البعض [illegible]
حقيقة وقد ذهب بعضهم [illegible]
الجمع عليها [illegible] ومن ذريتنا [illegible] ومن للتبعيض [illegible] بالشفقة والنصيحة [illegible]
واهليكم نارا [illegible]
ذريتهما [illegible]
امة محمد [illegible]
قيل وما كان الانبياء [illegible]
[illegible]
وقرئ [illegible]
منها الناسك [illegible]
[illegible]
[illegible]
ربنا وابعث فيهم [illegible]
كما قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي [illegible] يتلو عليهم آياته
عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم

الهند اليه

مواضع

بقطع

والبعث

عن الشرك والمعاصي ... ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقرئ ويبينها ... ويعلمهم ... ويزكيهم بغير ياء ... وابعث فيهم
يذكر ... انك انت العزيز الحكيم قالوا في اشتقاق العزيز وجوه الاول انه بمعنى لا مثل له ولا نظير من عز الشيء يعز بكسر العين
في المضارع ومنه عز الطعام في البلد اذا تعذر وجوده كانه عز وامتنع وجدان مثله والله تعالى هو الذي يمتنع عقلا ان يكون له مثل ونظير فهو احق
بالعزة وقيل معنى العزيز الذي لا ابتلاء له والاثم ولا يحط عن منزلته ويقرب من هذا التفسير ... ذو الجلال ... التهديد وقيل يعذب
من اراد وقيل عليه ... الثاني انه بمعنى الغالب فانه تعالى هو الغالب الذي يمتنع ان يقهر ويغلب على ما يريد من عز يعز بضم العين في المضارع اي غلب
يغلب الثالث انه بمعنى الشديد من عز يعز بفتح العين اذا اشتد وقوي ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث اي شددنا وقوينا الرابع انه بمعنى المعز فعيل بمعنى
مفعل كالاليم بمعنى المؤلم والبديع بمعنى المبدع على ما هو ... وقيل العزيز هو الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم يجتمع هذه
الثلاثة لم يطلق اسم العزيز عليه واما من اجتمعت فيه فهو العزيز وليس ذلك الا الله تعالى واما الحكيم فقيل معناه ذو الحكمة وهي العلم بالاشياء على
ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي وقيل بمعنى المحكم من الاحكام وهو اتقان التدبير في الاشياء واحسان التقدير لها وقيل هو عبارة عن كونه
تعالى مقدسا عن فعل ما لا ينبغي قال الله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا وقيل الحكيم الذي يكون مصيبا في التقدير محكما في التدبير
وقيل الذي ليس عنده ... ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم اي لا يرغب عن ملته الا من
سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها والمستثنى في محل الرفع على انه بدل من ضمير يرغب لان من يرغب غير موجب للاستفهام في
معنى النفي كقولك هل جاءك احد الا زيد وهذا على الوجه المختار والا فالنصب على الاستثناء محتمل قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم
ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وبطر
عيشه اذ يجوز تعريف التمييز بالاضافة على الشذوذ كما جاز باللام في قوله ... الظهر ليس له سنام وقوله ولا بفزارة الشعر الرقابا وقيل منصوب بنزع
الخافض والمعنى سفه في نفسه كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول نقلا وعقلا اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المقصود من الاية انه من رغب
عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذلال نفسه واهانتها وتحقيرها وتعجيزها لما انه ... كل نفس عاقلة وعن الخليل سفه بتشديد الفاء ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لخطاء راي من رغب عن ملته لان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح والاستقامة
على الخير يوم القيامة لم يكن احد احق بالاتباع منه لا يرغب عن طريقته الا سفيه بالغ في امتهان نفسه وتسفيه وتذليل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
والجملة جواب قسم محذوف فيكون الواو اعتراضية او عاطفة اذ قال له ربه اسلم ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت وتوسيط وانه في الاخرة لمن
الصالحين عطفا على لقد اصطفيناه ... لان ... تقرير وتاكيد له لان اصطفاه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة
ولا حاجة الى ان يجعل اعتراضا او حالا مقدرة او تعليلا له او منصوب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح والمستحق للاتباع المقدم والامام المخلص الذي لا يرغب عن ملته وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين قال له ربه
اسلم واخطر بباله النظر في الدلائل الموصلة الى المعرفة الداعية الى الاسلام والقيام بحمل ... قال اسلمت على ما هو الظاهر ... اذ جاء به
تمام عمره ولان الانسب ... العطف يكون من نمط واذ ابتلى ابرهيم ربه وذلك ترك العطف على الذي من تتمة ومن يرغب لخرج قال اسلمت لرب العالمين قيل
اي نظر وعرف وقيل اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما وقيل اذعن واطع ... اسلم نفسك الى الله وفوض امورك اليه
قال اسلمت اي فوضت قال ابن عباس رضي وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي في النار ... قال له اسلم واسلمت على الحقيقة
اي على ابتداء الاسلام والايمان لان الانبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها ولانه لا يتصور الوجود ... الاستنباء قبل الاسلام روي
ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد
فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت الاية الخ ومن

يرغب

ومن يرغب الخ ووصى بها ابرهيم بنيه الوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه
اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي وليس هذا مرادا هنا بل القول المجرد ووصى مكرم ... اي معناه ... والمعنى وصاهم بكلمة التوحيد
اي ابرهيم بها يقال وصيت زيدا بان يفعل كذا كما يقال امرته بان يفعل كذا او من جهة الاصلاح والديانة ووصيت بينهما بان ... بالعواطف والقرب
وقرا نافع وابن عامر واوصى ... مصحف اهل الحجاز والشام والباقون ووصى وهو ابلغ منه لانه انما يكون مرات كثيرة والضمير في بها لقوله اسلمت لرب
العالمين على تاويل الكلمة والجملة وقيل الضمير للملة قيل وفيه نظر لان قوله ووصى عطف على قال اسلمت فالمعنى انه لما ذكر في نفسه ووصى بنيه بانه يذكره
حكاية عن نفسه ... قال اسلمت ... لا ينافي ... الكلام ظاهرا في نفسه ولو سلم فلا يمتنع عود الضمير الى اللفظ الحقيقي مع الاختلاف
في الحقيقة والمجاز ... ولم يقصد المعنى اصلا هذا ولكن ترك المضمر الى المظهر ليعني ابرهيم ... العطف على الكلام السابق فيكون
الضمير للجملة وكذا عطف يعقوب على ابرهيم فليتامل وفي حرف عبد الله فوصى بالفاء ويعقوب وقال مقاتل ووصى بها ابرهيم بنيه الاربعة اسمعيل واسحاق
ومدين ومداين ثم وصى بها يعقوب بنيه وهم اثنا عشر ابنا روبيل وشمعون ويهوذا ويسقاخا ولاوي وزبالون ومستاخر ودان ونفتالي واشر
... ويوسف وابن يامين ... حين دخل مصر ورآهم يعبدون الاصنام فوصى بنيه ان يثبتوا على الاسلام وقرئ يعقوب بالنصب
عطفا على بنيه على انه ممن وصاه ابرهيم بنوه ثمانية وقيل اربعة عشر يا بني على اضمار القول عند البصريين واما الكوفيون فعلى انه متعلق
بوصى لانه في معنى القول ونظيره قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر فهو بتقدير القول او فانه متعلق
بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني واعترض على ما ذهب اليه الكوفيون من حمل وصى على معنى القول بان التوصية ان اريد بها
مطلق القول بمجاز لم ... وان اريد بها معناها الخاص ... يتعلق به يا بني بشهادة المعنى اجيب بان المراد الخاص ... يقتضي تعلق
الفعل ... يا بني ... الى القول المطلق المندرج تحت ذلك الخاص ... فالصواب تقدير القول ان الله اصطفى لكم الدين اختاره لكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وخيرها وهو دين الاسلام لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين
على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن ان يكونوا على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فليس المقصود النهي عن
الصلوة بل عن ترك الخشوع في حال الصلوة وكذلك هنا ليس المقصود النهي عن الموت في حال غير الاسلام لان الموت ليس بقدرتهم ... انه
كان ... بل المقصود النهي عن القيد وهو كونهم على خلاف حال الاسلام لكن ... والنكتة في النهي عن الموت ان موتهم
لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد فانه ليس المقصود الامر بالموت بل الكون على
صفة الشهداء اذا مات وانما امر به بالموت اعتدادا ... واظهارا لفضلها على غيرها ... جديرة بان يحث عليها ام كنتم
شهداء ... ان اليهود قالوا لرسول الله صلعم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت عطف على قوله ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب ... منقطعة لانها وقعت في الخبر وهي بمعنى بل والهمزة ومعنى بل الاضراب
عن الكلام الاول ... والحكم ببطلانه بل بمعنى الاخذ فيما هو الاهم ... والتحريض على اتباع محمد صلعم ...
وهو الاخبار عن احوال بعض الانبياء السابقين من غير سماع من احد ولا قراءة من كتاب ومعنى الهمزة الانكار بمعنى لم يكونوا اي
ما كنتم حاضرين وقت احتضار يعقوب وما شاهدتم تلك الاحوال ولا سمعتم تلك الاقوال فانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي
والخطاب للمؤمنين والشهداء في انهم ما كانوا حاضرين فلذلك قيل الخطاب لليهود حيث قالوا ما مات نبي الا على اليهودية فقالوا
للنبي عليه السلام الم تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية الا انهم لو شهدوا ذلك الوقت وسمعوا وصية يعقوب ...
على ملة الاسلام ووصيته لبنيه بذلك لما ادعوا ... فكيف يقال لهم ... انتم حاضرين
يعقوب ما ينافي دعواكم بل ... كنتم حاضرين ... باليهودية ... ان تكونوا ...

تقدرون اكنتم غايبين ام كنتم اوتدعون
تعدين اكنتم غايبين ام كنتم شاهدين او لم تدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
اى كانت اوايلكم حاضرين حين وصى بنيه بملة الاسلام والتوحيد وانتم عالمون بذلك فما لكم تدعون على الانبياء اليهودية
التهم برا منهما فعلى له حضر بكسر الضاد اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ولا يجوز ان يكون متعلقا بتعالوا نعبد لاختلال النظم
واخلال الربط ما تعبدون من بعدى وما لتعميم الاشياء من اولى العلم وغيرهم لهذا قالوا من لما يعقل فاذا علم
الحال بان هذا من اولى العلم وذلك من غيرهم فرق بما ومن والمعنى اى شى تعبدون او اى من فى الوجود تقربونه للعبادة
ويحتمل ان يكون سوالا عن وصف المعبود كما تقول ما زيد تريد اكريم ام فاضل مثلا قالوا نعبد الهك واله ابايك ابرهيم
واسمعيل واسحاق والاعلام الثلث عطف بيان لابايك وعد اسمعيل وهو عمه من ابايه تغليبا للاب او لان العم ابو والخالة
ام للخواطيهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما كقول عليه السلم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين
صنوى النخلة كما قال فى العباس رضى الله عنه هذا بقية ابائى وقال ردوا على ابى فانى اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف
بعروة قال ابن مسعود قال ذلك حين بعث العباس قبل عام الفتح الى مكة فابطا عليه وقيل عام فتح مكة حيث قال له امض الى قومك
فادعهم الى الحديبية قبل القتال فركب بغلة النبى عليه السلام وانطلق فلما ابعد قال لاصحابه ردوا على ابى وفى رواية لعلهم يصنعون
ما صنعت ثقيف بعروة بن مسعود دعاهم الى الله فقتلوه والله لا استبقى منهم احدا ثم جاء العباس فقرح به رسول الله صلعم
واما حديث عروة فهو انه قدم على رسول الله صلعم فاسلم ثم استاذن ان يرجع الى قومه فقال عليه السلام انى اخاف ان يقتلوك
قال لو وجدونى نايما ما ايقظونى فرجع الى الطايف فقدم عشيا فجاءته ثقيف تحيونه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فاتهموه
وعصوه واسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاهم عليه فخرجوا من عنده حتى اذا اسحروا وطلع الفجر قام على غرفة له فاذن واذن
بالصلوة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقال عليه السلام حين بلغه قتله مثل عروة صاحب ياسين دعا قومه الى الله
فقتلوه يريد بصاحب ياسين حبيب النجار وقرا ابى واله ابرهيم بطرح ابايك وقرا الحسن واله ابيك على انه جمع بالواو
والنون كما قال وفديننا بالابينا جمع اب والالف للاشباع وفى الاية قد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابرهيم
وحده عطف بيان له وقرا يحيى بن يعمر واله ابيك بالرفع على وهو آله ابيك الها واحدا بدل من اله ابايكم تحقيقا على الوحدانية
ودفعا لما عسى يوهم من قولهم الهك واله ابايك من التعدد وانما الاعادة لسان العطف على الضمير المجرور ونظيره قوله
بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص اى نريد باله ابايك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله
او منهما او عطف على نعبد والعدول الى الاسمية للدوام والثبوت مع رعاية الفاصلة او اعتراض موكد اى ومن حالنا
انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابرهيم ويعقوب و
بنوهما الموحدون والامة اما بمعنى ما موم اى يوم الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى موتم به كالنخبة والرحلة ما شاكل
ذلك غلب على من فعله بمعنى مفعول وقال الجوهرى الامة الجماعة قال الاخفش هو فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع وكل
جنس من الحيوان امة والامة القامة قال الاعشى حسان الوجوه طوال الامم والامة الطريقة فى الدين يقال فلان لا امة له
اى لا دين له ولا نحلة له وقوله تعالى كنتم خير امة قال الاخفش يريد خير اهل دين ويجى بمعنى الحين ومنه قوله واذكر بعد امة
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم من قصر المسند الى المسند اليه اى لها كسبها لا كسب غيرها ولكم كسبكم لا كسب غيركم والحاصل ان احدا لا
ينفعه كسب غيره ومجرد الانتساب الى الانبياء لا يوجب الانتفاع باعمالهم وانما ينفع التخصيص باتباعهم كما قال عليه السلام

المسند اليه

يا بنى

يا بنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتاتونى بانسابكم اى لا يكون من الناس الاتيان بالاعمال ومنكم الانساب لحمة كما صح الحال او لينا من
ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا تنتفعون بحسناتهم وذلك ان اليهود والنصارى افتخروا بابايهم
وكانوا يقولون نحن على دينهم فقال لهم تلك امة لا يبلا تنقذون بعلمهم حتى يشهد لكم فلهم ما عملوا ولكم ما عملتم انما ينظر اليوم الى الاعمال
ولا ينفعكم من اعمالهم شيئا وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير فى قالوا لاهل الكتابين والتوزيع والمعنى قال لهم احد هذين
القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اى بل نكون
ملة اى اهل ملة كقول عدى بن حاتم انى من دين يعنى من اهل دين او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او
عكسه او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل
اخوانا ولعلم انهم اتفقوا على صحة وقوع الحال من المضاف اليه اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه او بمنزلة الجزء بحيث
يصح قيامه مقامه نحو اتبعوا ابرهيم اذا اتبعوا ملته ومنه قولك رايت وجه هند قايمة واختلف فى مثل عامل هذا الحال
فقيل معنى الاضافة لما فيه من معنى الفعل المشعر به حرف الجر كانه قيل ملة ثبتت لابرهيم حنيفا والمحقق على انه عامل للمضاف
لما فيه بينهما من الاتحاد بالوجه المذكور والحنيف المايل عن الباطل الى الحق والحنف الميل فى صدر القدم بفتح العين فيهما
وتحتف اى اما او لكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لانهم يدعون
اتباعه وهم مشركون وهو عطف على الحال المتصل به قولوا آمنا بالله الخطاب للمومنين كقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
او للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وعلى هذا فالمناسب ان يكون قوله بل ملة ابرهيم بل تتبعوا ايها
الكافرون ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته ليتلايم الكلام وانما فصل قولوا لكونه كالبيان او التاكيد لاتباعهم ملة ابرهيم وكونهم
عليها وما انزل الينا وهو القرآن اذا كان الخطاب للمومنين قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره
او ما انزل اليهم لكونهم امة الدعوة فقد انزل الكتاب اليهم ايضا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف المنزلة الى ابرهيم والكل كلام الله تعالى وهو واحد وانما التعدد والتفاوت فى النظم المعروف المسموع والاسباط
جمع سبط معناه الحافد وهم حفدة يعقوب وذريته ابنائه الاثنى عشر او ابناؤه فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتى موسى
وعيسى وهو التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع فيهما وما
اوتى النبيون يريد ساير الانبياء والمقصود تعليم الايمان بجميع ما انزل على النبيين من الكتب السما
السماوية من ربهم متنزلا من ربهم اليهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود والنصارى حيث قالوا نؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد فى معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك صح دخول بين عليه وفى كلا بالنظر الى اصل
الوضع فانه اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المذكر والمونث والمفرد والمثنى والمجموع ويشترط
ان يكون استعماله مع كلمة او فى كلام غير موجب وهو غير الاحد الذى هو اول العدد فى مثل
قل هو الله احد وليس جمعيته من حيث وقوعه نكرة فى سياق النفى لحين اعيد ضمير جمع اليه
او دخل بين عليه فالمراد بجمع من الجنس الذى يدل الكلام عليه فمعنى قوله فما منكم من احد
فما منكم من جماعة ومعنى قوله لا نفرق بين احد لا نفرق بين جمع من الانبياء ومعنى لستن كا

رد على السجاوندي

وقعت به

لستن كاحد من النساء لجماعة من جماعات النساء وليس في معنى كامراة منهن وقد سبق
الى كثير من الاذهان ههنا سهو فزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت في حيز النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار في معنى
الجمع كسائر النكرات وقرا الخليل لا نفرق بالنون وعكرمة لا يفرق بالياء مجهولا ونحن
له مسلمون حال من فاعل آمنا او من مفعوله تفريقا وجمعا ويجوز ان يكون جملة معطوفة
على آمنا والعدول الى الاسمية للدوام والثبات مع رعاية الفاصلة ويحتمل ان يكون جملة
اعتراضية وعن جعفر بن محمد مسلّمون بتشديد اللام حيثما وقع فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد
اهتدوا اي ان حصلوا دينا مثل دينكم في الاستقامة والصحة وآمنوا به فقد اهتدوا ولكن
ذلك محال لان دين الحق واحد لا يوجد له مثل فلا طريق الى الاهتداء سوى هذا الدين فا
فاستعمال ان فيه على سبيل الفرض والتقدير للتبكيت والالزام كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين ويجوز ان يكون الباء للاستعانة دون التعدية وآمنوا بمعنى فعلوا الايمان الشرعي
ودخلوا فيه من غير حاجة الى تقدير صلة والمعنى فان دخلوا في الايمان باستعانة شهادة مثل شهادتكم قولا واعتقادا
وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقد اهتدوا وقيل المعنى على هذا التقدير ان تحروا الايمان بطريق يهدي
الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق وبالجملة فعلى الوجهين اعني سواء كانت الباء صلة آمنوا
او للاستعانة ما موصولة عبارة عن الدين او الشهادة وقرا ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به بحذف لفظ المثل وفيه دلالة على
زيادة المثل على ما قيل كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه وقيل الباء مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة
سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا به ايمانا مثل ايمانكم على ان ما مصدرية وضمير به لله تعالى او للجميع ما ذكر في قوله قولوا
آمنا بالله الآية بتاويل المذكور او للقرآن او لمحمد عليه السلام وقرا أبي بالذي آمنتم به وقرا ابن عباس بما آمنتم
به وكان يقول لا تقولوا بمثل ما آمنتم فانه ليس لله مثل وكذا في حرف ابن مسعود قلت هو ضعيف جدا يرده
اجماع القراء ايتهم العشرة وان تولوا فانما هم في شقاق اي وان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم ولم ينصفوا
او عن الدين او الشهادة فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من الاهتداء في شيء
فسيكفيكهم الله ضمان من الله واظهار رسوله عليهم وتسلية وتسكين له ووعد بالنصر على من ناواه وعانده وقد
انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير والسين لتاكيد الاثبات كما ان لن لتاكيد النفي وقيل
بها ليكون الوعد على طريق التاكيد والمعنى ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين والضميران مفعولان
بما لكفاه مؤنة ونصره عليه اي غلبه والخصم الله وهو السميع العليم من تمام الوعد بمعنى انه يسمع قولكم وقولهم
ولم يخف عليه واعد لكفاه من الجزاء ويجوز ان يكون وعيدا للمعرضين بمعنى انه يسمع ما ينطقون به ويعلم ما
يسرون وهو معاقبهم عليه وعن عمرة بنت ارطاة قالت حججت مع عائشة رضي الله عنها سنة قتل عثمان الى مكة
فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره فكانت اول قطرة قطرت من دمه على هذه الآية فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم قالت عمرة فما مات منهم رجل سويا صبغة الله مصدر لانه فعلة من صبغ كالجلسة من

من جلس

من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ مؤكد لآمنا بالله والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس فيكون
آمنا متضمنا ولا لتطهير الله تعالى نفوس المؤمنين ودلالة عليه فيكون صبغة الله بمعنى تطهير الله مؤكدا لمضمون قوله آمنا
بالله والاصل فيه اعني في ذكر التطهير بلفظ الصبغ ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويقولون انه تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا
آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا تطهيرا لا مثل تطهيرنا هذا ان كان الخطاب في قولوا آمنا
بالله للكافرين واما اذا كان الخطاب للمسلمين فالمعنى ان المسلمين امروا بان يقولوا صبغنا الله بالايمان صبغة ولم
نصبغ صبغتكم ايها النصارى فعبر عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة الحالية كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس
كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ويحسن اليهم فتعبر عن الاصطناع بلفظ الغرس للمشاكلة بقرينة الحال وان لم
يكن له ذكر في المقال وقيل يجوز استعارة الصبغ للايمان من غير اعتبار المشاكلة لكونه حلية المؤمنين كما
ان الصبغ حلية المصبوغ او لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب
وذلك انه شبه خلق الله عباده على استعداد الحق والايمان بصبغ الثوب لاتحادهما في الحلية او شبه هداية
الله تعالى او تطهير القلوب بصبغ الثوب والجامع اظهار الاثر على الظاهر واجرائه في الباطن ثم استعمل المشبه ما
كان مستعملا في المشبه به وهذا الوجه تماهو اللايق بالمقام لان الكلام عام في اليهود والنصارى فلا وجه له واعلم ان اختصاص
الغمس في المعمودية بالنصارى لا ينافي صحة اعتبار المشاكلة في ايمان الفريقين لان ذلك الفعل كاين فيما بينهم في الجملة فان
قيل خطاب قل بل نتبع للنبي عليه الصلوة والسلام فلا دلالة على ان المسلمين امروا بان يقولوا للكافرين قولوا آمنا
اجيب بانه كذلك لان المراد به خطاب النبي صلعم وجميع المؤمنين بدليل انه في جواب قالوا كونوا هودا او نصارى
ولهذا قيل بل نكون بل نتبع بضمير الجماعة وقولوا آمنا على تقدير كونه خطابا للكافرين داخل في حيز المقولية
لامر قل [illegible] العطف على نكون او نتبع للاختلاف خبرا وانشاء فصح ما ذكر واما على تقدير كونه خطابا للمؤمنين
فالاحسن ان يكون قولوا آمنا بمنزلة البدل او البيان لقوله قل بل ملة ابرهيم لا داخلا في حيز مقوليته
فصح انهم امروا بان يقولوا آمنا وصبغنا ولا يلزم انهم امروا بان يقولوا لانفسهم قولوا آمنا و
صبغنا وهذا اعني نصبها على انها مصدر مؤكد هو ما ذكره سيبويه وعليه الجمهور وقيل نصب على الاغراء بمعنى
عليكم صبغة الله وقيل على البدل من ملة ابرهيم وقرا ابن ابي عبلة صبغة الله بالرفع على انه خبر
مبتداء محذوف ومن احسن من الله صبغة فانه تعالى منزه عن القبائح كلها وعن الاشباه المشاركة له
في صفاته متصف بصفات الجلال الجامع لجهات الكمال فلا يتطرق الى صباغاته عيب وسواه قابل لكل
شائبة قبح ونقصان فهو المتفرد بمحاسن الافعال والاسماء ونحن له عابدون تعريض لهم اي لا نشرك
به شيئا كشرككم وهو عطف على آمنا بالله وهذا يرد ما قيل ان صبغة الله اي دين الله او
او فطرة الله التي فطر الناس عليها بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء مثل ما ذكر الزجاج لما فيه من
من فك النظم لان في كل منهما فصلا بين المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبي الذي لا يتعلق بما تعلقا
به اذ لم يدخل البدل والاغراء في حيز قولوا بخلاف ما اذا جعل مصدرا مؤكدا فانه حينئذ داخل

الشرع

فمقصود بعد الصبغ النصارى بالماء

فقوله فلا يكون اجنبيا بين المعطوف والمعطوف عليه مع ان في الابدال بشيء آخر وهو تخلل قوله قولوا آمنا
بالله بين البدل والمبدل منه وليس له تعلق بعامله فان قيل على ما ذكرتم ايضا فصل بينهما وكذا بين الموكد
والتاكيد بالاجنبي فان قوله فان آمنوا وقوله فسيكفيكم الله لا يدخل شيء منهما في مقول قولوا ولما ان يجعل
عطفا على نقل الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا ونحن له عابدون لما فيه من التلاؤم فلا يلزم فك
لنظم الكلام واخراج له عن الالتيام قلنا لا نم ذلك اذ كل منهما ليس باجنبي لا مرتب على ما قبله بشهادة الفاء على ان
ارتكاب الاضمار بلا دليل مع ظهور الوجه له قل اتحاجوننا اي اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا
من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وقرأ زيد بن
اتحاجونا بادغام النون وهو ربنا وربكم خالق العرب والعجم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته
وكرامته من يشاء من عباده هم فوض فذلك ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا اعمالنا لا لكم وبالعكس
او لنا اعمالنا لا اعمالكم وبالعكس من قصر المسند على المسند اليه وتحقيقه ان اعمالنا مقصور على الاتصاف بلكم
لا يتصف بلنا فهو من قصر الموصوف على الصفة تحقيقا دون العكس ونظيره قوله تعالى لكم دينكم ولي دين
الا ان القصر هاهنا حقيقي وهناك ليس بحقيقي فتامل ونحن له مخلصون موحدون نخلص بالايمان والاعمال
تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي الايمان وهو على غير التوحيد قال سعيد بن جبير الاخلاص ان
يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قرا حمزة والكسائي وابن عامر ام تقولون بالتاء فعلى هذا يجوز ان يكون ام متصلة
بهمزة الاستفهام في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء
والمراد بالاستفهام عنهما الانكار عليهما معا اي كل من الامرين منكر ينبغي ان لا يكون والا فالعلم حاصل بثبوت الامرين
وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا واما على قراءة من قرا بياء الغيبة فلا تكون ام الا
منقطعة لما فيه من الاضراب عن الخطاب في اتحاجوننا فان الضمير الغايب وان عاد الى اهل الكتاب لكون الغيبة بعد
الخطاب انما يكون للاعراض عنهم وهو مفهوم الاضراب فليست الا منقطعة عما قبلها قل ءانتم اعلم ام الله
يعني ان الله شهد لهم بالاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية و
والنصرانية وقوله شهادة عنده من الله اي شهادة كائنة من الله او واصلة كائنة عنده من كتم اي ثابتة متحققة عنده
معلومة له شهادة الله تعالى والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة على التحقيق او من المسلمين لو كتموها على
سبيل الفرض والتقدير فالفعل الماضي في الاول على اصله وفي الثاني للتعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها
كما في قوله لئن اشركت ومن للابتداء الغاية متعلق بمحذوف كما في قوله براءة من الله اي براءة واصلة من الله وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطبايع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم
وفي هذه الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في السابق الانبياء وفي الاية اسلاف اليهود والنصارى

سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون
لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون لانهم قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى
دينهم وفايدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب فان ذلك قبل الحاجة اليه اقطع للخصم
واردّ لشغبه وقيل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال ثم استعيرت للمكان المتوجه اليه للصلوة قل لله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لا يختص به مكان دون مكان لا عبرة بخصوص المكان وانما العبرة
بارتسام امره يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه
الى بيت المقدس تارة واخرى الى الكعبة روي ان الانصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين كانوا
يصلون الى البيت المقدس فلما قدم عليه السلام المدينة صلى الى بيت المقدس ثمانية عشر شهرا او سبعة
عشر فقال اهل مكة اذا حول لنا القبلة الى مكة رجع محمد الى قبلتنا فهو قريب الى ديننا فانزل الله تعالى قل لله
المشرق والمغرب يعني الصلوة اليها لله وبامره يهدي من يشاء الى قبلة الكعبة ودين يرضاه وعن ابن العالية
رايت مسجد صالح عليه السلام وقبلته الى الكعبة قال وكان موسى يصلي الى الصخرة نحو الكعبة وهي قبلة
الانبياء كلهم عليهم السلام وكذلك جعلناكم واعلم ان ذلك اشارة الى الجعل المدلول عليه بجعلناكم والى
ما يفيده البعد قصدا الى التفخيم والمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا كما تشاهدونه والكاف
في التحقيق مقحم للمبالغة وهذا المقام مطرد في كلام العرب وغيرهم لا يتركونه في لغتهم وليس اشارة الى جعل
للقريب اذ تشبيه هذا الجعل به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا امة وسطا
اي خيارا اي خيارهم خلافا في الاشرار وقد يكون الخيار اسما من الاختيار والوسط بالتحريك اسم لعين
ما بين الجوانب كمركز الدايرة وبالتسكين اسم مبهم لداخل الدايرة مثلا ولا يقع الا ظرفا فالاول يقع مبتدا
وفاعلا ومفعولا ومدخولا لحرف الجر بخلاف الثاني كقولك وسطه خير من طرفه واتسع وسطه وفرشت
وسطه وجلست في وسط الدار بعينها بالتحريك وتقول جلست وسط الدار بالسكون لا غير ويوصف
بالاول مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع كساير الاسماء التي توصف بها وقد يبنى منه
افعل التفضيل فقيل للمذكر الاوسط وللمؤنث الوسطى قال الله تعالى من اوسط ما تطعمون والصلوة
الوسطى ونحوه قوله عليه السلام وانظروا الشجة يعني الوسيطة بين السمينة والعجفاء ووصفا بالبالغ
الذي هو وسط الظهر اي ما بين الظهر الى الكاهل ولا انتقال عن الاسمية الى الوصفية لحقت التا
كما هو حكم الصفات رعاية لجانب الوصفية العارضة وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع
اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قوله كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها
الحوادث حتى اصبحت طرفا او عدولا مزكين بتعديلنا او بتعديل نبيكم كما يدل عليه السابق او بالعلم
والعمل على ما قيل وذلك لان الوساطة العدالة ومن قال اوسطهم وكل الفضايل قد انضبطت

واتحصرت في التوسط بين الافراط والتفريط فان اصول الفضايل العدالة والحكمة والعفة
والشجاعة والاوساط الثلثة الاخيرة اصول الفضايل الخلقية ومجموعها يسمى عدالة ومقابلها الجور
وتقرير المقام ان الباري تعالى وتقدس لما برا الانسان ركب فيه ثلث قوى لاحتياج النفس
الناطقة من حيث تعلقها بالبدن وتدبيرها اياه الى تلك القوى احديها القوة التي يعقل بها ما يحتاج
اليه في تدبيره وتسمى القوة النطقية والعقلية والملكية والنفس المطمئنة وهي مبدا ادراك
الحقايق والشوق الى النظر في العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد وثانيتها القوة التي بها يجذب
ما ينفع البدن ويلايمه ويطلب الملاذ من الماكل والمشارب وغير ذلك وتسمى القوة الشهوية
والبهيمية والنفس الامارة وثالثتها ما يدفع به ما يضر البدن ويوليه وهي مبدا الاقدام على الاهوال
والشوق الى التسلط والترفع وتسمى القوة الغضبية والسبعية والنفس اللوامة ويحدث من
اعتدال الحركة الاولى الحكمة فان الحكمة نتيجة تكميل القوة العقلية وهي متوسطة بين الجربزة والغبا
وة فان الجربزة افراطها والغباوة تفريطها ومن اعتدال الحركة الثانية العفة فانها نتيجة تهذيب
القوة الشهوانية وهي متوسطة بين الخلاعة والخمود ومن الثالثة الشجاعة التي هي نتيجة تهذيب
القوة الغضبية وهي متوسطة بين التهور والجبن واذا يحصل فيها التوسط ثم التوسط في هذه الفضايل
الثلثة هي العدالة فلذا فسر الوساطة بالعدالة وهي يقتضي الرسوخ والثبات على الحق والصراط المستقيم
وتنفي الزيغ عن سواء السبيل لان العدالة الحقيقية الثابتة بتعديله تعالى ينافي الكذب والميل الى
الباطل فالاطراف رذايل والاوساط فضايل واليه الاشارة بقوله عليه السلام خير الامور اوسا
طها وقد قالوا ان قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اثبات العدالة لمجموع الامة لا
لكل منهم لظهور انها ليست ثابتة لكل واحد منهم وهو احد الادلة المشهورة على ان الاجماع حجة
واما الاحتجاج به فلانه لو كان فيما اجمعوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس



وهو علة للجعل والشاهد حقيقة هو المخبر بالصدق واللفظ مطلق يشمل الشهادة في الدنيا والا
خرة فيقتضي ان يكون قول الامة حقا وصدقا لاختيارهم الله تعالى للشهادة على الناس اي لتكونوا
مخبرين بالصدق وتعلموا بالتامل فيما انزل عليكم من الكتاب واوتيتم من الاشارة ونصب لكم من
البراهين القاطعة ان الله تعالى ما ظلم وما بخل على احد بل انزل الكتب وارسل الرسل واوضح
السبل فبلغوا الرسالات ولكن الذين كفروا اعرضوا عن الايات البينات فتشهدون بذلك
على من خالفكم ورويات الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى بالبينة على
انهم قد ابلغوا وهو اعلم بهم اقامة للحجة على الجاحدين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان
نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسال عن حال امته ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ابو سعيد قال رسول الله صلعم

يدعا

يدعا نوح عليه السلام فيقال هل بلغت فيقول نعم فيدعا قومه فيقال هل بلغكم فيقولون ما اتانا
من نذير وما اتانا من احد فيقال من شهودك فيقول محمد عليه السلام وامته قال فيؤتى بكم
فتشهدون انه قد بلغ فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا والوسط العدل وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة
العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا وانما لم يقل ويكون الرسول لكم شهيدا
مع ان شهادته لهم لا عليهم فاوجه تعديته بعلى والجواب ان ذلك بناء على المناسبة فان الشهيد
كالرقيب والمهيمن على المشهود له كنت انت الرقيب عليهم واما شهادتهم على الامم بان الانبياء قد
بلغوهم فكلمة الاستعلاء على اصلها الذي هو المضرة وانما اخرت اولا وقدمت اخرا لان الغرض
في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا اختصاصهم وتفردهم
بكون الرسول شهيدا عليهم اي معدلا لا مزكيا لهم كانه قيل شهيدا بالتعديل عليكم لا على غيركم
من الامم فلا ينافي كونه شهيدا على شهداء الامم بالتعديل ولا على المكذبين بغير التعديل وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الموصول مع صلته انما هو ثاني مفعولي جعل على ان يكون القبلة
موصوفا قيم هو مقامه وهو الجهة اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام
كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس تالفا لليهود او الصخرة
لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على
الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ وعلى الاول معناه ما رددناك اليها كنت عليها الا ابتلاء
للناس لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه وعلى الثاني ان اصل امرك



ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وما جعلنا قبلتك
بيت المقدس قبل وقتك هذا الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن
يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه ولنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله فعلى الاول التي كنت عليها هي الكعبة والقبلة الاول وعلى الثاني بيت المقدس والقبلة
قبلة ما مضى اي ما جعلنا في هذا الوقت او فيما مضى من الوقت فان قلت لم قضيت لها بالمفعولية
وهلا زعمت انها صفة للقبلة وان المفعول الثاني محذوف اي ما جعلنا القبلة التي كنت
عليها ثابتة لا تنسخ ابدا قلت ذلك مما لا سبيل اليه اذ لا قرينة عليه على ان حذف احد مفعولي
باب علمت مما لم ينظر الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فان قيل قوله لنعلم
ينبي عن حدوث العلم في المستقبل مع انه لم يزل عالما بذلك اجيب بان المراد علم متعلق بالحادث
فالحدوث راجع الى المتعلق لا الى المتعلق لان علمه تعالى ليس علما زمانيا فلا يكون هناك حال
وماض ومستقبل بناء على ان هذه صفات تعرض للزمان بالقياس الى ما يختص بجزء
منه اذ الحال معناه زمان حكمي هذا والماضي هو زمان قبل زمان حكمي هذا والمستقبل زمان

هو بعد زمان حكمي هذا فمن كان علمه ازليا محيطا بالزمان لا يتصور في حقه شيء منها فلا يلزم
من علمه بالمتغيرات تغير في علمه انما يلزم ذلك اذا دخل فيه الزمان والمعني لنعلمه علما يتعلق به الجزاء
وهو ان يعلمه موجودا حاصلا فهذا ونظايره باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء وقيل
ليعلم رسول الله والمومنون وانما اسند علمهم الي نفسه لانهم خواصه فالتجوز تحقيقا يكون
في الصيغة التركيبية والنسبة الايقاعية كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القايل والراسم بعض
خواص الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه تنبيها علي كرامة القرب وقوة الاختصاص وقيل معناه
لنميز التابع الراسخ من الناكص المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فاريد بالعلم
التمييز في الوجود العيني لان العلم سبب للتمييز في الوجود العيني لا يكون الا بعد وجوده وحاصل
هذا التجوز باطلاق السبب وهو العلم علي المسبب وهو التمييز ويجوز ان يكون ذلك علي وجه
التمثيل اي فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم وقري الا ليعلم علي البناء للمفعول ومعني العلم
المعرفة علي القراتين لانه لم يذكر له الا مفعول واحد وهو من الموصولة ويجوز ان يكون من
استفهامية موقع الخبر فيكون العلم من المتعدي الي المفعولين معلقا بالاستفهام وممن ينقلب ا المبتدا ويتبع موقع
حال كما علي يتبع اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب كقولك من اين تدري ما الفرار
من الرد وكذا علي التقدير الموصولية ايضا ومما يجب التنبه له ان العلم اذا كان بمعني المعرفة
فالمراد به الادراك الذي لا يتعدي الي مفعولين ثم ليس المراد بهذا الادراك الادراك
المسبوق بالعدم ولا الاخير من الادراكين لشيء اذا تخلل بينهما عدم بان ادرك اولا ثم
ذهل عنه ثم ادركه ثانيا بل الادراك المجرد من هذين الاعتبارين ومن ثم يقال الله
عالم ولا يقال عارف وقرا زيد بن علي من يتبع الرسول بالثلاثي وقرا ابن ابي اسحق
علي عقبيه بسكون القاف وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بين ان المخففة والنافية لا بينها وبين المشددة علي ما وقع في الكواشي سهوا
منه او من غيره وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعني الا والضمير في كانت راجع الي ما دل
عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التحويلة او الردة اي القبلة ومعني
لكبيرة لثقيلة شاقة وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع قالوا وجه هذه القراة ان يكون كان
زايدة كما في قول الفرزدق فكيف اذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام واورد
بان كون كانوا هاهنا اي في قول الفرزدق مزيدة مع اسمها محل نظر لجواز ان تكون
ناقصة اعتراضا او صفة لدلالة علي الخبر محذوفا او مقدما اي لنا ولو سلم فان ارادوا
ان كانت مع اسمها زايدة كانت كبيرة خبرا بلا مبتدا وان المخففة واقعة بلا جملة وهو
خارج عن القياس والاستعمال وان ارادوا ان كانت وحدها مزيدة والضمير باق
علي الرفع بالابتداء فلا وجه لانفصاله واستكنانه وغاية ما يتمحل انه لما وقع بعد كانت

وكان

وكان من حقه المعنى في موقع اسم كان جعل متصلا مستكنا فيها بالاسم وان كان مبتدا تحقيقا
فالاوجه في هذه القراة ان يجعل في كانت ضمير القصة ويقدر بعد اللام مبتدا اي وان كانت
القصة لتحويلة كبيرة الا علي الذين هدي الله اي الا علي الثابتين الصادقين في الايمان واتباع
الرسول وانما فسر بهذا لان المراد بهم من يتبع في مقابلة من ينقلب ولذا فسر ايمانكم في قوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم بثباتكم علي الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وقيل المراد
بقوله ايمانكم صلوتكم تجوزا ويجوز ان يكون عدم اضاعة الايمان كناية عن عدم ترك التحويل
لكون اضاعة الايمان من روادف ترك التحويل في علم الله تعالي فمعني هذا معناه وما كان الله ليترك
تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلي الي بيت المقدس قبل
التحويل فصلاته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلعم الي الكعبة قالوا كيف بمن مامت
قبل التحويل من اخواننا فنزلت ونقل عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا
قوله الا علي الذين هدي الله ثم قال علي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه علي ابنته واقرب
الناس اليه واحبهم وابو تراب كنية امير المومنين علي كرم الله وجهه وهو اسم سماه به رسول الله
صلعم حين دخل ذات يوم علي فاطمة رضي الله عنها فقال اين ابن عمك فقالت هو ذاك مضطجع
في صحن المسجد فوجده قد سقط الرداء عن ظهره وخلص التراب اليه فجعل عليه السلام يمسح التراب
عن ظهره فيقول اجلس يا ابا تراب ومن ثم لم يكن اسم احب اليه منه لكن الحجاج ومثله من الظلمة
يقصدون بذلك حط منزلته وقرا ابن ابي عبلة ليضيع بالتشديد بالياء ان الله بالناس لرءوف رحيم
لا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم والرؤف مشتق من الرافة ومعناها شدة الرحمة وهي مبالغة فيها
فاجتمع فيه المبالغتان بناء ومعني ولاجل هذا العلة قدم علي الرحيم ذكرا في كل موضع وردا
من كتاب الله الكريم وقيل لعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة علي الفواصل وقيل الراوف للمريد المجتهد
علي العبيد وقيل هو الذي صرف اولياءه عن مخالطة الاشكال وكفاهم بفضله مؤنة الاثقال وقيل
الستار للعيوب والعفو ما ستر من الذنوب وقيل المتعطف علي المذنبين بالتوبة وعلي الاولياء
بالعصمة والرؤف من عباد الله من يريد بالعباد سعادة الدارين ويصرفهم عن طريق الغفلة الي الله تعالي
بالنصح والموعظة بالتي هي احسن وينظر الي العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء ولا يلذ فاقة لاحد
الا سدها بقدر وسعه ولا يرتبه شيء مما ناله من الاذي بل يزيد بها اللطف والرافة والاحسان
والشفقة كما قال حضرة الرسالة عليه افضل الصلوة والتحية حين كسرت رباعيته وادمي وجهه
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولم يمنعه سوء صنيعهم عن الرافة والشفقة بل زاد فيها وكما
امر عليه السلام عليا كرم الله وجهه حيث قال ان اردت ان تسبق المقربين فصل من قطعك
واعط من حرمك واعف عمن ظلمك والرافة هي هذه الخصال الثلث فانها لن يتوفق فيها الا
من اتبعت الغلبة سر الرافة والشفقة علي خلق الله فعلم هذا وقري ليضيع بالتشديد لناري

ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية فان اصل قد في المضارع للتقليل وقد استعير ههنا للتكثير لمجانسة
بين الضدين ويجوزان يكون من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه
الذي يجيئون بلفظ التقليل علاية صدوت التقليل ومنه قوله عز من قايل ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم ونظيره قول الشاعر قد اترك القرن مصفرا انامله فانه اراد
تكثير الترك بهذه الصفة الا انه قصد اظهار براته من التزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى
الكثرة على التهمة واليقين تقلب وجهك في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في
جهة السماء تطلعا للوحي وكان النبي عليه السلام يقع في روعه ويتوقع من ربه ان
يحوله الى الكعبة لانها اقدم القبلتين وقبلة ابيه ابراهيم واسماعيل واسحق عليهم السلام
وادعى للعرب الى الايمان لكونها مفخرهم ومزارهم ومطافهم وللمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل
والوحي بالتحويل ولا يخفى ما فيه من الدلالة على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال وقيل
ان النبي عليه السلام قال يا جبريل وددت لو ان الله تعالى يصرفني عن قبلة اليهود الى الكعبة
فقال له جبريل انما انا عبد مثلك لا املك شيئا فاسال ربك فجعل عليه السلام يديم النظر
الى السماء فانزل الله تعالى هذه الاية فلنولينك قبلة قيل فلنعطينك ولنمكننك من
استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له وقوله فلنعطينك حاصل معنى فلنولينك
والا فانه يجيء في الاعطاء هو الايلاء لا التولية او فلنجعلنك تلي جهتها دون جهة بيت
المقدس وهذا مبني على ان معنى ولي دنا منه واوليته اياه ووليته ادنيته منه وقيل فلنحق
لنك ولنوجهنك قبلة ترضاها فانه عليه السلام كان يراعي نزول الوحي بالتحويل
ترضاها تحبها وتميل اليها لمقاصد دينية اضمرتها ووافقت ارادة الله وحكمته وفيه تنبيه
على ان ميله الى الكعبة لم يكن من حيث هوى النفس واجابة الله تعالى اياه لم يكن لمجرد
ميله بل الموافقة مشيئته وحكمه فول وجهك شطر المسجد الحرام احد مفعولي ولي متروك
وشطر المسجد منصوب على الظرف والمعنى اجعل وجهك في جهة المسجد وسمته وليس مفعولا
به كما في قوله فلنولينك والا لو كان مفعولا لا كما ذكر شطر بل اقتصر على المسجد وفي ذكر المسجد
الحرام دون الكعبة مع انها المقصودة بالتوجه دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين
مع ان قبلة اي ما يجب ان يستقبل هو الكعبة ان لو كان العين واجبا لكان المناسب ذكر
الكعبة التي هي القبلة وايضا النبي عليه السلام كان في المدينة وفي استقبال عين القبلة
حرج عظيم على البعيد عن البراء ابن عازب قدم النبي عليه السلام المدينة فصلى نحو بيت
المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد الزوال قبل
قتال بدر بشهرين والنبي عليه السلام في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من الظهر
فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد

القبلتين

نـ بينهما احاطة م

القبلتين فان قيل التوجه الى عين المسجد توجه الى عين الكعبة لاحاطة الدايرة بالمركز فانها
لا تخرج عن المحاذاة وان عظمت جدا اجيب بانه ربما يتوجه الى طرف من المسجد لا يحاذي
عن الكعبة وهو ظاهر بل في الدايرة المحيطة بالنقطة يتوجه اليها بحيث يقع الخط من البصر على المحيط
ولا يقع على المحاذاة فان قيل يرد على وجوب العين صحة صلوة صف مستطيل جدا على الاستقامة
وعلى وجوب السمت عدم صحة صلوة المصلي الى عين ما يجعله قدام واليا يساره فان الخط الخارج
من بصره يقع على الخط المار بالكعبة ولا معنى للسمت سوى هذا اجيب بانه ليس سمت الكعبة ما ذكر
بل سمت الكعبة ان يصل الخط الخارج من جبين المصلي الى الخط المار بالكعبة على الاستقامة بحيث يحصل قايمتان
او ان يقع الكعبة في وسط خطين يلتقيان في الدماغ ويخرجان الى العين كساقي مثلث وشطر المسجد الحرام
اي نحوه قال والعين بالقوم شطر الملوك يتخزر باسعو وتقلقمة اذا توجه القوم نحو الملوك العين
بالقوم اي اسير بهم والباء للتعدية يعني اذهب بالقوم الى الملوك في زمن الى ان ينزل اواذ
هب بهم وادخل على الملوك حين لا يدخل الا خواصهم وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر
اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه
القتال وممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وقرى تلقاء المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
وحيثما مثل اينما في انه لتعميم الامكنة والعمل الجزم وما ابهامية ولم يقع حيث بدونها اداة شرط ومعنى حيثما كنتم
في اي مكان كنتم من الامكنة فاجعلوا وجوهكم تلي شطر المسجد الحرام ومحل حيثما النصب بالفعل بعده وكذا
حكم ساير الاسماء الشرطية التي كانت ظروفا نحو اين واينما ومتى ما مثلا بخلاف ما كانت غير ظروف فان
محلها قد يكون النصب بالفعل وقد يكون الرفع الخ وشطره نصب على الظرف لا المفعول على ما مر خص
النبي عليه السلام بالخطاب اولا حيث قال فول وجهك تعظيما له وايجابا لرغبته وطلبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة فان قلت الكفار هل يخاطبون بالشرايع
ام لا قلت ذكر الامام شمس الايمة السرخسي في اصول الخلاف في ان الكفار يخاطبون بالايمان والعقوبات
والمعاملات وبالعبادات في حق المواخذة في الاخرة لقوله تعالى ما سلككم في سقر الاية اما في حق
وجوب الاداء في الدنيا فكذا عند العراقيين من مشايخنا رحمهم الله تعالى لانه لو لم يجب لا يؤاخذون على
تركها ولان الكفر لا يصلح مخففا ولا يخرج كونها اي العبادات غير معتد بها مع الكفر لانه يجب عليه بشرط
الايمان كالجنب يجب عليه الصلوة بشرط الطهارة لا عند مشايخ ديارنا لقوله عليه السلام ادعهم
الى شهادة ان لا اله الا الله فان هم اجابوا فاعلمهم ان الله تعالى فرض خمس صلوات الحديث لانه عليه السلام
بين ان فريضة الصلوات الخمس مختصة بتقدير الاجابة فعلى تقدير عدم الاجابة لا فرض لعدم
الدليل على الفرضية لا انه دليل على عدم الفرضية على ما تقرر في بحث مفهوم المخالفة ولان الامر بالعبادة
لنيل الثواب والكافر ليس اهلا له وليس في سقوطها العبادة عنهم تخفيف بل تغليظ نظيره ان الطبيب
لا يامر العليل بشرب الدواء عند اليأس لانه غير مفيد فكذا ههنا وقد ذكر عن الامام شمس الايمة ان

ن الا بتعلماء وقد يكون م

علمائنا لم ينصوا في هذه المسئلة لكن بعض المتاخرين استدلوا من مسائلهم على هذا وعلى الخلاف بينهم وبين
الشافعي رضي الله عنه فاستدل البعض بان المرتد اذا اسلم لا يلزمه قضاء صلوات الردة خلافا للشافعي
فدل على ان المرتد غير مخاطب بالصلوة عندنا وعنده مخاطب بها والبعض بانه اذا صلى في اول الوقت ثم ارتد
ثم اسلم والوقت باق فعليه الاداء خلافا له بناء على ان الخطاب ينعدم بالردة وصحة ما مضى كانت
بناء عليه فاذا عدم صحة ما مضى فبطل ذلك الاداء فاذا اسلم في الوقت وجب ابتداء وعنده الخطاب
باق فلا يبطل الاداء والبعض فرعوه على ان الشرايع ليست من الايمان عندنا خلافا له وهم انما يخاطبون
بالايمان فقط فلا يخاطبون بها عندنا لانها غير داخلة في الايمان ويخاطبون بها عنده لكونها من الايمان
عنده والكل ضعيف اما ضعف الاستدلال الاول فلانه انما سقط القضاء عندنا لقوله تعالى ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فسقوطه عندنا لا يدل على ان المرتد غير مخاطب بل يمكن ان يكون مخاطبا لكن
سقط عنه بالاية المذكورة واما الثاني فلان الموجب انما سيطل بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله فاذا اسلم في الوقت يجب لا محالة واحتج على ضعف التفريع المذكور بانهم يخاطبون بالعقوبات
والمعاملات عندنا مع انها ليست من الايمان فقوله انما يخاطبون بالايمان فقط ممنوع ولما ابطل
امام الاستدلالات المذكورة قال والاستدلال الصحيح على المذهب ان من نذر بصوم شهر ثم
ارتد ثم اسلم لا يجب عليه فعلم ان الردة يبطل وجوب اداء العبادات وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم والضمير في انه الحق للتحويل اي يعلمون ان التحويل الى الكعبة هو الحق
لاشتراك التحويل لاستلزامه الكذب في بشارة الانبياء فانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلعم انه يصلي
الى القبلتين وقيل الضمير للتوجه وقراء الحسن ليعلمون بضم الياء وما الله بغافل عما يعملون
وعد ووعيد الفريقين وقرئ بالياء والتاء وروي انهم قالوا للنبي عليه السلام ايتنا بعلامة ونحن
على تصديق مقالتك فنزل قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى
الذين جحدوا التحويل الى الكعبة بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام في لئن موطئة
للقسم واللام الموطئة للقسم هي التي تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظا كقولك والله لئن اكرمتني
لاكرمتك او تقديرا كالذي نحن بصدده ليوذن ان الجواب للقسم لا للشرط فهذا معنى توطئتها
ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المقدر ونايب مناب جواب الشرط والمعنى ما تركوا اتباعك
لشبهة تزيلها بايراد البرهان وانما تركوه وخالفوك مكابرة وعنادا مع علمهم بما في كتبهم من
نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم اذ كانوا قد ماجوا في ذلك واضطربوا
وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تعزيزا وطمعا في رجوعه
الى قبلتهم وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وهو عطف على مجموع
الكلام السابق لا على ما وقع في موقع جواب القسم والشرط ولهذا عدل الى الاسمية وورد
بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فانهم مع اتفاقهم على مخالفتك

يختلفون

يختلفون في شان القبلة لاستقبال اليهود الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه وقرا الخليل بتابع قبلة بعض بالاضافة
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ومجي ان الشرطية ههنا بعد تقريرها انتفاء الاتباع بقوله
وما انت بتابع قبلتهم دليل على ان ليس استعمالها الا على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا
بعد ما تبين لك الحق بالبرهان القاطع وهو المعلوم الذي اوحي اليه انك اذا لمن الظالمين ولا يخفى ما في
هذا الكلام من تاكيد التهديد والمبالغة فيه من ثمانية اوجه القسم واللام الموطئة وان واللام في الخبر واسمية
الجملة واذا الجزائية ومن البيانية وتعريف الظالمين تعظيما للحق المعلوم وزيادة لتقريره وايثار طريقة
من الظالمين على انك اذا ظالم او الظالم لافادتها ان ذلك مقرر لا شبهة في اضافة الاهواء اليهم دلالة على
ان ما هم فيه من الباطل الذي لا يعضده برهان ولا ينزل في شانه بيان وفي ذلك من التحريض على الاقتداء
بهدى الانبياء والتحذير عن متابعة اهل الاهواء والاستفظاع لحال تارك الدليل والتهييج والالهاب
للثبات على الحق على ما لا يخفى لان مثل هذا الخطاب له بعد الافصاح والاعلام عن حقيقة حاله المعلومة
عنده بانه عليه السلام لا يتبع اهواءهم ليس الا تهييجا له على الرسوخ على ترك اتباع الهوى او نقول هذا
الخطاب وان كان للنبي عليه السلام لكن المراد به امته كانه قيل لئن ملتم الى قبلتهم واتبعتم مذهبهم من بعد
ما جاءكم من العلم والبيان ان دين الاسلام هو الحق والكعبة هي القبلة الحكم انكم اذا لمن الظالمين لمن المرتكبين
الظلم الفاحش الذين اتيناهم الكتاب قيل يعني علماءهم وفيه نظر يعرفونه الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق له ذكر في هذا الكلام لدلالة الكلام عليه او للعلم بمعنى المعلوم الذي اوحي
اليه او للقران او لتحويل القبلة المدلول عليه بما سبق من الكلام كما يعرفون ابناءهم يشهد للوجه
الاول ويعضده حديث ابن سلام اي يعرفون رسول الله باوصافه المعينة المشخصة لمعرفتهم ابناءهم
لا يلتبسون عليهم بغيرهم يعني انهم يعرفونه من غير التباس انه ذلك النبي الموعود في التورية والا
يخيل لان المراد معرفة نبوته وانه نبي بالحق وعن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن
رسول الله عليه السلام [illegible] صلعم فقال انا اعلم به مني بابني قال عمر ولم قال لاني لست اشك في
محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وقال وفقك الله يا ابن سلام
قد صدقت وما روي عن مقاتل انه قال ان اليهود قالوا للنبي عليه السلام لم تطوفون
بالبيت المبني من الحجارة فقال لهم اما لكم تعلمون ان الطواف بالبيت حق وانه هو القبلة المكتوبة
في التورية فجحدوا فانزل الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه الاية يعني يعرفون ان البيت
قبلة كما يعرفون ابناءهم ففيه تقوية للوجه الاخير والوجه السابق هو الحقائق وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن منهم
او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب فان قيل الجهال لا يدخلون
في الذين يعرفونه فكيف استثناؤهم واخراجهم واجيب بان اختصاص حكم المعرفة وقد

ان الذين كفروا سواء عليهم فليتدبر وقريب منه ما يقال ان معنى يعرفون انه يوجد منهم العرفان
اسناداً لفعل البعض الى الكل لاختلاطهم وارتباطهم فعلى هذا تخصيص قوله الذين اتيناهم
الكتاب بعلمائهم ممنوع على ما لا يخفى **الحق من ربك** استيناف والحق مبتدا خبره الظرف
واللام للعهد اشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق المذكور في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه
هو الحق من ربك او للجنس كاللام في الحمد لله والائمة من قريش والتوكل على الله ومنه قولهم الكرم
التقوى والنسب الى الاباء دلالة على القصر لان المبتدا نفس الجنس مع انتفاء قرينة البعضية والمعنى
ان الحق كله ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب او خبر
مبتدا اللام للجنس لا غير كما في ذلك ... حال موكدة نحو هو الحق بينا او خبر بعد خبر للمبتدا
اللام للجنس فعلى هذا اي كونه خبر المبتدا اللام للجنس لا غير كما في ذلك الكتاب والمعنى ان ما جاءك
من العلم او ما يكتمونه هو الحق لا ما يدعون ويزعمون وليس لاعتبار العهد مع معنى
وقرا علي كرم الله وجهه الحق من ربك بالنصب على انه بدل من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك
او مفعول يعلمون **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به
وهذا الخطاب ان كان للنبي عليه السلام فالغرض التهييج والالهاب للثبات على الحق الذي هو
عليه للقطع بانه عليه السلام لا يمترى في ذلك فمثله لا يكون الا تهييجا له على الحق الثابت من الله
ولا يخفى ما في ذلك من نهي امته عن الامتراء بالطف وجه بمعنى ان من كانت امة لك كان امتراؤه
امتراءك واما على تقدير كونه عاما كما يسبق الى الذهن فالغرض نهي كل احد عن الامتراء بمعنى
لا ينبغي لاحد ان يمترى ويشك في ذلك **ولكل وجهة** اي ولكل من اهل الاديان المختلفة
قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة قيل ولكل امة قبلة فيه نظر على ما لا يخفى او لكل قوم من المسلمين
جهة وجانب من الكعبة والمضاف اليه محذوف هو واحد بدليل قوله هو موليها اي كل واحد
على ما هو الشايع في كل اذا كان منونا من غير قرينة الجمعية وفي حرف ابن مسعود ولكل جعلنا
قبلة يرضونها وقرا الخليل وجهة بضم الواو وهو موليها بالتخفيف **هو موليها** وضمير المذكر اما
لكل واحد المفعولين محذوف وهو وجهه اي هو موليها وجهه وانما يذكر تعالى والمفعول ضمير عايد الى
الكل اي الله موليها اياه فانه تعالى مولى القبلة كل واحد من اهل الاديان المختلفة ولخار بعضهم
الاول لظهور المرجع وقرئ ولكل وجهة بالاضافة وعلى هذه القراءة الضمير راجع الى الله قطعا اذ لا ذكر
للغير والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها فاللام مزيدة في المفعول لتقدمه على العامل كما في لزيد
ضربت ولزيد ابوه ضاربه مع كون العامل اسم فاعل وقيل اللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف العامل
على ان العامل في التحقيق مقدر والمذكور تفسير له اي لكل وجهة الله مولي موليها ولزيد ابوه
ضارب ضاربه بحذف المفعول الاخر اي اهلها وبعد استغنى عنه قليل ان الضمير للمصدر وان
لكل وجهة انما هو المفعول الاول بحذف المضاف اي لكل صاحب وجهة وضمير هو موليها

هو المفعول

وبين كلا تخصيص الذين يعلمون الحق ومن ربك

ان الله بالله

هو موليها هو المفعول وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة
قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم اعني لكل من اهل الاديان وقال الكلبي موليها اي متبعها
وراضيها وقال مجاهد مستقبلها وابن عباس موجهها نحو بيت المقدس مرة ونحو الكعبة مرة **فاستبقوا**
الخيرات فاستبقوا انتم الخيرات واسبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيرها من الطاعات التي تنال
بها السعادات الدنيوية والاخروية ولا يخفى ما في هذا التاويل من تخصيص الخطاب اي الخطاب في قوله فاستبقوا
هذا بالمسلمين وهو غير ملايم لعموم الاية وعموم قوله اينما تكونوا وان كانت خاصة بامة محمد عليه السلام يكون
فاستبقوا الخيرات عاما في القبلة وغيرها ويجوز ان تخص الخيرات بالجهات الفاضلات والمعنى فاستبقوا
الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت وعلى هذا بناء التقدير يكون قوله
اينما تكونوا خاصا بامة محمد عليه السلام ليلايم التخصيص اي **اينما تكونوا** من الجهات المختلفة **يات بكم الله جميعا**
اي يجمعكم ويجعل صلوتكم مع اختلاف جهاتها وتقابلها في حكم متحدة الجهة كانها كلها مسامتة لعين الكعبة المسجد الحرام
فان الافضل تحري التوجه الى عين الكعبة وسمتها اقرب ما يكون يمكن ومعناه على تقدير العموم في اي مكان تكونوا
من موافق ومخالف يجمعكم الاجزاء او معناه يجمعكم يوم القيمة ويحشركم للجزاء وعلى هذا لا يخلو الكلام عن
التهديد او اي مكان تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم ويجمعكم جميعا الى ... يوم معلوم
ومعنى استبقوا الطلب التسابق فيما بينكم من الخيرات او تسابقوا الى الخيرات على حذف الجار وايصال الى الفعل نحو قوله واختار موسى قومه فان الافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي والارتهان والتراهن
مثلا والتسابق في الاصل المعارضة في السبق طلبا للغلبة ثم استعير للمسارعة والاقبال الى الشيء اي سارعوا
مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى الخيرات التي تفوزون بها السعادات الدينية والدنياوية وقيل
بادروا الامم بالطاعات **ان الله على كل شيء قدير** فيتصرف فيكم كيف يشاء من الموت والحيوة وغير
ذلك فيميتكم ويحييكم ويجمعكم وهو في التحقيق تقرير لما قبله وتاكيد ولهذا لم يعطف **ومن حيث خرجت**
اي من اي مكان خرجت للسفر ولم يصلح ان يكون من حيث متعلقا بفعل بعده لامتناع الحرفين
فيتعلق بمحذوف عطف عليه قوله اي افعل ما امرت به قوله ويجوز ان تحمل من حيث خرجت في
الشرط اي اينما كنت وتوجهت فالفاء للجزاء وقرا زيد بن علي وابن عمير من حيث بفتح الثاء وهي لغة
لبعض العرب يفتحون الثاء في الاحوال كلها قال سيبويه حيث بني على الفتح كما بني اين وكيف **فول**
وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت **وانه** وان هذا الامر بتولية الوجه شطره **للحق من ربك**
وما الله بغافل عما تعملون قرا ابو عمرو بالياء غيبا والباقون بالتاء خطابا **ومن حيث خرجت**
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر الامر بتولية الوجه
شطر المسجد الحرام حيث ذكرها ثلث مرات لتاكيد امر القبلة وهو الذي يقتضيه المقام و
لتعدد الفوايد حيث نيط بكل منها ما لم ينط بالاخر فعلى الاولى تعظيم رسوله بابتغاء مرضاته
واجابته عليه وايتاء ما حبه ويتمناه ثم امر الكل باتباعه واظهار عناد اعدائه وعلى الثانية التسمع

للخيرات

اللام

لا الاتصال والشاطر

بحقية المامور اي تولية الوجه شطر المسجد به مفصلاً بالوعيد على تاركه وعلى الثالثة تشريف
امته بتخصيص الخطاب وافراده وتعليق الحكم بما نيط به من الفوايد فذكر سبحانه وتعالى للتحويل
ثلث علل وقرن بكل معلولا علته تثبيتاً لهم وتقريباً واعداماً للشك والشبهة فقرن بالاول
قوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وبالثاني قوله وانه للحق من ربك وبالثالث
قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة وقوله ولاتم نعمتي عليكم بالاولين حقية المامور به وبالاخير
حكمه ومصالحه واشباعاً لذلك التاكيد والتشديد لان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة
والشبهة والحاجة الى التفرقة بينه وبين البدا فبالحري ان يوكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى وتكرر
عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا ولام التعريف
للعهد وحجة اسم كان وللناس خبره وعليكم حال من حجة لكونه في الاصل صفة لها او متعلق بالخبر
وقوله الا الذين ظلموا منهم مجرور بدل من الناس لانه المختار في كلام غير موجب او منصوب على الاستثناء
منه والمعنى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القايلين ما ترك محمد قبلتنا الى الكعبة
الا ميلا الى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء وفيه تنبيه على ان حكم النفي
متعلق بكل افراد لا بكل جمع وانه لعموم النفي لا لنفي العموم وسمى هذا حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
يساقونها مساق الحجة والبرهان ومعلوم ان ذلك ليس بحجة بل شبهة ظاهرة البطلان وقيل اطلاق
اسم الحجة عليها مبني على ان الاستثناء من النفي اثبات اي الا للظالمين ويرد عليه ان المذكور
في صدر الكلام ان ثبت الحجة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز والا لم يصح الاستثناء لان الحكم نفي
الحجة الحقيقية ولا محيص سوى ان يراد بالحجة المتمسك حقاً كان او باطلاً ومنهم من جعل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة راساً كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم للعلم بان الظالم لا حجة له وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج
احتجاج او لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل
ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة فانهم يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابايه ويوشك ان يرجع
الى دينهم والفرق بين المعنيين ان المراد بالناس في الاول اليهود وفي الثاني العرب وبحجتهم هناك
ترك ما هو مذكور في كتبهم وهنا ترك قبلة ابي العرب وقرا زيد بن علي الا الذين ظلموا منهم على انه
استيناف بحرف التنبيه وقيل على حجة بناء على ان قوله الذين ظلموا مبتدا خبره فلا تخشوهم اي فلا
تخافوهم فان مطاعنهم في قبلتكم لا تضركم كما انهم لا يضرونكم واخشوني في ترك امري فلا تخالفوا
لغوا ما امرتكم به قرا نافع في رواية ورش لئلا بغير الهمزة تخفيفاً والباقون بالهمزة ابقاء على حالته الا
صلية اذ اصله لان لا وقرا عمرو بن ميمون والخشون بغير يا اجتزاء بكسر النون ولاتم نعمتي
عليكم ولعلكم تهتدون علة فعل محذوف وهو امرتكم بذلك اي وللاتمام النعمة عليكم وارا
دة اهتداكم امرتكم بذلك اي بالتولية شطر المسجد الحرام وانما قدر متاخراً للاختصاص والا
هتمام فان الحذف دليل ان الاهتمام بالمذكور اكثر او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم

دينكم ولاتم نعمتي عليكم وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن جابر قال النبي صلعم اوحى الله
الي ان ياخي عبادي ان من افتقد عن سلطان يستعد به وعن طبيب يستشفيه وعن
جار يوذيه وعن ساق يدوخيه فقد اتممت نعمتي عليه وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة
الموت على الاسلام ولا يجوز ان يكون عطفاً على لئلا يكون على ما زعم بعضهم لبعد المناسبة
ولان ارادة الاهتداء علة للامر بالتولية لا تفصل المتوجه الى الكعبة زيد على ما هو الظاهر ولئلا
يكون كما ارسلنا متعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة بالثواب كما اتممتها
في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني فهو على الوجهين
في محل المصدر ومن اقامة السبب مقام المسبب فانه على الاول ارسال الرسول سبب لاتمام النعمة
وعلى الثاني سبب للذكر وهما المسببان فيكم رسولا منكم من جنسكم بشراً عربياً مثلكم او من ولد
ابيكم ابراهيم ان كان الخطاب للمومنين من اهل الكتاب والعرب معاً لكونهما من ذرية ابراهيم
او من ولد ابيكم اسمعيل ان كان الخطاب للعرب فقط لان هولاء ليسوا من ولد اسحق وتنكير
رسولاً للتعظيم يتلو عليكم اياتنا بعد ما كنتم اهل جاهلية لم يطرق اسماعكم شي من الوحي ويزكيكم
او يطهركم من تدنس القلوب بالكفر ونجاسة الاركان بارتكاب الخبايث والمحرمات او يأخذ
منكم الزكوة وقيل يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد والحقيقة في دعوة ابراهيم
باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كنتم اجهل الناس وابعدهم
من اقتناص العلوم ودراسة الحكم ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا سبيل
الى علمه بغير الوحي وكرر الفعل دلالة على انه جنس اخر فاذكروني اذكركم والعبارة على الطاعة
ذكره لتفسيره وجميعها افضلها ما يوجد في الكتاب ثم ما يعضده السنة او فاذكروني بالشكر اذ
كركم بالزيادة لقوله لئن شكرتم لازيدنكم او اذكروني بالخير اذكركم بوفاء الاجر انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب او اذكروني بالتوكل اذكركم بالكفاية بدليل قوله ومن يتوكل على الله فهو
حسبه او اذكروني بالاحسان اذكركم بالرحمة لقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين او اذكروني
بالاستغفار اذكركم بالمغفرة والرحمة ومن يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً او اذكروني بالمجاهدة
اذكركم بالهداية والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا او اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم
في الشدة والبلاء فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الخبر بعجزهم او اذكروني بالدعاء
اذكركم بالاجابة والعطاء ادعوني استجب لكم او اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
عند الشاهد او اذكروني في النسكر اذكركم في الحديث ابو هريرة وانس رضي الله عنهما او اذ
كروني في الدنيا اذكركم في العقبى او اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات او اذكروني بالتوبة
والخضوع والرجاء اذكركم بقبول التوبة وبالامن والعطاء او اذكروني بالصدق والاخلاص
اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص وقيل بالصدق والرفق وقيل بالكلام والمعنى

او للمومنين من اهل الكتاب

بعض

وقيل بالاثابة وبالاجابة وقيل اذكروني بالندامة واشكروا بالسلامة اذكركم بالكرامة يوم
القيمة واحلكم دار المقامة وقيل اذكروني بالربوبية في الفاتحة اذكركم بالرحمة والمعونة
في الخاتمة وقيل بالتذلل وبالتطول وقيل في السراء وفي الضراء ثم الذكر في التحقيق التوجه الى
حضرة القدس وجناب الجلال والاشتغال بخدمته وعلامة الكمال فيه للذاكر نسيان غير المذكور
ظاهرا وباطنا وله فوايد منها عدم تفييض الشيطان بحيث لم يجعل ملوزا في قرن جنوده المفسدين
ومنها سعة المعيشة في الدارين ومنها عدم الخسران وهذه ثلثتها مبنية على ما قيل في المثل السائر
ان الاشياء تتبين باضدادها كما لا يخفى على من تاملها تاملا تاما ومنها كشف الحجب المنعة وازالة
الظلمات البشرية على ما يدل قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
لان من المعلوم قطعا ان ما سوى الواجب تعالى وتقدس ممكن لذاته والممكن لذاته اذا خلي ونفسه وترك
من حيث هو هو بقي على العدم بل عدم والعدم منبع الدجي والظلم فكل ما سواه تعالى مظلم في ذاته وليس
نور شيء منه واشراقه الا منه لحضرته منبع الانوار ولا جرم كان الاشتغال بحضرة القدس والكمال
والتوجه الى جناب العزة والجلال مستوسلا وموصلا انوار عالم الربوبية الى القلب والجوارح باطنها وظاهرها
فتزول ظلمات البشرية راسا واساسها واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بانكار الايدي وعصيانه
وجحد ساير النعم من ارسال الرسول وتعليم العلوم والحكم وغير ذلك يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلوة اي استعينوا على مطالب من خالفكم وساير المكاره بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة
عند وقوعها ولهذا كان عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة او على حوايجكم الى الله بالصبر والصلوة
اي بالجمع بينهما انه بجمع المعية ويجوز ان يراد بالصلوة الدعا على ما هو معناه الاصلي وقيل
بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس وبالصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المومنين ومناجات
رب العالمين وقال الضحاك استعينوا على صوم شهر رمضان وعلى صلوة الخمس وقال مجاهد استعينوا
بالصوم والصلوة مطلقا ولذا تقدم وجاء اطلاق الصبر على الصوم ويجوز ان يكون التقدير واستعينوا
على نصرة النبي وطاعته بالصبر والصلوة وباب التاويل في مثل ذلك مفتوح فتح موادها ان الله
مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ومعنى المعية ههنا ان الله ينصر الصابرين ويدفع عنهم
العوادي والخطوب ويكشف الفوادح والكروب وفي الاية دلالة على ان من صام وصلى فهو من الصابرين
فيدخل تحت عموم الوعد في قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات هم اموات بل احياء بل هم احياء وقرا ابن السميفع لمن قتل وقال العباس بن الفضل
في مصحف ابن مسعود ولا تقولوا للذين يقتلون في سبيل الله انهم اموات بل هم احياء لو كنتم تعلمون
ولكن لا تشعرون ما حالهم وكيف هي في حيوتهم وفيه ايذان على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا غذاء له
واضمحلاله ولا مما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا

وعشيا

وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا
يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهداء جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقال
الضحاك نزلت الاية في النفر الذين قتلوا عند بدر معاوية وقال الكلبي نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر
حيث قال الناس مات فلان مات فلان وفيها اشارة الى ان الارواح جواهر قايمة بانفسها وانها تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن ويدل على تزايد ادراك كما
ثبات الفرح والذوق بها ضرورة انه ملزوم للادراك ما لم يكن وتخصيص الحيوة والاشباهها في الشهداء مع
ثبوتها في غيرهم لاختصاصهم بالقرب والزلفى ومزيد البهجة والكرامة او لحوقهم بها لان من ليس كذلك
لم يكن حيوته معتدا بها فكانه ليس حيا وقرا الاعمش لا يشعرون بالياء ولنبلونكم واللام جواب القسم
اي والله لنصيبنكم اي بشيء من الخوف والجوع بل للاصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلايا و الثواب
وتثبتون على الطاعات وتستسلمون للقضاء والقدر ام لا بشيء من الخوف والجوع بقليل من كل
واحد من هذه البلايا وانما قلله بالنسبة الى ما عصمهم عنه منبها على ان ما اصاب الانسان وان جل يقل
نظرا الى ما فوقه او بالاضافة الى ما يصيب معانديهم في الاخرة ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم
وانما اخبرهم بذلك قبل الوقوع لان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب
اذا وقع لما تقدم من توطينهم عليها انفسهم وقرا الضحاك باشياء من الخوف ونقص من الاموال والانفس
والثمرات عطف على شيء او الخوف ببعض وشيء من نقص الاموال والاولاد وجوبا لئلا تنكير نقص
وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ما قال عبدي
فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعنه عليه السلام اذا سبقت
للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده او ماله او ولده ثم صبره حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له
عند الله تعالى وقيل المراد بالخوف خوف العدو وبالجوع القحط وبالنقص من الاموال ذهابها او العمر
وموت الماشية ومن الانفس الموت والقتل والامراض ومن الثمرات نقص الثمار لا تخرج على مجيرها او
يصيبها الافة وقيل لما كان الخوف متجددا بتجدد الانذار صح الابتلاء وان كان منه ما هو حاصل عند
نزول الاية وكذلك الكلام في المرض وموت الولد وهذه قبل ايجاب الزكوة وصيام شهر رمضان وهذا
تقرير لما قال الشافعي فليتامل وبشر الصابرين عطف على نبلونكم عطف المضمون والخطاب للرسول
عليه السلام او لكل من يتاتى منه البشارة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
والمصيبة كل شيء يؤذي الانسان لما روي عنه عليه السلام انه طفى سراجه فقال انا لله وانا اليه راجعون
فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المومن فهو له مصيبة ولهذا قال العلماء ان احدكم اذا انقطع
شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون كان عليه من الله الصلوة والعفو والرحمة والمغفرة الصابرين

تسليم

المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعنه عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى خالقه ويتذكر ما انعم عليه من النعماء والالاء ليرى ما معه اضعاف ما استرد منه فيهون على نفسه ويستسلم له وعنه عليه السلام من ذكر مصيبته او ذكرت عنده فاسترجع جدد الله ثوابها كيوم اصيب بها وعن ابن جبير لم يكن الاسترجاع الا لهذه الامة ولو اعطي احد سواهم لاعطي يعقوب عليه السلام الا يرى الى قوله عند فقد يوسف يا اسفى على يوسف ان يقولوا وهو ماخوذ من قوله عليه السلام لقد اعطيت امتي شيئا ما اعطيت سائر الامم قال يعقوب يا اسفى على يوسف ان يقولوا عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون والمبشر به محذوف يدل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة اسم الاشارة مبتدا وخبره عليهم صلوات وهذه الجملة واقعة موقع الاستيناف والمراد بالصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة ومثل قوله رافة ورحمة رؤف رحيم ومعناه عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة فجمع الصلوات للتكرير كالتثنية في سعديك بمعنى لا انقطاع لرافته وكذا في الرحمة بتنكير التفخيم لان حملها على عدة من ذلك ثلثة وما فوقها مما ليس كثير معنى وهي اير جعات الى ايصال المسار ودفع المضار وما يقال ان الصلوة من الله رحمة فهو اخذ بالحاصل وبان الرحمة ايضا تنبئ عن الرافة والانعطاف ومنه الرحم وقيل الصلوة من الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان ولا يخفى ما فيه مما ليس في استعمالات لا قدمين والمحدثين من المهرة المتقنين وان كان صحيحا بحسب المعنى واولئك هم المهتدون لسبيل الرشاد وطريق الصواب والسداد حيث صبروا واسترجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علم اللام علما جبلين بمكة كالمقطم والصمان لكونهما علمين مع اللام من شعائر الله من اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة وقال الجوهري الشعاير اعمال الحج وكل ما جعل علما على طاعة الله تعالى قال الاصمعي الواحد شعيرة وقيل شعارة فاضافة الشعاير الى الله هيهنا بمعنى اعلام مواضع العبادة وفي تعظيم شعاير الله بمعنى اعمال الحج واذا قيل شعاير الشرع فالمراد ماهو بمنزلة الاعلام والعلامات كالاذان والاقامة وكثير من افعال الحج فمن حج البيت او اعتمر الحج في الاصل القصد والاعتمار والزيارة ثم غلب في الشرع على قصد البيت وزيارته بالنسكين المعروفين والفرق ظاهر للاطلاق والتقييد وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه ان يطوف بهما اصله يتطوف فادغم التاء في الطاء وقرئ ان يطوف من طاف وقرا ابن عباس وانس ان لا يطوف بزيادة لا كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وهما صنمان قال عليه السلام اساف ونايلة رجل وامراة كانا بمكة فمسخهما الله حجرين وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون الطواف لكن اختلف في وجوبه فعن انس وابن عباس وابن الزبير انه سنة قيل وعليه احمد لقوله فلا جناح اذ الاباحة والتخيير هو المتبادر الى الفهم عرفا من رفع الجناح

وهو ضعيف

بينهما لاجل ذلك والا يكون لهم جناح فيه فنزلت رفعا للجناح عنهم ثم اجمعوا على انه مشروع في الحج والعمرة

وهو ضعيف لان قرينة كونهما من شعاير الله ربما يدفع الاباحة المتبادرة وايضا نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة قيل وبه قال احمد انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند عمر لا شيء عليه وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي واعلم ان للمحققين سناهينا كلاما فيه فوائد جليلة وهو ان الواو لمطلق العطف اي لجمع الامرين وتشريكهما في الثبوت او في حكم او في ذات يدل ليل النقل والاستقراء ولا يدل على المقارنة اي الاجتماع في الزمان كما نقل عن مالك ولا على الترتيب اي تاخر ما بعدها عما قبلها في الزمان كما نقل عن الشافعي فلهذا لم يجب الترتيب في الوضوء لئلا يلزم الزيادة على الكتاب من غير دليل جواب اكرمسوك ان الغسل المذكور بعد الفاء لا يقتضي الا كونه عقيب القيام الى الصلوة وهو حاصل على تقدير عدم رعاية الترتيب فيما بين الاعضاء ولا نسلم دلالة الفاء الجزائية على اللزوم تعقيب مضمون الجزاء بمضمون الشرط من غير تراخ ووجوب تقديم ما بعدها على ما عطفت عليه بالواو للقطع بانه لا دلالة فاذا نزعت للصلوة لاية على انه يجب الشيء عقيب المنادى بلا تراخ وانه لا يجوز تقديم ترك البيع على السعي واحتج على كونها للترتيب بقوله ان الصفا والمروة من شعاير الله فقال الصحابة رضي الله عنهم بايهما نبدا فقال النبي عليه السلام ابدوا بما بدا الله فنص عليه السلام من الترتيب فامرهم به والجواب انه لا امر بثبوت وجوب الترتيب بالقران وفهم عليه السلام ذلك منه بل ثبت وجوبه لنا بقوله عليه السلام ابدوا بما بدا الله تعالى والنبي عليه السلام بها الا من وحي غير متلو فان الحكم المستفاد من القران هو كونهما من الشعاير وهذا لا يحتمل الترتيب اذ لا معنى لتقدم احدهما على الاخر في ذلك والحديث لا يدل على ان بداءته تعالى موجبة لبداءتكم لكن تقديمه في القران لا يخلو عن نكتة كالتعظيم او الاهمية او غيرهما ولا يخفى ان هذا يقتضي الاولوية دون الوجوب وانما الوجوب حقيقة يجب الامر له من وحي غير متلو ولنا بقوله ابدوا فمن تطوع خيرا التطوع في اللغة التبرع وقيل لفعل الطاعة مطلقا فبعض الاصحاب استدل به على التطوع والسنة الا ان تعد به بنفسه يعرف بان من الاتيان بالفعل طوعا فلا ينافي الوجوب وفسره بعضهم بقوله اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا منصوب بانه صفة مصدر مقدر او من اسلوب واختار من يعني فرضه او بانه مفعول لتضمن تطوع معنى اتى او فعل وقرا يعقوب وحمزة والكسائي ومن يطوع يعني ومن يتطوع فادغم على ما مر في يطوف وقرا عبد الله ومن يتطوع بخير بزيادة الباء فان الله شاكر عليم مثيب على القليل من الطاعة الكثير من النعمة عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء والفكر مثل في الاثابة واعطاء الثواب اذ قيل لله شاكر وعكوره كان الكفران مثلا في حرمان الثواب ان الذين يكتمون من احبار اليهود فانهم كتموا نعت محمد عليه السلام واية الرجم وغير ذلك مما نطقت به التورية وشهدت على حقيتها ما انزلنا في التورية من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى والهداية بوصفه الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه ومن بعده تعالى

بما انزلنا وقيل القران وما فيه من الاحكام وعلى هذا متعلق بيكتمون للناس في الكتاب في التورية
لم ندع لهم موضع اشكال ولا للقياس على احد منهم وقد يقال في القران أولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقيل الكافرون
ايضا لقوله يلعن بعضكم بعضا الا الذين تابوا عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما
افسدوا من اعمالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم ليتم توبتهم او بينوا للناس ما احدثوه
من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم المعتدون فان قلت هلا يجاب
بالفاء في الخبر الذي هو اولئك يلعنهم قلت لئلا يحصر السبب في لعنهم وذلك خلاف المقصود وخلاف الواقع
نظرا الى ان له اسبابا غير ما ذكر فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة قال ابن عباس رضي الله عنهما
من تاب الله عليه لم يعذبه ابدا وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة لمن تاب ورجع
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار يعني من لم يتب من هولاء الكاتمين حتى ماتوا على ذلك
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولان لعنهم اسبابا جمة سوى هذا لم يدخل
الفاء في الخبر ومعنى لعنة الله عليهم السخط عليهم وتبعيدهم عن المغفرة والثواب ومعنى لعنة الملائكة
والناس الدعاء بمعنى عليهم بذلك ثبت واستقر عليهم لعنة الله وخلقه وقيل يستفاد من قوله ماتوا انهم
يلعنهم الله في الحيوة ومن هذا انه بعد الممات لان امر الدنيا على التجدد والحدوث وامر الاخرة على الثبات
والاستقرار فاندفع التكرار وقرا الحسن والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه
فاعل في التقدير كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو بالتحقيق وفاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة
قيل المراد بالناس المؤمنون وقيل بل هو عام يشمل الفريقين خالدين فيها اي في اللعنة
وقيل في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون
او من النظر اي لا ينظر اليهم نظر رحمة ومغفرة او لا ينتظرون ليعتذروا والهكم اله واحد
خطاب عام اي المستحق بالعبادة فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يعبد غيره وان
يسمى الها غيره الواحد قد يراد به نفي النظير وقد يراد به نفي الكثرة فهو بالمعنى الاول عرف بانه الذي
ليس في الوجود موجود يساويه في الوجود الذاتي وفي العلم بجميع المعلومات وفي القدرة على جميع
الممكنات وقيل في القدم والوحدانية واما بالمعنى الثاني فقد ذكروا في تعريفه وجوها الاول انه
شيء لا ينقسم وقريب منه قول من قال معناه المتوحد المتعالي عن الانقسام الثاني الذي لا يصح فيه
لا شك الثالث الذي لا يصح فيه الوضع والرفع الرابع الذي لا يتجزا ولا يثنى قال بعضهم الواحد ما لا
يكون عددا والفرق بينه وبين الاحد من وجوه احدها ان لفظ الواحد يمكن ان يجعل وصفا
لاي شيء اريد بخلاف الاحد فانه لا يمكن وصف شيء في جانب الاثبات به الا الله تعالى اذ لا يصح
ان يقال ثوب احد ورجل احد مثلا وكذا بالتعريف اما في جانب النفي فقد يذكر في ما سواه

تعالى

تعالى فيقال ما رايت احدا وما ضربت احدا الثاني ان الواحد اسم لمفتتح العدد فيقال واحد
اثنان ثلثة ولا يقال احد اثنان ثلثة الثالث انه في النفي اعم من الواحد يقال ما في الدار واحد بل اثنان
ولو اقيم احد مقامه ههنا لكان خطا اخر وصف الهكم بواحد بيانا لما هو المقصود من الوحدة التي هي
احد محتمليه وذلك لان الاله يحتمل الجنسية والوحدة فان اصل المنكر ان تكون لواحد من الجنس
فيقع القصد بها تارة الى الجنس فقط وتارة الى الوحدة فقط فاذا قصدت الى الاله على ان الغرض الذي
يساق له الكلام هو الوحدة وصفت بما يبينها تصريحا على ما هو الاصل في الغرض او تاكيدا لاحد محتمليه
الذي هو المعنى المسوق له الكلام وبه قال الزمخشري في قوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما
هو اله واحد فتضمن النظر في لا اله الا هو تقرير الوحدانية بنفي غيره واثباته فان هذه الكلمة نظرا
الى مفهومها نفي لكل اله سواه وباعتبار الاستثناء اثبات له والوهيته اذ المقصود من النفي اثبات فيما اذا كان
بدلا فانه يكون هو المقصود بالنسبة وهذا اعني كون الاستثناء بدلا مذهب جمهور المحققين فانهم
ذهبوا الى انه بدل من اسم لا وان الخبر محذوف تقديره لا اله لنا الا هو او لا اله موجود الا هو وانما قدر الوجود
دون الامكان لان التوحيد هو بيان وجوده ونفي النظير لا بيان امكانه وعدم امكان غيره ولان
هذا الكلام رد لخطا المشركين في اعتقاد تعدد الالهة في الوجود وايضا القرينة وهي نفي الجنس
دالة على الوجود لا الامكان واورد ~~وهو ان البدل هو المقصود بالنسبة~~ على الاول بانه كيف يصح ان البدل
هو المقصود والنسبة الى المبدل منه سلبية واجيب بانها وقعت النسبة الى البدل بعد النقض بالا فالبدل هو
المقصود ~~بالنسبة~~ بالنفي المعتبر في المبدل منه لكن بعد نقضه ونقض النفي اثبات واورد على الثاني وهو ان الخبر
محذوف تقديره لنا وجهين اما اولا فلان التقدير لو كان لا اله لنا الا هو لم يكن هذا الكلام دالا على
توحيد الحق لانه يحتمل ان يقال هب انه لا اله لنا الا هو فلم قلتم انه لا اله لجميع المخلوقات الا هو ولهذا السبب
قال تعالى والهكم اله واحد ثم قال بعده لا اله الا هو وفايدة تكرار التوحيد انه لما قال والهكم اله واحد بقي لسايل ان
يسال ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم ان اله الكل واحد فلاجل ازالة هذا السوال قال بعده لا اله الا هو
واما ثانيا فلانه لو تقدير الكلام لا اله في الوجود الا هو فانه حاصل بمجمله على التزام هذا الاضمار
بل اجراء الكلام على ظاهره اولى لانه لو التزم كان معناه لا اله في الوجود الا هو فكان هذا نفيا لوجود
الاله الثاني ولو اجري على ظاهره كان نفيا لماهية الاله الثاني ومعلوم ان نفي الماهية اولى واقوى
في التوحيد من نفي الوجود فاجراء الكلام على ظاهره اولى واعلم ان كثيرا من الناس ذهب
الى ان الاسم الاعظم لله تعالى لفظ هو والقايلون بهذا القول اذا ارادوا المبالغة في الدعاء قالوا
يا هو يا من لا هو الا هو يا من به هوية كل هو واحتجوا على ذلك بوجوه الاول ان هو كناية
عن فرد موجود على سبيل الفردانية والوجود والغنية عن كل الممكنات اما الفردانية
فالفرد المطلق من كل الوجوه ليس الا هو واما الوجود فله بذاته ولغيره ليس الا منه واما
الغنية عن كل الممكنات فلانه يستحيل ان يكون حالا في غيره ومحلا لغيره ومحتاجا الى غيره

لخالق مقدر في العقول وكانت بلغ في الظهور الي غاية درجات العلوم الضرورية ومن ثم قال تعالى هو لكن لا اله الا

فكانت هذه الكلمة اخلص الاسماء لله تعالى الثاني ان افتقار الخلق الي هو بعد قوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا الاية وقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فلفظ هو اشارة الي ذلك الموجود الذي شهدت فطر الخلايق وعقولهم بافتقار الكل اليه الثالث ان فيه انباء عن تجليله واشعارا بتعظيمه وتنبيها الى العظمة والكبرياء فانه اذا اريد ان يعتبر عن ملك عظيم وان كان حاضرا فلا يقال انت فعلت كذا ورسمت كذا بل يقال هو فعل كذا فكان اعظم الاسماء وقيل كلمة هو دالة على ما بعدها من الصفات فانها تدل في الاية الثانية على انه تعالى هو الباطن بماهيته وحقيقته صمديته وانه هو الظاهر بحسب دلايله وقس عليه ساير الايات الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية فانه لما كان المولى لجميع النعم اصولها وفروعها وماسواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق الالوهية والعبادة احد سواه اذ النعمة والمنعم عليه لا يكون الها لما فيهما من الاحتياج المنافي للالوهية وهما خبران اخران لقوله الهكم او المبتدا محذوف فان قلت هل يجوز اعتبار البدلية فيهما قلت لا لامتناع بدل البدل وقيل بدل من هو ان كان خبر مبتدا ولا يجوز ان يكون صفة لان المضمر لا يوصف ولا خبرا لهو لان المستثنى ههنا ليس بجملة وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واعلم انه وان امكن اثبات الوحدانية بالدلايل النقلية لعدم توقف صحتها على التوحيد استدل المتكلمون بدلايل عقلية فقالوا يمتنع وجود الهين مستجمعين لشرايط الالهية لوجهين الاول لو وجد الهان قادران على الكمال لكان نسبة المقدورات اليهما سواء اذ المقتضي للقدرة ذاتهما وللمقدورية الامكان فيستوي النسبة بين كل مقدور وبينهما فاذا يلزم وقوع هذا المقدور المعين اما بهما وانه باطل لامتناع مقدور بعينه قادرين واما باحدهما ويلزم الترجيح بلا مرجح فلو تعدد الاله لم يوجد شيء من الممكنات لاستلزامه احد المحالين المذكورين الثاني اذا اراد احدهما شيئا فاما ان يمكن من الاخر ارادة ضده او يمتنع وكلاهما محال لانه اما ان يحصل الامران فيلزم اجتماع الضدين او لا فيلزم عجز احدهما لعدم حصول مراده وهو امارة الحدوث والامكان لما فيه من شايبة الاحتياج وهذا هو برهان التمانع المشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فالتوحيد حق والتعدد باطل لاستلزامه امكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا ثم انهم قالوا انه يخالف في هذه المسالة الثنوية دون الوثنية فان الوثنية قالوا نجد في العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا وان الواحد لا يكون خيرا شريرا بالضرورة فلكل منهما فاعل على حدة والجواب منع قولهم الواحد لا يكون خيرا ولا شريرا اللهم الا ان يراد بالخير من يغلب خيره على شره وبالشرير من يغلب شره على خيره ثم يقال لهم الخير ان قدر على دفع شر الشرير ولم يفعل فهو شرير وان لم يقدر عليه فهو عاجز عن بعض الممكنات فلا يصلح الها فلا يوجد الهان كما ذكرتم وانما قالوا دون الوثنية لانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الاوثان بصفات الالهية وان اطلقوا عليها

اسم الالهة

اسم الالهة بل اتخذوها على انها تماثيل الانبياء والزهاد او الملايكة او الكواكب واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلا بها الى ما هو اله حقيقة ان في خلق السموات والارض جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات منفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين ولعله اشير بجماعة وتعالى نزلك ايجاز قوله ان في خلق السموات الخ وذلك الايجاز هو ان يقال ان في ترجح وقوع كل ممكن على لا وقوعه لايات للعقلاء اي علامات دالة على وجود الصانع ووحدانيته وساير صفات كماله لان وجود الممكن لما لم يكن من ذاته كان من فاعل واجب لذاته او منتهي اليه قطعا للدور والتسلسل وانما ترك ايجاز لكونه كلاما مع الانس والجن مع اهالي الازمنة الى انقراض الدنيا لا مع الانس فقط ولا مع اهل زمان واحد ولعل ان فيهم من المقصرين في باب النظر والاستدلال وتحصيل العلم بالصانع وصفاته القديمة فتقل او ان مقام ادعى للاطناب من هذا المقام فلا يتصور ذلك واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة وهو من اجل الايات وارفعها ولذلك قال عليه السلام تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة الف سنة رواه انس رضي الله عنه والفلك اي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انما مصدرية او موصولة اي بنفعهم او بالذي ينفعهم مما يحمل فيها وضمير الفاعل اما للبحر او للجري لا للفلك لكونه جمعا وقرى الفلك بضمتين على الاصل والجمع غير صيغة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى ابتدايية والثانية والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بيبوستها وبث فيها من كل دابة عطف على انزل بحذف العايد كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض به او على احيا اي فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والاكثرون على ان المانع من العطف على انزل وجود الفاصل الذي هو فاحيا به الارض والمحققون لا يرضونه اذ لا يتوهم كون بعض اجزاء الصلة ما نعا من العطف عليها ومن ههنا جوزان تكون بيانية وزايدة وتبعيضية نظرا الى ما كان من الافراد المتقدمة الثابتة في علم الله تعالى بل الى ما زعم بعضهم من ان في السماء ايضا دواب والبث النشر والتفريق وما قيل من انهم ينمون بالخصب وكثرة الارزاق ويعيشون بالامطار المبني عليها امر النبات والاشجار والزروع والثمار والمياه والانهار فيكثرون وهو معنى البث فهو تقرير لما قلنا وتصريف الرياح اي تغيير هافي مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والتصريف في الاصل التغيير ثم قيل للتحويل شيء من حال الى حال وقرا حمزة والكسائي بغير الف مفردا والباقون بالالف جمعا واختار الاول ابو عبيدة عند ذكر العذاب والثاني عند ذكر الرحمة هكذا في جميع القران استدلالا بالحديث ثم الرياح ثمان اربع عذاب واربع رحمة فاما الرحمة فالناشرات والذاريات والمرسلات والمبشرات واما العذاب فالعاصف والقاصف العاصف الريح الشديد والقاصف

Margin notes (left page):

او نعمة الجوار

وهو مجول على السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا

التي تقصف الاشياء اي تكسرها

وهما في البحر والقصر والعقيم وهما في البر والسحاب المسخر بين السماء والارض التسخير التذليل
والتركيب يدل على الاطاعة ومنه سفن سواخر اذا اطاعت لها الريح وقيل مسخر للرياح تقلبه
في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء والاشتقاق من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم
يعقلون فان العقلاء وقليل ما هم بدليل ما نطق به القران في غير موضع يتفكرون وينظرون
اليها بعيون عقولهم ويستدلون بها على وجود صانعها ووحدته وساير صفاته العظمى لكونها دلايل
واثارا فلا بد لها من مؤثر واجب الوجود ثم وجوب الوجود يدل على الوحدة والعلم والقدرة وغير
ذلك على ما بين في علم الكلام ويساق اليه ثم اقرب الافهام والمشهورات المتكلمين استدلوا في اثبات
الصانع باحوال خصوصيات الاثار على وجود المؤثر فقالوا ان الاجسام والاعراض محدثة قطعا
فلا بد لها من صانع ولا يكون حادثا والا احتاج الى مؤثر اخر فيلزم الدور او التسلسل او الانتهاء
الى قديم والاولان باطلان والثالث هو المطلوب وقيل لو لم يوجد الواجب لانحصرت الموجودات باسرها
في الممكن ولو انحصرت فيه لاحتاج الكل الى موجد مستقل يكون ارتفاع الكل بالكلية وذلك
بان لا يوجد الكل ولا واحد من اجزائه اصلا ممتنعا بالنظر الى وجود ذلك الموجد المستقل
اذ ما لا يمنع جميع انحاء العدم لا يكون موجبا للوجود والثاني الذي اذا فرض عدم جميع الاجزاء كان
ذلك الخارج العدم ممتنعا نظرا الى وجوده يكون خارجا عن المجموع لا نفسه ولا داخلا فيه فيكون
ذلك الخارج واجبا وهو المطلوب وقيل لو لم يوجد واجب لذاته لم يوجد واجب لغيره فيلزم ان لا يوجد
موجود اصلا لانحصار الموجود في الواجب والممكن اما الاول وهو انه اذا لم يوجد واجب لم يوجد ممكن
فلان ارتفاع الجميع مرة لا يكون على ذلك التقدير ممتنعا لا بالذات ولا بالغير واما الثاني
فلانه لم يجب اما بالذات واما بالغير لا يوجد كما تقرر من ان الموجود اما واجب مسبوق
وجوده بوجوبه الذاتي واما ممكن مسبوق وجوده بوجوب من علته وبمثل هذه
الدلايل يحصل العلم القطعي بالصانع الواجب الوجود للموجد للممكنات وفي الاية والدلايل
المذكورة تنبيه عظيم على شرف علم الكلام وعلمائه وحث على البحث والنظر فيه وعن
النبي عليه السلام ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يستدل بها فان من تفكر
فيها فكانه حفظها ولم يلقها من فيه قوله لايات اي لادلة واضحة على الصانع الواجب الوجود
الموجد لها وعلى وحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته وقوله لقوم يعقلون اي لقوم يفتحون بصايرهم
للنظر والاستدلال وتحصيل العلم والاعتبار فيتفكرون في قدرة مقدرها وحكمة مدبرها ولا
ينظرون اليها نظر البهايم غافلين عما فيها من عجايب النظر ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا ولما ثبت انتهاء الموجودات الى واجب الوجود لذاته وامتنع طريان العدم
على الواجب لزم كونه تعالى احديا ازليا ابديا وان يكون ذاته مخالفة لساير الذوات كما
ذهب اليه نفاة الاحوال حيث قالوا المخالفة بينه وبينها لذاته المخصوصة لا لامر زايد عليه

وهو مذهب الاشعري وابي الحسين البصري فانهما قالا المخالفة بين كل موجودين من الموجودات
انما هي بالذات وليس بين الحقايق اشتراك الا في الاسماء والاحكام دون الاجزاء المقومة
وعلى هذا فهو مقدس منزه عن المثل اي المشارك في تمام الماهية وعن الند الذي هو المثل المناوي
اي المعادي سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وفي مجيئه بالواو حيث قال ومن الناس رمز الى نكتة
لطيفة وهي ان تلك السموات والارض وما فيهما قد امتثلت لامر الله وحكمه امتثالا لا يصح من الجماد
والطاعة اطاعة يليق بها حيث لم تمتنع عن مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيات
مختلفة واشكال متنوعة وكانت في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع ومن الناس
مع حيوة وكمال عقل وصلوحهم للتكليف لم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الامتثال
والقبول لاوامره ونواهيه مثل حال تلك الجمادات بل ابى وامتنع ذاهبا يمينا وشمالا الى ما كانت
الى ما يسول له الشيطان من اتخاذ الانداد والشفعاء ولافادة هذه النكتة جيء بالواو ولم
تقطع عطفا على ما قبله قوله اندادا قيل اي امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا
يتبعونهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بدليل الضمير في يحبونهم
وقد يستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا وجه الاستدلال ان تبرا لا يمكن من الاصنام واجيب
بانه لا دلالة في الكلام على كون الذين اتبعوهم الانداد و [illegible] الاظهر عندنا ان المراد اعم
منهما وهو كل ما يشغل الشخص عن الله تعالى مثل محبته على محبته مرجحا طاعته على طاعته
يحبونهم اي يعظمونهم كحب الله كتعظيم الله اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني
للمفعول اذ لا دلالة في الكلام على الفاعل اي المؤمنين فالمعنى على تشبيه محبوبية الاصنام من
جهة الكفار بمحبوبية الله من جهة المؤمنين من محبوبية بمعنى احببته واما اذا اريد كحبهم الله
فالمصدر من المبني للفاعل اضيف الى المفعول لدلالة الكلام على الفاعل فان قيل على الوجه الاول
كيف ينتظم قوله والذين امنوا اشد حبا لله وقد حكم اولا انهم يحبون الاصنام كحب الله اجيب
بان التفضيل انما وقع بين المحبتين والترجيح بين المحبتين وانما اشد حبا على الحب الشبيه
في الاشد محبوبيته والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه
اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد
ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي وقد يقال محبة العبد لله كيفية روحانية
مترتبة على تصور الكمال المطلق الذي فيه على الاستمرار ومقتضية للتوجه التام الى حضرة القدس
بلا فتور وقرار واما محبة العبد لغيره فكيفية تترتب على تخيل كمال فيه من لذة او منفعة
او مشاكلة تخيلا مستمرا كمحبة العاشق للمعشوق والمنعم عليه للمنعم والوالد للولد والصديق
للصديق وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول علامة حب الله تعالى حب
ذكر الله تعالى وعلامة بغض الله بغض ذكر الله ثم المحبة لها بداية وهي الملاطفة ونهاية وهي العشق

والذين امنوا اشد حبا لله لانهم مستمرون ثابتون عليه ولا يزالون يحبونه و لا
يعرضون عنه بحال من الاحوال ولا يوثرون عليه ما سواه بخلاف المشركين فانهم يعرضون
عن الهتهم في الشدايد ويقبلون على الله تعالى فيفزعون اليه ويخضعون له كما قال الله تعالى
اخبارا عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله الاية ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
او يأكلونه كما اكلت باهلة الصنم من حيس عام المجاعة وهي قبيلة من قيس عيلان وقال
سعيد بن جبير ان الله تعالى يامر يوم القيامة من احرق نفسه على رواية الاصنام في الدنيا ان
يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذابها على الدوام ثم يقول للمؤمنين ان كنتم احبائي
فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها فينادي مناد من قبل العرش والذين امنوا اشد حبا لله وقرا
الحجاج اشد حبا بنصب الدال ولو يرى الذين ظلموا وضعه لو على المضارع في مثله لتنزيله منزلة
الماضي لصدقه عمن لا خلاف في اخباره او لاحضار الصورة الهايلة وجواب لو محذوف والمعنى
ان حالهم الفظيعة قد تحققت وانقضت ولو رايتها لرايت امرا عظيما وانما حذف ليدل
على ان جواب الشرط شيء لا يحيط به الوصف وليذهب نفس السامع كل مذهب ممكن ويجوز
ان يكون بمعنى ان كما ذهب اليه بعضهم ويرى متعد الى مفعولين لكونه بمعنى يعلم اي ولو يعلم
هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد فان الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد فجيء بالظاهر ليدل
على ان ما يرون من فظيع العذاب انما هو لفاحش ظلمهم الذي هو الشرك المدلول على عظمه
وبلوغه الغاية باطلاق الفعل وترك المتعلق نحو فلان يعطي اذ يرون العذاب ويرون
متعد الى مفعول واحد وهو العذاب فيكون بمعنى يبصر ويشاهد الا انهم يعتبرون بعاينوا
دون يعاينون لان اذ للماضي فنزل ما هو للوقوع كالواقع اجراء للمستقبل مجرى الماضي
لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى بالتاء على انه خطاب
للنبي عليه السلام او لكل من يتاتى منه الرؤية فهو ايضا متعد الى واحد وهو الذين ظلموا واذ يرون
بدل منه وكذا اذ تبرا اذ لا بدل للبدل وان القوة في موقع بدل الاشتمال من العذاب وفي مصحف ابن
مسعود حين يرون العذاب ان القوة لله جميعا نايب مناب مفعولي يرى اي لو يعلمون ان القدرة
كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب اذا عاينوا العذاب بعد الموت لندموا اشد الندم وقيل هو
متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان
القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وعلى هذا يكون مفعول الجواب المحذوف وقيل هو علة الجواب
المحذوف لا مفعوله اي لرايت امرا عظيما لان القوة لله جميعا وان الله شديد للكافرين وفيه
فصل بالجواب و متعلقه بين البدل الذي هو اذ تبرا والمبدل منه وهو الذين ظلموا وقرا ابن عامر
اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب بالكسر على الاستيناف
او اضمار القول وروى حماد عن المسيبي عن نافع ان القوة وان الله بالكسر وعن ابي حيوة

ان القوة بتخفيف ان وبرفع القوة قيل على ترجمة العذاب اي اذ يرون العذاب الذي هو قوة
الله ولم ينقل عنه في وان الله شيء و يلزمه ان يقرا وان الله بالتخفيف كذا في كتاب غرايب القران
والفعيل من صيغ صفة المشبهة وهي دالة على الثبوت والتقدير شديد عقابه اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا اي اذ تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرا مجاهد بالعكس اي
تبرا الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال وقد مضمرة والضمير للمتبوعين والاتباع جميعا
اي تبروا في حال رؤيتهم العذاب وليست للعطف على ما زعم بعضهم لتاديته الى بداله من اذ يرون
وليس فيه كثير فايدة ولان الحري بالاستغاثة والاستعطاف هو تبريهم في حال روية العذاب لا هو
من لخصه بمجرد بنفسه وقرا الخليل وراوا العذاب بكسر الواو وتقطعت بهم الاسباب عطف
على تبرا وهو الاظهر وقيل على راوا او حال وضمير بهم للطايفتين جميعا كضمير رأوا العذاب فلا وجه
لجعل المرجع للجار على المعطوف واما الباء فللسببية اي تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التي كانوا
يقصدون بها النجاة وقيل للحال اي ملتبسة بهم الاسباب متصلة وقيل اي موصولة بهم الاسباب
وذهب بعضهم الى انها بمعنى عن كقوله تعالى فاسال به خبيرا اي عنه والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع وهذا كقوله تعالى لقد
تقطع بينكم في قراءة الرفع والنصب جميعا اذ لا تفاوت في حاصل المعنى اي الاسباب والوصل التي بينكم حال
على قراءة الرفع ومن قراه بالنصب جعله ظرفا اي فيما بينكم واصل السبب الحبل الذي يرتقي به الشجر وقرئ
تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا جواب وهي
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني اي ليت لنا كرة ورجعة في تفسير الى الدنيا
فنتبرأ منهم او شرط حذف جوابه وهو لفعلنا كيت وكيت وقوله فنتبرأ عطف على كرة اي لو ان لنا
ان نكر فنتبرأ منهم مثل تبريهم منا وقرا زيد ابن علي وعبيد ابن عمير فنتبرا بسكون الهمزة قيل
لعلهم سكنوها لكثرة الحركات وانما تمنوا الرجعة الى الدنيا ليرون المؤمنين انهم لهم شفعاء من
النبيين والمطيعين واصدقاء من المتقين وليس لهم شيء من ذلك لانه لا يشفع ولا يهتم
يوم القيمة الا المؤمنون واما اهل النار من الكفرة والمشركين فبينهم التعادي والتباغض
قال الله عز من قايل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين كذلك اي مثل ذلك الاراء الفظيع
وهذا مبني على ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى اراء آخر يقصد تشبيه هذا الاراء
على ما بيناه في وكذلك جعلناكم امة وانما قدر المصدر الخالي من التاء مع ان المشهور الاراءة لان العرب
ربما تحذف التاء كما في قوله تعالى واقام الصلوة ولئلا يحتاج في تذكير اسم الاشارة الى تاويل
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وهي ثالث مفاعيل اريهان كان من روية
القلب والا فحال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم
وقال ابو حاتم حسرات بسكون الشين لغة مثل تمرة وتمرات وما هم بخارجين من النار

تقديم الضمير وايلائه حرف النفي كثيرا ما يفيد الحصر والاختصاص على انهم قد نقلوا بان دلالة
الجملة الاسمية الدالة على الثبوت على القصر بالوضع وان لم يكن الخبر فعلا بل صفة كقوله تعالى وما انا بطارد
المؤمنين وما انت علينا بعزيز الى غير ذلك فالاقرب عندي ان الاية من هذا القبيل لعدم المانع كما
في قوله وما هم بمؤمنين ولان المشركين كاليهود والنصارى وامثالهم يعتقدون انهم يخرجون من النار
على ما صرح به قوله تعالى حكاية عنهم وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وهذا عكس الحكم الذي اثبته
الله في كتابه المبين وانزل في كتبه المنزلة على النبيين كما تقولون ما زيد بقائم لمن اعتقد اتصافه
بعكسه ونقيضه ردا عليه والمعنى ليس من شانهم ان يخرجوا من النار كانه قيل ان خروجهم
منها محال كالمحال كقولك الفرس ليس من شانه ان ينطق والحجر ليس من شانه ان يأكل ويشرب
تستحيل منهما ذكرا استحالة على سبيل القطع والغرض المبالغة في الخلود والاقناط عن نجاة العذاب
والرجوع الى الدنيا وبهذا نفتتر وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم
واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين يعني ان ذلك مستحيل وبما ذكرنا يظهر ضعف ما قيل ان
هذا ليس من باب التقديم لافادة الاختصاص بل من باب العدول الى الجملة الاسمية لرد كلامهم
بابلغ وجه واكده فكن الحاكم دون شرح المقام مقام المبالغة والتاكيد على التاكيد بشهادة الاسمية
وتقديم المسند اليه سيما اذا كان ضميرا وزيادة الباء الموكدة لاستغراق النفي وذلك اعني المقام
الخطابي المقتضي للمبالغة اذ دليل واعدل شاهد على الحصر والاختصاص على ان قراين الاختصاص
مشتهرة اشتهار الشمس في منتصف النهار فان مقام انسب بالاختصاص من هذا فالمعنى على
اختصاص النفي وحصره في ما يلي حرف النفي يعني ان عدم الخروج من النار مقصور على الكفار
لا يتجاوزهم الى غيرهم كناية عن ... وكذلك قوله وما انت علينا بعزيز والمعنى ان عدم العزة مقصور
عليك لا يتجاوزك الى رهطك وقوله وما انا بطارد المؤمنين اي عدم طرد المؤمنين مقصور
على لا يتخطاني الى من سواي من الكافرين وبهذا يتبين تمحل ما قيل وبعد ان هم في الاية
بمنزلته في قولهم يعرشون الليد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص
يريد ان تقديم الضمير في الاية والبيت لمجرد التقوي دون الاختصاص لعدم مناسبة
المقام فانه ليس المقام مقام تردد ونزاع في ان الخارج هو او غيرهم على الشركة او الانفراد بل اللايق مقام
اراءة اعمالهم حسرات عليهم القطع والبت بانهم لا يخرجون من النار البتة وكذا مراد الشاعر تحقيق
انهم يعدون كرام الخيل لاغاثة من يستغيثهم لكون ذلك مطمح نظرهم ومهمى غرضهم لا نفي الشركة او
انفراد الغير بذلك وان كان كلاما صحيحا من جهة المعنى بل الصحيح انما هو هذا اما في البيت
فان عاء واما في الاية فبالنظر الى مقابل هؤلاء الكفرة من اصحاب الكباير الذين ليسوا بكفار سوى
اطلق عليهم اسم المؤمن كما هو مذهب اهل الحق او لا كما هو راي المعتزلة وقد دل على ذلك قوله
والذين امنوا اشد حبا لله اي صدقوا وقرا حسين الجعفي عن ارحين بالامالة وروى عن احمد

عن ابي عمرو يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم من العرب مثل
بني مدلج وخزاعة وبني عامر وغيرهم ممن حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وما
احل عليهم من الحرث والانعام وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض
ومن للتبعيض على هذا التقدير اذ لو كان مفعولا فهي للابتداء لان من التبعيضية في موضع
المفعول اي كلوا بعض ما في الارض فان كل ما فيها ليس بماكول فان قيل هلا يجوز ان يكون حالا
من حلالا قدم عليه لتنكيره اجيب بان كون البعضية ظرفا مستقرا او كون اللغو حالا لا يقول
به النحاة طيبا قيل اي طاهرا من كل شبهة لان الطهارة من الحرمة فدل عليه الحلال وفسره بعضهم
بما يستطيبه الشرع والشهوة المستقيمة ورد على الاخير من وجهين بان ما ليس كذلك اما حلال بلا شبهة
فلا منع منه فخارج بقيد الحلال والمعنى كلوا مما في الارض ما احل الله لكم وطاب ولان روايته عليه السلام
كان ياكل الدجاج والفالوذج وكان يحب الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن
ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا
فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي ولا تتعدوا ولا تتجاوزوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتحرموا الحلال
وتحلوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة خطوات بتسكين الطاء وقرئ بضمتين
وبفتحتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو والواو المضمومة قد تقلب همزة
مثل اجوه واقتت وبفتحه وسكون وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو
والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة والقبضة والغرفة والغرفة الفتح المرة من الفعل
والضم بمعنى المفعول اي المقبوض والمغترف وقرا علي كرم الله وجهه خطوات مثقلة
مهموزة يقال اتبع خطواته ووطئ عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته وقال الزجاج خطوات
الشيطان اي طرقه والمعنى لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم اليها الشيطان انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة لا خفاء به عند اولي الالباب وقيل مظهر العداوة انما يامركم بالسوء
والفحشاء تقرير العداوة ووجوب الحذر عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه على الشر
تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم وفيها اي في هذه الاستعارة الرمز الى انهم بمنزلة المامورين له
لو قبولهم وساوسه والسوء والفحشاء ما استقبحه الشرع وانكره العقل والعطف لاختلاف
الوصفين فانه سوء باغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبايح والفحشاء
ما تجاوز الحد في القبح من الكباير وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما لا يجب فيه الحد
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كتحريم الطيبات وتحليل المحرمات وغير
ذلك وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه
ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بين في الاصول

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ضمير لهم للناس وعدل عنهم بالخطاب وذكروا
بلفظ الغيبة للنداء الاحمق على ضلالتهم وانهم احقاء بان يصرف عنهم الخطاب لفرط جهلهم وانهم كم
في الكلام كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون في الجواب فالمراد
بالناس الذين يقال لهم هذا القول وقيل المشركون امروا باتباع القران وساير ما انزل الله من
الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا
بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا قوله ما انزل الله يعم التورية لانها ايضا تدعو
الى الاسلام قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا والفينا معناه وجدنا وهذا قول عن الدليل اذ ليس له
حجة اخرى وقرا مجاهد بل نتبع الحنيفية أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو للحال
او العطف والهمزة للرد اي لا ينبغي ان يكون وقد دلت على فعل يعطف عليه تقديره ابل نتبع ما الفينا والمعنى
ايتبعون ما وجدوهم عليه وحالا لو كان اباءهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الى الصواب
يريد ان الاتباع مع استواء حال المتبوع في العقل والاهتداء وعدمهما باطل [illegible] بل انما يصح اتباع
الغير اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام وهذا ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله
وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً على حذف مضاف تقديره
ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى ان
الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك
كالبهايم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل
معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه اذ لا
دخل له في التشبيه لان الاصنام لا تسمع شيئا في التشبيه وان كان مركبا لان المذكور في الجانبين لا بد
ان يكون له دخل في التشبيه وان يكون ما اعتبر في احد الجانبين بما له مناسب في الجانب الاخر وقيل
معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها كمثل البهايم التي لا تسمع الا
الصوت ولا تفهم ما تحته فلذلك لا ينتفعون [illegible] ويجوز على الوجه الاول ان يراد
بما لا يسمع الا الاصنام لانه بمنزلة غير العقلاء وان يراد به البهايم على ما هو الظاهر من كلامها ومن
لفظ النعيق الشايع في تصويت البهايم وما ذكره بعضهم من نعق الموت قليل جدا وقرئ الخليل ينعق
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ رفع على الذم اي هم صم وقرا الضحاك وابن عبيدة صما بكما وقد مر وجهه فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
اي بالعقل للاخلال بالنظر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ يعني ما طاب ولذ
من الحلال قيل لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين
منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال وَاشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم واحل لكم
وفسر بعض المعتزلة الطيبات بالمستلذات وذكر ان الطيب على ما قيل له ثلث معان
الطاهر والحلال والمستلذ فمن فسرها بالمستلذات راى ان من فسرها بالحلال من الرزق لا يعم

[margin note: illegible]

انما يكون

انما يكون حلالا لا فان قيل هب ان ما رزقه الله انما يكون حلالا لا طيبا مع ان الحلال في [illegible]
بان تخصيص في مقام الامتنان وطلب الشكر وصيغة الجمع وذلك في مقام الامر بالاحتياط والتحرز عن
الشبهات وعن اتباع خطوات الشيطان إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صح انكم تخصونه بالعبادة
وتقرون انه مولي النعم وعبادته لا تتم الا بالشكر وعنه عليه السلام يقول الله تعالى اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري وانما والمحققون من ارباب
التفسير تبعا لعلماء المعاني على ان انما يستعمل في الكلام المفيد به للقصر لتضمنه معنى ما والا وليس
بمعنى ما والا حتى كانهما لفظان مترادفان اذ فرق بين ان يكون في الشي معنى الشي وان يكون
هو هو على الاطلاق حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ قد مر بيان الحرمة والحل الى الاعيان كحرمة الميتة
والخمر والامهات مثلا وعند بعض الايمة وفخر الاسلام ومن تابعهما حقيقة قالوا ان الحكم يتعلق
بالعين كما يتعلق بالفعل ومعنى حرمة العين خروجها من ان يكون محلا للفعل شرعا كما
ان حرمة الفعل خروجه من الاعتبار شرعا ولا ضرورة الى اعتبار المجاز والحذف فانه يجعل
الحرمة المنع فمعنى حرمة الفعل ان العبد يمنع عن اكتسابه وتحصيله فالعبد ممنوع وهذا كما
يقال لا تشرب هذا الماء وهو بين يديه ومعنى حرمة العين انها منعت عن العبد تصرفا فيها فالعين
ممنوع عنه كما وهو كما اذا صب الماء الذي بين يديه فهذا اوكد وابلغ وكثير من المحققين على انه مجاز
من باب اطلاق اسم المحل على الحال او هو مبني على حذف المضاف بقرينة دلالة العقل على ان الاحكام
انما تتعلق بالافعال دون الاعيان اي حرم اكل الميتة وشرب الخمر ونكاح الامهات والانتفاع بها
وكذا اشار المحقق بناء على ان الحرمة في الشرع قد نقلت عن معناها اللغوي الى كون الفعل ممنوعا
فاعل او كونه ممنوعا عنه شرعا وكان مع ذكرنا اضافة الحرمة الى بعض الاعيان [illegible]
والخمر دون البعض كحرمة خبز الغير [illegible] طريق [illegible] وحرمة الفعل الحرام [illegible]
لعينه او [illegible] الحرمة [illegible] اكل الميتة [illegible] لغيره او [illegible] الحرمة
غيره [illegible] الحل كحرمة اكل مال الغير [illegible] لنفسه [illegible] الحرمة [illegible]
لنفس الفعل [illegible] الاكل [illegible] ممنوع [illegible] الحرام
لعينه [illegible] المحل عن قبول الفعل [illegible] عدم الفعل [illegible] لعدم المحل [illegible] الحرام لعينه
يكون المحل اصلا والفعل تبعا [illegible] الحرمة الى المحل ليدل على عدم صلاحيته للفعل [illegible]
كان الحرام [illegible] اطلق المحل واريد الفعل الحال فيه كما في الحرام لغيره فان اضافة الحرمة فيه
الى المحل على الحذف او الاطلاق فاذا قيل الميتة حرام معناه انها منشا الحرمة [illegible]
[illegible] معناه ان اكله حرام [illegible] من باب اطلاق المحل وارادة الفعل الحال فيه او على
حذف المضاف [illegible] الفعل [illegible] واسئل القرية اي اهل القرية والقرية مجاز عن
الاهل اطلاقا للمحل على الحال والميتة [illegible] ذكاة والتسمية [illegible]

[margin note: [illegible] ممنوع عنه]

[margin note: حرام]

اواستثنى الشرع وقرئ حرم مبنياً للفاعل وحرّم مبنياً للمفعول وحرم بوزن كرم وعلى
الاول لما في انما كافة قطعاً والا لم يبق للكلام معنى اصلاً واما على الاخيرين فهي اما كافة او موصولة
وترجح الكافة باتباع سنة الكتابة والموصولة ببقاء ان عاملة على ما هو اصلها وكلمن انما ومن مو
صولية للمسند اليه وتعرف المسند بلام الحقيقة يفيد حصر التحريم على المذكورات وذكر بالاضافة الى
ما حرمه المؤمنون معها من الطيبات والكفار دونها من السايبة وغيرها فيصح القصر افراداً
وقلباً اضافة وان لم يصح حقيقة لتحقق محرمات اخر ولحم الخنزير وقد عرفت ان الميتة والدم
العموم لعدم العهد فاعلم ان الحاق شحم الخنزير بلحمه في الحكم وهو التحريم بدلالة النص اولى من
جعله داخلاً في ذكر اللحم اذ لا يصح الشبعية والوصفية في شحم البطن الا بتكلف وما اهل به لغير الله
رفع به الصوت للصنم وهو قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى عند الذبح والاهلال اصله رؤية
الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير عند رؤيته سمي ذكراً اهلالاً ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ ولا عاد اي فمن دعته الضرورة على اكل شيء من هذه المحرمات
غير ظالم على مضطر مثله تارك لمواساته ولا متجاوز قدر حاجته من اكله فلا يؤاخذ مالته وقد تمسك
الشافعي رح بقوله فمن اضطر غير باغ الاية على عدم الرخصة لمن يسافر سفر المعصية فجعل قوله
غير باغ حالا من قوله فمن اضطر فجعل رخصة اكل الميتة منوطة بالاضطرار حال كون المضطر غير
باغ اي خارج على الامام ولا عاد اي ظالم على المسلمين بقطع الطريق واجيب بان الاثم وعدمه
لا يتعلق بنفس الاضطرار بل بالاكل فلا بد في الاية من تقدير فعل اي فمن اضطر فاكل ثم يكون
غير باغ حالا من ذلك الفعل اي فاكل حال كونه غير باغ ولا عاد فيجب ان يعتبر البغي والعدوان في الاكل
الذي سيقت الاية لبيان حرمته وحله اي غير متجاوز في الاكل قدر الحاجة على ان عاد مكرر للتاكيد
او غير طالب للميتة وهو يجد غيرها ولا متجاوز قدر ما يسد الرمق ويدفع الهلاك او غير متلذذ
ولا متزود او غير باغ على مضطر اخر ولا متجاوز حد ما يسد جوعته وقرا ابو جعفر فمن اضطر بكسر
الطاء وادغم الضاد في الطاء ابن محيصن فلا اثم عليه في اكله ان الله غفور لما فعل
رحيم فلا يؤاخذه بذلك والمعنى ان المحرم عليكم والذي حرمه الله عليكم الميتة والدم الخ اعني هذه
الاعيان ما لم تضطروا اليها لا اكل الميتة والدم وايا ما كان ينبئ عن الاختصاص فان المنطلق زيد
والذي ينطلق زيد سواء في افادة الحصر ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمناً قليلاً والاشتراء استعارة للاستبدال اي يستبدلون بكتاب الله ثمناً قليلاً والا
فالثمن هو المشترى به والثمن القليل رياستهم التي كانت في قومهم وهي بدل قليل احقير
ومتاع يسير اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اي ملء بطونهم يقال اكل فلان في
بطنه واكل في بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا والظرف متعلق اي في بطونهم يا
كلون بياناً لمكانه كما في قوله واشربوا في قلوبهم العجل ومعنى ياكلون النار ياكلون ما يجر الى النار

فكانه

فكانه نار في الحقيقة فانهم اذا اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليهم فكانهم اكلوا النار كقوله اكلت
دماً ان لم ارعك بضرة يعني الدية التي هي بدل الدم وكقوله ياكلن كل ليلة اكافاً اي يريد ثمن
الاكاف فسماه اكافاً لتلبسه به بكونه ثمناً له ولا يكلمهم الله يوم القيمة لانهم لم يتحدثوا بالصواب في الدنيا
بل حرفوا الكلم عن مواضعه قد نطق الكتاب في مواضع بانه تعالى يسألهم والسؤال كلام فحمل على التعريض بعدم
اكرام الله اياهم او على انه عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه او على نوع من الكلام اي
لا يكلمهم بكلام يحبونه من الرحمة بل يكلمهم بكلام العذاب قال اخسئوا فيها ولا تكلمون فهو على الاولين كناية وعلى
الثالث صريح ولا يزكيهم بالثناء عليهم اذ لم يصدر الثناء منهم حيث ثبتوا واستمروا على الكفر والخيانة والجهالة
ولهم عذاب اليم بكتمانهم ايات الله التي فيها الوعيد عليها وفيها نعت محمد عليه السلام والاية نزلت في رؤساء
اليهود خافوا على رياستهم الفوات لو اصبحوا اتباعاً لرسول الله صلعم فاستبدلوها بكتابه فكتموا الحق
الذي كل كبير اليه حقير فمحمد والحصة عليه السلام فغيروها وقيل كل من يكتم علم النافع من اهلها
كما قال عليه السلام من كتم علماً اعطاه الله تعالى اياه الجم يوم القيمة بلجام من نار اولئك الذين اشتروا
الضللة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية
فان علماءهم وملوكهم كانوا يهدون اليهم الهدايا ويرزقون عليهم الاموال ليكتموا ويسقطوا لهم ما صعب
عليهم من الشرايع فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم
قال الحسن وقتادة والله ما لهم على النار من صبر ولكن ما اجراهم على العمل الذي يقربهم الى النار وما تامة
مبتدأة مخصصة كقولهم شر اهر ذا ناب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يعني ان كلمة ما استفهامية دخلت
على الفعل المتعدي بالهمزة للتوبيخ وكون اصبر بمعنى صبر وجعله صابراً اصلاً معنى فعل التعجب وليس
مراده ان ما استفهامية نقلت الى التعجب كما توهم وقيل ما موصولة والفعل مع متعلقه صلته والخبر
محذوف وما روي عن الكسائي قال الحكى قاضي اليمن بمكة اختصم اليه رجلان من العرب فحلف
احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمراده على عقاب الله بحذف المضاف ذلك بان
الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتب بالحق وان الذين
اختلفوا في الكتاب اللام للعهد والكتاب للجنس والمختلفون هم اليهود القايلون بان البعض
من هذا الجنس حق كالتورية والبعض باطل كغيرها او اليهود والنصارى حيث اختلفوا في شان
الكتب السماوية فرقاً وقالوا نكفر ببعض ونؤمن ببعض قال النبي عليه السلام اختلفت بنو اسرائيل بعد
موسى عم بخمسماية سنة حين كثرت فيهم اولاد سبايا الامم وبعد عيسى بمائتي سنة رواه ابو هريرة
رض ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى كفر اليهود والكتاب للعهد اي القران والمختلفون هم المشركون
حيث اختلفوا في شان القران فقال بعضهم هذا سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير اي كفرهم ذلك بسبب
ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان المشركين المختلفين لفي شقاق بعيد يعني ان المشركين
كانوا كفرة بالنسبة اليهم فهم لو لم يختلفوا ولم يشاقوا الماجسر اهل الكتاب بان يكفروا الاختلاف

فيه ان اصل نفي الكلام

على الوجه الاول عايد الى جنس الكتاب حيث جعلوه قسمين ووصف القوم به تجوز ثم السببية في الوجهين
راجعة الى الحال لا الى محمول الباء نفسه اى كفرهم ذلك بسبب ان الله نزله ملتبسا بالحق وانهم لفى شقاق
بعيد اى خلاف عن الحق وبعد من طلبه في شيء ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب من اليهود والنصارى فانهم اكثروا الخوض في
امر القبلة حين حولت الى الكعبة وادعى كل فريق ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال
ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون الى الخطاب وقيل ليس خاصا
بهم بل يعم المسلمين ايضا اى ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه
عن ساير صنوف البر امرها ولكن البر الذي يجب كل الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال فعلى
الاول اسم ليس على اطلاقه وخبره مقدر فيه لانهم زعموا ان جنس البر في ذلك لا هو هو فنفى وعلى الثاني
حمل هو على الكامل والخبر على تقدير مضاف اى امر ان تولوا والبحث عن ذلك والنزاع فيه اذ لا يزعم
المسلمون ان في نفس توليتهما برا حتى ينفى بل في شان ذلك والبحث عنه وح لا يصح نفي البر راسا
فتعين حمل البر على الكامل الذي كانه البر كله قرا حمزة وعاصم ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم على اسم
ليس وهو ان تولوا والباقون بالرفع وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس
الضارب بزيد هذا على الوجه الثاني ظاهر واما على الوجه الاول فلا لاظهر ان يجعل الظرف خبرا قال صاحب
الغرايب في مصحف ابن مسعود ولا تحسبوا ان البر ان تولوا وفي مصحف انس واوضح ليس البر ان تولوا
وجوههم شطر المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين محمول على حذف المضاف اى بر من آمن بالله فاستغنى عن الثاني بذكر الاول او ولكن ذا البر
من آمن بالله والاوجه ان يقدر شيء بان يكون البر على حقيقة المصدرية والمجاز في الاسناد لما في الوصف
بالمصدر من المبالغة حتى يكون المعنى في رجل عدل انه مجسم من العدل واذا الحمل على حذف المضاف او جعل
بمعنى اسم الفاعل كما في قراءة ولكن البار فان ذلك يجعل المؤمن كانه يجسد من البر كما قالت الخنساء فانما
هي اقبال وادبار فان لا مجاز في شيء من الطرفين وانما المجاز في الاسناد نفسه حيث جعلت الناقة
كانها تجسمت من الاقبال والادبار ولو اريد ذات اقبال وادبار او مقبلة لم يكن شيئا في نظر البلغاء
وقرا نافع وابن عامر ولكن البر بكسر النون تخفيفا ورفع الراء وعن المبرد لو كنت ممن
يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء والقصد منا التنبيه على ان المعنى على الوصفية والمراد بالكتاب
جنس الكتب او القران على اسلوب ما ذكر في قوله ذلك بان الله نزل الكتاب ليلائم الكلام ويشهد قراءة
الجبل والكتب بالجمع وآتى المال على حبه مع حب المال والشح به كما قال عليه السلام لما سئل اي صدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله تعالى او للمصدر
الذي دل عليه آتى الايتاء اى يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه والجار والمجرور في موقع الحال ذوي
القربى واليتامى يريد الفقراء منهم ولم يقيد لعدم الالتباس سوى انه حمل على الايتاء الواجب

اوغيره وذلك لان سوق الكلام وعد مصارف الزكوة يدل على ان المراد الخير والصدقة وايتاء
الاغنياء هبة لا صدقة وقدم ذوي القربى لكونه اعظم المصارف اجرا قال عليه السلام صدقتك
على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح
وهو الذي يضمر لك العداوة في القربى مصدر كالبشرى والحسنى والشكوى ومن قرب خلاف بعد واليتامى
الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء
وفي البهايم من قبل الامهات وقالوا في جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى وجهان قد تقدم الكلام فيه
والمساكين جمع المسكين وهو الدايم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدايم السكر
وعند الشافعي المسكين من يملك ما يقع موقعا من حاجته ولا يكفيه لقوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث
ماله وسمي به لملازمته السبيل كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل
ترعف به اي تقذفه الحيث المضيف والسائلين للطعام اغنياء وفقراء قال عليه السلام للسائل
حق وان جاء على ظهر فرس وقيل اراد الفقراء وقيل المساكين الذين يسالون فيعرف حاجتهم
بسؤالهم واراد بما سبق المساكين الذين لا يسالون ويعرف حاجتهم بحالهم وفي الرقاب وفي
تخليصها بمعاونة المكاتبين وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها واقام
الصلوة المفروضة وآتى الزكوة قيل يحتمل ان يكون المقصود منه ومن ايتاء المال الزكوة
المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون
المراد نوافل الصدقات او حقوقا في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة
يعني وجوبها وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا عطف على من آمن وقرا الجحدري بعهودهم والصابرين في الباساء والضراء نصب
على المدح وفيه اشارة الى فضل الصبر في الشدايد على ساير الاعمال وقرى والصابرون وقرى
والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وحين الباس
وقت الحرب ومجاهدة العدو والباس والبؤس هما الشدة ومنه الباس الفقير وفي مختصر الكرخي
رحمه الله تعالى اوصى بثلث ماله للبايس والفقير والمسكين قال فهو على ثلثة اجزاء جزء للبايس وهو
الذي بالزمانة اذا كان محتاجا والفقير المحتاج الذي لا يطوف بالابواب والمسكين الذي يسال
ويطوف وعن ابي يوسف رضي الله عنه على جزئين الفقير والمسكين واحد اولئك الذين صدقوا
في الدين وطلب البر واتباع الحق يعني من آمن وبذل ماله لوجه الله ووفى فهو الذي
صدق في الدين وطلب البر وقال الضحاك يعني صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم باعمالهم
واولئك هم المتقون اى الفاعلون بالبر كله والمجتنبون عن المنكر فتح سبحانه بذكر الايمان
اذ لا ذاك اساس الخيرات والحسنات ومنشيها ولهذا لا وجود لها بدونه ثم اردفه بذكر

ايتاء المال دلالة على نكتة لطيفة وفايدة جليلة وهي ان احب شيء الى الانسان ماله وهو
شقيق روحه فانفاقه اشق شيء على النفس فاذا ابذله في الله فذلك ادل على الاخلاص واقوى دليل
على ثباته وصدق نيته ونصوح طويته الا يرى الى قوله عز من قايل ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون من انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال
وايضا كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال لحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء اهل الاسلام
الذين هم اولياء الله وخالصة عباده ثم ذيله بذكر الصلوة والزكوة لان هاتين امّا العبادات
البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما فالاية جامعة لكمالات النفس الناطقة باسرها دالة عليها
صريحا او ضمنا فانها مع تكثرها منضبطة في امور ثلث صحة العقيدة المشار اليها بقوله من امن الى
والنبيين وحسن السيرة مع الخلق المدلول عليه بقوله واتى المال الى وفي الرقاب وتهذيب النفس المبني
هذه قوله واقام الصلوة واتى الزكوة الخ ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق الذي هو الاخبار عن الشيء على ما
هو به نظرا الى ايمانه الذي تصديق جناني وبالتقوى الذي هو فعل الطاعات وترك المنكرات اختيارا
بقطري البر احدهما حسن المعاملة مع الحق المبين هو عن التعظيم لامر الله والاخر حسن المعاشرة مع الخلق
المنادى بالشفقة على خلق الله واليه اشار عليه السلام بقوله من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اخبار الشارع
مثل كتب عليكم القصاص وكتب عليكم الصيام والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن واحل الله البيع وحرم
الربوا اكد من الانشا لانه ادل على الوجود فان المخبر به ان لم يوجد في الاخبار يلزم كذب الشارع وهو محال
بخلاف المامور به فانه ان لم يوجد في الامر لا يلزم ذلك فاذا اريد المبالغة في وجود المامور به عدل عن لفظ الامر
الى لفظ الاخبار تاكيدا للامر واشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله وروي ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان بين حيين من احياء العرب دما في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فلما جاء الله بالاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية
وامرهم ان يتباوءوا وعن الحسن وابن عبد العزيز وعطا وعكرمة ان الحر لا يقتل بالعبد ولا الذكر بالانثى
اخذا بهذه الاية وليس هذا بمذهب مالك والشافعي كما سبق الى بعض الاوهام اذ لا يوجد في كتبهما ترده
مانع قتل الذكر بالانثى وانما منعا قتل الحر بالعبد مطلقا لما روي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا قتل عبده
فجلده النبي عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه ان من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر
بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد من غير نكير والقياس على الاطراف وقالوا
هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه
خوطب بها المسلمون وكتب ما فيها ورد بان ما ذكر من كونها مفسرة انما يتم لو كان النفس بالنفس مبهما
ولا ابهام بل هو عام والتنصيص على بعض الافراد لا يدفع العموم سيما والخصم يدعي تاخر العام حيث
يجعله ناسخا لكن يرد عليه انه ليس فيه رفع شيء من الحكم السابق بل اثبات زيادة حكم اخر اللهم الا ان يقال

ان في قوله الحر بالحر الاية دلالة على وجوب اعتبار المساواة في الحرية والذكورية دون الرق والانوثة وعن
سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب امام الاعظم واصحابه انها منسوخة
بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى واحتجوا بقوله عليه السلام
المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به
وايضا قالوا ان المحكي في كتابنا من شريعة من قبلنا بمنزلة النصوص المقررة فيصلح ناسخا وقرئ كتب
مبنيا للفاعل وبنصب القصاص وكذا كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي فمن عفي له
من جهة اخيه شيء من العفو فان قوله شيء واقع موقع المصدر المقيد للموصوف نحو ضرب ضربا
شديدا لدلالة تنكيره على ذلك وله مفعول به ومن لغو متعلق بالفعل او حالا من شيء والحاصل ان العفا لازم
وانما يتعدى الى المفعول بالواسطة وقيل العفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو سهو لانه لم يثبت عفا الشيء
بمعنى تركه بل اعفاه ومنه قوله عليه السلام اعفوا اللحى وعفا وعفا يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله
عفا الله عنها عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كقولك غفرت له وتجاوزت
له عنه وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه وهو ولي المقتول واضافة الاخوة
اليه مقتضية اعتبارا لطيفا منسوبا الى الجار فلزم معنى اخيه له باللام كما تقدم في مطلع الكتاب
وحقيقة الاضافة اللامية الاختصاص من الكامل الذي يصح معه الاخبار بان المضاف للمضاف اليه
فالاضافة بادنى الملابسة يكون مجازا حكميا مصغرا بجعل تلك الملابسة الكاملة الاضافية وذلك
ان ولي المقتول حين لا بد من قبل انه ولي الدم قيل له اخوه او ذكره بلفظ الاخوة ليكون
مطمح نظره ومتقصد همته الاصلاح بين الطرفين كقوله فاصلحوا بين اخويكم وتعطف على صاحبه
بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية الاسلام اذ جناية فعل القاتل ارتكاب الكبيرة اذا كان مسلما
يستاهل النظر اليه لان الظلم واجب حقا لدينه فان العفو عن صاحب الكبيرة حسن وان اصر عليها
كالزنا والقذف والذي نحن فيه وهو القتل عمدا فان العفو عن القصاص فيحسن فان قلت لم
قدر شيء من العفو قلت فايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص
فلم يجب الا الدية ثم استعمال عفا بمعنى محا وازال شايع فيما بين البلغاء لكن في كتب اللغة لكن
المتبادر الى الافهام في هذا المقام هو العفو وترك المواخذة لا المحو والازالة فاتباع بالمعروف واداء
اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع يريد به وصية الولي اذا عفي بان يتبع القاتل بالمعروف
ان لا يطالب الدية الا مطالبة جميلة فلا يعنف به والقاتل اذا عفي عنه بان يوفيها اداء باحسان وهو
ان لا يمطلها ولا يبخسها قال بعضهم فيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر
بادايها على مطلق العفو وللشافعي قولان وقرا ابن ابي عبلة فاتباعا او فليلزم اتباعا ذلك الحكم المذكور
من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التيسير والنفع فان اليهود كتب عليهم
القصاص وحده وحرم عليهم العفو واخذ الدية وعلى النصارى العفو وحرم القصاص والدية

وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والعفو والدية تيسيرا عليهم وتوسعة وفي ذلك من
اللطف والشفقة ما لا يخفى فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد التخفيف المذكور فتعدى
ما شرع الله من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يومن
القاتل بقبول الدية ثم يظفر فيقتله فله عذاب اليم في الاخرة والاليم فعيل من ابنية الصفة
للمشبهة اسند الى العذاب مجازا اي له نوع من العذاب شديد الالم فيها وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية واصح بما قال عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه
الدية وقول قتادة يدل على ان العذاب في الدنيا ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية البلاغة
ونهاية الفصاحة لاشتماله على ما فيه من الغرابة التي هي نكت البلاغة وهو ان القصاص
قتل وتفويت للحيوة وقد جعل محلا وظرفا لضده ولكونه على غاية المطابقة لمقتضى
الحال ومن اصابة قوله في القصاص محز البلاغة بانه زاد على اوجز كلامهم في هذا المعنى وهو قولهم
القتل انفى للقتل بوجوه من الحسن الاول قلة حروفه فانها عشرة وهناك اربعة عشرة
استغناؤه عن الحذف بخلاف قولهم حيث يقدر من تركه انه مطرد اذ في كل قصاص حيوة
وليس كل انفى للقتل بل القتل قصاصا واما القتل ظلما فادعى للقتل انه خال عما في قولهم من تكرار
اللفظ الذي هو عيب في نفسه وان كان حسنا بما فيه من شبه رد العجز على الصدر ان المقصود بالذات
من القصاص وهو الحيوة منصوص فيه بخلاف قولهم على صنعة الطباق حيث جمع بين القصاص
والحيوة الذين هما بمنزلة الضدين انه يشتمل على ما يفيده تعريف المشتمل القصاص من شرعية الحكم
وتنكير الحيوة من معنى النوعية او التعظيم لان المعنى لكم في هذا الجنس من شرعية الحكم الذي
هو القصاص حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا وكم قتل
مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة
ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع
من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص من القاتل
او ما تري العازم عليه الاهم به فتذكر الاقتصاص فاورثه ان يرتدع كيف يسلم صاحبه من القتل
وهو من القود فيتسبب ذكر الحيوة نفسين وقيل المراد بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا
اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة انه يشتمل على ما يفيده دخول كلمة في على القصاص من جعل
ما هو اهلاك للحيوة مكانا ومعدنا لها ان القتل انما ينفي القتل من حيث انه قصاص لا من انه
قتل وقد نص على الجهة فيه لا في قولهم انه افصح لفظا اي من جهة سلاسة اللفظ وعذوبته
حيث لم يشتمل على ما يشتمل عليه قولهم من توالي الاسباب الخفيفة بحيث لا يتلقى فيه حرفان
متحركان الا في موضع واحد وذلك ينقص من سلاسة اللفظ وجريانه على اللسان واعلم
ان القصاص يجب بقتل ما حقن دمه ابدا عمدا وهو المسلم والذمي دون المستامن لان

حقن دمه موقت الى رجوعه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يقتص في جرح ثبت عيانا
او بحجة وجعل المجروح ذا فراش حتى مات وفي قتل بمحدد لا في قتل بظفره او عود
او مثقل او خنق او تغريق او سوط والي في ضرب فمات خلافا لهما والشافعي فانه يجب
عندهم فان المعنى الذي يتم موجبا للجزاء الكامل هو انتهاك حرمة النفس الضرب بالايطية
البدن وعنده المعنى الموجب جرح ينقض البنية ظاهرا وباطنا يعني انه يجب الى جرح فانه
يقع الجناية قصدا على النفس الحيوانية التي هي سبب الحس والحركة وقوام الحيوة فتكون اكمل
واذا كانت الجناية اكمل يترتب عليها الجزاء الاكمل ويختص بها ليقع كمال الجزاء في مقابلة الجناية
ولا في قتل مسلم مسلما ظنه مشركا في التقاء الصفين بل يكفر ويدي ويجب قتل من شهر سيفا
على المسلمين ولا شيء بقتله ولا فيمن شهر سلاحا على رجل ليلا او نهارا في مصر او غيره او
شهر عصا ليلا في مصر او نهارا في غيره فقتله المشهور عليه يعني لا شيء بقتلهما ولا على من تبع سارقا
المخرج سرقته ليلا فقتله وقيل يقتل من شهر عصا نهارا في مصر ويقتل من شهر سيفا فضربه
ولم يقتله فرجع وقتله آخر ويجب الدية بقتل مجنون او صبي شهر سيفا على رجل فقتله المشهور
عليه عمدا في ماله والقيمة في قتل جمل صال عليه وانما لا يجب القصاص فيهما لوجود المبيح وهو
دفع الشر وذكر في الاصول ان القصاص من وجه جزاء المحل ومن وجه جزاء الفعل اما الاول فلقوله
تعالى ان النفس بالنفس وكونه حقا لاولياء المقتول يدل على هذا واما الثاني فلانه شرع
ليكون زاجرا عن هدم بنيان الرب والزواجر كالحدود والكفارات انما هي اجزية الافعال
ووجوب القصاص على الجماعة بالواحد يدل على كونه جزاء الفعل ولكم في القصاص اما خبران
لحيوة او احدهما خبر والاخر صلة او حال عن الضمير المستكن فيه وقرا ابو الجوزاء ولكم
في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران
اي ولكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة يا اولي
الالباب ذوي العقول الكاملة باداعيهم للتامل والنظر في حكمة القصاص من سلامة النفس
الحيوانية التي بها الحيوة وحفظ الروح وتعمير الطبايع الاربع لعلكم تتقون تعلمون
عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به والقبول له او تتقون القتل مخافة القصاص
وهو خطاب له فضل اختصاص بالايمة لان الحكم بالقصاص والمحافظة على حدوده اليهم
وان كان للناس جميعا فيه حيوة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اذا حضر اسبابه وظهرت
اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي كرم الله وجهه ان مولى له
اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال
الكثير وليس لك مال يعني كثيرا وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته
كم مالك فقال ثلثة الاف اي من الدراهم لانه المتعارف عند الاطلاق قالت كم عيالك قال

هو ابو الجوزاء اوس بن عبد الله الربعي

اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوا
لدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل المصدر بمعنى الايصاء
او ان مع الفعل وهذا وجه حسن التذكير والا فهو شايع في المونث الغير الحقيقي بلا فصل
ولذلك ذكر العايد في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه وقيل
مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر واحتج بعضهم على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان نسخ
قوله تعالى الوصية للوالدين والاقربين بقوله عليه السلام فلا وصية لوارث وهذا الاحتجاج
فاسد لان الوصية للوارث نسخت باية المواريث في الاول فوضها الينا ثم تولى بنفسه بيان
حق كل منهم لعلمه بجهل العباد وعجزهم عن معرفة مقاديره واليه اعني الى ان الايصاء الذي
فوض الى العباد قد تولاه بنفسه اشار بقوله يوصيكم الله فصار بيان المواريث كاية الايصاء
واشعر الفاء في الحديث المذكور وهو قوله عليه السلام ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية لوارث بان ارتفاع وصية الوارث انما هو بسبب شرعية الميراث كما يقال
زارني فاكرمته وقيل ان الثابت باية المواريث وجوب حق بطريق الارث وهو لا ينافي
ثبوت حق آخر ولا رافع للوصية الا السنة وذكر الامام شمس الايمة ان المنفي باية الموا
ريث انما هو وجوب الوصية لا جوازها والجواز انما انتفى بقوله عليه السلام فلا وصية
لوارث ضرورة نفي الاصل الوصية لكن لا يخفى ان جوازها ليس حكماً شرعياً بل اباحة اصلية
والثابت بالكتاب انما هو الوجوب المرتفع باية المواريث فلا يكون هذا من نسخ الكتاب
بالسنة وقيل الوصية واجبة على كل مسلم لقوله تعالى كتب عليكم اي فرض عليكم الوصية ولقوله عم
ما حق امرء مسلم يبيت ليلة وعنده ما يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عنده وقيل هي مباحة
وليست بواجبة وعن الشعبي الوصية ليست بواجبة فمن شاء اوصى ومن شاء لم يوص فليس
عليه شيء وعن ابراهيم النخعي مات رسول الله صلعم ولم يوص وقد اوصى ابو بكر رضي الله عنه فان اوصى
فحسن والا فلا شيء عليه وقيل ان كان عليه حج او شيء من الواجبات فالوصية واجبة والا فهو
بالخيار وبه يقول كثير من العلماء ثم بين محلها بقوله الوصية للوالدين والاقربين فقال مجاهد
كان الميراث للولد والوصية للوالدين والاقربين فصارت الوصية للوالدين منسوخة و
عن الضحاك نسخت الوصية لهما ممن يرث وثبت الوصية ممن لا يرث من القرابة وقد
يقال في الاية تقديم وتاخير والمعنى كتب عليكم الوصية للوالدين والاقربين اذا حضر احدكم
الموت وكانوا يوصون للاجنبي ولم يجعلوا للقرابة شيأً فامروا بها للوالدين والاقربين
ثم نسخت الوصية للوالدين باية الميراث بالمعروف بالعدل وهو ان لا يفضل الغني على
الفقير ولا يتجاوز الثلث حقاً على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقاً فمن بدله

اي غير الوصية وتذكير الضمير على تاويل ان يوصي او الايصاء كما في بعدما سمعه
وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على
مبدليه لحيفهم دون غيرهم من الموصي والموصى له لبراءتهما من الحيف ومخالفة
الشرع وقوله على الذين يبدلونه اراد به عليه او عليهم لجاء بالظاهر ليدل ان الاثم
انما لحقهم لتبديلهم ثم ان كان الجزاء وحده خبراً فهو العايد من الخبر وان كان
الشرط والجزاء معاً فاستوى في بدله كاف ان الله سميع عليم باعمالهم فيجازي
كلاً من الموصي والمبدل بحسب ما عملوا وهذا وعد للموصي بانه لا يضيع اجره ووعيد
للمبدل بغير حق فمن خاف من موص فمن توقع وعلم من قولهم اخاف ان
يرسل السماء يريدون ما يلزم الخوف من التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم
جنفاً ميلاً عن الحق بالخطاء في الوصية او اثماً تعمداً للحيف بان يقول اوصي
لفلان وهو من الاباعد غير مستحق ولا اوصي لفلان وهو من الاقارب المستحقين
او ازيد فلاناً وهو غير مستحق للزيادة او انقص فلاناً وهو مستحق لها قال
رسول الله صلعم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى حاف
في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل
في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة رواه ابو هريرة وعنه عليه السلام اذا اراد الله بعبد
خيراً وفقه قبل موته لوصية عادلة واذا اراد به شراً وفقه قبل موته لوصية جايرة رواه
انس فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على نهج الشرع
فلا اثم عليه في هذا التبديل لان تبديله للاصلاح حيث بدل باطلاً الى حق بخلاف الاول وقال مقاتل

والكلبي فمن علم من الميت خطأ في الوصية او اثما اي عمدا للجور في وصيته بان زاد على الثلث فاصلح بينهم بان رد
ما زاد على الثلث فلا اثم عليه وعن ابن عباس الاضرار في الوصية من الكبائر وعن النبي عليه السلام ان الرجل
ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار رواه ابو هريرة رض ذكر اولا
من بدل بالباطل ثم من بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم قرأ عاصم وحمزة والكسائي من موص بفتح الواو وتشديد
الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد قيل معناهما واحد وقيل لان المثقل يراد به التكثير كقوله تعالى
ووصينا ونحو ذلك بخلاف المخفف ان الله غفور رحيم وعد للمصلح فلا يؤاخذ بذلك يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام جمع صوم كصعب وصعاب او مصدر كالقتال والزنا والصوم في الاصل الامساك عن المفطرات
الثلث من الصبح الى الغروب مع النية فالوقت داخل في تعريف الصوم وهو في التحقيق حفظ الاعضاء السبع من المفطرة
السبع الاكل والجماع والكذب والغيبة الى اخرها على ما نص عليه رسول الله صلعم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء
والامم من لدن آدم عليه السلام قال علي كرم الله وجهه اولهم آدم يريد ان الصوم عبادة قديمة ما كانت امة
الا وقد فرض الله عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم وفيه توكيد للحكم وترغيب للفعل وما مصدرية اي مثل كتابة على من قبلكم
لعلكم تتقون بمعنى لتتقوا على طريقة الاستعارة بمعنى لتجتنبوا المعاصي فان الصوم يكسر القوة الشهوانية التي
هي مبدأها قال عليه السلام فعليه بالصوم فان له وجاء وهو رض عروق الخصيتين مع ابقائهما او لعلكم تعلمون محل اهل التقوى
في المحافظة عليها وعدم الاخلال باداءها لاصالتها وقدمها ولا يحصل ذلك الا بحفظ الاعضاء السبع وكفها عن الحرمات
كلها فان اكل الحرام وتناول سم يهلك الحيوة الابدية بحرمان دخول الجنة قال حذيفة قال رسول الله صلعم تعاهدوا اضراب
غلمانكم من اين تاتون بها فانه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من نجس والنار اولى به وقال ابو بكر الصديق رض سمعت
رسول الله يقول كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وذلك لان الجنة دار المتقين واكل الحرام ليس بمتقي بل هو عاصي
فاسق قال الله تعالى ولنعم دار المتقين وقال تعالى والعاقبة للمتقين وقد قال صلعم خمس يفطرن الصائم الكذب
والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة ومن لم قال عليه كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش
فروح الصوم وقلبه حفظ الاعضاء السبع التي هي مفاتيح الابواب السبع لجهنم اجارنا الله تعالى منها بنبيه محمد سيد
المرسلين وامام المتقين او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين وتعدون من جملتهم لان الصوم شعارهم لعلا تجوز بالاتقاء
عن التشبه بالاتقياء او لتتقوا ... وليس بكناية وقيل معناه ان صومكم كصومهم في عدد الايام وهو لما روي ان رمضان
كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وروي ان رمضان كتب
على النصارى فوقع في البرد الشديد والحر الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين يوما كفارة لتحويله وقيل كتب
عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا الفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام
الاية وهذه ثلاثة اقوال فالتشبيه على الاول في مجرد الفرضية وعلى الثاني في الكمية وعلى الثالث في الكيفية اياما معدودات
اي موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة فان القليل من المال يعد عدا والكثير
يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام بناء على تجويز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز
في غيره وقيل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه او كما كتب على الظرفية او على انه ثاني مفعولي كتب على السعة

وا الكلبي محمد علي

اى الايام البيض

والمراد بها رمضان وقيل عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على النبي عليه السلام صيامها حين هاجر ثم نسخ
بشهر رمضان فاتصل الناسخ بالمنسوخ واحتج اى القايل بكون الايام المعدودات سوى رمضان بانها لو كانت
نفسه لما كان لتكرير ذكر المريض والمسافر واجيب بان ايجاب رمضان اولا كان على التخيير بينه وبين الفدية
فحين غير الى الايجاب على التعيين اعيد ذكرهما تنبيها على ان تخييرهما بحاله لم يطرا عليه تغيير فمن كان منكم مريضا
لا يقدر على الصوم لضرره وهو اذا كان المرض بحيث يعسر معه الصوم ويزيد فيه وقال الحسن والنخعي المرض
المبيح للافطار هو الذي يجوز معه الصلوة قاعدا وقيل كل مرض مبيح لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض
كما لم يخص سفرا دون سفر وكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وقال ابن طريف دخلت على ابن سيرين
في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد والصداع المضر
وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل والمقرر
من مذهبه ان الصوم احب ما لم يتضرر او على سفر او راكب سفر قيل وفيه ايماء بان من سافر في اثناء اليوم لم
يفطر فعدة من ايام اخر اى فعليه عدة اى صوم عدد ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
والمضافين للعلم بها والسفر لغة قطع المسافة وشريعة هو الخروج المديد وادناه ثلثة ايام على سير الابل ومشي
الاقدام وقرئ فعدة بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة رض اى وجب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وينصره ما روى ابن عمر
ان رسول الله عم قال ان الله تعالى تصدق بافطار الصيام على مرضى امتي ومسافريهم ايحب احدكم ان يتصدق
على احد بصدقة ثم يظل يردها عليه وعنه ايضا سمعت رسول الله عليه السلام يقول من لم يقبل رخصة الله
كان عليه من الاثم مثل جبال عرفة وقال عليه السلام ليس من البر ان تصوموا الصوم في السفر واختلف
ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد
ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وموالاة الصوم ان تصوم يوما وتفطر يوما او يومين
وتاتي به وترا ولا تؤذيه المواصلة فالمراد التخيير بين الاتيان بهذه الطريقة وبين التفريق كيف شاء وعن علي
وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قيل هلا
قيل فعدتها على التعريف بالاضافة ولم قيل بالتنكير اجيب بانه لما قيل فعدة وهي بمعنى المعدود وقد امر بان يصوموا
اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها اى عدد الايام المعدودات فاغنى تنكير عدة وتنوينها
عن التعريف بالاضافة مع ما فيه من الوجازة وليس المراد ان التنوين عوض عن المضاف اليه والحاصل ان
المعنى على عدة ايام الافطار لا على مطلق عدة من ايام اخر والعقل يدل على ذلك لا التنكير وعلى الذين
يطيقونه وعلى المطيقين الصوم ومثله عند فقهاء الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم
ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقال الشعبي لما نزلت هذه الآية كان الاغنياء يطعمون
ويفطرون ولا يصومون وصار الصوم على الفقراء فنسخها قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فوجب الصوم
على الجميع وهو قول عبد الله بن عمر وسلمة والكلبي والقتيبي وغيرهم وذهب كثير منهم الى انها غير منسوخة

معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم
وقرا نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرا الحسن فدية طعام مساكين وابن جبير
فدية طعام بالنصب وقرا ابن عباس يطوقونه اى يكلفونه او يتقلدونه تفعيل من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة
ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلها
يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو وبعدها ياء وفيه وجهان
اى فيما قرا به ابن عباس الاول نحو معنى يطيقونه لان معناه يكلفونه اذ الصوم في نفسه تكليف والمطيق مكلف
ولا تكليف فوق الطاقة وعلى هذا الوجه منسوخ الثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم ومشقة وهم الشيوخ
والعجائز وهذا غير منسوخ لان حكم هولاء الافطار والفدية وقد اول به القراءة المشهورة وهي يطيقونه اى
يصومونه جاهدين غاية جهدهم وطاقتهم ونهاية وسعهم فلا يكون منسوخا فمن تطوع خيرا فزاد على
مقدار الفدية فهو اى فالتطوع او الخير خير له اى الخير له فالخير الاول مصدر من خرت يا رجل فانت خاير
والثاني اسم تفضيل بمعنى ازيد خيرا ومعنى تطوع بالشيء تبرع به وتطوع له تكلف استطاعته حتى يستطيعه
وخيرا نصب على نزع الخافض ويجوز ان يكون منصوبا على المفعولية لتضمن تطوع معنى اتى وفعل وعلى
انه صفة مصدر محذوف وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليندرج تحت الخطاب المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير
للقضاء وقرا ابي والصيام خير لكم وقرا زيد بن علي وان تصوموا بحذف الالف على الخطاب ان كنتم تعلمون
فضايل الصوم وما فيه من براءة الذمة وجوابه محذوف يدل عليه ما قبل اى اخترتموه وقيل معناه
ان كنتم من اهل العلم والنظر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان خبر مبتدأ محذوف اى ذلكم شهر
رمضان او مبتدأ خبره ما بعده او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام
شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او على نزع الخافض
اى في شهر رمضان او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر
وجعل المجموع علما والا لم يحسن الاضافة اليه كما في شهر رجب وذلك لانهم اتفقوا قاطبة على ان العلم في ثلثة
الشهر هو مجموع المضاف والمضاف اليه شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الاخر وفي البواقي لا يضاف
شهر اليه وانما منع من الصرف التعريف والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث
واما قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا اى حسبة لله غفر له ما تقدم من ذنبه من ادرك رمضان
ولم يصم فيه فلم يغفر له فعلى حذف المضاف لامن الالتباس كما قال بما اعطى الخطابي حيث اما ابن جعلم
وانما سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر العطش والجوع او لارتماض الذنوب فيه وهو الاصح او لوقوعه
ايام رمض الحر حيث نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة فسموها بالازمنة التي وقعت فيها ادعاية
المطابقة الذي انزل فيه القرآن اى ابتدى فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر او انزل فيه القرآن
جملة من اللوح الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض منجما بحسب المصالح وكما تحدث او انزل في شانه

القرآن

وهو قوله كتب عليكم الصيام وانما احتيج الى هذه التاويلات لنزول كثير من الايات في غير رمضان وعن رسول
الله صلعم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث
عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف
المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه تنبيه على ان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدًى
للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس الى الحق
وهو ايات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ببيان الحلال والحرام والرخصة
والعزيمة وقوله من الهدى اى من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من كتبه السماوية
الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقرا الحسن فليصمه بكسر اللام
فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه ولا يفطر فانتصاب الشهر على الظرف ولم يكن
انتصابه على انه مفعول به كقولك شهدت يوم الجمعة وشهدت عهد فلان اى ادركته لان المقيم
والمسافر كلاهما شاهدان للشهر اى مدركان له مع ان المسافر لا يجب عليه الصوم على ما يجب على
المقيم وهو عدم الرخصة في الافطار واذا جعل الشهر ظرفا والشاهد بمعنى الحاضر المقيم في الشهر فلا
خفاء في ان تعليل التخصيص ولى وكذا الضمير في فليصمه فانه ظرف على الاتساع كقوله يوم شهدناه والقول
بان الشهر مفعول به قول كثير من النحاة اى فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها
فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا اذ المسافر والمريض ممن شهد الشهر
ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه واعلم انهم استدلوا على ان وقت الصوم وهو النهار
اى رمضان سبب للوجوب بقوله تعالى فمن شهد منكم فليصمه فان الاخبار عن الموصول مشعر بعلية الصلة
للخبر عند صلوحها لذلك ومن قواعدهم ان الحكم على المشتق يدل على ان المشتق منه علة وههنا كذلك لان قوله
فمن شهد منكم الشهر معناه شاهد الشهر فالشهود علة وقيل الاظهر ان من ههنا شرطية فيكون على السببية
اولى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلهذا اباح الفطر للمريض
والسفر ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام فيهما فعليه الاعادة وقرئ
اليسر والعسر بضمتين وهو قراءة ابي جعفر ويحيى وثابت ويزيد بن القعقاع في جميع القرآن وعن ابي معاذ
قرئت في بعض المصاحف اليسرى والعسرى على النعت والمصدر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون علل الفعل محذوف دل عليه ما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون شرع ذلك اى شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر لتكملوا العدة الى اخرها على طريق اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة اى عدة ما افطر فيه ولتكبروا الله علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير اى انما امرنا بمراعاة العدة بعد ايجاب صوم رمضان لتكملوا
العدة وانما علمناكم كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر لتكبروا الله على ما هديكم وانما رخصنا لكم

في الافطار لعلكم تشكرون اى لكي تشكروا واعلم ان الامر من ترخيص اباحة الفطر في المرض والسفر وفيه اشكال وهو ان ذكر
في تفصيل العلل ثلثة امور امر الشاهد بالصوم وامر المرخص بمراعاة العدة والترخيص في الاباحة ولم يجعل شئ من العلل
بازاء الامر الاول مع انه الاول من تفاصيل المعللات ذكرا ولا معلل بازاء ولتكبروا مع انه جعل علة ما علم كيفية القضاء
وهو مما لم يذكر في تفاصيلها فما ذكر في بيان تطبيق العلل غير مطابق لما ذكر من تقدير الكلام والجواب ان ذكر امر الشاهد بصوم
الصوم في تفصيل المعللات توطئة لما فرع عليه من الترخيص ومراعاة العدة وكيفية القضاء ولذلك لم يقل وعلم امر المرخص
باعادة الجملة كما قلنا ومن الترخيص والحاصل ان المذكور فيما سبق بعد الامر بالصوم هو الترخيص وامر المرخص بمراعاة عدة
ما افطر وفي هذا اي في الامر بمراعاة العدة دلالة بتقديم على تعليم كيفية القضاء لان معناه فليراع عدة ما افطر ليصومها
في ايام اخر فيخرج عن عهدة الفطر فصار المذكور بعد الامر الاول ثلثة احدها امر المرخص المذكور والثاني تعليم كيفية
القضاء والثالث الترخيص وجميع ذلك متفرع على الامر الاول وهو امر الشاهد بصوم الشهر فوقع كل من العلل بازاء واحد من
الثلثة ولدقة هذا وخفائه على افاضل كثير من الفضلاء قيل انه لطيف المسلك بحيث لا يهتدى الى تبيينه الا النقاب الحذيث اى الكامل
منهم او لا يحتجب عنه شيء من بدايع النكت فلا يمكن منها مستخرجا للطايف السحر البياني من معادنها ويجوز ان يكون ولتكملوا
عطفا على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله
يريدون ليطفئوا والمراد بالتكبير تعظيم الله بالثناء عليه ولتضمنه معنى الحمد عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال
وما ذكر من اللف انما يصح على التفسير الاول دون تفسير التكبير بتكبير الفطر او الاهلال على انه تقييد من غير دليل وعن عاصم ولتكملوا
بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني قريب اى فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لحاله بحال من قرب مكانه وذلك ان القرب حقيقة
القرب المكاني وقد استعمل ههنا في الحال الشبيهة بحال من قرب مكانه والمراد قربه علما منهم واذ يتعلق بعلمه جميع افعالهم واقوالهم
تعلقا لا يخفى عليه شيء فكان ذا قرب منهم كما يقال انه في كل مكان وقد تعالى عن الامكنة علوا كبيرا والظاهر ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد ومنه قوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد
فنناديه فنزلت في قوله واذا سالك اجيب دعوة الداع اذا دعان تحقيق للقرب ووعد للداعي بالاجابة قرا ابو عمرو ونافع دعوة الداعي
اذا دعاني باثبات الياء والباقون بحذفها فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم
وليؤمنوا بي امر بالثبات والدوام عليه قال ابن عباس الاستجابة ان تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد
والنعمة لك والملك لا شريك لك والايمان ان تقول آمنت بك وكفرت بالطاغوت وان وعدك حق ولقاءك حق واشهد انك احد صمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واشهد ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وروى عنه انه قال ما تركت
هذه الكلمات دبر كل صلوة منذ نزلت هذه الاية ومن الكلمة ما قرأتها متلبسا بها لعلهم يرشدون اى راجين ان يرشدوا
وهو حاصل الاستعارة لعل على ما تقدم والمعنى لعلهم يصيرون من اهل الرشد والاهتداء ببركة الاستجابة والايمان والمداومة
عليه فانما ابتدأ لعلهم يهتدون من الضلالة بالاتباع سبيل الرشاد او لعلهم ينطقون في دعائهم
وقيل الرشد اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها
مبنيا للمفعول ثم انه تعالى لما امرهم بصيام شهر رمضان ونفى عنهم الحرج في الترخيص في اباحة الفطر للمريض والمسافر
وعلمهم كيفية القضاء والخروج عن العهدة واعلمهم بانه مطلع على احوالهم وانه محيط باعمالهم واخلص خدمتهم

اقتضت حكمته ان يخفف عنهم ويبين احكام الصوم زيادة للطف بهم في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات فقال
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم المفطرات الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد العشاء فندم واتى النبي صلعم وقال يا رسول الله اني
اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبر بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا
بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ أَحَلَّ لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وليلة الصيام الليلة
التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك
وقد رفث الرجل وارفث وانما لم يجعل مجازا لعدم المانع عن المعنى الاصلي وعدى الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء وهو
ايضا كناية عنه وايثاره ههنا للتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن
يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت قال انما الرفث ما كان عند النساء اي القول الذي يجري
معهن عند الجماع وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق تنفيرا لهم عما نهوا عنه في الحج ولفظ النساء مما يعم بجمعيته ومعناه بان يكون
اللفظ مجموعا والمعنى مستوعبا لكن لم يوجد له مفرد من لفظه هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ استئناف كالبيان لسبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة فلذلك رخص في مباشرتهن ولما كان
الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه شبه باللباس المشتمل عليه اي على صاحبه قال الجعدي اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا وقيل شبه به لذلك او لان كل واحد منهما يستر الاخر ويمنعه عن الفجور الضجيع المضاجع
ثنى عطفها امال شقها تثنت مالت ثم اعتنقت كلي حلا والبيان على ان هذا من تشبيه مفرد بمفرد [illegible] مقيدين فان قيل
ليس قوله لكم ولهن قيدا في المشبه به قلنا لا اذ لا مدخل له في التشبيه لعدم توقف الاشتمال والستر عليه عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ اي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيصونها حظها من الخير والثواب والاختيان من
الخيانة كالاكتساب من الكسب وفيه مبالغة وذكر ان الاختيان افتعال والنفس ههنا كانت جارة الى الشر وامانة
به كانت في تحصيلها عملا فَتَابَ عَلَيْكُمْ حين تبتم مما اقترفتموه من المحظور وقيل فعل مثل ما فعل عمر اربعون نفرا من
اصحاب النبي صلعم وَعَفَا عَنْكُمْ وعفى لازم يتعدى الى المفعول حين يكون تعديته بعن فيكون الى الجاني نحو عفا عنكم وعفى
الله عنكم وقد يكون الى الجناية مثل عفا عن ذنبه اي اعرض عنه وتركه وعلى الاول الاية كما لا يخفى فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ
لما نسخ عنكم التحريم قيل وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد بالمباشرة والمعنى لا تباشروهن لقضاء
الشهوة وحدها ولكن لابتغاء النسل والولد لانه الغرض من شرع النكاح وخلق الشهوة وقيل هو نهي عن العزل لانه
وارد في الحرائر بناء على كون نهي الاصل في النكاح وكون الخطاب لجماعة كانت تحتهم الحرائر والاماء والعزل في حقهن منهي
فان العزل ترك للتناسل والامر بطلب النسل يكون نهيا عن العزل وقيل هو نهي عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي
كتبه الله لكم دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وعن ابن عباس
واتبعوا والاعمش واتبعوا قيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهذا
وان كان بعيدا للخلو عن مناسبة ما نظرا الى ان الكلام في ليالي الصيام ومن ليلة القدر وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ والامر كلوا واشربوا للاباحة كقوله تعالى فاصطادوا وابتغوا
من فضل الله فقد اباح لكم الاكل والشرب الى طلوع الفجر وكذلك باشروهن والاحسن ان يكون تلك الامر ههنا للامتنان
نحو كلوا مما رزقكم الله نظرا الى كون المقام مقامه مع تضمنه الاباحة وحتى دخلت الفعل ظاهرا واما حقيقة
فهي داخلة في الاسم اذ الفعل منصوب باضمار ان وقالوا ان دخلت الافعال فان احتمل الصدر اي ما قبلها الامتداد
والاخر اي ما بعدها الانتهاء اليه فللغاية نحو قوله تعالى حتى يعطوا الجزية وحتى تستأنسوا فان القتال يحتمل الامتداد
وقبول الجزية يصلح منتهى له وكذا المنع من دخول بيت الغير يحتمل الامتداد والاستئناس اي الاستيذان يصلح منتهى له
والا فللسببية نحو اسلمت حتى ادخل الجنة او للعطف المحض اي للتشريك من غير اعتبار سببية وغاية نحو جئتك حتى
حتى لم اتك حتى اتغدى عندك لتعذر الغاية والسببية فان فعل الشخص لا يصلح جزاء لفعله والاول هو الاصل يحمل
عليه ما امكن ومنه حتى يتبين لكم فان الاكل والشرب يحتمل الامتداد وطلوع الفجر يصلح منتهى له والخيط الابيض اول
ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين
ابيض واسود قال [illegible] فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وذكر اي والمشبه بالخيط الابيض ما يبدو
من الفجر المعترض في الافق والخيط الاسود ما يمتد معه لانه بيان الخيطين بقوله من الفجر صريحا للابيض وضمنا للاسود
لان بيان الخيط الابيض بالفجر قرينة على ان الخيط الاسود ايضا مبين بسواد آخر الليل فان الابيض اذا كان هو الفجر لم يكن الاسود
الا ما اتصل به من الغبش الذي هو بقية الليل وظلمة آخره او لان الفجر هو البياض المختلط بالسواد فيدل عليه التزاما
ولولا البيان بقوله من الفجر لكان الخيطين المذكورين من باب الاستعارة حيث ذكر المشبه به للقطع بان ليس المراد حقيقتهما
وان فهمها بعض من عرض النبي عليه السلام وسادته كما روي من قوله فطالبه على ما روي ان عدي بن حاتم قال عمدت الى عقالين
ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت
الى رسول الله صلعم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وقيل كان ذكره مع البيان
الا الخيط عنه ولذلك عرض النبي عليه السلام قفاه حيث قال له انك لعريض القفا كذا في رواية اخرى وانما اخرج
بهذا البيان من قبيل الاستعارة مع انها ابلغ لما فيها من نوع الخفاء في مقام الحاجة الى البيان الواضح لكونه من الاحكام
التي يحتاج اليها العوام من الذكي والغبي وبعد من الاستعارة الخفية التي ربما يخل بالغرض الى التشبيه البليغ الوافي بالغرض
لا يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر واوله وروي عن سهل بن سعد انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان
رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فانزل بعد
ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وفي هذه الرواية تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا يجوز هذا الا
عند من يجوز تكليف المحال والتكليف لانه تكليف بما لا يطاق وما روي فهو محمول على ان هذا الفسخ كان قبل
الفرض من الصوم ووقت الحاجة انما هو الصوم الفرض والاطلاق في امثاله عند من لا يجوزه [illegible]
تأخيره عن وقت الخطاب في البيان التفسيري عن وقت الخطاب يجوز موصولا ومتراخيا [illegible] ومن الشافعي
بقوله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه وبيان التغيير يصح موصولا الا عند ابن عباس
لقوله عليه السلام فليكفر عن يمينه فانه عليه السلام اوجب الكفارة ولو جاز بيان التغيير متراخيا لما اوجب الكفارة

[illegible]

اصله لجواز ان يقول متراخيا ان شاء الله تعالى فيبطل يمينه ولا يجب الكفارة ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل
على ثلثة اشياء الاول على جواز النية بالنهار في صوم رمضان لان كلمة ثم للتراخي فاذا ابتدئ الصوم بعد تبين الفجر
حصلت النية بعد مضي جزء من النهار لان الاصل قران النية بالعبادة وكان موجب ذلك وجوب النية بالنهار
الا انه جاز بالليل اجماعا عملا بالسنة وصار افضل لما فيه من المسارعة والاخذ بالاحتياط قال الشيخ ابو المعين ان
ابا جعفر الخباز [illegible] هو الذي استدل بالاية على الوجه المذكور لكن للخصم ان يقول امره تعالى بالصيام بعد التبين
وهو اسم للركن لا للشرط وايضا ينبغي ان يوجد الامساك الذي هو الصوم الشرعي عقيب خروج جزء من الليل متصلا ليصير
المامور ممتثلا وان يكون الامساك صوما شرعيا بدون النية فلا بد منها في اول جزء من اجزاء النهار حقيقة
بان يتصل به او حكما بان تحصل في الليل وتجعل باقية الى الان الثاني على جواز تاخير الغسل الى الفجر لانه لما اباح
المباشرة الى تبين الفجر لتبين الغسل فيما بعده وفيه نظر لان هذه الدلالة فالان باشروهن الى قوله حتى يتبين
لا في ثم اتموا الصيام الثالث على نفي صوم الوصال لانه امر بالصيام المنتهي بالليل وذكر بطريان ضده وهو الافطار
بناء على ان الليل غاية للصيام والمتعلق به لا للايجاب والتواطئ على كلوا مع قيد الغاية ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف من عكف اذا دام وعكفه حبسه وسمي به هذا النوع من العبادة لانه
اقامة في المسجد مع شرائط والمراد بالمباشرة الوطئ كناية او هو وما فيه من ملامسة البشرتين بدليل ورود
هذا النهي عقيب الامر المراد به الوطئ وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذا اذا لمس
وقبل فانزل وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك
وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص مسجد دون مسجد لانه نهى عن المباشرة في اعتكاف
المساجد كلها وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلثة لقوله عليه السلام لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد
وعن الزهري وابن المنذر انما يجوز في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وعن ابي حنيفة انما يجوز في مسجد
امام ومؤذن معلوم ويصلى فيه الصلوات الخمس بالجماعة وعن الخليل ولا تبشروهن بفتح التاء واسكان الباء وقرا
مجاهد في المسجد تلك حدود الله اي تلك الاحكام الستة المذكورة حدود الله اربعة باشروا وابتغوا وكلوا واشربوا
للاباحة وواحد للايجاب وهو اتموا وواحد للتحريم وهو ولا تباشروهن فلا تقربوها نهي عن القربان في تلك الحدود
وهو في الحرام ظاهر واما في المباح والواجب فمشكل وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها فان منع القربان مبالغة في منع
التعدي اذ نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطاه ويتجاوز كما قال عليه السلام
ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالراتع حول الحمى وقربان حيز واحد
ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه والاحسن ان يراد هذا وامثاله كذلك اي مثل ذلك التبيين يبين
الله اياته للناس لعلهم يتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها او لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل نهي عن اكل مال الاخر اي لا ياكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبالباطل متعلق
بتاكلوا او لا تاكلوا وبينكم حال من الاموال [illegible] وحكومة فيها وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي
والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا امر الاموال والحكومة فيها الى الحكام مطلقا وقيل المراد القاء البعض منها الى الحكام رشوة

بطريق الرشوة او [illegible] ان يقول فكلمة او للتخيير اي لا يكن منكم اكل الاموال والادلاء بها وان كان النهي عن الجميع بينهما
لا ينافي كون كل من الامرين منهيا لتاكلوا بالتحاكم فريقا اي طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب الاثم مثل شهادة الزور واليمين
الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي عليه السلام انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال عليه السلام اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
متلبسين بالاثم وانتم تعلمون في حال علمكم انكم على الباطل مبطلون وهو اقبح بكم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه روي
ان عيدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم النبي عليه السلام بان يحلف امرؤ القيس
فهم به فقرا عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عيدان فنزلت
وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويعضده الحديث المتقدم يسئلونك عن الاهلة سال معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما
بدا لا يكون على حالة واحدة فانزل الله الاية وقرا الحسن عليهم قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سالوا عن السبب
في اختلاف القمر زيادة النور ونقصانه فامره الله تعالى ان يجيب ببيان الغرض من هذا الاختلاف وهو ان الاهلة وهو
ان الاهلة بحسب ذلك الاختلاف معالم يوقت بها الناس امورهم من المزارع والمتاجر ومحال الديون وعدد النساء
ومدد الحمل وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وفيه تنبيه على ان الاولى واللائق بحالهم ان يسالوا عن الغرض لا عن السبب لانهم
ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة ولا يتعلق لهم به غرض واعلم ان في الاية دلالة ظاهرة على جواز اطلاق الجمع
على الاثنين حيث قال يسئلونك ولم يقل يسالانك مع ان السائل شخصان معينان على ما اتفق المحققون قاطبة [illegible] والمواقيت
جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها
والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى
قال المفسرون ان الكفار كانوا لا يدخلون البيت من بابه في اشهر الحج بل من اعلاه فنزلت وعن [illegible] ان الناس في الجاهلية
واول الاسلام اذا احرم رجل منهم لم يدخل من بابه فان كان من اهل المدر نقب في ظهر بيته منه يدخل
ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر والخيام دخل وخرج من خلف الخباء ويزعمون ذلك برا فنزلت
ردا عليهم بان ليس البر فيما ذكرتم فانه خارج من البر ولكن البر من اتقى المعاصي ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكر ان
الاهلة مواقيت الحج وكان من جملة افعالهم في الحج دخول البيوت من ظهورها [illegible] اذ ليس [illegible]
او انهم لما سالوا عن [illegible] واجيبوا ببيان الحكمة والغاية قيل لهم دعوا السؤال عن الحكمة والمصلحة في افعال الله تعالى وانظروا
في واحدة من افعالكم [illegible] وليس بشيء فان ذلك اليق بحالكم او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بان مثلهم
كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ورائه والمعنى ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك [illegible]
على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا [illegible]
على هي مواقيت وليس البر [illegible] كانه قيل [illegible] واتوا البيوت
من ابوابها هذا اذا كان الخبر مقولا قل بطريق العطف واما اذا قدر قل في الاخيرين اي قل هي مواقيت وقل ليس البر ولكن

التوا البيوت فلا اشكال واتقوا الله يعني اراتيكم ما في فعل الله من الحكمة والفائدة واعتقدوا ان افعاله تعالى كلها حكم ومصالح
واعملوا عمل اهل التقوى في المحافظة على احكامه وترك الاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تفوزوا او مع المفلحين بركة
التقوى او لعلكم تنتظمون في زمرة المفلحين لان التقوى شعارهم او لعلكم تظفرون بالبر والخير وقاتلوا في سبيل الله اى جاهدوا لاعلاء
كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم اى الذين يناصبونكم القتال والحرب ويكون لهم قدرة في ذلك دون من ليس له قوة
ذلك من المستضعفين من الرهابين والنساء والولدان والمشايخ الذين لا يتوقع منهم او الذين يقصدون قتالكم ويبادئونكم
وهم الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين دائما والذين يناجزونكم القتال ويبادرون فيه دون المحاجزين الذين
يكفون عن قتالكم وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقال الربيع بن انس هي اول اية نزلت في
القتال بالمدينة فكان النبي عليه السلام يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يتعرضون لقتالكم في الحرم وفي الشهر الحرام
ويعضده ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له
مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت فرفع عنهم الجناح في قتال الذين يقاتلونهم في الحرم والشهر الحرام وانما احتيج الى هذه التاويلات
لان المقاتلة مفاعلة تكون من الجانبين وهو ههنا مشكل فدعت الضرورة الى تفسير المقاتلين بالوجوه الاربعة التي
ذكرناها ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من المستضعفين والمعاهدين او بالمثلة او
بالمفاجاة به من غير دعوة ان الله لا يحب المعتدين المتعدين حدوده وما امرتم به او المسرفين في القتال اى لا يريد بهم
الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل وحرم والثقف وجدان على وجه الاخذ والغلبة يقال ثقف
العلم اسرعت اخذه ومنه رجل ثقف وثقف بالكسر والسكون اى سريع الاخذ للقراة قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود اى من اثقفه اى اخذه ليس صابرا الى البقاء واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل عليه السلام
ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اى المحنة والبلاء الذى يفتتن به الانسان يتعذب به اصعب من القتل
لدوام تالم النفس به ومن المعلوم ان ما يتمنى فيه الموت اشد منه قال الناس قال رسول الله صلعم جاء عزرائيل الى
موسى عليهما السلام ليرعه فمحى اسمه من ديوان النبوة فجبن فرجع وهو يقول ما من موتة اهون من ذل ساعة وعن صلى الله
عليه وسلم انه قال اثنان يكرههما ابن ادم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة الحديث وحكى عن عمر بن عبد
العزيز انه التمس من رجل كان مشهورا باستجابة الدعوة ان يدعو له بالموت مخافة ان يقع في الفتنة فلما دعا عاش ثلاثة ايام
جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى فيها الموت تخلصا عن الشدة ومنه قوله لقتل بحد السيف اهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق وقوله الاخر اظل ارعى وابيت المحن • والموت من بعض الحيوة اهون وبما ذكرنا
من تفسير الفتنة حيث لم يعين ولم يخصص يعلم ان الاولى ان لا يكون الاشارة الى الخروج من الوطن نعم ينبغي ان تكون
والفتنة اشد من القتل تعلقا بقوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم فيجعل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل معناه
الشرك اشد اعظم من القتل في الحرم فانهم كانوا يستعظمون القتال في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذى
هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه وعلى هذا الفتنة العهد حيث اشير به الى الشرك الذى هو وكذا القتل وقيل فتنتهم
اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم اى على التقديرين

ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم
فان بدؤكم بالقتال فلا تبالوا بقتالهم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم اى حتى يقتلوا
بعضكم كقولهم قتلتنا بنو ربيعة فجعل وقوع القتل في بعضهم منزلة وقوعه فيهم حيث رجع الضمير الراجع اليهم غير مقيد بالبعض
مع ان القتل لا يكون الا في البعض خاصة ومنه قوله فان تقتلونا نقتلكم كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا
فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم لما قد سلف منهم بهم فلا تؤاخذهم بذلك بل يرجع اليهم بالقبول
والرحمة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك يعني قاتلوا المشركين حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني الا الاسلام فان امتنع
ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب ولا يبقى الا دين الاسلام ويضمحل كل دين باطل فان انتهوا
عن الشرك واسلموا فلا عدوان الا على الظالمين هو مثل لا تقع الاباحة في وقوع الظرف موقع الجزاء اى لا عدوان كائن او ثابت
على قوم الا على الظالمين وذكروا له ثلاثة معان احدها انه كناية عن النهي من العدوان على المنتهين اى فلا تعدوا عليهم
لان العدوان مختص بالظالمين والمنتهون ليسوا بظالمين فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين الثاني
انه من قبيل المشاكلة وتسمية جزاء الظلم ظلما اى فلا تظلموا الا على الظالمين لا المنتهين يعني لا تفعلوا ما هو صورة
الظلم الا مع الظالمين وهذا مثل قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الثالث ان المذكور سبب الجزاء اى ان انتهوا
فلا تتعرضوا لهم لئلا تكونوا ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم لان العدوان لا يكون الا على الظالمين او المراد انه
كناية على معنى ان انتهوا يسلط عليكم من يعدو على تقدير تعرضكم لهم لصيرورتكم ظالمين بذلك والفاء الاولى للتعقيب والثانية
للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام تراى الفريقان المسلمون والمشركون بسهام وحجارة عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو
القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر
بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم وعن ابن عباس ردوا المشركين حتى ادخلوهم
ديارهم والحرمات قصاص احتجاج عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيه القصاص فلما هتكوا
حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم واكد ذلك بقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فانه قد اكد التقرير وقرا الحسن والحرمات باسكان الراء والاعتداء هو المجاوزة
عن الحد الذى حد له والاعتداء على المعتدي مجاز مجازاة التي هي عدل اطلاق الاسم احد الضدين على الاخر لجامع المجاوزة
في التخييل لا المتقابل التضاد منزلة التناسب بواسطة تمليح او تهكم لتكون استعارة لا كناية المناسب المعلم اصلا هكذا قال
بعضهم وهو ضعيف والصحيح ان الاية من قبيل المشاكلة اعني التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته مثل اجيدوا الى
جبة وقميصا وتحقيق المجاز في صحبة وقرا ابن مسعود فمن اعتدى عليكم فاعتدوا به وقيل فمن اعتدى عليكم فلا تعتدوا
عليه الا بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في الانتصار والانتقام عمن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم
واعلموا ان الله مع المتقين المجتنبين في الانتقام بحال لغو امره او العاملين عمل اهل التقوى في المحافظة على ما امر به
واجتناب ما نهى عنه فيحفظهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
نهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن ترك الغزو والانفاق فيه لانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاك
وروى ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري

نحن اعلم بهذه الآية انما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلعم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا
واولادنا فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واموالنا واولادنا نصلحها ونقيم
فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الغزو والجهاد او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه
ويضيع وجه المعاش او عن الاخطار بالنفس وهو الايقاع في الخطر والهلاك وعن الاستقتال وهو الاستسلام
للقتل بالاستماتة وعدم المبالاة في الحرب من الموت ويعضد الاول ما روي عن الزبير ان النبي عليه السلام لما امر الناس
بالخروج الى الجهاد فقام اليه ناس من العرب حاضرين بالمدينة فقالوا بما نتجهز والله ما لنا زاد ولا يطعمنا احد فنزل قوله
تعالى وانفقوا في سبيل الله اي تصدقوا يا اهل الميسرة في طاعة الله وعبادته ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة يعني لا تمسكوا
بايديكم من الصدقة فتهلكوا فانكم ان امسكتم عن النفقات والعون للضعفاء تخلفوا عنكم فيغلب عليكم العدو فتهلكوا
وقيل لا تمسكوا فيرث منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة اموالكم ولا تمسكوا فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الاخرة
عن رسول الله عليه السلام ان لله تعالى املاكا خلقهم كيف شاء وصورهم على ما شاء تحت عرشه الهمهم ان ينادوا قبل طلوع الشمس
وقبل غروب الشمس في كل يوم مرتين الا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله عليه في الدنيا الا من ضيق ضيق الله عليه الا ان الله عز
وجل قد اعطاكم لنفقة درهم على عيالكم سبعين قنطارا والقنطار كجبل احد وزنا انفقوا ولا تخشوا ولا تضيقوا ولا تقتروا
وليكن اكثر نفقتكم يوم الجمعة رواه ابن عباس رضي الله عنهما وعنه عليه السلام ان لله تعالى ملكا بباب من ابواب السماء
يقول من يقرض اليوم يجز غدا وملكا بباب آخر يقول اللهم اعط المنفق خلفا وعجل للممسك تلفا رواه ابو هريرة وقال
صلعم الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله فالانفاق من اشرف القربات واعظم العبادات ومما يجب التنبيه
له ان قوله ولا تلقوا ان كان متعلقا بانفقوا وهو الظاهر فالنهي الى طرفي الافراط والتفريط في الجود وان كان متعلقا بما قبله
فمآل النهي التفريط والافراط في الشجاعة والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء في بايديكم مزيدة مثلها
في اعطى بيده للمنقاد وقيل المراد بالايدي الانفس وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده
اذا تسبب لهلاكها وقال الزجاج التهلكة معنى الهلاك يعني ان لم تنفقوا عصيتم الله فهلكتم وعن ابي عبيدة
التهلكة والهلاكة والهلاك والهلك واحد وقيل لا ادعي ان التهلكة مصدر كالتضرة والتسرة بمعنى الضر والسرور ونحوها
في الاعيان التنضبة والتتفلة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وجوز
بعضهم ان يكون اصلها التهلكة بالكسر وهو قراءة للخليل كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلّك فابدلت
من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار يقال جاورته مجاورة وجوارا وجوارا واحسنوا في اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا
على المحاويج وقيل احسنوا الظن بالله تعالى في انه ان انفقتم ان يخلفكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة وقيل اخلصوا النية في النفقة
ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله الحج في الاصل القصد ثم غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف والعمرة
اسم من الاعتمار واصلها القصد الى موضع عامر ثم غلبت والمعنى ائتوا بهما تامين كاملين باركانهما وشرائطهما
لوجه الله من غير توان يقع منكم فيهما قال ذو الرمة تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل
الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وهذا افضل الاحرام من دويرة اهله ان تيسر له وان امكن السير مسافة اشهر الحج لقوله الحج اشهر معلومات

كاحرام الكوفي من كوفة واما من بعد داره فانه قد لا يمكنه ذلك وقيل ان تفرد لكل منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
وعمرة كوفية افضل وقيل ان تخلصوا للعبادة ولا تشوبوهما بغرض دنيوي وقيل ان تكون النفقة حلالا
واتفقت كلمة اكثر الائمة على وجوب الحج دون العمرة فان ابا حنيفة ذهب الى انها سنة واجبة وقال الشعبي
انها تطوع فلا تجعلها واجبة خلافا للشافعي فانه ذهب الى وجوبها واحتج بقوله واتموا الحج والعمرة لله امر
باتمامهما مطلقا ومطلق الامر للوجوب فيكونان واجبين اجيب بان هذا ليس الا امرا باتمامهما والامر باتمام الفعل
لا يدل على وجوبه فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا على ان ههنا دليلا صارفا عن الامر عن الوجوب وهو تصريح
الحديث بنفي الوجوب اولا واثبات الافضلية آخرا وهو ما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال
لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع وفيه تصريح باثبات التطوع وهذا انما يصلح لان
ينسخ الحديث ليكون دليلا على عدم قصد الوجوب بخلاف ما اذا سبقت الآية ودلت على الوجوب كما هو الاصل
فرفعه بالحديث يكون نسخا للكتاب بخبر الواحد وانه غير جائز وربما يحتج بوجوه ثلاثة على وجوب العمرة الاول
قول ابن عباس ان العمرة لقرينة الحج فتكون واجبة مثله الثاني تصديق عمر لرجل قال له اني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وفيه دلالة على ان الاهلال بهما لكونهما مكتوبين عليه
من قبل الشارع فيكونان واجبين الثالث ان العمرة قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج
وهذا الاحتجاج غير الاول لانه لم يتعرض فيه الا لاتمام العمرة وههنا جانب الحج ملحوظ اجيب عن الاول
بانا لا نسلم ان العمرة قرينة الحج في الوجوب بل في ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر يقال حج فلان
واعتمر والحاج والعمار ولانها الحج الاصغر وعن الثاني بانا لا نسلم ان الاهلال بهما لكونهما مكتوبين عليه بل الامر
بالعكس فان الوجوب انما يكون بعد الشروع فيهما لا من جهة الشرع وعن الثالث ان نظمها مع الحج في ذلك والدال
على وجوبها ظاهرا لكن الدليل المذكور من الحديث اخرجها عن صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها انها مستقلة
كقوله صم شهر رمضان وستة من شوال في انه امر بفرض وتطوع وقيل وفي هذه الاجوبة نظر فان ما ذكر
من جواب الاول يخالف الرواية المشهورة انها القرينة في كتاب الله وجواب الثاني ليس بسديد لان قوله وجدتهما
مكتوبين ظاهر في وجوبهما قبل الاهلال بهما على ان الرواية المشهورة فاهللت بهما وفي جواب الثالث جمع بين
الحقيقة والمجاز فان الامر حقيقة في الوجوب مجاز في غيره او بين معنيي المشترك وان اريد الاول
على وجوبها ثم رد الحديثان المذكوران على نفي الوجوب كان ذلك نسخا للكتاب بخبر الواحد وقرأ علي وابن
مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب وقرأ ابن مسعود
ابن طلحة اقيموا الحج والعمرة وقرأ الحسن وابن ابي اسحاق الحج بكسر الحاء في جميع القرآن فان احصرتم يقال احصر
الحاج اذا منعه خوف او مرض من الوصول لاتمام حجة او عمرة واذا منعه سلطان او مانع قاهر في حبس او سجن قيل
حصر هذا هو الاكثر في استعمال الاحصار في المنع المذكور والحصر في منع يكون من جهة العدو فاما الحبس فهو المشهور
وان كانا في الاصل بمطلق المنع مثل صدوا واستن فقال ابو حنيفة كل منع من عدو او مرض او غيرهما
معتبر في اثبات حكم الاحصار فاعتبر مطلق اصل المنع على ما هو الوضع وقال مالك والشافعي منع العدو

او التجئ هو المشهور وان كان في الاصل لمطلق المنع مثل صد وحبس ذكره الفراء فاذا منعه ولنزولها في الحديبية ولقول
ابن عباس وهو من اعرف بمواقع التنزيل لا حصر الا حصر العدو ولا يخفى ان هذا التقييد من غير دليل وورود مع خصوص العدو لا يمنع
دليله كما يقال في العام ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب على ان مجرد قول الصحابي لا يصلح حجة لا دليل على خلافه بمطلق الكتاب
وعن النبي صلعم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وفيه تصريح باثبات حكم الاحصار في المرض ويقال انه ضعيف ما قيل بما اذا
شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي
الفاء هو ولما استيسر وفعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر والمعنى ان منعتم من المضي الى البيت واردتم التحلل تحللوا بذبح ما
تيسر عليكم من بدنة او بقرة او شاة حيث احصرتم وهذا عند الشافعي لانه عليه السلام نحر هديه حيث احصر وكان الاحصار بالحديبية
واما عند ابي حنيفة فيبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله
اي لا تحلقوا ايها المحصرون حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت
وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه دون مذهب الشافعي لانه قد يتكلف بان المراد بمحله مكانه الاول
عند الشرع وهو موضع الاحصار او بان المراد ببلوغه محله وصوله الى حيث يحل ان يستقر فيه بمعنى الفراغ عن نحره وخالف ابا
حنيفة صاحباه في الزمان لا في المكان مطلقا وعن الزهري ان النبي عليه السلام نحر هديه في الحرم وقال محمد بن اسحق الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر مشترك بين الزمان والمكان والمراد به المكان ههنا كما فسرنا وقال
الكسائي الفتح لغة والهدي جمع هدية كجدي وجدية وهي شيء تحت دفع السرج او الرحل وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية
كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق وتمسك به لتلازم المعطوف والاصل الحكم عام في كل مرض يحوج
الى شيء من محظورات الاحرام او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة او القمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة
او نسك اي من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب
بن عجرة ان النبي عليه السلام قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم
او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب بالعمرة الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد
التحلل من عمرة باستباحة محظورات الاحرام ان يحرم بالحج اي من انتفع بالفراغ من عمرته منتهيا الى الشروع في الحج والتمتع
هو ان يحرم بالعمرة من الميقات في اشهر الحج ويأتي بمناسكها ثم يحرم بالحج من جوف مكة ويأتي باعماله ويقابله القران وهو ان يجمع
بينهما متساويا بمناسك الحج فلا فصل فيهما مناسك العمرة والافراد وهو ان يحرم بالحج وبعد الفراغ عنه بالعمرة والقران افضل
مطلقا اي من التمتع والافراد فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسر بسبب التمتع فهو دم نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه كالاضحية
واما عند الشافعي فهو دم جبران يجري مجرى الجنايات لانه تأخير احرام الحج عن الميقات ولهذا لم يوجب على المكي ومن بحكمه
ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بالحج وقالوا المحرمون اربعة مفرد بالحج ومفرد بالعمرة
والمتمتع والقارن فالاولان لا يجب عليهما الهدي بخلاف من كان متمتعا او قارنا فانه وجب عليه الهدي وقرأ الحسن والاعرج
وجماعة من الهدي بكسر الدال وتشديد الياء وروى عصمة عن عاصم انه يثقل الهدي في الرفع والجر ويخفف في النصب مثل

هديا بالغ الكعبة فمن لم يجد الهدي فصيام فوجب عليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهر الحج عند ابي حنيفة حتى
يصح قبل احرام الحج والافضل ان يصوم يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه
الا الدم وعند الشافعي وقت الاتيان باعمال الحج وهو الشان لصحة فلا يصح الصيام الا بعد الاحرام بالحج لا قبله تمسكا بظاهر قوله
في الحج لان معناه في وقت الحج على التاويل المذكور وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من اعمال الحج عند ابي حنيفة
وهو احد قولي الشافعي فاطلق المسبب واريد السبب مجازا لان النفر والفراغ من اعماله سبب لرجوع وذهب في قوله الاخر له
ان المراد الرجوع الى الاهل والاوطان الا انه لو نوى الاقامة بمكة فهي بمنزلة الوطن فلو صام السبعة بعد الفراغ وقبل الوصول
الى بيته يجزيه عنده ولا يجزيه عند الشافعي وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام
ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وجوز ان يكون منصوبا باضمار الفعل يدل عليه فصيام مثل وليصم
تلك عشرة كاملة فان قيل ما الفائدة في ان الثلاثة والسبعة عشرة فما فائدة الفذلكة وهي قوله تلك عشرة اجيب بوجوه
احدها ان لا يتوهم ان الواو في قوله وسبعة اذا رجعتم للاباحة وبمعنى او كما في قوله تعالى مثنى وثلث ورباع وقولك جالس
الحسن وابن سيرين فقد يجوز ذكر قوله عشرة لنفي هذا التوهم وقال بعضهم وهو من باب التكميل عن الاتيان بما يدفع خلاف
المقصود والثاني فائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب
علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد العشرة اي عشرة كاملة لكونها عشرة وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا ينقص
من عددها ولا يتهاون بها كما تقول الله لا تشرك به شيئا وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وعلى هذا يكون مفيدا للكاملة
في البدلية من الهدي والصيام مقام متحيث لا ينقص ثوابها من ثوابه كما هو حكم بعض الابدال وقيل كاملة موكدة او مفيدة
كما ذكرنا او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لانه حكم الصوم من اهل الكلام وقد وقع الاتفاق على ان لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم فعليه
دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من غيرهم فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى وجوب الهدي والصيام
لانه اقرب ولم يوجب عليهم اي القران او التمتع واللام كاللام في كالمعاني لكونها بعيدة عن الحس وان كانت قريبة في الذكر
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وحاضر والمسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة واهل الحرم
ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة عند الشافعي واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في ما امركم
به ونهاكم عنه في الحج وغيره او واجتنبوا محال الغفلة او امره ونواهيه او واعملوا عمل اهل التقوى في المحافظة على ما امركم
به التي هي حدوده وعن النبي عليه السلام التقوى ان عقل وجبل راس كل حكمة قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وهو الورع رواه انس بن مالك رضي الله عنه واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ولم يتق ليكون
العلم بشدة عقابه عن تزيين التقوى ومحافظة حدوده الحج اشهر اي وقت الحج اشهر على حذف المضاف لان الحج لا يسع
نفس الاشهر كقولك البرد شهران معلومات معروفات والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر
من ذي الحجة عند ابي حنيفة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عند الشافعي وتمام ذي الحجة عند مالك وفائدة التوقيت ان
يوم النحر من اشهر الحج يجوز الاحرام بلا كراهة عند ابي حنيفة واما عند الشافعي فلا وذو الحجة كله
عند مالك وقيل بناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه

أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً فإن مالكاً كره العمرة في بقية ذي الحجة وأبو حنيفة
وإن صحح الإحرام به عنه قبل شوال فقد استكرهه وإنما سمي شهران وبعض الثالث أشهراً إطلاقاً
للجمع على ما فوق الواحد وقد ذكر في الأصول أن إطلاق الجمع على الاثنين مجاز بطريق إطلاق
اسم الكل على البعض أو تشبيه الواحد بالكثير في العظم والخطر كما يطلق الجمع على الواحد تعظيماً
في مثل قوله وإنا له لحافظون مع أن الاتفاق على أن الجمع لا يطلق على الواحد حقيقة وقالوا إن
في التثنية ضم شيء إلى شيء وهو معنى الجمع لغة فجاز إطلاق صيغة الجمع عليهما لهذه المناسبة
فمن فرض فيهن الحج فمن أوجب الحج على نفسه في الشهر بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه
عندنا وأما عند الشافعي فبمجرد النية وتقرير المقام أن الإنسان إذا أحرم حرم عليه الصيد
والنساء وغير ذلك وقبل الإحرام كان كل منها حلالاً عليه ولأجل حرمتها عليه سمي محرماً فلا بد
له من فعل يصير به محرماً وحاجاً فقال أبو حنيفة رضي الله عنه الحج عبادة لها تحليل وتحريم
فلا يشرع فيه بمجرد النية كالصلوة وقال الشافعي رحمه الله الحج كف عن المحظورات فيصح
الشروع فيه بالنية كالصوم فلا رفث ولا فسوق ولا جدال والرفث الجماع أو الكلام الفاحش
أو ذكر الجماع بحضرة النساء فقد روي أن ابن عباس لما أنشد وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك
لميسا قيل له أترفث وأنت محرم فقال إنما الرفث ما خوطب به النساء وضميرهن للإبل والهميس صوت نقل
أخفافها ولميس اسم جارية والمعنى نفعل بها ما نريد إن يصدق الفال وقيل الرفث بالفرج الجماع
وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق هو المعاصي وقيل الخروج عن حدود الشرع
بالسباب وارتكاب المحظورات والفرق أن الفسوق على الأول مطلق وعلى الثاني مصدر مقيد والجدال أن يجادل
رفيقه وقيل مجادلة المشركين في تقديم الحج وتأخيره ومكان الوقوف فيه فإن قريشاً كانت تقدم الحج سنة وتؤخره
أخرى وهو النسيء وكانت تقف بالمشعر الحرام فرد الحج إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله تعالى أنه ارتفع
الخلاف الموجب للجدال في الحج حيث قال الحج أشهر معلومات فإذا أفضتم من عرفات في الحج في أيامه وروي
عن مجاهد أنه قال قد استقر الحج في ذي الحجة فلا جدال فيه ونفي الثلث على قصد النهي للمبالغة والدلالة
على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستقبحة في أنفسها ففي الحج أقبح كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب في قراءة القرآن وقرئ الثلث بالنصب أعني الفتح وبالرفع والفتح نص في الاستغراق
نحو قولك لا رجل في الدار بالنصب بخلاف الرفع وذلك بدليل قولهم أن لا ينفي بها نفياً
عاماً في قولك لا رجل في الدار بالنصب وغير عام في قولك لا رجل في الدار بالرفع لأن
من مقدرة في الأول دون الثاني لظهور أنه بمعنى ليس وهو مع قلته ثبت
ومن أبيات الكتاب من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح فوجه الأول أعني
فتح الثلاثة أن الرفث مبني لتضمنه معنى من الاستغراقية منصوب المحل على أنه اسم لا التي
لنفي الجنس وفسوق وجدال معطوفان عليه وقد مر في الكلام أن النكرة إذا كانت مع من الاستغراقية لفظاً

نحو ما من رجل في الدار أو تقديره مثلاً لا رجل في الدار فهي نص في الاستغراق لا تحتمل عدمه لكونها لنفي الجنس
بالكلية وفي الحج خبر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق
وبنصب الثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال في الحج كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك لما ذكرنا
من ارتفاع الجدال بين العرب في وقت الحج ومكان الوقوف وروي يعقوب عن عصمة فلا رفوث ولا فسوق ولا
ولا جدال وقرأ أبو جعفر ولا رفث ولا فسوق ولا جدال واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون
الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وإنه لم يذكر الجدال أجيب بأن
ترك ذكره بناء على أن أمر الجدال والمراء أهون وأن العمدة في النهي هي الرفث والفسوق وما تفعلوا من
خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه ومن يعمل الحسنات يعمل
الخيرات والطاعات وترك المنكرات المنهيات فالله يقبل ويجازيه على حسب فعله وقيل من ترك الفسوق والمراء
والجدال يعلم الله يقبل ويجازيه وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وفيه إشارة إلى أنه يجوز أن يراد
بقوله من خير مطلق الخير وهو ضبط النفس عن ارتكاب ما نهوا عنه فإنه مفهوم التقوى وحقيقته والمعنى تزودوا
لمعادكم التقوى فإنه خير زاد أو تزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد
التقوى ويعضده ما روي أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج
بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلاً على الناس فنزلت فهو في الأول المراد بالتزود تزود التقوى
وعلى الثاني تزود الطعام والأحسن أن يقال معناه تزودوا للسفر الدنيا بالطعام وللسفر الآخرة بالتقوى فإن
خير الزاد التقوى إذ ترك الأول ربما يفضي إلى النهب والغصب ونحو ذلك وفي ترك الثاني النار كما قال
والآخرة عند ربك للمتقين وإنما كان أحسن لاشتماله على المعنيين السابقين بحيث لا يشذ شيء منهما والزاد
اسم لما لا بد للمسافر منه واعلم أن الفاء ههنا للتعليل فصار كاللام فمعناه لأن خير الزاد التقوى وكذلك الفاء في قوله
والسارق والسارقة فاقطعوا وفي قوله عليه السلام لا تقربوه طيباً فإنه يحشر يوم القيمة ملبياً ثم أصل الفاء أن
يدخل على المعلول لأنها للتعقيب والمعلول يتعقب العلة وإنما يدخل على العلة كقولهم أبشر فقد أتاك الغوث وإذا [illegible]
الفاء فإنه يحصل أن المعلول الذي هو الحكم السابق على الفاء كالإبشار مثلاً علة غائية للعلة التي دخلت عليها الفاء كالإخبار
بإتيان الغوث فيصح العلة معلولاً وإلى العلة التي دخلت عليها الفاء معلولاً بالنسبة إلى تلك العلة الغائية من ذلك القبيل قوله
فإن خير الزاد التقوى وقول الشاعر إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة ونظيره اعبد ربك فالعبادة حق له
هكذا [illegible] الجيب بأن الإبشار ليس علة غائية لإتيان الغوث ولا الأمر بالتزود علة غائية لكون خير الزاد التقوى
ولا الأمر بترك علة لذهاب دولته ولا الأمر بالعبادة لكون العبادة حقاً لله تعالى وإنما هو علة غائية للإخبار بذلك
وأيضاً علة الغائية إنما تكون علة لعلية العلة لا للعلة نفسها فكيف يكون ما دخل عليه الفاء معلولاً لما وقع ما ذكره
القوم من أن الفاء إنما تدخل على العلل باعتبار أنها تدوم فيتراخى عن ابتداء الحكم فإن الغوث باقي بعد الإبشار
واتقون يا أولي الألباب واجتنبوا مخالفة أمري ونهيي خافة عقابي يا ذوي العقول السليمة فإن قضية
اللب خوف الله وضبط النفس عن ارتكاب المنهيات والقبائح ومن لم يجتنب ذلك ولم يخف فكأنه لا لب له

ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا والابتغاء الطلب فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه
يعني الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت الاية رافعة الجناح في ذلك وقيل كانوا اذا حجوا
كفوا عن التجارة في العشر فلم يقم لهم البيع والشراء حتى مضت ايام حجهم ويسمون من يتجر الداج ويقولون
هؤلاء الداج وليسوا بالحاج فنزلت الاية مرخصة في ذلك والداج اتباع الحاج من الخدم والاجراء
والمكارين والجمالين ووجه اخر روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال له انا قوم نكري في
هذا الوجه اي جهة الحج وطريقه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله عليه السلام
عما سالت عنه فلم يجبه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم
تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس وابن الزبير فضلا
من ربكم في مواسم الحج فاذا افضتم من عرفات يقال فاض الماء اذا انصب عن امتلاء وافاض الماء اذا صبه بكثرة
ومنه افاضوا من عرفات اذا دفعوا بكثرة واصل افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعوا من الكرة
وسنبلوا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه اي صب نفسه وذلك
في صبوة الي بدر ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع مثل اذرعات
علم بلد بالشام ولا واحد لهما اذ لم يوجد اذرعة ولا عرفة قال الفراء لا واحد له وقول الناس نزلنا عرفة
شبيه بمولد وليس بعربي محض ولو سلم فعرفة وعرفات مدلولهما واحد ليس ثمة اماكن متعددة كل
منها عرفة جمعت على عرفات ولا نزاع في استعماله منونا وانما النزاع في صرفه وعدم صرفه فذهب بعضهم
الي انه غير منصرف للتعريف والتانيث وتنوين الجمع تنوين مقابلة لا تنوين تمكن يعني جي به ليكون
في جمع المؤنث السالم مقابلا للنون في الجمع المذكر السالم نحو مسلمون ومع صحة الكسر في موضع الجر لا من بعد
التنوين من تنوين التمكن كما باللام والاضافة وقيل منصرف لعدم الاعتداد بالتانيث لفظا وتقديرا اما لفظا
فلان التاء التي في لفظ عرفات ليست للتانيث وانما هي مع الالف علامة جمع المؤنث واما تقديرا فلان اختصا
صها بجمع المؤنث يمنع تقدير التاء لكونه بمنزلة الجمع بين علامتي التانيث وهذه التاء لم تتمحض في التانيث
التانيث واختصت بالتانيث ثابت تقديرها وقيل سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام
فلما ابصرها عرفها وقيل لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه اياها قال قد عرفت وقال الضحاك ان
ادم لما اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل منهما يطلب الاخر فالتقيا في عرفات فتعارفا فسميت بذلك
وقيل لان الناس يتعارفون فيها وهي من الاعلام المرتجلة لا من الاعلام المنقولة بان يقال عرفات جمع عرفة
جمع عارف فنقلت وجعلت علما لان ذلك لم يوجد في الاستعمال فلذا حكم بانه من المرتجلة مع الحكم بانه لا يوجد
عرفة الا جمع عارف وقيل فيه دليل وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وتؤيده قوله عليه السلام
الحج عرفة فمن ادرك العرفة فقد ادرك الحج اذ لا معنى لكون الحج عرفة سوى ان الوقوف بها فيجب بوجوبه وانما
بيان دلالة الاية على ذلك لانه ذكر الافاضة بكلمة اذا الدالة على القطع فهو في حكم الشرع الوجوب كما قال الله فاضة

واجبة

واجبة فاذا اتيتم بها فاذكروا الله ثم انها تقتضي سابقة الكون والاستقرار بعرفات ليكون بعد اتمامها
وهو معنى الوقوف بها والحضور فيها فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير وثناء ودعاء وقيل بصلوة العشاء
عند المشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة واسمه قزح يقف عليه الامام وعليه الميقدة وهي موضع كان اهل
الجاهلية يوقدون عليه النار وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الي وادي محسر وليس المازمان
ولا وادي محسر من المشعر الحرام ويضعف الاول ما روي جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر فان هذه الرواية يدل على ان اتيان المشعر الحرام كان بعد الركوب من المزدلفة
وكان الدعاء والتكبير به وما ذاك الا بالجبل وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادات ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس
نظر الي الناس ليلة جمع وقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل حيث على حومة ومعنى عند المشعر الحرام مما يلي
المشعر الحرام وبقربه فانه افضل كالقريب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر والمراد بما عند المشعر
الحرام جميع اطراف المزدلفة لاتصالها بالمشعر حسا ولكونها في حكمه شرعا وقيل سميت المزدلفة جمعا لان ادم عليه السلام
اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنى منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين وقيل يجوز ان يقال وصفت بفعل
اهلها لانهم يزدلفون الي الله اي يتقربون بالوقوف فيها وقال ابو حاتم المشعر بكسر الميم لغة وقد كسره من فتح وقد روي بالكسر [illegible]
واذكروه كما هداكم ما مصدرية او كافة اي اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الي المناسك او اذكروه كما
علمكم اي على الوجه الذي علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه الي الوجه والطريق الاول كما اذكر في محل النصب على المصدر نعت
الموصوف بمحل [illegible] الا انه لم يتوجه حرف جر بعيد من جهة المعنى فقط وايضا الكاف على الاول لقصد التشبيه وعلى الثاني [illegible]
وان كنتم من قبله اي قبل الهدي والتعليم لمن الضالين الجاهلين بطرق الهداية وسبل العبادة ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وانه الشان والحديث كنتم من قبل لمن الذين لا يعرفون كيف يذكرونه وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من عرفات لا من المزدلفة
لان الاولى صواب والثانية خطا والخطاب مع الحمس قريش وكنانة كانوا يقفون بجمع وهو المزدلفة وسائر الناس بعرفات ويرون ذلك
ترفعا على الناس ويتعالون عليهم فامروا بان يساووهم في الموقف وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الي الناس
ثم لا تحسن الي غير كريم وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس والخطاب مع الحمس اي من المزدلفة الي منى بعد الافاضة من عرفات
والخطاب عام واللام للعهد [illegible] اصلها الذي [illegible] وحكي [illegible] اللام للجنس [illegible]
قري الناس بكسر السين اي الناسي يعني ادم عليه السلام من قوله فنسي [illegible] بالكسر على الياء [illegible]
ثم على هذه القراءة غير ظاهر ويمكن ان يكون اشارة الي بعد ما بين الافاضة عن عرفات والمخالفة [illegible]
[illegible] الافاضة من عرفات فانها شرع قديم واستغفروا الله من جهالكم في الجاهلية ونحو ذلك من تغيير المناسك في الموقف [illegible]
ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر ويرحمه بالقبول والرحمة ويعطيه ثواب الجزيل فاذا قضيتم
مناسككم معنى القضاء الاداء والاتمام ومنه قضيت الحج والمناسك جمع منسك ومعنى النسك وهو في الاصل غاية العبادة
وشاع استعماله في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وفيه نظر لان ذلك [illegible]
حيث [illegible] والنسك [illegible] الذي يذبح فيه وقد

تسمى الذبيحة نسكا يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم يهريقه ثم قالوا للعبادة نسك ومنه ان صلاتي ونسكي والناسك العابد
بل الزاهد ومناسك الحج عباداته وهذا من الخاص الذي صار عاما هذه عبارتهم من غير تغيير وهي كما ترى صريحة في ان النسك
في الاصل بمعنى الذبح ثم استعير للعبادة ومعنى الاية اذا فرغتم من عبادة الحج ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد
الخيف وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم التي فيها الوقائع والحروب فمحل قوله كذكركم
النصب على المصدر بحذف الموصوف اي ذكرا مثل ذكركم اباءكم وقرا محمد بن كعب القرظي اباؤكم بالرفع اي كذكر الابناء الاباء
فان الابن لا يكاد ينسى ابيه كقول اخوة يوسف لابيهم تالله تفتؤ تذكر يوسف الاية او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على مجرور
اضيف اليه في قوله كذكركم والمعنى كذكركم اباءكم او قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب معطوف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من ابائكم [الذاكر]
على ان ذكرا من فعل المذكور بمعنى كذكركم اشد مذكورية من ابائكم وذلك لان الفعل المتعدي نسبة بين الفاعل والمفعول اذ ينسب
تارة الى احدهما واخرى الى الاخر فالذكر مثلا باعتبار النسبة الى الفاعل ذاكرية وباعتبار النسبة الى المفعول مذكورية فان المصدر
في معناه مع الفعل والفعل اما مبني للفاعل او للمفعول اي ان ذكر وان ذكر فالمعنى على الاول كذكر قوم اشد ذاكرية لابائهم وعلى الثاني
كذكركم قوما اشد مذكورية لكم وجوز بعضهم ان يكون منصوبا بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم وقيل
يجوز ان يكون نصبا عطفا على ذكركم والمعنى ذكرا اشد ذكرا على الاسناد المجازي وصفا للشيء بوصف صاحبه كما تقول جد جده
وشد بد الصفرة وقد ذكر في شرحنا واضل سبيلا انه من الاسناد المجازي لان التمييز فاعل في المعنى ولما اعترض ابن الحاجب
بان افعل للمفعول شاذ لا يرجع اليه الا بثبت تكلف بان هذا من عطف الجملتين اي اذكروا ذكرا مثل ذكركم اباءكم واذكروه ذكرا
كونكم اشد ذكرا من ذكركم اباءكم وليس من المفرد ليلزم الاشتراك في العامل اجيب بان افعل هو لفظ اشد وهو للفاعل ولا يلزم
من صوغه من مصدر من المبني للمفعول محذور كما اذا جاء من الالوان والعيوب او من غير الثلاثي فاذا اريد الدلالة على ان مضروبية
زيد اشد من مضروبية عمرو فطريق سوي ان يقول هو اشد مضروبية فهذا مثاله وما ذكر من الوجه بعيد جدا للفصل وكونه من
عطف المفرد وعدم انسياق الذهن الى ما ذكر وقد وقع مثله في الكواشي وما لا ينبغي ان يقع لمن [illegible] فمن الناس من
يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من
المكثرين هكذا قال كثير منهم والظاهر ان هذا بيان ان الامر لم يصرحوا ولم يشيروا اليه وهو ان الناس على طبقات ثلث الذاكر هو الذي
لا يذكر مع الله تعالى غيره فان حقيقة الذكر ان ينسى الذاكر ما سوى المذكور وقال الله عز من قائل واذكر ربك اذا نسيت ما سوى الله
بعد ذكرك الله تعالى كانه يقول اذا نسيت ما سواه فقد ذكرته وقال رسول الله عليه السلام سيروا سبق المفردون قالوا يا رسول الله
وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فاخبر عليه السلام ان الذاكر هو المفرد والمفرد الذي ليس معه غيره فذاكر الله
على الحقيقة من لا يذكر معه غيره وهو ايضا غيره قال ابو سعيد الخراز اتيت عشية عرفة فقطعني قرب الله تعالى عن سوال الله ثم نازعتني
نفسي بان اسال الله تعالى فسمعت هاتفا يقول ابعد وجود الله تسال الله غير الله وعن عمر عليه السلام يقول الله تعالى اذا شغل عبدي
ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين اي اذا اشتغل عبدي بذكري وثنائي وتقديسي عن ان يسالني حوائجه الذاكر
الثاني ان يذكره ويثني عليه حق ثنائه بما يتوالى في ذكره من توفيق وتيسير على الذكر والطلاقة في لسانه به وشرح صدره والتهاء
فؤاده حتى كانه يولي ينسي العبد عند ذكر نعمته ودنياه فاعرض عنها ورفضها وشغله عن ما سوى الله واليه الاشارة بقوله

او اشد

[ذاكر]
او اشد ذكرا فليتامل ثم الذاكر بلسانه تهليلا وتسبيحا الى غير ذلك يدعوه باسمائه الحسنى وصفاته العليا انشرح [و يشهد مذكوره بيت و ذكره له]
بنوره واطمان قلبه بذكره ايس وعى عن ما سواه ايس فيشتغل عن سواله والطلب اليه ولذكر الله اكبر وذاكر بجنانه مستغرق
لم يشاهد الغير ولم يذكره عن نسيان حتى جرى ذكر اللسان اخرسه هيبة وخشية اجلال الحق انه يذكره بلسانه ولم
ينبعث ذكره لحظة بجنانه بل يرى ذكره من حيث هو غفلة وثناءه عليه بصفة نفسه زلة قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قال بعضهم ذكركم [الله اكبر]
من ان تجري به الالسن على ما يستحقه او تبلغه الاوهام على ما يليق به او تحويه العقول على قدره وقد قال النبي عليه السلام لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واخر شاهد ذكر ربه له في ازله حيث لا رسوم ولا مرسوم ولا علم ولا معلوم كانوا موجودين له علما
اذ كانوا اسعدوا مين رحمة كانوا مذكورين ولا ذكر لهم ومعلومين ولا علم لهم ومرادين ولا ارادة لهم ومطلوبين ولا طلب لهم فلما
شاهد واحدة الاحوال استغنوا عن الطلب والسوال والملل والكثرة كما ذكرنا فقدم الاول حيث قال فاذكروا الله كذكركم اباءكم
او اشد ذكرا لما فيه من التقدم والفضل على ما سواه كما لا يخفى كان قد لكم نواهي بذكر الله ولا يطلب بذكره سواه فانه اعلى الكمال
وافضل الدرجات والذي يعطيه الله افضل ما يعطي السائلين ومن المكثر الذي يطلب بذكره خير الدارين وهو حسنة فيما يحيى
الان وبين الموتين بون بعيد والذكر صار الاول حال الانبياء والصديقين ومن يسلك مسلكهم بخلاف الثاني فانه حال عوام المومنين وفي
طريق من التبرك او من الناسك الثالث الى انهم لم يحضروا فيما دخلوا من القسمين بل كثير ما يشعر لا هذا الوجود فمنهم من يقول ربنا اتنا
في الدنيا اجعل ايتانا ومنحتنا في الدنيا خاصة وفيه تنبيه بان المفعول الثاني متروك ولان هم الدنيا انسهم كان همهم طالب
الا ان يعلى الحسنة وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب لهذا الداعي في حظ الاخرة وبالنسبة اليه المطلب نصيب اصلا او ما لهذا الداعي في الاخرة
من نصيب لان همه مقصور بالدنيا ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا يعني التوفيق لما يحب في دين والصحة والكفاف وقال
الربيع يعني المنعم والشهادة والغنيمة والحسن بالعلم والعبادة وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقيل الجنة وعن علي
كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء ولقد صدق بعض وقنا عذاب النار
واعصمنا من العمل المفضي الى النار برحمتك الواسعة فان الاعصام من ذلك اليوم منها الامن حقيقة وعفوه له وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان لله عبادا يحيون في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في عافية قيل من هم يا رسول الله قال الذين يقولون ربنا اتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وعن انس كان اكثر دعاء النبي عليه السلام اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار وعنه انه عليه السلام عاد رجلا قد انتحل فصار مثل الفرخ فقال له هل كنت تدعو الله بشيء فقال نعم كنت اقول اللهم ما كنت
معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلعم سبحان الله انك لا تطيقه الا قلت اللهم ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي عبارة قتادة فقال النبي عليه السلام سبحان الله يا ابن ادم انك لا تستطيع ان تقوم بعقوبة
الله تعالى ولكن قل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وقنا عذاب النار فدعا بها الرجل فبرا اولئك اشارة الى الفريق الثاني لهم نصيب مما كسبوا [وفي الاخرة حسنة]
وعلى هذا المراد مما كسبوا ان كان عبارة عن ما يعطيهم من الحسنات فمن للتبعيض على تقدير مضاف اي من جنس ما كسبوا والتسمية من غير
احتياج الى اعتبار حذف وان كان عبارة عن الدعاء بالحسنتين من المطالب الدنيوية والاخروية بسبب للحصول الحسنة جزاء لها
وحاصله ان من الابتداء والمبتدا بمنزلة العلة الفاعلية وان كان عبارة عن عمالهم وطلبهم اياها الحسنيين اي لهم نصيب مما حصلوا من
العصية يعني اقتصروا لا يولون لاجل البعض بحظ ثم الطلبوا وهو القدر الذي استوجبوه في الدنيا النظر الى مصالحهم فيها وفي الاخرة نظرا الى جهتها [نعم]
فان المولى حكيم لا يفعل ما ليس بصالح لهم ولا يولي ما ليس بمنحة [illegible] كما لا من الاعمال وقيل الاشارة الى الفريقين جميعا ومن الابتداء

للأدعية على حذف المضاف دون البيتين لان ما اعطي الفريق الاول من المطالب الدنيوية ليس بسبب عملهم الردية والمخيل ولكل الفريقين
كل منهما نصيب من جنس ما كسبوا وقال ابن مسعود مما اكتسبوا ومما ورد في الاخبار في مذمة الدنيا وترك طلبها الا الضرورة
ما روي عن ابي هريرة انه قال جاء رسول الله عليه السلام وعليه عباءة قطوانية فصعد المنبر وهو يومئذ ثلث عتبات قال
فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ايها الناس من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على العيال وتعطفا على الجار لقي الله تعالى
ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مفاخرا مرائيا مكاثرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان والله سريع الحساب
فعما قليل يحاسب العباد في الاخرة فيجازيهم على حسب ما كسبوا من الحسنات والسيئات فبادروا الى اكتساب الحسنات وترك السيئات وعن
معاذ ان النبي عليه السلام قال ان الله تعالى ينادي يوم القيمة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا ارحم الراحمين
واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فاحضروا حجتكم ويسروا جوابا فانكم
مسؤلون محاسبون يا ملائكتي اقيموا عبادي صفوفا على اطراف انامل اقدامهم للحساب ثم انه تعالى لا يحاسب كل احد ولا في كل شيء
قال النبي صلعم ثلثة لا حساب عليهم يوم القيمة المجذوم وصاحب الاكلة والذي تذهب عيناه وقال صلعم ثلثة ليس عليهم حساب فيما
طعموا اذا كان حلالا الصائم والمتسحر والمرابط في سبيل الله وعنه عليه السلام ثلث ليس على ابن ادم فيهن حساب طعام يقيم صلبه
وبيت يكنه وثوب يواري عورته فما فوق ذلك كله حساب وروي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار
فواق بالضم والفتح ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب وروي في مقدار لمحة ناقة والفواق
وهذه الروايات تدل على ان المراد بسرعة الحساب قلة زمان الحساب اشعارا بكمال قدرته ووجوب الحذر منه واضافته بمعنى في او
من اضافة الصفة الى فاعله واصله سريع حسابه فنقل عن الضمير اللام كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا واذكروا الله
في ايام معدودات وهي ايام التشريق اي كبروا ادبار كل صلوة وعند رمي الجمار فيها وعن عمر رضه انه كان يكبر في فسطاطه
بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن استعجل النفر وعجل فيه وعليه ان مطاوعه تعجل
يقال تعجل في الامر واستعجل متعديين يقال تعجل الذهاب واستعجل للمطاوعة والاوجه ان يجعل المستعجل من اللازم اوفق بالنظر في البيت
لاجل المتاني فانه لازم وهو قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل في يومين بعد يوم النحر
يوم القر واليوم بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عند الشافعي وقبل طلوع الفجر عند ابي حنيفة واصحابه فلا اثم
عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه اي ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه
على الزوال عندنا وعند الشافعي لا يجوز بل يرمي بعد الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما [illegible]
والتاخر افضل فوقع التخيير بين الفاضل والافضل وهو جائز كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان
اهل الجاهلية فارقتين منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر فورد القران بنفي المأثم عنهما جميعا وروي دعة عن ابن كثير
فلا اثم بالوصل فيهما وقرأ الخليل فلا اثم باسقاط الالف لمن اتقى وهذا اللام كاللام في قوله [illegible]
كائن لمن اتقى في الحقيقة خبر مبتدأ محذوف [illegible] وانما خص الحاج المتقي لانه الحاج على الحقيقة ولانه الذي ينتفع
بذلك [illegible] التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما او عن قتادة عن ابن مسعود
قال انما جعلت المغفرة لمن اتقى في حجه وقيل المراد بعد انصرافه من الحج عن جميع المعاصي ويؤيده قوله واتقوا الله واحذروا معصية الله
[illegible] اذا رجعوا من الحج [illegible] على الله بالمعصية [illegible]

يجازكم

من اهل التخيير ومنه الخطاب واتقوا لتنتفعوا بذلك اي بما مر من احكام الحج وغيره لان المتقي هو المنتفع به دون من سواه واعلموا انكم
اليه تحشرون فيجازيكم على اعمالكم وشكركم على سلامة القلب والجوارح من المعاصي واصل الحشر الجمع بعد التفرق وقد دلت النصوص
قطعية على حشر الاجساد وانكره الفلاسفة بناء على امتناع اعادة المعدوم بعينه وهو ممنوع انه لا دليل لهم عليه يعتد به ليس بالمقصود لان
مرادنا ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصلية للانسان ويعيد روحه اليها سمي ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم ومن الناس من
يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في نفسك ومنه التعجب الذي يعظم في النفس والتعجب حيرة تعرض للانسان بواسطة التعجب منه وهو الا
خنس بن شريق كان رجلا حسن المنظر حلو المنطق ذا ياتي النبي عليه السلام الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله
اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي يعجبك
ما يقوله في امر الدنيا وامور المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء القول وادعاء والاظهار الاسلام [illegible]
في الدنيا لا في الاخرة او بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك في الدنيا ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة في الموقف
من الحيرة واللكنة والدهشة اولانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله
شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام ليصدق في دعاية الموالاة وقرئ ويشهد الله على ما في قلبه [illegible] خلاف ما اظهر في
مصحف ابي يستشهد الله اي يستشهده على ان ما في قلبه مطابق لكلامه وقرا الحسن ويشهد بتشديد الراء [illegible] وهو
الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بين ابن شريق وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم
واحرق زروعهم [illegible] قبل الاخنس الى النبي عليه السلام بالمدينة وقال انما جئت اريد الاسلام وقال الله يعلم اني صادق
فاعجبه عليه السلام قوله ثم خرج من عنده فمر بزرع للمسلمين فاحرقه وبحمار فعقره فنزلت الاية والخصام مصدر بمعنى المخاصمة
فان قيل قد ذكرت ان الالد معناه شديد الخصومة فاذا اضيف الى الخصام غير منتظم فانه يصير معناه شديد خصومة المخاصمة
وفيه من عدم الانتظام ما لا يخفى قلنا هذه الاضافة بمعنى في اي شديد الخصومة في المخاصمة كقولهم ثبت الغدر اي ثابت في القتال
او الجدال لا يزل في موضع الزلل واضافة الى الخصام من اضافة الصفة الى فاعله بالحسن الوجه لكن على طريقة جد جده من الاسناد
المجازي لان الالد هو [illegible]
[illegible] ان الالد شديد الخصومة وكل شديد فهو بالنسبة الى ما دونه اشد [illegible]
افعل تفضيل [illegible] اسم التفضيل [illegible] واذا تولى عنك و
ذهب بعد الالانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل بثقيف وقيل واذا
تولى اي واذا غلب وصار واليا فعل ما يفعل ولاة السوء من الفساد في الارض بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله
بشوم الظلم فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على يسعى وقرا الحسن
بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى [illegible] والله لا يحب الفساد لا يرتضيه [illegible]
فاتقوا عقابه على الفساد وبسببه واذا قيل له اتق الله في صنيعك [illegible] فانه القادر [illegible] من المقدورات
عقاب العصاة اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه [illegible]
[illegible] وعن ابن مسعود قال ان ابغض الناس [illegible]
يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك فحسبه جهنم اي كفته جزاء وعذابا يقال حسبك الشيء اذا كفاك والدليل [illegible]

بئس الحاكم انت تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية بل انما في معنى اسم الفاعل وجهنم علم لدار العقاب
وهي في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل
ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وفي طاعة الله ورسوله او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه نزلت في علي رضي الله عنه بات على فراش رسول الله عليه السلام [illegible] تعالى الى
جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحباها
فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت بينه وبين محمد عليه السلام فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة
اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب والله
يباهي بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية وقيل نزلت في صهيب بن سنان اخذه المشركون
وعذبوه ليرتد عن الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم
فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة فعلى هذا لا يكون يشري بمعنى يبيع [illegible] بل بمعنى يشتري [illegible]
والله رءوف بالعباد ارشدهم الى مثل هذا الشرى حيث كلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الشهداء او اراد بالخبر [illegible]
من ايدي الكفار يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بكسر السين وفتحها وكذا بفتح السين واللام الانقياد
والطاعة قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بالفتح والباقون بالكسر كافة حال من ضمير ادخلوا ومن السلم [illegible]
استسلموا لله واطيعوه جملة لا يخرج احد منكم من طاعته ظاهرا وباطنا ثم الخطاب للمؤمنين المخلصين او لاهل الكتاب المؤمنين
بنبيهم وكتابهم او المنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم [illegible] وقيل السلم الاسلام [illegible]
وان [illegible] وعلى هذا يكون الخطاب لاهل الكتاب او المنافقين او لهما جميعا [illegible] الاسلام [illegible]
لان ادخلوا [illegible] الاسلام [illegible]
وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها [illegible]
[illegible] على السلام [illegible] التورية [illegible] عبد الله بن سلام واصحابه [illegible]
[illegible] ولا تتبعوا خطوات الشيطان فان اتباع السنة [illegible] بعد ما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
من خطوات الشيطان [illegible]
[illegible] ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرقة والتفريق وقيل لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم اليه الشيطان
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة
على انه الحق [illegible] فاعلموا ان الله عزيز [illegible] حكيم لا يفعل الا بالحق [illegible]
[illegible] القرآن [illegible] كلام الله [illegible]
[illegible] هل ينظرون [illegible]
[illegible] الا ان ياتيهم الله [illegible]
[illegible]
[illegible]

فيكون

فيكون اسناده الى الله حقيقة في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك [illegible] كقلة وقلال
من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لان الغمام مظنة الرحمة [illegible] كان الامر اعظم [illegible]
من حيث لا يحتسب [illegible] من حيث يحتسب الخير [illegible] في كتاب الله [illegible]
من الله ما لم يكونوا يحتسبون [illegible] والملائكة [illegible]
في ظلل [illegible] رسول الله عليه السلام [illegible]
[illegible] الملائكة [illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible]
[illegible] وقضي الامر [illegible]
المستقبل [illegible]
المصدر [illegible] والى الله ترجع الامور [illegible]
[illegible]
[illegible] سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام [illegible]
[illegible] كم آتيناهم [illegible] والاستفهام [illegible]
الاقرار [illegible] وكم آتيناهم [illegible]
كم آتيناهم [illegible]
من آية [illegible]
[illegible] بينة اي ظاهرة [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] ومن يبدل نعمة الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من بعد ما جاءته [illegible]
[illegible] فان الله
شديد العقاب [illegible] زين للذين كفروا الحياة الدنيا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

في اعينهم او عن اعمال المؤمنين وتدبيرهم العكس واذا كان كثير منهم المزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله و
استدل عليه بقراءة المبني للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء
الشهية مزين بالعرض والمحققون على الاول وهو ان المزين حقيقة هو الشيطان ومجازا هو الله فانه قد زينها بالحد الطرفي
المجازي اسنادا ومسندا ويعضده قوله عليه السلام وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء وقرا الوجيه والاعرج زين
وابن ابي عبلة زينت ويسخرون من الذين آمنوا خبر مبتدا محذوف اي وهم يسخرون والجملة في موقع الحال ويحتمل ان يكون
عطفا على زين والعدول الى المضارع لقصد الاستمرار كان الكفرة يستهزئون بفقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب وغيرهم
ويسخرون على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم فيها ومن للابتداء
كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة وهذه الجملة كالجملة المتقدمة عليها في انها تحتمل الوجهين
السابقين فانها يجوز ان تكون في موضع الحال وان تكون عطفا على ما قبلها مع افادتها الاستمرار فان المتقين مستمرون على عدم
الصفة مطلقا سواء اريد الفوقية بحسب المكان فانهم يومئذ في عليين وهم في اسفل السافلين او بحسب الرتبة لانهم في كرامة وهم في هوان
ومذلة او الاستعلاء والاستيلاء لانهم يتطاولون عليهم مرتفعا ويضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم وضحكوا منهم في الدنيا
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على ان السعادة عند الله بحيث
يعلوا على الكفار انما هي للمؤمنين ببركة التقوى وليكون بعثا وتحريضا لهم على الاتصاف بالتقوى اذا سمعوا ذلك والله يرزق
من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير ويوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى وقيل عطاء الله تعالى اما تفضل
واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب واما الثواب فلا حساب لكونه على حسب الاستحقاق فمعنى قوله والله يرزق
من يشاء بغير حساب بعد قوله والذين اتقوا الايماء الى ان المتقي ممن يرزقه الله ويتفضل عليه بغير حساب قال الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فيما
بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او على الكفر في فترة ادريس ونوح فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله
وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه عليه واتفق المليون من اهل الحق على ان في بعثهم وارسالهم حكمة اي مصلحة وعاقبة حميدة
وفيه اشارة الى ان ذلك واجب لا بمعنى الوجوب على الله تعالى بل بمعنى ان قضية الحكمة تقتضيه لما فيه من الحكم والمصالح ليس ممتنع
كما زعمت البراهمة والسمنية ولا بحيث يستوي طرفاه كما ذهب اليه بعض المتكلمين ثم اشار الى غاية البعث بقوله مبشرين لاهل الايمان
والطاعة بالفضل والعوض والثواب وقرا ابي بن كعب مبشرين من الابشار ومنذرين لاهل الكفر والعصيان بالنار
والعقاب وعن كعب الحبر علامة من عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور
في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون والعلامة قد روي بيانا لعددهم في بعض الاخبار على ما روي انه عليه السلام
سئل عن عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا والاولى ان
لا يقتصر على عدد في التسمية لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وخبر الواحد مع اشتماله على جميع الشرائط
لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات خصوصا اذا اشتمل على اختلاف رواية وانزل معهم الكتاب ليبين للناس
ما يتضررون به من امور الدنيا والدين وليكون آيات بينات على صدق دعوتهم يريد بالكتاب الجنس ويجوز ان يكون
الكتاب للعهد ونوع منه تعريف اللام عن تعريف الاضافة والمعنى مع كل واحد منهم كتاب في عموم السبين لانه لا يأتي خصوص الضمير العائد اليه

بعوثه

بعوثه العهدية بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق فترتيبه بعيد من الباطل ليحكم بين الناس الضمير في ليحكم عائد
الى الله او النبي المبعوث او الكتاب وهو الاظهر اذ لا يحتاج حينئذ الى تكلف في معناه اي ليظهر حكمه ولا الى تكلف
في اللفظ حيث قال فريق النبيين ليحكم اي ليحكم كل واحد منهم بين الناس بما اراه الله تعالى كقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بما اراك الله وقرأ زيد بن علي لنحكم بالنون ومجاهد ليحكم بالبناء للمفعول فيما اختلفوا فيه في الحق
ودين الاسلام اختلفوا فيه بعد الاتفاق على ان بعث الانبياء وانزل الكتب ليحكم فيما اختلفوا فيه متفقين سابقة اي
على الحق ودين الاسلام وما اختلف فيه اي في الحق والكتاب الا الذين اوتوه اي اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف
اي عكسوا الامر حيث ازدادوا الاختلاف بعد ان انزل عليهم الكتاب فجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف
واستحكامه لان اصل الاختلاف كان موجودا قبل البعث والانزال وعن ابن عباس انه قال كان بين آدم ونوح عشرة
قرون على شريعة من الحق فاختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات متعلق باختلف والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب فيه
الا من بعد ما جاءتهم البينات كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ومعنى من بعد ما جاءتهم البينات
من بعد ما جاءهم العلم بحقية الاسلام او الكتاب كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله وآتيناهم بينات من الا مر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فان المراد بالبينات المعجزات الواضحات التي يحصل لهم بها العلم والطمأنينة
لم يبق لهم شبهة في صحة ذلك ما اوتوا من الكتاب فضمن معنى العلم بغيا بينهم طلبا للمال والرياسة وحسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
وقلة انصافهم ووصله بما اختلفوا فيه وما اختلفوا الا من بعد ذلك بغيا بينهم وحسدا وظلما فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
اي للحق الذي اختلفوا فيه من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره وارادته ولطفه والله يهدي من يشاء اي من هو اهل ذلك
من سواه فانه بناء الفعل على المبتدا وان كان اسما ظاهرا يفيد الاختصاص والحصر مثل الله يعلم ما تحمل كل انثى والله يستهزئ بهم
بهم مفعول يهدي وفي الدلالة على الحال الى صراط مستقيم يعني طريق الحق الموصل الى الاسلام فاهتدوا فلم يختلفوا في شيء من الحق
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب النبي عليه السلام والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء البينات
تشجيعا لهم على الثبات والصبر مع من يخالفهم من المشركين واهل الكتاب مع انكارهم الآيات وعداوتهم له وقد
ذكر بطريق الغيبة في ضمن النبيين والذين آمنوا فيكون خطابهم بقوله ام حسبتم التفاتا من الغيبة الى الخطاب وام منقطعة
ومعناها في الخبر بل والهمزة ومعنى الاستفهام فيه التقرير يعني الحمل على الاقرار والانكار بمعنى لم يكن ينبغي
ينبغي ان تحسبوا او احسبتم ومعنى لما دخل النبي عليه السلام واصحابه المدينة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا
مال وتركوا اموالهم بايدي المشركين ايثارا لرضاء الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة واسر قوم النفاق فا
نزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم الآية وقيل نزلت في حرب احد وقيل في غزوة الخندق حين اصابهم ما اصابهم
من الجهد وانواع الاذى حتى بلغت القلوب الحناجر وقال الخليل ام تدخل بالافواه مبتدأ الكلام ولما يأتكم اي لم
يأتكم والجملة في موضع النصب على الحال واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها معنى التوقع وهي نظير قد في نفي الفعل المتوقع
فهو متوقع اي منتظر الكون والمنتظر فيها ابلغ من انتظار الفعل المنفي والمعنى انما مثل ذلك لانه متوقع منتظر مثل الذين خلوا
من قبلكم اي حالهم التي هي مثل في الشدة والذي يعجبهم من حالهم وشدتها لا تفعل الخير حذو قوله مستهم البأساء والضراء
بيان للمثل على طريقة الاستئناف كان سائلا سأل كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء البأساء الفقر والشدة

والظفر بالغنيمة والعمر وقيل المرض والزمانة يريد المنتهم الكرتدخلون الجنة بغير شدة ومشقة ولا يسبق شي منها
وقيل اي اتطلبون الجنة بسهولة وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الشدايد
وانواع البلايا والرزايا والاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لتناهي الامر في الشدة
وتماديه في العظم واستطالة المدة حتى صبروا واستبطاء النصر من هو غاية في الثبات والصبر فان الرسل لا يقادر قدرهم
وصبرهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمع وراءها والمعنى ان الشدايد والاهوال
اشتدت عليهم الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها استبطاء للنصر اي متى نصر الله الذي وعدنا اي لم يبق لهم الصبر و
ذريق لهم صبر حتى قالوا ذلك فمضي يقول على المضي سواء قرئ بالرفع والنصب لتلاؤم ما قبله من الفعلين الماضيين
فان ثلثتها جميعا في التحقيق بيان للمثل اما الرفع وهو في حجة نافع فعلى انه في معنى الحال لكنها حال ماضية محكية
كقولك مرض حتى لا يرجونه واما النصب فعلى اضمار ان وهي علم للاستقبال والاستقبال ههنا في الحال بحال
الاستقبال مرادا حكاية لانه مترقب في حالة التزلزل وقرئ وحتى قال الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول
اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض
الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسالونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح كان شيخا هما وله مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع قل ما انفقتم من خير
فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سالوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان مصا
رف النفقات تنبيها على ان السؤال عنها اهم لهم لان النفقة لا يعتد بها الا ان تكون خيرا او صدقة ولا تخرج عن حد
الاضاعة الا اذا صرفت الى المصرف ووقعت موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
ولما انها ماذا تكون ففيه عن السوال فكل احد يعرف ان الذي يكون فيه خير منفعة وكل ما هو خير فهو صالح للانفاق
وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه اليكم
اضعافا مضاعفة فلا تعد ذكر في انه تحثوا على فعل الخير وانفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجلها كتب عليكم القتال
وهو كره لكم شاق عليكم مكروه بالطبع لما فيه من مشقة النفس وخطر الروح ومؤنة المال لا انهم كرهوا امر الله تعالى وقال
عكرمة نسخها قوله قالوا سمعنا واطعنا يعني انهم كرهوه ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا والكره دون الاكراه لقوله ان تكرهوا
شيئا وهو اما بمعنى كراهة نعت به للمبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار واما بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو
مكروه لكم هذا منقول عن الليث وكون المصدر والنعت لنفي منقول عن الكشاف وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى الكره
بالضم وهما لغتان في معنى المشقة كالضعف والضعف وكون المفتوح بمعنى الاكراه منقول عن [illegible] وعن الزجاج كلما في القران
من الكره فالفتح فيه جايز الا قوله وهو كره لكم في سورة البقرة واما بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كرهه
ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك المجاز باعتبار اطلاق الاكراه على المكره عليه ثم حمل الكره
عليه على ما هو سببه قال المطرزي كرهت الشي كراهة وكراهية اذا لم ترضه وكرهت فلانا الكراهة حملته على امر
يكرهه وفي الخليل كتب مبني للفاعل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به الانسان لان النفس الامارة

من الكراهة

باللذات

باللذات تكرهه وشق عليها وهو سبب فلاحهم ولا يلزم من كراهة حكم الله ومحبة خلافه وهو
ينافي كمال التصديق لان [illegible] بكراهة نفس ذلك الفعل كوجع الضرب في المرض مع كمال الرضا بالحكم والاذعان له
وهذا كما تقول ان الحل بغضا الى الله وشرعه مع ان البعض مكروه [illegible] غاية الانكار كالقبايح والشرور وقيل هو الجهاد
بدليل السياق ومعنى الخيرية فيه فتح وغنيمة وشهادة والعلا بكلمة الله واعزاز دينه والمراد ما فيه مخالفة
اعداء الله والنفس الامارة وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهيت النفس عنه فانها بالطبع تحبه
وتهواه [illegible] من اعظم الحواد والكبر وقيل هو القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من المضادة لما
في الجهاد من اشتغال الفتح والغنيمة وغيرها كما ذكرنا وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها وعسى
تام [illegible] قبلها مرفوع ومنصوب وصولان مع الفعل في تأويل المصدر كقولك عسى زيد ان يخرج اي قارب زيد الخروج
قوله عز من قايل فعسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم وبمعنى قرب فليس لها الا مرفوع وصولة مع الفعل اولا بالمصدر كقولك
عسى ان يخرج زيد اي قرب خروجه [illegible] قوله قايلا وعسى ان تحبوا شيئا يحتمل التقليل والتكثير والتوبيخ والتعظيم
والتحقير قد امتلا في الموضعين والله يعلم ما هو خير لكم وما يصلح لكم والمقام يدل على ان المفعول مراد وليس تركه
منزلا منزلة اللازم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها
يسالونك عن الشهر الحرام روي ان النبي عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادي الاخرة قبل قتال بدر بشهرين
ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتل اصحاب السرية عمرو بن عبد الله واسروا اثنين واخذوا العير
واستاقوها وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادي الاخرة فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم [illegible] فوقف عليه السلام العير وشق ذلك وعظم
على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد النبي عليه السلام العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ
عليه السلام الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام وهذه الرواية تخالف رواية رد الغنيمة والمعنى ان السائلين هم المؤمنون و
الكفار والمؤمنون عن القتال في الشهر الحرام فالسوال عن نفس القتال فيه لا عن الشهر الحرام [illegible]
الكفار خاصة كما توهمه الزمخشري وغيره فلا دلالة في الاية [illegible] قدم على
عبد الله بن جحش والجواب عن قتال الحضرمي يكون التقدم صدر الاسلام وتقوية للكفار [illegible] ان النكرة اذا اعيدت كانت
غير الاولى اجيب بان هذا ليس بلازم وان المعاد قد يكون نكرة فاكثر ما يقصد به الجنسية [illegible]
وذلكم [illegible] للقتال [illegible] وهو الشهر [illegible] كبير
بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وقرئ [illegible]
قتال فيه بالرفع [illegible] قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
[illegible] والعطاء فانه سيل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام
الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت [illegible] الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا
فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم ولا تخلو [illegible] لما ذكرنا ان عامه بعموم الوصف [illegible]
ولو سلم فقتال المشركين مراد فلعله [illegible] الا ان قتال المسلمين [illegible] من غير تقييد بالشهر الحرام [illegible]

تل قتال فيه كبير وروي عنه قل قتال فيه بالجر على الحكاية من الاولى وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره ومعنى الصد
الصرف والمنع والمراد بسبيل الله الاسلام او كل ما يوصل العبد الى الله من الطاعات فيه وعطف على ما
حمل عليه قل فيكون مقولا والمعنى قل للكفار تعيبوا الامر كذا قال القونوي وليس بذلك بل قال اولى سائل عن القتال
في شهر الحرام من المؤمنين او المؤمنين والكفار جميعا جوابا وارشادا لحال الكفار خاصة لما عرفت في صدر
الاية يعني وكبار قريش من صدهم عنه وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله
مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وكفر به بالله والمسجد الحرام عطف على سبيل الله لا على الضمير المجرور في به لعدم اعا
دة الجار ولفساد المعنى اذ لا معنى للكفر الا بتكلف او رد عليه بان عن سبيل الله صلة الصد والمعطوف في حكم المعطوف
عليه فلو كان المسجد الحرام عطفا على سبيل الله كان ايضا من صلة الصد فعطف وكفر به على صد يكون قبل الفراغ من
المعطوف عليه وهو غير جائز اجيب بان الكفر بالله والصد عن سبيله كلاهما بمعنى واحد واذا اتحدا من جهة المعنى فكانه
لا فصل بين سبيل الله والمسجد الحرام وكانه قيل وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام وهذا اوجه ما قيل في الجواب ان موضع
قوله والمسجد الحرام لكنه قدم عليه لفرط العناية ومثله لا يعد فصلا كما في قوله ولم يكن له كفوا احد فان حق الكلام
ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قدم محله لفرط العناية فكذلك هذا وقيل الجيد ان يتعلق بمحذوف اي ويصدون
عن المسجد الحرام ولا يخفى ما فيه من الركاكة واخراج اهله اي اهل المسجد الحرام اكبر عند الله متعلق بالاشياء الا
المذكورة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي الاخراج والشرك الذي
ارتكبه قريش اكبر من القتل اعظم وافظع من قتل اصحاب السرية الحضرمي الكافر ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك فلان
يعبد ربه حتى يكون عالما اي يقاتلونكم كي يردوكم عن دينكم ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم اي لا يكون
لهم استطاعة وبعيد ان يكون لهم استطاعة فان استعمال ان في مقام التحقيق والجزم بعدم الوقوع دليل على ان ذلك
لا يكون الا على سبيل الفرض كما يفرض المحال وهو معنى الاستبعاد ومنه قول الواثق بقوته لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي
ومن يرتدد منكم عن دينه اي ومن يرجع عن دينه الى دين الكفار ويطاوعهم على ردهم اياه اليه فيمت على الردة وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لانه يفوتهم بالردة ما للاعمال الاسلامية من الفوائد الدنيوية ويفوتهم
ثواب الاخرة باستدامة الردة والموت عليها وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال مطلقا والا لما كان للتقييد
بقوله فيمت فائدة وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما لقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله واجيب بانه
يحمل على المقيد عملا بالدليلين ورد بان ذلك انما يكون اذا كان في الحكم والحادثة واحدة واما في السبب فلا يجوز
ان يكون المطلق سببا كالمقيد والمراد بالاعمال الاعمال النافعة وقرئ حبطت بفتح الباء وهو لغة فيه واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة وفي يكفروا وليكفروا تنبيه على ان ما يؤديه ثابت لهم ومقرر وحكم على اصل العمل
ما صدر منهم ان الذين امنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية فانه لما قتلوا الحضرمي ظن بهم قوم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله وقاتلوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه

كرر الموصول لشرف الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله انما
وثوابه حيث صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والمال والاجل الاول
اثبت لهم الرجاء ايذانا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا
خطأ لما صدر منهم خطأ وقلة احتياط رحيم منعم عليهم بالجنة التي هي محل الرحمة والاجر والثواب يسألونك عن الخمر
والميسر نزلت في الخمر اربع ايات نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون
يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل
مسلبة للمال اي يكثر فيهما ذهاب العقل وسلب المال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها قوم ثم
دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ومن
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما
سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا
الى رسول الله صلعم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
انتهينا يا رب وعن علي لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم
جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني اي لقطعتها والخمر في الاصل مصدر
خمره اذا ستره ثم سمي بها ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب فهو حرام قليله كان او كثيره
ومعنى قذف بالزبد اي رماه وازاله فانكشف وسكن وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ اي حرام قليله
فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد به
اللهو والطرب عند ابي حنيفة ومن تبعه [illegible] حرام
ولان اخر من الشراب فالمتخذ قطعا احتياطا من ان يتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك
بموافقة الجمهور وعن الشافعي كل ما اسكر فهو حرام قليله وكثيره وهل يسمى الكل بالخمر فيه كلام فان وجه
التسمية وان كان هو ستر العقل والتمييز لكن لا يلزم الاطراد ومن لم يثبت القول بجهة فالاحتراز عن
تفسيق الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فانه قد نقل شرب المثلث عن البعض ولم [illegible] احتياطا والاحتراز
عن شبهة الحرام والميسر القمار وهو ايضا مصدر من يسر كالموعد [illegible] واشتقاقه من اليسر
لانه اخذ مال الغير بسهولة من غير تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر
على اهله وماله [illegible] كانت لهم
عشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح
والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اقسام وقيل ثمانية وعشرين
الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل
يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح

ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء
ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وهو اللئيم وقيل هو الذي لا يدخل
في القمار فما قال الا فهو لان سهام الاقداح اذا جمعت يكون ثمانية وعشرين كما ترى في عدد الانصباء
النجمة على الترتيب بخلاف ما اذا كانت عشرة فانه لم يتبين فيه كيفية القسمة وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج
وغيرهما وعن النبي عليه السلام اياكم وهاتين اللعبتين المشئومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما الا ان ظاهر قوله يسألونك عن
الخمر والميسر يشعر بانهم سألوه عن ماهية الخمر والميسر لكن قوله فيهما اثم كبير يدل على ان السؤال عما في تعاطيهما و
تناولهما والا لم يكن الجواب مطابقا له اذ ليس في ماهيتهما اثم كبير قل فيهما اي في تناولهما وتعاطيهما اثم كبير
اي ذنب خطير من جهة انه يؤدي الى الانكباب على المحرم وارتكاب المحظور ومن المعاداة والمخاصمة والشاتمة فيما
لا سيما الخمر فانها المطرق في ارتكاب المعاصي ومن ثم سميت ام الخبائث ومنافع للناس من كسب المال والطرب
والالتذاذ والتوصل الى مصادقات الفتيان والافتخار على الابرام وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة و
وتقوية للمعدة والطبيعة وقرئ اثم كثير ومعنى الكثرة فيهما مع ان تعاطي كل منهما انما هو اثم واحد ان تعاطيهما يفضي
الى اثام كثيرة سيما الخمر فانه ربما يفضي الى الكفر وهو الاثم الكامل الاثم وناهيك به شاهدا حديث حذيفة عن عبد الرحمن بن
عوف وعن ابن مسعود قال رسول الله صلعم اذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الايمان بالله لا يدخله علي فاني لا
انا وهو في وعاء واحد فان ابى وشربه نفر الايمان منه نفرة لا يعود اليه اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ونقص من عقله شيء
لا يعود اليه ابدا وقد جعل صاحب الشرع من الملعونين قال انس قال النبي عليه السلام اربعة يلعنهم الله من فوق
عرشه شارب الخمر فانه يخرج من فيه نتن حتى يصل الى العرش واهل الربوا فان الله يلعنه بكل حبة اكلها ومحتكر الطعام فان
يلعنه بكل حبة احتكرها وشاهد الزور فان الله يقول لهم تجحدون [illegible] [illegible]
فهل حيوان وايضا كل واحد من الخمر والميسر رجس وكل لحم نبت من رجس لا يدخل الجنة بدليل قوله عليه السلام [illegible]
[illegible] فانه لا يدخل الجنة لحم ولا دم نبتا من سحت [illegible] روى حذيفة رضي الله
واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما او اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما
قبله قال النبي عليه السلام اياكم والخمر فان خطيئتها تفرع الخطايا كما ان شجرتها تفرع الشجر وقربها [illegible] واثمهما اقرب
ومعنى قربه الاثم ان مجرد الاشتغال بها قبل العزم عليهما اثم ويسألونك ماذا ينفقون قيل السائل ايضا عمرو بن
الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما تيسر له بذله
ولا يبلغ منه الجهد واستفراغ الوسع قال الخدري [illegible] العفو [illegible] ما سهل [illegible] على من
لشدته [illegible] ويقال للارض السهلة العفو وقال قتادة وعطاء والسدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة
يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم الاية ثم نسخ باية الزكوة وقال طاوس [illegible] وقال
عمرو بن دينار هو الوسط من غير اسراف ولا اقتار وقرئ بالرفع اي الذي هو العفو او المنفق العفو وبالنصب اي ينفقون
العفو وعن النبي عليه السلام ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة

الاصمعي هو

فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى [illegible]
القلب وظهر الغنى [illegible]
[illegible]
[illegible] افضل الصدقة جهد المقل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كذلك يبين الله لكم الايات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويسألونك عن اليتامى
[illegible]
[illegible] قل اصلاح لهم خير [illegible] وان تخالطوهم
فاخوانكم [illegible]
[illegible] والله يعلم المفسد من المصلح [illegible]
[illegible] ولو شاء الله لاعنتكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان الله عزيز حكيم
[illegible]
[illegible] ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن [illegible]
[illegible]
[illegible]

بقوله في سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والجمهور ان يكون منسوخة بهذه العلم لان سورة المائدة كلها ثابتة
لم ينسخ منها شيء قط اهو قول ابن عباس والاوزاعي وغيرهما ومبنى الكلام على ان قصر العام على البعض ليس من النسخ وهو قول
اصحابنا ولان التقييد بالوصف يدل على نفي ما عداه وهو راي الشافعي وتحقيق ذلك في الاصول روي انه عليه السلام بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى
مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك
ان تتزوج بي قال نعم ولكن استامر رسول الله فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت
او مملوكة فان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم قيل هذه الواو والعطف على مقدر هو صفة المذكور اي لو لم يكن
كذلك لو كان كذلك وقيل للحال اي ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك وكلمة لو في مثل هذا
الموضع ليست لانتفاء الشيء لانتفاء غيره ولا للمضي وكذا كلمة ان ليست لقصد التعليق والاستقبال بل المراد بهما
تعميم الحكم البتة والكلام للتاكيد ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة اهل الايمان اولئك تعريض للتنفير وهو اشارة الى المذكورين والمذكورات
يدعون الى النار فيه نوع من التغليب والنار مجاز عما يؤدي اليها وهو الكفر اي يدعون الى الكفر فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم
بل مناكحتهم وقتالهم والله يدعو الى الجنة والمغفرة اي اولياؤه يعني المؤمنين يدعون الى الجنة والمغفرة حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او جعل دعوتهم بمنزلة دعوته تشريفا لهم وتاكيدا للمضاف تنبيها بلذته والاستقيم
والله يدعوا باذنه بل يدعو اولياءه باذنه ولو في مقابلة اولئك يدعون الى النار وهم اعداء الله فيتفقا بل نعم اولياء الله وفي حرف
عبد الله والله يدعوا الى المغفرة والجنة بتقديم المغفرة على الجنة باذنه اي بامر الله ورضاه وقيل بتيسيره وتوفيقه للعمل الصالح
الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع على معنى والمغفرة حاصلة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ومعنى التذكر الاتعاظ والاعتبار لكي
لعلهم يتعظون به ويبصرون بآيات الله ويسألونك عن المحيض والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ويشترط موضع للحيض هو الفرج
ليس بسديد ايضا كتب ثلاثا بغير واو ثم ثلثا لان السؤالات الاول كل منها سؤال مستقل بغير تعلق الاخر والثلاثة الاخيرة ثم بها ثلثا و
لو بينت في العطف حتى يقصد الجمع بل الخبر عن كل في حالة واحدة لم يكن الضابط ... التلثة الاخيرة
حيث كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع ... قل
هو اذى اي شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له ... فاعتزلوا النساء في
المحيض فاجتنبوا مجامعتهن ... لم يواكلوها ولم يجالسوها كفعل اليهود والمجوس
واستمروا على ذلك الى ان سال بعض الصحابة عن ذلك فنزلت فاخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس
من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض
فقال عليه السلام انما امرتكم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء
اشعارا بانه العلة ... ونظيره القياس المستنبط من الكتاب كقياس حرمة اللواطة على حرمة

الوطء في حالة الحيض الثابتة بقوله تعالى قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض العلة والاذى ... واختلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف
يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار والشافعي يوجب اعتزال الفرج وروي محمد عن عائشة ... سالها ما يباح للرجل من امرأته
وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم شأنه باعلاها ... وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي عليه السلام
ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها ... والحديث يوجبان اعتزال ما اشتمل
عليه الازار ... ثم قال محمد هذا قول ابي حنيفة ... عن عائشة انها قالت ...
شعار ... والتحريم ... الفرج او الكرسف ... على الكناية ...
لا الازار ولا تقربوهن حتى يطهرن قرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتشديد والباقون يطهرن بالتخفيف
بالتخفيف ... قبل الاغتسال والتشديد ... قبل الاغتسال ...
... الحيض ... بعشرة ايام ... قبل الاغتسال ...
الطهر حتى ... الى ان تغتسل ... بالاغتسال ...
الاغتسال ... اذا طهرت لعشرة ايام ...
لعدم ... الاغتسال ... والشافعي
فقد عمل بالقرائتين جميعا ... الا بعد الطهر والتطهر بعد الانقطاع والاغتسال ... فاذا تطهرن
فأتوهن فانه يقتضي ... الاتيان ... بقراءة التخفيف ... المناسب لما
طهرن فأتوهن ... حتى يطهرن يغتسلن ... اما ... التشديد
واما على التخفيف ... القربان ... معلومة من
قوله فاعتزلوا النساء في المحيض ... بان انتهاء ... بان تغتسل ... معنى فعل
... في قراءة التخفيف في الانقطاع ... الى الاغتسال
وقيل ... حتى يطهرن ... بالتشديد ... الى الموضع
... يطهرن بتشديد الطاء والهاء
من حيث امركم الله اي من ... ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
المتنزهين عن ... التوبة من كل ذنب ... من جميع الاقذار
كمجامعة الحائض ... نساؤكم حرث لكم ... الحرث مثلا
... فأتوا حرثكم انى شئتم ...
... وقيل ...
... فان ...
بالكناية ...
بعضهم ... التقديم ... حرث لكم ... ثم ...
... ثم ...

وفي المغرب في ذلك انهن شبهن بالمحارث وما يلقي في ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله
فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو موضع الحرث ترجمة له وازالة للشبهة التي ربما تختلج لبعض النفوس الذنية من
ان الغرض قضاء الشهوة وذلك يحصل بكلا الفرجين ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل الذي بمنزلة النتيج من الزرع
لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتي الذي يتحقق به هذا الغرض وبعبارة اخرى قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين اعتراض وقع بين كلامين متصلين احدهما البيان والاخر المبين وكذا ترك العطف فان قوله نساؤكم حرث لكم
بيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم به هو مكان الحرث لان الغرض الاصلي في الاتيان طلب النسل لا قضاء
الشهوة فلا تاتوهن الا من حيث يتاتي منه هذا الغرض والنكتة في هذا الاعتراض الترغيب فيما امروا به والتنفير عما هو عنه انى شئتم
اني هنا بمعنى كيف شئتم وعلى اي موضع اردتم من الاستلقاء وغيره بعد ان يكون المأتي واحدا وهو القبل الذي هو موضع الحرث واي
من اي جهة اردتم غير ان ذلك في صمام واحد وهو ما يسد الفرجة كصمام القارورة بسدادها فيحه به الفرج وقيل تفسيره من اي جهة
شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة ردا لما كانت اليهود يزعمون ان من جامع امرأته وهي مجبية اي على هيئة من في الركوع او السجود من دبرها
في قبلها كان ولدها احول يؤيد استعماله بمعنى من اين وهم في قوله انى لك هذا روي ان قالت اليهود ذكر للنبي عليه السلام كذبت اليهود
ونزلت وهذه الكنايات من الادب كناية عن الشيء المستقذر وحيث امركم الله كناية عن القبل واتيان الحرث كناية عن الجامعة يجب
يحصل الولد لهما امثالها في القران اداب حسنة على كل مؤمن ان يقتدي بها في المحاورات والمكاتبات وفيها تعريضات باليهود والنصارى
ومن يرغب في الاتيان بغير القبل وقدموا لانفسكم قبلما يدخر لكم الثواب وقيل ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف
ما نهيتكم عنه وقيل هو التسمية على الوطي وقيل هو طلب الولد وقد زاد الرباط في حديث اخر صار اربعا وعن رسول الله
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وعنه عليه السلام اذا اتى احدكم
الى اهله فليقل اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي
فلا تجترؤا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه حيث تحشرون اليه فيجازيكم على اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فاحذروه وتزودوا
ذو التقوى ولا تعرضوا لغيره وبشر المؤمنين عطف على اذكروا وهو ادنى بخلاف الاوامر المتقدمة فانها كلها في خبر قل او للمعني وبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات باجر فايت الحصر فالخطاب للنبي عليه السلام امر عليه السلام ان ينصحهم ويبشر من اتبعه
وامتثل امره منهم ظاهرا وباطنا سرا وعلانية لا لكل من تاتى منه البشارة ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا و
تتقوا وتصلحوا بين الناس عطف على مقدر اي امتثلوا ما امرتم به ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم والجملة ابتدائية معترضة لا يجوز
ان يكون عطفا على الاوامر في حيز قل العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم لما تعرضه دون الشيء اي يجعل الله حاجزا
بمعنى حاجزا وما يعرض عرضا للعرضة على الاتيان والمعرض للامر يقال عرضت الامر للحرب فتعرض لها كما يكون فرضيته لذلك و
نصبته له كما قال فلا تجعلوا ني عرضة اللوائم ومعنى الاية على الاول اي جعل العرضة بمعنى الحاجز والمانع لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه
من انواع الخير البر والتقوى والاصلاح مثلا وعلى هذا يكون المراد بالايمان في الاية الامور المحلوف عليها يمينا للتنبيه
باليمين كقوله عليه السلام لعبد الرحمن اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف
عليه فالايمان عبارة عما يتعلق به ويتلبس من الامور المحلوف عليها على ترك بعض الخيرات فيترك ذلك الخير لئلا يحنث في
يمينه فقيل لهم ذلك اي لا تجعلوا الله عرضة اي حاجزا وان مع صلته عطف بيان لايمانكم واللام متعلق بلا تجعلوا

اي لا تجعلوا الله لايمانكم بان تحلفوا به كثيرا او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوه شيئا يعترض البر ويجوز ان يكون
على حقيقتها والدم للتعليل وان تبروا بتقدير اللام متعلقا بلا تجعلوا او العرضة تعلق الفعل اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به
عرضة وحاجزا لان تبروا او عرضة تعرض البر وتمنعه وتحول بينكم وبينه وعلى الثاني اي على جعل العرضة الاصلية لا تجعلوا الله
بالتبذل للحلف منكم ذا بيمانا لان تبروا اي الايمان على حقيقتها واللام متعلق بعرضة وان تبروا مقدر بالاثم على انه علة النهي اي طلب الكف
لا الحصول والمعنى انها كم عن ذلك ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله ولا يكون برا متقيا ولا موثوقا به
في اصلاح ذات البين فانه محل وعلى الاول منسي قيل يجوز ان لا يكون التعليل للنهي الذي هو طلب الترك والكف ولا للمنهي الذي
هو الفعل يعني الجعل بل المطلوب الذي هو ترك الفعل والكف عنه اي اتركوا الجعل كي تبروا وارادة منكم ذكروا التعليق بل سائر الفعل
الواردة بعد الامر يحتمل ان يتعلق بالطلب او بالمطلوب الذي هو الفعل وبعد النهي ان يتعلق بالطلب او للمطلوب الذي هو الترك
وبالمنهي عنه الذي هو الفعل والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الباطل من الكلام
ومنه اللغو في الايمان لما لا يعتقد عليه القلب ولعلم ان اللغو في هذه الآية ضد كسب القلب اعني التهي بدليل اقترانه بكسب القلب
وفي قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ضد العقد بدليل اقترانه بالعقد وهو قوله
حكم في المستقبل كالبيع فاللغو في هذه الاية يشمل الغموس فتوجب عدم المؤاخذة في الغموس والآية الاولى توجب المؤاخذة
على اليمين الغموس لان الغموس من كسب القلب اي القصد والمؤاخذة ثابتة في كسب القلب الاترى الى قوله عليه السلام ان تمام اليمين
الغموس تقطع بها مال امرئ مسلم فوقع التعارض في الغموس وذكر في دفعه وجوها احدها ان المراد بالمؤاخذة التي تقتضيها الآية
الاولى على الغموس هي المؤاخذة في الآخرة بدليل اقترانه بكسب القلب والتي في الثانية هي المؤاخذة في الدنيا اي الكفارة فقال فكفارته
اي لا يؤاخذكم الله بالكفارة في اللغو يؤاخذكم بما في المعقود كما فسرها بقوله فكفارته اطعام عشرة مساكين الآية ولما تغايرت المؤاخذتان
اندفع التعارض وثانيها ان المراد باللغو في الآيتين هو التهي الخالي عن القصد اما في الآية الاولى فبدليل اقترانه بكسب القلب
واما في الثانية فلانه لا يليق من الشارع ان يقول لا يؤاخذكم باللغو الخالي عن القصد يعني الايمان بل وقع اي اليمين الفاجرة بل لا يليق
ان يقول لا يؤاخذكم الله بالتهي وكان الاول المؤاخذة ان نسينا او اخطأنا بالمؤاخذة المؤاخذة في الآخرة لانها هي دار الجزاء والمؤاخذة
والغموس مكسوبة للقلب معقودة وثالثها ان الآية الاولى اوجبت المؤاخذة على الغموس والثانية ساكتة عن الغموس ولم تتعرض لها
مطلقا وان دلت على عدم المؤاخذة في اليمين اللغو وعلى المؤاخذة في المنعقدة فاندفع التعارض وثبت الحكم وهو نفي المؤاخذة هنا
وهو عدم الكفارة في الغموس هذا قريب مما ذكره الشيخ ابو منصور رضي الله عنه حيث قال نفى المؤاخذة عن اللغو في الآية الاولى
واثباتها في الغموس والمراد منها الاثم ونفى المؤاخذة في الآية الثانية عن اللغو واثباتها في المنعقدة وفسر المؤاخذة هنا بالكفارة
فدل على ان المؤاخذة في المنعقدة بالكفارة وفي الغموس بالاثم وفي اللغو لا مؤاخذة اصلا لكن في الوجه الثاني حمل المؤاخذة الثانية ايضا
على الاثم بناء على ان ذكر المؤاخذة التي في الآخرة الثالث وهو لنا انه لا يحمل المؤاخذة في الآية الاولى على المؤاخذة في الثانية وهي المؤاخذة
في الدنيا وهو وجوب الكفارة في الغموس ويحمل الحكم في الآية الثانية على كسب القلب الذي ذكر في الآية الاولى يحكم بكسب اللغو هو
الكلام في الآية الاولى وهو التهي فلا يكون التعارض واقعا لا تما حمل العقد على كسب القلب لان كسب القلب معناه العزم مجمل
فيحمل على المفسر ثم ما ذهب اليه علماؤنا اولى من هذا الترجيح مذهب يلزم ان يحمل العقد مجري على معناه الحقيقي وايضا التقليل على ان المؤاخذة
في الآية هي المؤاخذة الاخروية بدليل اقترانها بكسب القلب وهو اي الثاني يحمل على الدنيوية وكلاهما منهي عنها فان اللغو هو الخبر

فيجري في كل موضع على ما يليق به ويحمل المواخذة في كل موضع على ما هو اليق منه من الدنيوية والاخروية وقيل اللايق بنظم الكلام عند قوله
لا يواخذكم الله بكذا ولكن يواخذكم بكذا ان يكون الثاني مقابلا للاول من غير واسطة بينهما فلهذا ذهب الجمهور الى ادراج الغموس في اللغو وفيما
عقدتم ولا وجه لجعل الكلام في الاية الثانية خلوا عن التعرض للغموس فانه قد علم حكمها في الاية السابقة قلنا ولا كل اللغو والتحقيق
ان اطلاق المواخذة على الدنيوية والاخروية ليس بحسب الاشتراك اللفظي او الاختلاف في المفهوم بل في الافراد باعتبار التعلق
فعند القايلين بعموم الفعل المنفي يعين المعنى لا يواخذكم الله بشيء من المواخذة عقوبة كانت او كفارة في اللغو ولكن يواخذكم
بهما او باحدهما في المكسوبة والمعقودة عند الحنث وقوله تعالى ايمانكم جمع يمين واليمين تقوية الخبر بذكر الله او التعليق والايمان المعتبر
المترتب عليها الاحكام ثلث والمراد بترتب الاحكام عليها ترتب المواخذة على الغموس وعليها على اللغو والكفارة على المعقودة خلف
على الفعل او تركه ماضيا كاذبا هو الغموس عالما به او ظانا انه حق وهو منه اللغو برجاء عفوه وآتيا مستقبلا فهو كذبه فيتصل الحنث ولكن سهوا
او كرها فالمراد بلغو اليمين عندنا الحلف بالظن وعند الشافعي ما لا قصد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول
العرب لا والله وبلى والله لمجرد تاكيد الكلام من غير ان يخطر ببالهم الحلف لو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام
لانكر ذلك قال لا والله الف مرة والمعنى لا يواخذكم الله لا بعقوبة ولا بكفارة بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما تعمدتم
الكذب في اليمين وهي اليمين الغموس يحلف على ما يعلم انه خلافه وما يقوله ان المعنى لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يواخذكم
بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم ولا يخفى ان المعنى الاول مبني على قول اصحابنا والثاني على قول الشافعي
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد عرفت معناه مع بحاله مما لا مزيد عليه ومما يجب التنبه له ان لكن للاستدراك
اي التدارك بعد النفي اذا دخل في المفرد ولو دخل على الجملة لا يجب كونه بعد النفي بل يجب اختلاف الجملتين نفيا واثباتا لوجود خلاف بل
في ان بل للاعراض عن الاول ولكن ليس للاعراض عنه والله غفور لمن حنث وكفر عن يمينه او لكل من اذنب ثم ندم ورجع اليه
حليم حيث لم يعجل بالمواخذة على اليمين او على الذنب كلاما تربصا للتوبة فان قلت ما معنى الغفور قلت هو كالغفار بلا فرق على قياس
الرحمن الرحيم ومعنى الغفار المريد لازالة العقوبة عن مستحقها واشتقاقه من الغفر بمعنى الستر اذ هو من ابنية المبالغة بمعنى
انه ابلغ في الستر كرمه ان يصونك عن الجناية في الدنيا فكيف يليق ان لا يستر وان يحذرك في الاخرة والحليم هو الذي لا يعجل بالانتقام
للعصاة قبل وقته المقدر وقيل هو الذي يشاهد معصية العصاة ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار حلمه وبلغ
كما قال ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وحكي ان ابراهيم عليه السلام راى عاصيا مشتغلا بمعصية الله تعالى فقال اللهم
اهلكه وراى ثانيا وثالثا ورابعا فدعا عليه فقال الله تعالى يا ابراهيم لو اهلكنا كل عبد عاص ما بقي الا القليل ولكن اذا عصا امهلنا
فان تاب قبلنا فان استغفر اخرنا العقاب عنه لعلمنا انه لا يخرج عن ملكنا للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف بمنع وطي الزوجة مدته فلا ايلاء لو حلف على اقل منها وفي اربعة اشهر اذا كانت حرة والا فشهران ودليله طلقة
بائنة ان بر والكفارة والجزاء ان حنث وقرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم وتعدية الايلاء بمن والاقسام
بعلى لتضمين اليمين على كذا واقسمت عليه كحلفت عليه ولكن لما ضمن هذا القسم المخصوص معنى البعد عدي بمن اي للايلاء او
الاقسام عن قربان المراة يعني لتضمين معنى البعد فكانه قيل يتبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يكون
من متعلقا بيؤلون او يقسمون بل بالظرف الواقع خبر المبتدا والمعنى لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر اي حاصل لهم من نسائهم كقولك
لي منك كذا اي حاصل لي والتضمين هو حاصل التعريف الظرف والايلاء من المراة ان يقول الرجل لها والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا

او

او موقتا او ان قربتك فعلي كذا فلا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن النخعي ولا ايلاء من مبانة ولاجنبية لو نكحها بعد ذلك
ومطلقة الرجعي كالزوجة ولو عجز عن الفيء بالوطء فاخبر بلسانه فقد فئت اليها فلو مضت المدة وهو عاجز
والا فيفيء بالوطء ولا تجب الكفارة في الحلف بالله وفي غيره الجزاء وسقط الايلاء ولو كان الحلف موقتا باربعة اشهر لم يقربها بانت بتطليقة
وسقط الحلف حتى لو نكحها فلم يقربها بعدها لا شيء لو كان الحلف مؤبدا بانت لو نكحها ولم يقربها اربعة اشهر بانت ثانيا ثم ان نكحها ولم يقربها
اربعة اشهر بانت ثالثا وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي اي يحصل موقوفا مطالبا بالفيئة او الطلاق
فيفيء او يطلق وان ابى عنهما طلق عليه الحاكم تربص اربعة اشهر والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي
للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولهذا كان الفيء في الاشهر فهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فعبر عنه فان فاءوا
فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن ووجه دلالة قراءته عليه هو ان الاصل توافق القراءتين وان كانت احديهما او
كلتاهما من الشواذ وليس المراد التمسك بقراءته او تقييد المشهورة بها ليتوجه بانها شاذة او ان فاءوا في اليمين بحنث اي رجعوا وهذا
مبني على قول الشافعي وقال قتادة كان الايلاء طلاق اهل الجاهلية وقال ابن المسيب كان ذلك من ضرارهم كان الرجل لا يريد
المراة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها كذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض مضارة المراة ثم ان اهل الاسلام
كانوا يفعلونه في ابتداء فامر الله تعالى بان يتربصوا اربعة اشهر انما الاتزوج حتى يتامل في هذه المدة الراي المصلحة في امساك
المضارة ولم يطل في المفارقة فارقها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء
وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي كالتوبة
وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وعيد
على اضرارهم وتركهم الفيئة وقال اصحابنا معنى الطلاق بمضي اربعة اشهر هو راي ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم حيث قالا عزيمة
الطلاق انقضاء اربعة اشهر فالشرطان تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل عقيب المفصل كقولك انا نزيلكم هذا الشهر فان
احمدتكم اقمت عندكم والا لم اقم الا ريثما اتحول وفي الاية دلالة بينة على ان الفيء احب الى الله تعالى من عزم الطلاق وهذا القسم
ثم الصارم للطلاق الفيئة لا يخلو من مقابلة ودمدمة ولا بد من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله
كما يسمع وسوسة الشيطان وقرا ابن عباس وزيد بن علي ان عزموا السراح والمطلقات اراد الحراير المدخول بهن من ذوات الاقراء لما
قيل انه [illegible] لا عدة على غير المدخول بها وعدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل ليست
ثلث قروء بل ثلاثة اشهر او وضع الحمل والعلم [illegible] على ما لم تقم قرينة البعضية وههنا الكلام بالتربص ثلثة
قروء قرينة دالة على ان المراد بالمطلقات ذوات الاقراء خاصة فاللفظ لا يقتضي العموم ولا الخصوص بل هو مطلق في تناول الجنس كله
كله وبعضه والتعيين [illegible] مع الدليل يتربصن خبر بمعنى الامر اي ليتربصن اي يكففن يحبسن انفسهن من نكاح آخر ومطلق آمر فيفيد
حرمة التزوج لانه يفوت التربص اصل الكلام وليتربص المطلقات [illegible] بناء الفعل على المبتدا [illegible]
انتما ظاهرة يفيد الحصر والاختصاص وفي الاصول ان الخبر [illegible] بمعنى الامر مجاز [illegible] الانشاء [illegible] على الوجوب
[illegible] يلزم [illegible] المامور به [illegible] يلزم ذلك
فاذا [illegible] المبالغة في وجوب المامور به [illegible] لفظ الخبر مجازا [illegible]
او [illegible]

طوالع بيدا ظلمة

البتة فهو بحيث عنه موجودا في لفظ الإيلاء الاستقبال بانفسهن وذكر الانفس تهييج وزيادة بعث لهن على التربص فان انفس النساء
الى الرجال فامرن بان يقمعن انفسهن ويغلبنها ويحملنها على التربص وهذا المعنى لم يتحقق في الايلاء اذ لم يحصل لهن المفارقة وحرمة
القربان ليتحقق طمعهن طموح يحتاج الى مبالغة وتأكيد في الامر بالتربص والتربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به القروء
جمع قرء او قرء وهو الحيض لا يحمل على الطهر والا فان احتسب الطهر الذي طلق فيه يجب طهران وبعض طهر وان لم يحتسب يجب ثلاثة وبعض
على ان بعض الطهر ليس بطهر والا كان الثالث كذلك وتقريب ذلك على ما هو المذكور في كتب اصحابنا ان القرء لفظ مشترك وضع للحيض
ووضع للطهر في قوله تعالى ثلاثة قروء والمراد من القرء الحيض عند ابي حنيفة والطهر عند الشافعي ونحن نقول
لو كان القرء الطهر يبطل موجب الخاص وهو لفظ ثلاثة لانه لو كان المراد الطهر والطلاق المشروع هو الذي يكون في حالة
الطهر فالطهر الذي طلق فيه ان لم يحتسب من العدة يجب ثلاثة اطهار وبعض طهر وان احتسب كما هو مذهب الشافعي فالواجب جب
طهران وبعض طهر لانه لو كان كذلك لا يكون بين الاول والثالث فرق فيكفي في الثالث بعض الطهر فينبغي انه اذا مضى وبعض الطهر ليس بطهر
من الثالث شيء يحل لها التزوج وهو خلاف الاجماع وهذا الجواب قاطع لشبهة الشافعي وقد تفرد بسعيد الله البخاري بوجه
وقيل ان يعلى اصل الاستدلال منعا لطيفا وهو انا لا نسلم انه اذا لم يحتسب الطهر الذي وقع فيه الطلاق كان الواجب
ثلاثة اطهار وبعضا بل الواجب بالشرع لا يكون الا الاطهار الثلاثة الكاملة ويلزم منه البعض الذي وقع فيه الطلاق
بالضرورة العقلية مما وجب للعدة لكنه لا يفيد الشافعي لانه لا يقول بوجوب ثلاثة اطهار كاملة غير ما وقع فيه الطلاق
نعم يفيد ابا حنيفة في دفع ما اورد من المعارضة بوجوب ثلث حيض وبعض فيما اذا طلقها في الحيض ولنا ايضا قوله عليه السلام
دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا بد للمعنى استحالة معنى الحيض لقوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار لان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ
به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة دون الطهر بالاجماع وايضا يقال اقرأت المرأة اذا حاضت
وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقريها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء ولما
ثبت في لسان الشرع واللغة واستعمال الثقات مجيئه بمعنى الحيض وجب الحمل عليه واما قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق
المشروع في الطهر فمعناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن
الحيض الثلث واما ما ورد في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا فهو مجاز عن العدة ليس كناية عن طول المدة
والمعنى لما ضاع فيها من عدة نسائك لاشتغالك عنهن يعتددن بالقروء او مراده بها الوقت اي لما ضاع فيها من اوقات نسائك
وورد جاء القرء والقارئ بمعنى الوقت لم يرد الحيض ولا الطهر قال الشاعر اذا ما السماء لم تغم ثم اخلفت قروء
الثريا لم يكن لها قطر اراد وقت نوئها الذي يمطر فيه الناس حتى قال ابو عمرو انما القرء الوقت وقال الهذلي
كرهت العقر عقر بني شليل اذا هبت لقاريها الرياح اي لوقتها ولعل القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء
دون الكثرة التي هي القروء لكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كلا من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية فلا استبعاد كيف
والمرجح قائم وهو كثرة الاستعمال والاقتصار [illegible] ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه
تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم شسوع والقياس [illegible] الاقوس كثير فكان النكتة
في تقليلها الايماء الى ان التطليق ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال فوضع جمع القلة موضع جمع الكثرة وترك الزجري

قرو

ثلثة

قروء بغير همز وعبد الله من غير ثلثة اقراء ولا يحل لهن ان يكتمن عطف على يتربصن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد او من الحيض استعجالا للطلاق وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل ان قولها مقبول في ذلك قيل والاولى
ان المخلوق في الرحم دون دم الحيض بقرينة ارحامهن الذي يقتضي ان يسقطن ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه
وذلك اي لا يستعجلن الطلاق وطلبهن الاسقاط فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاط ان كن يؤمن بالله
واليوم الآخر تعظيم لفعلهن فان الشرط متعلق بيكتمن قصدا للتعظيم ذلك الفعل بحيث ان من آمن بالله وعقابه لا يقدم
على مثله فان عدم الاقدام والاحجام من لوازم الايمان وليس متعلقا بقوله لا يحل حتى لو لم يؤمن حل لهن ذلك اذ ليس
المقصود تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على عظم ذلك الفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات وقرأ مسلمة وبعولتهن
باسكان التاء ومن العرب من يفعل ذلك اذا كثرت الحركات احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن والبعول
جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة مثلا او البعولة مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به واقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل والمعنى ان بعولتهن ان ارادوا الرجعة وابتها وجب ايثار
قولهم على قولهن وكانوا احق بالرجعة منهن بالاباء لا ان لهن حقا في الرجعة وان كانت الرجعة [illegible] المعنى
انهم احق حال تربصهم بالرجعة منهن [illegible] ذلك [illegible] بعد ارادتها [illegible] اشارة الى التربص مع حذف
المضاف [illegible] في زمان التربص او يوم [illegible] ذلك التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد
منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن اي ولهن حق على الرجال
مثل حقوقهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس في الوجوب واستحقاق المطالبة لا في جنس الفعل
اذ لا يجب عليه اذا غسلت ثوبه او خبطت ثيابه ان يفعل مثل ذلك بل يقابله بما يليق بالرجال من الحسنات وللرجال عليهن درجة
زيادة في الحق وفضيلة للرجال فهم في انفسهم وفي حسن العشرة والكفاءة وترك الاعتداء ونحو ذلك الا انهم قوامون عليهن بما انفقوا
من اموالهم وقيل تنال المرأة من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها والله عزيز
غالب يقدر على انتقام ممن خالف احكامه والذي لا مثل له ولا نظير [illegible] في المضارع [illegible] ما يناسب الحكم فانه
لما بين المماثلة بين الزوجين اراد ان يبين [illegible] ثواب العاملين
حكيم يشرع احكاما ومصالح لا يعلمها الا هو والحكيم ذو الحكمة وهي العلم بالاشياء [illegible] والاتيان بالافعال على ما ينبغي وقيل
بمعنى الحكم الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم اي التطليق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ومن ثم قال اصحابنا الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة ولم يرد
بعد ذلك
بالمرتين الا التكرير لا التثنية كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ومنه قولهم لبيك
اي لبابا بعد لباب واسعادا بعد اسعاد وقيل مرتان اي ثنتان بدليل قوله ثم قال فان طلقها اي بعد
المرتين فانه صحيح في ان المراد بالمرتين التطليقتين [illegible] قال الشافعي واصحابه وقال بعضهم اي التطليق الشرعي ثنتان لما
روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال او تسريح باحسان فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد
ان علمهم كيفية الطلاق والفاء للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فالواجب عليكم احد الامرين وهو
ان تمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن او ان تسرحوهن السراح الجميل الذي علمكم وعلى ذكرنا الاثم في

٢٦

الطلاق للجنس اي جنس الطلاق الشرعي مرتان وقيل اللام للعهد والاشارة الى ما علية قوله وبعولتهن احق بردهن اي انما يكون المعنى الطلاق الرجعي مرتان يعني ان الطلاق المعقب للرجعة ثنتان اذ لا رجعة بعد الثالث فالمثنى على ظاهره والفاء على ظاهرها فامساك بمعروف اي بحسن عشرة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث فلما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم فاين الثالثة قال او تسريح باحسان فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها طلقة رابعة وانه غير جائز وقد يجاب بان الفاء تفصيلية لانه بعد ما حكم بان الطلاق مرتان تخير بين الامساك والتطليق ثالثا ثم اورد حكم التطليق الثالث كانه قيل فان امسكها فذاك وان طلقها فلا تحل له بعده وقد اعترض بينهما ذكر الخلع تنبيها على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى احسن الطلاق طلقة فقط في طهر لا وطء فيه وحسنه وهي السنية طلقة لغير الموطوءة ولو في حيض وللموطوءة تفريق الثلاث في اطهار لا رجعة فيها او واحدة في طهر وطئ فيه او حيض موطوءة فتجب رجعتها فيه في الاصح وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث على انه ليس بحرام وطلاق بدعة وان لم يكن من السنة حديث العجلاني الذي لاعن امرأته وطلقها ثلثا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ووجه التمسك انه لا يجوز للنبي عليه السلام تقرير المعصية سيما بحضرة المسترشدين ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي المنافق اخت عبد الله كانت تحت ثابت بن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة من الناس فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان ثابت قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بتلك الحديقة وهو اول خلع في الاسلام والخطاب كله مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع اليهم وقيل يجوز ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره والاول اوجه لان هذا يشوش النظم على القراءة المشهورة وقيل لا يبعد ان يكون الخطاب مما لم يقصد به مخاطب معين كانه قيل ايها الناس الا ان يخافا الا يقيما حدود الله اي الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من موجبات الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته اي الا يقيما من الف الضمير وهو بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحو واسروا النجوى الذين ظلموا في كون المظهر بدلا من الضمير المرفوع البارز لكن البارز في اسروا مبهم والبدل بدل الكل او بعض بخلاف ما نحن فيه لكونه معينا والبدل اشتمال وتنصره قراءة عبد الله الا ان يخافوا حيث لم يسند الخوف الى الخائفة الى الزوجين فان الخائف في هذه القراءة غيرهما من الائمة والحكام كما في القراءة المبنية للمفعول وقراءة الا ان يظنا وهو يعضد تفسير الخوف بالظن وعن عاصم عن زر عن ابي الا ان يظنا بناء على من الظنة وهي التهمة فان خفتم اي علمتم او ظننتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله اي ان لا يقيم الزوجان حقوق الزوجية وقرأ عبد الله الا يقيموا فلا جناح عليهما اي فلا اثم على الرجل في الاخذ ولا على المرأة فيما افتدت به نفسها فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذلها لئلا يتعلق بعض المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى

عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن اي ليلة اقر لعيني من تلك الليالي الثلث فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها وان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا تلك حدود الله فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وفي تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فالمعنى الاول مبني على ان اللام في الطلاق للجنس ومرتان للتكرير والثاني على انه للعهد ومرتان للتثنية ومعنى الفاء ظاهر واما على الاول فالفاء للتفريع والترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمت ذلك فان طلقها ذلك الطلاق المكرر الى الثالثة فلا تحل له وتحقيق المقام على ما ذكر في الاصول ان الفاء لفظ خاص للتعقيب وقد عقب الطلاق الافتداء فان لم يقع الطلاق بعد الخلع كما هو مذهب الشافعي ثم يبطل موجب الخاص وذلك ان الله تعالى ذكر الطلاق المعقب للرجعة مرتين ثم ذكر افتداء المرأة وفي تخصيص فعلها بالافتداء تقدير فعل الزوج على ما سبق وهو الطلاق لانه تعالى لما جمعهما في قوله الا يقيما ثم خص جانب المرأة مع انها لا تتخلص بالافتداء الا بفعل الزوج كان بيانا انه بطريق الضرورة ان فعل الزوج هو الذي يقرر فيما سبق هو الطلاق فكان هذا بيانا للنوع الثاني من الطلاق بغير مال وبمال وهو الافتداء فصار كالتصريح بان فعل الزوج في الخلع وافتداء المرأة طلاق لا فسخ كما ذهب الشافعي بانه قد روي عنه ان الافتداء فسخ والا يلزم ترك العمل بهذا البيان الذي هو في حكم المنطوق وهو المعبر عنه بترك العمل بالخاص عند بعض اصحابنا وبالزيادة على الكتاب عند بعضهم ثم قال تعالى فان طلقها اي بعد المرتين سواء كانتا على مال او بغير مال فيما اتصال الفاء باول الكلام وانفصاله عن الاقرب على ما هو الشافعي من فساد التركيب وهو ترك العطف على الاقرب الى الابعد مع توسيط الكلام الاجنبي وذلك ان الشافعي رحمه الله يصل قوله فان طلقها بقوله الطلاق مرتان ويجعل ذكر الخلع وهو قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا الى قوله فاولئك هم الظالمون معترضا ولا يجعل الخلع طلاقا بل فسخا والا يصير الطلاق مع الخلع ثلثة فيصير قوله فان طلقها رابعا ويقول المختلعة لا يلحقها صريح الطلاق فان قوله فان طلقها متصل باول الكلام فان قيل اتصال الفاء بقوله الطلاق مرتان وهو قول كثير من المفسرين فكيف حكم بالفساد اجيب بان الحكم بالفساد انما هو على تقدير ان يكون قوله ولا يحل لكم الى اخره كلاما معترضا مستقلا وارد في بيان الخلع غير منصرف الى الطلقتين المذكورتين واما على ما ذهب اليه بعض الاصوليين وعامة المفسرين ودل عليه سياق النظم وهو ان الافتداء منصرف الى الطلقتين ومعناه لا يحل لكم ان تاخذوا في الطلقتين شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خافا ذلك فلا اثم في الاخذ والافتداء فلا فساد لان اتصاله بقوله الطلاق مرتان هو معنى اتصاله بالافتداء لانه ليس خارجا عن الطلقتين فكانه قال فان طلقها بعد الطلقتين اللتين كلتاهما او احدهما خلع وافتداء واورد عليه اشكال لان احدهما ان لا يكون المراد بقوله الطلاق مرتان هو الطلاق الرجعي لان الخلع طلاق بائن وثانيهما انه لا يصح التمسك بالاية في ان الخلع طلاق وانه يلحقه الصريح لان المذكور هو الطلاق على مال لا الخلع واجيب عن الاول بان كونه

كونه رجعيا انما هو على تقدير عدم الاخذ وعن الشافعي بان الآية نزلت في الخلع لا الطلاق على مال فان قيل الفاء
في الآية لمجرد العطف من غير تعقيب ولا ترتيب والا لزم من اثبات شرعية الطلقة الثالثة الثالثة وجوب التحليل بعدها
من غير سبق لافتداء والطلاق على المال للزيادة على الكتاب بل ترك العمل بالفاء في قوله فان طلقها اجيب بانه لو سلم
فبالاجماع والخبر المشهور كحديث العسيلة على ان الفاء للترتيب في الوجه لا في الذكر والا فالترتيب في الذكر حاصل صل
في جميع حروف العطف ثم هذا البحث مبني على ان المراد بالتسريح باحسان ترك الرجعة واما اذا اريد به الطلقة
الثالثة على ما روي عن النبي عم فيكون قوله فان طلقها بيانا لحكم التسريح على معنى انه اذ ثبت انه لابد بعد الطلقتين عن
الامساك بالمراجعة او التسريح بالطلقة الثالثة فان اختار التسريح فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ح لا دلالة
في الآية على شرعية الطلاق فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره قالت عايشة
رضي الله عنها قال النبي عليه السلام اذا طلق الرجل امراته ثلثا لم تحل له حتى تنكح
زوجا غيره ومن ثم اتفقت كلمة الجمهور على ان الحرة لا تحل بعد ثلث والامة بعد اثنتين حتى يطاها غيره بنكاح صحيح
ويمضي عدة طلاقه او موته خلافا لسعيد بن المسيب فانه عنده لا يشترط وطء الزوج الثاني بل يكفي مجرد النكاح
استدلالا بقوله تع حتى تنكح زوجا غيره ولنا ما روي عروة عن عايشة ان امراة رفاعة قالت للنبي عم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وهو حديث مشهور يجوز به
الزيادة على الكتاب فيكون التحليل بدون الوطء مخالفا للحديث المشهور حتى لو قضى القاضي به لا ينفذ
وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال عليه السلام لها كذبت في قولك الاول
فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض النبي عم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله
حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال لئن اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها بالكلية
والنكاح بشرط التحليل فاسد عند اكثر العلماء وجائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه ان اضمر التحليل لم يصرح به
فلا كراهة وعن النبي عم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان لا الا نكاح
رغبة غير مدالسة ايلا الحق ان النكاح رغبة والمدالسة شبه مخادعة وتحل للاول و الزوج الثاني يهدم ما دون الثلث
واختلفوا في هذه المسئلة فقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وطء الزوج الثاني يهدم ما مضى من الطلقات
واحدة كانت او ثلثا وهو راي ابي حنيفة وابي يوسف وقال عمر وعلي وابي وغيرهم لا يهدم ما دون الثلث وبه قال محمد
وزفر والشافعي محتجين بان ما ذهبوا اليه ترك العمل بالخاص وذلك ان لفظ حتى في قوله تعالى فلا تحل له من بعد
حتى تنكح زوجا غيره خاص في الغاية وانه الغاية في انتهاء ما قبلها لا في اثبات ما بعدها فوطء الزوج الثاني
يكون غاية الحرمة السابقة لا مثبتا لحل جديد وانما يثبت الحل بالسبب السابق وهو كونها من بنات آدم خالية عن اسباب
الحرمة كما في الصوم ينتهي حرمة الاكل والشرب بالليل ثم يثبت الحل بالاباحة الاصلية فوطء الزوج الثاني
يهدم حكم ما مضى من طلقات الزوج الاول ان كانت ثلاثا لثبوت الحرمة بها ولا يهدم ما دون الثلث اذ لا تثبت الحرمة به ولا تتصور
غاية الشيء قبل وجود اصله وفي الغاية يهدم ما دون الثلث ايضا كما قال اكثر العبادلة وذهب اليه ابي حنيفة وابو

[illegible]

يوسف

وابو يوسف بناء على ان وطء الزوج الثاني مثبت حل جديد بدل ترك العمل بالخاص والجواب ان المراد بالنكاح ههنا العقد
بدليل اضافته الى المراة واشتراط الدخول انما ثبت بالحديث المشهور حيث قال لا حتى تذوقي فجعل الذوق غاية
لعدم العود فاذا وجد يثبت العود وهو حادث لا سبب له سوى الذوق فيكون الذوق هو المثبت للحل ويؤيده
قوله عليه السلام لعن الله المحلل والمحلل له جعل الزوج الثاني محللا اي مثبتا للحل فيما دون الثلث يكون الزوج
الثاني متمما للحل الناقص بطريق الاولى فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع
كل من المراة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله اي ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما
حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد لان ان الناصبة لا تقع بعد العلم
لانه للتحقيق والاستقبال ينافيه وانما يقع بعد المخففة من المثقلة ولان الانسان لا يعلم ما في الغد
وانما يظن ظنا وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
وقرا جماعة منهم الحسن وابن محيصن وقتادة نبينها بالنون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي
آخر عدتهن وشارفن منتهاها اي وصلن الى قريب من الآخر والاجل يطلق على آخر المدة وعلى جميعها
بطريق الاتساع وكذلك الغاية والامد واما الغاية في قول النحويين من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية فالمراد
بها المسافة او جعل الغاية مطلقا على ما يشمل المكاني والزماني بطريق الحذف او التوسع لا لجميع المدة
حقيقة لاختصاصها بالزمان ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال لمن وصلت
ولم يصل انما شارف فهو مجاز باعتبار ما يؤول او استعارة تشبيها للمتقارب الوقوع بالواقع في البعد عن الوقوع
المحض والفرض بخصوص الاول ولانه قد علم ان الامساك بعد مضي الاجل لا وجه له لان المراة بعد مضيه غير [illegible]
له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف او سرحوهن فان الامساك بعد مضي الاجل وانقضاء العدة والمعنى
فراجعوهن من غير طلب ضرار بالمراجعة او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير ضرار وتطويل وهو اعادة الحكم في بعض
صوره اهتماما به ولا تمسكوهن ضرارا اي ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى
تشارف الاجل ويقرب انقضاء عدتها ثم تراجعها لا عن حاجة بل ليطول العدة عليها وهو الامساك ضرارا فنهي عنه
بعد الامر بضده مبالغة ونصبه على العلة او على الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل
وقيل لتلجئوهن الى الافتداء واللام متعلق بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
بتعريضها لعقاب الله فان اتيان ما نهي عنه تعريض لعذابه ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل
بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا والحقيقة انه نهي عن الاطراح عنها والتهاون
في العمل بها وقال السلمي لم يبق في الامر انما انت هازئ ولاعب وقيل كانوا يطلقون ولا يعتدون
ذلك الطلاق ويجعلونه لعبا فنزلت وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت
نهيا عن ذلك وعن النبي عم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا
نعمة الله عليكم من جملتها الهداية الى الاسلام وبعث محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها [illegible]

عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما وتنبيها على جلالتهما يعظكم به بما
انزل عليكم واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الطلاق وغيره واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلام على افتراق البلوغين
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن
يتزوجن عدوانا وقسرا لان الجواب قوله واذا طلقتم او الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين
عضل اخته جميلا ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له فالازواج على
هذا باعتبار ما كان ومعنى ينكحن ازواجهن يرجعن اليهم وعلى الاول باعتبار ما يؤول ومعنى ينكحنهم
يصرن ذوات نكاحهم ومنه فلانة نكحت في بني فلان وحاصله ينكحن الازواج وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم ليتناول عضلهم جميعا مع السلامة من انتشار ضمير الخطاب اذ الاصل خطاب طلقتم للاولياء
قطعا والمعنى لا يوجد فيما بينكم عضل فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالعاضلين وذلك ان
لا تعضلوا يقتضي مباشرة كلهم العضل فيما بينهم مع رضاهم به فجعل النهي عن اللازم كناية او مجازا عن النهي لا تعضلوا
عن الملزوم والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وبلوغ الاجل
على الحقيقة لا المشارفة كما في الآية السابقة لان النهي عن العضل انما هو بعد التمكن من النكاح وذلك بعد
انقضاء العدة بخلاف الامساك فانه انما يكون في العدة وهذا معنى دلالة سياق الكلام على افتراق البلوغين
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويحسن في
المروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء
ان يعترضوا بان يطلبوا ان يتم لها مهر المثل او يفارقها وعندهما ليس لهم الاعتراض وعند الشافعي ليس لها ان
تزوج نفسها اصلا وقيل بمهر ونكاح جديد وقيل بشاهدي عدل وهو حال من الضمير في تراضوا او صفة
مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزويج من غير كفو غير منهي عنه ذلك الخطاب
فيه للنبي عم لانه الاصل في تلقي الكلام او لكل احد ممن يتلقى الكلام وحرف الخطاب يكون لمجموع ويتلقى الكلام سواء
كان هو المخاطب بالحكم او لم يكن ونحو ذلك خير لكم واطهر ثم عفونا عنكم من بعد ذلك وقيل الثاني ارجح لما فيه
من تلاؤم النظم غاية التلاؤم وذلك باعتبار دلالة الخطاب السابق واللاحق لكل احد فالوجه ان يكون للمتوسط كذلك
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وخص المؤمنين لانهم هم المتعظون به والمنتفعون به
ذلكم اشارة الى ترك العضل اي ترككم العضل وقيل العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وضمنا
للتلبس بوصف صاحبه لان الترك من دنس الآثام والتلبس به يكون من صفات الخبيثة من الفضل او الترك كذلك المذكور
وازكى الاول من قبيل تزكيتهم بها اي تطهيرهم فعطف واطهر للتفسير والتاكيد او من زكى بمعنى نمى فمعنى ازكى
افضل واكثر خيرا وح فالانسب ان يراد بالطهر الاطيب كذلك انما يدل في تبعيد عن دنس الآثام مع ما فيه من التكلف
ومن هاهنا قال بعضهم ازكى واطهر افضل واطيب وقيل ازكى انفع وقيل اصلح وقيل خير والله يعلم
ما في ذلك من الزكاء والطهر ومن النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم ومآل الضحاك والله يعلم انطهر

الاحكام

في الوفاء والعدل وانتم لا تعلمون ما علمكم في التفريق من العقوبة والعذاب وقيل والله يعلم ما فيه تستصلحون من
الشرائع وانتم تجهلون وعن مقاتل نزلت تدعما البيح معقل فقال ان كنت مؤمنا فلا تمنع اختك عن ابي الدرداء فقال آمنت
بالله وزوجها منه وفي الآية دليل على ان الولي اذا منع المراة عن النكاح فللحاكم ان يزوجها والوالدات يرضعن
اولادهن تدرج من غير صيغة الخبر فيه مثله مجازا عن الامر وبسطنا الكلام فيه بحيث يستغني عن البيان
فلنقتصر على التنبيه على بعض ما يحتاج الى التنبيه فنقول الخبر اذا جعل مجازا عن الامر انما هو خبر المبتدا وهو ان المعنى
والوالدات ليرضعن المجموع المبتدا والخبر يكون مثل زيدا انصره وعمرو اضربه بالرفع على جعل المبتدا جملة انشائية و
بعضهم يعملون في الثاني منعا منهم ان خبر المبتدا لا يكون جملة انشائية والتاويل بتقدير القول بتكلف الحاجة
اليه بل يابى المحوج كثير من المواضع سيما في الدعاء كقوله بل انتم لا مرحبا بكم وفي باب المدح والذم على احد الوجهين
وفي مثل كيف حالك ومتى القتال ونحو ذلك فالتوجه باحتماع كون خبر المبتدا انشاء وطلبا صيغة جملة ثم اخراج الامر
في صورة الخبر تاكيد للامر ووجه التاكيد بناء على المبتدا واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانه قد يتلقى
الامر بالارضاع البتة فهو يخبر عنه موجودا في الحال والاستقبال وكون الوالدات مامورات بارضاع الاولاد اما على طريق
الندب او الوجوب فيختص بما اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات
وغيرهن وقيل المطلقات خاصة لسياق الكلام فيهن وح فايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع لعدم بقاء علقة النكاح
الموجب لذلك المولود لو رضعهم الوالدات لم تجب النفقة والكسوة لهن حولين كاملين اكد بصفة الكمال لكون ذلك
مما يتسامح فيه فيطلق على الاقل القريب من التمام كما يقال القريب من المولود ولا منه فمن ذكر اقمت
عند فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لما توجه اليه الحكم اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة منه
قوله تعالى هيت لك اي لك بيان للمهيت بها يعني لمن قرب وهو طلب هذه الكلمة ولمن هو كذا تعلق هذا الخطاب كما قيل
الام متعلقة بيرضعن لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة
الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز واذا
انقضت عدتها فالاجارة جائزة والمعنى يرضعن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء اي ترضع الام للاب كما
تقول ارضعت فلانة لفلان ولده وقرأ ابن عباس لمن اراد ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وللنحاة
وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما وتشاركهما في تاويل الفعل معهما في تاويل
المصدر وهذا نصب بما جاز في قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم وان كان بينهما فرق حيث ان ما بمعنى المستقبل
خلاف ما وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله التيسير والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان
وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان يكون في الفطام ضرر ولا يجب ... لا يزيد ولا ينقص ومن قوله
التاويل في ذكر وقت اي حد بين القليل والكثير وعلى المولود له اي الذين يولد له وهم الوالد لانهم ... عليهم
وقرأ عبد الله وعلى الوالد له وانما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسب الاولاد الى الآباء
والذكر ينسب اليهم الا يعتد والنسب الى المامون بن الرشيد اي الجد وفي حقه فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء بآباء
ابناء وذكر حين روي انه عاب هشام بن علي فقال بلغني انك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وانت ابن امة فقال

كان اسمعيل ابن امة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسحق خير ولد آدم وانشد الشاعر لا تزرين بفتى من ان تكون
له ام من الروم او سوداء دعجاء فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء فوجب عليهم ان يرزقوهن
ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر رزقهن وكسوتهن اجرة لهن ومن امثلة الشاعر قوله تعالى وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن سيق لايجاب نفقتهما على الوالد وفيه ان النسب الى الآباء والى ان للاب ولاية تملك ما لا تملك
ابيه بدليل الكلام والى انفراده بالانفاق على الولد اذ لا يشاركه احد في هذه النسبة فكذا في حكمها والى ان اجر الرضاع يستغني
عن التقدير لانه تعالى اوجب على الاب رزق الامهات اولا من غير تقدير فان اراد الدال استيجار الوالدة المطلقة لارضاع الولد
يكون استغناء اجرها عن التقدير ثابتا بالاشارة لا بالنص قوله تعالى بالمعروف انما قال في موجب التقدير الصفة وان نازله
استيجار هيبا ولا يثبتونه بدلالة النص لان جواز الاستغناء عن التقدير مبني على ان هذه الجهالة لا تفضي الى المنازعة
لانهم لا يمنعون في العادة قدر الكفاية من الطعام لانه يعود اليهم ولا من الكسوة لان الولد في حجرها الا بالاشارة
لعدم ثبوته بالمنطوق اي بنفس النظم لان الضمير في رزقهن وكسوتهن راجع الى الوالدات بالمعروف بحسب ما يراه
الحاكم ويفي به وسعه فتفسير ما بعده وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضاران لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيق وذلك لا يكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون
وجب ان يؤدي نفسا بالنصب قراءة الحسن لا تكلف نفس قيل يعني لا تكلف وعكرمة الا وسعها بكسر الواو وابن ابي
عبلة بفتحها وقرا ايضا وسعها بفتح الواو وكسر السين لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لعدم التكليف
وتقريب له اي لا يضار كل منهما الآخر بسبب الولد وقرا ابو عمرو وابن كثير ويعقوب لا تضار بالرفع على انه بدل عن لا تكلف
واصله على القراءتين تضارر بكسر الراء على البناء للفاعل او فتحها على البناء للمفعول وعلى الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر وان
يكون الباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل
للمعنيين ايضا ويؤيد الاول قراءة لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها اما الفتح فللخفة واما الكسر فعلى
اصل حركة الساكن وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف عن التحرج لا تضار بالسكون والتخفيف على انه
من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر واختلس الضمة فظننا انه سكون وقرا الحسن لا تضارر بكسر الراء وعن
كاتب عمر لا تضرر واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا
على استصلاحه والاشفاق عليه لا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه اشارة الى ان الوارث ينفق
بقدر الارث اذ العلة هي الارث الذي هي النسبة الى المشتق فوجب عليه المؤاخذة المذكورة بالوارث وارث مولود له
والمعطوف عليه وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي وان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم
مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار والصبي نفسه لكونه وارث الاب
اي ثمان مؤنة المرضعة وقيل وارث الصبي على العموم واليه ذهب ابن ابي ليلى حيث قال ويحمل قراءة يحيى بن يعمر
وعبيد بن عمير وعلى الورثة وعند ابي حنيفة من كان

من كان ذا رحم

من كان ذا رحم محرم من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والآخر انثى وعند الشافعي
لا نفقة فيما عدا الولاد اي فيما عدا الاصول في الفروع والاصول الذين علوا كالجد وجد الجد والفروع وان سفل كابن الابن
يقال ولدت ولادة وولادا وقيل من ورث الصبي من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل
الباقي من ابويه من قولهم ولجعله الوارث منا وهذا الابهام المقام كثيرا ولذا قال بعضهم انما جعل الوارث
بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة نقلا في هذا المقام اذ ليس لقولنا فالنفقة على الابن على من بقي من الاب والام
معنى يعتد به فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما
قبل الحولين والفصال مصدر يقال فصل الرضيع عن امه فصلا وفصالا ومنه قوله عليه السلام في ابن رواحة
كان اولنا فصولا واخرنا قفولا اي انفصالا من داره واهله ورجوعا اليهم والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج
الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وقرا عمر بن وهب الاعرجي فان راد فصالا فلا جناح عليهما في ذلك
زاد على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وتعيين الحولين بحيث لا يزاد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز
وانما اعتبر تراضيهما رعاية لصلاح الصبي وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وقيل انما اعتبر تراضيهما في
الفصال وتشاورهما اما الاب فلولايته وقوة نظره واما الام فلفرط شفقتها وعلمها بحال الصبي وان اردتم ان تسترضعوا
اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كقولك
انجح الله حاجتي واستنجحته الحاجة فحذف المفعول الاول للاستغناء كما تقول استنجحت الحاجة بحذف
المفعول الاول وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول قريب فان رادا اي المولود له فلا
جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه ولان ما تحقق ايتاؤه لا يتصور تسليمه في المستقبل ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وكذا
قراءة ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله فان معناه ما اردتم فعله اذ لا يستقيم على ظاهره كما يتوهم وهذا في
قراءة ما اوتيتم وهو في حرف عبد الله ما اخذتم اي ما اقدركم عليه من الاجرة ونحوه والحقوا بما جعل مستطعمين فيه بالمعروف
متعلق بسلمتم اي اذا سلمتم بالطريق الذي يستحسن في الشرع والمروءة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم
بشرط لجواز الاسترضاع بل اشتراط التسليم ندب الى الاولى ودلالة على ان الاكثر ثوابا ان يكون الاسترضاع مقرونا بتسليم
ما يعطي المرضع ويجوز ان يكون ارشادا الى ما هو مصلحة للولد ودلالة على ان الاجرة ينبغي ان يكون مما يكون وهو
ان تكون معجلة موعودة لتكون طيبة القلب راضية فيزيد ذلك اهتماما واحتياطا لشان الصبي بحيث يعق ايضا تماما
في امره كانه قيل اذا ادبتم البعض بدا بسببها اعطيتموهن واتقوا الله في المحافظة على ما شرع في الاولاد والمراضع واعلموا
ان الله بما تعملون بصير تاكيد وتهديد وقرا الاعرج يعملون بالياء والذين يتوفون منكم على تقدير المضاف بدليل
يتربصن اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن قيل معناه يتربصن بعدهم وقيل ان العائد الى الذين
يتوفون حال كونه محذوفا كقولهم السمن منوان بدرهم اي منه ولو قدر يتربصن لهم لم يبعد وقرا علي رضي الله عنه يتوفون
بلفظ المبني للفاعل اي يستوفون اجالهم قال الزمخشري وهذه القراءة مما يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بلفظ اسم الفاعل فقال الله

وكان احد اسباب الباعثة لعلي كرم الله وجهه علي ان امر بان يضع كتابا في النحو وبينهما مناقضة لان نص
الرواية تدل علي عدم صحة اطلاق المتوفي علي الميت الا معنا . فانتفاء الحيوة والقراءة تدل علي صحته من جهة ان معناه
المتوفي لمدة عمره بحيث لم يبق له شيء من زمن الحيوة ووجه التوفيق ما ذكر السكاكي وقد نسب تخطية السائل الي علي
كرم الله وجهه وهو ان السائل لم يكن ممن عرف وجه صحة ذلك فلم يصلح للخطاب وتقريره علي مقتضى
ما ذكر في كتابه انه ليس المراد ان المتوفي معنيين احدهما الاماتة وقبض الروح وعليه استعمال العامة وثانيهما الاستيفاء
واخذ الحق وعليه استعمال البلغاء بل معناه الاستيفاء واخذ الحق لا غير لكن عند الاستعمال العامة يقدر مفعوله النفس
فيكون الفاعل هو الله تعالى او الملك علي ما قال تعالى قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم وهذا هو الاستعمال الشايع
وقد يقدر مدة العمر فيكون الفاعل الميت لانه الذي استوفي الاجل ومدة عمره وحظه من الحيوة وهذا من المعاني
الدقيقة التي لا يتنبه لها الا فراد من البلغاء فحين عرف علي رضي الله عنه من السائل عدم تنبهه لذلك ما بعده اي يتوفون
اجالهم يعني يستوفونها هذا عبارة صاحب غرايب القرآن **ويذرون ازواجا** اي يتركونهن وقيل الربط حاصل
بحرف عود الضمير الي الازواج يعني ضمير يتربصن لان المعنى يتربص الازواج التي تركوهن **يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا** اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل تانيث العشر باعتبار الليالي والايام
داخلة معها لان الشهور غررها بالليالي نظرا الي الهلال فتكون الايام تبعا لها ولذلك تراهم لا يستعملون التذكير قط
في مثله ذاهبين الي الايام تقول صمت عشرا والتذكير انما هو خروج عن كلامهم فالاكثر علي ان المراد بقوله عشرا
عشرة ايام والتانيث باعتبار الليالي قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا بعد ان لبثتم الا يوما وحكى الفراء صمنا عشرا من شهر رمضان
مع ان الصوم انما يكون في الايام واعلم انه لو اراد هذا القايل انهم يستعملون الليالي في الايام فقط فهو غير موافق
لما نحن فيه لان ليس الايام فقط وان اراد الاستعمال في الايام بلياليها وهو مذهب التغليب لكن لا يطابق قولهم صمنا عشرا
وقيل ان هذا من باب تغليب المؤنث علي المذكر وليس في العربية ما غلب فيه المؤنث علي المذكر الا هذا وقيل ولعل المقتضي
لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك في ثلثة اشهر ان كان ذكرا وفي اربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية
فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع
خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى
الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** فسروه بانقضاء العدة لان حقيقته بلوغ نفس المدة **فلا جناح عليكم**
ايها الايمة وجميع المسلمين **فيما فعلن في انفسهن** من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليهن للعدة **بالمعروف**
الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر فعلي الايمة ان يكفوهن وان قصروا كان عليهم الجناح وجب
عليهم منعهن لو فعلن المنكر **والله بما تعملون خبير** فيجازيكم علي حسب اعمالكم فيه وعد ووعيد **ولا جناح
عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** والتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج
ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك والخطبة
وروى ابن المبارك عن ابن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت

قرابتي من رسول الله صلعم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك
فقال قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي
سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل علي يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها
فما كانت تلك خطبة اي لم تكن تلك المقالة خطبة قوله قدمي اي تقدمي وسابقتي وقوله او قد فعلت بضم التاء انكارا
منه ان يكون قد فعل الخطبة في العدة ثم استشهد بفعله صلى الله عليه وسلم في شان ام سلمة فانه اكبر منه ولم يكن خطبة وقد يروى
بالكسر خطابا لها وانكارا عليها بخطبة الامام والتعريض ان يشار بالكلام الي جانب الغرض منه جانب اخر كما في مسئلة
المتقدمة والكناية لفظ اريد بمعناه الموضوع له معنى ثان ملزوم له كلفظ طويل النجاد المراد به طول القامة
وان لم يكن له نجاد قط ومنه جبان الكلب ومهزول الفصيل وان لم يكن له كلب ولا فصيل وهي تنافي في ارادة
الحقيقة فلا يمتنع ان يراد طول النجاد مع ارادة طول القامة وميل السكاكي الي ان بينهما عموما من وجه لتصادقهما في مثل
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وصدق الكناية بدونه وهو كثير وصدقه بدون الكناية في مثل
اذ يتبين فيعرف عند القرينة اللائقة عن ارادة المخاطب يتبين ارادة الغير فانه يكون مجازا لا كناية واعتبار الا
علي القراين في الكناية وقال الزمخشري الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا
تدل به علي شيء لم تذكره كقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الي وجهك الكريم ولذلك
قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا فكانه امالة الكلام الي عرض يدل علي المقصود ويسمى التلويح لانه يلوح
منه ما تريده واصله من العرض بالضم وهو الناحية والجانب لانك تاتي بالمقصود من جانب الكلام وناحيته وقال
ابن الاثير الكناية ما دل علي معنى يجوز حمله علي جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ويكون في المفرد والمركب
والتعريض هو اللفظ الدال علي معنى لا من جهة الوضع الحقيقي او المجازي بل من جهة التلويح والاشارة وانما فهم منه المعنى
من عرض اللفظ اي من جانبه والخطبة بالضم والكسر اسم للحالة غير ان الاول يختص بالموعظة والثاني بطلب المراة
وقرا زيد بن علي من خطاب النساء والمراد بالنساء المعتدات للوفاة **او اكننتم في انفسكم** او سترتم واضمرتم
في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** لا محالة ولا تسكتون
عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون علي السكوت عنهن وفيه نوع توبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فاذكروهن بالتعريض والتاكيد **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف لانه مما يشر قال الاعشى ولا تقربن
جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر عن النكاح الذي هو العقد لان النكاح بمعنى العقد الحلال فسمي
باسم المسبب علي السبب وقيل معناه لا تواعدوهن في السر علي ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن
لان مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة وسرا علي هذا في موقع الظرف وهو الاظهر او التمييز او الحال
اي مسارين والمصدر يعني وعدا سرا **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا وقوله الا ان تقولوا
في موقع المفعول المطلق اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة هي قول معروف غير منكر وان اعتبر حذف
الباء في موقع المفعول له بواسطة اي لا تواعدوهن بطريق الا بان تقولوا اي الا بطريق التعريض او كان استثناء

منقطعا من سرا على ما زعم بعضهم او وقع موقع المفعول به بلا واسطة فيكون المعنى لا تواعدوهن الا التعريض وليس
بمستقيم لان التعريض طريق المواعدة لا الموعود نفسه وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها
ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث والفحش
في الكلام وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره وقيل فيه دليل حرمة
تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها اذا كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق والباين والاظهر جوازه
ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي
عنه كان عن الفعل انهى والمعنى لا تعزموا عقد عقدة النكاح اي لا تقصدوا قصدا جازما الا تردد معه وقدر المضاف
لان العزم انما يكون على الفعل لا على نفس العقدة وقيل معناه لا تقطعوا عقد عقدته فان العزم القطع
اي لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدموا عليه فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده كما في الوجه الاول وبه
يمتاز عنه والاصل في العزم بمعنى القصد معنى القطع كما يقال هذا امر معزوم عليه ومقطوع به وذلك بدليل قوله
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن بيت الصيام من الليل وليس معنى بت الصوم وقطعه الا الجزم
به وقطع التردد عنه ولو كان العزم بمعنى القطع الذي هو الفك حملنا كلام هذا القايل على لا تقطعوا عقد عقدة
نكاح الزوج المتوفى بالكلية بحيث يعقدون عليها عقدا اخر ولم يحتج الى تقدير المضاف فلا بد من تقديره
على الوجهين لما ذكرنا يقال عقدت الحبل عقدا والعقدة موضع العقد حتى يبلغ الكتاب اجله حتى
ينقضي ما كتب وفرض العدة فالمراد بالكتاب العدة المفروضة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم
على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه يقال عزم الامر وعزم عليه لغتان قصده وقصد عليه واعلموا ان الله غفور
لمن عزم عليه فلم يفعل خوفا من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب
مهر قبل هن وذلك انه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل ان رسول الله عم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان به
حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة او لاحد الشيئين لا للشك
فان الكلام للافهام وقد تستعار لحتى اذا كان بعدها مضارع منصوب ولم يكن قبلها مضارع منصوب
كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم لان احدهما يرتفع بوجود الاخر كالمغيا يرتفع بالغاية وقد تنصب
المضارع لما كان بمعنى الا ان وكل منهما محتمل ههنا اي حتى تفرضوا لهن فريضة او الا ان تفرضوا لهن فريضة ويحتمل
ان يكون بمعنى الواو وعلى هذا تكون عاطفة مقيدة للعموم بانتفاء الامرين وهما المجامعة وتقدير المهر حتى لو وجد
احدهما كان جناح اي تبعة بايجاب مهر فيكون تفرضوا مجزوما عطفا على تمسوهن ولا حاجة الى ما ذكر من انه منصوب
باضمار ان على معنى الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا اي اذا لم يوجد المجامعة فعدم الجناح ممتد الى تقدير المهر وفرض المهر
تبعة المهر وذلك ان للمطلقة غير المدخولة نصف المهر ان سمي لها مهر والا فليس لها نصف مهر المثل الا ان يعفو والدليل
على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة
وفريضة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابها على المفعول به او المصدر ومتعوهن

عطف

عطف على ما هو في موقع الجزاء اي فاطلقتم بدون المسيس والفرض فلا مهر لهن ومتعوهن بمعنى ان الحكم هذا او ان الجملة
فلا يضر عطف الانشاء على الاخبار وقيل عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش
الطلاق وهي درع وخمار وملحفة على حسب الحال عند ابي حنيفة رح الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها الاقل
من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم وهي تعتبر بحاله في الصحيح لقوله
تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وعند الكرخي تعتبر بحالها والمطلقات اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر تجب لها
المتعة ومطلقة لم توطأ وقد سمي لها مهر فلم تستحب لها المتعة ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت
وسمي لها مهر فيهما ان تستحب لهما المتعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والموسع من له سعة والمقتر الضيق الحال
وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرا عاصم وحمزة والكسائي بفتح الدال والباقون
بالسكون وهما لغتان وقرا ابو حيوة قدره بتشديد الدال اي قدره الله عليه وقرا الضحاك وابن ابي عبلة قدره
بالنصب باضمار فعل اي فرض الله على الموسع قدره وقال ابو بكر نصبه على الاغراء اي عليه ان يعطي قدره وعن النبي عم
انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء
قال متعها بقلنسوتك وعندنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها كما ذكرنا قال البيضاوي ومفهوم الاية يقتضي
ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة للمفوضة وغيرها
قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا تاكيد لمتعوهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والمروة
حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او مصدر لفعل محذوف اي حق ذلك حقا على المحسنين على الذين
يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين قبل الفعل اعتبارا بما يؤول كقوله عم من قتل قتيلا
فله سلبه وفيه من الترغيب والتحريض ما لا يخفى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلكم نصف ما فرضتم او فالواجب هو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر
تقديره على ما قيل ان التطليق قبل المسيس على قسمين اما قبل الفرض وهو المذكور في الاية السابقة واما بعد
الفرض وهو ما في قوله وان طلقتموهن من قبل الى قوله فنصف ما فرضتم وهذا القسم في مقابلة ذلك القسم
وحكمه اثبات المهر فيكون حكم ذلك القسم نقيض ذلك الحكم وهو نفي المهر فالمراد بنفي الجناح نفي المهر
وقرا السلمي فنصف ما فرضتم بضم النون وهو لغة الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا واللفظ
يحتمل التذكير والتانيث ووجه الامتياز ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل
والنون ضمير النساء والفعل مبني ولذلك لم تؤثر ان ههنا فهو في محل النصب نصبا لمعطوف عليه وهو قوله
او يعفو لا على ظاهره بل على محله وروي شاذا انا بالجمر لا بنصب ويعفو بل يجعله ابتداء وروي
اسحق بن ابراهيم في قراءة نافع الا ان تعفوات ايها الذي بيده عقدة الذي بيده عقدة النكاح الولي
يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت
المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وقيل هو الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيعفوه
ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير الزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب

ابو حنيفة وبعض الشافعية والاول ظاهر الصحة لتحقق العفو هناك وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه
الثاني وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه المشطر الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميته الزيادة
على الحق عفوا فيها نظر لان معنى العفو اسقاط شيء وتركه لا اعطاء زيادة وانما هو فضل وسمي اعطاء الزوج
عفوا على المشاكلة او لوقوعه في صحبة عفو المرأة او لانه كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا
طلقها قبل المسيس استحق استرداد النصف وهو ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا لم يسترده فقد عفا عنه
فان قيل كيف صح العطف على المستثنى وحكمه ترك الواجب وههنا الزيادة عليه اجيب بانه من جهة اشتراكهما
في ان ليس معهما اعطاء النصف فعلى الزوج نصف المفروض الا ان تعفو المرأة فلا شيء او يكمل الزوج فلا نصف
بل الكل فان الاستثناء متصل ومنقطع وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل فاكمل لها
الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما
خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق
قال فاين الفضل وفي الحكاية الاولى ان او يعفو اشارة الى اكمال الزوج المهر وفي الثانية ان الفضل في ولا تنسوا الفضل
دال عليه ولا تنسوا الفضل بينكم والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض و[illegible] ولا تستقصوا
وقرا الحسن او يعفوا الذي بسكون الواو واسكان الياء والواو في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها وقرا
ابو نهيك وان يعفوا بالياء بمعنى الذي بيده عقدة النكاح وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو على اصل تحريك الساكن
وقيل اجري واو الضمير مجرى واو غير الضمير وكسر لالتقائه ساكنا آخر والساكن اذا حرك حرك بالكسر وقرا علي وابو حيوة
وجماعة ولا تناسوا الفضل ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم فيجازيكم به وفي الآية من الندب
الى المروة والانسانية حافظوا على الصلوات امر بالمحافظة والمداومة على الصلوات لتحفظ مواقيتها بوضوئها
وركوعها وسجودها كذا قال ابن عباس رض وقيل امرها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال
بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى منها من قولهم الافضل الاوسط ولزيادة فضلها
افردت بالذكر وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله قبورهم
وبيوتهم نارا ولقوله عم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب كان سليمان عم شغلته
خيل تعرض عليه ففاتته صلوة العصر فجاء بالخيل فعقرها وعن حفصة انها قالت لكاتب المصحف لها اذا بلغت هذه الآية
فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وقيل هي [illegible]
وعن ابي هريرة وابن عمر انهما قالا الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن عائشة وابن عباس الصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو
وح يكون التخصيص لصلاتين احدهما الصلوة الوسطى اما الفجر واما الظهر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية
العصر وقيل فضلها لكثرة اشتغال الناس بالتجارة في وقتها واجتماع الملائكة وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار
وكانت اشق الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي
النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها المتوسطة بالعدد
ووتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين بطرفي النهار وتمام على انها

[illegible]

العصر قول علي رضي الله عنه حيث قال كنت ظننت انها صلوة الفجر حتى سمعت رسول الله عم يقول يوم الخندق
وقد شغل عن صلوة العصر ملا الله بطونهم وقبورهم نارا شغلونا عن صلوة العصر وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى
وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على الاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين
الله في قيامكم والقنوت على الاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد ان تذكر الله قائما ويجوز ان يكون لله متعلقا
بقانتين ويؤيده ما قال عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا عنه وقيل خاشعين وخشوع القائم في الصلوة
ان يكون بصره على موضع سجوده على ما رواه طلحة رض وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي
انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصا او يحدث نفسه
بشيء من امور الدنيا وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا او ركبانا
فصلوا راجلين او راكبين والرجال جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم
الراء ورجالا بالتشديد ورجلا قال الكسائي قرا بعضهم فرجلا على انه جمع رجال مثل كتاب وكتب وحمار وحمر
وعند ابي ح لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب
يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن واشكروه
على الامن واذكروه بالعبادة كما علمكم كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن
وما كافة او مصدرية او موصولة اي على الوجه الذي علمكم ما لم تكونوا تعلمون ثاني مفعولي علمكم والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرا ابو عمرو وحمزة وابن عامر وحفص عن عاصم وصية بالنصب على
تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او الزم الذين يتوفون وصية او كتب الله عليهم وصية ويعضده
قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية
الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب
عليهم وصية لازواجهم او عليهم وصية لازواجهم وقرا ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم
مكان قوله وصية لازواجهم بالرفع وفي حرف عبد الله الوصية لازواجهم بالام والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
ولو جعل وصية او متاع مبتدا لتخصصه بالصفة ولازواجهم خبره اي وصية منهم كاينة لازواجهم لم يبعد
متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية على حذف الجار اي بتمتيع الى الحول ان كانت وصية
رفعا او نصبا بتقدير الزم وعلى قراءة ابي نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كالسلام والكلام ومنه الحمد لله حمد الشاكرين
واعجبني ضرب لك زيدا والعرب لزيد ضربا شديدا غير اخراج بدل من متاعا او مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان
تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم
نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وقيل بل نسخت
الزيادة على اربعة اشهر وعشر وبقيت هي بالنص الاول ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف
في السكنى مدة العدة فعند ابي ح لا سكنى لهن لعدم ما لحصر الوارث وانقطاع ملكهم بالموت وقيل السكنى لهن بعد

في نسخة بشديدا صح

نابتة لقوله عم اسكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله يعني البيت الذي كانت هي ساكنة فيه ولم يكن ملكا لها
فان خرجن عن منزل الازواج بعد انقضاء الحول فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من التزين
والتعرض للخطاب من معروف مما لا منكر فيه شرعا وقيل فيه دلالة على انه يجب عليها ملازمة مسكن الزوج
والحداد له عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز يقدر على الانتقام
من خالف احكامه حكيم يراعي مصالح عباده فيكلف عما ينتفع فيه طاقتهم وللمطلقات متاع بالمعروف
عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخولة وهذا بالنظر الى ظاهر اللفظ
وان كان مخالفا لما هو المذهب عند اصحابنا على ما مر وقرا زيد بن علي وللمطلقة بالافراد وقال حقا على المتقين
كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد عمت
التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل يجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد
او لتكرر القصة وهو بعيد جدا وكذا القول بتخصيص هذا العام بالاية السابقة الواردة في المطلقة قبل المسيس
وفرض المهر لابتنائه على ان افراد بعض افراد العام بحكم يدل على كون البعض الاخر بخلافه وان تخصيص المنطوق بالمفهوم
جايز وكذا قال بعضهم ان تفسير هذه الاية بوجوب المتعة لعموم المطلقات ينافي مذهب الحنفية المذكور في الاية
السابقة الا ان يقال مفهوم تلك الاية تخصيص منطوق هذه الاية لكن الحنفية لا يقولون بالمفهوم
وقال القاضي البيضاوي وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك
اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب ثم جعله اعم منهما ليس من استعمال المشترك
في معنييه والجمع بين الحقيقة والمجاز اذ ليس ههنا صيغة امر كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة
او الى مصدر الفعل المذكور بعده واذا تحققت فالكاف مقحم لخطاب كما للازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب
والجاري مجراه مثل ذلك التبيين العجيب يبين الله لكم اياته قيل وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون كي تفهموها فتستعملون العقل فيها الم تر الهمزة
في مثله للتقرير اي لحمل المخاطب على الاقرار بما دخله النفي والجاية اليه والخطاب ههنا يجوز ان يكون خاصا
وان يكون عاما فعلى الاول قوله الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وتعجيب من شانهم
والرؤية يتعدى بنفسه دون الجار لكن كونها موصولة بالى ان كانت بمعنى الابصار فلاعتبار معنى النظر و
ان كانت ادراكا بالقلب فلتضمين معنى الانتهاء كانه قيل الم ينته علمك اليهم وعلى الثاني مخاطب كل من يتاتى
منه الرؤية كقوله ولو ترى كان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب وهو الاوجه دلالة على شهرة
القصة بحيث ينبغي لكل احد ان يتعجب منها وقرا السلمي الم تر بسكون الراء وهو لغة فان بعض العرب يسكن
الحرف مع سقوط الياء ليدل على الجزم لان الياء الساقطة كانت ساكنة فلم يستوف الجازم عمله وقد يقال
الحرف الذي سقط بالجزم كان ساكنا فلما اسقط خلفه في السكون الحرف الذي يليه الى الذين خرجوا من ديارهم
هم اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا انه لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم

وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر
اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف جمع كثرة مع التنكير اي الوف كثيرة
قيل ثمانية الف وقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف كقاعد وقعود ولبعده
لفظا ومعنى ورواية قيل انه من بدع التفاسير والواو للحال حذر الموت مفعول له اي خرجوا من ديارهم
مخافة الموت فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا بدليل انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته
من غير علة وواسطة وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف
كقوله كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت لما لم يكن منه بد ولم ينفع
منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله وقيل ناديهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم
وفيه ابطال قول من يقول بامتناع الاحياء بعد الموت وينكر عذاب القبر حيث اماتهم ثم احياهم ومن تامل
في عجايب ملكه وملكوته وغرايب قدرته وجبروته لم يستبعد امثال ذلك فضلا عن الاستحالة ان الله لذو
فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا والفضل بمعنى التفضل والاحسان
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي يشكرون تفضله وانعامه او لا يعبدون حق عبادته وقيل لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن
الموت غير مخلص وانه لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب
وفي اتباعه القصة دلالة على انها سيقت حثا على القتال وتشجيعا على الجهاد واعلموا ان الله سميع لما
يقوله المتخلفون والسابقون من اهل الجهاد عليم بما يضمرونه وهو الله تعالى من وراء الجزاء بسوء خيبته
شاء من ذا الذي يقرض الله من محله الرفع على الابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل
لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه لان حقيقة اعطاء العين على وجه يطلب بدله قرضا حسنا اقراضا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة في نفسها واما النفقة
في سبيل الله فعلى الاول مفعول مطلق اي من ذا الذي يجاهد في سبيل الله مجاهدة حسنة وعلى الثاني
يكون مفعولا به اي من ذا الذي ينفق نفقة في سبيل الله طلبا للثواب الكثير ولا يخفى ان حمل القرض على النفقة
والاقراض على الانفاق اقرب منهما وقد نزلت الاية في شان ابي الدحداح حين تصدق بحديقة له فالحمل على
الجهاد انما هو مبني على المناسبة لكون ما بعده وما قبله حديث الجهاد فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه
عن صورة المبالغة قرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى
ايقرض الله احد وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي ونافع بالرفع وقرا ابن كثير بالرفع مع حذف الالف وابن عامر ويعقوب
بالنصب مع حذفها وفي ارتفاعه وجهان ان يكون عطفا على يقرض وهو ظاهر او يكون خبر مبتدا محذوف
اي فالله يضاعفه له يكتب بالواحدة عشرا وسبعماية والفا الفا الى ما شاء الله من الزيادة وقرا الجحدري فيضعفه
باسكان الفاء قال ابو حاتم لا يجوز الا ان يريد الاخفاء لكثرة الحركات اضعافا كثيرة اي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله وقيل

الواحد بسبعماية وهي جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع وعن الازهري الضعف في كلام العرب المثل الى
ما زاد والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته وقيل يوسع على
عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة وفيه عكس الترتيب واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم وذكر الرجوع اليه دلالة على انه ينعم في الدارين وقرئ ويبصط بالصاد لتقاربه بين السين
والصاد كما في صراط قال ابو حاتم هما لغتان فكيف قرأت فانت مصيب الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ الاشراف
والسادة وسموا ملأ لانهم يملؤون العيون والقلوب وقيل الرجال ليس معهم نساء وقيل جماعة يجتمعون
للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى ومن هذه ابتدائية اي من بعد وفاته اذ قالوا
اي حين قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر
امره ونصدر فيه عن رايه طلبوا من نبيهم ملكا كان يفعل نبينا صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش
التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وقيل انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب
عن رايه وننتهي الى امره نقاتل في سبيل الله قرئ بالنون والجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه
لنا مقدرين القتال لان الحال قيد للفعل وهم في زمان البعث ليسوا على حال القتال بل على تقدير القتال واستينافا
كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا وقع الشرط فاصلا بين عسى وخبره وهو ان لا تقاتلوا والمعنى
هل قاربتم ان لا تقاتلوا بمعنى هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم
عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
الحمل بمعنى التثبيت للمتوقع اي تثبيت ان المتوقع كاين وانه صائب توقعه وان كان الشائع من التقرير الحمل على الاقرار
كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرا نافع هل عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله
اي واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا حال عاملها لا نقاتل اي والحال
وهو لنا اي وقد عرض لنا ما يوجب القتال من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك
ان جالوت ومن تابعه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل
واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعماية واربعين وضربوا عليهم الجزية وقرا اليماني
وابن عمير وقد اخرجنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثماية وثلثة عشر
على عدد اهل بدر ومعنى تولوا اعرضوا عن القتال وتركوه ولم يثبتوا وقوا ابوابهم فلما كتب عليهم القتال
يعني كتب الله والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في الاعراض والقعود عن القتال وترك الجهاد وقال لهم
نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اي انهض للقتال معكم طالوت اميرا طالوت علم عبري كداود وكونه
عبرانيا مع منوعا في العجم امتنع من الصرف وزعم بعضهم انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه
ان كان منه فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون من الطول لان عجمته تنافي كونه مشتقا

من الطول الا ان يقال انه اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله
الرحمن الرحيم فهو من الطول لفظا لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا فالحكم بالاشتقاق نظرا
الى ظاهر الموافقة وامتناع الصرف نظرا الى حقيقة العجمة روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا وانى يستعمل تارة بمعنى كيف
واخرى بمعنى من اين وكل منهما يستقيم ههنا اي كيف ومن اين يكون له ذلك انكارا لتمليكه عليهم واستبعادا له ونحن
احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا اي اقترنا
معا واو الحال في حكم والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير
ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك بل كانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وكان فيهم من السبطين
خلق وقرا زيد بن علي سعة بكسر السين قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما انكروا واستبعدوا تملكه عليهم لفقره وسقوط نسبه رد الله تعالى عليهم ذلك
اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله وثانيا بان الشرط
فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم في القلوب واقوى على مكابدة
الحروب وقد زاده فيهما قيل قد اوحي اليه ونبئ وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه وثالثا بان الملك
لله غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك ورابعا بانه واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له
سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره عليم بمن يصطفيه للملك فالبسطة السعة والامتداد
والمراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات فانه كان من اعلم بني اسرائيل
بامور السياسة والامور الدينية وقرا زيد بن علي بسطة بضم الباء وقال لهم نبيهم حين طلبوا منه
حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت التابوت صندوق التورية
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وكان من خشب الشمشاد مموها
بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين ووزنه فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه وصاحبه فيما يفتقر اليه من مودعاته وليس بفاعول لقلة ما فاؤه ولامه من جنس واحد
قلق وسلس فلا يكون فاعولا من تبت بل فعلوتا من تاب واما من قرا بالهاء وهي قراءة ابي وزيد بن ثابت
ولغة الانصار فهو اي التابوه بالهاء فاعول عندهم لعدم فعلوه بان يكون من التوب والهاء زايدة الا فيمن
جعل الهاء بدلا من التاء فيكون فعلوتا كما ابدلت من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة الا ان ابدال الهاء
من غير تاء التانيث ضعيف فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيان التابوت سكون لكم وطمانينة
او للتابوت اي يودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها
راس وذنب كراس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي سالكة طيبة

وقيل صور الانبيا من آدم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم
والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وهذا يشبه بكلمات المتصوفة وبدع
التفاسير وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون من رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون
وشيء من التوراة والآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او الانبيا من بني يعقوب بعدهما
لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكانا اولاد يعقوب تحمله الملائكة قيل رفع الله التابوت
بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفا الله طالوت وقيل كان مع
موسى مع انبيا بني اسرائيل بعده يستفتحون به حتى افسدت بنوا اسرائيل فلما غيروا غلبهم الكفار عليه
اي اخذوه من بني اسرائيل قهرا وغلبة واستيلاء وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت
اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت وقرا ابو السمال السكينة بفتح السين وتشديد الكاف وهو غريب لا يوجد في الاوزان وقرئ يحمله بالياء
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان في اتيان التابوت علامة بينة وحجة ظاهرة على ان الله تعالى ملكه
عليكم والظاهر انه من كلام نبيهم ويجوز ان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما عرفوا انه من الله واطاعوه وتجهز
طالوت وخرج بالجنود لقتال اعداء الله تعالى وذلك قوله فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ثم كثر حذف مفعوله حتى صار في حكم اللازم كانفصل وقيل فصل
عن البلد فصولا ويجوز ان يكونا كوقف وصد مثلا روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه
ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن
اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما
اقترحتموه من النهر وقرا ابن السميفع وابو بكر فلما انفصل فعوله قال ان الله مبتليكم بنهر اي معاملكم
معاملة المختبر به واقع موقع الجواب كانه قيل قد اجيب ما سالتموه من النهر لكنه مبتليكم به ليتميز المخلص
من غيره فان الابتلاء انما كان ليظهر عند طالوت من له الاخلاص في نيته من غيره وقيل تحويل الخبر بالوحي ليخبر قومه
بان الله مبتليكم بنهر وقرئ بنهر بالسكون فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني من هذه اتصالية
اي فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاتحادهما او فليس من جملتي واشياعي فلو جعلت
تبعيضية لم يبعد ومن لم يطعمه فانه مني استعمال الطعم في معنى الاطعام لكن لما ورد لم يطعمه في مقابلة
شرب منه كان المناسب ان يعبر بلم يذقه ومنه طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم
اطعم نقاخا ولا بردا والنقاخ الماء العذب وقد جعله مفعول لم اطعم وعطف عليه البرد وهو النوم وقد اسند
الذوق فيه كما في قولهم ذقت غماضا بالضم والفتح اي قليل نوم وما ذقت اليوم غمضا نوما ونحوه من الابتداء
ما ابتلا به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب لانهم في الشرع الزماني
فقط فهم مضطرون الى المخالف ابدا فانهم حاضرون في البلد وكحاجتهم الى الحيتان لان لهم سواها
وانما علم ذلك طالوت بالوحي ان كان نبيا كما روي عن بعضهم او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من

قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة وقدمها عليها للعناية بها لان بيان حال الاخذ
بالعزيمة اهم من الاخذ بالرخصة كما قدم الصابئون على خبر ان لذلك فكان في الحقيقة بعد مضي الخبر سوآء
كان عطفا على محل اسم ان او مبتدا محذوف الخبر عطفا للجملة على جملتها واعتراضا ومعنى الاستثناء الرخصة
في اغتراف غرفة باليد دون الكرع في الما والشرب بالفم والدليل عليه قوله فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا
فيه الا قليلا منهم فالشرب في الموضعين بمعنى الكرع وهو المنهي عنه خلافا للاغتراف فانه ليس بمنهي بل رخصة
وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقال المطرزي الغرفة بالضم الماء المغروف وبالفتح المرة من
الغرف وقرا ابي والاعمش الا قليل بالرفع ميلا الى جانب المعنى لان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه فكانه قيل
لم يطيعوه الا قليل منهم والا فالواجب النصب لكونه استثناء من كلام موجب ذكر المستثنى منه ومنه قوله
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحتا ومجلف وقيل لم يبق مع طالوت
الا ثلثماية وثلثة عشر رجلا ويعضده قوله عم لاصحابه يوم بدر انتم على عدد المرسلين وقوم طالوت ثلثماية
وقيل الف وقيل ثلثة الاف وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش فلم يقدروا ان يمضوا وهكذا الدنيا القاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين
آمنوا معه اي فلما تعدى النهر طالوت والقليل الذين امنوا معه فيكون قوله والذين امنوا من وضع المظهر
موضع المضمر لانه اشارة الى القليل الذين لم يشربوا والضمير في قالوا عايد اليهم باعتبار البعض اي قال بعضهم
لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم روي انه كان مع جالوت ماية الف كلهم
شاكون في السلاح قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم البعض الاخر الذين هم اشد يقينا والخلص
اعتقادا اي قال الخلص منهم الذين ايقنوا لقاء الله او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب
ويلقون الله والمؤمنون وان تساووا في اصل اليقين والاعتقاد جاز ان يتفاوتوا في قوة اليقين ونصوع
الاعتقاد والبصيرة وقيل الضمير في قالوا عايد الى الكثير الذين انخزلوا عنه وشربوا منه والذين يظنون هم
القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا به ذلك والنهر بينهما يظهروا وليات عذرهم في الانخزال ورد عليهم هؤلاء
ما يعتذرون به فيكون والذين يظنون من وضع الظاهر موضع المضمر حيث اشير به الى الذين آمنوا وقرا الحنفية ملاقوا
الله بالنصب يريد ملاقون لله كقوله والمقيمي الصلاة اي والمقيمين الصلاة كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله بارادة الله ولطفه ونصرته وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مزيدة او مبينة والفئة الطايفة
من الناس من فاء اذا رجع او من فات راسه اذا شققته فوزنها فلة او فعة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة
ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لحربهم ودنوا منهم وجالوت جبار من العمالقة من ولد عمليق بن عاد
وكانت بيضته فيها ثلثماية رطل وقرا ابن السميفع ولما برزوا بضم البا وتشديد الراء وابو البرهسم ولما بززوا بفتح البا
وتشديد الزاي يقال بزز فلان اذا اخرج جيده وثقله ومغاربه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الما افراغا وصب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على
خذلة الكثير المنخزلون الشاربون والنفس والشيطان وجنودهما المفسدة ولانهم تيقنوا انهم اذا استقاموا

وصبرنا لا يعتريهم ذلك من نحو ونزل بهم النصر وثبت أقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة
القلب والقاء الروع والرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله
بالدعاء وطلبوا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ما هو مترتب عليه من ثبات الاقدام في مواطن الحرب والنصرة
على الاعداء ليكون طلبهم الى ربهم عن خضوع وطهارة وخضوع اقربا الى الاستجابة واللام يحتمل ان يكون
للعهد اشارة الى جالوت وجنوده الكافرين وهو الظاهر وان يكون للجنس ليعم وانصرنا على كل من يعادينا من القوم
الكافرين من جالوت وجنوده والشيطان ونحوهم فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره
اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى اشمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى
بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته اي بنت طالوت فان داود قال له ما تصنع لمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت
انكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي ولما زوجه فاراد ان يدفع اليه نصف ملكه قال الحسود رداءه لو فعلت ذلك يفسد عليك
الملك فامتنع واراد قتله وكان في ذلك ما شاء الله حتى دفع النصف اليه ثم خرج الى الغزو وقتل هناك فانقلب ملكه كله الى
داود وقيل بنت جالوت وروي ان طالوت حسد داود على الزوجة واراد قتله ثم تاب لعله تزوج بابنتين هو وجه
التوفيق بين الروايتين والله اعلم بذلك وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل مشارق الارض المقدسة ومغاربها
ولم يجتمعوا قبل داود على ملك قط والحكمة اي النبوة وانزل عليه الزبور وهو اربعة وعشرين سورة وعلمه مما يشاء من
السرد وصنعة اللبوس وكلام الطيور والدواب ونحو ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الاسم الجنس [illegible] ببعض ع
العهد اي ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ويكف بهم فسادهم لفسدت الارض لغلب المفسدون وفسدت الارض
وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يتعمر به الارض او فساد الارض تمادي الكفار فيها
وقتل المسلمين ومنع ان تعمروا في خرابها وتعطل مصالحها واهلاك اهلها بالكلية بشوم عموم الكفر وقيل لولا ان الله
ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعبث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو يحموهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل
اهل الارض والبعضان معينان على هذين الوجهين فان البعض المدفوع هم الكفار والمدفوع بهم المسلمون على الوجهين
بخلاف الوجه الاول فانهما فيه على ابهامهما ولكن الله ذو فضل على العالمين حيث تفضل ومن عليهم الدفع
عن جعفر عن ابن عمر قال النبي عم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله
الناس الاية وفي بعض الآثار لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا وعن الحسن لولا الصالحون
لهلك الطالحون وقرأ نافع ولولا دفاع بكسر الدال والالف وكذا في سورة الحج ان الله يدافع بالالف وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب بغير الف فيهما وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ولولا دفع الله بغير الف وان الله يدافع بالالف والدفع والدفاع مصدران
دفع يقال دفعه دفعا ودفاعا كما يقال كتب كتبا وكتابا تلك آيات الله اشارة الى القصص التي قصت من حديث الالوف
واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واتيان التابوت وقتل داود جالوت واتيان الحكمة على يدي صبي [illegible]
والاحسن ان يكون اشارة الى الاحوال والى ما سبق عليها من اول السورة [illegible] قوله نتلوها عليك [illegible]

مع ما سبق تخصيص من غيره ليلة نتلوها عليك بالحق باليقين والوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل
الكتاب لانه في كتبهم كذلك وهو خبر بعد خبر او تلك مبتدا وآيات الله صفته ونتلوها عليك خبره ويجوز ان يكون
تلك مبتدا آيات الله خبره نتلوها حال وقوله بالحق متعلق بمصدر محذوف اي تلاوة بالحق او حال من الضمير المنصوب اي نتلوها
حال كونها ملتبسة بالحق مقترنة به بعيدة من الباطل وقرأ [illegible] يتلوها بالياء وانك لمن المرسلين لما
تلك الآيات حجج قاطعة وبراهين ساطعة على صدق نبوتك وحقية رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا من شاهدها
وحفظ وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم او من يوحى اليه وانت لم تشاهدها ولست بقارئ ولا بمتعلم من اهل
الكتاب بل انما عرفتها بالوحي [illegible] وحي سماوي وانك من المرسلين حيث تخبرها من غير ان تعرف بقراءة ولا
سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل المذكورة قصصها في السورة او المعلومة لرسول الله صلعم واللام
للعهد لا لغيره ومن البديع ما يقال انه للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم
من كلم الله اي منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى [illegible] قال الكلبي كلم موسى
بمائة الف واربعة عشر الفا [illegible] فكان الكلام من الله والاستماع من موسى [illegible]
الذي [illegible] فقال الله تعالى انا الذي كلمتك لا رسول بيني وبينك وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم
الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم
الله بالنصب وقرئ كالم الله بالنصب من المكالمة فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه
كالأكيل بمعنى المؤاكل والجليس بمعنى المجالس ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه الله على سائر الانبياء
فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة ومراتب متباعدة وهو محمد صلعم لانه خص بالفضائل
خص بالدعوة العامة والآيات [illegible] والمعجزات المستمرة المتكاثرة المترتبة الى
الف واكثر والفضائل العلمية والعملية الفائقة الحصر [illegible]
او في البيوت [illegible] المعجزة الباقية على وجه الدهر [illegible]
الانبياء [illegible] وفي هذا الابهام من التفخيم لفضله واعلاء قدره ما لا يخفى [illegible] على
الله [illegible] ابراهيم خليلا وموسى كليما [illegible]
[illegible] فقال انا حبيب الله ولا فخر [illegible]
واعطاني الكوثر [illegible] المقام المحمود والحوض المورود [illegible]
[illegible] ولولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت الدنيا [illegible]
[illegible] من الانبياء [illegible]
ابراهيم [illegible]
[illegible] وقيل اولو العزم من الرسل [illegible]
الانبياء [illegible] وموسى [illegible] وعيسى [illegible]
افضل [illegible] وهو خاتم الانبياء [illegible]

فيم انتم فذكرناه فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فتقول
هذا تواضع منه وهضم لنفسه جمعا بينه وبين احاديث افضليته كقوله لا تفضلوني على يونس بن متى الحديث تعظيما
له وتنبيها على علو شانه وانه من افاضل الانبيا كما قال تعالى وان يونس لمن المرسلين وتعليما للتواضع وهضم النفس والا علامة
فهو سيد المرسلين وامام النبيين بلا ريب وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس وخص موسى وعيسى من
بين ساير الانبيا بالذكر لافراط اليهود والنصارى في تعظيمهما وتحقيرهما ولما اوتيا من الآيات العظيمة الواضحة والمعجزات
الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم لموسى والبينات والتاييد لعيسى من الفضل وكل من هذه
الثلثة آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد جعل ما اوتيا من عظام الآيات سبب تفضيلهما خصا بالذكر في باب التفضيل
وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا عم هو الذي اوتي منها ما لم يوت
احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم احشرنا في زمرة اصحابه الاخيار يوم
الدين بمنك وكرمك يا اكرم الاكرمين ومما يدل على انه افضل الانبياء قوله عز من قائل كنتم خير امة اخرجت
للناس لانه فان خيرية الامة انما هي بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه وقوله عم ان الله
تعالى اختارني على الانبيا واختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعة ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي والاحاديث في هذا الباب كثيرة وتداعي على هذا اهل الحق باسرهم ومما يجب التنبيه له ان الرسالة
والنبوة عندنا رحمة وموهبة متعلقة بمشيئة الله فقط وهو اعلم حيث يجعل رسالته والرسل جمع رسول
من الرسالة وهو سفارة العبد بين الله وبين لناس يزيح بها عللهم وشبههم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح
الدارين وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فانه اعم ولو شاء الله عدم الاقتتال ما اقتتل الذين من بعدهم
ما اختلف الذين من بعد الرسل بالاقتتال من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين
وتضليل بعضهم بعضا قال الزجاج يحتمل وجهين ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن اختلفوا في الدين
فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبيا تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد اي لكنه لم يشا عدم الاقتتال بل ثبوته فثبت لانه يفعل
ما يريده اياكان فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا لا راد لامره ولا يسال عما يفعل وهم
يسالون والآية دليل على ان الانبيا متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان
اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمليات والحوادث تابعة لمشية الله خيرا او شرا كفرا او ايمانا والمشية والارادة عبارتان
عن صفة في الحي توجب تخصيص احد المقدورين في احد الاوقات بالوقوع مع ان نسبة القدرة الى الكل سوى
وكون تعلق العلم تابعا للوقوع يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اختلفوا فيه فقيل اراد الانفاق
الواجب وهو الزكوة المفروضة لاتصال الوعيد به وهو قول السدي وقيل صدقة التطوع من قبل ان ياتي
يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يعينكم
عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء
تشفع لكم في حط ما في ذممكم والمعنى من قبل اتيان يوم ليس فيه مبايعة ولا مخالة ولا شفاعة واصل

الشفاعة والعفو ثابت بالادلة القطعية من الكتاب والسنة والاجماع وهي عندنا لاهل الكباير من الامة
ليسقط العقاب عنهم لقوله عم شفاعتي لاهل الكباير من امتي ولقوله تع واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمومنات اي لذنب المومنين لدلالة القرينة السابقة وهي ذكر الذنب وعند
المعتزلة انما هي لزيادة الثواب لا لدفع العقاب وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ثلثتها
بالفتح على الاصل والباقون بالرفع وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير
جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرا زيد بن علي لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
برفع الاولى ونصب الاخريين وارتفاعه بالابتداء او بلا على انها بمعنى ليس وجاز الابتداء
بالنكرة لافادتها بما تضمنه من العموم في غير الموجب والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
الزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه
وعبر عن تارك الزكوة بالكافر تغليظا عليهم وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج
فشبه ترك الزكوة بالكفر وسماه كفرا لانه يؤدي اليه او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل
ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فعلى الاول استعارة
تبعية او مجاز مشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز لزوم واياما كان ففي تصوير ترك الزكوة
بصورة الكفر حث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد على منعها وايذان بان
تركها من صفات الكفرة ولوازمهم فاحذروا واجتنبوا ايها المؤمنون ان تتصفوا به
الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه الواجب الوجود المستحق للعبادة لا غير وقد سبق
تقرير ما فيه من الخلاف بين القوم وما فيه من الاسمين الاعظمين الحي في اللغة ذو الحياة وهي هاهنا
صفة ازلية توجب صحة العلم وفي الاصطلاح الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان وقرا النخعي والاعمش الحي بالنصب والتخفيف القيوم
قيل الباقي الدايم فهو صفة نفسية وقيل المدبر للمخلوقات باسرها فهو صفة فعلية وقيل
الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام بوزن فعال

وهو في حرف عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما واصله قيواما فابدلت الواو بالياء ثم
ادغمت والقيم وهو في مصحف عبد الله رضي لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم و
يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اي لا ياخذه نعاس ولا نوم والنوم حال تعرض
للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس بالكلية وفي تقديم السنة مراعاة ترتيب الوجود على طريقة لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة قصدا الى الاحاطة والاحصاء والجملة اعني لا تاخذه سنة ولا نوم نفي للتشبيه
وتاكيد للقيوم لانه من لوازمه واثبات اللازم بعد اثبات الملزوم تاكيد فان من جاز عليه النعاس
او النوم استحال ان يكون قيوما فالقيوم من لا يجوز عليه شيء منها وفي الخبر ان موسى عم سال
الملائكة اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك
قارورتين مملوتين فاخذهما والقى عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا
ثم قال له يا موسى اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس
لزالتا وهلكتا اسرع من كسر القارورتين في يدك ولاجل انه تاكيد له ترك العاطف
فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته على انه مالك
لما يوجد لا غيره واحتجاج به على تفرده في الالوهية والوحدانية صح

اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة فليس بنائم اصلها وسنة كعدة وسن بالكسر يوسن فهو وسنان

والوحدانية اي يختص بالله كل شيء في العالم ملكا وخلقا وعلما فهو قائم بلا بنفسه وهذا من لفظ الوصف [illegible] كالقيوم فان
معناه القائم بذاته وبكل ما سواه قائم به بخلاف الحي والعلم والعلي وغيرها فانه قد خلق آدم على صورته اي خلق الانسان حيا عالما عليا
عظيما سميعا بصيرا مريدا قادرا متكلما والتفريج كذلك ليفهم [illegible] كما يتبادر الى فهم القاصرين [illegible] لكن لفظ الوصف [illegible] بل
يختص صفة ما ذكرنا وما يدل عليه كلمة الجلالة من وجوب وجوده [illegible] قديم بذاته وصفاته باسرها والانسان حادث بذاته وصفاته
عن آخرها والمراد بما فيهما ما وجد فيهما سواء كان داخلا بحقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة
فضلا عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم والضمير لما في السموات
والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء والمعنى على الوجه الاول كانه قيل انه مالك جميع الخلق
بحيث لا يقدر احد ان يتكلم بدون اذنه وتصرفه في الكل بحسب العلم التام والحكمة البالغة وعلى الثاني [illegible] لا احد
يشفع عنده الا باذنه لانه يعلم جميع ما تقدم من ذنوب المشفوع لهم وما تاخر منهم لا يعلمون منهم الا ما
شاء فربما شفعوا نظرا الى ظاهر الحال لمن لا يستحق الشفاعة حقيقة فقط ولا يحيطون بشيء من علمه اي
من معلوماته من تتمة قوله يعلم ما بين ايديهم فلذا عطف عليه بخلاف ما في الجمل [illegible] مما الاول التعبير
في يشفع او من المجرور في باذنه او الضمير [illegible] الابادنه في موضع الحال [illegible] باذن الله
وامره وحكمه الا بما شاء الا بما علموه وما مصدرية والاستثناء متصل [illegible] مستثنى منه عام منا
وصفه كقوله تع حكاية وما نتنزل الا بامر ربك ومنه قولك لا تقرا الا باذني اي لا تقرا قراءة الا قراءة ملتصقا باذني وسع
كرسيه السموات والارض [illegible] وسع كرسيه معناه لم يضق كرسيه عن السموات والارض لبسطه
وسعته وهو تصوير لعظمته وتمثيل مجرد صورة المعقول بصورة المحسوس في ابرز الغايب في [illegible]
ولا كرسي ثمة [illegible] ولا قاعد [illegible] وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه فانه تصوير لعظمته وتعليق [illegible] وتمثيل [illegible] [illegible] الى صدر الكرم
وما قدروا الله حق قدره فانه بيان لعظمته وانهم لم يعرفوا كنه عظمته ونحو قوله الرحمن على العرش استوى فقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة وامثال ذلك فانها كلها كنايات عند المحققين من علماء كتب العالي وسع علمه
ويجوز العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم [illegible] العالم الذي فيه العلم [illegible] مكانا
للعلم بتبعية [illegible] ينبع [illegible] والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك
والسلطنة والرابع ما روي انه تحلق كرسيا [illegible] العرش والسموات والارض هو الى العرش [illegible]
شيء وذلك فيهدم ما السموات السبع والارضين السبع من الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل
الفلاة على تلك الحلقة ولعل الفلك المشهور بفلك البروج [illegible] الكرسي هو العرش وهذا خلاف [illegible] ان
الكرسي غير العرش [illegible] العظمة والكرسي كرسي الجلال والبهاء [illegible] كان قبل ان يخلق
لا على مكان كذا روي عنه الكسائي في كتابه [illegible] وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن
مقعد القاعد [illegible] الى الكرسي وهو الملك كذا قال البيضاوي وجعلها القاضي ابو السعود [illegible] ما

289

سنذكر في سورة طه إن شاء الله وقرئ [illegible] وسع كرسيه السموات والأرض بإضافة وسع إلى كرسيه وبرفع السموات والأرض أي لا يؤده

ولا يثقله ولا يشق عليه من الأود وهو الاعوجاج حفظهما أي حفظ السموات والأرض من إضافة المصدر إلى المفعول وهو العلي

المتعالي عن الأشباه والأنداد العظيم قيل الذي انتفت عنه صفات النقص فمرجعه صفة سلبية وقيل الذي [illegible] عن تلك

الصفات وحصل له جميع صفات الكمال فيرجع إلى الصفات السلبية والثبوتية معا فإن قيل هذه الجمل الخمس المتعاقبة بالواو [illegible]

[illegible] وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد [illegible]

[illegible] الحي القيوم [illegible]

[illegible]

290

[illegible]

قالها مرة واحدة في دهره مخلصا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وما أسر وما أعلن وما أخفى وما أبدى رواه ابن حبان ... عليهم
بالأعمال وغيرها وقيل بالنيات ولعله تهديد على النفاق وعن علي عن النبي عليه السلام أوصيكم معاشر المسلمين بتقوى الله الذي فاز به الفائزون
وخسر بتركه الخاسرون فإنه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأوصيكم عباد الله بالاستمساك بالعروة الوثقى التي
لا انفصام لها وإياكم وهذه الأهواء المضلة البعيدة من الجنة القريبة من النار الله ولي الذين آمنوا ناصرهم ومتولي أمورهم
أو محبهم كما قال والله يحب المؤمنين والمراد بهم من أراد إيمانه وثبت في علمه أنه يؤمن أو حالهم ... ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا
وعن الحسن ولي هداهم وبالجملة هو الفضل العظيم الذي هو مبدأ كل خير لكل خير يخرجهم بنصره وهداه وتوفيقه من الظلمات
من الكفر عن الجليل من الظلمة بالأفراد إلى النور إلى الإيمان أو من الشبهة في الدين إن وقعت لهم إلى نور اليقين والجملة خبر
بعد خبر أو حال من المستكن في الخبر أو من الموصول أو منهما أو استئناف مبين أو مقرر للولاية أو صلة بعد صلة والذين كفروا
أولياؤهم الطاغوت أي الشياطين والذين صمموا على الكفر أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من النور إلى الظلمات أي بغير البينات التي تظهر لهم
إلى ظلمات الشكوك والشبهات أو من النور الذي منحوه بالفطرة إلى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات وقيل نزلت في قوم
ارتدوا عن الإسلام وإسناد الإخراج إلى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته وإرادته به وقرأ الحسن الطواغيت وقرأ في
ح الطواغيت يخرجونهم منتقلة أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ... جعل النار سوطا ... وعيدا
إلى الجنة ... وقيل لعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه تعجيب من محاجة
نمرود في الله وكفره به أن آتاه الله الملك بحذف اللام أو الوقت أي حاج لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وحمله
على المحاجة أو حاج لأجل شكره له على طريقة العكس كقولك عاداني لأني أحسنت إليه ونحوه قوله تعالى ... لهم
عدوا وحزنا وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فإنهم جعلوا شكر الرزق ... مكانه ... أو حاج وقت أن آتيه
الله الملك وهو حجة على من منع من المعتزلة إيتاء الله الملك الكافر إذ قال إبراهيم نصب على الظرف لحاج أو بدل من أن آتيه على
الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحياة والموت في الأجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال أنا أحيي وأميت بالعفو
عن القتل والقتل وهو ... وقع جواب سؤال قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
الأولى ... الذي يحيي ويميت كانت ملزمة ... عارضه ... الحق ... الاشتباه و
التلبيس على ... لم يحاجه فيه بل انتقل إلى ما لا يكون فيها اشتباه أصلا ولا يقدر ... الجواب ... ونحوه
على جواز الانتقال من حجة إلى حجة أخرى والانتقال ... الكلام الأول بالكلية ويشتغل بآخر ... هذه القصة وقيل هو في
المعنى عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره لا عن حجة إلى أخرى ولعل نمرود زعم
أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه إبراهيم بذلك وإنما حمله عليه بطر الملك وحماقته أو اعتقاد الحلول وقيل كانت هذه المحاجة
حين كسر الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت
والحياة إعطاء الحياة للجسم ... والإماتة ... بلا مباشرة الأسباب الظاهرة كالقتل وقوله ... فأتى
بالشمس فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت بالمعلوم أي فغلب إبراهيم الكافر وقرئ فبهت بالضم ... يقال
بهت الرجل إذا تحير ... حتى يأتي بالشمس من المغرب ليعلم
أنه القادر ... والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية

وقيل

وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيامة أو كالذي مر على قرية تقديره أو أرأيت مثل الذي فحذف
لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمتا تعجب ... قصد التعجب بلفظ أرأيت عن إثبات الكاف ... وقيل الكاف مزيدة وتقدير
الكلام ألم تر إلى الذي حاج أو الذي مر وقيل إنه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذي حاج أو كالذي مر وقيل إنه
من كلام إبراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره أو إن كنت تحيي فأحي كإحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا أو الخضر أو كافر بالبعث
وأكثر المعتزلة هو كافر بالبعث ويعضده نظمه مع نمرود وكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي والقرية بيت المقدس حين خربه
بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الألوف وقيل ... واشتقاقها من القري وهي الجمع وهي خاوية على عروشها
ساقطة حيطانها على سقوفها ... أنى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالعجز والقصور
عن معرفة طريق الإحياء واستعظاما لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمنا واستبعادا إن كان كافرا ... المبصرين نحا
إبراهيم ... واستبعاد ... وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى من أين أو على الحال بمعنى كيف فأماته الله
مائة عام فألبثه الله ميتا مائة عام أو ... ثم بعثه بالإحياء قال كم لبثت القائل هو الله
وجاز أن يكلمه ... كان ... قال ... من بعد البعث ... الإيمان ... الإهانة
فإنه خاطبه ... قال لبثت يوما أو بعض يوم بناء على الظن وعدم ... روي أنه مات ضحى وبعث
بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم
على الإضراب ... بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ... سلام ... لبثت ...
قال ... ذهبت ... فانظر ... بعد الكسر ...
فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء أصلية ...
فالهاء ... السكت ... الجزم ... فلا يجوز إسقاطها ... وقرأ ... بحذف الهاء في الوصل
حذف ... من السنة ... لم يتغير ... أي لم يتغير ...
وقيل أصله لم يتسنن ... فأبدلت النون الثالثة ياء ...
ثم حذف ... الجزم ... المتغير ... الضمير
... الطعام والشراب ... وشرابه ... لبنا ...
... على حاله ... وفي قراءة عبد الله فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسن ... بإدغام التاء في السين
وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ... حفظناه ... ولنجعلك
ك حفظنا الطعام والشراب من التغير ... آية للناس أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية ... حيا
بعد الموت وحفظ ما معك ... روي أنه ... وقال ... الشيب فأخذ
... وهم يقرؤون في الكتاب ... لم يقرأ التوراة ... أحد قبل
عزير ... منزله ... شاب ... مائة سنة وانظر إلى العظام
كيف ننشزها ... كيف نحيي عظام الحمار أو عظام الأموات الذين ... وكيف نركب بعضها إلى بعض ...
وكيف منصوب بننشزها ... العظام ... وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ننشرها

على قوله ... اللام ...

بالراء من انشر الله الموتى والباقون بالزاء المعجمة وقرئ ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقالوا
معنى ننشرها بالراء نحييها وبالزاء نرفع بعضها على بعض من النشز وهو المرتفع من الارض وقرا زيد بن علي كيف
انشرها ثم اكسوها بالمتكلم وحده وابن عباس ننشرها بالياء وابو حيوة والنخعي ننشرها بفتح النون وبالزاء المعجمة
ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم
ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل
عليه يعني امر احياء الموتى وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول من تبينت الشيء عرفته بينا واما قراءة العامة
فمن تبين الامر ظهر ووضح وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على لفظ الامر والامر مخاطبه او هو نفسه
خاطبها به على طريقة التبكيت وقرا عبد الله قيل اعلم وقرا ابو نجاد قال اعلم بكسر الهمزة على لغة تميم حيث
يكسرون حرف المضارعة وقرئ قال اعلم بنقل كسرة الهمزة الى اللام وهو لغة واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى انما سأله ذلك ليزداد بصيرة ويصير علمه عيانا ولم يكن سؤاله عن شك في الاحياء والقدرة عليه فلكو
انما سأله ذلك وطلبه للترقي من علم اليقين الى عين اليقين لطمانينة القلب ما ليس في علم اليقين وايضا انما سأله عن كيفية الاحياء ولا عنه
لان الاحاطة بالكيفية المفصلة اقوى وارسخ من المعرفة الاجمالية المفضية الى التردد بين الكيفيات المتعددة مع
الطمانينة في اصل الاحياء والقدرة عليه وعن ابن عباس كان الله وعد ان يبعث نبيا يحيي بدعائه الموتى فاراد
ابراهيم ان يعلم اهو هو فقيل لما قال نمروذ انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها
فقال نمروذ فهل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ليريه ليطمئن قلبه على الجواب
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة وانما قال ذلك وقد علم
انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين فهمزة الاستفهام
للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت وصدقت ولكن سألت ليطمئن قلبي ليزيد سكونا و طمانينة
بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان في عين
اليقين من الطمانينة ما ليس في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والوغانغ سلطانا على القلب
عند علم اليقين دون عين اليقين وايضا اقتضى ابتلاء ركيز اليقين فاراد بطمانينة القلب عين اليقين الذي هو
علم لا مجال فيه للتشكيك قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل
الحمام ومنهم من ذكر البطة بدل طاوس وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى في
باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل
المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك بضم الصاد من صار يصور وبكسرها من صار يصير وهي قراءة حمزة
ويعقوب وهما لغتان بمعنى واحد والمعنى فاملهن واضممهن اليك لكي تعرف اطوارها لتصورها وبما لا يخفى بعض
الجيد وخف لحاته على الليت فتوانا الكروم بحموم الدوالح وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد
الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي

ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن
قل لهن تعالين باذن الله وفيه اشارة الى انه متعلق بالفعل المامور به لا بالطلب نفسه يأتينك سعيا ساعيات
مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على الارجل وانما امر بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها ليتأملها ويعرف اشكالها
وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال على كل
جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها
وقيل فيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر
سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن
الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام وقرئ جزؤا بضمتين وجزا
بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده
حكيم ذو حكمة بالغة في جميع ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة لا بد من اعتبار الحذف في جانب
المشبه او المشبه به ليحصل التلاؤم وان كان التشبيه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه المفردات اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل
باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة قال يعقوب وقرا بعضهم مائة حبة بالنصب على تقدير
انبتت مائة حبة في كل سنبلة والمنبت حقيقة هو الله وانما اسند الانبات الى الحبة لانها من الاسباب كما يسند الى الارض
والماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف
في قوله تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة ابراز المعقول في صورة المحسوس ولا يخفى ان انبات سبع سنابل واكثر منها اضعافا متحقق
في الحنطة فانه ربما فرخت ساق البر في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو وقع امثلة الجمع متعاورة
مواقعها بان يأخذ هذا موضع ذاك وبالعكس قال سبع سنابل ولم يقل سبع سنبلات فجاء التمييز
على جمع الكثرة دون القلة التي هي سنبلات كما قال وسبع سنبلات خضر والله يضاعف لمن يشاء اما على حذف
المفعول به بدلالة الحال واما على تركه لكن مع ارادة خصوصية المفعول المطلق اي يضاعف سبع المائة ويزيد عليها
اضعافها لمن يشاء من المستحقين او يضاعف تلك المضاعفة التي الى سبع المائة لبعض المنفقين لا لكل منفق لتفاوت
احوالهم في الاخلاص والتعب لذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع الفضل لتلك الاضعاف لا
يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بما ينفق المنفقون وبما نووه في انفاقهم على حسب ذلك قرا ابن كثير وابن عامر
والله يضعف بتشديد العين وحذف الالف والباقون بالالف وهما لغتان يعني ان النبي عليه السلام حث الناس
على الصدقة حين اراد الخروج الى تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية
الاف امسكت نصفها لنفسي وعيالي واقرضت نصفها ربي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت وقال عثمان رضي الله عنه
يا رسول الله علي جهاز من لا جهاز له فنزلت الآية الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا
ولا اذى المن ان يظن انه محسن كذا قالت عائشة رضي الله عنها وقيل ان يعتد باحسانه على من احسن اليه او يجعله معتدا
معتبرا على من انعم عليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم لاظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن

والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق وفى الخبر ان الله تعالى لا ينظر يوم القيمة الى من يمن بعطيته وفى بعضه
انه لا يكلم من لا يعطى شيئا الا منه وذلك لان المن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو من المهلكات وعن ابن
مسعود الهلاك فى اثنين القنوط والعجب لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولان الموصوف
ههنا لم يتضمن معنى الشرط لم يدخل الفاء فى الخبر وايضا المبتدا ومثل المضاف الى الموصول لا الموصول وحده قيل لعله
لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف اى رد جميل
ومغفرة وعفو عن السايل الحاجز او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من السايل بان يعذره ويغتفر رده خير من
صدقة يتبعها اذى وصح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالوصف اما المبتداء فظاهر واما المعطوف فلما ذكر من المعانى
مع انه ليس فى القواعد احتياج المعطوف على المبتداء التعريف والتخصيص والله غنى لا حاجة به الى منفق يمن
من يمن ويؤذى حليم عن معاجلة بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ فى ذلك بما اتبعه يا ايها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر اى كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه ولا يريد به رضى الله ولا ثواب الآخرة والكاف فى محل النصب على المصدر
او الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق ورياء منصوب على الحال يعنى مرائيا او المصدر اى انفاقا رياء او المفعول له
وقرا الحسن رياء بغير همز فمثله كمثل صفوان عليه تراب من تشبيه الجمع بالجمع فان مثل المنافق المذكور ونفقته
التى لا ينتفع بها البتة بحجر املس عليه تراب وقرا الزهرى وابن المسيب صفوان بفتح الفاء فاصابه وابل مطر عظيم
القطر لا تشبيه المفرد بالمفرد فانك لو قلت المنفق كالصفوان والنفقة كالتراب والرياء كالوابل لم يكن شيئا فتركه صلدا
اجرد نقيا من التراب الذى كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وعن الخليل فتركه صلدا بكسر اللام قال وهى لغة
لا يقدرون على شىء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون ثوابه وهو حال من الذى ينفق او استيناف
والضمير عايد اليه باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الفوج الذى ينفق كقوله وان الذى حانت بفلج دماؤهم او من باب الحمل
مع المعنى نحو فاصدق واكن لانه كثيرا ما يقال من ينفق فى موضع الذى ينفق فكانه قيل كمن ينفق واريد الجمع والله لا يهدى
القوم الكافرين اراد لا يهديهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان عدم هدايتهم انما هو لكفرهم وان الرياء
كفر نعوذ بالله من ذلك وعن ابن عباس عن النبى عليه لما خلق الله تعالى جنات عدن خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى قالت قد افلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت انا حرام على كل بخيل ومراء فحق على
كل من آمن وتدين بالدين الحق ان يحترز عن صفة الرياء واخواتها قال النبى عليه السلام ان الله تعالى حرم الجنة على كل
مراء الحديث وقال عليه السلام ان ادنى الرياء شرك ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى لا بتغاء مرضاته
او مبتغين لرضاه او انفاقا ابتغاء او يبتغون بالانفاق رضاه وتثبيتا من انفسهم اى ويثبتون انفسهم ويوطنون
على ثباتها بانفاق الاموال على الايمان او ليثبتون بعض انفسهم ببذل الاموال على الايمان فان احب شىء الى الانسان
ماله وهو شقيق روحه فاذا ابذله فى الله ثبت بعض نفسه واذا بذل ماله وروحه معا ثبتها كلها فذلك اقوى دليل
على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح طويته ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للاجزاء مبتدا من اصل
انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه والتثبت على الايمان
بمعنى

بمعنى جعل الشىء ذا ثبات ومن انفسهم فى موقع المفعول وعلى الثالث بمعنى جعل الشىء محققا ثابتا والمفعول المحذوف
هو الاسلام والجزاء ونحو ذلك ومن لابتداء الغاية لغوا اى تحقيقا من عند انفسهم او مستقرا اى كاينا من عند انفسهم
ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وعلى هذا يكون المفعول المحذوف
هو كون الانفس صادقة مخلصة فى الايمان اى يجعلون هذا المعنى ثابتا من عند انفسهم وتوين قراة مجاهد وتبيينا
من انفسهم لان التبيين يلاحظ فيه جانب الغير كمثل جنة بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله كمثل بستان
بربوة اى بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها اى ثمرتها
ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والظاهر انه مفعول ثانى وقيل حال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل
فطل اى فيصيبها طل او فطل يكفيها الكرم منبتها وهو مطر صغير القطر وقال زيد بن اسلم هى ارض مصر خاصة ان اصابها
وابل اضعفت وان اصابها طل انبتت ومثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل
وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثرت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله زاكية عند الله زايدة فى زلفاهم
وحسن حالهم عنده وقيل التشبيه على الوجه الاول مفرد بمفرد وليس كذلك بل تشبيه مركب فانه شبه حال النفقة بحال الجنة
بالربوة وكونها زاكية متكثرة المنافع عند الله كيف ما كانت الحال فلذا احتيج الى تقدير المضاف والتشبيه على الثانى بحالهم بحال
الجنة على الربوة فى ان نفقتهم كثرت او قلت زاكية زايدة كما ان الجنة يضعف اكلها قوى المطر وضعيفها فهو ايضا تشبيه
مركب لكن لوحظ الشبه فيما بين المفردات وحاصله ان حالهم فى انتاج القليل والكثير منهم تضعيف اجورهم كحال الجنة فى انتاج
المطرين الواصلين اليها تضعيف ثمارها وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين وقرا ابن ابى اسحق رباوة
وروى لعلى عن عاصم الجحدرى برباوة مهموزة والله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل والظاهر ان هذا وعد وترغيب
فى الانفاق لوجه الله وقيل تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص وقرا الزهرى بما يعملون بالياء ايود احدكم الهمزة فيه
للانكار يعنى ما كان ينبغى ان يود ولم ود ان تكون له جنة وقرا الحسن جنات من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات لما كان النخيل والاعناب اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان احتوت على ساير الا
الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اتبعهما ذكر كل الثمرات ليدل على احتوائها على ساير انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كما فى قوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وانه اصابها الاموال الذى من الذهب والفضة وغيرهما واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الكبر والشيخوخة
اصعب الاحوال ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل العطف حملا على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة ولما
الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب وقرئ لجنات مكان لجنة وفى ذريته ضعاف وعن الخليل
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على ما فاصابها او يكون باعتبار المعنى والاعصار ريح تستدير فى الارض ثم تسطع
نحو السماء كالعمود وتسمى بالفارسية كردباد وهذا مثل لمن يفعل الحسنات لا يبتغى بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة اشتد حاجته اليها
وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد صغار ضعفاء
والجنة معاشهم ومنعشهم فهلكت بالصاعقة فبقى فى الحرمان والتحسر والحيرة والتحير وعن عمر رضى الله عنه انه سال عنها
بعض

فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر
نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله
كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر
ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا اي ضعف جسمه وكثر صبيانه في زمان افقر ازمنة حصوله الى جنته واسناد افقر الى ضمير
الزمان مجازي كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيها فتعتبرون بها واللام للجنس او للعهد اشارة الى الامثال السابقة
وعن ابن عباس عن النبي عليه تفكر ساعة خير من قنوت ليلة يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده وفي
وفي الامر بالتصدق من الحلال دليل على ان من تصدق من الحرام لا يقبل بل الواجب الرد الى صاحبه ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات
ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن وغيرها فحذف المضاف وهو الطيبات لتقدم ذكره وروي عن النبي صلعم انه قال ان الله تعالى طيب
يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود الحديث ولا تيمموا الخبيث منه اي ولا تقصدوا الردي من المال ومن ما
اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرا عبد الله ولا تأمموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء وييممه وتيممه وتأممه
سواء في معنى قصده تنفقون حال مقدرة من ضمير تيمموا ويجوز ان يكون منه متعلقا به والضمير للخبيث والجملة حال عنه وانما قدم لا فائدة
التخصيص وتقديره تخصونه بالانفاق اي تجعلونه منفردا بذلك والمعنى تقدرون ذلك لانه حال مقدرة على هذا ايضا ولستم بآخذيه
حال آخر على التداخل او الترادف اي وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لردائته الا ان تغمضوا فيه على حذف الباء وهو متعلق بآخذيه اي
الا بان تتسامحوا او تحطوا وتترخصوا فيه يعني لا تأخذونه بوجه من الوجوه الا بالاغماض والتسامح واستعماله في التسامح مجاز كناية
او استعارة من اغمض عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقصي كانك لا تبصر وقال لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم
رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري تغمضوا وتغمضوا بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة تغمضوا مبنيا
للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه كذا قال الزمخشري والا ان تحملوا على الاغماض كذا فسر البيضاوي وقيل الا ان توجدوا
مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره
فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد حقيق بان يبالغ في محامده او حميد بقبوله واثابته او حميد
يقبل القليل ويعطي الجزيل ومعناه المحمود فهو صيغة اضافية الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
والوعد شايع في الخير والشر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد
وفيه نظر لان الايعاد قد ورد في الخير ايضا كما قال النبي صلعم ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب
بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر وقرئ الفقر بضم الفاء
والفقر بفتحتين ويامركم بالفحشاء اي يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور ففيه استعارة تبعية شبه اغراءه على
البخل باغراء الآمر ثم استعير الامر للاغراء والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم كفارة لها منه و
فضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم في الدارين او ثوابا عليه في الآخرة والله واسع الفضل والرحمة يريد التوسعة على عباده
والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وانتم لا تعلمون يؤتي الحكمة يوفق لتحقيق العلم واتقان العمل والحكيم عند الله العالم العامل قال وقاله
الكلبي الفقه وقال مقاتل علم القرآن وقيل الاصابة في الفهم والقول وقيل المعرفة بمكايد الشيطان وقال مجاهد الاصابة في القول
والفهم والفقه وقيل الفقه من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الآخر ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود وقرا الربيع

ابن عباس يريد النبي

بن

بن خثيم تؤتي بالتاء كلها او تشاء بالتاء وقرا يعقوب ومن يؤت الحكمة بكسر التاء بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهذا قرا الاعمش واعلم
ان النبي صلعم فسر الحكمة بعضها بالورع وذلك في قوله عليه السلام تقوى الله تعالى راس كل حكمة قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وهو الورع ورواه انس فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير تنكير تعظيم كانه قيل فقد اوتي خيرا اي خير وفي مصحف ابن مسعود ومن يؤته الله الحكمة فقد اتاه خيرا
كثيرا وما يذكر وما يتعظ بما يكون من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولو الالباب ذوو
القلوب الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وهم الحكماء العلماء العمال فان اولو الالباب مظهر وضع موضع المضمر والمقصود منه الحث
على العمل بما تضمنت الآية في معنى الانفاق وقرا انس وما يتذكر وقرا الضحاك وما يذكر الا اولو الالباب وما يذكر وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في
او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية مثل هذا البيان يكون لتأكيد العموم ومنع الخصوص فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو
مجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي او يمنعون الصدقات او ينذرون في المعاصي او لا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم
من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها ونعم فيه مسند الى الفاعل المضمر ومميزه ما وهي نكرة غير موصولة ولا موصوفة وهي هو المخصوص
بالمدح لكن على حذف المضاف لتحسين ارتباط الجزاء بالشرط ويدل عليه تذكير الضمير في فهو خير لكم اي فاخفاؤها خير لكم قالوا ولما حذف الابداء و
رفع ضمير الصدقة القايم مقامه المرفوع فوضع هي مقامه وقرا حمزة وابن عامر والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وروى يحيى عن
ابي بكر عن عاصم فنعما هي بكسر النون وسكون العين وتحقيق الميم فحذف احدى الميمين اختصارا الا ان الاصل فنعم ما هي وقرا الحسن هنا مثل
عمرو في النساء نعما وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فاخفاء الصدقات خير لكم والمراد الصدقات
التطوع بالاتفاق الافضل في الفرايض ان يجاهر بها لنفي التهمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين
ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ثم المتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر عنكم
من سيئاتكم قرا ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي بالنون مجزوما عطفا
على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على اسناد الفعل الى الصدقات والفعل للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب
باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم وقرا زيد بن علي ونكفر بالنون والنصب وذكر ابو معاذ في كتابه ست اوجه نكفر
ويكفر ونكفر وتكفر وتكفر ويكفر ثم قال كل وجه منها واحد منها الجزم والرفع والنصب فيكون ستة عشر وجها لم يحص من قراها والله بما تعملون
خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق الخبيث
وغير ذلك وانما عليك ان تبلغهم النواهي ارشادك الى سبيل الرشاد وحثك على محاسن الاخلاق ولكن الله يهدي من يشاء من يعلم انه اهل
بمشيته لما قد تعلق به ... وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة او من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم
فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث ولا تؤذوا احدا بالتطاول عليه والاختصاص مستفاد من اللام وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله عطف
على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها او تنفقون الخبيث او حال كانه قيل وما تنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا ابتغاء وجهه وطلب ثوابه وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في
ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد للشرطية السابقة وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي
مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا قراباتهم من المشركين او ما خلف المنفقين اجابة الله
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وعن ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام

فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم فنزلت وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه
صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره وقرا ابن السميفع والخليل يوف بالتخفيف وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء الجار متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات او صدقاتكم للفقراء على انه خبر مبتدا
محذوف الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا في الارض للكسب
وقيل هم اصحاب الصفة كانوا نحوا من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد
وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم فمن كان عنده فضل
اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلعم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا
يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه في الجنة من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
مستغنين من اجل تعففهم عن السوال تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه والضعف ورثاثة الحال والخطاب للنبي صلعم او لكل احد ممن عرفهم
بسيماهم يدل عليه الخطاب في آخر الآية لا يسئلون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم المسؤل ولا يفارقه حتى يعطيه من قولهم لحفني
من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلعم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف والمعنى انهم لا يسئلون
وان سألوا للضرورة سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السوال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاها ولم
يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا و
بدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الآية فلهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية فان استحقاق الاجر انما هو بسبب الانفاق وقيل للعطف
والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذا جوز الوقف على وعلانية وتقديم الليل على النهار والسر على العلانية لما على الاصل وعلى الواقع
الذين يأكلون الربوا اي الآخذون وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاصل بان يباع مطعوم
بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة والزكوة للتفخيم وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع والتفخيم هنا امالة الالف الى مخرج الواو لا يقومون اذا بعثوا من القبور الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا
قياما كقيام المصروع وتخبط الشيطان وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط
العشواء وفي المغرب تخبط الشيطان افسده وحقيقته ان يخبطه اي يضربه وهو من زعمات اهل الجاهلية هكذا قيل وهو خطأ لما قال النبي صلعم
اللهم اني اعوذ بك من الهدم واعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغرق والحرق والهرم واعوذ بك من ان يتخبطني الشيطان عند الموت الحديث ذكر
في سنن الترمذي وسنن النسائي وفي صحيح المستدرك من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله
ولذلك جن الرجل معناه ضربته الجن وهو اي قوله من المس متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا الا كما يقوم المصروع او
بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه اي من حال الشيء الجنون والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند
الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لاختلال عقلهم لانهم اكلوا الربوا

الربوا فاربا الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض اي الاسراع ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك
العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا نظموا الربوا والبيع في سلك واحد ولم يفرقوا بينهما لافضائهما الى الربح فاستحلوا الربوا
استحلال البيع وقوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربوا ظاهر في الحل والحرمة نص في التفرقة بينهما اي بين البيع والربوا لانه
في جواب الكفار عن قولهم انما البيع مثل الربوا وهو من امثلة المجمل فان قوله وحرم الربوا مجمل لان الربوا
في اللغة هو الفضل وليس كل فضل حراما بالاجماع ولم يعلم ان المراد اي فضل فيكون مجملا ثم لما
بين النبي عليه السلام الربوا في الاشياء الستة احتيج بعد ذلك الى الطلب والتأمل ليعرف علة الربوا والحكم في غير
الاشياء وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة وذلك انهم لما احبوا الربوا ما استحلوه واكثروا منه
بلغ من اعتقادهم في حله انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى قاسوا وشبهوا به البيع والفرق ظاهر فان من اعطى
درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع
رواجها يجبر هذا الغبن فقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه
النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه وقرا ابو السمال الربوا بفتح الراء وضم الباء والربا
بضم الراء وفتح الباء فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا وذكر فعل الموعظة
لان تانيثها غير حقيقي لانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف
فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة و
بالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه
ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية او يحكم في شانه يوم القيمة ولا اعتراض لكم عليه فلا تطالبوه
به ومن عاد الى الربوا بل الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا باستحلال الربوا واستحلال المعصية كفر اجماعا والدليل على ان هذه في مستحلي الربوا
قوله والله لا يحب كل كفار اثيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وشاهداه
وكاتبه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة ولاوي الصدقة والمرتد اعرابيا ملعونون على لسان محمد يمحق
الله الربوا المحق النقصان وذهاب البركة وقيل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه اثر ومنه
يمحق الله الربوا اي يستاصل ويذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان
كثر الى قل وقرا ابن الزبير يمحق بضم الياء وكسر الحاء ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويزيد
المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وعن النبي عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب
محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات فيد بمعنى التعميم بعد السلب دون العكس
اثيم كثير الاثم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله وبما جاء من عنده وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال لهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربوا

من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين مصدقين بقلوبكم
متمثلين لاوامر ربكم روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم مال على ناس من قريش فطالبوهم عند
المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقا بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير
هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه حنف فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله
ورسوله اي فان لم تفعلوا الترك والانتهاء عن المطالبة فاعلموا ان الحرب تاتيكم من قبل الرسول
والمؤمنين وتغيير من قال انهم حرب لله اي اعداء محاربون ترد مكابرة من وفاذنوا من اذن بالشيء
اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
لانه طريق العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة وقرا الاعرج فاذنوا فاتوا مخففا بغير همزة
وتنكير حرب للنوعية والتعظيم اي فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وذلك يقتضي
ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وهو ابي لا يدين لنا مثل لا ابا له باقحام اللام لتاكيد الاضافة وقيل
بحذف النون تشبيها بالمضاف يقال لا يدي لي بهذا الامر ولا يدان اي لا طاقة لي به وان تبتم من الارتباء واعتقاد
حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالمطل والنقصان
منها هذا حكمهم ان تابوا فاما ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما ذكرناه من ان الخطاب
للمستحلين الذين امنوا بالسنتهم واما من لم يتب من الذين امنوا ظاهرا وباطنا واصر على عمل الربوا فان لم يكن
ذا شوكة عزر وحبس الى ان يتوب وان كان ذا شوكة حاربه الامام محاربة الفئة الباغية كما حارب ابو بكر
مانعي الزكوة وكذا لو اجتمع طائفة على ترك شيء من الفرائض والواجبات والسنن فانه وجب عليه ان يحاربهم
وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة
اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا عسرة اي وان كان الغريم وقرا الاعمش وان كان معسرا فعلى الاول
كان تامة وصح وقوع فاعله جثة باعتبار ما يتضمنه من معنى الحدث وعلى الثاني ناقصة وقدر الاسم معرفا
لان الضمير معرفة خصوصا اذا كان مبتدا وقري ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فالامر نظرة
او فعليكم نظرة وهي الانظار بمعنى التاخير والمهلة وقري فنظرة بسكون الظاء للتخفيف كالتخفيف
في كبد وكتف في كتف وقرا عطا فناظره اي فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته
على طريق النسب نحو مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر اي فسامحه
بالنظرة وباشره بها الى ميسرة اي يسار عن ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
من انظر معسرا الى ميسرة انظره الله تعالى بذنبه الى توبته وعنه قال دخل رسول صلى الله عليه و
سلم المسجد وهو يقول ايكم يسره ان يقيه الله تعالى من فيح جهنم قلنا يا رسول صلى الله عليه وسلم كلنا
يسره ذلك قال من انظر معسرا او وضع له وقاه الله من فيح جهنم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان تستجاب دعوته وان تكشف كربته فليفرج عن معسر وقرا نافع بضم
الشين

السين وهما لغتان كمقبرة ومقبرة ومشرفة ومشرفة وقرى بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
اي ميسره والضمير عائد الى قوله ذو عسرة ونظره قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة قال واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وان تصدقوا بالابراء وهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم
على من اعسر من غرمائهم او ببعضه كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقرا عاصم بتخفيف الصاد
على حذف التاء وقرا قتادة تصدقوا بسكون الصاد وفتح الدال خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او
خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وجلالته وعظمته عند الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اول الناس يستظل في ظل العرش رجل انظر معسرا حتى يكون له يسار او محى عنه صحيفته
ويتصدق عليه بما فيها رواه ابو اليسر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او وضع
له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رواه ابو هريرة رضي الله عنه كذا في صحيح مسلم وقيل
اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة وقوله عليه السلام فيؤخره مرفوع معطوف على يحل والنفي داخل على المجموع
المعطوف والمعطوف عليه بمعنى لا يكون حلوله يعقبه تاخير وهذا القول ضعيف لان وجوب الانظار
ثبت بالاية الاولى فلا بد من حمل هذه الاية على فايدة زايدة ولان قوله خير لكم لا يليق
بالواجب بل بالمندوب ان كنتم تعلمون ما فيه من الاجر الجزيل او انه خير لكم فتعملوا به جعل
من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وهذا خلاصة ما قيل المراد وان تصدقوا خير لكم وان علمتم لكن عبر
بالعلم عن العمل تنبيها على ان من لم يعمل فكانه لم يعلم وان علم اي لا يعلمون ذلك فيعلمون فنفى
العلم كناية عن نفي العمل او استعارة واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت
وبالجملة تلبيس في الايام اصعب منهما واشد وقرا ابو عمرو ويعقوب رضي الله عنهما بفتح التاء وكسر
الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم وقري يرجعون بالياء على الالتفات وهو في كلام واحد وقرا
عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر
وهم لا يظلمون عايد الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة
اناسي وعن ابن عباس رضي الله عنه انها آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في راس
المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل
سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول
داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعت منه شيئا او باع منك شيئا
قال داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل
فاكتبوه وانما ذكر الدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب
ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن وليعلم تنوع الدين مؤجلا وحالا
وليلا يتوهم من التداين المجازاة الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر والسنة لا بالحصاد

وقيل احدا وثمانين يوما

الدين قيل

والتداين وقدم الحاج فاكتبوه امر بكتبة الدين لانه اوثق وادفع للتنازع واكسى من النسيان والجمهور على انه للندب وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف اى السلم وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم فى كتابه وانزل فيه اطول آية وليكتب بينكم كاتب بالعدل وهو صفة لكاتب اى كاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص منه وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب هو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اى لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى انها فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وهو ظاهر وبقوله فليكتب على اعمال ما بعد الفاء فيما قبلها نحو وربك فكبر وثيابك فطهر ولربك فاصبر وبايهما يتعلق فيكون قيدا له قيد الفعل بالمفعول به او المفعول المطلق المخصوص وفرق بين الوجهين بانه ان يتعلق بالاول فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب اى فليكتب تلك الكتابة المعلمة لا يعدل عنها للتوكيد اى امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تاكيدا للنهى وان تعلق بقوله فليكتب فقد نهى عن الاباء من الكتابة مطلقة ثم امر بها مقيدة وبعبارة اخرى الاول امر بالكتابة على نهج علمه الله بعد النهى عن الاباء عنها والامر بالشئ تاكيد للنهى عن ضده لكونه نفسه او متضمنا له او مستلزما اياه على اختلاف الاراء والثانى امر بالكتابة على ذلك النهج بعد النهى عن اباء الكتابة المطلقة وهذا الامر يفيد فائدة جديدة وليس من الامر بالشئ والنهى عن ضده ليكون تاكيدا وقرا الحسن رحمه الله والاعرج فليكتب وليمال وليخش وما اشبهها بكسر اللام وليملل الذى عليه الحق سعيها اى ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اى المملى او الكاتب ولا يبخس منه شيئا والبخس النقص اى ولا ينقص من الحق شيئا او مما املى عليه وقرى شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد فان كان الذى عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة وروى احمد بن يزيد عن قالون عن نافع ان يمل هو بسكون الهاء مثل قوله ثم هو فليملل وليه بالعدل اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل ودلالته ان يمل هو الاستطاعة الغير من جهة ان كلمة هو وقعت تاكيدا مشعرا بانه لا يستطيع ان يمل هو بنفسه بل يستطيع ان يمل غيره من جهة كونه دالة

التاكيد اللفظى

اللفظى على هذا المعنى محل النظر واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان وقرا الجانى واشهدوا وقرا الخليل شاهدين بالالف من رجالكم من رجال المسلمين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن على رض لا تجوز شهادة العبد فى شئ وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتى انها جايزة ويجوز عند ابى حنيفة شهادة اهل الاهواء الا الخطابية والذمى على مثله على اختلاف الملل كاليهود والمجوس وعلى المستامن لان الكفر كله ملة واحدة لا على المسلم وشهادة المستامن على مثله على اتحاد الدار دون الاختلاف كالترك والروم لا على المسلم ولا على الذمى وعدو بسبب الدين فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان او فالشهيدان رجل وامراتان او فليستشهد رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابى حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص وعند الشافعى فى الاموال وقرا حميد بن عمير فرجلا وامراتين اى فاشهدوا رجلا وامراتين وقرا طلحة واليمانى وامراتان بسكون الهمزة ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اشتراط العدد فى المراة اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى من ضل الطريق اذا لم يهتد له فهو منصوب على انه مفعول له اى ارادة ان تضل لكن لما كان الضلال سببا للاذكار جعل ارادة السبب ارادة المسبب عنه كانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ولالتباسهما واتصالهما تراهم كثيرا ما ينزلون كلا منهما منزلة الاخر ومنه قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجئ عدو فادفعه فان المعنى اعددت الخشبة ارادة ان يميل الحائط فادعمه اى ارادة ادعم الحائط ان مال وكذا المثال الاخير فميل الحائط هو السبب الذى به وجب الدعم كما ان الضلال هو الشئ الذى به وجب الاذكار ثم اقيم المسبب مقامه لان العلة فى التحقيق وقال سيبويه معناه استشهدوا وامراتين لان تذكر احديهما الاخرى وانما ذكر ان تضل لان الضلال هو السبب الذى وجب الاذكار ولكنا قدرنا الارادة لان الباعث على الامر ان التذكر نفسه وذلك ان العلة ههنا لبيان الشرع الحكم واعتبار العدد فى المراة فيجب ان يكون فعلا للامر وقيد الطلب باعثا عليه وليس هو الا ارادة الله كما للقطع بان نفس الضلالة والتذكر ليس هو الباعث على الامر بل ارادة ذلك وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد اى فهو تذكر وهو خبر القصة وهكذا فى جميع المواضع التى وقع فيها جزاء الشرط مضارعا مقام فى عامة القراء وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار وقرى ان تضل احديهما مبنيا للمفعول ومؤنثا قال الزمخشرى ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعنى انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر لان هذا غير مروى عن الثقات ولان تذكر بهذا المعنى لا يحسن فى مقابلة النسيان ولان كونهما بمنزلة ذكر لا ينتج تذكر احديهما الاخرى وقرا مجاهد والاعرج فتذكر بالتخفيف ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وسموا شهداء على هذا الوجه بطريق المجاز وتنزيل ما يؤول اليه منزلة الواقع وعن قتادة كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه الضمير المنصوب للدين او الحق او الكتاب اى ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب فان من كثرت مداينته احتاج ان يكتب لكل دين صغيرا او كبيرا كتابا فربما مل من كثرة الكتب وكنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت وانما يقول ثقلت فالنهى عن الكسل من ان يكتب ابتداء ثم كنى عنه بالسامة التى هى الملالة لكونهما من لوازمه

لبس م

ورواه وهو لعدم المانع من المعنى الحقيقي في الجملة لم يجعل مجازا فان المعنى الاول على اصله وقرا ابو عبد الرحمن السلمي ولا
يسأموا ان يكتبوه بالياء صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان
على تسميته ولا وقت حلوله الذي اقر به المديون ذالكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذالكم الكتب اقسط عند الله
اعدل من القسط واقوم للشهادة واثبت للشهادة واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على ما يراه سيبويه من بناء
افعل التفضيل من افعل قياسا ومنه قول امرئ القيس الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل على احد الوجهين والثاني او من
قاسط بمعنى ذي قسط على طريقة النسب كلابن وتامر وعاشب فيكون افعل لا فعل له كما احنك الشاتين واحنك البعيرين في
امثالهم اي من حنيف الحنك وقويم بمعنى مستقيم اي اشد استقامة وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا
ترتابوا واقرب الى ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذالك وقرا السلمي ان لا يرتابوا بالياء الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء عن الامر بالكتابة والمراد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال والتجارة الحاضرة تعم المبايعة
بدينها وعين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم
فيه ما يتوهم في التداين من التنازع والنسيان والجحود وقرا عاصم تجارة بالنصب على انه خبر كان والاسم مضمر تقديره الا ان تكون
التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما وقرا الباقون
تجارة حاضرة بالرفع على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا
كان او كاليا لانه احوط وابعد من التنازع والاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع اي التجارة الحاضرة
على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة هذا وسائر الاوامر في هذه الاية للندب عند الجمهور وقيل للوجوب وعن طاوس ان شاء
اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل والحق انه اولى في زماننا لما يناس من كثرة الفساد وعدم
الانتهاء سيما في بلادنا وراء النهر وخراسان لما هناك من كثرة الظلمة واهل البغي والفساد وولاة الزمان زمان الفسق والكذب
وقرا عبيد بن عمير واشهدوا وخطابا للشهود اي اشهدوا اذا حضرتم المبايعات ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول
والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى على الاول نهيهما
عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والتغيير في الكتبة والشهادة وعلى الثاني النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم
ويلزما ويكلف الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان والمنهي هم المخاطبون المتبايعون
وقرا الحسن ولا يضار بالكسر على اصل حركة الساكن والفتح للخفة وقرا ابو جعفر ولا يضار بالجزم كانه يريد يضارر فيسقط
احدى الرائين وهي لغة للعرب اذا كان عين الفعل ولامه من جنس واحد اسقطوا احدهما وان تفعلوا ما نهيتم عنه من ضرار الكاتب والشهيد والفعل
فضميره فانه للضرار وان تضاروا فان الضرار فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم او على معنى والمفعول محذوف في الخبر
للفعل اي وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه او وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فان الفعل فسوق بكم واتقوا الله في مخالفة
حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في التداين وغيره ويعلمكم الله احكامه التي تضمنت لمصالحكم وقصرت عنها عقولكم فان التعليم
ليس الا ايضاح جهل به الشخص والله بكل شيء عليم كرر الاسم الاعظم في الجمل الاربع للزيادة في الترهيب كما ترى فان المقام
مقامه ولبعد المرجع وفي الثانية الترغيب فان من عادته عز وجل في كتابه الكريم ان يذكر الترهيب مع الترغيب التنشيط عن الكسل
ما يثقله والتنشيط لامتثال ما يترتب على ذكر التقوى في ما امر ونهى وتخويفهم به ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه ثم قفاه بالترغيب فجمع بينهم

عليم الخ ان التخويف نفسه وتعليمه حالهما من كمال رحمته ولطفه بالعباد ولانهم اذا اتقوه ما استطاعوا واخشوه دعاهم ذالك
الى طلب مرضاته واجتناب سخطه ومسارعة واحقاء بنيلها وعدم من تعلم احكامه التي بها الفوز بجميع السعادات الدينية والدنيوية ومطلوبا
ان يراد به مع كونه مستحقا للحمد والعبادات على قدرته الكامل مرجو لسعة فضله وانعامه وفي الثالثة التعظيم لشانه ولانه دليل
في التعليم من الكتابة وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او
فليؤخذ رهان وليس الغرض من اشتراط السفر في الارتهان تجويزه في السفر خاصة كما ظنه بعضهم لانه عليه السلام رهن درعه
في غير سفر بل السفر لما كان مظنة اعواز الكتبة والاشهاد امر على طريق الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتبة والاشهاد والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر
اخذا بظاهر الاية وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض وقرا ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارايت
ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب وقرا ابن كثير وابو عمرو
فرهن بضم الراء والهاء بلا الف وهو جمع رهن كسقف وسقف وجمع رهان ككتاب وكتب قاله الفراء والكسائي وقرا الباقون
فرهان بكسر الراء وفتح الهاء مع الالف وهو جمع رهن ايضا فالاول جمع اخر والثاني وقرئ فرهن باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به بحيث استغنى بامانته عن الارتهان وقرا ابي فان اومن
اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه
سمي الدين امانة لايتمان الدائن المديون على الدين بترك الارتهان منه وهو حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن
وامنه منه وايتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ايتمنه عليه فلم يرتهن منه والقراءة المعتد بها ان تقرا بهمزة ساكنة بعد الذال
او ياء فتقول الذيتمن والذي تمن ومن حذف الياء لا يدغم في التاء لان الافتعال يقال ايتمنه على كذا اي اتخذه امينا ومنه الحديث
المؤذن مؤتمن ونقل عن عاصم انه قرا الذي تمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وهو خطا لان الياء
منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة ولا يجوز ادغام الهمزة في التاء وما يقال من ان اتزر اصل ائتزر فمما لم يوجد في استعمال
الفصحاء وكذا الكتابة بالياء في رؤيا فلا يقال في ائتزر اتزر الا في مثل اتسر واتعد وليتق الله ربه في الخيانة وترك الكلام
وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديون والشهادة شهادتهم على انفسهم وقرا السلمي لا يكتموا بالياء ومن يكتمها
فانه اثم قلبه يحتمل ان يكون اثم خبر ان وقلبه فاعلا له كانه قيل يأثم قلبه وان يكون قلبه مبتدأ واثم خبر تقدم عليه والجملة خبر ان
ومعنى كتمان الشهادة ان يضمرها ولا يتكلم بها واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ومثل العين زانية والاذن زانية
او تنبيها على انه رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في
واخذ اشرف اجزائه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه واللسان ترجمان
عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال الجوارح فجعل الكتمان من اثامه تنبيها على انه من معاظم الذنوب وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه
بالنصب على التمييز او نزع الخافض او المفعول على ما هو الحق فيكون المعنى اثم في قلبه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله اثما
وقرا يحيى بن وثاب اثم قلبه بالاضافة وهي قراءة شاذة ولهذا قال ابو حاتم لا ارضى ولا معناه والله بما تعملون عليم تهديد
على الكتمان وحث على تركه وقرا السلمي يعملون بالياء لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وانما كلف لا لاحتياج وما
ما لك سواه فلا اله الا هو رب كل شيء فخوفه ترك امره ونهيه بحسب ما يصلحكم وهو اعلم بما امركم به ونهاكم عنه وان تبدوا

ما في انفسكم او تخفوه اي ما فيهما من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على
من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وعن ابي هريرة ان
النبي عليه السلام قال ان الله تعالى وعد وعدا واوعد ايعادا وموعدا فاما موعده فالجنة واما وعيده فالنار اما موعده فان شاء عفا وان شاء عذب
وعنه عليه السلام ان الله لا يعذب من خلق الا المارد المتمرد عليه يابى ان يقول لا اله الا الله رواه ابن عمر ولا يدخل فيما يخفيه
الانسان الوسوسة وحديث النفس اذ ليس في وسعه الخلو منه بل ما اعتقده وعزم عليه وعن ابن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله
بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل قوله لا يكلف
الله وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب فيغفر ويعذب مرفوعين على فهو يغفر ويعذب والجملة الاسمية عطف على الجزاء والباقون
بالجزم عطفا على الجواب الشرط وقرا ابن عباس والاعرج فيغفر ويعذب بالنصب على الاستئناف وكذلك فيما اشبه اذا تم الجزاء فانت فيه
بالخيار ان شئت جزمته على ان ترده الى اول الكلام وان شئت رفعته على الابتداء وان شئت نصبته على الاستئناف كذا قال صاحب عجائب
القرآن وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما بدلا عنه بدل البعض عن الكل او بدل الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا
ونارا تاججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب فان على الاول يكون المغفرة والعذاب من جملة الحساب وعلى الثاني يكونان من لوازمه
وثمراته وقد ذهب كثير من المجدين كالزمخشري وغيره الى ان مدغم الراء في اللام مخطئ خطا فاحشا وراويه عن ابي عمرو
مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب
في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وهذا الطعن لطعنهم في القراءات السبع التي لم تكن على وفق قواعد
العربية ومن قواعدهم ان الراء لا تدغم الا في الراء فادغام الراء في اللام يكون لحنا لان الراء حرف مكرر والوقف عليها يظهرها
فيهما من الفخم والتكرار وفي اللام ضعف فادغامها في اللام يبطل تكريرها وتفخيمها وقد اجيب بان القراءات السبع متواترة والنقل
بالتواتر اثبات على وقول النحاة نفي ظني ولو سلم عدم التواتر فاقل الامر ان يثبت لغة بنقل العدول ويترجح بكونه اثباتا ونقل ادغام
الراء في اللام عن ابي عمرو من الشهرة والوضوح بحيث لا مدفع له ووجهه من حيث التعليل ما بينهما من شدة التقارب حتى
كانهما مثلان بدليل لزوم ادغام اللام في الراء في اللغة الفصحى الا انه لم تكررا ما لراء فلم يجعل ادغامه في اللام لازما فالزمخشري
فيه مخطئ ثلث مرات والله على كل شيء قدير فهو يقدر على الاحيا والمحاسبة والمغفرة والعقوبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة من الله وتنبيه على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه وعن الحسن والمجاهد والضحاك ان هذه الآية
كانت في قصة المعراج وهكذا عن ابن عباس وقيل جميع القرآن نزل به جبريل الا هذه الآية فان النبي عليه سمعها ليلة المعراج والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير النائب عنه التنوين عائدا الى الرسول والمؤمنون
اي كلهم آمن وحسن الوقف عليه فان قوله كل مبتدا لكونه معرفة في المعنى او نكرة موصوفة اي كل منهم وآمن خبره والجملة مستانفة
ولذا وقف على المؤمنون وان جعل مبتدا فلا خفاء في عدم الوقف عليه وكان الضمير المذكور للمؤمنين خاصة ووحد الضمير في كل آمن
على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين فان مثل هذا الضمير يجوز افراده نظرا الى كل واحد وجمعه نظرا
الى المجموع فيكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال قال الحسن بن
الحسن بن محمد بن مهران اقرانى ابو محمد بن مهران كل آمن بالله وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس ان يراد به
بعضها الى الواحد وفي الجمع لا يصح الا الى الثلثة فان الجمع صالح لانه يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد فالاول اعم

صح
وهكذا قرا ابن عباس
والفرق بينه وبين
الجمع انه يصح في المفرد
الذي يعني به الجنس ان
يراد به جميع الجنس م

واشمل بحيث يتناول الثاني وغيره ولذلك قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب وقرئ وكتبه ورسله بالسكون وقرا ابو الاسود
ورسله بكسر اللام وضم الهاء قال حرب قلت لابي الاسود صليت خلف عمر ابن الخطاب قال نعم قلت كان يلحن قال لا الا انه كان
يقرا كتبه ورسله فقلت كيف هي يا ابت قال وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق بين احد من رسله
كما فرقت اليهود والنصارى وعن ابي عمرو لا يفرق بالياء على ان الفعل للكل وقرا عبد الله لا يفرقون حملا على معنى كل كقوله
وكل اتوه داخرين او على الظاهر وهو الرسول والمؤمنون واحد في معنى الجمع ولذلك دخل عليه بين ومعناه ما ذكر في كتب
اللغة ان احدا اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث واشترط ان يكون استعماله
مع كل او في كلام غير موجب نص على ذلك الشيخ ابو علي الفارسي وغيره من ائمة العربية وهو غير الاحد الذي هو اول
العدد في مثل قل هو الله احد لان المراد به في مثل هذا الموضع جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه وليس كونه في معنى الجمع
والجماعة من حيث انه نكرة في سياق النفي على ما زعم كثير من الناس فمعنى لا نفرق بين احد لا نفرق بين جمع من الرسل
ومعنى فما منكم من احد فما منكم من جماعة ومعنى لستن كاحد من النساء كجماعة من جماعة النساء وهذا في كل موضع اضيف
بين اليه او اعيد ضمير جمع اليه او نحو ذلك وقرا زيد بن علي لا يفرق مبنيا للمفعول وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك
ربنا منصوب باضمار فعله اي اغفر غفرانك او نطلب غفرانك ويقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك واليك
المصير اي مصير امور الدنيا والآخرة كلها وهو اقرار منهم بانه مالك الامر كله في الدارين ويرجع الكل اليه روي ان
جبرائيل عليه قال للنبي عليه السلام حين نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال النبي
فقال غفرانك لا يكلف الله نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما هو
قدرتها ويتيسر طوقها عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن وضعه الاصر والاغلال التي كانت على
من قبلهم ومن شيات الانبياء عليهم السلام كما نوابا ثوب فومهم بهذه الآية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله فيقولون لا نطيق هذا ولا نحمله فاعقبهم الله بالمواخذة فلما عرضت على هذه الامة قبلوها فاعقبهم
الله تعالى بان وضعها عنهم فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية اخبارا عن رحمته ورافته بهم كقوله يريد الله
بكم اليسر فهو دليل بين على عدم وقوع التكليف بالمحال وقرا ابن ابي عبلة وسعها بفتح الواو وكسر السين وذكر صاحب
الغرائب ان الثاني ايضا قراءة عكرمة لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها غيرها ولا
يتضرر بمعصيتها غيرها وانما خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان في الاكتساب اعتمالا والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه
فكانت في تحصيله اجد واعمل فلذلك جعلت مكتسبة فيه بخلاف الخير والحاصل ان السبب في ذلك ميل النفس الى الشر ميل
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط واغفال وقلة
مبالاة فذكر النسيان والخطا واريد بهما سببهما من التفريط والاغفال اي لا تؤاخذنا بتفريط واغفال يفضي الى
خطا او نسيان وتنزيل كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما من الشهرة والوضوح
بحيث لا مدفع له وايضا كانوا من اهل التقوى الى مرتبة لا يكون اعلى منها فما كان تفريط منهم فرطا الا على
وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان
النسيان والخطا مواخذا فلا فيهم ما يؤاخذ به الا الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان به استدامة و

ضميره

ان

ووُسعها بفتح الواو وسكون السين
وقرا عكرمة بكسر الواو وسكون السين

واعتدادا بالنعمة كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ويشير الى ذلك قوله عليه السلام ان الله وضع عن امتي الخطا و
النسيان وما استكرهوا عليه والفرق بين النسيان والسهو ان النسيان اشد منه لانه زوال الصورة لا بالكلية
بحيث لا يحتاج الى الاكتساب جديد بل بحيث يتغير بادنى توجه والتفات بخلاف النسيان فانه زوالها بالكلية بحيث
يحتاج الى اكتساب جديد بل بحيث يتغير به والخطأ هو ان تستقر صورة المنافية لها بحيث لا تزول بسرعة والله تعالى وعد
النجاة عن ذلك فيه رأفة ورحمة وتنبيها على زيادة اللطف وكمال الفضل والمغفرة ربنا ولا تحمل علينا اصرا والاصر
العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستطيع رفعه لثقله استعير للتكليف الشاق من وجوب قتل النفس بحيث لا يندفع
بالعفو والقتل ووجوب قطع موضع النجاسات من الثوب والجلد والخف والفروة فانه لا يطهر بالغسل وقطع الاعضاء الخاطئة
واحراق الغنائم وفرض خمسين صلوة وغير ذلك من الاعباء الذي ليست في شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم وقرئ ولا تحمل بالتشديد
للمبالغة وقرئ اصارا على الجمع كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او مثل الذي حملته عليهم فالكاف
على الاول صفة مصدر محذوف وما مصدرية وعلى الثاني صفة اصرا وما موصولة والاوجه هو الثاني فليتأمل ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا بما تقدم من قوله ولا تحمل علينا اصرا الاعفاء عما يشق عليهم من التكليفات
التي كلفها من قبلهم ثم طلبوا بقوله ولا تحملنا الاعفاء عن انزال العقوبات التي نزلت بمن قبلهم على تقصيرهم في القيام بتلك
التكليفات الشاقة وقيل المراد به التكليف الشاق الذي لا يستطاع اصلا وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا
والتشديد ههنا للتعدية الفعل الى مفعولين نحو ذكرته الشيء وجملته التشديد للمبالغة كما في السابق وقال قتادة ما لا طاقة لنا به
هو الغلمة واعف عنا وامح ذنوبنا وازل اثارها من صحايف اعمالنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمواخذة وارحمنا
وانعم علينا او وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فمن حق المولى ان ينصر عبيده على الاعداء او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت اي كل كلمة من كلمات الدعوات او كل دعوة من الدعوات
والنكتة في صيغة الجمع ان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب وعنه عليه السلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبها الر
حمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراها بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وهي ترد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة
التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه عليه السلام ما في القران يوم القيامة تقدمه سورة البقرة وآل عمران
كانهما غيايتان او كانهما ظلتان سوداوان بينهما شرف او كانهما حزقان من طير صواف الغياية كل ما اظل الشخص من فوقه
وقيل الشرق اي بينهما فرجة حزقان طايفتان صواف باسطات اجنحتها في الطيران وان كان مع البقرة ما ليس فلا ليس كيف
وقد قال النبي عليه السلام تعلموا البقرة وال عمران فانهما الزهراوان وانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان
من طير صواف الزهراوان المنيران وقال عليه السلام البقرة سنام القران وذروته نزل مع كل اية منها ثمانون ملكا واستخرجت
الله لا اله الا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها وعنه عليه اذا مات احدكم فلا تحبسوه واسرعوا به الى قبره وليقرأ عند
راسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة البقرة ونحن نسأل الله تعالى ان يجعلنا من اهل النظر الى وجهه الكريم وان يقينا عذاب الجحيم

ونحمده على كل حال وهو الحقيق بتحقيق الامال ونصلي على نبيه المصطفى خاتم الانبياء وسيد المرسلين وعلى اله وصحبه
اجمعين الطيبين الطاهرين

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد ذكر فيما مضى انهم اختلفوا في مثل الم فقيل انه معرب وسكونه سكون وقف لا بناء و
والاخذ به حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين وقيل مبني لعدم مقتضى
الاعراب وسكونه سكون بناء واغتفار التقاء الساكنين فيه للفرق بين ما بني لعدم المقتضي وما بني لوجود المانع
اذا تمهد هذا فنقول اتفقت كلمة القراء الا في الرواية عن ابي بكر عن عاصم على فتح الميم واسقاط الهمزة فقال كثير
من المحققين انه حركة لالتقاء الساكنين واوثر الفتحة للخفة والمحافظة على التفخيم في الله وقيل انه حركة الهمزة
في الله نقلت الى الميم حين حذفت الهمزة للتخفيف على ان ميم اذا كان في حكم الموقوف عليه لم تكن الهمزة في الدرج بل في الابتداء
فجاز تخفيفها بحذفها ونقل حركتها الى الساكن قبلها لتدل عليها كما في قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال
وحذف الهمزة وجاز نقل حركة الهمزة الى ما قبلها تخفيفا سواء كانت للوصل كما في واحد اثنان او للقطع كما في ثلثة
اربعة على ما حكى سيبويه واستدل على انه حركة الهمزة الملقاة على الميم لا حركة لالتقاء الساكنين كما ذهب اليه سيبويه
وابو علي وكثير من النحاة بوجهين احدهما انها في حكم الوقف والتقاء الساكنين مغتفر في باب الوقف كقولك هذا ابراهيم
واسحاق وداود وثانيهما انه لو كان لالتقاء الساكنين لحرك كل ما في السور كذلك لام ميم صاد مثلا ولما انتظر
ساكن ثالث كاللام من الله فان قيل انما لم حركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين
فاذا جاء ساكن ثالث لم يكن الا التحريك فحركوا اجيب بان الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن الثالث انه كان
يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيتم ومديق فلما حركوا الدال
علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قيل لو كانت حركة الميم هي الحركة المنقولة
من همزة الله فما وجه قراءة من قرأ الم الله بكسر الميم وهمزة الله ليست مكسورة فلا وجه له سوى الحركة لالتقاء الساكنين
دون النقل اجيب بان هذه القراءة غير مقبولة ولم يعتد بها اذ لم يثبت نقلها عن الثقات ومن قرأ فعلى توهم ان الحركة لالتقاء
الساكنين الحي القيوم اتفق الناس باسرهم على انه تعالى حي عالم قادر وكل عالم قادر فهو حي بالضرورة لكن اختلفوا
في معنى حيوته لانها في حقنا اما اعتدال المزاج النوعي واما قوة تتبع ذلك الاعتدال سواء كانت نفس قوة الحس والحركة
او مغايرة لها على الاختلاف الاراء ولا تتصور شيء من هذه المعاني في حقه تعالى فقال الجمهور انما هي
صفة توجب صحة العلم والقدرة وقال كثير منهم انما هي كونه يصح ان يعلم ويقدر وهو مذهب الحكماء وابي الحسين
من المعتزلة واما القيوم فقد تقدم انه يدل على كونه قائما بذاته مقوما لغيره ومن هذين الاصلين تتشعب
جميع المسائل المعتبرة في اصول التوحيد اذا تقرر هذا فنقول استدل على ان قوله الحي القيوم هو الاسم الاعظم
بوجهين الاول ما روي ان ابي بن كعب طلب من النبي عليه ان يعلمه الاسم الاعظم فقال هو في قوله الله لا اله الا هو
الحي القيوم وفي قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قالوا وليس ذلك لا اله الا هو لان هذه الكلمة
موجودة في كثير من الايات فلما خص عليه السلام الاسم الاعظم بها تعين ان ذلك
هو الحي القيوم الثاني ان هذين الاسمين يدلان على صفات العظمة والكبرياء فالهيبة على ما يدل عليه

سائر الاسماء وذلك يقتضي كونها اعظم الاسماء وعن علي رضي الله عنه لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من القتال ثم جئت الى رسول الله
عليه انظر ماذا يصنع فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم ولا يزيد عليه ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك
فلم ازل اذهب وارجع وانظر لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله تعالى وعنه عليه السلام اسم الله الاعظم في ثلث سور
في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
وعن ابن عباس اعظم اسماء الله الحي القيوم وقيل ان عيسى اذا اراد ان يحيي الموتى كان يدعو بها وكذلك صاحب سليمان
حين اراد ان ياتي بعرش بلقيس دعا بذلك وسئل موسى من اسم الله الاعظم فقال لقومه يا هيا شراهيا يعني يا حي يا قيوم ومما
يؤيد الوجهين ما روي ان رسول الله عليه كان اذا نزل بلاء او شدة يقول كثيرا يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وقرا النخعي
والاعمش الحي بفتح اليا مخففا وعمر ابن الخطاب وابن مسعود القيام وعلقمة القيم وكذا في سورة البقرة نزل عليك
الكتاب القران منجما موزعا على حسب المصالح وكفاء الحوادث بعد ان انزل دفعة من اللوح الى سماء الدنيا وعبر
عن ذلك بالتنزيل لما فيه من الدلالة على التدريج والتكثير وقرا الضحاك والاعمش نزل عليك الكتاب بالحق صفة مصدر محذوف
وهو ظاهر او حال من الكتاب بتقديره ملتبسا بالحق اي بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله مصدقا
لما بين يديه من الكتب السماوية وهو حال موكدة تتضمن اثبات حقيته وتقرير صدقه وانزل التورية والانجيل جملة على
موسى وعيسى وكل واحد منهما اعجمي وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وربانا الرحمن الى غير ذلك فهما من الوري والنجل
في حالة الاعجمية كما لو كانا عربيين هذا هو الوجه عندي وقال كثير منهم هما اسمان اعجميان واشتق فيهما من الوري والنجل
ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لان ذلك انما يصح بعد كونهما عربيين ويؤيد ذلك قراءة الحسن الانجيل لان افعيل بفتح الهمزة
عديم بناؤ ووزن العرب فهذا القول ضعيف فان دخول اللام في الاعلام الاعجمية خلاف النظر على ان القول باشتقاق
التورية من وري الزند وهو الضوء الذي يظهر منه عند القدح فكانها ضياء ونور منقول من الفريقين فقال البصريون
اصلها وورية بوزن فوعلة ابدلت الواو الاولى تاء كما في تولج من ولج وقلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وقال الكوفيون اصلها تورية بفتح اليا تفعلة قلبت الفا ولما يوجد في الكلام تفعلة قال بعضهم انما تفعلة بالكسر كتوصية
فنقلت عينها ثم قلبت الفا كما تقول في توصية توصاة وناصية ناصاة من قبل تنزيل القران بالكسر كتوصية ففيه
هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى فاللام للعهد ومن قال نحن متعبدون بشرايع من قبلنا فسر الناس على العموم
ذهابا الى ان اللام للجنس ولم يجعله للعهد وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق
بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كان قال ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه
او من هذه الكتب الثلثة او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له ومدح من كونه فرقا بين الحق والباطل
بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونهما وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق
به بين الحق والباطل الا ان لا يراد به الزيادة فيه واللام يحصل به التميز لان غيره من الكتب السماوية يصدق عليها
انه معجز يفرق به بين الحق والباطل كما مر انفا وقيل يجوز ان يراد به المعجزات والاوجه ان يقال ان قوله نزل اولا
وانزل ثانيا للاولين ودل على ان للقران تنزيلا وانزالا فانه قد روي ان الله تعالى انزل القران جملة واحدة في
ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبرئيل على السفرة لحفظه الحفظة او كتبه الكتبة

في الصحف ثم نزل منها على رسول الله عليه منجما في ثلث وعشرين سنة ولمن قال القران معنى قائم بذات الله فانزاله
ان يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال القران هو الالفاظ
فانزاله مجرد اثباته في اللوح لان الانزال انما يكون بعد الوجود ولكن الملايم للرواية المذكورة ان يراد بانزاله
اظهاره وايجاده في سماء الدنيا بعد الاظهار والايجاد في اللوح المحفوظ واما استدلال المعتزلة بان القران متصف
بما هو من الصفات المخلوق وسمات الحدوث من الانزال والتنزيل وكونه عربيا معجزا الى غير ذلك فانما يقوم
حجة على الحنابلة لا علينا لانا قايلون بحدوث النظم فان القران عندنا يطلق على الكلام الازلي الذي هو صفة
الله تعالى كما في قوله عليه السلام القران كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم وهي صفة
قديمة منافية للسكوت والافة ليست من جنس الحروف والاصوات لا يختلف الى حكم ولا يتعلق بزمان الا باعتبار
التعلقات والاضافات كالحيوة والسمع والبصر والعلم وغير ذلك فان كلا منها واحد قديم والتكثر والحدوث
انما هو في التعلقات ويطلق على المقروء اي الكلام اللفظي المولف من الاصوات والحروف القايمة بمحالها وبهذا
هذا كلام الله والقران على معنى انه عبارة عن ذلك المعنى القديم ان الذين كفروا اي تموا على كفرهم وصمموا على
التكذيب والجحود بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب يقدر على كل
شيء فلا يمنع من التعذيب ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه
نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد بقوله الله لا اله الا هو وذكر الكتب التي هي العمدة في الدعوى
الرسالة واثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء
هو كاين في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عن العالم بالارض والسماء لانهما العالم كلا في النظر الحسي
وتصويرا لاحاطة علمه وامتناع الغفلة عليه في شيء من الجزئيات والكليات لان الكل صادر عنه على صفة الالتفات
ومقدور له فهو مطلع على كفر الكافر وايمان المومن كان قيل يجازيهم الله الذي له كمال الغلبة والقدرة والعلم
باحوال العباد وانما قدم الارض على الاصل ولان الكلام في اهلها وقيل ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود
بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة
كالدليل على القيومية والاستدلال على انه باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره والمعنى على ان صورة وعلى اي هيئة
يشاء تصويركم وقرا طاوس تصوركم لنفسه وعبادته كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته
اذا اتخذته لنفسك وعن ابي عمرو يصوركم بمخالفة القراء ومثله يحذركم الله وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على
من زعم ان عيسى كان ربا كان نبيه يكون مصورا في الرحم على انه عبده وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله لا اله
الا هو اذ لا يعلم غيره جميع ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم تقدير كمال الغلبة وقدرته وبيان لتناهي
حكمته روي عن وفد نجران لما حاجوا في امر عيسى رسول الله صلعم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات اتقنت عباراتها بان حفظت
من النسخ والتبديل بالكلية من احكمت الشيء اتقنته وبناء المحكم لما هو من الاتقان ويجوز ان يكون من احكمت فلانا منعته
فالمحكمات منعت من ان يرد عليها النسخ والتبديل وقيل احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه وقيل

ان تصوركم

من الاجمال وهي كنحو قوله تعالى انما الهكم اله واحد وقوله ان الله على كل شيء قدير وقوله ان الساعة آتية وقوله فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس الى غير ذلك لان اخبار الله تعالى مما لا يقبل النسخ والتبديل لعلمه عن الكذب وقيل محكمات
اى واضحات وقيل مبينات بالحلال والحرام وقيل آيات محكمات لم تنسخ قط هن ام الكتاب اصل يرد اليها غيرها و
القياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة وعلى ان الكل بمنزلة آية واحدة قيل هي ثلث آيات من سورة الانعام
اولها قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الى آخره وعن ابن عباس انه سمع رجلا يقول فاتحة الكتاب ام الكتاب فقال بل ام
الكتاب قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الايات الثلثة واخر متشابهات مشتبهات بنفس اللفظ بحيث لا يرجى
دركها اصلا كالمقطعات في اوايل السور وكالسمع والبصر وجواز الرؤية بالعين الى غير ذلك من اليد والوجه
مثلا فان هذه كلها من قبيل المتشابه يعتقد حقيقتها ولا يدرك كيفيتها وقيل المقطعات اسماء السور واليد مجاز عن
القدرة والوجه عن الرضا او الكلام المشتمل على اليد والوجه ونحوهما تمثيل لا يعتبر في مفرداته تشبيه فلا يبقى من قبيل
المتشابه والحق انه قد دل الدليل القاطع على ثبوت هذه الامور لله تعالى مع القطع باستحالة معانيها الظاهرة على الله تعالى
لتعاليه عن الجسمية والجهة والمكان فيكون حقا الا ان الكيفية مجهولة لا يرجى دركها فيكون من قبيل المتشابه وحكم
المتشابه التوقف عن طلب المراد مع اعتقاد حقيته عندنا بناء على قراءة الوقف على الا الله الآية على ان تأويل
المتشابه لا يعلمه الا الله واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعروف او عن الاخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ اى عدول
عن الحق وهم اهل البدع والاهواء على طبقاتهم فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل
ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء
تأويله وطلب ان يأولوه التأويل الذي يشتهونه والداعي الى الاتباع اما مجموع الطلبتين وهو الاظهر بدليل
العطف بالواو او كل منهما على التعاقب الاول يلايم المعاند والثاني الجاهل وما يعلم تأويله الا الله اى تأويله
الذي يجب ان يحمل عليه والراسخون في العلم اى الثابتون المستقيمون الذين لا يتهيأ استزلالهم وتشكيكهم واعلم
انه اريد بالمتشابه ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه اصلا فالحق الوقف على الا الله وان اريد به ما لا يتضح
بحيث يتناول المجمل والمؤول فالحق العطف والمقام يستدعي زيادة التقدير فنقول منهم من قرا بالوقف على الا
الله وفعاله لانه تم وبعضهم قرا بلا وقف فعلى الاول يكون الراسخون غير عالمين بالمتشابهات بخلاف الثاني
ثم ان بعض العلماء رجح الاول بوجهين الاول ان هذا اليق بالنظم لانه لما ذكر ان من الكتاب متشابها جعل
الناظرين فيه فريقين الزايغين عن الطريق والراسخين في العلم فجعل اتباع المتشابهات حظ الزايغين لقوله
فاما الذين الى قوله وابتغاء تأويله وان قرانه تحقيقها مع العجز عن ادراكها حظ الراسخين لقوله آمنا به
كل من عند ربنا اى نصدق حقيقته سواء علمناه او لم نعلمه هو من عند الله لا لقوله والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كما ذهب بعض الناظرين ليكون له درب الى الاعتراض حيث قال وفيه نظر اذ لا يخفى على الراسخين في
العربية انه لو قصد فيه لكان اليق بالنظم ان يقال واما الراسخون في العلم وانت تعلم ان الكلام اذا حذفت
بهذه الزيادة ولم تذكر على ما هو المسطور والمنقول عنهم لم يكن لهذا الاعتراض معنى الثاني على مذهب الآخر

يقولون آمنا به خبر مبتدأ محذوف كما صرح به كثير منهم والحذف خلاف الاصل على ان الجملة الفعلية صالحة للابتداء من غير احتياج
الى اعتبار حذف المبتدأ ويجوز ان يكون يقولون حالا من المعطوف فقط اى الراسخون لعدم الالتباس وضمير به للمتشابه
او للكتاب في الفائدة في انزال المتشابهات هي الابتلاء فكما ابتلى الجاهل بالامعان في طلب العلم ابتلى الراسخ في العلم
بالتوقف عن طلبه وكبح عنان ذهنه عنه وهذا اى ابتلاء الراسخ اعظم النوعين بلوى لكونه في ترك المحبوب ولانهما جلدوا
لا يقه اشق فثوابه اكثر فان قيل ما من آية الا وقد تكلم العلماء في تأويله من غير نكير من احد فهذا كالاجماع على عدم وجوب
التوقف في المتشابه اجيب بان التوقف انما هو عن طلب العلم حقيقة لا ظاهرا والايمة انما تكلموا في تأويله ظاهرا لا حقيقة
ولعمري ان جميع القران من هذا القبيل لانه بحر لا تنقضي عجايبه ولا تنتهي غرايبه حيث اشتمل على الدقايق والاسرار والخواص
الخارجة عن طوق البشر فلا يمكن للبشر الغوص على لاليه والاحاطة بكنهه وحقيقة ما فيه ومن ههنا قيل هو معجز
المعنى ايضا وبعضهم رجح الثاني اى المذهب القايلين بان الراسخين يعلمون تأويل المتشابه عطفا للراسخين على الله
وتركا للوقف على الله بوجوه اما اولا فلانه لو اريد بيان حظ الراسخين مقابلا لبيان حظ الزايغين لكان المناسب ان يقال
واما الراسخون فيقولون واما ثانيا فلانه لا فايدة ح في قيد الرسوخ بل هذا حكم العالمين كلهم واما ثالثا فلانه ح
لا ينحصر الكلام في المحكم والمتشابه على ما هو مقتضى ظاهر العبارة حيث لم يقل ومنه متشابهات لان ما لا يكون متضح المعنى
ويهتدي العلماء الى تأويله ورده الى المحكم مثل الى ربها ناظرة لا يكون محكما ولا متشابها بالمعنى الذي ذكرتم وهو كثير
جدا واما رابعا فلان المحكم ح لا يكون ام الكتاب بمعنى رجوع المتشابه اليه اذ لا رجوع اليه لما استأثر الله تعالى كعدد الزبانية
ووقت قيام الساعة ومدة بقاء الدنيا وخواص الاعداد وعن رسول الله صلعم اعربوا القران واتبعوا غرايبه وغرايبه
فرايضه وفرايضه حدوده وحدود القران حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا
بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بامثاله رواه ابو هريرة رضي الله عنه وكليهما مذهب السلف اما الاول فظاهر واما الثاني
فلكونه ايضا في القران الاول والثاني فقد نقل تأويل المتشابهات عن الصحابة والتابعين وعن ابن عباس انه كان يقول
الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه وانا ممن يعلم تأويله كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وقرأ
عبد الله ان تأويله الا عند الله وقرأ ابي ويقول الراسخون وما يذكر الا اولوا الالباب عطف على قوله وما يعلم تأويله
الا الله او يقولون على انه مدح للراسخين بحسن التأمل والقاء الذهن وجودة النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس قيل اتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته
وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فاجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب وغيرها وبانه صوره
في الرحم والمصور لا يكون اب المصور وقد الضحاك وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا استيناف
او من مقال الراسخين والازاغة الاضلال بدليل وقوعه في مقابلة الهداية اى لا تضل قلوبنا عن الحق
الى الباطل وعن الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه وقال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا وقرى لا تزغ قلوبنا بالتاء
والياء ورفع القلوب قال ابو الفضل كذا كذا في مصحف ابن مسعود وقرا ابن ادهم لا يزغ بفتح الياء وضم الزاء والقلوب

حميد بن الربيع عن الاصمعي عن نافع لا تزغ بفتح التاء وضم الزاء بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين و بعد
نصب على الظرف واذ في محل الجر باضافة اليه وقيل هو بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة اي اثنا من خزاين رحمتك رحمة
وهي الثبات على الحق والمغفرة والرزق والامن من الضلالة كلها والتوفيق للخير كله وقيل تثبيتا على الهدى انك انت
الوهاب لكل سوال وكثير العطا بلا عوض فهو صفة فعلية وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما
ينعم على عباده لا يجب عليه شي ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزائه كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع اي
لحسابه او لجزائه وقرى جامع الناس على الاصل لا ريب فيه في وقوع ذلك اليوم وحسابه وجزائه تنبيها به على ان
معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال ان الله لا يخلف الميعاد وعدل عن الخطاب الى اسم الظاهر
تنبيها على ان الحكم مرتب على ما يدل عليه اسم الله تعالى ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله
والميعاد بمعنى المصدر الزمان او المكان قال البيضاوي واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلايل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا يعني جميع الكفار وقيل اليهود وقيل وفد
نجران وقيل مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا يقال اغنى عنه اذا اجزا عنه وكفاه فشيئا
مفعول به ومن بدلية كما في قوله وان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله و[illegible] وعذابه شيئا
اي بدل رحمة وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك
وعبادتك وما عندك ويجوز ان يكون نصبا على المصدر وقيل على الحال ومن الله صفة له قدم عليه تقديره لن تدفع عنهم
الاموال شيئا من الله وقد يجعل مفعولا به لما في اغنى من معنى الدفع لانه في الاصل رفع الحاجة لكن هذا لا يستقيم على ما ذكرنا
لظهور ان ليس المراد لا تدفع عنهم شيئا بدل رحمة وطاعة ولا يدفع الظن بدل الحق وقرا علي كرم الله وجهه لن يغني بسكون
الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين حيث استثقل الفتحة التي هي اخف الحركات وقرا ابو عبد الرحمن
لن يغني بالياء واولئك هم وقود النار حطبها وقرا الحسن وقود بضم الواو وعن رسول الله صلعم اولئك هم وقود النار
اولئك وقود النار بغيرهم وقرى وقود بالضم بمعنى اهل وقودها كداب ال فرعون والكاف مرفوع المحل اي داب
هولاء الكفرة كداب ال فرعون في الكفر او في محل النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن ال فرعون
او توقد بهم النار كما توقد بال فرعون والداب وان كان في الاصل مصدر داب في العمل اذا كدح فيه لكنه على الاول
بمعنى الشان والحال وعلى الثاني في معنى المصدر الماخوذ من عامله اي عدم اغنا مثل عدم الاغنا عن ال فرعون
او توقدا بهم مثل التوقد بال فرعون تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك وان فلانا لمحارف كداب
ابيه تريد كما حورف ابوه وقرا طلحة بن مصرف كداب بفتح الهمزة والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف
كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد اي قد كذبوا او استيناف وقع تفسيرا لكدابهم عما فعلوا وفعل
بهم فيكون جواب سوال مقدر عن حالهم او استيناف لبيان الداب وخبرا ان نويت الابتداء بالذين من قبلهم والله
شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة وشديد العقاب في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير
قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وتحشرون الى جهنم يحتج على هذا القول انه يكون قوله قد كان
لكم اية خطابا لهم ليستقيم وقيل هم اليهود ولما غلب رسول الله عليه يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به

موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان احد شكوا فيه وقيل جمعهم النبي صلعم بعد وقعة
بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد
عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزل قوله قل للذين كفروا الاية وقد صدق الله وعده بفتح بلادهم وقتل بعضهم واجلا بعضهم ومعناه
على القصة الاولى لا تشكوا يا معشر اليهود فانكم ان غلبتم اليوم فستغلبون انتم غدا وتحشرون الى جهنم وعلى الثانية
ستغلبون هنا كما غلبت قريش وقرا حمزة والكسائي سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف على قولهم قولي لك ستغلبون والباقون بالتاء والفرق بينهما من حيث المعنى انه على تقدير الغيبة امر النبي عليه
بان يودي اليهم ما اخبره الله به من الحكم بانهم سيغلبون بحيث لو كذبوا كان التكذيب راجعا الى الله تعالى وعلى تقدير الخطاب
امره بان يخبرهم من عند نفسه بمضمون الكلام مما يجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم حتى لو كذبوا كان راجعا اليه عليه
فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكاين من نفس المتوعد به اي الامر الذي وقع به الوعيد والذي يدل عليه
اللفظ اي معناهما نفس الامر الذي وقع به الوعيد ومدلول اللفظ وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف تقديره بئس
المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم اية الخطاب لقريش على ما هو الوجه الاول او لليهود على الثاني وقيل للمومنين
في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله هم رسول الله واصحابه رضي الله عنهم وقرا مجاهد يقاتل بالياء و
اخرى كافرة هم مشركو مكة يرونهم مثليهم يرى المشركون المومنين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد
المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافا فهابوهم وتجنبوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم
من الله كما امدهم بالملائكة والدليل على الاول قراءة نافع ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة
او مثلي انفسهم قللهم في اعينهم اولا حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله وكان ذلك
ابلغ في القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر
الذي وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وقراءة نافع لا تساعد على هذا المعنى لان التقدير ان خطابكم
للمشركين وفاقا فينبغي ان يكون خطاب ترونهم ايضا لهم [illegible] في النظم فيلزم ان يكون الضمير على قراءة الغيبة
ايضا لهم ليتفق القراءتان وقرا ابن مصرف ترونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وقرئت فئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من فاعل التقتا الضمير وقرا ابن
عباس مثليكم راي العين رؤية ظاهرة معاينة فيكون قوله مثليهم مفعولا ثانيا على ان يرونهم متعديا الى مفعولين لكونه بمعنى
العلم على ما يستند الى المعاينة لا بمنزلة ان يقال يبصرونهم فان الروية لو كانت بمعنى الابصار وجب ان يكون موصوفا
بالابصار معنى النظر بخلاف ما اذا كانت بمعنى العلم والله يويد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين
العدو ان في ذلك اي تقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح
وكون الواقعة اية يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار اي لعظة لذوي البصاير ايضا
وقيل لمن ابصرهم وقيل لمن بصر الحق زين للناس حب الشهوات المزين هو الله لانه الخالق للافعال والدواعي وايضا
زينه للابتلاء لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع ويدل عليه قراءة مجاهد

زين للناس مبنيا للفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها وفرق الجبائي بين المباح
والمحرم وقوله حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وايماء على
انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى اني احببت حب الخير واصل الشهوة نزوع النفس الى ما تريده من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات وهي مزال الاقدام
وقدم ذكر النساء لكونهن اشهى الاشياء للنفس وايضا فتنتهن اشد من كل ما سواهن كما روي عن النبي عليه انه قال
ما تركت بعدي فتنة اشد من فتنة النساء ولانها الاصل والباقي تبع لها والمراد بالبنين الذكور من الاولاد على الاصل
او الاناث ايضا على التغليب والاول هو الاظهر والقنطار المال الكثير وقيل ملء مسك ثور وعن معاذ بن جبل الف
ومائتا اوقية وعن ابي هريرة اثنا عشر الف اوقية وعن مجاهد سبعون الف دينار وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار
ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وسئل الحسن عن القنطار فقال هو دية احدكم واختلف في انه فعلال
او فنعال والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والف مؤلفة اي كاملة وقال الطبري في ان
من شان العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه تاكيدا وتنبيها على تناهيه من
ذلك ظل ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر وقيل لا يبعد ان تكون المقنطرة من قنطرة الشيء رفعه ومنه القنطرة لانها
بناء مشيد والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من سوم الدابة واسامها والمطهمة وهي التامة الخلق
والانعام الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز سميت بذلك لان لين خلقها بخلاف الوحش وانها كانت اكثر نعم
العرب وهو اسم مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى ولذا ذكر ضميره في قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه هكذا قال سيبويه في كتابه وقرره السيرافي في شرحه وعن الفراء انه انما ذكر على معنى النعم فهو يذكر
ويؤنث ذلك اشارة الى جميع ما سبق على تاويله او تاويل المذكور متاع الحيوة الدنيا منفعتها سريعة الزوال والله عنده
حسن المآب اي المرجع وحث وتحريض على استبدال ما عند الله من اللذات الحقيقية الباقية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم يريد به التقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها كلام مستانف مبين لما هو خير اما اللام متعلق بخير او خبر جنات قدم عليه للحصر والاختصاص لان الذين اتقوا
المؤمنين بمحمد صالحين كانوا او طالحين فان التقوى لم يحصل لاحد الا بالايمان بالنبي عليه المعصوم الذي لا يتحقق الا
يمان والاسلام الا باتباعه وموافقته على ما روي عنه عليه انا زعيم والزعيم الكفيل لمن امن بي واسلم ببيت في ربض
الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في اعلى الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا فليمت حيث شاء ان يموت
وقيل يرتفع جنات على هو جنات وتؤيده قراءة من قرا جنات بالجر بدلا من خير وقيل يحتمل النصب عطفا على متعلق
والعامل يجعل عند ربهم في موقع الجر لجنات لان الظاهر تعلقه بالفعل على معنى ثبت لهم عند الله ثباتا لهم بالاخلاص
ولان ما عند الله هو الثواب ونحوه ولم يسع عند الله الجنة وقيل للذين اتقوا الشرك والفواحش والكبائر وقيل
للذين اتقوا الريبة فلا يشغلهم عن طاعة الله تعالى ومما يعضد الاول ما روي ان السورة نزلت من اولها الى
نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به النبي عليه على وفد نجران واجابه عن شبههم قال ابو البقاء ذلكم في موضع
النصب بالجزاء بما يفضل وكلكم فصلة انه افعل التفضيل اذا اشتمل من يكون مفعولا لان افعل التفضيل في معنى

تفضيله وخالدين حال مقدرة من الذين اتقوا والعامل الاستقرار وازواج مطهرة مما في النساء من الحيض والاستحاضة
ومن الاقذار والادناس اي غير ذلك مما على نساء الدنيا وفي مصحف ابن مسعود وازواج مطهرات ورضوان
ورضوان من الله قرا عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي عليم باعمالهم فيجازيهم عليها او باحوال الذين
اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان
من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها وطوبى لمن انعم عليه بالرضوان الذين يقولون مدح منصوب او مرفوع بتقدير
اعني الذين يقولون او هم الذين يقولون وقيل مجرور صفة للمتقين او للعباد وهذا بعيد جدا لانه اذا جعل اللام
في للذين اتقوا متعلقا بخير من ذلكم لكثرة الفاصل واما في جعله صفة للعباد فالبعد من جهة المعنى تخصيص كونه بصيرا بالعباد
المخصوصين ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على
انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لها ولا يخفى ما في هذا الكلام من النصرة والتقوية للوجه الاول
الذي ذهبنا اليه وهو ان المراد بقوله للذين اتقوا اهل الايمان مع قطع النظر عن صلاحهم وفسقهم وقرا
الجافي ربنا امنا بغير اننا الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وتوسيط الواو
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع
الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما
بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو الطاعة والدعاء والقيام واما بالمال وهو
الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وخص الاسحار لان
الدعاء فيها اسمع واقرب الى الاجابة وعن ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الاخر ودبر
الصلوات المكتوبات وعنه عليه السلام اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الاخر فان استطعت ان
تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن وعنه عليه السلام ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وسئلت عائشة رضي الله عنها
بم كان رسول الله صلعم يفتتح اذا قام من الليل فقالت كان اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا
وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني
اعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلوة ولعلهم كانوا يقدمون قيام الليل و
يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون فان حسن طلب الحاجة بعد الوسيلة اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا
نهارهم وهذا ليلهم شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات
من الدلائل السمعية الناطقة بها كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرهما وشبهت بشهادة الشاهد في البيان والكشف فهو
استعارة تصريحية تبعية وكذلك شهادة الاقرار والاحتجاج من الملائكة واولي العلم من الثقلين بذلك
فان قيل الاقرار مع مطابقة القلب حقيقة الشهادة لا شبهة بها ولو سلم انه لا بد من زيادة خصوص فهي حاصلة
من الملائكة والثقلين فاي حاجة الى ارتكاب المجاز وما بني ذلك الا على امتناع الجمع بين الحقيقة والمجاز

الجمع بين معنيين مجازيين كالدلالة والاقرار اجيب بان الدلالة والاقرار من افراد معنى مجازي
هو الامر المشبه بالشهادة والمعنيان المجازيان يمتنع ارادتهما وانما لم يعتبر تقدير اعادة الفعل ليكون الاول مجازا والثاني
حقيقة لانه خلاف الظاهر مع الغنية عنه بالمجاز المستفيض وقرا ابن عباس انه بكسر الالف وقرا ابو نهيكة ابو الشعثاء
شهداء الله بالمد والاضافة وروي ابو المهلب عن محارب بن دثار شهداء لله بالمد والرفع غير مضاف وروي عنه كذلك
الا انه منصوب على المدح وقيل على الحال وروي عنه ايضا شهداء لله وفي حرف ابن مسعود شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قيل هم الانبياء عليهم السلام وعن ابن كيسان المهاجرون والانصار وعن مقاتل علماء مومني اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه وعن السدي والكلبي علماء جميع المومنين يعني من الثقلين وهو الاصح قائما بالقسط والباء
للتعدية اي مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال وما يثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم
لبعض والعمل فيما بينهم على طريق العدل والسوية وانتصابه يحتمل ثلثة اوجه فان انتصابه اما على انه حال موكدة
من فاعل شهد وهو الله تعالى كقوله هو الحق مصدقا وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم الالباس
كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو في لا اله الا هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه
او اثبته واما على المدح من فاعل شهد او ضمير هو والمنتصب على المدح كما جاز ان يكون معرفة كقولك الحمد لله
الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب كذلك يجوز ان يكون نكرة كقول الهذلي ويأوي
الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي واما انه صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو والفصل
بين الصفة والموصوف جائز سيما اذا كان بالخبر والبدل على الا هو لانه ليس باجنبي وهو اي قيامه بالقسط
داخل في المشهود به اذا جعلته حالا او مدحا من هو او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا
هو وانه قائم بالقسط ثم انتصابه حالا او مدحا من هو اوجه من انتصابه من فاعل شهد لكونه ادل على المقصود اعني دخول
التعديل تحت الشهادة كالتوحيد ووافق بما عليه غالب الاستعمال من كون الحال الموكدة عقيب الجملة الاسمية حتى ذهب
كثيرون الى انها لا تكون الا كذلك ولانه اقرب وقرا عبد الله القائم بالقسط على البدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا
ابو حنيفة قيما بالقسط لا اله الا هو كرره للتاكيد وزيادة الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة
وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز عليه للعلم وتضمنهما معنى الوحدانية والعدل
فان العزة تلائم الوحدانية والحكمة تلائم القيام بالقسط فاتى بهما لتقرير الامرين على ترتيب ذكرهما وقيل لتقدم العلم
بقدرته على العلم بحكمته وارتفاعهما على البدل من هو لامتناع وصف الضمير وهذا بناء على ان الواقع بعد الا في مثل لا اله
الا هو خبر لا بدل وقد مر الكلام في ذلك وان كان المشهور ان الخبر محذوف اي لنا او موجود ونحو ذلك والا هو بدل والمعنى
انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر والحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله اي لا يميل عن السوية وعدم فيهما او على الخبر المحذوف
مثلها قراءة عبد الله القائم بالقسط بعينه وقيل على الصفة لفاعل شهد وقيل تكرار لا اله الا هو تنبيه على انه نتيجة الشهادة وفائدة
اذا شهد الله والملائكة واولوا العلم فقد صح ان لا اله الا هو وعلى استحباب تكرار هذه الجملة فانها اشرف ما يذكر به الله وقد روي
في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدي الجنة وعن علي رضه ان رسول الله عليه قال ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين من ال عمران شهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم
مالك الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب

مشفعات

مشفعات ما بينهن وبين الله حجاب لما اراد الله تعالى ان ينزلها تعلقن بالعرش وقلن تهبطنا الى
ارضك والى من يعصيك قال الله تعالى بي حلفت لا يقراكن احد من عبادي دبر كل صلوة الا جعلت الجنة ماواه على
ما كان فيه والا اسكنته حظيرة القدس والا نظرت اليه كل يوم سبعين نظرة والا قضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للجملة الاولى وهي شهد الله انه اه وقيل مضمون قوله انه لا اله الا هو وقيل قوله
لا اله الا هو المذكور ثانيا وتعريف الطرفين يفيد الحصر والاختصاص اذ المعنى ان الدين هو الاسلام لا غير الاسلام
فيكون من قبيل قصر المسند اليه على المسند وقال ابو البقاء عند الله ظرف والعامل فيه الدين وليس بحال لان ان لا تعمل
في الحال وقرا الكسائي ان الدين بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه كانه قيل شهد
ان الدين عند الله الاسلام وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني
وما بينهما اعتراض موكد او اجرا شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وقرا عبد الله ان لا اله الا هو
وقرا ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرا شهداء لله بالنصب على انه
حال من المذكورين قبله اي الصابرين والصادقين الى الاخر وهذا اولى بانتصاب الحال عن الصفة الا ان يجعل
المذكورون نصبا على المدح بناء على ان الذين يقولون رفع على المدح وبالرفع على هم شهداء لله وعلى هذه القراءة
اعني قراءة شهداء لله بلفظ الجمع نصبا او رفعا يكون قوله والملائكة واولوا العلم عطفا على الضمير في شهداء وجاز
لوقوع الفاصل بينهما وقيل العطف على المستكن لوقوع الفاصل انما هو على تقدير الرفع واما على تقدير النصب فالملائكة
واولوا العلم مبتدا محذوف الخبر اي وهم كذلك ولا يخفى ما فيه من التحكم وتوهم بعضهم شهداء لله بالاضافة وليس كذلك
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى حيث اختلفوا فيما بينهم فثلثت النصارى واثنت اليهود
اثنين وادعى كل من الفريقين تفرده بالاستحقاق وان الاخر ليس على شيء وقيل المراد باختلافهم اختلافهم في نبوة محمد
صلعم حيث امن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من امن بموسى ومنهم من امن بعيسى
وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وذلك ان موسى عليه حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم
امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا
على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله
وقيل هم ارباب الكتب المتقدمة اختلفوا في دين الاسلام حيث قال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه
اخرون مطلقا والحاصل ان الاختلاف اما في التوحيد او في نبوة محمد عليه او في الايمان بالانبياء او في الانبياء او في
عيسى او دين الاسلام والاحسن ان يراد الاختلاف في الكل على ما يشعر به وروده مطلقا من غير تصريح بما اختلف فيه
على ان منها ما يلائم سياق الكلام وسياقه الا لاختلاف الا من بعد ما جاءهم العلم اي من بعد علمهم انه حق او بعد ما
تمكنوا من معرفتها بالايات والحجج بغيا بينهم مفعول له لما دل عليه ما والا من ثبوت الاختلاف بعد مجيء العلم كانه
ما ظهر الا زيادة فيما بينهم يعني ما كان ذكر الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب للشبهة وخفاء في الامر بل
لبغي بينهم وتحاسد على الرياسة وحظوظ الدنيا وحرص عليها ومن يكفر بايات الله التي هي توجب الاسلام وتقتضي
حصوله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم نوديا انه يجازيه بجمع الخلائق في وقت واحد يقضي كل واحد منهم انه

انه بعابته خاصة فان حاجوك فان جادلوك في الدين بعدما اقمت الحجج القاطعة فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت
نفسي وجملتي لله وحده لا اشرك فيها غيره بان اعبده وادعو الهاً معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة الاية فهو
اي قوله اسلمت دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة وانما عبر
بالوجه عن النفس والجملة تجوزا لان الوجه مجاز عن نفس الشيء وذاته كما في كل شيء هالك الا وجهه ويبقى وجه ربك او
من جملة الشخص تعبيرا عن الكل باشرف الاجزاء فانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل او مفعول معه فالواو بمعنى مع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين من اليهود والنصارى والذين
لا كتاب لهم كمشركي العرب والظاهر انه عطف على فقل اسلمت وقيل هو عطف على الجملة الشرطية والمعنى فان حاجك اهل
فادفع محاجتهم ومجادلتهم ثم عمم الدعوة وقل لاهل الكتاب وغيرهم ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب
الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسالة ولم تبق من البيان
والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر
وفي هذا الاستفهام استقصار اي نسبة الى التقصير وتعيير لهم بالبلادة والمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له
الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في فهل فهمتها
توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتباعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنتهي عنه فالا
ستفهام ليس على حقيقته اذ ليس القصد في مثل هذا الى حقيقة الاستفهام لعدم اقتضاء المقام فان اسلموا فقد اهتدوا
فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور فقوله اهتدوا كناية عن هذا المعنى والا
فلا فائدة في الشرطية وكذا الكلام في انما عليك البلاغ وقرا اليماني فقد هدوا بضم الهاء بغير التاء وان تولوا
فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك فانك رسول منبه فانما عليك الان تبليغ الرسالة والتنبيه على طريق الهدى وقد بلغت
ونبهت وهذه تسلية لرسول الله عليه وتسوية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم و[illegible] تصميمهم
على الكفر وعن رسول الله صلعم انه قال ان الله تعالى ارسلني برسالة فضقت بها ذرعا وعلمت ان الناس مكذبي فاوعد
ان ابلغها او ليعذبني رواه ابو هريرة ره والله بصير بالعباد وعد ووعيد اي عالم بهم فيجازيهم على حسب اعمالهم ان الذين
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم هم اهل الكتاب الذين في عصر النبي عم قتل اولوهم الانبياء واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرون راضون بافعالهم
ويقصدون قتل النبي عم والمؤمنين وذلك في حكم القتل فكانوا مستمرين على قتل الانبياء واتباعهم فصح المضارع الدال
على الاستمرار ويكون الحكم على المعاصرين بقرينة قوله فبشرهم لا على المجموع ليلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز على ما قد
يتوهم من ان الماضيين قد انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا واما الاستمرار على القتل في الكل ايضا مجاز فلا جمع
وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف
ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام
مائة واثنى عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا

من اخر النهار وقرا الحسن يقتّلون النبيين بغير حق وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا
وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون بعطف الذين على النبيين من غير اعادة الفعل وقد منع سيبويه ادخال
الفاء في خبر ان كليت ولعل والقول ما قاله الاستاذ ولذلك قيل الخبر قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا
والاخرة كقولك زيد فافهم رجل كريم والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلاف انهما فانه ليت ولعل يغيران معنى الابتدا
لنقلهما الكلام من الاخبار الى الانشاء وقرا الحسن وابو واقد حبطت وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب
والخزي في الدارين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب التنكير للتعظيم وقيل للتكثير واللام للعهد
اشارة الى التورية يريد احبار اليهود وانهم اوتوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع عظمه
ووفوره ليس الا البعض من التورية لتعذر الاحاطة البشرية بكلام الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر
الذي اوتوه هو التورية فالمراد بالايتاء الانزال عليهم واطلاعهم عليها لا التحصيل كما زعم بعضهم او للجنس
اشارة الى جنس الكتب السماوية المنزلة ومن للتبعيض او للابتداء ويجوز ان يكون للعهد اشارة الى اللوح ومن للابتدا
والنصيب التورية وهي نصيب عظيم ووصفها بالعظم انسب من وصفها بالكثرة وقيل تنكيره يحتمل التعظيم والتحقير
والاول مسلم مقبول بخلاف الثاني فانه غير مقبول ولا معنى له على ما يظهر بادنى تامل يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم الداعي محمد صلعم وكتاب الله التورية لما روي انه عليه دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اي دين انت قال على دين ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت
وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه اي اختلف النبي عم واليهود في ملة ابراهيم كان يهوديا او حنيفا مسلما
واختلف عم واليهود في الرجم وذلك ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان الحكم في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما فيهم فاختصموا الى النبي عم رجاء ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقالوا جرت علينا يا محمد
ليس هذا حكم الله فقال عم بيني وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا فقال من اعلمكم بها فقالوا رجل يقال له ابن
صوريا فدعا به فقال له النبي عم انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فدعا عم بشيء من التورية كتب فيه الرجم
فقال اقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها وقرا ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها فقام و
كف عنها ثم قرا على النبي عم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت البينة رجما وان كانت حبلى
تربص وان كانت حتى تضع حملها فامر النبي عم برجمهما وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه
كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم مبنيا للمفعول والوجه في نظم الاية ان يراد اختلاف واقع فيما بينهم ممن
اسلم من احبارهم ومن لم يسلم وانهم دعوا الى التورية كتاب الله الذي لا ريب لهم في صحته ليحكم بين المحق والمبطل
منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا لا اختلاف ذكر بين اليهود والرسول في دين ابراهيم عليهما السلام
او في الرجم وذلك بدليل قوله ليحكم بينهم فانه يقتضي اختلافا واقعا فيما بينهم لا بينهم وبين النبي عم وفيه دليل على ان
الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله
واجب وهم معرضون وهم قوم ديدنهم الاعراض والجملة اعتراض لا حال لقلة فائدة تقييد التولي به وان اشتغل
على ان يكون حالا مؤكدة وهي ما لزم لذي الحال بخلاف المنتقلة ولا صفة لفريق على ما في تفسير الكواشي لقلة الفا

وقلة الواو في الصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
بسبب تسهيلهم عن انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل طمعا فارغا واعتقادا زائغا
وغرهم وخدعهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم
او انه تعالى وعد يعقوب عليه ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه كيف سؤال
عن الحال والفعل محذوف اي فكيف يكون حالهم وهذا الاستفهام استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتهويل لهم
ودلالة على انهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل باطل واعتقاد زائغ
وطمع فارغ روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله ثم على رؤس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد
في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير عايد
الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي قل اللهم الميم المشددة فيه عوض
من حرف النداء لان الاصل يا الله ولذلك لا يجتمعان فلا يقال يا اللهم الا ضرورة كقوله اذا ما حدث الما
اقول يا اللهم يا اللهما واوثر الميم لقربه من الواو التي هي حرف علة وشدد لكونه عوضا عن حرفين وهذا الحذف و
التعويض بعض خصايص هذا الاسم اي الله كما اختص بالتاء في القسم وجمع حرف النداء مع لام التعريف وبقطع همزته حال النداء
وتفخيم لامه وبغير ذلك وهذا الكوفيون اصله يا الله امنا بخير ثم كثر حتى خفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل
وهمزته كما قالوا صباحا اي انعموا اوفي ايش اي اي شيء ورد بانه يستلزم الجمع في السعة وان يمتنع مثل اللهم الا يجوز نعم
العنه واهلكه مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيما يمكن التصرف فيما تصرف الملاك فيما يملكون وهو
نداء ثان عند سيبويه لا صفة لان الميم عنده تمنع الوصفية لكونه بمنزلة صوت مضموم الى اسم مع بناءهما على معنيهما
مثل سيبويه وعمرويه بحيث صار الصوت جزء الكلمة وقال الزجاج وغيره ان مالك الملك صفة له كما يوصف بالمقرون
مع حرف النداء فلا يمتنع الميم تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك
من الملك وتنزع الملك ممن تشاء وتسترد النصيب الذي اعطيته فالملك الاول عام والاخران خاصان منه
واللام في الثلثة للجنس فان المعرف بلام الجنس يصلح بان يراد بجميع افراد الجنس وان يراد البعض الى الواحد
والى الكثير بحسب القراين ووجه عموم الاول ان ملك الله ليس ملكا دون ملك ووجه خصوص الاخرين
وبعضيتهما ان ملك الناس بالنسبة الى بعض دون بعض وان المعطى والمنتزع حصة من الجنس البتة وقيل المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالتوفيق
والخذلان والنصر والادبار بيدك الخير في ملكك وتصرفك كله او بتقديرك الخير وهو الاصوب لقولهم ان في بعض
ما ارادة الله ثم من الكتب اي انا اسر لا اله الا انا قدرت الخير والشر انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه
المقضي بالذات او لرعاية الادب في الخطاب او لان الكلام في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته
الكفرة اذ روي ان النبي عم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات
من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك وروي انه عم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل

عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله عليه يخبره فجاء واخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء منه
ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني
جبريل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه
يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون
ان تبرزوا فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير على ان كل افعال الله من نافع وضار
صادر عن حكمة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته الكاملة على معاقبة الليل والنهار
وخلق الموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على تلك الافعال فهو قادر على معاقبة الذل والعز وان ينزع
الملك من العجم ويؤتيه العرب وفي بعض الكتب انا الله مالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وهو معنى قول النبي عم كما تكونون يولى عليكم اي ان كنتم اهل الطاعة يولى عليكم اهل الرحمة وان كنتم اهل المعصية
يولى عليكم اهل العقوبة والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب
او الزيادة والنقص واخراج الميت من الحي وبالعكس الانشاء كانشاء ابراهيم من آذر وكنعان من نوح والطيب
من الخبيث وبالعكس وعن ابن مسعود وسلمان قال رسول الله صلعم ان الله تعالى خمر طينة ادم اربعين يوما وليلة ثم اخذها
بيده ثم قال هكذا يعني قطعها بيده فخرج في يمينه كل نفس طيبة وخرج في يده الاخرى كل نفس خبيثة ثم شبك بين اصابعه
حتى خلطهما فلذلك يخرج الحي من الميت والميت من الحي والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وكذلك من انشاء
الحيوان من النطفة وبالعكس والطير من البيض وبالعكس ولك ان تقول الذاكر وغيره لقوله مثل الذي يذكر ربه
والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت وكذا بغير حساب وجه بغير محاسبة فانه يعطي من يشاء ما يشاء لا يحاسبه عليه او
تقدير وحد وبغير استحقاق فان من اعطى على قدر الاستحقاق فقد اعطى بحساب وعن ابن عباس ان النبي عم قال ان اسم الله
الاعظم اذا دعي به اجاب قل اللهم مالك الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا
عن موالاتهم الكافرين لقرابة او صداقة جاهلية او غير ذلك من الاسباب التي يتصادقون بها ويتعاشرون حتى لا يكون حبهم
وبغضهم الا في الله فانه من اعظم اصول الايمان وعندهم تعدون اي غريب الايمان اوثق فلنا القلوع قال الصلوة
وليست بذلك فقلنا الصيام فقال مثل ذلك حتى ذكرنا الجهاد فقال مثل ذلك ثم قال اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
وقد كرر ذلك في القران او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية من دون المؤمنين اي من غيرهم يعني انهم
الاحقاء بالموالاة وان لهم في الاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين وحاصله النهي عن ايثار ولايتهم على ولاية المؤمنين
فكانه قيل فلا تؤثروهم على المؤمنين ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته قال تعالى لو كنتم
صديقك الميل لنوك عنك بعازب و الظرف كان صفة لشيء فاذا قدم صار حالا الا منه الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان
تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاءه

تتم لهم انهم بحرم وقد قاسمهم ... العقيدة العامة الدينية

تقية عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عم كن
وسطا اي في مخالفتهم ومعاشرتهم وامش جانبا اي موافقتهم فيما هم عليه فمنع هذا من للابتداء متعلق بتتقوا وتقاة مصدر
بمعنى المفعول به وقيل يجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن ويكون تقية او تقية منصوبا على المصدر
كقوله اتقوا الله حق تقاته وفيه تنبيه على ان حذر وخاف جعل متعديا بمن بخلاف اتقى فانه ليس الا متعديا بنفسه ويحكم
في كتب اللغة خاف وحذر لا متعديا بنفسه ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة الامر
المتصفة بعلم ان يحيط بكل شي وقدرة ازلية شاملة ليجتنبوا عن سخطه ولا يغفلوا عنه وليعلموا ان المحذر منه عقاب
يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تبدوا ما في صدوركم او تخفوه يعلمه الله اي يعلم ضمايركم من ولاء
الكفار وغيرها تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه من شي قط فلا يخفى عليه سركم وجهركم
والله على كل شي قدير فهو يقدر على عقوبتكم والاية كالتعليل لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه لانها
متصفة بعلم ذاتي المعلومات كلها وقدرة تشمل المقدورات باسرها فلتحق عليكم ان تحذروها وتتقوا منها وان لا تجسروا على
عصيانه لانه ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها وقدم ان العلم اعم من القدرة يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم يجيء
القيمة حين تجد كل نفس صحايف اعمالها من الخير والشر حاضرة تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا
بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او
عمل السوء او خبر لما عملت من سوء وتجد واقع على ما عملت من خير وحده والضمير في بينه لما عملت من سوء اي والذي
عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا
يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الموصولة اولى لكونها اوفق لفظا بقراءة المشهور والجري معنى على سنن
الاستقامة لان هذا الكلام حكاية الكاين في ذلك اليوم فيجب ان يحمل على ما يفيد الكينونة والوقوع ولا كذلك
الشرطية فان معنى ما صنعت هذا اود الامر الذي لا يصح على الاستقبال ولا عمل سوء في الاستقبال
في ذلك اليوم على ان الشرط وان لم يدل على الوقوع فلا ينافيه فربما ينصرف اليه بحسب المقام وحديث الاستقبال
متقدر بكان وما كان عملت من سوء ومعنى قوله محضرا كمعنى قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم
يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه وقرا زيد بن علي محضرا بكسر الضاد وقرا ابن ابي عبلة ودت لو ان بينها
والامد المسافة كقوله ليت بيني وبينك بعد المشرقين ويحذركم الله نفسه ذكره مرتين لفايدتين فان ذكره
اولا للمنع عن موالاة الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع عن عمل السوء وقيل كرره ليكون ذلك على بال منهم
لا يغفلون عنه وقيل كرره للتوكيد والتذكر والله رؤف بالعباد يشير الى انه تع انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة
لصلاحهم لانهم اذا حذروه دعاهم ذلك الى ابتغاء مرضاته واجتناب سخطه ومن الحسنة من رافته بهم
ان حذرهم نفسه والى انه تعالى مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو
عقاب اليم فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة في الاصل ميل القلب الى الشيء
لتصور كمال فيه بحيث يرغب فيما يقربه اليه ثم استعمل للارادة فمحبة العبد لله ارادة طاعته وامتثال اوامره ونواهيه

ومحبة الله للعبد ارادة الله لكرامة العبد ومثوبته على التابيد وهو المشهور وقيل المحبة من الوجدانيات التي لا ينكشف
عنها المقال غير الخيال وهو بالارادات اشبه منها بالادراكات وقد بينا ان محبة العبد لله تع كيفية روحانية مترتبة على
تصور الكمال المطلق الذي يفر على الاحتراز ومقتضية للتوجه التام الى الحضرة القدسية بلا فتور وقرار واما محبته لغيره
فكيفية مترتبة على تخيل كمال فيه من لذة او منفعة او مشاكلة تخيلا مستمرا كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه و
لولده والصديق لصديقه ولقد سئل الاولياء عن معنى المحبة قدس الله سرهم انه اذا تكلم في المحبة جعلت قناديل التنور
تجيء وتذهب يمينا وشمالا وقيل له تكلم في المحبة فقال لا اعلم احدا على وجه الارض يستاهل الكلام في المحبة فوقع بين يديه
طير فقال ان كان هذا وجل يكلم في المحبة والطير يضرب بمنقاره الارض الى ان سال الدم منه ومات وبالجملة اذا اراد
الله بعبد الخير كله وان ينقله من الذل كله الى العز كله جعله متبعا لنبيه واذا اراد به الشر كله جعله تابعا لرايه وما هلك
جهال الفلاسفة والمتفلسفين كابن سينا ونحوه حيث اتبعوا اراءهم الفاسدة ولم يتبعوا انبياءهم فضلوا واضلوا لا لكم
فاطمة على مجرد ذلك ومن سقراط انه سمع بموسى عم وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا
وهذا هو الضلال المبين والغواية التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم وهم بها فرحون والمعنى ان كنتم تريدون طاعة
الله على الحقيقة فاتبعوني اي فاطيعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة طاعته وقرئ فاتبعوني بفتح الياء اجراء بكسرة
النون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم اي يرضى عنكم ويكرمكم ويكفر سيئاتكم ويخرجكم من الضلالة الى الهدى ويدخلكم
جنات النعيم روي ان النبي عم لما دعى كعب بن الاشرف واصحابه الى الاسلام قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولنحن اشد
حبا لله فنزلت تكذيبا لهم وتنبيها لغيرهم واصحابه الى الاسلام ايضا على ان محبة الله انما هو في اتباع نبيه عم في الاسلام
وعنه عم ايها الناس من ابغضنا اهل البيت حشره الله يوم القيمة يهوديا وان صام وصلى وزعم انه مسلم وقيل نزلت في
زعم اقوام على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل وعنه ايضا اربع من كن فيه القى الله
محبته عليه ونشر عليه رحمته من بر والديه ورفق بمملوكه وكفل اليتيم واعان الضعيف وقد ذكر الزمخشري ههنا حشوا كثيرا
من الطعن على اولياء الله وكتب ما لا يليق بالعاقل ان يكتب مثله في كتب المزاح والفحش وذلك ليس الا من خبث باطنه وعداوته
لاهل الحق وكلامه مضاد لكلام اهل الحق وبعد ما قيل سيد الطائفة ابو القاسم جنيد قدس الله سره من بعض الفقراء فقال هي
اسم الله الاعظم لذة الصيحة يوم القيمة فاعتبر وتنبه واستيقظ ولا تكن كالجاهل الذي هم
بالصيحة من لوازل القوم وقرئ يحبون من حبه يحبه قال ابو ... وان من حبه بحبه واعلم ان الرفق بالجاهل
ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق والفعلان مجزومان لوقوعهما جوابا للامر وقرا الزهري
يحببكم بتشديد الباء اي يحببكم الى الناس والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه وقيل نزلت في وفد نجران
لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله قل اطيعوا الله والرسول ولا تتبعوا شهواتكم والاطاعة كل الاطاعة في الرضا
ورسوله والاذعان لاوامره ونواهيه فان تولوا يحتمل المضي والمضارع بمعنى فان تتولوا وعلى الثاني يكون في
قل الا انه خطاب مثل اطيعوا فان الله لا يحب الكافرين اراد لا يحبهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم الذي هو التولي عن طاعة الله ورسوله فلا يريد بهم الكرامة والمثوبة من شي وليكون تعريضا بان التولي كفر
يجر عليه الاخرى ادخل عنقه في ربقة الكفر ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين اي

عليهم بالنبوة والرسالة وما يتعلق بهما ولذلك فازوا بما لم يفز به غيرهم وهذا في التحقيق توكيد لما قبله فانه تع لما اوجب طاعة الرسل وبين انها جالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم ومحاسنهم تحريضا عليها ودلالة على انهم العقلاء بها وهو مما استدل به على فضلهم على الملائكة وعن ابن عباس عن النبي عم ان الله تع فضل المرسلين على المقربين لما بلغت السماء السابعة لقيني ملك من نور على سرير فسلمت عليه فرد علي السلام فاوحى الله تع اليه سلم عليك صفيي ونبيي فلم تقم اليه وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعد الى يوم القيمة وال ابرهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وقد دخل فيهم رسول الله صلعم وعنه عم انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار الحديث ورواه النبي وفي حديث اخر قال اتاني جبريل فلقنني مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن نبت بن حمل بن قيذار بن اسمعيل بن الخليل ابرهيم الخليل الحديث الى ادم وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن يوزيم بن ربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راحيعم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح يعني انهم ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والذرية الولد يقع على الواحد والجمع والاخير هو المراد ههنا وهي فعلية منسوبة الى الذر بالفتح بمعنى البث لان الله تع قد بثهم في الارض او بمعنى النمل الصغيرة لما روى انه تع اخرجهم من صلب ادم كهيئة النمل والضم من تغييرات النسب كالجرمي في باب الراء من كما ترى ذرية الرجل ولده والجمع الذراري والذريات من ذرأت الخلق وفي باب الهمزة ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ اي خلقهم ومنه الذرية وهو نسل الثقلين الا ان العرب تركت همزها على التخفيف الثاني فعولة من الذرء ابدلت الهمزة ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت وقرئ ذرية بالرفع على هم ذرية والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من يصلح للاصطفاء يستقيم في القول والعمل او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وهي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن انه المراد وزوجته ورد بان كفالة زكريا دليل على انه عمران بن ماثان ابو مريم البتول لان زكريا كان معاصرا له وقد تزوج زكريا ايشاع بنت فاقوذ خالة مريم فكان عيسى ويحيى ابني خالة انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ولعلهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل ولعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا

محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل

مؤنث كالحبلة او النفس او النسمة وهذا الكلام تحزن وتحسر وليس باخبار فان غرضها من القاصر بطلب الخبر ليس افادة الحكم او لازمه بل اظهار ما ذكرناه ومنه قوله قومي هم قتلوا اميم اخي لان هذا الكلام تحزن وتفجع وليس باخبار يفيد على خيبة رجائها وعكس تقديرها والتحزن الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تع والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدرها اي والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولدها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك فلذلك تحسرت والواو في والله اعلم اعتراضية ليست بعاطفة ولا حالية وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر وقرأ ابن عباس والله اعلم بما وضعت بكسر التاء على انه خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره ومكانه وليس الذكر كالانثى بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما اما الانثى فلسبق ذكرها صريحا واما الذكر فلكونه اشارة الى ما سبق ذكره كناية في قوله رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فان لفظ ما وان عم الذكور والاناث لكن التحرير الذي هو اعتاق الولد لخدمة بيت المقدس انما يكون للذكور دون الاناث وقيل يجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس وهذا مما لم يقل به علماء البيان واني سميتها مريم عطف على قولها اني وضعتها انثى وما بينهما اعتراض كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم لان التسمية انما هي منها لا من الله بدليل واني اعيذها بك وانما ذكرت تسميتها مريم لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قيل وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة ومعنى اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ذكره البخاري ومسلم ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقرئ القبالة والبيابي ذريتها فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل به النذائر وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على حذف المضاف اي بذي قبول حسن يعني فتقبلها ملتبسة بهذا الامر وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل بمعنى استقضى واستعجل وهو كثير في كلامهم استقبل الامر اذا اخذه باوله والمعنى فتقبلها وخير الامر ما استقبلت صدره وليس بان تتبعه اتباعا اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن فتكون الباء صلة وعلى الاول للمعنى الباء ترجع الى الجملة القبول على الفعل بالواسطة وعلى الثاني في موضع الحال وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها بطريق الاستعارة او ذكر الملزوم

وابادة اللازم وكفلها زكريا قرأ حمزة وعاصم والكسائي بتشديد الفاء ونصب زكرياء والفاعل هو الله تعالى يعني
وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله فقال أكفلنيها وخفف الباقون
ورفعوا ومدوا زكرياء وقرأ ابن عمرو وكفلها بكسر الفاء وفي حرف ابن مسعود وكفلها زكرياء بالرفع وعن الا
عرج خركوي بالرفع والتنوين على لغة نجد هذا زكري ورايت زكريا ومررت بزكري وقرأ مجاهد فتقبلها
ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعو حنة ذلك اي فاقبلها يا ربها وربها
واجعل زكرياء كافلا لها كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها
بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم
تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب قيل سمي المحل
محرابا لانه محل محاربة الشيطان وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد
عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء و
جعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر وهو استفهام عن كيفية حدوثه او استعظام او تعجب قالت هو من
عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى في المهد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته
او بغير محاسبة او بغير استحقاق تفضلا به وهو اما من كلامها او من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت
للنبي عم رغيفين وبضعة لحم اثرته بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت
وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا و
بقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار
هنا وثم وحيث للزمان لانه لما رأى كرامة مريم وعظم قدرها عند الله رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد
اختها حنة في النجابة والمنزلة على الله وان كانت عاقرا عجوزا وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على ان ولادة
العاقر من الشيخ ممكنة قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة
اي هب لي ولدا كما وهبتها لحنة العجوز العاقر انك سميع الدعاء اي مجيبه واضافة السميع الى الدعاء اما من اضافة فعيل
الى فاعله على الاسناد العقلي حيث جعل دعاء الله سميعا والمراد سماع الله او من اضافة الصفة الى مفعولها واصله
سميع الدعاء فيكون من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولهم هذا رحيم اباه ومعطاء الدراهم وضراب جاره وسكوت
وحذرا امورا فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يلبس البرود ويركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده
وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو في حرف ابن مسعود قال عبد الله بن عمر ذكروا الملائكة في جميع
القرآن وكذلك ابن مسعود يذكر الملائكة في القرآن وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة والعامل صفة
قائم او حال اخرى او حال عن الضمير في قائم او خبر اخر ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ ابن عامر ونافع بالكسر على
ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرأ حمزة والكسائي يبشرك من الابشار وقرئ يبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى اسم اعجمي

فلم ينصرف للتعريف والعجمة وهكذا ان جعل عربيا للتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله اي مصدقا
بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه انما وجد بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب
اخر تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء فشابه البدعيات التي هي عالم الامر وقيل مصدقا
بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه ويفوقهم
في الشرف وكان يحيى فائقا للناس كلهم في انه لم يهم بسيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا مبالغا في حبس النفس
عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت تعالى
اذا لم يات النساء كانه حصر عما يكون من الرجال وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب
مربح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار ثم استعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو ونبيا من الصالحين
ناشئا من الصالحين لانه من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين
او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة لا انكار لما قالته
الملائكة او استعظام او تعجب او استفهام عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية
والمعنى ادركني كبر السن واثر في واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وقرأ ابن
تخصيص بلغني الكبر ونصبني التي يشكو الياء وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من
الاولاد وقال الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وقال الكلبي ابن ثنتين وتسعين سنة وامرأته قريبة السن منه قال كذلك
الله يفعل ما يشاء اي يفعل الله ما يشاء مثل ذلك الفعل وهو ايجاد الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وكما انت عليه وزوجك
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان
اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان
قال رب اجعل لي آية اي علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر وقيل لاتعجله بالبشارة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا الا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما
حبس لسانه عن تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
الجلية كانه لما طلب الآية لاجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق
من السؤال وانتزع منه وقرأ زيد بن علي وابن عمير وابن ابي عبلة ان لا تكلم بالرفع اي انك لا تكلم او ليس تكلم والرمز الاشارة
بالشفتين او الحاجب او اليد او غيرها واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع او
متصل المراد بالكلام ما دل على الضمير وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسل جمع رسول وقرئ رمزا
بفتحتين جمع رامز كخدم جمع خادم وهو حال منه ومن الناس دفعة اي مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة
ويكلمهم كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا وقيل كان منع الكلام عقوبة له لانه لما بشر
بالولد سأل الاية فاعتقل الله لسانه عن كلام الناس وان لم يحبسه عن ذكره وقيل كان كرامة له حيث جعل له
ظهور الحبل وعن السدي قال له الشيطان ان الذي سمعته من النداء بالبشارة من الشيطان ولو كان من الله
تعالى لاوحي اليك كما في سائر الاشياء فقال عند ذلك رب اجعل لي آية حتى اعلم ان هذه البشارة من الله فالآية

واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وبعزلك عن كلام الناس وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وهو المعنى قدرة
على التكلم بذكر الله مع حبس لسانه عن تكليم الناس من الايات الباهرة وقال البيضاوي تقييد الامر بالكثرة
يدل على انه لا يفيد التكرار قلت ليس الكثرة قيدا للامر وانما هو صفة مصدر محذوف اي ذكرا كثيرا الا يرى الى قوله
اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه وسبح بالعشي والابكار والعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب
صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار وسمعنا لا يعتبر لكراهة البغض واذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها
كرامة لها ومنهم من لم يحمله على الكرامة ميلا الى انكار الكرامات بل حمله على معجزة زكريا وهو بعيد لان الاتفاق
شرطها او على ارهاص نبوة عيسى وهو تأسيس واثباتها بظهور ما يشبه المعجزة من الخوارق قبل البعثة متقدما على
دعوى النبوة كاظلال الغمام على نبينا صلعم في طريق الشام وتسليم الحجر عليه وغير ذلك وهو بعيد ايضا فان الاجماع
على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك
من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية من رزق المحراب وتفريغ العبادة وروي نوح عن الجد بن موسى
عن الجعفر ان الله اصطفاك بفتح الالف وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك
اخرا على نساء العالمين بان ارسل الملائكة اليك ووهب لك عيسى من غير اب وجعلك وابنك اية للعالمين ولم يكن
شيء منها لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بذكر القنوت
لانهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها بعد واركعي مع الراكعين امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة
كانه قيل صلي ولتكن صلوتك مع المصلين لا منفردة او بان تواظب على ذلك بحيث تعد من جملتهم وتنخرط فيهم اي
وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في غير عدادهم ويجوز ان يراد بالركوع حقيقته
والكون مع من يركع في الصلوة لا مع الذين لا يركعون فيها فان اليهود لا ركوع لهم في الصلوة وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعة وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والانقياد لما امرها في قوله
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ذلك اشارة الى ما تقدم من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى اي ما ذكرنا
من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وفي مصحف ابن مسعود والتي نوحيها اليك وما كنت لديهم اذ
يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا ويجوز ان يكون
موصولا بمعنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته وقوله نوحيه خبره والعنوان هذا الشان يحصل الان الاخبر
بخبر الوحي الذي لم تحضره كذا واحادثهم ونحو تلقوا اقلامهم في النهر مغرقين وهذه التكم بقريش وغيرهم من
المكذبين المنكرين الوحي لانه لم يخف على احد من المنكرين انه لم يكن من حملة هذه الاحاديث واشباهه ولا لقي فيها
احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع
شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم بانكاركم عليه فلعله كان شاهدا
لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون ايهم يكفل مريم او ليعلموا او يقولون فهو في موضع نصب حال او المفعول له

والتعليق لا يجري الا في افعال القلوب وفي نحو عرفت فالنظر يراد به نظر البصيرة فيصح تعليقه وقد يراد كما يتطرقون
ليعلموا ايهم يكفل ميلا الى ان التعليق من خواص افعال القلوب والملحق هو الاول لوروده في استعمال الثاني على انه
تقييد من غير دليل يعتد به وعن ابن كثير وابي عبد الله المدني يكفل بفتح الفاء وزعم احمد اللؤلؤي انه قرا يكفل بكسر الفاء
وما كنت لديهم اذ يختصمون في شأنها تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الملائكة او من اذ
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله بالعبرانية مشيحا ومعناه
المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع وجعلهما مشتقين من المسح لانه كان ممسوحا
بالبركة او لانه مسح بالبركة او لانه لا يمسح ذا عاهة الا برئ او مسحه جبريل او خرج من الاوزار اي طاهرا او مسح الارض ولم يقم في موضع
ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته اذ لا معنى لاعتبار الاشتقاق في الاسماء الاعجمية لكن
المسيح مع اللام يجري مجرى المشتق كالخليل لابراهيم ثم الان وقال لما عرب اجري مجرى الاوصاف لكونه في
معنى المبارك وتذكير ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي
تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف فيحتمل اذ يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره مجموع هذه
الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز من غيره فالعلامة بها الامتياز هي مجموع الثلثة لا واحد ولا كل واحد
مظنة الاشتراك وليس المجموع علما واحدا كما في الشبهة حيث من النظر المتعلم بان العلم الاسم عيسى واما المسيح فلانه
فلقب وصفة وانما جاز ان يكون كل منها علامة مميزة وانما قيل ابن مريم والخطاب لمريم اعلاما بانه يولد من غير اب
لان الاولاد تنسب الى الاباء لا الى الامهات الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة
ولا يمنع الا في جواز الحال من النكرة الموصوفة وكذلك من المقربين ويكلم ومن الصالحين حال منها كانه قيل حال كونه
موصوفا بهذه الصفات والوجاهة في الدنيا النبوة والطاعة الناس له وفي الاخرة الشفاعة واكرام الله له بانه
اهله وعن رسول الله صلعم اوحى الله الى عيسى يا عيسى انتقل من مكان الى مكان لئلا تعرف فتؤذى فوعزتي وجلالي
لاني وجعلته الفي حوراء ولاولمن لك اربعمائة عام وقرئ زيد بن علي وجيها بكسر الواو ومن المقربين من الله
كونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة او اشارة الى علو درجته في الجنة وانما جيء عطفا على وجيها لا على
صفة النكرة اي انه المسيح لانه اقرب وانسب معنى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا
وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت بين الحالين والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه والكهل الذي انتهى
شبابه وذلك بعد الاربعين وفي ذكر حال الكهولة البشارة ارشاد الى انه يعمر الى الكهولة وفي الربيع
قال ان عيسى عليه السلام مكث في بني اسرائيل اربعين سنة رؤيته فاطر بعث النبي ثم وكلم صغيرا وكبيرا وكهلا بعد
من السماء ومن الصالحين قيل هو حال من الضمير في ويكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر استبعاد من حيث
العادة لا انكار او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره والواو فيه للحال لا للعطف قال كذلك الله يخلق ما يشاء
القائل جبريل او الله تعالى وجبريل يحكي له قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وقصر الكلام فيه وفيه اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة بلا اسباب ومادة ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ليطيب قلبها ويزيح ما اهمها من خوف اللائمة

تطييبا لقلبها وازاحة لهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج وقيل عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق
وتوجيه على الاول انه سواه الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله قالت انى يكون لى ولد الى اخره وقرا عاصم ونافع
ويعلمه بالياء والباقون بالنون اى ان الله يبشرك بعيسى ويقول نعلمه وعلى الاول تقديره ان الله يبشرك بعيسى
ونعلمه والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بتعظيما لشانهما والظاهر لفضلهما ورسولا الى بنى اسرائيل
ليس عطفا على شىء من المنصوبات السابقة وهى وجيها وما ذكر بعده لانها فى حكم الغيبة وهذا فى حكم التكلم بدليل
تعلق انى قد جئتكم به فيصير المعنى ويبشرك وجيها هو ورسولا انا بل هو منصوب بمحذوف وهو مفعول معطوف
على يعلمه تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى او بالعطف
على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق كانه قيل وناطقا بانى قد جئتكم وناطقا بانى اصدق ما بين يدى لكن فيه
خروج عن قانون التضمين على ان فى بعض تقادير يعلمه بنوع عن الوجه الاول لانه على تقدير عطفه على يبشرك
او يخلق يكون التقدير ان الله يبشرك والله يخلق ما يشاء ويقول عيسى ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا
ناطقا بانى اصدق عطفا على الخبر ولا رابط الا بتكلف عظيم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد
على من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى قد جئتكم باية من ربكم اصله ارسلت بانى قد جئتكم فحذف الجار و
انتصب بالفعل وانى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من انى جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هى
انى اخلق لكم والجملة صفة او مستانفة كانه قيل ما الاية فقيل هى انى اخلق وقرا عبيد بن عمير انى قد جئتكم
انى اخلق بكسر الالف فيهما وقرا نافع انى اخلق لكم بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير وقرا
الزهرى كهيئة بتشديد الياء غير مهموز فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا
باذن الله فيصير طيرا حيا كسائر الطيور بامر الله وارادته نبه به على ان طيرانه وحيوته من الله لا منه وقرا عبد الله
فانفخها قال كالطير فى تحتى بنفخ النفخ او قيل لم يخلق غير الخفاش وقرا ابو جعفر كهيئة الطائر فيكون طائرا وقرا
الاعمش فيكون طيرا ما التاء وابرئ الاكمه والابرص والاكمه الذى ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال
لم يكن فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا
من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوى الا بالدعاء وحده وقرا الزهرى وابرى بغير همزة
واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية فان الاحياء وهو ايجاد الحيوة ليس من
البشرية وروى انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان
خبئ لك كذا وقيل الصواب كعب بن حام وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى
لا تشكون فيها وقرا اليمانى وانبيكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين مصدقين مذعنين للحق غير معاندين
او موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا لما بين يدى
من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا فيكون عطفا
قد جئتكم باية ولاحل لكم عطف على قوله باية من ربكم ظاهر الكثير فى الحقيقة من عطف الجملة على الجملة اى وجئتكم
باية وجئتكم لاحل لكم اذ لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به وتجويز ان يكون الكل فى معنى الحال فيستقيم
اى جئتكم ملتبسا باية وكائنا ومصدقا لما بين يدى وكائنا لاحل اى لان احل وقيل هو معطوف على معنى مصدقا
كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل

والعمل فى السبت وكل ذى ظفر فاحل لهم بعض ذلك وقيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا فى احلاله
السبت وبالجملة ففيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا
يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وقرى
حرم عليكم مبنيا للفاعل وهو ما بين يدى من التوراة والله او موسى لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان مسلوما عند
وقرى وحرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم اى باية دالة على حقية رسالتى وهى قولى ان الله ربى وربكم
فاعبدوه فان هذا القول لكونه طريقة الرسل والانبياء ودليل الاهتداء علامة لرسالته يزيد المسترشد
فوق يقين ويفيد زيادة بصيرة وطمانينة فالمراد بالاية تلك العلامة لا المعجزة كما يسبق الى الوهم لورودها بعد
ذكر الرسالة والمعجزات ولجواز ان يكون تكرير القوله جئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى بالمعجزات
الباهرة من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخبايا وبغيره من ولادتى بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن سائر ذلك
فعلى الاول قوله فاتقوا الله واطيعون بين البيان وبين المبين كانه لما قال قد جئتكم باية ظاهرة شاهدة على صحة
نبوتى فكانه قيل له ما هذه الاية فقال قولى ان الله ربى وربكم فاعبدوه اذ الانبياء كلهم كانوا على هذا القول لم يختلفوا
فيه وعلى الثانى تفريع على المجئ بالايات لا اعتراض وان الله ربى بكسر الهمزة ابتداء كلام لا بيان للاية بتقدير القول
وبفتحها متعلق بقوله فاعبدوه على حذف اللام اى اعبدوه لان الله ربى وربكم كقوله لايلاف قريش فليعبدوا فان اللام متعلق
بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوا لايلافهم الرحلتين او متعلق باية بحذف على اى قد جئتكم باية دالة على ان الله ربى
وربكم وما بينهما اعتراض وانما لم يجعل فى معرض التعليل وبيان السبب لقوله فاتقوا الله واطيعون لفوات حسن الكلام
بالنسبة الى اطيعون وقرا ابى وجئتكم بايات من ربكم وهى مؤكدة وتنصر الوجه الثانى فان لفظ الجمع يدل على ان المراد
من قوله باية اية بعد اخرى من المعجزات وبالجملة ففى الاية دلالة على ان كمال الانسان منحصر فى العلم والعمل فان قوله ان الله
ربى وربكم اشارة الى كمال القوة العلمية وقوله فاعبدوه اشارة الى كمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى فعل الاوامر وترك النواهى وقوله هذا صراط مستقيم تقرير
لان الطريق المستقيم هو الجمع بين الامرين كما قال ثم قرات بالله فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون والتبعون
فيما ادعوكم اليه كقوله واتبعون هذا صراط مستقيم وقرا يعقوب واطيعونى بالياء ان الله ربى وربكم فاعبدوه فيه وجوه
كلام مستانف بيان لكونه رسولا او ابتداء الكلام او علة لقوله فاعبدوه والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط كانه قيل
فاعبدوه لان الله ربى وربكم على معنى ان نعم الله عليكم لا تحصى فان لم تعبدوه لسائر نعمه فاعبدوه لهذا الواحد التى
اجل النعم فان التوحيد اعظم النعم الواصلة الى العباد او متعلق بقوله باية وقرانا بالفتح دلالة منها هذا صراط مستقيم يعنى
الجمع بين التوحيد والعبادة هو الطريق المشهود له بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر والاحساس حقيقة فى العلم
بطريق الاستعارة او ذكر الملزوم وارادة اللازم اى فلما علم منهم الكفر تحقق علم لا شبهة فيه وقرا عبيد ابن عمير فلما احس بهم
قال من انصارى الى الله للحال اما متعلق بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم وينسبونها الى الله
فى نصرتى فى امر الدين وقهر المخالفين او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اى من انصارى ملتجئا الى الله ذاهبا اليه او بمعنى
فى حال كونى ملتجئا الى دين الله ذاهبا اليه فالمقصود طلب النصرة لرسوله فى دينه وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى او اللام
قال الحواريون نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله وحوارى الرجل خاصته من الحور وهو البياض الخالص وكذا

وعيانا تقال اشهد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا شهادة لا اخبر بحق له عليه ربنا امنا بما انزلت اي بجميع ما انزلته
واتبعنا الرسول اي عيسى فاكتبنا مع الشاهدين مع الموحدين الذين يشهدون لاتباعهم وهم الانبياء عليهم السلام او مع
الشاهدين بوحدانيتك او مع امة محمد عم لانهم شهدا على سائر الامم ليكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكر
في الانجيل كذلك ومكروا الضمير لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة ومكر الله
بان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل وقيل ان اليهود لما ارادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة
وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم عيسى من مشكاة الغرفة فاخبر ابليس اليهود بذلك فركب منهم اربعة الاف واخذوا
باب الغرفة فقال للحواريين ايكم يخرج فيقتل وهو معي في الجنة فقال انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة
من صوف وناوله عكازه والقى عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى فرفع الى السماء والمكر من
حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا بطريق المقابلة والازدواج وهو عند علماء البيان قيل يحتمل ان يكون
من تسمية المسبب باسم السبب مثل رعينا الغيث فانهم قالوا تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لانه سببها
مكر الله حقيقة لان المكر هو التدبير فيما يضر الخصم وهذا متحقق في الله تعالى باستدراجه اياهم بنعمه مع ما تقدم من نقمه
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واشدهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر والعقاب بحيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف
لخير الماكرين او لمكر الله يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم ورافعك
الى سمائي ومقر ملائكتي وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك
بعد النزول من السماء ورافعك الان وعن بعضهم اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى وقيل
متوفيك نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء
امن مقرب ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وروي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا
عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله
فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
يعلونهم بالحجة او السيف في اكثر الاحوال ومتبعوه المسلمون لا اليهود والنصارى المكذبين والكاذبين عليه لان المسلمين
صدقوه واتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع ولقد صدق الله وعده بان نصرهم واذلهم وضرب عليهم الجزية و
الهوان والى الان لم يتفق لهم ملك ودولة ولم يسمع غلبتهم فالكلمة الى يومنا ثم الي مرجعكم الخطاب ان كان لعيسى ومن
تبعه ومن كفر به فتغليب المخاطب على الغائب والاصل مرجعك ومرجع من اتبعك ومن كفر بك فغلب المخاطب وهو عيسى وجمع
في خطاب واحد ثم فصل الجمل باعتبار وصفي الايمان والكفر غير مراعى فيه تنبيها على ان ملحظ الفريقين انما هو الوصفين
وان كان الخطاب للمتبعين والكافرين فالتفات من الغيبة الى الخطاب للدلالة على شدة ارادة ايصال الثواب والعقاب
لان للخطاب ادخل في اثبات ما اجرى له الكلام فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم
وتفصيل له وبيان للمختلفين وقرا عاصم في رواية حفص فيوفيهم بالياء والباقون بالنون اي فنعطيهم ثواب اجورهم
كاملا وقرا الباقي فاوفيهم بالالف والله لا يحب الظالمين تقرير لما قبله ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى
وغيره والخطاب لرسول الله صلعم ومحله الابتداء وقوله نتلوه عليك من الايات خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا
بمعنى الذي ونتلو صلته ومن الايات خبره وان ينتصب بمضمر يفسره نتلو وان يكون من الايات حالا من الهاء او خبر مبتدا محذوف وجوز

بعضهم ان يكون نتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة والذكر الحكيم يريد القران ووصفه بصفة
منزله وهو الله تعالى مجازا اذ الحكمة للقران وهي فعل الله تعالى حقيقة فيكون من الاسناد المجازي
مثل نهاره صايم او شبه القران لكثرة حكمه بانسان ينطق بالحكمة وهو الحكيم فيكون من اجراء المشبه به
مثل صم بكم ومنه زيد الاسد او شبه اشتماله على الحكم الكثيرة بالاتصاف بها فيكون استعارة تبعية وقد يقال
شبه القران بالانسان ذي الحكم واسند الحكم اليه قرينة الاستعارة فهي استعارة مكنية وقيل المراد به اللوح
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شانه وحاله الغريبة كشان ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل
مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم من تراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب الحاما
للخصم وحسما لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه والمشاركة من بعض الاوصاف
كافية في المماثلة المعتبرة في تشبيه الشيء وهو هنا لم يخالف شرطه وهو كون المشبه به اقوى
واشهر حيث شبه الغريب بالاغرب وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى
قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى
احيا اربعة نفر سام او كعب وعازر وابن العجوز وبنت العاشر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه
والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما فان قيل قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون يقتضي
ان يكون خلق ادم سابقا على قول كن فيكون عليه هو اصل ثم لكنه ليس كذلك والجواب ان المراد بخلقه تقدير جسده
من طين تصويره وهو مقدم على ايجاده حيا ثم قال له كن فيكون اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر
وقوله فيكون حكاية حال ماضية لان المقام للمضي اي فكان وانما عبر بلفظ المضارع ليصور للسامعين
الحالة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من تكون عيسى وحدوثه مستغربا في بني نوعه كانه يحضرهم اياها ويطلب
منهم مشاهدتها تشبيها لتلك الحالة الغريبة بحالة هي اغرب منها وتعجيبا من قدرته على كل مقدور لا انها
الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق كقوله اهل خيبر محمد والخميس وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق
المذكور من الله وعلى الاول هو حال من الضمير في الحق فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلعم على سبيل التهييج
لزيادة الثبات والطمانينة او لكل سامع تكون ان عيسى مخلوق كادم هو الحق اليقين وهم فيه شاكون حيث
زعموا اللاهوتية والنبوة وغير ذلك من قولهم انه ثالث ثلثة روي ان وفد نجران السيد والعاقب والاسقف
وغير ذلك من احبارهم قدموا الى النبي عليه السلام فيما لهم في امر عيسى وناظروا فقال عليه السلام هو عبد الله
ورسوله فقالوا ارنا خلقا من خلق الله تعالى من غير اب وقالوا انه الحق ابنا فقال عليه السلام اسلموا فقالوا قد اسلمنا
قبلك فقال لهم كذبتم انما يمنعكم من الاسلام ثلثة اكل الخنزير وعبادة الصليب وقولكم لله ولد فقالوا من اب عيسى
فانزل الله الاية تكذيبا لهم وتبكيتا فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات
الموجبة للعلم بان عيسى مخلوق كادم وعبد الله ورسوله فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم كما تقول تعال
في المسالة وقرئ تعالوا بضم اللام كانه ضمة الواو نقلت اليه رواه القشيري عن لبيد واقد والحشر تعالوا ندع
ابناءنا وابناءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة وانما قدمهم على النفس

ونساءنا ونساءكم

لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين فى الحروب ثم نبتهل ثم نتباهل
بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا اهملتها وتركتها بلا صرار
ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انه عليه
السلام لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله
لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا
فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله عليه وقد
غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على
وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال عليه السلام
فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب
طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى
صفر والف فى رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك
قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الاشجار ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وهو دليل
على نبوته وفضل من معه من اهل بيته وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلعم خرج وعليه مرط مرحل من شعر
اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل وقاتل دونهم
حتى يقتل ان هذا اى ما قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق بجملته خبر ان وهو فصل بين الاسم والخبر
يفيد ان ما ذكره من شان عيسى حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدا من الخبر
واصلها ان تدخل على المبتدا لانها لام الابتداء لكن ادخلت الى الخبر كراهة توالى حرفى التاكيد وما من اله الا الله
قد سبق ان النكرة المنفية اذا كانت مع من الاستغراقية لفظا نحو ما من رجل فى الدار او تقديرا مثل لا رجل فى الدار
فهى نص فى الاستغراق لا يحتمل عدمه لكونه لنفى الجنس بالكلية فمن ههنا بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى كونه
نصا فى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا مقتدر على الاشياء احد غيره ولا
متقن فى الافعال باسرها الا الله وهو فى التحقيق نفى للشبه والمجانسة والمشاركة فى الالوهية ومعنى الجملتين ان الله
هو المتوحد بالالهية لا شريك له فيها وهو الذى لا يماثله شى ولم يشاكله فى شى سيما فى القدرة التامة والحكمة
البالغة ولا يصانعه حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين اى عليم بهم
فجاء بالظاهر ليدل على ان التولى عن التوحيد هو ما يؤدى الى هيج الحروب والفتن الموجب لفساد العالم
وهو وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب
يعم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل هم يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب المنزلة من عند الله وتفسيرها الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله اى نوحد الله

يختلف

بالعباده

بالعبادة ولا نشرك به شيئا اى لا نشرك بعبادته احدا كقوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا او لا نجعل غيره شريكا له
فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعنى تعالوا اليها حتى
لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال عليه السلام هو ذاك وعن الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق او صليت
لغير القبلة وقرى تعالوا بضم اللام وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت
استواء وقرا ابرهيم ولا نتخذ بالنون ويجعل قوله بعضا بعضا ترجمة عن قوله ولا نتخذ فان تولوا
عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره تنبيه
تامل ما تضمنته القصة من حسن الاشارة والتدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تواردت عليه من الاطوار المنافية
للالهية ثم ذكر ما يزيح شبهتهم فلما راى عنادهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها
وانقادوا فى الجملة عاد اليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل
وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك عليهم ايضا وعلم ان الايات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن ذلك
وقال اشهدوا بانا مسلمون مخلصون التوحيد من اسلم وجهه لله اذا اخلص او مذعنون من اسلم اذا خضع
واذعن والاول اوفق بالسياق والثانى ادل على المقصود يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى وزعم كل من الفريقين ان ابراهيم كان منهم فترافعوا الى رسول
الله عليه فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية انما حدثت بعد نزول التورية والانجيل وبين ابراهيم
وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة
وفى البابه وما انزلت التورية وعيد بن عمر وما انزلت افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم
جملة اخرى مبينة للجملة الاولى يعنى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا
او تدعون وروده فيه فلم تحاجون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين
وحاججتم صلته وعن الاخفش ها انتم اصله اانتم بتوسيط الف بين همزة الاستفهام وهمزة انتم فقلبت
الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم والله يعلم ما حاججتم فيه او ما غاب عنكم حقيقته ومنه قولك فلان
يعلم كذا اذا احاط بحقيقته وكيفيته علما وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بان ابراهيم برئ
من دينهم الذى حدثوه حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مائلا عن
كل دين باطل الى الدين الحق مسلما منقادا مطيعا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام

يكون

والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعالم يكن منكم فنفى عن الشرك تكذيبا لهم ولكفار قريش في زعمهم
انهم على دين ابيهم ابراهيم عليه واراد بالمشركين اليهود والنصارى حيث اشركوا به عزيرا والمسيح وضعا
للمظهر موضع المضمر ايذانا بانه ليس منهم وتعريضا بانهم مشركون وتاكيدا لكونه حنيفا مسلما ان اولى الناس
بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب ويه قوله عليه السلام البادي بالسلام اولى بالله تعالى
وبرسوله للذين اتبعوه اقتدوا به في الميل الى ملة الاسلام وفي الاذعان به وفي التوحيد وهذا النبي خصوصا
وهو عطف على الذين اتبعوه داخل فيهم وخص بالذكر تعظيما واجلالا لمحله وايذانا بانه اجل ما اولى براهيم
النعم وافضل ما اولى من الكرامة اتباع رسول الله دينه والذين آمنوا من امته والاوجه ان يراد للذين اتبعوه
فيما مضى ثم النبي والذين آمنوا من امته اذ لا حاجة لادراج النبي في المتبعين والمعنى ان اولى الناس
بابراهيم فريقان احدهما الذين اتبعوه فيما مضى من الزمان السابق على عهد رسوله والاخر النبي والمؤمنون
وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وعلى هذه القراءة والذين
آمنوا عطف على الذين اتبعوه واما قراءة من قرا بالجر عطفا على ابراهيم فيجوز ان يكون والذين آمنوا عطفا
على النبي وعلى الذين اتبعوه وهذا احسن وعن رسول الله اولى من غيره من ابراهيم عمرو بن يحيى بن قمعة بن خندف
ابو خزاعة والله ولي المؤمنين اي ناصرهم بعينهم ونجازيهم على الخير لايمانهم او محبتهم او متولي امورهم
لا يكلهم الى غيره او يلي حبهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة
وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان
العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او ما يقدرون على اضلال المسلمين وما يضلون الا اشالهم
من اشياعهم وكل من الوجهين لا يخلو عن التجوز فيهما وجه آخر هو ان المراد باضلالهم انفسهم اي
ذواتهم ان الاضلال لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم والوايد بالقيح قلوبهم
وانهم لم يجبر بعد وما يشعرون علم الشيء علم حس من الشعار وهو العلامة اي يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
جعل لحوق وبال الاضلال وعود ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على من ايف مشاعره
وحواسه يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله المراد بالآيات اما القرآن او التوراة والانجيل او جميع الآيات
وانتم تشهدون وعلى الاول تشهدون بمعنى تشاهدون اي لم تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول
وانتم تشاهدون نعته المذكور في التوراة والانجيل وعلى الثاني تشهدون من الشهادة مجازا عن
الاعتراف بحقيقتها اي لم تكفرون بما نطقت به التوراة والانجيل من صحة نبوة رسول الله عليه وغيرها
وانتم تعترفون انها آيات الله وعلى الثالث بمعنى تعلمون حقيقتها بلا ريب علم مشاهدة اي لم تكفرون
بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل قرئ تلبسون بكسر
الباء من لبست الشيء بالشيء اي خلطته به فيكون الباء في بالباطل صلة والمعنى لم تخلطون الحق المنزل
من عند الله بباطلكم وذكر ملة التحريف وبكتابتهم في التوراة والانجيل ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل
الذي كتبوه حتى لا يستبين(؟) حقها وباطلها وان كانت الباء للاستعانة كان المعنى لم تجعلون الحق ملتبسا

الاستعانة

غير واضح بسبب

غير واضح بسبب باطلكم الذي تكتبونه وهو في التحقيق نهي كانه قيل لا تكتبوا في التوراة والانجيل
ما ليس منها فيختلط الحق بالباطل او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بالباطل وقد يرجح الاول بانه اظهر
واكثر وهو حق بان جعل وجود الباطل سببا لالتباس ليس اولى من العكس وهو باطل وقرئ
يحيى بن وثاب تلبسون بفتح من لبست الثوب فالباء في بالباطل بمعنى مع اي تكسون الحق مع
الباطل كقوله عليه السلام المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقول الفرزدق اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا
وقرئ تلبسون بالتشديد وتكتمون الحق ومعنى كتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في كتابنا صفة
محمد عليه او يحكم كذا او يمحوا ذكره او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وانتم تعلمون في حال علمكم انكم على الباطل
لابسون كاتمون وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ وقالت طائفة
من اهل الكتاب آمنوا اي اظهروا الايمان بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اي
بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يرجعون لعلهم يشكون في دينهم
ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم فيرجعون برجوعكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
قالا لاصحابهما لما صرفت القبلة الى الكعبة آمنوا بما انزل على المسلمين من الصلوة الى الكعبة وصلوا
اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد
رجعوا فيرجعون وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد
اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا
بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ايمانكم
وتصديقكم بان المسلمين او تواسن كتاب الله مثل ما اوتيتم الا لاتباعكم وحدهم دون المسلمين لئلا
يزدادوا ثباتا وتصلبا في الدين ودون المشركين لئلا يرغبوا في الاسلام او ولا تؤمنوا هذا الايمان
الظاهر الا لمن كان تابعا لدينكم ممن اسلم منكم اي لا تفعلوا الايمان في وجه النهار الا لاجلهم وعلى قصد
رجوعهم عن الاسلام وانما خصوا الاسلام بالفرقة فيكم لان رجوعهم كان رجيعهم عندهم
ارجى واهم والطيب وعلى هذا قوله قل ان الهدى هدى الله لا يكون اعتراضا اذ يتم الكلام عند قوله
الا لمن تبع دينكم ولنا على الوجه الاول فهو اعتراض بين العامل ومعموله تم الاعتراض وان
كان في الاغلب للتاكيد بالرد عليهم فيما حاولوا من عدم زيادة ثبات المسلمين وعدم رغبة
المشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فانه ايضا اعتراض للرد لا غير لكن في
آخر الكلام فان قلت ما موقع قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلت هو على الوجه الاول معمول
لقوله ولا تؤمنوا بتقدير حرف الجر ان اعتبر فيه معنى الاعتراف اي ولا تعترفوا بان يؤتى احد او ولا تظهروا
التصديق بان يؤتى احد او بدون تقديره بمعنى لا تظهروا التصديق ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب
والرسول وان يحاجوكم ويغالبوكم بالحجة يوم القيامة الا لاتباعكم وحدهم وعلى الثاني لا يكون مفعولا
لا تؤمنوا بل بخبر لا لازم ويتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم كما ذكرنا ويجوز ان يكون علة لفعل

يجيء

مع عامله م

صدق اى لان يوتى احد مثل ما اوتيتم قلتم وعلى هذا ان يوتى على بله المحذوف داخل في حيز قل كانه قيل قل
ان الهدى هدى الله وقل لان يوتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ما قلتم وكدتم ما كدتم يعني اكد عليهم ان الهدى
ما فعل الله من ايتاء الكتاب غيركم وانكر عليهم ان لا يحضوا من ان يوتى احد مثل ما اوتوا ويشتد ذلك
عليهم تيكيد وابما كادوا والدليل عليه قراة ابن كثير ان يوتى بزيادة همزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ
بمعنى الان يوتى احد وان يكون منصوبا بفعل مضمر اى فلا تنكروا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا بالحكم بعجزهم ويدحضوا حجتكم وقيل هو مبتدأ خبره محذوف اى ان يوتى يقرون
به او يذكرونه وقيل منصوب بالفضل اى انكرون ان يوتى او يسعون وقرى ان يوتى على ان النافية فيكون من
كلام الطائفة اى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يوتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم
عند ربكم يعني ما يوتون مثله فلا يحاجوكم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يوتى على الوجهين الاولين
وعلى الخامس معناه حتى تحاجوكم عند ربكم فيقرعوا بالحكم والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى
الجمع يعني ولا تومنوا لغير اتباعكم ان المسلمين تحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبوكم عند الله بالحجة
قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم اعتراض رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة لا تكيد
وقرا يعقوب وسلام يوتيه بضم الهاء وكذلك يوده ولا يوده وفوله وفصله يختص برحمته من يشاء
ا يجعله منفردا بالرحمة لا يرحم سواه بناء على ان الباء داخلة في المقصور لا في المقصور عليه كما في قولك
خصصت فلانا بالذكر اى ذكرته دون غيره والمراد بالرحمة الكتاب والنبوة والله ذو الفضل العظيم
اشعار بان ايتاء النبوة والكتاب من الفضل العظيم كقوله وكان فضل الله عليك عظيما ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يوده اليك هو عبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا
فجحده وخانه وقيل المامون على الكثير النصارى لان الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف
او بالترافع واقامة البينة عليه وقرئ يوده بكسر الهاء والوصل اى وصلها بياء اشباعية وبحذفها الكسرة بغير
وصل وبسكونها اجراء للوصل مجرى الوقف وقرا يحيى بن وثاب تيمنه على لغة من يكسر حرف المضارعة
ودمت بكسر الدال من دام يدام على لغة ضعيفة جدا ولذا لم يذكر في كتب اللغة ذلك اشارة الى ترك الاداء
الدال عليه لن يوده اى تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى لا تطرق
علينا عتاب وذم في شان من ليسوا اهل الكتاب وفيما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم
وقالوا لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها
كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر [illegible]

مؤداة

اى منسوخ متروك وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة
الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس فقال هذا كما قال اهل الكتاب ليس
علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم بلى اثبات لما نفوه
من السبيل عليهم في الاميين اى بلى عليهم سبيل فيهم من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستانفة
مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده عائد لمن اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه
واتقى الله في الخيانة والغدر فان الله يحبه او عائد لله اى على ان كل من وفى بعهده واتقاه فان الله يحبه وهو
يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي وعموم المتقين ناب مناب رجوع الضمير من الجزاء الى
من وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمي اهل الكتاب ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به
الترؤس — من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الرئوس والارتشاء والجود ذكر
وقولهم له بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق
وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله صلعم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل
جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين طالبين الميرة فقال لهم
هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا
فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا
قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم اى اعطاهم الميرة وعن الاشعث بن قيس
نزلت في وكانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلعم فقال شاهدك
او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه اولئك لا خلاق لهم
في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او لا يكلمهم اى يغضب عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه
وقطع كلامه او لا يكلمهم بكلام نحو قوله اخسؤوا ولا تكلمون ولا ينظر اليهم يوم القيامة
ترك النظر ههنا مجاز عن الاستهانة بهم والتسخط عليهم بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم
لان عدم النظر ملزوم للاستهانة كما ان النظر مجاز عن الاكرام والاحسان يقال فلان لا ينظر الى فلان
اذا لم يعتد به ولم يحسن اليه والفرق بين استعماله في من يجوز عليه النظر اى تقلب الحدقة كالانسان
وفيمن لا يجوز عليه وهو الباري تعالى ان اصله فيمن يجوز عليه النظر واريد الاكرام والاحسان فهو
كناية حيث جاز ارادته معنى الموضوع له لكن لا يتعلق به الاثبات والنفي ويرجع اليه الصدق
والكذب بل ينتقل منه الى الملزوم ليكون هو مناط الاثبات والنفي ومرجع الصدق والكذب [illegible]
فيمن لا يجوز عليه النظر فهو مجاز لا غير لان المجاز من حيث انه مجاز مشروط بقرينة مانعة عن ارادة
الموضوع له وههنا كذلك فان العلم باستحالة النظر قرينة مانعة عن ارادة حقيقته بخلاف الكناية فان ارادة

الموضوع لاوجبوا زاد ادته شرط لها ولا يزكيهم ولا ينثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوا وان منهم لفريقا هو كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراته عن الصحيح
الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوّون بالتشديد وعن مجاهد وابن كثير يلون بقلب الواو المضمومة همزة
ثم تخفيفها بحذفها ونقل حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير في لتحسبوه
للمحرف الدال عليه يلوون السنتهم بالكتاب ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا
ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب قوله
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وبيان
لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد
فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد وعن ابن عباس
هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله
عليه السلام ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم وقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب وتوبيخ ورد لمن اعتقد عبادة عيسى عليه
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله
ان نعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول
الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا بعضا افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والظاهر ان السجود للغير كان جائزا في الامم السالفة لكنه قد نسخ
في شريعتنا وذلك كما سجدت الملائكة لادم عليه واخوة يوسف له وعن رسول الله عليه اول من عانق خليل
الله ابراهيم وكان قبل ذلك السجود فهذا يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا فجاء الاسلام بالمعانقة الحكم والنبوة
وهي السنة النبوة هي البعثة وقيل الاصل الارتفاع يقال نبي فلان اذا ارتفع وعلا والنبي المبعوث من الله
موصوف بذلك لعلو شانه وسطوع برهانه والنبي عند اهل الحق من قال له الله تعالى بعثتك الى قوم كذا
والى الناس او نبئهم عني ونحو ذلك من الالفاظ ولا يشترط فيه شرط ولا استعداد فلذا كما زعمت الفلاسفة
بل الله يختص برحمته من يشاء وروى شبل عن ابن كثير ومحبوب عن ابي عمرو ثم يقول بالرفع على هو يقول
ولكن كونوا ربانيين اي ولكن كان للبشر الذي اتاه الكتاب ان يقول للناس كونوا منسوبين الى الرب
متمسكين بعبادته بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب علمكم وتعليمكم ودراستكم فان فائدة
العلم والتعليم انما هي عبادة الله وحده وان لا تشرك بعبادته احدا وما خلقت الجن والانس الا لاجلها فالباء
متعلق بكونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو
الكامل في العلم والعمل وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب تعلمون من العلم والباقون تعلّمون بتشديد اللام وكسرها وقرئ تعلمون من التعلم
واصله تتعلمون ومعنى تدرسون تقرؤن وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى
درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون المشهور منه على تقدير تدرسونه

على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناها معنى تدرّسون من التدريس وروى ابان عن عاصم تعلمون
مجهولا من العلم ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين قرا عاصم وحمزة وابن عامر ويعقوب ولا
يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول فتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما صح
وما استقام لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس كونوا عبادا لي ولا ان يامرهم باتخاذ الملئكة والنبيين
اربابا او غير مزيدة معطوفا على النفي على ثم يقول قصدا الى ترتب هذا المجموع على الايتاء يعني ما كان
لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وينهاهم عن عبادة الملئكة والانبياء وهو وهم سواء
في عدم استحقاق العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ولكن الحال ويعضده قراءة عبد الله ولن يامركم انه
لا يمكن ان يكون عطفا على ثم يقول لان ان الناصبة لا تدخل على لن فلا يصح ان لن يامركم كما صح ان لا يامركم
واما ان في البيت لن تجمع عظامه فهي مخففة من الثقيلة لا ناصبة والضمير في لا يامركم للبشر وقيل
لله والخطاب على كل حال النفات ايامركم بالكفر والهمزة للانكار اي منكر ان يامركم بالكفر وما كان ينبغي
ان يامركم بالكفر وما كان ينبغي ان يامركم به بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم الذين
استاذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين قيل هو على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين
بذلك واذا كان هذا حكمهم كان الامم به اولى وقيل معناه ان الله تعالى اخذ الميثاق من الانبياء واممهم واستغنى
بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق
الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
او يراد اهل الكتاب وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا
اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه واللام في لما
اتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان
تكون شرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى
للذي اتيتكموه لتؤمنن به وفيه دلالة بينة على ان لام التوطئة لا يجب ان تدخل الشرط كما زعم بعضهم
فانه قد يدخل على ما مزيده ايضا كقوله وان كلا لما ليوفينهم وقرئ لما اتيناكم وقرا حمزة لما اتيتكم
بكسر اللام على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فاللام فيه للتعليل كانه قيل اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه
لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان
تكون ما موصولة وما معكم مظهر وضع موضع الضمير العايد الى الموصول كانه قيل للذي اتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما اتيتكم بالتشديد بمعنى حين اتيتكم بعض الكتاب
والحكمة ثم جاء رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فحذفت الميم
الاولى وقلبت النون ميما ثم ادغمت في الميم ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من
قراءة حمزة في المعنى قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي
العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به والظاهر ان الضم لغة فيه

[illegible]

فيه لعبس كعبس وعبس وتجوز ان يكون اصارو قرا ابن عباس اصري بفتح الالف قالوا اقررنا قال فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب للملئكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا
على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم من الرجوع واذا علموا بشهادة الله بعضهم على بعض
فمن تولى بعد ذلك فمن اعرض بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون
عن سواء السبيل والمتمردون من الفسقة الكفرة وقيل الناقضون للعهد وقيل هم العاصون افغير دين
الله يبغون عطف على الجملة قبله والهمزة للانكار والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول على فعله للاهتمام لانه المقصود بالانكار قال الكلبي ان كعب بن الاشرف واصحابه و
النصارى اختصموا الى النبي عليه فقالوا اينا احق بدين ابراهيم فقال عليه السلام كلا الفريقين بري
من دين ابراهيم فقالوا فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرا ابو عمرو وعاصم
وفي رواية حفص ويعقوب يبغون بالياء اي يطلبون والباقون بالتاء على تقدير قل لهم وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها اي طايعين بالنظر في الادلة واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق والاشراف على الموت فلما راوا باسنا
قالوا امنا قالوا امنا بالله وحده ومختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يابوا ما قضي عليهم وقرا اليماني وكرها بضم الكاف واليه ترجعون وقرا عاصم في رواية حفص بالغيب حملا
على من في السموات والارض والباقون بالخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب قل امنا بالله وما انزل علينا وما
انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
امر النبي عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان ومن ثم وحد الضمير في قل وجمع في امنا او بان
يتكلم عن نفسه على جهة الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه واظهارا لتقدمه والانزال كما يعدى بالى لانه
ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه ينزل من فوق وقدم المنزل عليه على غيره تعظيما لشانه واظهارا
لفضله على انه المعترف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب اي لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعل اهل الكتاب من اليهود والنصارى ونحن له مسلمون حال من فاعل امنا او من مفعول
لعود الضمير في له اليه او عطف على نفرق او امنا او اعتراض مؤكد اي من حالنا انا له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له اندادا او مذعنون ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والاذعان لحكم
الله فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران مطلقا من غير تقييد للعموم والمعنى
ان من يعرض عن دين الاسلام ويطلب غيره فقد وقع في الخسران كل الخسران بكفرانه بالنعمة كل النعمة
حيث استبدل خلاف الفطرة والايمان والاسلام واحد لان الايمان في الاصل التصديق اي اذعان
حكم الخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى اذعان الاحكام والقبول فمن اثبت
التغاير فقد سهى سهوا بينا فان قيل قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا صريح في جواز الاسلام بدون
الايمان اجيب بان المراد ان الاسلام المعتبر في الشرع لا يوجد بدون الايمان وهو في الاية بمعنى الانقياد
الظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة المتلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق في باب الايمان واعترض

ايضا بقوله

ايضا بقوله عليه السلام الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة الحديث
واجيب بان المراد ان ثمرات الاسلام وعلاماته كذلك كما قال عليه السلام لقوم وفدوا عليه اتدرون
ما الايمان بالله وحده فقالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وكما قال عليه السلام الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق اي ثمرات الايمان
وعلاماته بضع وسبعون وقد فسر عليه السلام البضع بما بين الثلث الى العشر وقال في حديث اخر البضع
الى العشر ما بين الثلث سنين الى التسع وبعض الحديث يظهر ضعف ما قال المطرزي في المغرب البضع
بالكسر ما بين الثلث الى العشر والصواب الى التسعة كما نقل عن قتادة وقري ومن يبتغ غير الاسلام بادغام
وقرا زيد بن علي ومن يتبع بالعين المهملة فلن تقبل بالنون كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم قيل
نفي وانكار لان يهديهم الله وذلك يقتضي انه لا تقبل توبة المرتد وقيل استبعاد له فان الحايد عن الحق
بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد اي كيف يرشدهم وليسوا من اهل الرشاد او كيف يفعل
بهم الهداية وليسوا من اهل الاهتداء او كيف يدعوهم او كيف يلطف بهم لما علم الله من اصرارهم
على كفرهم ودل على اصرارهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعدما جاءتهم
ايات توجب النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلعم بعد ان كانوا مؤمنين به وكذلك حين عاينوا ما يوجب
قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم
طعمة بن ابيرق ومقيس بن صبابة والحارث بن سويد وحوح بن اسلت وعن مقاتل كانوا اثني عشر
وعن الكلبي وشهدوا ان الرسول حق عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل كانه قيل من بعد ان امنوا
وشهدوا كقوله تعالى فاصدق واكن اذ عطف واكن وهو مجزوم على فاصدق وهو منصوب بتقدير
ان سال سيبويه الخليل عنه قال الخليل جزم واكن لان الفعل الاول يكون مجزوما حين لا فاء فيه وهو
هو من قبيل العطف على المحل وهو في كلامهم شايع كانه قيل لولا اخرتني الى اجل قريب اصدق واكن
ومنه قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب عطف ناعب وهو مجرور على مصلحين وهو منصوب
لانه قد يكون مجرورا بزيادة الباء في خبر ليس كانه قيل ليسوا بمصلحين ولا ناعب او الواو
للحال باضمار قد من ضمير كفروا والحالة قيل كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وهو على الوجهين
دليل على ان الاقرار باللسان خارج من حقيقة الايمان وجاءهم البينات اي ومن بعد ان جاءهم
الشواهد من القران وساير المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم باستبدال الخلاف الفطرة وايثار الكفر على الايمان اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملئكة والناس اجمعين قيل يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون من الهدى مايوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم وانما قال والناس
اجمعين وفي الناس المسلم والكافر لان المراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل المراد العموم
فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين
فيها في اللعنة وقيل في العقوبة او النار وانما جرى ذكرهما لدلالة الكلام عليهما وقيل في النار لانها الدائرة

تغييرا لشأنها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من النظر اي لا ينظر اليهم نظر رحمة او لا ينتظرون
ليعتذروا او من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون وقرا زيد بن علي لا نخفف عنهم العذاب الا الذين تابوا من
بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا بيان ان مجرد التوبة عن ذلك غير كاف بل لا بد من تدارك لما اخلوا
به من الحقوق وانضياف الاصلاح اي اصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات
ويجوز ان لا يقدر مفعول بمعنى دخلوا في الصلاح في امر الظاهر والباطن فيكون لازما من قبيل اصبحوا اي دخلوا
في الصباح فان الله غفور رحيم يقبل توبة النادم على الذنب تخاء لما كان منه رحيم منعم عليه بالجنة وهذا حكم
عام يدخل تحته اهل الردة ومن سواهم عظم جناياتهم ثم اردفها بعظيم رافته ورحمته ايذانا بان الذنوب
وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اجل واعظم ولكن لا بد من الرجوع والاعتذار اليه تعالى قيل انها نزلت
في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس فاقبل الى بالاية ص
المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلعم والقران او كفروا برسول الله بعد
ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه وصدهم عن الايمان به ونقضهم ميثاقه
وعداوتهم له وتحزيبهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا بقولهم
نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة لن تقبل توبتهم لانهم
لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بامتناع قبولها تغليظا في شانهم لكن
الكفار وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اقطع الاحوال واشدها او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه وقرا عكرمة وابن عمير لن نقبل توبتهم
واولئك هم الضالون المستمرون الثابتون على الضلالة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا اشعر بترك الفاء في قوله لن تقبل توبتهم ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على السببية
كقولك الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم فان قيل اليس ترتب الحكم على الوصف
دليل السببية اجيب بان المراد الدلالة بلفظ موضوع لذلك كالفاء ولان ذكر الموصول فانه كثيرا ما يكون لاغراض
اخر كتحقيق الخبر في هذا المقام واشعر بالفاء في قوله فلن يقبل من احدهم على ان الكلام مبني على الشرط والجزاء
وان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية كقولك الذي جاءني فله درهم تجعل المجيء سببا لاستحقاق الدرهم
وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرا عكرمة وابن عمير فلن نقبل من احدهم ملء الارض بالنون
وقرا الاعمش ذهب بالرفع على انه بدل من ملء او عطف بيان ولا بد من تقدير وصف ليحسن البدل ولا دلالة
عليه ولم يجد بيان المعرفة بالنكرة واما جعله خبر مبتدأ محذوف فانما يحسن اذا كانت الجملة صفة او حالا
ولا يخفى ضعف هذه القراءة ولو افتدى به كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به
في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة والمراد لو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه والمثل يحذف كثيرا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة اي مثله وضربته ضرب زيد اي مثل ضربه ويزاد كثيرا
كقولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك لان المثلين في حكم شيء واحد فزيادة المثل بلا زيادة وحذفه بلا حذف

ويجوز ان يحمل

ويجوز ان يحمل ملء الارض وعلى الافتداء بل على التصدق ولا يكون الشرط المذكور من قبيل ما يقصد به تاكيد الحكم
السابق بل يكون شرطا محذوف الجواب كانه قيل لا يقبل منه ملء الارض ذهبا تصدق به ولو افتدى به ايضا
لم يقبل منه وفي ضمير به تعبير بنفس ذكر المال من غير اعتبار وصف التصدق وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء
الارض على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونصب ملء وقرئ مل الارض بضم اللام الاولى وفتح الثانية وحذف همزته ونقل
حركته كل من الهمزتين الى ما قبلها ثم حذفها وقرا الحسن وابو واقد ولو افتدى به بفتح الواو واسقط الواو
ابن كثير عليه اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير والاقناط لان من لم يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة وعن ابن عباس لن تنالوا
ما عند الله من ثواب الجنة وعنه ايضا انها منسوخة باية الزكوة وعن مقاتل لن تنالوا التقوى وعن الضحاك
لن تدخلوا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها او ما يعمها
وغيرها كبذل الجاه في معاونة عباد الله والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله وكان السلف اذا احبوا شيئا جعلوه
لله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث
اراك الله فقال عليه السلام بخ بخ ذاك مال رابح ولكن اري ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول اوراجح نسخة
الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
عليه اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وشق ذلك عليه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال عليه
فقال عليه السلام اما ان الله قد قبلها منك وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان
الاية تعم الانفاق الواجب وغيره وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء
يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها وعن ابنه عبد الله انه اشترى جارية جميلة تحبها فاعتقها وزوجها رجلا فولدت وكان يأخذ
ولدها ويضمه الى نفسه ويقول اشم منك ريح امك فقيل له هلا اسكنتها فقرا الاية ونزل بابي ذر ضيف
فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم
اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وكان عمر بن عبد العزيز يشتري اعدال السكر ويتصدق
بها فقيل له هلا تصدقت بثمنها فقال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وقرا عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهو يدل على ان من في مما للتبعيض ومثلها في قوله
من المال وقرا زيد بن علي لن تنالوا البر حتى تنفقوا بالياء فيهما وما تنفقوا من شيء اي من شيء محبوب او غيره اي م
ومن هذه للتبيين فان الله به اي بكل شيء تنفقونه عليم فلا يضيع عنده عمل عامل منكم كل الطعام
كلمة كل للاحاطة والشمول فيقتضي تعدد ما في خبرها فاللام في الطعام اما للاستغراق اي كل المطعومات
ولا حاجة الى التقدير واما للجنس فيقدر مضاف هو جمع عام بالاضافة اي كل انواع الطعام فيكون كل
ههنا لتاكيد العموم المستفاد من اللام او الاضافة والطعام اسم لما يطعم اي يؤكل كالشراب اسم لما يشرب
كان حلا لبني اسرائيل حلالا والحل مصدر ولذلك يستوي في الوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال
الله تعالى لا هن حل لهم فاطلاقه على المطعومات بمعنى الفاعل او على حذف المضاف وفي حديث عائشة رضي

كل الطعام حلة و حرما عندنا ادعه عليه السلام لحل من الاحرام واداته الاحرام الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل ان تنزل التورية وهو يعقوب عليه السلام حرم على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق وكان به عرق
النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة
الاطباء واحتج به للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول فلعله باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء والمعنى ان المطاعم من جوز
كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء
قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وذلك تكذيب لليهود ورد عليهم
في دعوى براءة ساحتهم عما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وفي
قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتان بان قالوا لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح
وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في
دعوى النبي عليه السلام موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها فاشمأزت قلوبهم مما شهد به القران العظيم
من تحريم الطيبات عليهم واستعظموا منه فان ذلك يقتضي وقوع النسخ وهم كانوا يقولون في انكار شريعة النبي
عليه السلام لانكار النسخ قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين بحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من
ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما تدعونه روي ان النبي عليه السلام لما قال لهم
لم يجسروا ان يخرجوا التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز
النسخ الذي ينكرونه وفيه برهان واضح على صحة نبوته عليه السلام حيث اخبرهم بان ذلك ليس في كتابهم
وحاجهم وبكتهم به ولم يعلم احدا منهم اجابه الى ذلك فمن افترى على الله الكذب اختلقه على الله بزعمه انه حرم ذلك
قبل انزال التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون
المعاندون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون ولهوه ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون في افادة التعريض
به وقرا ابان بن تغلب قل صدق بادغام اللام في الصاد وكذلك قل تدبروا مدغمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا
وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومتبعوه حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف الذي في فساد
دينكم والمكابرة لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه والحنيف المائل
الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى الشرك بقوله وما كان من المشركين تكذيبا لاهل الكتاب وكفار قريش
في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم وتنبيها على ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين
والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريضا بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع لعبادة الناس
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه قراءة المبني للفاعل كانه قيل ان اول متعبد للناس الكعبة
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهو لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازم ولازب وهو علم للبيت الحرام
وحمى مغمطة ومغبطة وقيل بكة موضع المسجد ومكة البلد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام
الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح
ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق
الجبابرة اذ لم يقصدها جبار الا قصمه الله وروي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال

المسجد الحرام

فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت
قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم
عليه السلام ثم بناه قوم من العرب من جرهم حي من اليمن وهم اصهار اسمعيل ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش
وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض
خلقه الله تعالى قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه
ادم عليه السلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل لما اهبط ادم قالت له الملائكة طف حول هذا
البيت فلقد طفنا حوله قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء
الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقال اليماني للذي ببكة مباركا كثير الخير والنفع لمن
حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي
ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولما فيه من ايات يهتدون بها الى زيادة معرفة الله التي لا تحصل الا بالنظر والاستدلال فيه ايات بينات
كانحراف الطير عن موازاة البيت وان تعلوه وكعدم تعرض ضواري السباع لصيد الحرم وايضا
ان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل وايضا اذا كان الغيث في ناحية من نواحيه كان الخصب
بتلك الناحية وما يوازيها واذا عم البيت كان في جميع البلاد او الجلد مفترض للهدي او حال اخرى
مقام ابراهيم مبتدا محذوف الخبر اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف
بيان لوجهين ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم بتاثير
قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة وان يشتمل على ايات لان اثر القدم على الصخرة الصماء وغوصه
فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء اية
لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويؤيده قراءة
ابن عباس وابن مجاهد وابي جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه
لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل
انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر
فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى الشق الايسر حتى غسلت الشق
الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام
ابراهيم اي وضعها مقام ابراهيم ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله
على ان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة وتجوز ان تقتصر بذكرهما وتطوي ذكر غيرهما دلالة على
تكثير الايات كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان
فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم الحشر وعن النبي عليه السلام
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا وعن ابي ذر قال النبي صلعم اذا خرج الحاج من اهله فسار ثلثة ايام
او ثلثة ليال خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وكان سائر ايامه درجات وعن عائشة رضي الله عنها قالت رسول الله صلعم

اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل ان يقضي نسكه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وانفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل اربعين الف الف درهم فيما سواه في سبيل الله وقال عليه السلام
ان للحاج الراكب بكل خطوة يخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة
من حسنات الحرم الحسنة بمائة الف حسنة وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه المقبرة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون البقعة
الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه عليه السلام من صبر
على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام وهذا في المعنى نحو من قوله اولم يروا انا جعلنا
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذكر بدعوة ابرهيم عليه رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جنى
كل جناية ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه
وعن ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج
بان لا يطعم ولا يسقى ولا يبايع ولا يؤوى حتى يضطر اليه وفي الحديث ان الله خلق مكة وحرمها منذ
خلقت السموات والارض ولله على الناس حج البيت هو قصده للزيارة على الوجه المخصوص والحج
في اصل القصد ومنه المحجة الطريق ثم غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف وقرأ حمزة وعاصم والكسائي
بالكسر وهو لغة نجد والباقون بالفتح من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر النبي عليه السلام
الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وقال مالك انها بالبدن فان مذهبه
ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر
عليه من لا راحلة له ولا زاد وبالجملة يجب عنده على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال الشافعي انها بالمال
ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين وعن الضحاك
اذا قدر ان يوجر نفسه وهو يستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان
ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وعن ابن الزبير هو على قدر القوة والضمير في اليه للبيت او الحج وكل
ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه اي كل ما يؤتى به الى الشيء ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع ومن
كفر موضع ومن لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال النبي عليه من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ونحوه من التغليظ قوله عليه السلام من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر واعلام
الثقات من علماء الاعلام وائمة العظام اجمعوا قطعا على ان الحج والصلوة من ضروريات الاسلام التي
بني عليها وهي خمس وقد قال عليه السلام من ترك واحدة منهن كان كافرا حلال الدم رواه ابن عباس رضي
الله عنهما في باب الفرح وسر الكبير وقد اكد امر الحج في هذه الاية بوجوه منها الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر
وابرازه في صورة الجملة الاسمية وتقديم الخبر ولام المكرر وكلمة الاستعلاء والتصريح بذكر الناس فانه يفيد ان الحج
حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن وجوب ادائه ووجوب الخروج عن عهدته الا باداؤه ومنها انه عمم
الحكم اولا ثم خصص فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية للمراد وتكرير له حيث ذكر الناس اولا ثم ابدل عنه من استطاع
اليه سبيلا ومنها تسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة ومنها انه قال عن العالمين ولم يقل عنه فان في وضع

الظاهر

الظاهر موضع المضمر تاكيدا للامر بقا بلفظ العالمين الدال على الاستغناء عنه برهان لان الاستغناء عن العالمين
يستلزم الاستغناء عنه فيدخل فيه دخولا اوليا ولانه يدل على كمال الاستغناء حيث لا يفتقر الى شيء مما سواه
فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه فان ذكر الاستغناء عنه في هذا الموضع مما يدل على السخط والمقت
والخذلان على انه تكليف شاق جامع بين بذل المال الذي هو شقيق الروح وكسر النفس واتعاب البدن والقطع عن
الشهوات والتوجه الى الله وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه
لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلعم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا
فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي عليه
حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه
وقال ابو هريرة قال رسول الله عليه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة خرجه البخاري ومسلم وعن ابن مسعود
حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت ام سقطت وهلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما
واحدا ما نوظروا ايسا امهلوا ابل اعجلوا بالعقوبة يعني لا يسألون لم تركتم الحج ولكن يهلكون قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله اي باياته الدالة على صدق محمد صلعم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والله شهيد على ما تعملون والحال ان الله شهيد مطلع
على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم
اقبح وانهم زعموا انهم يؤمنون بايات الله التي هي التورية والانجيل فهم كافرون بها حيث حرفوا الكلم ونسخوا ما صعب
عليهم من الشرائع او لانهم اذا كفروا بما يصدقها فقد كفروا بها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن
(وهو القرآن)
كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم وايذانا بان كلا من الكفر بايات الله والصد عن سبيل الله قبيح
في نفسه غاية القبح مستقل باستجلاب السخط والعقوبة وسبيل الله طريقه الحق الذي امر الله بسلوكه وهو دين الاسلام
قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل انه اليهود الاوس
والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله وقرأ الحسن لم تصدون من اصد تبغونها
عوجا حال من الواو في تصدون اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا عن الحق بقولكم ان شريعة
موسى لا تنسخ وبتغيير صفة رسول الله عليه عن وجهها ونحوهما او بان تبغوا انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يكن
لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم اي تتعبون انفسكم بطلب المحال وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها
الا ضال مضل وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في خطايا هم امورهم الاحبار وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهدون في اخفائها ختم بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية
صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الانصار من الاوس والخزرج كانوا في مجلس لهم يتحدثون فمر بهم شاس

بن قيس اليهودي وكان كافرا شديد الحسد والطعن على المسلمين فغاظه تألفهم وتعطفهم من اجتماعهم بعد
ما كان بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس
اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس
ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من الفريقين خلق عظيم فبلغ النبي عليه السلام فتوجه
اليهم مع جمع من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر
الجاهلية والف بينكم فعرفوا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا واستغفروا وعانق بعضهم
بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلعم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد
ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم
ومضمون الآية تحذير للمسلمين عن اضلال اهل الكتاب واغوائهم على ما تشهد به القصة وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام في كيف مثله في قوله كيف تكفرون بالله ومعكم ما يصرفكم عن الكفر ويدعوكم الى الايمان
وهو الانكار والتعجب فان حكم العاقل بان ذاته تعالى متصفا بالعلم بالمعلومات باسرها والقدرة على المقدورات كلها
وسائر صفات الكمال صارف قوي عن الكفر وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنة الانكار والتعجب ولما كان كيف سؤالا عن الحال
كان الحاصل منه انكار حال الكفر اولا ثم انكار الكفر ثانيا لان انكار حال الكفر انكار الكفر بطريق برهاني لان كل موجود لا ينفك
عن حال وصفة عند وجوده فالحال من لوازم الشيء بمعنى انه يوجد بوجوده ويتحقق بتحققه فاذا انتفى اللازم ينتفي الملزوم
قطعا فيكون انكار حال الكفر انكارا لذات الكفر بطريق الكناية من جهة ان حال الشيء تابع لذاته وردیف لها وذلك
اقوى لانكار الكفر وابلغ والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز الفاصل بين الحق والباطل
تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم وقرأ ابن مسعود
وابن عمر والاعمش يتلى بالياء ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط
مستقيم فقد حصل له الهدى لا محالة والهداء اذا كان ما طلبه تحقق كان حاله

ولا ينقلب الى المستقبل

متوقع

ولا ينقلب الى المستقبل عنوان يتحقق فقد تحقق ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع
الهدى متشوف اليه كما ان قاصد الكريم متوقع الفلاح عنده يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالمراتب والنهي عنه كقوله فاتقوا الله ما استطعتم يعني بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع
منها شيئا وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي ما نقل عنه مرفوعا
الى النبي عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه وقيل لا
يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وهذه الآية تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب والتقاة من اتقى كالتؤدة
من اتأد واصلها وقية قلبت الواو المضمومة تاء كما في تهمة والياء الفا واصلها التؤدة وتؤدة ولا تموتن
الا وانتم مسلمون النهي راجع الى القيد الذي هو الحال فان قيل [illegible] والنهي [illegible]
[illegible] على الاسلام والمقيد الحقيقي [illegible] ان يكون [illegible] في حالة الاسلام [illegible]
لان النهي [illegible] فلا [illegible] ان يكون [illegible] على غير حالة الاسلام [illegible]
[illegible] النهي عن الموت في غير حال الاسلام [illegible]
[illegible] والقيد هو الكون على غير حال الاسلام [illegible]
في غير حال الاسلام فان الموت ليس بمقدور [illegible] الفعل وهو الموت ليس بمقدور قطعا
لعدم الملكة وانما النهي هو الكون على غير تلك الحال فان قيل [illegible]
[illegible] الفعل [illegible] بالمنهي الذي حقه ان لا يقع فان الموت [illegible]
الاسلام [illegible] الموت [illegible] الذي [illegible] الموت [illegible]
[illegible] هذا الفعل من حيث [illegible] المامور الذي [illegible]
وقيل معناه [illegible] على الاسلام [illegible] الموت [illegible] وقال الفضيل بن عياض الامام
[illegible] اخرج [illegible] عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام
يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى واعتصموا بحبل الله [illegible] الاصل [illegible]
[illegible] والقطع [illegible] قال [illegible] من حسن [illegible] للاسلام [illegible] وهو الحبل
[illegible] جميعا [illegible] فقال معناه تمسكوا بدين الله [illegible]
[illegible] المذكور [illegible] ابن مسعود [illegible] بالجماعة [illegible] حبل الله الذي امر به [illegible]
[illegible] في الجماعة [illegible] في الفرقة [illegible] الله [illegible] وهو [illegible]
و [illegible] قال [illegible] النبي عليه السلام ان هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين
[illegible] عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم
[illegible] الحبل من جهة ان [illegible] سبب [illegible] الله [illegible]
[illegible] التمسك بالحبل سبب السلامة من التردي [illegible] استعارة [illegible]

بالحال من غير اعتبار مجاز في المفردات او الحبل استعارة للعهد الذي يتمسك به والاعتصام استعارة
للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل بما يناسبه ومعنى الآية على الاول وهو التمثيل اجتمعوا على
الاستمساك بحبل الله ودينه وكتابه ولا تفرقوا عنه وعلى الثاني وهو اعتبار المفردات اجتمعوا على التمسك
بعهد الله وهو الايمان والطاعة ومعنى الاجتماع ماخوذ من مقابلة وهو قوله ولا تفرقوا بل من قوله جميعا
اي مجتمعين عليه كقوله لآمن من في الارض كلهم جميعا اي لاجتمع من في الارض كلهم على الايمان وقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس كانه قيل اجتمع الملائكة كلهم على السجود لآدم الا ابليس فانه في الغالب [illegible]
في كل موضع يكون الفاعل متعددا كقولك جاءني القوم جميعا او اجمعون ولكن هنا على ذكر منك
ولا تفرقوا ومعناه النهي عن التفرق او عما يكون سببا فيه اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او ولا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا [illegible]
او ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها [illegible] جامعكم وهو اتباع الحق والتمسك
بدين الاسلام واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وبالالفة ما كان بينكم من التعادي
والتحارب اذ كنتم اعداء في الجاهلية فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على امر واحد
والظاهر ان الحكم عام بدليل صدر الآية يا ايها الذين آمنوا فالمراد المسلمون لما كان بينهم في الجاهلية من
الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا منه عداوات
واجتمعوا على امر واحد وهو الاخوة في الله او وجب الاجتماع وازال عنهم التفرق والاختلاف وقيل هم
الاوس والخزرج كانا اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين
سنة حتى اطفاها الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله عليه السلام [illegible] وكنتم
على شفا حفرة من النار وكنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحالة
لكنتم من اصحاب النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير منها للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لاضافته الى الحفرة
كما في قولهم سقطت بعض اصابعه وقول الاعشى كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان
شفا البئر وشفتها حرفها وطرفها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث
قال الاخفش لما لم تجز فيه الامالة عرف انه من الواو وتثنيته شفوان كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون كي تثبتوا على الهدى وتزدادوا هدى [illegible] ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض واستدلوا بان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من فروض الكفاية [illegible]
ان فرض الكفاية انما يجب على البعض من غير تعيين كالواجب المخير يعني يبهم من الامور المعينة وهو مذهب مردود والمحققون
يجب على الكل ويسقط بفعل البعض حتى لو ترك الناس كلهم اثموا جميعا [illegible] الوجوب على الجميع سوى هذا ولو وجب على بعض مبهم كان
بعضا مبهما وهو غير معقول بخلاف [illegible] الواجب المخير وبانه لا يصلح للامر على المعروف والمنكر ومايتعلق بهما لان
الجاهل ربما يعكس [illegible]
ايضا [illegible]

بفعل البعض يحصل المقصود والمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وفائدته [illegible]
بالمعروف والنهي عن المنكر لكل الامة لا البعض والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عليه من عطف الخاص على العام للايذان بفضلهما [illegible]
كما نطق به الاحاديث [illegible]
[illegible] انه سمع عثمان يقرا وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بكمال
الفلاح والمخصوصون بنيل الفوز عند الله دون من عداهم وعن النبي عليه السلام انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله
وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له [illegible]
قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب
لكم وعن سفيان الثوري [illegible]
واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشارع حرام [illegible]
اما الصالح فظاهر واما العاصي [illegible]
وعن عائشة رض قال رسول الله عليه السلام [illegible] فقالوا يا رسول الله كيف قال [illegible]
ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال عليه السلام ان الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا
المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وقال عليه السلام كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن
منكر او ذكر الله تعالى وقال عليه السلام ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة [illegible]
[illegible]
[illegible]

في كتبهم الشاهدة على صحة دين الاسلام فانهما اسباب الهدى والاتفاق على الحق والنجاة من الضلالة فالنهي مخصوص بالتفرق
في الاختلاف في الاصول دون الفروع بدليل قوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد
فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة وهم سبع فرق الخوارج والروافض
والمعتزلة والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة ثم ان عند الاكثر ان من اهل القبلة الاجابة في ترك الله تعالى وتعذيب آدمية
او انكار النبوة او ما علم مجيئه عليه السلام به ضرورة او المجمع عليه كاستحلال المحرمات واما ما سواه فالقائل به مبتدع غير كافر
والوجه الاول هو الاظهر لان الايات السابقة في اهل الكتاب **وأولئك لهم عذاب عظيم** وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم **يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه** نصب لهم لما فيه من معنى الفعل او باضمار اذكر والبياض والسواد مجازان عن بياض الصحيفة والنور وسواده
والظلمة فان من كان من اهل الحق والايمان يسعى النور بين يديه وبيمينه وابيضت صحيفته واشرقت ومن كان من اهل الباطل والكفر
احاطت به الظلمة من كل جانب واسودت صحيفته واظلمت نعوذ بالله من ذلك وقيل هما كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه
ويجوز ان يكونا على حقيقتهما وهو الاظهر واليه ذهب الجمهور لكن اختلفوا في وقته فقيل ان ذلك حين يبعثون من قبورهم تكون
وجوه اهل الايمان مبيضة ووجوه اهل الكفر مسودة وقيل حين يقرؤون الكتاب فان المؤمن لما قرا كتابه يرى في الحسنات
استبشر وابيض وجهه والكافر اسود وجهه وقيل عند قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل اذا كان يوم القيامة يؤمر
كل قوم بان يجتمع الى معبودهم فاذا انتهوا اليه حزنوا واسودت وجوههم فيبقى المؤمنون واهل الكتاب والمنافقون
فيقول الله تعالى للمؤمنين من ربكم فيقولون ربنا الله تعالى فيقول لهم اتعرفونه اذا رايتموه فيقولون سبحانه اذا اعرفنا عرفناه
فيرونه كما شاء الله فيخر المؤمنون سجدا لله تعالى فتصير وجوههم مثل الثلج بياضا ويبقى اهل الكتاب والمنافقون لا يقدرون
على السجود فيحزنوا واسودت وجوههم وقرا الحسن والزهري تبياض وتسواد وابو نهيك وعكرمة تباض وتسود
بكسر التاء ويجوز تبيض وتسود بكسر التاء على لغة تميم **فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم** على ارادة القول
اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والاظهر انهم اهل الكتاب لان الاية المتقدمة فيهم فقد كفروا
برسول الله عليه السلام بعد ايمانهم به قبل مبعثه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني
قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل جميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او
تمكنوا من الايمان بالنظر في الايات والدلائل وقيل هم اهل البدع والاهواء قال ابو امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق
دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب
اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله عليه السلام فقال بل سمعته من رسول الله عليه السلام غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة
لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم **فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون** اي بسبب كفركم او جزاء كفركم **واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله** اي ففي الجنة التي
هي محل الرحمة دار السلام والثواب المخلد لانه ما ينقطع محنة ولا رحمة ولا فترة له بقوله تعالى هم فيها خالدون ولمقابلته العذاب
المخلد المعد للكافرين وفي التعبير عن ذلك بالرحمة دلالة على ان المؤمن وان صرف عمره جميعا في عبادة الله وطاعته
لا يدخل الجنة الا برحمته وتفضله ومصداق ذلك قوله عليه السلام ان الله تعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها
باعمالكم وقوله عليه السلام لن يدخل احد الجنة بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فيكون

كتحققه

حتى الترتيب

حق الترتيب ان يتقدم ذكر المؤمنين لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حليتهم وثوابهم **هم فيها خالدون** وكان سببا فالتاكيد كانه قيل
كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون **تلك آيات الله** الواردة في وعده ووعيده **نتلوها عليك بالحق**
ملتبسة باليقين الذي لا يشك فيه الا الكافر والمنافق وقرا ابو نهيك يتلوها بالياء في كل القرآن **وما الله يريد ظلما للعالمين**
معناه لا يريد شيئا من الظلم لاحد من العالمين لان الظلم من صفات النقص كالجهل والكذب والله المتصف بصفات الكمال والجلال الاداء
المتعالي عن صفات النقص علوا كبيرا فلا يحوم حول الظلم والجور فيما يحكم ويفعل ان اثاب فبفضله وان عاقب فبعدله لا يجب له شيء اصلا
سواء ونكر ظلما للافادة العربية والابهام لان الوصف ماخوذة بمعنى الاسم مع التنوين والتنكير وهو التعليل ههنا وجمع العالمين لان
الجمع المعرف باللام يتناول لكل واحد من الافراد كالمفرد والكاسر ان في الظلم بمعنى العربية فيلزم شمول النفي وفي العالمين يشير الى صفة
العموم فيكون تعميم النفي **ولله ما في السموات وما في الارض** اي يختص بالله كل شيء في العالم خلقا وملكا وعلما فهو مالك امور العالمين ويدبرها
ويجريها على حسب مصالحهم وهو اعلم بهم وبما يصدر منهم **والى الله ترجع الامور** فيجازي كلا بما قدم بما وعد واو عد **كنتم خير امة** كان عبارة
عن وجود الشيء في الزمان الماضي فيستعمل فيما هو حادث نحو كان زيد قائما وفيما هو دائم كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ولا دلالة فيه
على عدم سابق ولا على انقطاع لاحق فقوله تعالى كنتم خير امة لا يدل على انهم لم يكونوا خيرا فصاروا خيرا او انقطع ذلك منهم كانه قيل وجدتم
خير امة موصوفين به وقيل في اللوح وكان في الاقوال كلها ناقصة لا غير والوصف من هذه الاحوال تحقيق معنى الماضي واما التامة فمعناها
وجد بمعنى صار موجودا وهو معنى وقع وحدث فيجوز ان يدعى فيها الدلالة على عدم سابق وامة واحد لا يراد به الا الجمع اي الامم
بدليل قول النبي عليه وجعلت امتي خير الامم ونظيره قوله تعالى وصالح المؤمنين على احد الوجهين **اخرجت للناس** المعرفة لهم وقوله
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به كونهم خير امة او خبر بعد خبر لكنتم **وتؤمنون بالله** ومعنى الايمان بالله التصديق
في جميع ما كان من شرع فيلزم الايمان بكل ما امر به ان يؤمن به وهو الايمان المعتد به فمن امن ببعض الاديان مؤمنا بالله بل اولئك هم
الكافرون حقا وهذه الاية من الادلة المشهورة على ان الاجماع حجة لان الخيرية في قوله كنتم خير امة توجب الحقية فيما اجتمعوا اذ لو لم
يكن حقا كان ضلالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولا شك ان الامة الضالين لا يكونون خير الامم مع انه قد وصفهم بقوله تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر واللام فيهما للاستغراق كانه قيل تامرون بكل معروف وتنهون عن كل منكر فاذا اجتمعوا على الامر بشيء يكون
ذلك الشيء معروفا واذا انتهوا عن شيء يكون ذلك الشيء منكرا فيكون اجماعهم حجة وذهب المحققون من علماء الاصول الى ان
دلالتها على ان اجماع المجتهدين من عصر واحد حجة قطعية ليست بقوية لان الظاهر ان الخطاب في قوله كنتم خير امة للصحابة بدليل
قوله لن يضروكم الاية وان الضلال في بعض ما هو من الخطاء في الاجتهاد وبعد تسليم التوسع لانا في كون المؤمنين الغافلين او الشاكين
المشتغلين بالاثم خير الامم ولان المعروف والمنكر تعبا على العموم اذ رب منكر لم ينهوا عنه لعدم الاطلاع عليه ولان المعروف
والمنكر بحسب الراي والاجتهاد ولا يلزم ان يكون كذلك في الواقع وبعد تسليم جميع ذلك لا دلالة قطعا على قطعية اجماعهم
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا يعتد به كما ذكر في الايمان **لكان خيرا لهم** مما هم عليه من دين الباطل **منهم المؤمنون** المصدقون بالله في جميع
ما بلغه ونبيه محمد كعبد الله بن سلام واصحابه **واكثرهم الفاسقون** المتمردون في الكفر ومن الجملة والتي بعدها واردتان
على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر زيد فان من شانه كيت وكيت ولذلك لم تعطفا على ما
قبلهما من الجملة الشرطية لانها عطف على كنتم خير امة مرتبطة به على معنى لو امن اهل الكتاب كما امنوا وامروا بالمعروف
كما امروا لكان خيرا لهم وانما لم يعطف للاستطراد اذ ذلك على الاول لتباعد ما بينهما ولكون كل منهما نوعا آخر من الكلام **لن يضروكم
الا اذى** الا ضررا يسيرا كطعن في الدين وتهديد ونحو ذلك **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** منهزمين ولا يضروكم بقتل واسر
ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم فتبين اخبار مستوي ما يكون من القول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال

ما كم

وقيل كنتم في علم الله وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به

الا اذى وان يقاتلوكم

كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بان عاقبة امرهم الخذلان والذل وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا فثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم
النصر مقيدا بقتالهم كتولية الادبار وحين رفع كان عدم النصر وعدا مطلقا غير مقيد بقتالهم فظهر الفرق بين
جزمه ورفعه في المعنى وهذه الآيات من المغيبات التي وافقها الواقع فانه قد كان كما اخبر من حال قريظة والنضير وبني
قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية فهم اذلاء اما اهل
مدقعة ومتربة ومسكنة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عامة الاحوال اي ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة الناس وهم المسلمين
اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوا من الجزية وقيل الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين
بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من الله رجعوا او صاروا
او رجعوا به مستوجبين له او استوجبوه وقرا الشعبي وابراهيم وباوا بضم الواو وحذف الهمزة وضربت عليهم
المسكنة جعلت الذلة والمسكنة محيطة بهم احاطة القبة المضروبة على اهلها فيكون استعارة تبعية او شبهت كل منهما بالقبة
فيكون استعارة بالكناية ثم اثبات الضرب للذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء بغير حق عندهم لعنت اليهود فانهم قد قتلت زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من غير جرم يجوز
بالقتل عندهم ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله من كل نحو مع كفرهم بآيات الله
وقتلهم الانبياء ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء ويكون الباء في بما عصوا للسببية فيكون بيانا لسبب السبب مبالغة في زجر
اجتناب المعصية والاعتداء فانهما يفضيان الى جحود الآيات وقتل الانبياء والمعنى ان ذلك الكفر والقتل بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا في ارتكاب المعاصي واعتداء الحدود وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على الكفر بالآيات والقتل للانبياء او المصاحبة اي
ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا وقد كان كاملا في السببية فكيف وقد انضم اليه العصيان والاعتداء وقيل معناه ان ضرب
الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع
ليسوا سواء اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان قوله ليسوا سواء ومعنى قائمة مستقيمة عادلة
من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عن تهجدهم
بتلاوة في ساعة الليل مع السجود لانه ابلغ في المدح وابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم لما فيه من التفصيل لما هو الهدى في
الصلوة والتعبير الصريح عما هو في نفسه من محاسن الطاعات بما يميز صلوتهم من صلوة اهل الكتاب وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل
الكتاب لا يصلونها عن ابن مسعود اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس
من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الآيات يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة اي مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من التلاوة والسجود والايمان وغيرها
من الصفات المضادة لاعمال اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله تعالى ملحدون في صفاته واصفون
اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات ولم يشهد بالصلاح بمجرد الايمان بقطرية ... اضاف
اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايذانا بفضله ودلالة على شرفه واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات من
جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله تعالى واستحقوا رضاه وثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين واللام
للعهد وعلى الاول للجنس وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا
وانما عدي الى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية

بها عليهم تخيلا وعلى
الوجهين فالكلام مبني
على كونهم اذلاء مستقلا
وعن ... في ذلك اشارة
الى ما تقدم من ضرب
صح

حفص فلن يكفروه

حفص فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بان يعطيهم على تقواهم حسب ما يليق ودلالة على
ان التقوى مبدأ الخير وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي لن
تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته ونحوه وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق شيئا ومنه
لا ينفع ذا الجد منك الجد اي بدل عبادتك وما عندك وقيل من العذاب او من الغنى فيكون مصدرا وقرا الاعرج ويحيى
بن يعمر بالياء واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون وقال مقاتل ذكر قبل هذه الآية مؤمني اهل الكتاب ثم ذكرها
كفارهم وقال الضحاك المراد جميع الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم ممن خالف دين الاسلام فانهم تفاخروا بالاموال
والاولاد وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر الله تعالى ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم من عذاب
الله شيئا وقال الكلبي لن تغني كثرة اموالهم ولا كثرة اولادهم من عذاب الله شيئا مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة في غير طاعة الله
في هذه الحيوة الدنيا تفاخرا ... الانفاق كقوله واشربوا في قلوبهم العجل وقوله انما ياكلون في بطونهم نارا كمثل ريح فيها صر
برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى
الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد
للمبالغة كقولك برد بارد ويجوز ان يكون من باب التجريد انتزع من الريح ريحا باردة مبالغة في بردها والا في نفسها
صر كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ... للضعفاء كان اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط الله ابلغ شبه ما انفقوا رياء وسمعة في ضياعه وقلة جدواه
بزرع كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق فيه منفعة ما في الدنيا ولا في الآخرة وهو من التشبيه المركب الذي مر عند قوله
تعالى كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث او مثل اهلاك الله ما ينفقون كمثل اهلاك
ريح وهما من التشبيه المركب كالاول لا من تشبيه المفرد كما سبق الى بعض الاوهام كيف وقد علمت ان المثل عبارة
عن الحال والقصة وقال الضحاك مثل نفقة الكفار من اموالهم في اعيادهم على اصنامهم وما يعطي بعضهم بعضا في
الضلالة كمثل ريح وقال مقاتل مثل نفقة سفلة اليهود على رؤسائهم كمثل ريح وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله ولكن انفسهم
يظلمون وما ظلم الله المنفقين بعدم قبول نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم حيث لم ينفقوا لوجه الله او ما ظلم اصحاب الحرث
باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها
هم يعني ولكن هم لا غيرهم ظلموا فبنى الكلام على انفسهم من حيث فاعليتها لا مفعوليتها كما في القراءة المشهورة ولا يجوز ان
يقدر ضمير الشان بان يقول ولكنه انفسهم يظلمون لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وخاصة وهو الذي يفضي الرجل اليه بشقوره ويعرف اسراره ثقة به مستعارة من بطانة
الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي عليه السلام الانصار شعار والناس دثار والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد والدثار
ما فوق الشعار يريد ان الانصار اخصائي واقرب الناس الي من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او
بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة اياكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو هو التقصير واصله ان يعدى
بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع او النقص فان من قصر في حقك فقد منعك شيئا او
نقصك والخبال الفساد ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم
بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم
مع ضبطهم وتحاملهم عليها لفرط بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء من افواههم الى اوليائهم لانهم لا يتمالكون انفسهم
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية

بالمعنى

ه اهل م

لاوليائهم من المنافقين
والكفار لاطلاع بعضهم
بعضا على ذلك وقرأ عبد الله
قد بدا البغضاء م

لبس من دونه واخباره قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في دين الاسلام وموالاة اهله وهم المسلمون ومعاداة
اعاديه وهم الكافرون ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع مستأنفات على سبيل التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ولا
جل ان كلا منها علة للنهي بالاستقلال ترك العاطف دلالة على الاستقلال كما في قوله تعالى ذلك بانهم كانوا ذلك بما عصوا
كانه قيل لا تتخذوهم بطانة لانهم لا يألونكم خبالا لانهم يودون شدة الضرر في دينكم ودنياكم بدليل انه قد بدت البغضاء
من افواههم وان كانوا يخفون الاكثر لانا قد بينا ما يدل على وجوب معاداة اعداء الله تعالى وهي كما ترى بمنزلة اربع
شواهد تقرر لزوم عدم ظنهم ونحريان احق الحقوق وجوب عداوتهم سرا وجهرا لما امروا بها افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وذلك لانهم كانوا شياطين الانس اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى
وامقتهم عنده وصدورهم كانت تغلي على النبي عليه والمؤمنين غلا وحنقا ويتحرقون عليهم حسدا وبغضا ويجوز ان تكون
الثلث الاول صفات لبطانة غير ما نهيتم خبالا منصوبة انتصاب الضرر بزيادة اي لا ما عرفتم بغضا وضررا فان قوله ودوا ما عنتم لما وقع
بين الصفتين تعين انه صفة وقيل الجمل الثلث وهي لا يألونكم قد بدت البغضاء قد بينا لكم الايات لظهور ان قوله وما تخفي صدورهم
اكبر حال وان قوله ودوا ما عنتم بيان وتأكيد لقوله لا يألونكم خبالا فحكمه وقيل الاولين كانه قيل بطانة غير اليكم خبالا
بادية بغضا وكم واما قد بينا فكلام مبتدأ والاحسن الاستئناف لما فيه من الفوائد وان كلا منها علة مستقلة في المنع من
اتخاذ البطانة وما في الصفات من الدلالة على خلاف المقصود وايهام لا اقل وهو تقييد النهي بكون البطانة على هذه
الصفات ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم بيان
لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لقوم يحب بغضهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم وها حرف تنبيه
وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون
الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب كله للحال من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع
ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم
وانما لم يجعل معطوفا على تحبونهم مع نظيره لان ذلك في معرض التخطئة بل محض الخطاء ولا كذلك الايمان
بالكتاب كله فانه محض الصواب واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واستهزاء وقرأ زيد بن علي واذا لاقوكم واذا
خلوا ومضى اليه اولم يجد ذف يقال خلا بفلان واليه اذا انفرد معه او هو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية
او من خلاه اذا تركه تقول خلا فلان بعرض فلان اذا عبث به معناه واذا انقلبوا السخرية بكم الى اصحابهم وحدهم
بما اذا ذروا الى كفرهم وتحرقوا عليكم تلهفا وغيظا وعضوا الانامل من الغيظ وقال بعضهم لبعض الا ترون الى هؤلاء قد
ظهروا وكثروا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا لم يجدوا الى التشفي سبيلا ويوصف المغتاظ والنادم
بعض الانامل والبنان والابهام قال فاقتلوا قوما ايبا ما ان ترد تعضون من غيظ رؤوس الاباهم واصلها الاباهيم فحذفت الياء
تخفيفا وتقرير المقام ان عض الانامل واليدين واكل البنان كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة
ويدل بها على المردوف ويصير الكلام به بديعا ويرتفع في طبقة الفصاحة قل موتوا بغيظكم دعاء بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام وعز اهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الغل
والبغضاء والحنق وهو يجوز ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل غيظا اذا
خلوا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما
اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ومالم يحكوا به الى بعد ويجوز ان لا يكون ثم قول من النبي عليه السلام وانه لا يؤمر

بحقيقة القول بقوله قل موتوا بغيظكم بمعناه طب نفسك وكن مستبشرا بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز
الاسلام وقوة اهله واذلالهم به وضعفهم كان قيل حدث نفسك واعلمها بذلك ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي معاداتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وقيل المس مستعار للاصابة وعن الزمخشري انما جيء المس والا
صابة لافتنان الكلام لانه افصح واحسن وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا موالاتهم او وان تصبروا على
تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم او وان تصبروا
على المكاره والشدائد وتسلكوا سبل التقوى لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله فانه ولي الصابرين وانه
مع المتقين وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على امور الدين والدنيا بالصبر والتقوى وهما من افضل
مكارم الاخلاق قال رسول الله عليه افضل الايمان الصبر والسماحة وعنه عليه السلام تقوى الله تعالى ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهو الورع رواه انس رضي الله عنه وعن ابن الزبير خطب في اليوم الذي
قتل فيه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الموت قد تغشاكم سحابه واحدق بكم ربابه واطلوق بعد تفرق وارجحن
بعد تبسق وهو منصاح عليكم بوابل البلايا تتبعها المنايا فاجعلوا التسويف للمنايا فرصا ورهين التقوى
واستعينوا على ذلك بالصبر فانه لن يدرك مكرمة مؤنقة ولا فضيلة سابقة الا بالصبر وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو لا يضركم بكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره وقرأ الباقون بضم الضاد كقولك مد هذا وروي
المفضل عن عاصم بفتحها وذلك لان المجزوم من المضاعف المضموم العين يجوز فيه الضم للاتباع والفتح للخفة
والكسر لاجل تحريك الساكن ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط عالم لا يضيع عنه فكل ما ملمين
اهل الصبر والتقوى وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ
غدوت من اهلك من حجرة عائشة وهو غدوه عليه السلام منها الى احد تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي
وتهيئ لهم وتعضده قراءة عبد الله للمؤمنين باللام وقرأ يحيى بن يعمر وابو رجاء تبوي المؤمنين بحذف الهمزة و
الياء مقاعد للقتال مواقف للقتال واماكن له وقد اتسع في قعد وقام حتى اجري مجرى صار واستعمل المقعد
والمقام في معنى المكان كقوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك
روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله عليه
اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قبله قط فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول
الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا
منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا
الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي
فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم
الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا
على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما شئت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج

بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت النصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه
للقتال كانما يقوّم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره الى احد وامّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا
والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم او سميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي
مصالحكم اذ همت نصبه باضمار اذكر او هو بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم اي يجمع
بين سماع الاقوال والعلم بالضماير اذ لا معنى لتقييد كونه سميعا عليما بذلك الوقت والاحسن ان يتعلق بقوله
سميع عليم اي يعلم المصالح اذ همت طائفتان منكم من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في الف وقيل
في تسعماية وخمسين والمشركون في ثلثة الاف ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل
عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيّان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله عليه وعن ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد اي ارشدهم
وخلق فيهم عزيمة الثبات وكلامه يدل على ان همهم كان عزيمة النبا وكلامه يدل على ان همهم كان عزيمة و
قصد للرجوع عن الحرب وقيل الظاهر انه ما كان الا خطرة وحديث نفس لما ان هما وقوي بقوله تعالى
والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والتحق بحال اصحاب النبي عليه ويجوز ان يراد والله ناصرهما
فما لهما تفشلان يعني ان ما سبق ليس بقطع بجواز ان يكون والله وليهما في موقع الحال على معنى انهما عزما على
الفشل والرجوع مع المانع القوي من ذلك وهو ان الله ناصرهما ومتولي امرهما وقيل يجوز ان يراد والله و
ليهما حيث رجعتا عن الهمة والعزمة وثبتتا خشية من الله وطلبا لرضاه ورضى رسول الله عليه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه لا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر وعنه عليه السلام يدخل الجنة من امتي والله
سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون و تر انبه الله وليهم
كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما يوجب عليهم التوكل
من فتحه لهم يوم بدر وهم في حال قلة وذلة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا
فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وهي جمع قلة والذلة جمع الكثرة وانما قال اذلة دون ذلائل ليدل
على قلتهم مع ذلتهم لما بهم من ضعف الحال وقلة المراكب والسلاح وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب
النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وكانوا ثلثماية وبضعة عشر وكان عدوهم في حال
كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم ماية فرس والشكة والشوكة فاتقوا الله في الثبات مع رسول الله عليه
لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى فتشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم ولم
يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تقوا على ما شرط عليهم
عليهم لنزلت الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين وقدم لهم الوعد بنزول الملائكة

لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف
من الملائكة وانما جي بلن وهو لتاكيد النفي اشعارا بانهم لقلتهم وضعفهم وكثرة العدو وقوتهم كانوا كالآيسين
من النصر حيث اكد وانفى كفاية الامداد فتاكيد النفي لم يكن الا لليأس من النصر وقيل امدهم الله تعالى يوم
بدر اولا بالف ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج
وقرأ ابن ابي عبلة منزلين بكسر الزاء ويعقوب بكسرها والتخفيف اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي
بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد ويأتوكم
اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا لبث فقيل جاء فلان وخرج من فوره اي من ساعته التي جاء فيها والمعنى
ان ياتوكم في الحال ومن ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ
وتاخير يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم مسومين وقرأ عاصم وابن كثير وابو عمرو
بكسر الواو والباقون بفتحها بمعنى معلمين انفسهم او خيلهم ومعلمين قال الكلبي معلمين بعمايم صفر مرخاة
على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب
خيلهم وعن قتادة وكانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله عليه تسوموا فان الملائكة قد تسومت ومنه عليه السلام بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين معلمين وكانت سيما الملائكة
يوم بدر عمايم سود ويوم احد عمايم حمر كذا في الفردوس وعن سهيل بن عمرو رايت يوم بدر رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون وفيه تصريح بقتالهم يوم بدر
وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل
اليه سيفي وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت
ضربة بالسوط فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله عليه فقال
صدقت ذاك من مدد السماء وقيل نزل جبريل في خمسماية ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في
خمسماية على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنا
بها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن
مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم
غلبونا لا انتم وفي بعض الروايات نحن ضعف ما قد يقال انهم لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون
المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم
لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وعن سعيد بن جبير قال جبريل يا محمد ان اصحابك
افضل قال الذين شهدوا بدرا قال كذلك الملائكة افضلهم الذين شهدوا بدرا وما جعله الله وما جعل امداده اياكم
بالملائكة الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به الا بشارة لكم بالنصر ولطمأنينة قلوبكم كما سكنت لبني اسرائيل
يعني اخبرا ابسم لتعلمكم وذلكم يجعل الله الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم ورعب

على قلوبكم وما النصر الا من عند الله اي وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من
من نصره الله او ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة روي ان النجاشي دعا يوما
جعفر بن ابي طالب واصحابه فلما دخلوا عليه راوه في اطمار جالسا على التراب ثم قال ابشركم ببشارة انه
قد جاني عين فاخبرني ان الله تعالى نصر نبيه واهلك عدوه بموضع يقال له بدر كثير الاراك كاني انظر اليه كنت
ارعى به لسيدي رجل من ضمرة ابله فقال له جعفر ما بالك جالسا على التراب في الاطمار فقال ان الله تعالى انزل
على عيسى ان حقا على عباد الله ان يحدثوا لله تواضعا عند حدوث نعمة لهم فلما انزل لنبيه هذا النصر احدثت
انا هذا التواضع العزيز الغالب الذي يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بسبب وبغير سبب على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا واللام
متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر على تقدير ان يكون اذ تقول ظرفا لنصركم لا بدلا ثانيا من اذ غدوت لان ذلك
يوم احد او بقوله وما النصر الا من عند الله والمعنى ليهلك طائفة منهم بقتل بعض واسر بعض وما كان يوم
بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديد قريش او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة يقال كبته
بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا واري عدوا هو من
الكبد والرية وفي المغرب كبته الله اهلكه من باب ضرب واو للتنويع فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال او
جمعوا غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على ليقطع او يكبت اي النصر من عند الله سبب
للقطع او الكبت او التوبة او التعذيب فان قيل هو يصلح سببا لتوبتهم والكلام في التوبة عليهم اجيب
بانه يصلح سببا للاسلام الذي هو سبب التوبة عليهم فيكون سببا لها بالواسطة والمعنى ان الله مالك امرهم
فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم
شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم وجهادهم وقيل يجوز ان يكون عطفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس
لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وعلى
التقديرين هو من عطف الخاص على العام وفي مثل هذا العطف بحث او تطول وقيل او بمعنى الا ان وهذا ايضا
من النصب باضمار ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمو
قد استوجبوا التعذيب بشوم ظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض قيل هو تاكيد لقوله ليس لك من الامر
شيء والمقصود منعه عليه السلام من كل فعل وقول الا ما كان باذنه ارشادا له الى كمال درجات
العبودية وان من اداب العبيد ان لا يخوض في اسرار الله في ملكه وملكوته اي له الخلق كله وله الامر كله
فلا يجوز لغيره ان يتصرف في ذلك الا باذنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب
فان تعقيب قوله لله ما في السموات وما في الارض بتعليق المغفرة والتعذيب بالمشيئة ثم تذييله بقوله

والله غفور رحيم

والله غفور رحيم دليل بين على انه تعالى يفعل ما يشاء من غير وجوب عليه ولا استيجاب من العبد فالتقييد
بالتوبة وعدمها كما ذهب اليه المعتزلة كما في قوله وعن رسول الله صلعم لو ان العباد لم يذنبوا لخلق الله عبادا يذنبون
فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وعنه عليه السلام ليدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد شراد البعير على اهله قيل
يا رسول الله ومن الذي لا يقول لا اله الا الله وعن ابي عمر قال رسول الله لا يعذب من خلقه الا المارد المتمرد
الذي يابى ان يقول لا اله الا الله وعن انس قال النبي عليه السلام ان الله لا يهتك ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير
والاحاديث الصحيحة في هذا النوع كثيرة ولكن لم يرض بها من ليس له بصيرة ثم انما لا ينكر ان تصرف المالك
على الاطلاق يكون جورا وظلما وانما ذلك في العباد وهذا بين جلي عند اهل الكتاب الا ان الاعمى لا يهتدي
الى طريق الصواب وعن انس قال رسول الله ان بين يدي الجنة لقناة يتواهب المسلمون فيها ذنوبهم حتى
ينقد الرب تعالى ادخلوا الجنة بغير حساب واعظم من ذلك ارضاء الخصوم من فضله والله غفور رحيم
فلا تبادر الى الدعاء عليهم فانه يجعل منهم ويخرج من اصلابهم من يشرب بالكوثر الرحمة ويعبد الله واحدا
لا يشرك به شيئا يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه
من تضعيفه وذلك ان قوله اضعافا مضاعفة حال ليست لتقييد النهي بها بحيث ينتفي الحرمة عند انتفائها
بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على انهم كانوا على الطريقة المذمومة التي ربما يستقبحها الكل الربوا ايضا
كان الرجل منهم اذا كان له على انسان مائة درهم وبلغ الدين محله ولم يكن المديون واجدا للمال قال زد
في المال حتى ازيد في الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثاني فعل مثل ذلك الى اجال كثيرة فياخذ
بسبب المائة اضعافا فيستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وهذا هو المراد من قوله اضعافا مضاعفة
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون ارادة ان تفلحوا
وتنجوا من العذاب ثم بالغ في التخويف بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز من متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه اشعار بان النار معدة للكفار اولا وبالذات وللعصاة ثانيا وبالعرض كان ابو
حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار التي اعدت للكافرين ان لم
يتقوه في اجتناب محارمه وعن الاوزاعي بلغني ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلعم فقال انبئك خبرا من الله فيما
فتح النار فوضعت على النار يسعر ليوم القيمة فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد
عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها
والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب
في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على جبال الارض
جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه
وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي عليه السلام وبكى جبريل عليه لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال
اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت

ثم اوقد عليها الف عام حتى ابيضت

نكروا قلوبهم الايمان حتى نوره بامر السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد استكان تعصيا. فبعذبهما وفضل محمد على
ساير الانبياء كفضل جبريل على ساير الملايكة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا
من المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في نحو هذه المواضع دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له
وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة وهو الاقامة لله ورسوله فيما امر
ونهى عنه وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو والباقون بالواو ويؤيده قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع لو وصل بعضها
ببعض وذكر العرض دون الطول مبالغة لان كل ما له طول وعرض فان عرضه اقل من طوله فاذا كان
هذا عرضها فما ظنك بطولها ويجوز ان يراد بالعرض البسط كقوله فذو دعاء عريض وقال الزهري انما
وصف العرض لان طولها لا يعلمه الا الله وهذا على سبيل التمثيل لا انها كالسموات والارض لا غير وقال
السدي لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل خردلة جنة عرضها السموات والارض وعن ابي
سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه اذا اسكن الله تعالى اهل الجنة بقي في الجنة مكان فيخلق الله
تعالى ستين ... عالما ... اكبر من الدنيا منذ خلقت الى يوم تنقطع فيسكنهم الجنة ... اهل الجنة
منزلا لا ... من الاعمال وعنه عليه السلام انما مثل ... تقول الجنة ... من الجنة
والملوك والغرا عنه ولم ... من ضعفاء خلقك فينشئ الله تعالى خلقا عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى
لهم من خلق لم يذوقوا ... ولم يروا ... اعينهم رواه انس وفي ... تقوية لقول الزهري والسدي
كما لا يخفى على الفطن الذكي وسيل انس عن الجنة اهي في السماء ام في الارض فقال اي ارض وسماء تسع الجنة
بل هي فوق السموات السبع تحت العرش ... النار وعظم امر الاخرى ... عباده على المسارعة الى المغفرة
المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وبين صفاتهم الموجبة للجنة ... بذكر التقوى لانه
ملاك الامر انما يتقبل الله من المتقين اي المؤمنين الذين امنوا ظاهرا وباطنا واخلصوا دينهم لله تعالى
و ... في قلوبهم ... الذي ... وعن رسول الله صلى الله عليه اوحى الله الى
... وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي من المعروف وساجعل له علامة ... احببته اليه ...
واصطنعه وحببت الى الناس الطلب اليه ... والولاء ومن رايته كرهت اليه
المعروف وبغضت الى الناس الطلب اليه فابغضه ولا تود داه من شر ما خلقت وعنه عليه السلام تجافوا
عن ذنب السخي فان الله تعالى اخذ بيده كلما عثر ... الغيظ وهو اجتراعه قال النبي عليه ما جرع عبد
جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال عليه السلام ما من جرعة احب الى الله من
جرعة غيظ كظمها عبد الا ملاه الله تعالى ... ايمانا ... بالعفو عن الناس وهو ترك عقوبة من استحق
مواخذته قال رسول الله صلى الله عليه اذا كان يوم القيمة ينادي مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا
اجوركم وحق على كل مسلم اذا عفا ان يدخل الجنة وعنه عليه السلام اذا كان يوم القيمة ينادي مناد من كان
له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال
لهم ادخلوا الجنة وعن ... الصفات الاربع من اخلاقهم الموجبة للجنة وعنه عليه السلام اذا جمع الله

الخلايق يوم القيمة ينادي مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم قليل فينطلقون الى الجنة سراعا الى
الجنة فمن انتم فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا
اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين اعدت للمتقين هيئت
للمؤمنين المطيعين لله ورسوله وان فرطت منهم الفرطات وصدرت منهم الكباير وان ماتوا على غير توبة
بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الكباير من امتي ... الذين ماتوا على كبايرهم غير
تايبين ولا نادمين من دخل النار منهم من الباب الاول من جهنم لا تزرق عيونهم ولا تسود وجوههم
ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران منهم من تاخذ
النار الى قدميه ومنهم من الى ركبتيه والى حجزته والى عنقه على قدر ذنوبهم واعمالهم حرم الله اجسادهم
على الخلود من اجل التوحيد وصورهم على النار من اجل السجود وقوله عليه السلام ما من احد يشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وعن معاذ قال كنت ردف النبي عليه
على حمار فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به
شيا قلت يا رسول الله افلا ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح
منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين ينفقون او هم الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة
او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو من مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بان ينفقوا ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى
عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عايشة ... انها تصدقت ... ولما كان الانفاق الذي هو
من نوال المال اشرف الاعمال واعظمه ... النفس ... الانقياد لله وامر قدم على كظم
الغيظ والعفو والكاظمين الغيظ الحابسين الغيظ من كظم غيظه كظما اجترعه او الممسكين اياه الكافين عن
امضايه مع القدرة من كظم القربة اذا ملاها وشد فاها ومن كظم البعير اذا امسك عن الجرة وقولهم
... كظوما اي لا يجترون وعن رسول الله عليه من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه امنا وايمانا
وعنه عليه السلام من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته
وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره من اي
الحور شاء وقال عليه السلام ... عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة والعافين عن الناس
اي التاركين لعقوبة من ظلمهم المتجاوزين عنهم والترحم عليهم وقال رسول الله صلى الله عليه قال موسى يا رب اي عبادك اعز
عليك قال الذي اذا قدر عفا وعنه عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت وقال عليه السلام اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي
اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال عليه السلام المسلم الذي يخالط
الناس ويصبر على اذاهم افضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن
ظلمه فقد هزم الشيطان والله يحب المحسنين واللام اما للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء
المذكورون وقد اتفق الجمهور على ان الجمع المعرف باللام يتناول كل واحد من الافراد كالمفرد واما للعهد
فيكون اشارة الى هؤلاء والذين اذا فعلوا فاحشة عطف على الذين ينفقون وقيل عطف على المتقين اي اعدت
الجنة للمتقين ... الطاعات والتاركين للسيئات والتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ... والذين

فاحشة اخص او ليذ فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل
ان الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دون الزنا من القبلة واللمسة والمعانقة وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا وروي ابن مسعود ان المومنين قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم
على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا
فسكت رسول الله عليه فانزل الله هذه الاية وقال عطاء نزلت في نبهان التمار وكنيته ابو مقبل اتته امراة
حسناء تبتاع تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها
فقالت اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي عليه وذكر ذلك له فنزلت وقال مقاتل والكلبي اخى النبي عليه
بين رجلين انصاري وثقفي فخرج الثقفي غازيا واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم
فلما ارادت المراة ان تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام
على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله
ووصفت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به ابا بكر
رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا وقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار
للمقيم ثم لقيا عمر فقال مثل ذلك فاتيا النبي عليه فقال لهما مثل مقالتهما فنزلت ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او حكمه او حقه
العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها ومخافة العقاب عليها
نادمين على الفعل فيما مضى عازمين على الترك في المستقبل ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه وصف لذاته بسعة الرحمة حيث ذكر الله المعبد بما لغة في الوصف الذي
يسبق له الكلام مع استغراق الذنوب بالاثم وفيه تطييب لنفوس العباد اذ في سعة الرحمة بشارة عظيمة وتنشيط
للتوبة لان اهتمام الله بشان التوبة يحرك نشاطهم لا محالة ويبعثهم عليها وردع عن اليأس والقنوط وشمول الرحمة
جميع الذنوب وقدم مغفرة الذنوب بعد ذكر الفاحشة وظلم النفس ايذانا بان الذنوب وان جلت فعفوه اجل واعظم
والكفي ان الله وحده معه ... المفلس عن النبي عليه من استغفر الله غفر الله له ذكره مسلم في صحيحه وعنه عليه
السلام ما من مسلم يعمل ذنبا الا وقف الملك الموكل بالحفظ ذنوبه ثلث ساعات فان استغفر الله من ذنبه ذلك في شيء من تلك الساعات
لم يوقفه عليه ولم يعذبه يوم القيمة ذكره الطبراني في المعجم الاوساط ولم يصروا على ما فعلوا اي لم يقيموا على ذنوبهم التي صدرت منهم
عن النبي عليه انا امرني استغفر وان عادوا في اليوم سبعين مرة وعنه عليه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار والاصرار
الاقامة على الشيء والثبات عليه وقال الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب وعن السدي هو السكوت
وترك الاستغفار واعلم ان الاستغفار باللسان من غير ندامة القلب توبة الكاذبين وعن الحسن استغفارنا يحتاج
الى استغفار وفي الاستغفار فوائد منها نزول بركات السماء حتما ومنها النجاة من كل ضيق لقوله عليه من
لزم الاستغفار واكثر منه جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ومنها
الاموال والاولاد ومنها التصريح للشيطان نصرا واعظمها لزوم المغفرة فاستغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين ويزدكم قوة الى قوتكم ويغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ...
كما قال النبي عليه طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا رواه البخاري ومسلم والنسائي وهم يعلمون
انها معصية حال من فعل الاصرار ويقصد بالنفي نفي الفعل والقيد معا لا بمعنى انتفاء كل من الامرين

نحو ما جئتك راكبا بمعنى لا مجيء ولا ركوب بل بمعنى انتفاء من غير اعتبار لنفي القيد واثباته اي لم يصروا في الذنوب عالمين
بقبحها والقيد في الكلام المنفي اما لتقييد النفي او لنفي المقيد بمعنى انتفاء كل من الفعل والقيد والقيد فقط او الفعل فقط
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها جملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطف الذين على الذين
ينفقون او المتقين وقد دلت هذه الايات على ان الجنة معدة للمتقين والتائبين او المتقين خاصة وان التائبين اجرهم مغفرة و
جنة وليست فيها دلالة على ان المصرين لم يدخلوا الجنة وانه لا يدركهم احسان الله وتفضله كيف وقد شهد رسوله الله وعز بان
الله تعالى قد حرم اجساد اهل الكبائر من هو سبحانه لهم كرم الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين في الخلود في النار من
اهل التوحيد وسجودهم وصورهم من اثر السجود وهل القطع بخلودهم في النار وعدم دخولهم الجنة الا معاندة لله وتكذيب لرسوله وشعبة
من القدرية اعاذنا الله واياكم من ذلك وعصمنا عن امثاله بالنبي واله واصحابه وعن عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت
فقدت النبي يوم ذات ليلة فاتبعته فاذا هو في مشربة يصلي فرايت على راسه انوار ثلثة فلما قضى صلوته قال من هذه قلت انا
عايشة يا رسول الله قال هل رايت الانوار الثلثة فقلت نعم يا رسول الله فقال ان اتاني آت من ربي فبشرني ان الله عز وجل يدخل الجنة
من امتي سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور الثاني آت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من امتي مكان كل واحد
من السبعين الفا سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور الثالث آت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل من امتي
مكان كل واحد من السبعين الفا المضاعفة سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب فقلت يا رب لا يبلغ هذا امتي قال يكملون لك من
الاعراب من لا يصوم ولا يصلي وعن ابي هريرة وابي سعيد قال رسول الله ... اشهد ان لا اله الا الله واني رسول
الله من لقي الله بهما غير شاك لم يحجب عن الجنة قيل تلك جنات في تقدير العطف على المتقين يدل على ان ما لهم دون ما موعود
للمتقين الموصوفين بالصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل اياتهم بان بين انهم
محسنون مستوجبون محبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه
وفصل اية التائبين بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين
المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنة قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وخلوا القليلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل ... الناس من ... و لا ارى مثلها في ما لف السنن
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي سيروا لاجل ... واعتبروا سير الغافلين
واشعوا النظر في اثار اهلاكهم لجعل النظر مسببا عن السير اعني ان كلاهما مطلوب لكن الاول
للثاني والمعنى ايجاب السير في الارض وايجاب النظر في اثار اهلاكهم للعبرة هذا
بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب قيل هذا
اشارة الى القرآن وقيل اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله
فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة تبصرة وموعظة
للمتقين او الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث
على الايمان وهدى وموعظة للمتقين وقيل اهدى بالناس المكذبون المنافقون بقوله

قد خلت من قبلكم لا السابقون الذين سن الله فيهم وقايعه يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت
وموعظة للمتقين للذين اتقوا من المؤمنين وقيل كرامة ورحمة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية مما اصابهم يوم احد وتقوية
من قلوبهم والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح
هذا بحسب المعنى واما من جهة اللفظ فهو عطف على سيروا في الارض واذا كان قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا من حيث
المعنى متعلقا بقصة احد كان توسيط حديث السير وما بعده استطرادا او اشارة الى ان هذا نوع آخر من عدوة
الدين وعمارة المسلمين على اختلاف الاراء وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتلاكم في الجنة وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او
وانتم الاعلون في العاقبة والغالبون على اعدائكم آخر الامر فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ولقد صدق الله وعده فانهم
لم يخرجوا بعد ذلك في غزو الا وقد ظفروا ونصروا حتى قيل لو كان في عسكر واحد من اصحابه عليه السلام كان الظفر
لهم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي من المعنى ولا تضعفوا ان صح ايمانكم فان ذلك يقتضي قوة القلب لوثوق على الله وقلة
المبالاة باعدائه واما من جهة اللفظ فجزاؤه ما يدل عليه النهي ثم انه قيد لنفس الترك او لطلب الترك للفعل او اتركوا الوهن
واتركوا الحزن ان كنتم مؤمنين فالمطلوب هو ترك الفعل والكف عنه او اطلبوا ترك الوهن وترك الحزن والغاية ههنا ان
القيد الوارد بعد النهي قد يتعلق بالطلب والمطلوب الذي هو الترك وقد يتعلق بالمنهي عنه الذي هو الفعل واما اذا ورد
بعد الامر فينحصر ان يتعلق بالطلب وبالمطلوب الذي هو الفعل فاحفظ هذه القاعدة او متعلق بالاعلون
اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا الكسائي وحمزة
وعاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراح وبالضم المها… وقرأ
ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم
قبله يوم بدر ثم لم يضعفوا عن قتالكم لما اصابهم ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا
يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله عم وجعل الشرط
والجزاء ههنا في معنى الماضي دون الاستقبال انما هو بتقدير كان اي ان كانوا قد اصابوا واتى … العدول بان ان قد
يجئ بطريق التعليق من غير نقل الماضي الى المستقبل ولا بد من … على حكاية الحال لقصد الاستحضار وكان قرحهم يوم
احد مثل قرح المسلمين فانه قد قتل يومئذ خلق من الكفار بدليل قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام اسم الاشارة مبتدا والايام صفته
نداولها خبر او تلك الايام مبتدا وخبر والفعل حال والمراد بها اوقات النصر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل
لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال والمداولة
كالمعاورة يقال داولت بينهم الشئ فتداولوه وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة
اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلعم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام
دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا ثم ركب النبي عم
وباشر القتال بنفسه وحمل على المشركين والتام اليه المسلمون فهزم الله جمع المشركين وليعلم الله الذين آمنوا

تعليل بفعل محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من قبيل التمثيل
المبني على تشبيه الحال بالحال اي فعلنا ذلك فعل من يريد ان يحصل له حقيقة العلم وانما لم يحمل الكلام على حقيقته لدلالته
على الحدوث وعلم الله ازلي لا يتصف بالحدوث وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا
منهم الثبات ولا يلزم منه التغير في علم الله تعالى وكون ذاته محلا للحوادث لان الحدوث انما هو في تعلق
العلم او عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف ايذانا بان
اول الامر بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم واعلم ان في قوله تعالى وليعلم الله
دلالة بينة على ان افعال الله معللة بمصالح العباد كما هو راي اصحابنا مع ان الاصلح لا يكون واجبا عليه خلافا للمعتزلة
قال صدر الشريعة وما ابعد عن الحق من قال انها غير معللة بها فان بعثة الانبياء عليهم السلام لاهتداء الخلق
واظهار المعجزات لتصديقهم فمن انكر التعليل فقد انكر النبوة وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله
وما امروا الا ليعبدوا الله واشارة لذلك كثيرة في القران ودلالة على ما قلنا وايضا لو لم يفعل لغرض اصلا يلزم العبث ولو
يلزم انه فعل لغرض فان لم يكن حصول ذلك الغرض اولى به من عدمه امتنع منه فعله وان كان اولى به كان مستكملا به فاعلا لانه
وقد قيل عليه انه انما كان مستكملا به لو كان الغرض راجعا اليه وههنا راجع الى العبد واجاب عنه ذلك لان تحصيل مصلحة
العبد وعدمه ان استويا بالنسبة اليه لا يكون غرضا وداعيا له الى الفعل لانه يلزم الترجيح من غير مرجح وان لم يستويا
بالنسبة اليه يكون فعله اولى فيلزم الاستكمال قال اقول هذا الجواب غير صحيح لانا لا نسلم انه ان استويا بالنسبة اليه لا يكون
غرضا وداعيا ولا يلزم الترجيح من غير مرجح لم لا يجوز ان الاولوية بالنسبة الى العباد مرجحا ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم
بالشهادة يريد شهداء احد او ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما صدر منهم من الثبات والصبر
على الشدائد من قوله لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو
اعتراض بين العلتين تنبيها على ان الله لا ينصر الكافرين حقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا
ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا
قليلا … ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم فام منقطعة والهمزة فيها للانكار اي ما كان ينبغي ولا ينبغي ان
يكون ذلك وحقيقة النهي عن الحسبان ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فجعل عدم
العلم عبارة عن عدم متعلقه لانه منتف بانتفائه فصار معنى لم يعلم الله في فلان خيرا لم يعلم فلان خيرا حتى يعلمه الله ومعنى لم يعلم
الله جهادهم لم جاهدوا واختصار القصد في نحو علم الله جهادهم ولم يعلم الله جهادهم ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه
بل الى اثبات المتعلق ونفيه والاثبات علم الله تعالى بها فانه تعالى لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها ومع كونها وبعد … ولما
بمعناها في المضارع الا في فائدة الكلام … والفرق بينهما ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل
وقرئ بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن شبها للنفي بالنهي وحذفها من غير ملاقات ساكن بعدها كقول الشاعر
هكذا … ويعلم الصابرين … بالسيف … هو تحريك لالتقاء الساكنين بالفتح … الامر واتباعا لللام
وابقاء للتفخيم … لم يعتبروا هذا الوجه البعيد ويعلم الصابرين لامكان الوجه الصحيح … وهو النصب باضمار ان …
مبنية على … العلم بالمجاهدين والعلم بالصابرين اي احسبتم ان تدخلوا الجنة مع الجمع بين عدم تحقق المجاهدين …

وعلى الجهاد والصبر يعني لاتحسبوا انكم تدخلون الجنة من غير تحقق هذين الامرين جميعا وهما الجهاد والصبر ويدخل فيه من جاهد
بسيفه ولسانه ويده وقلبه فالواو بمعنى الجمع والمقصود عدم الجمع بين الامرين كقولك لاتاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن
منك الجمع بين اكل السمك وشرب اللبن فان المعنى الواقع حالا هو مضمون قولكم لم يكن منه العلم بالجهاد والعلم بالصبر اي لم يتحقق
الامران جميعا ومرجع واو الصرف في عطف مصدر على مصدر الفصل السابق وقرأ ابو عمرو في رواية عبد الوارث و
يعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون اي احسبتم ان تدخلوا الجنة ولم يتحقق منكم مجاهدة
مقيدة بالصبر والظاهر ان المراد الصبر عليها ولما يعلم حال من تدخلوا ويعلم الصابرين من يعلم الله الذين جاهدوا على التداخر
وقرأ الحسن بالجزم على العطف وقرأ النخعي ويحيى بن وثاب ولما يعلم الله ويعلم الصابرين بفتح الميم في كليهما وعن عمرو بن عبيد
وتعلم بالتاء ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب لانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا
وتمنوا ان يشهدوا مع النبي صلعم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا عليه يوم احد في الخروج الى المشركين
وكان رأيه في الاقامة بالمدينة من قبل ان تلقوه يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته وقرأ الزهري ان تلاقوه وقرأ مجاهد من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون فقد رأيتموه بعيون معاينين
مشاهدين من غير غفلة واشتغال بامر سواه كما تقول قد رأيت كذا وليس في عينك علة اي قد رأيته حقيقة وذلك حين
قتل بين ايديهم من قتل من اخوانهم واقاربهم وشارفوا ان يقتلوا وهو توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من
خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وان كان قصد
متمنيها الى نيل كرامة الشهداء وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل وكما ان اتباعهم
قد تمسكوا بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالات والزام
الحجة لا وجوده بين اظهر قومه وهو من قبيل قصر الافراد فان المخاطبين وهم الصحابة رضي الله عنهم اجمعين لما كانوا يعرفون
بحقيقة رسالته قطعا وجزما ويعدون هلاكه امرا عظيما فصاروا بمنزلة المعتقدين فيه وصفين الرسالة والبعد عن
الهلاك قال الله تعالى وما محمد الا رسول اي هو مقصور على الرسالة لا يتعداها الى البعد عن الهلاك فنزلوا منزلة المبعدين لهلاكه
بناء على ان استعظامهم عدم بقائه لهم وتشبيههم منزلة المبعدين مع انهم لم يكونوا مبعدين بل مستعظمين اخراج الكلام
على خلاف مقتضى الظاهر وقيل نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه اي هلاكه فاستعمل له النفي والاستثناء والاعتبار
المناسب هو الاشعار بعظم هذا الامر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه عليه الصلوة والسلام حتى كانوا لا يخطرون
هلاكه بالبال وعن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله صلعم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفي والله ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه تعالى كما ذهب
موسى بن عمران عليه السلام فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله
كما رجع موسى بن عمران فليقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله مات ساق الحديث الى ان قال اقبل يعني
ابا بكر على الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان
الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين قال فوالله لكان الناس لم يعلموا
ان هذه الاية نزلت حتى تلاها ابو بكر الصديق يومئذ فاخذها الناس عن ابي بكر رضي الله عنه قال ابو هريرة قال عمر والله ان سمعتها

فعقرت

فعقرت حتى وقعت على الارض ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلعم قد مات قال اسمعيل قرأ شيبة بن نصاح في العدوها
محمد صلى الله عليه الا رسول وقرأ ابن عباس قد خلت من قبله رسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء بمعنى تعليق
الجملة الشرطية بالجملة قبلها وهي وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل تعليقا على جهة سببيتها عن الجملة السابقة وتوبيخا
عليها وتوسيط الهمزة لانكار ارتدادهم وانقلابهم عن الدين بعد هلاكه بموت او قتل او لانكار ان تجعلوا خلو الرسل قبله
سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته اي لا ينبغي ان تجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد
هلاكه بل سببا لتمسككم بدينه عليه السلام كما هو حكم ساير الانبياء ففي انقلابهم على اعقابهم تعكيس لموجب القضية
المحققة التي هي كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر
رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية يوم بدر واحد حتى قتله ابن قمئة
وهو يرى انه قتل النبي صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس
خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلعم يدعو الى عباد الله فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا
يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ
قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء
وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال
يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده وانما
كان النبي عليه من امر الجهاد ونحوه وقيل بارتداده بل يضر نفسه وقيل ما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول
المنافقين ويجوز ان يراد بالانقلاب الارتداد ويكون اثباته لهم على وجه التغليظ والاستعظام لما صدر منهم من الفرار في
الهزيمة وخذلانهم واسلامهم التخلية وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم
شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام بالثبات عليه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك
الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علم الله وقضائه لا يستقدمون ولا يستأخرون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض
لهم على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو ووعد للنبي صلعم بالحفظ والكلاءة وتاخير الاجل فكانه قيل والله اعلم لا ينبغي لمسلم ان يشهد معا
مقاما في جهاد اعداء الله لجاهد فيه فان ذلك لا يقدم اجله وان خاض فيها وهو لا يموت احد قبل بلوغ اجله وان خاض
المهالك واقتحم المعارك كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا له اجل معلوم لا يتأخر ولا يتقدم
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا
ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن
الجهاد والجزاء المبهم مستفاد من ترك ذكره وليس معنى الابهام العموم بان لا يكاد يبلغ كنهه البيان وقرئ يؤته ويجزي
بالياء فيهما وروى المفضل عن عاصم يؤته بالياء وسنجزي بالنون وفي مصحف ابن مسعود نؤته بالياء وسيجزي الشاكرين بالياء

وكأين اصله اي دخل عليه كاف التشبيه وصارتا كلمة واحدة بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير
وكائن ككاعن ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت
الاخرى الفا كما ابدلت من طائي وقرئ وكإ بهمزة وكين بتشديد الياء والحسن وكين مثل كعن وابن محيصن وكاين مثل
كعين بفتح الهمزة وسكون الياء وكان مجاهد لا يمد في يهمز وقال الكسائي زعم حمزة ان دعش كان يختلس الياء ولا يكاد يستعمل
اللاحم من وعوف محل الرفع على الابتداء من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل
جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على الاصل انه منسوب الى الرب بالفتح والضم والكسر
من تغييرات النسب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل بضم القاف وكسر التاء مقصورا اي كثير من الانبياء قتل معه
ربيون كثير فالفعل الذي هو القتل اما مسند الى ضمير يعود الى كاين المعبر عنه بكم او اي بمعنى نبي والى الربيين فان عاد على الاول لا كثيرم
كان الضمير وما اسند اليه في موقع الخبر لكان وكان معه ربيون في موقع الحال منه وان عاد الى الثاني وهو نبي كان الضمير وما اسند اليه
في موقع الصفة له ومعه ربيون في موقع الخبر كقولك كم من رجل قتل معه مال او في موقع الصفة والخبر محذوف وعابر ونحو ذلكم
وان كان فاعله ربيون كانت الجملة خبرا او صفة والخبر محذوف وقرأ الباقون قاتل وقرئ قتل بالتشديد ووجهها في الاعرا
ب وجه انقل الا الاولى باقسامها والقراءة بالتشديد تنفي كون الفاعل ربيون لان التفعيل للتكثير والكثير يناسب جمعية الفا
عل وكذا رواية سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال تثقيفه وقيل كاين من نبي ايضا يفيد التعدد والكثرة لانه مركب من اي
والكاف لا على قصد التشبيه فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم عند قتل الربيين بعضهم او قتل نبيهم وقد
يقال على تقدير كون الفاعل ربيون لا ينافي قتل النبي ايضا بل يجابه لفظ معه بانه ايضا قتل كما تقول ضرب مع عمرو زيد
فلا يرى انه ضرب حال كونه مصاحبا لعمرو بل يقصد مشاركة ما في القرب اصالة لزيد وتبعية لعمرو وغايته انه لا يوافق رواية سعيد بن
جبير وقرأ عكرمة وابان بن تغلب وهنوا بسكون الهاء وابو السمال ورويه وهنوا بكسر الهاء وما ضعفوا عن جهاد العدو او في
الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل النبي عليه السلام وبضعفهم عن استكا
مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان و
اصله استكن بوزن افتعل من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ويفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة كما جاء بمنتزاح
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وعلى هذا يكون وزن استكان استفعل اي انتقل من كون الى كون
كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم في الاخرين وما كان قولهم الا ان
قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم و
كونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واستقصارا او اضافة لما اصابهم
الى سوء اعمالهم وتقديم الدعاء بالاستغفار على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون طلبهم
عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزما
ن الحدث وقرأ الحسن قولهم بالرفع فاتاهم الله بسبب الاستغفار واللجا الى الله وقرأ الجحدري فاثابهم الله بالثا
ثواب الدنيا النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا وحسن ثواب الاخرة والجنة والنعيم في الاخرة وخص ثوابها
بالحسن ايذانا بفضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريد عرض الدنيا والله يريد الاخرة والترغيب للمحسنين الذين امنوا وجاهدوا
في الله

ثابتين في مداحض الحرب ولقاء العدو يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خا
سرين قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود وتقبلوا منهم لانهم يستغوونكم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون
لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه و
عن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم فالخطاب للصحابة والتعريف في الذين
الذين كفروا للعهد اشارة الى المنافقين او اهل الكتاب او المشركين وقيل هو عام في جميع الكفرة فالتعريف للجنس
والمخاطبون جميع المؤمنين في جميع الازمنة فان المؤمنين يجب عليهم ان يجانبوا الكفار ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على
حكمهم ولا على مشورتهم لان مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم تستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة
احد ولا ولايته وقرئ بل الله بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين لانه المانع من اعدائكم فاستغنوا به عن
ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوب المشركين من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال النبي عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا
ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب
في قلوبهم فامسكوا وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في جميع القرآن والباقون بالسكون وقرئ
سيلقي بالياء بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي
الهة لم ينزل الله باشراكها حجة والمراد نفي الحجة ونزولها جميعا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اصلا اصل السلطنة
القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثويهم فوضع المظهر
موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويا
توكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما قتلوا وتناهوا لم يرعبهم وقيل
لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان النبي عليه السلام جعل احدا
خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل
المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم اذ تحسونهم
اي تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه باذنه بامره حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر
يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم قد انهزموا فما موقفنا هنا وقال الاخرون لا نخالف امر رسول
الله فثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الاخرة ونفر الباقون
للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا على الرماة وقتلوا عبد
الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا [illegible] وجواب
اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم منكم من يريد الدنيا وهم
التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب
ويمتحن صبركم وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة وعصيان امر رسول الله منهم والله

ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سوآء اديل لهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون نصب بصرفكم او بيبتليكم وما بينهما اعتراض او بمقدر وهو اذكروا الا ذكر ويجوز ان يكون من قبيل يا ءيها
النبي اذا طلقتم النساء والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون
بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره وقرأ الحسن تلون بواو واحدة
ووجهه انه قلب الواو المضمومة همزة ثم خففها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء
وروى عبد الصمد عن طلحة ولا تلوون بالهمزة على احد بضمتين والرسول يدعوكم كان عليه السلام يقول الي عباد الله الي عباد الله
انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في
اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم — بعد عزمه وعاتم
بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم او غما مضاعفا متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلعم والجرح والقتل و
ظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا على تجرع الغموم وتتعودوا بالصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد
على نفع فايت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة ولا ما اصابكم من الجرح والقتل والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول عليه السلام اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل بكم كما اغتممتم بما نزل به من كسر رباعيته
ونحوها ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم امره تسلية لكم وتنفيسا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من الهزيمة
وغلبة العدو والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن وازال
عنكم الخوف الذي كان بكم حتى اخذكم النعاس وغلبكم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد
احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلعم حين اشتد علينا
الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا — النعاس علينا النوم
ها هنا وقيل عن ابن الزبير الصواب عن الزبير كما ذكرنا لان ابن الزبير ولد في السنة الاولى من الهجرة وقيل بعد عشرين
شهرا وغزوة احد كانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها على ان الامنة
كانت نفس الامنة او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا او مفعول له ان اريد
انه مفعول له لقوله نعاسا ففيه تقدم معمول المصدر وان اريد انه بتقدير فعل اي نعستم امنة فليس للفعل
موقع حسن او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم
كانها المرة من الامن وقرأ الضحاك ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى قرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا
على الامنة والباقون بالياء ردا على النعاس طائفة منكم هم الذين امنوا ظاهرا وباطنا ووقفوا
عنهم علتهم وفعلهم قولهم وطائفة هم منافقون الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قد اهمتهم انفسهم
قد اوقعتهم انفسهم في الهموم والاشجان فهم في غاية الثبات والتشاكي وتخليهم الا انفسهم وطلب خلاصها لا هم الا هي
ولا هم رسول الله صلعم والمسلمين وهذا الحصر يستفاد من المقام وقد اجمع المحققون على ان بناء الفعل على المبتدأ وان
كان اسما ظاهرا يفيد الحصر والاختصاص كانه قيل وطائفة اخرى منكم اي ممن معكم من المنافقين قد اهمتهم انفسهم

فالنكرة موصوفة في التقدير والواو للحال نص عليه سيبويه وقيل للعطف وفائدة عطف الجملة الاسمية على الفعلية الاشعار بحدوث
الامن للمؤمنين واستمرار الخوف بالمنافقين ولا يخفى ان هذا يعني على تقدير ان يجعل بعض الجملة موقع الخبر وقال الزجاج
قد اهمتهم صفة ويظنون خبر وقيل الخبر محذوف اي ومنكم طائفة او وفيكم طائفة على ان الخطاب لجميع من المؤمنين والمنافقين او
طائفة اخرى لم يغشهم النعاس يظنون بالله حال او استئناف على طريق البيان لما قبله وقوله غير الحق اما مفعول مطلق
ليظنون على طريق التوعية دون التاكيد وظن الجاهلية بدل منه اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجوز ان يظن به وظن
الجاهلية يعني الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها واما مصدر مؤكد لمضمون الجملة محذوف العامل وظن الجاهلية مفعول مطلق
اي يظنون ظن الجاهلية يقولون غير الحق اضافة وظن الجاهلية بدلا كان او مفعولا مطلقا اما اضافة المصدر الى الفاعل على حذف
المضاف اي لا يظن مثله الا اهل الجاهلية اي اهل الشرك والجهل بالله وبالحق او اضافة الموصوف الى مصدر الصفة و
معناها الاختصاص بالجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق اي حاتم المختص بوصف الجود ورجل مختص بوصف الصدق يقولون
لرسول الله صلعم وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء اي هل لنا معاشر المسلمين من امر الله ووعده من النصر والظفر على العدو نصيب
قط فقوله من الامر من شيء مبتدا وخبره لنا او فاعل للظرف لاعتماده على الاستفهام ومن زائدة ومن الامر حال من فاعل الظرف او هو الخبر
لنا او تمييز لكونه مرفوعا معنى لا مجرورا وقيل اخبر عبد الله بن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي النصر والغلبة لله ولاوليائه فان
حزب الله هم الغالبون وكان حقا علينا نصر المؤمنين او له الخلق والقضاء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض بين
الحال وذيها وقرأ ابو عمرو كله بالرفع على انه مبتدأ وخبره لله والجملة خبر ان مع اسمها وخبرها في موقع النصب والباقون
بالنصب على انه تاكيد للامر يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من الواو في يقولون هل لنا اي يقولون لك فيما يظهرون هل لنا
من الامر من شيء سوال المؤمنين المسترشدين مبطنين النفاق والانكار والتكذيب والاحسن ان يكون استئنافا او حالا كله
قوليه الاستيناف وذكره الاعتراض بين الحال وذيها يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم ببعض وهو بدل من يخفون او
استيناف كانه قيل اي شيء يخفون في انفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه
وانهم الغالبون ما قتلنا ها هنا لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه
انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز الذين كتب
عليهم القتل الى مضاجعهم جمع مضجع اي مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة والقعود في بيوتهم ولم ينج منه احد فان الله علم الاشياء قبل
وجودها وقدرها ودبرها في سابق قضائه لا مبدل لتقديره ولا معقب لقضائه وحكمه حتى القلم بما انت لاق وجف القلم
[illegible] ارادة الله انفاذ قضائه وقدره [illegible]
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لبرز بالتشديد وضم الباء وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل وليبتلي الله ما في صدوركم و
وليمحص ما في صدوركم وليظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق عطف على محذوف اي فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء وقيل عطف
على قوله تعالى لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم قيل ليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس وقيل ليطهر ما في قلوبكم من الشك
والله عليم بذات الصدور وقيل بخفياتها قبل اظهارها وانما قيل للاسرار ذات الصدور لانها لا تفارق الصدور
ذات الصدور وقيل بما في القلوب من الخير والشر وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمن

من المنافق ويظهر امرهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا معناه ان الذين
انهزموا يوم احد انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان استزلهم ببعض الذنوب اي دعاهم الى الزلة وحملهم عليها بان اطاعوه
واقترفوا ذنوبا فمنعتهم التأييد الالهي وقوة القلب فلهذا انهزموا فالباء للجر وبعض اي ببعض ما كسبوا في موقع البيان والتعريف
التفريع بل للزلة كانه قيل دعاهم الى الزلة واوقعهم فيها بان اطاعوه واقترفوا الذنوب ومنه استزلة الشيطان بعض المسلم
وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي واقتاده اليه بذنوب قد تقدمت لهم فان الذنب يجر الى الذنوب كالطاعة وقال استن
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلعم
بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم الشيطان تلك الذنوب فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم
ويجاهدوا على حال مرضية فاستزلال الشيطان بها ايقاعهم في التولي بتذكيرها اياهم تلك الذنوب حالة الجهاد وقوله ببعض
ما كسبوا مثل قوله ويعفوا عن كثير في انه انما يواخذ بالبعض ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب وعن ابي ايوب قال سمعت النبي صلعم يقول لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم او خلق يذنبون
فيغفر لهم يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يريد المنافقين فانهم اخبث الكفرة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم وفي
اخوتهم اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا في الارض وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه
اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية وقال الزجاج اذا ههنا تنوب عن ما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انه
لمح الوقت او لقصد الاستمرار وقيل الذي يقتضيه النظر الصائب ان لا يجعل اذا ضربوا في الارض ظرف قالوا بل ظرفا لما
يحصل للاخوان حين يقال لاجلهم وفي حقهم ذلك المقول كانه قيل قالوا لاجل الاحوال العارضة للاخوان اذا ضربوا يعني
حين كانوا يضربون او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء
من غزاة اخا لم نجد في جمع فاعل فعل بالتخفيف بل فعلة بمعنى المنقوص كقضاة وعصاة لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به وقرئ الحسن وابو حيوة وما قتلوا بتشديد التاء
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام لام العاقبة
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون
منها قلوبكم فذلك اشارة الى قولهم كما في الوجه الاول ومعنى اسناد جعل الحسرة الى الله انه يرتب عليه الحسرة ويضعها عقيبه في قلوبهم و
يجوز ان يكون اشارة الى مضمون لا تكونوا وهو اي انتفاء كونكم مثلهم قد جعله الله سبب حسرتهم لان مخالفتهم فيما يقولون
ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم فالنسبة بين مفعولي يجعل مجازية على الاوجه لكن في الثالث على طريق السببية المجهولة
من الله تعالى حقيقة بلا خلاف ولين والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر
فان الله تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما
فيّ موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير
قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا والباقون بالتاء على انه تهديد للمؤمنين
على ان يماثلوهم يعني فلا تكونوا مثلهم ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم
من مات يمات والباقون بالضم من مات يموت واللام في لئن قتلتم ولئن متم هي الموطئة للقسم

وقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء وكذا لالى الله تحشرون كذب الكافرين
اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزى لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد
عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة
والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض
ذهبة حمراء وقرئ يجمعون بالياء اي جمع الكفار ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون قدم القتل على الموت هناك
ملاحظة للمقام وتنبيها على شرفه لكرام اعني اصحاب النبي عليه السلام ولعل المقتول في سبيل الله اكثر من الميت
في سبيله وجعل ههنا بالعكس ملاحظة لقوله ما ماتوا وما قتلوا او لان المحشور الميت اكثر من المقتول وتقديم الجار
والمجرور للتخصيص كانه قيل الى الله تحشرون لا الى غيره فلا يرجى ولا يخاف الا منه وادخال لام جواب القسم عليه
يشعر بتاكيد هذا الحصر والاختصاص وبان الوهيته جل شانه يقتضي ذلك على انهم قد قالوا ان اسم الله تعالى لما كان اسما
للذات الواجب الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره في معرض الوعد منبيا عن غاية الرضا والكرم والرحمة وفي
معرض الوعيد عن غاية السخط والانتقام فيكون معناه في التحقيق لالى الرحمن الواسع للرحمة المثيب العظيم الثواب
في الدنيا والاخرة تحشرون وتقدير الرحمن ههنا انسب بقوله تحشرون من الرحيم كما لا يخفى فبما رحمة من الله لنت لهم
ما اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد ومعنى هذا التاكيد تحقيق ان لينه عليه السلام لم يكن الا برحمة من الله كما ان اللعنة في قوله
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ما كان الا بنقض العهد ومعنى الرحمة ربطه على جاشه عليه السلام وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم
لهم بعد ان خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه يقال فلان رابط الجاش ورابط الجاش اي ربيط القلب كانه يربط
نفسه عن الفرار لشجاعته وانما جعل الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجاش لان من ملك نفسه عند الغضب كان كامل
الشجاعة ومنه عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ويجوز ان يكون تكثير
جمع شيخ وشيخة بدل منه والباء متعلق بلنت ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يبق حولك احد منهم وعن كعب انه قال نجد في التورية مكتوبا محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
في السكك ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون
يحمدون الله في السراء والضراء وفي كل منزلة ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلوة اذا جاء وقتها
يأتزرون على انصافهم ويتوضؤن على اطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلوة سواء لهم بالليل
دوي كدوي النحل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما هو لله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب
اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وهو استصوب الا هنا
لامر ولعدم المواخذة في تركها لم يره الوجوب فيه والخطاب للنبي صلعم او لكل احد وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة
ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلعم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا
اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلعم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة
اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر وهو في حرف ابن عباس وهو يدل على ان
الامر ههنا عام مخصوص فانه لم يؤمر بمشاورتهم في الفرايض فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله

في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه احد سواه وفيه تنبيه بان التوكل ليس هو ان يهمل الانسان التدبير بالكلية و
الا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل هو مراعاة الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى وعن عامر بن قيس فوض
امرك الى الله تستريح وقرئ فاذا عزمت بضم التاء اي فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد
ذلك احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح وعنه عم يقول الله تبارك وتعالى ما من عبد نزلت
به بلية فاعتصم بي دون غيري الا اعطيته قبل ان يسألني واستجبت له قبل ان يدعوني وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم
بمخلوق دوني الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض تحت قدميه ووكلته الى نفسه وعنه عم من
توكل وقنع في الطلب ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد وقرئ يخذلكم
من اخذله وان يخذلكم اي يلزمكم الخذلان ويتركم اليه فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى
اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه وتحريض على ما يستحق به النصر من الله
وتحذير عما يستوجب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه
لان ايمانهم يقتضي ذلك وعن انس قال النبي عم التوكل نصف العبادة والدعاء نصف العبادة وقال ابو العالية
لا تتكل على غير الله اليه ولا تعمل لغير الله فيجعل ثوابك عليه وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان
النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية وقال الغلول والاغلال الخيانة
الا ان الغلول في المغنم خاصة والاغلال عام ومنه قوله عم ليس على المستعير غير المغل ضمان اي غير الخائن ويقال
اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد ومنه قوله عم من بعثناه على عمل فغل جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
وقوله عم هدايا الولاة غلول وعنه عم لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كاحمدته واجبنته والمراد منه
اما براءة رسول الله عم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله عم من اخذ شيئا فهو
له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا
بقية اخواننا وقوفا فقال عم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم واما مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي انه بعث طلائع
فغنمت غنائم فقسمها على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم
بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا او تقبيحا لجانبه حيث عد ادنى زلة منه غلولا وقرا نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول وهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول
او لا يوجد غالا الا اذا كان غالا وروى احمد بن موسى عن عاصم الجحدري ان تغل بالتاء وقال ... كانه ...
الكلام ابتدى بالخبر ثم جعل مخاطبة ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد
في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة تثغو
فينادي يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت ثم يعطى
كل نفس جزاء ما كسبت وافيا تاما يقال وفاه حقه واوفاه اياه اذا اعطاه وافيا تاما وكان ظاهره يقتضي ان يقال ثم يوفى
ما كسب ليتصل بما قبله لكنه عم الحكم ليدل على ان كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ

واثبت لكونه كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم ما اكتسب عن تخلف
من بينهم وقيل فالغال مع عظيم جرمه بذلك اولى وفيه نظر لان الاطلاق الا وتوبة عليه قول طويل وانما الدليل على انه يجزى
بعمله كسائر الكاسبين وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن
باء بسخط من الله كمن استاهله بسبب المعصية وقال الكلبي افمن اتبع رضوان الله بترك الغلول كمن استوجب سخطا من الله باخذ
الغلول من الغنائم ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك
المرجع هم درجات عند الله تشبيه بحذف الاداة كقولك زيد اسد والضمير عائد الى من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط
من الله [illegible] جميعا اي هم متفاوتون عند الله كما تتفاوت الدرجات كقوله [illegible]
تعتريهم رجالي ام هم درع السيول عند الله اي في حكمه وعلمه كقولك هذه المسئلة عند ابي حنيفة كذا اي في حكمه وعلمه وقيل ذوو درجات اي ذوو
منازل متفاوتة او ذوو احوال متفاوتة فالمراد تفاوت درجات المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب
والعقاب وقال ابو عبيدة والكسائي لهم درجات عند الله وقرأ الاعمش والنخعي هم درجة بالتوحيد والله بصير بما يعملون عالم
باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها وهو وعد ووعيد وقرأ ابو واقد والعلاء ونبيح تعملون بالتاء لقد من الله
على المؤمنين لقد انعم على من آمن مع رسول الله عم من قومه وخص المؤمنين منهم مع ان نعمة البعثة عامة لانهم هم المنتفعون
ببعثه فان اجل النعم الواصلة الى المؤمن نعمة الايمان المعبر عنه بالاسلام وذلك بتوسط النبي عم اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم
ما خوطبنا به وليكونوا واقفين على احواله في الصدق والامانة مفتخرين به فيكون ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وقيل
من ولد اسمعيل كما انهم من ولده وقرئ في قراءة رسول الله وفاطمة من انفسهم اي من اشرفهم وعنه عم انا اشرف الناس حسبا
ولا فخر واكرم الناس قوما ولا فخر الحديث وعنه عم ما افترق الناس فرقتين الا جعلني الله في خيرهما الحديث وقرئ
لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم على انه خبر مبتدأ محذوف اي لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف
لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير قائما اي لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية وقيل ويأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ان هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها ومن قبل ظرف لغو متعلق بكان وفي ضلال مستقر وكان مع الاسم والخبر
خبرها واسمها الذي هو ضمير الشان المحذوف وان مع اسمها في موقع المبتدأ والخبر وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر
لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها الواو عاطفة هذه الجملة على ما مر من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده
الى قوله في ضلال مبين لان ذلك متعلق بقصة احد من حيث انه عليه او على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم ولما
بينها التقرير بمعنى التثبيت او الحمل على الاقرار والتقريع على مضمون المعطوف ولما ظرف بمعنى حين وليس في موقع المفعولية
والمعنى حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين منهم
قلتم انى هذا من اين هذا واصاب وتقريع قلتم حين اصابكم من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر وفي
هذه جملة اسمية متقدمة ... قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفتم

يعني انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة وبمخالفتكم الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة

فيه وعن علي رضي الله عنه فذلكم الفدا ومن اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى

ان يصيبكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان اي جمع المسلمين وجمع المشركين وهو يوم احد فباذن الله اي فهو

كاين بقضاء الله وتخلية الكفار جعل الاذن مجازا عن التخلية اللازمة للاذن لان حقيقته انما يكون عند الرضا والرضى

فان قيل تقدير الجملة الاسمية يخالف ما تقرر من ان الظرف مقدر بالفعل اجيب بانه بيان للمعنى والا فالتقدير فباذن

الله يكون ويحصل وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا عطف على باذن الله والمراد التميز لحصول العلم قبل الامتحان

اي وهو كاين باذن الله وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل انهم عطف على نافقوا

وداخل في الصلة ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ عطفا على جملة وما اصابكم يوم التقى الجمعان

باذن الله تعالى قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون

او للدفع عن انفسهم واموالهم ان لم يكن بهم غم الاخرة فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه لاسناد النفاق اليهم وذلك ليهم

وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع خلفائه فقيل له تعالوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم

بتكثيركم سواد المجاهدين لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي انه

قد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك

قال لقوله او ادفعوا اراد كثروا سوادهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما

انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نعلم مكان قتال اي انكم تقاتلونهم في موضع لا يصلح للقتال

ونخشى عليكم منه ويدل على هذا المحذوف انهم اشاروا الى النبي عليه السلام ان لا يخرج من المدينة وان الحزم البقاء فيها

والا لم يقل فقالوا بالفاء ولانه جواب سؤال اقتضى دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فاذا قالوا لهم قالوا نعم

قال لا هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم عن عسكر المؤمنين وكلامهم هذا فانهما من امارات موذنة بكفرهم وقيل ا

فيل هم لاهل الكفر اقرب منهم نصرة لاهل الايمان لان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيل للمؤمنين فاللام متعلق

بالتمييز المقدر وقيل اللام بمعنى الى فان صلة القرب الى او من تقول قربت اليه ومنه ولا تقول له والظروف كلها متعلقة باقرب

لما فيها من الاتساع والمعنى قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان واقربهم الى الكفر ازيد من قربهم الى الايمان وقال

الضحاك لما طلع النبي عليه السلام يوم احد ابصر جيشا فيها كتيبة من الناس فقال من هؤلاء فقالوا يا نبي الله هؤلاء خلفاء عبد الله بن

ابي فقال انا لا نستعين بالكفار فرجع عبد الله مع خلفائه من اليهود فقال له عمر تعالوا موضع المؤمنين فقال لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال

الله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني ميلهم الى الكفر اقرب من ميلهم الى الايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم

يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير وذكر صاحب الكشف تصوير

نفاقهم وانهم يرضونهم بافواههم وتابى قلوبهم فهو من الاطناب الحاصل بالتتميم حيث اتى فيه بفضلة لنكتة هي التاكيد واراد

لا يعان هذا قول يجري على السنتهم من غير ان يكون ترجمة عن علم في القلب والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بينهم من

ذم المؤمنين وتخطية رايهم والشماتة بهم وغيره ذكر فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات

الذين قالوا لاخوانهم رفع على البدل من واو يكتمون او على الذم بتقدير هم الذين قالوا او نصب على الذم او على البدل من الذين نا

فقوا او الوصف له او جر بدل من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم جعل حاتم بدلا من ضمير جوده

لاخوانهم اي لاجل اخوانهم ممن قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا الواو للحال اي قالوا وقد قعدوا عن القتال

لو اطاعونا لو اطاع اخواننا في القعود الذي امرناهم به ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان

كنتم صادقين في انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود

غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال سبب للموت والقعود سبب للنجاة قد يكون الامر بالعكس وان مع ما ذكرتم من ان

القعود عن القتال سبب للنجاة عن الهلاك فادفعوا سائر الاسباب لتسلموا عن الموت لكنكم لم تقدروا على ذلك ولا بد لكم من ان

يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا وان كنتم صادقين في مقالتكم ان نجاتكم القعود عن

القتال وفي ما اكمل ان يكون السبب غيره او ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم و

قعدوا لقتلوا في مقاعدهم كما قتلوا في المعركة وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت تهكم بهم واستهزاء اي ان كنتم رجالا دفاعين

لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الخطاب لرسول الله صلعم او لكل

احد وقرئ بالياء اي ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب او على اسناده الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف

لانه في الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء لدلالة الكلام عليه وقرأ ابن عامر وعاصم

وحمزة يحسبن بفتح السين في جميع القرآن والباقون بالكسر وقرأ ابن مسعود والاعمش وحمزة ولا تحسبن با

التاء في كل القرآن وروى الكسائي عن سفين عن حميد يحسبن بالياء في كل هذه السورة الا قوله فلا تحسبنهم

وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد يدل على التكثير لكثرة المقتولين والباقون بالتخفيف والوجه فيه خفة اللفظ مع صلوحه للقليل

والكثير بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء بلفظ الامر والتكليف بالظن واقع

كقوله فاعتبروا يا اولي الابصار وتحصيل الظن عند ربهم ومعنى عندية مثل هذا الموضع الزلفة والقرب من فضل الله

ورحمته اي القرب شرفا ورتبة لا القرب المكاني لاستحالته ولا هو بمعنى في علمه وحكمه لعدم مناسبته المقام المحقق ثبوت

عند الله ذو ولي بليغ منه يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وتاكيد لكونهم احياء قال ابن عباس قال

رسول الله رايت حمزة وجعفرا وكان بين ايديهما طبق فيه نبق اكبر من الزبرجد فاكلا منه ثم صار عنبا فاكلا منه ثم صار رطبا فاكلا

منه فقلت لهما ما وجدتما افضل الاعمال قالا قول لا اله الا الله فقلت ثم ماذا قالا العتق عليك يا رسول الله قلت ثم ماذا

قالا حب ابي بكر وعمر وعنه عليه السلام في حديث الحرم الشريف فاذا بقناديل يشربون من انهارهم قلت من هؤلاء

قالا هؤلاء زيد وجعفر وابن رواحة الحديث وقيل نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر وعن جابر بن عبد الله لقيني

رسول الله عليه السلام فقال يا جابر ما لي اراك منكسرا قلت استشهد ابي وترك عيالا ودينا قال افلا ابشرك بما لقي الله به ابا

ك قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب واحيا اباك وكلمه كفاحا قال يا عبدي تمن علي اعطك قال

يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية قال الرب تعالى انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في

سبيل الله امواتا الى اخره وقال الامام ابو زيد من المشايخ قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء

عند ربهم مع عياننا بالموت وزوال اعلام الحياة من الايمان بالحياة وعلمهم بالكرامات وبعدها في العصاة في تفويض

تاويل الحياة الى الشاهد اي رب السموات فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة

[illegible]

وماساق اليهم من الكرامة والفوز بالحيوة والقرب من الله و التمتع بنعيم الجنة وعن النبي صلعم
لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش [illegible] فارحين في كل [illegible] ويستبشرون
اي يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين
من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم من المؤ
منين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب
قيل الاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتو
قف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون يعرضون عليها غدوا
وعشيا والحديث المذكور ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم
بمن خلفهم حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه
مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح والفوز في المآب علم ان الشهداء في ما ورد
في الحديث تسعة سوى المقتول في سبيل الله والشهادة هي الدرجة الثالثة من النبوة على ما
نطق به الكتاب والسنة قال رسول الله صلعم ما تعدون الشهادة فيكم فقالوا القتل في سبيل
الله تعالى فقال ان شهداء امتي اذا القليل ثم عد سبعة غير القتل في سبيل الله المبطون والمطعون والغرق
والحرق والهدم والمراة تموت بجمع وفي رواية السبع فاخبر النبي صلعم ان هؤلاء السبعة شهداء كالمقتول في
سبيل الله وتاسعهم العاشق قال ابن عباس قال رسول الله صلعم من عشق فعف وكتم ثم مات مات شهيدا
وقد صح عن الحسن البصري وابي عمرو بن العلاء وكثير من المتكلمين والادباء والحكماء ان العشق [illegible]
سبب ذلك فساد الطبايع واختلاط الامشاج وحركات القلب من الانغمام والانفراج وليس شيء من ذلك
من افعال العباد ولا اكتسابهم لان العبد لا يملك قلبه قال عليه السلام لما وقع بصره على امراة زيد يا مقلب القلوب
ثبت قلبي اذا وجد في قلبه حالا لم يملكه وعن عايشة رض قالت قال رسول الله صلعم الهوى مغفور ما لم
يعمل به او يتكلم وعاشرهم الغريب عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن النبي صلعم موت الرجل في الغربة
شهادة فاذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وشماله فلم ير الا غريبا وذكر اهله تنفس فله بكل نفس تنفس به [illegible]
محو الله تعالى الفي الف سيئة ويكتب له الفي الف حسنة ويطبع بطابع الشهداء وكان عليه الصلاة والسلام يسال الله
الشهادة لاصحابه كما سال لحارثة وعمرو بن حرام وغيرهما حين سالوه ان يسال الله لهم الشهادة كما سال [illegible]
و[illegible] وعن مجاهد قال قرا عمر بن الخطاب على المنبر جنات عدن يدخلونها ثم قال وهل تدرون ما جنات
عدن قصر في الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب عشرون الفا من الحور العين لا يدخلها الا نبي فهنيئا لصاحب
القبر واشار الى قبر النبي صلعم او صديق وهنيئا لابي بكر رضي الله عنه او شهيد وانى لعمر الشهادة وان الذي اخرجني

حنتمة بنت [illegible] ام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وليست باخت لابي جهل كما [illegible] بل بنت عمه
كذا في القاموس

من الخنثمة لقادر على ان يسوقها الي وقال علي رضي الله عنه ما تمنع اشقاها ان يخضب هذه من هذه واشار الى هامته
ولحيته وكذلك خيار الناس يسالون الله الشهادة وقد رغب النبي عليه السلام في سوالها فيما روي عنه عليه السلام انه قال من سال
الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه يستبشرون كرر للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل
زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وما يروى عن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالى اكرم الشهداء بخمس
كرامات لم يعطها احدا من الانبياء ولا انا احدها ان الله هو يقبض ارواحهم بقدرته من غير [illegible] الثاني انهم لا يغسلون الثالث انهم
لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم الرابع انهم لا يسمون امواتا الخامس انه لا يشفع لهم في كل يوم فيمن يشفعون فالله اعلم
بصحته فان صح فمراده ذو الشهادة الكبرى التي هي القتل في سبيل الله مقبلا غير مدبر لاعلاء كلمته واعزاز دينه وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين عطف على النعمة فيكون من جملة المستبشر به وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف وعلى ان الجملة اعتراض وتعضده قراءة عبد
الله والله لا يضيع ولا يخفى ما في وضع المظهر موضع المضمر من الدلالة على ان الله انما خصهم بالنعم والكرامات السنية لايمانهم وان من لا
ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح
او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته [illegible] اسمية [illegible] او [illegible] فالجملة
اسمية استينافية كانه قيل ما لهم فاجيب بان لهم اجرا عظيما واستجاب واجاب بمعنى ومن في منهم للبيان كما في قوله وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
وعن عروة بن الزبير قالت لي عايشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير روي ان ابا سفيان و
اصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فاراد ان يرهبهم ويريهم
من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس
فخرج عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم
حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت وحمراء الاسد ليست هي بدر الصغرى على ما قيل لان
ذلك كان عقيب وقعة احد وبدر الصغرى بعد سنة الذين صفة المؤمنين بعد صفة او بدل الذين استجابوا او مبتدأ
خبره فزادهم ايمانا قال لهم الناس يعني الركب من عبد قيس او نعيم بن مسعود واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال
فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه انضم اليه ناس من اهل المدينة [illegible]
ويصلون جناح كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ان اهل مكة وهم ابو سفيان واصحابه قد جمعوا الجيش لقتالكم
روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله
فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي ابو سفيان نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم
معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون

ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد فتر المسلمون وكرهوا الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي
بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم
حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة
سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالمراد
ههنا باللام العهدية فليس الثاني عين الاول كقوله وهو الذي انزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب واللام
العهدية اشارة الى ما ذكر صريحا بل الى ما يعرفه المخاطبون ثم انه تعالى مدح المؤمنين على غزوتين تعرف احديهما بغزوة حمراء
الاسد وهي المذكورة في الآية المتقدمة والثانية بغزوة بدر الصغرى وهي المذكورة في هذه الآية فزادهم ايمانا الضمير المستكن
للمقول او القول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او لمصدر قال
او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمؤمنين والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد
ايمانهم واخلصوا عن النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام قالوا وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده
قول ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وما روي عن عمر انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وقوله لو وزن ايمان ابي بكر مع
ايمان هذه الامة لرجح به هذا ان جعلت الاعمال داخلة في الايمان وهو مذهب جمهور المحدثين والمتكلمين والفقهاء حيث
قالوا الايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فزيادة الاعمال زيادة الايمان واما من جعل الايمان هو التصديق
فقط كما هو رأي المحققين وهو الحق لدلائل قد اسلفت وهو اعني التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والاذعان لا يتصور
فيه زيادة ولا نقصان حتى ان من حصل له حقيقة التصديق فسواء اتى بالطاعات او ارتكب المعاصي فتصديقه باق على حاله
لا تغير فيه اصلا فهو يحمل الدلائل من الكتاب والسنة والاثار الدالة على انه يزيد وينقص على ان ذلك بحسب المؤمن به فانه
الايمان يزيد بزيادة ما يجب الايمان به وهذا يمكن في غير عصر النبي عليه السلام ايضا لان الاطلاع على تفاصيل الفرايض ممكن
في غير عصره عليه السلام والايمان واجب اجمالا وتفصيلا في الوجهين ولذلك قيل اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر
الحجج وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة
تعريفا في قولك هذا رجل حسبك فوصفت به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول
اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وقيل بثبات على الايمان وزيادة فيه وقيل باجر
وفضل وربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو بل اصابهم كل
خير حيث نالوا رضا الله بجرأتهم وخروجهم على اثر تثبيط المثبطين الى وجه العدو واتكالهم على الله واتبعوا رضوان
الله الذي هو مناط الفضل والفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالنعم العظام والتثبت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع من ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء
وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان انما ذلكم المثبط هو
الشيطان وهو اشارة الى القائل ان الناس قد جمعوا لكم فالشيطان يحتمل ان يكون خبرا وما بعده استئناف يبين

شيطنته وان يكون صفة وما بعده الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان وان كان اشارة الى القول فـ
الشيطان خبر على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني قول ابليس لعنه الله فالتجوز في الاضافة حيث اضيف قول
نعيم الى ابليس يخوف اولياءه المفعول الاول محذوف اي يخوفكم من اوليائه الذين هم ابو سفيان واصحابه او المذكور
هو المفعول الاول مرادا بهم القاعدون عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني متروك اي محذوف
للعلم به اي يوقعهم في الخوف او يخوفهم من ابي سفيان واصحابه وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير اولياؤه
بالرفع وعن طلحة عن عطاء عن ابن عباس يخوفكم اولياءه وفي حرف ابي يخوفكم باوليائه فلا تخافوهم الضمير
للاولياء على الوجه الاول وللناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم على الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن
القتال وتجبنوا وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين فان
الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس والظاهر ان هذه الخطابات للقاعدين عن الخروج معه عليه السلام
لا للخارجين معه لان الخارجين لم يخافوهم بل خافوا الله تعالى وقالوا حسبنا الله ويجوز ان يكون الخطاب للجميع قصدا
الى التعريض بالقاعدين فاذا كان الخطاب للقاعدين فاولياءه على احد الوجهين وهو الاخير منهما من وضع الظاهر موضع
المضمر نعيا عليهم انهم اولياء الشيطان ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة
وهم المنافقون من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله
وقرأ نافع وابو زيد ولا يحزنك بضم النون كانه جعل في معنى الحزن انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في
الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر ثم بين كيف يعود ضرره عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا
في الآخرة اي نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم
عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير لذكرهم للتاكيد او تعميم للكفار
والاول خاص بمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المفعول او المصدر لان المعنى شيئا من الضرر
وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم قرأ ابن كثير وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان
مع ما في حيزه في موقع المفعولين وما مصدرية وقد وقعت في الامام متصلة فاتبع والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم
وشأنهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء والمعنى ولا يحسبن ان الاملاء خير لهم من قتلهم
وقيل من قطع آجالهم او موتهم وقرأ الباقون بالتاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم خير لانفسهم
بدل منه والمفعولين على البدل لكونه كافيا في تمام الكلام فان المفتوحة مع الاسم والخبر ينوب عن المفعولين اما باعتبار يسد المفعول
واما باعتبار الحذف اي لا تحسبن خيرية الاملاء ثابتة وقد جوز حذف احد المفعولين في باب علمت وحسبت واتفقوا على
امتناع الاقتصار فيه لان المفعولين بمنزلة اسم واحد والمفعول في الحقيقة هو مضمون الجملة فحذف احدهما بمنزلة حذف بعض اجزاء الكلمة
ويجوز ان يقدر مضاف في احد الجانبين تقديره ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا
ان الاملاء خير لانفسهم وقرأ يحيى بن وثاب انما نملي بكسر الهمزة على الابتداء وبدفع الحسبان على الكلام كله انما نملي لهم ليزدادوا اثما
استئناف بما هو العلة للحكم قبلها كانه قيل ما بالهم يحسبون الاملاء خيرا لانفسهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم

ولهم

قد اختلفوا ههنا فمن ذهب الى ان الخير والشر بارادة الله تعالى قال التعليل بمثل هذا جائز لانه غرض والغرض لا يلزم ان يكون مطلوبا
بل يكفي جعله غاية للفعل او لانه مراد مع الفعل تشبيها بالعلة وهم الذين قالوا ان فعل الله تعالى غير معلل بغرض وهم يأولون اللام في
الآية وفي خلق لكم ما في الارض وفي الا ليعبدون ويقولون انه تعالى لو فعل فعلا يترتب عليه شيء لو فعله غيره كان ذلك الشيء غرضا لنظر
اطلق عليه الغرض بسبب هذه المناسبة ومن ذهب الى ان فعل الله معلل وان القبيح لا يجوز ان يكون مرادا له مطلوبا وغرضا جعل
ازدياد الاثم علة للاملاء كما ان العجز والجبن علة وسبب للقعود عن الحرب في قولك قعدت عن الحرب للعجز والجبن ولم يجعل غرضا يطلب
حصوله كما في جئتك لتكرمني ولما لم يكن الازدياد حاصلا قبل الاملاء ليصلح علة له كسببا باعثا عليه ذهب الزمخشري الى ان كون ازدياد
الاثم علة للاملاء انما هو على طريق الاستعارة والتشبيه بالعلة الباعثة بناء على حصوله في علم الله تعالى سابقا وقرأ يحيى بن وثاب انما بالفتح و
بكسر الاولى ولا يحسبن بالياء يعني ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو للتوبة والدخول
في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان انتبهوا وتداركوا فيه
ما فرط منهم وعلى هذه القراءة يكون الواو في قوله ولهم عذاب مهين اي ولا يحسبون ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب
حالية داخلة في حيز النهي عن الحسبان كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين اللام في ليذر لتأكيد
النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين والخطاب لعامة المسلمين والمنافقين في عصره عليه السلام حتى
يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز وهو غير موجود
في كتب اللغة والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي
الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا المخلص منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به
بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وقرأ ابن السميفع حتى يميز بالنون المفتوحة وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيوب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكن يجتبي برسالته من يشاء فيوحي اليه
ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها واللام في ليطلعكم لتأكيد النفي كما في قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته
فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموا الله وحده مطلع على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا
ما علمهم الله تعالى ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله تعالى به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن
بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا الكفر والنفاق فلكم اجر عظيم لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وفي الخيرات ثواب اهل الجنة لا يدرك غايته
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالياء اما جعل الفاعل
ضمير الرسول عليه السلام او ضمير احد واما جعله الموصول وعلى هذا كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه تقديره
ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو بل هو شر لهم اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب
عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة تفسير لقوله هو شر لهم والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق
وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل هو على حقيقته فانه يجعل ما بخل به من الزكوة
حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي عليه السلام في مانع الزكوة

ومن قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا ليطابق مفعولاه اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم

الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار وقال النبي عليه السلام لا يدخل
الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وعنه عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق
وروي عن النبي عليه السلام كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت
لي فقال عليه السلام وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال
بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال
بل ذنبي قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى
قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله اني ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة
من النار فقال عليه السلام اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم
بكيت الفي عام حتى يجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك
اما علمت ان البخل كفر ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وعنه عليه السلام الا ان البخل من الكفر والكفر في النار ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما
يتوارث اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيل الله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم
على حسب ذلك وقرأ عاصم ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على طريق الالتفات وهو ابلغ في الوعيد والباقون
بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا روي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه
ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله
فنزلت ونحو قولهم يد الله مغلولة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومعنى سماع الله لقولهم مع انه عالم
بالمسموعات كلها انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتب
ما قالوا في صحائف الكتبة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا يهملوا اما ان يقولوا هذا
اعتقادا لذلك او عن استهزاء بالقرآن والرسول وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عمن يتمرد في كفرهم ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه ايذان بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس اول جريمة ارتكبوها وانهم اصلاء في الكفر
ولهم فيه سوابق ومن اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول والسين لتأكيد الاثبات كما ان لن
لتأكيد النفي كانه قيل لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء
للمفعول ويقول بالياء والباقون بالنون فيهما وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل ونقول ذوقوا
عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم
منه احسس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل
لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال

وغالب حاجة الانسان لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال هكذا قيل واعلم ان البخل من سوء الظن بالله تعالى وهو يوهن الايمان فان الايمان هو التصديق ومن التصديق تصديق الله تعالى فيما تكفل به من الارزاق وفيما وعد من الخلف على الانفاق في الدنيا والثواب في العقبى فالبخيل لم يتمكن تحقيق الخلف والثواب من قلبه ويخاف ان لا يخلف عليه من عنده وعنه عليه السلام لا يجتمع البخل والايمان في قلب عبد وقال عليه السلام يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقرء عبد الله ويقال ذوقوا والاعرج والحسن ويقول بالياء ذلك اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وغير ذلك من المعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت ايديكم والمعنى ان ذلك العذاب بسببين بسبب سيئاتكم اي سيئات اعمالكم التي اكثرها بالايدي وبسبب ان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد فان العبيد يدل على الكثيرة بل الاستغراق فالظالم لهم يكون كثير الظلم لاصابة كل منهم ظلما او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقما والمعنى ليس بظالم لاحد من عباده فالمبالغة على هذا راجعة الى الشدة والكيفية وفي الوجه الاول الى الكثرة والكمية كما قيل ليس بظالم لهذا ولا لذاك الى ما لا يحصى الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين المعجزات وقرء عيسى بن عمر بقربان بضم الراء والراء قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلهم جاؤهم كزكريا ويحيى وشعيا بمعجزات اوجبت عليهم الايمان والتصديق وبهذه المعجزة التي اقترحوها فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان بها وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجلها فما لهم لم يؤمنوا الرسل جاؤهم بها في معجزات اخر و اجترؤا عليهم الى قتلهم وقرء بقربان بضمتين ونظيره السلطان وقوله بالذي قلتم اي بمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا يعني يعودون للتماس الذي في شانه ورد الظهار والقول انت علي كظهر امي فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك اي رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واصحاب عزائم وصبر وقوله فقد كذب رسل ليس جزاء الشرط لان تكذيب الرسل من قبله متقدم على تكذيبه فلا يصح وقوعه جزاء بل هو سبب لمضمونه اي لمضمون الجواب المحذوف اي لعدم الحزن والصبر فاقيم مقام المسبب كانه قيل فان كذبوك فلا تحزن واصبر فان الرسل من قبلك قد كذبوا واوذوا فصبروا على ما كذبوا وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام من تكذيب قومه واليهود جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير الزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرء ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات وقيل الزبر هي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور كل نفس ذائقة الموت وعد للمصدقين ووعيد للمكذبين وقرء اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرء الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقول ابي الاسود الدؤلي ولا ذاكر الله الا قليلا بحذف ذكر عطفا

على مستعتب ويحذف التنوين منه لانهم يحذفون التنوين عند ملاقات الساكن لطلب الخفة او لالتقاء الساكنين ونصب الله على تقدير التنوين ولو كان مضافا اليه لكان مجرورا وانما توفون اجوركم اي تجزون بما يجب فيه الشكر من النعم وبما يجب فيه الصبر من البلايا وتعطون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم ايام حيوتكم في الدنيا وانما تعطون جزاء اعمالكم خيرا او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل لفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عم القبر روضة من رياض الجنة وحفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد وكان يدعو عليه السلام اللهم ارزقنا النعيم نعيم الاخرة اللهم نجني من النار سالما وادخلني الجنة غانما وعنه عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه اي يفعل ما يحب ان يفعل به وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير ان هذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ اي تبليغ وايصال الى الاخرة وعن ابن عباس متاع الغرور مثل القدر والقارورة والسكرجة ونحو ذلك لا يدوم لذلك بقاؤه وكذا الدنيا تزول وتفنى وقد يقال هو مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر ولا يصلحه الجبر وكذا المسافر يسرع الفناء قال الجوهري الغرور ما سر الجلد الواحد غر بالفتح ومنه قولهم طويت الثوب على غره اي على كسره الاول ثم قال الغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا وقيل الغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الافات وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اي من اهل الكتاب والمشركين اذى كثيرا اي من المطاعن في الدين الحنيف واغراء الكفرة على المسلمين وما كان من كعب ابن الاشرف من هجائه لرسول الله عليه السلام ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير اخبرهم بذلك قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على الصبر واحتمال ما يلقون من الاذى والشدايد ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله تعالى فان ذلك يريد الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها والعزم مصدر بمعنى المفعول اي المعزوم عليه والفاعل هو العبد بمعنى انه يجب عليه ان يعزم على الصبر والتقوى او الله تعالى بمعنى انه من ما عزم الله ان تكون اي اراد وقصد وقطع او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والاقرب ان يقال ان العزم ههنا بمعنى المعزوم ومعنى قولنا معزوم كلمة الامور اي معزومات الامور التي عزم الله على عباده وجوبها فانه تعالى امر بالصبر والتقوى في مواضع من كتابه الكريم كما امر بالصلوة والزكوة والامر للوجوب ومنه قيل عزائم القرآن وقول ابن مسعود ان الله تعالى يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه اي بعزائمه التي عزم على عباده وجوبها كما نقل ان الصبر والتقوى فرض من فرائض الله تعالى لا بد لكم الا تأتوا به كذا قال الامام المرزوقي حقيقة العزم توطين النفس وعقد القلب على ما يرى فعله ولذلك لم يجز على الله تعالى واذ اخذ الله اي واذكر وقت اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعني ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه اي حلفهم بلام جواب القسم لان قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين في معنى القسم ونون التاكيد ايجاب بيان الكتاب به والعطف على جواب القسم ايجاب اجتناب كتمانه وعن النبي عليه السلام فقال اي ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ

من النبيين أن يبينه ولا يكتمه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب و
الباقون بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض فنبذوه اي الميثاق وتأكيده
عليهم وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات والاعتداد و
نقيضه جعله نصب عينيه والقاء بين عينيه وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من النار وقال عليه السلام
لعلي لما بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام من تعلم القرآن بابا من العلم
ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا وصديقا وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان
يعلموا واعلم ان من اخلاق العالم المرضية ان ينزل المتعلم منزلة ولده كما قال عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد لولده فيرقيه بالتدريج من
النقصان الى الكمال معلما اياه على قدر فهمه واستعداده بان يعلم الظاهر والجلي في اوايل امره سيما اذا كان بليدا والخفي و
والدقيق ان كان اهلا له لاقتداء بمعلم البشر ومرشدهم كافة حيث قال عليه السلام انا معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس
منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم وقال عليه السلام ما احد يحدث قوما لا يبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة على بعض
وقال علي رضي الله عنه وقد اشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وان لم يكن اهلا مستحقا للجواب ينبغيه
اشد المنع بالنهي عن الحسن او بغير ذلك فلا يظهر له الدقايق والاسرار ايتساء باعلم المدققين حيث قال عليه السلام
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله وقال عليه السلام كلموا الناس
بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله ومن هاهنا يبيت اهل الانكار والاعتزار وجب علينا حفظ
الحقايق والاسرار على طريق الاسرار فانه ليس كل سر يكشف ويفشى وكل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار
خزاين الاسرار وقال قد سال سائل عمر رضي الله عنه عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة وساله آخر عن القرآن
هو مخلوق ام لا فتعجب عمر من قوله فاخذ بيده وجاء به الى علي رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن اسمع ما يقول هذا الرجل قال وما يقول
يا امير المؤمنين فقال الرجل مسالته عن القرآن اهو مخلوق ام لا فوجم علي وطاطاء راسه ثم رفع راسه وقال سيكون
لهذا الكلام هذا شان في آخر الزمان ولو وليت من امره ما وليت لضربت عنقه وقد روى الامام احمد هذا القول عن ابي هريرة
فانظر الى فراسة علي كيف عرف ان ذلك قرع لباب الفتنة في آخر الزمان الذي هو موسم الفتن ومظنتها بوعد النبي صلعم
فمن منح الجاهلين علما اضاعه ومن منع المستحقين فقد ظلم فوجب عليه ان يمنع المتعلم عن كل علم يضره ولاسيما الفلسفة
العوراء واشتروا به وقد مر ان الاشتراء استعارة للاستبدال اي واستبدلوا بالكتاب ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم لا تحسبن الذين يفرحون خطاب لرسول الله والموصول مفعوله الاول وبمفازة
الثاني وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين ومن ضم الباء فيهما جعل الخطاب له وللمؤمنين
وقرئ بالياء وفتح الباء على ان الفعل للرسول وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان
الموصول فاعل والمفعول الاول محذوف تقديره لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون
فائزين وفلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول بما اتوا بما فعلوا من كتمان الحق والتدليس ويدل عليه قراءة
ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا اي اعطوا وعن علي رض بما اوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء با
الميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بمنجاة من العذاب وقرأ مجاهد فلا تحسبنهم

بكسر التاء والسين ولهم عذاب اليم بكتمانهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء مما في التورية
فكتموا الحق واخبروه بخلافه وأروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه
بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من
اظهار الحق واخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا من علم التورية وقيل يفرحون
بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله عليه ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا
ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله عليه السلام فلما قفل
اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل نزلت في المنافقين يفرحون
بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم
يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب
ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امورهم ويدبرها
ويجريها على حسب ما يصلحهم وهو اعلم بما يفعلون من خير وشر والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم وعلى
الانتقام منهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب
مصالحهم ونبههم على ذلك بقوله والله على كل شيء قدير اراد ان ينبه على كمال حكمته البالغة وقدرته
الباهرة وجلالة شانه وتقديره ولطافة علمه وتدبيره بقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب الخلق مصدر او من تسمية المفعول بالمصدر كالصيد مثلا اي في ايجاد
السموات والارض واخراجهما من العدم الى الوجود وفي تعاقب الليل والنهار لدلايل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وعظيم قدرته وباهر حكمته لارباب النظر والاستدلال على ان ما وضع الله فيها من الادلة
والعبر بالشمس والقمر وساير النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على
عظم قدرته وبالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروايح والمسالك والمخارج
وغير ذلك لنستدل بها على لطف عبده وبالسكون في الليل والتصرف في النهار وما فيهما من التفاوت والتغاير والتساوي
على كمال حكمته فيستطرف خلقهما وما فيهما ومآلهما الذين يسلكون الطريق السوي البين في الموصل الى المعرفة فيعلمون
ان لا بد لهما من موجد موجدهما من العدم الى الوجود ومن مخرج ومنتقل لهما من حال الى حال ومغيرهما من ناقل ومغير و
يشكرون على النعمة في ذلك فهم نظارون بعيون باصرة وعقول خالصة واذهان نافذة كلما راوا آية من آياته
وجه تاملها وتفكر وان فيه قدرة مغيرها وفي حكمة مدبرها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم واي جهل
اعظم من جهل من لم يذهب به وهمه الى تدبرها والنظر والاعتبار بها والاستدلال على عظيم شان من خلقها
واوجدها من عدم الى الوجود وقدرها ودبرها واودعها ما اودعها مما لا يدرك كنهه ولا يعرف حقيقته الا
هو جلت حكمته وعزت قدرته وعظم شانه ولطف علمه وعلا عن غيره ثم ان من قدر على خلق تلك
الايات مع عظمها كان على خلق الانسان وثوابه وعقابه مع مهانته اقدر وانما اقتصر على هذه الثلاثة
ههنا مع ان الايات المذكورة في سورة البقرة ثمانية لان الايات على تكاثرها منحطة الكثرة قد انحصرت في هذه الانواع

وبما اعلامهما به

وارضية ومركبة منها فدل على الآيات السماوية بقوله في خلق السموات وعلى الارضية بقوله والارض وعلى المركبة بقوله
واختلاف الليل والنهار لان تحققهما بسبب دوران الشمس على الارض وقيل لعل الاقتصار على هذه الثلثة في
هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة بجملة انواعها فانه اما ان يكون في ذات الشيء
كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنها كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن ابن عمر قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله عليه السلام فبكت واطالت ثم
قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك
ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام
الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى رأيت
دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي
وقد انزل الله علي في هذه الآية ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي
ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها يقال لاك اللقمة اذا علكها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان رجلا من بني اسرائيل
اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة
فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا
من ذلك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه ذكرا دائما على الحالات كلها من قيام وقعود و
اضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد
الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون
الله على اقدامهم وهما مصدران بمعنى الفاعل ويجوز ان يكون قعودا جمع قاعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب طاقتهم لقوله
عليه السلام لعمران ابن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه
حجة للشافعي في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستلقي حتى
اذا وجد خفة قعد لقوله عليه السلام لعبد الله ابن عمر فان لم تستطع فعلى القفاء تومي ايماء وما روي
عمران بن حصين كان في مرض لا يستطيع ان يستلقي على قفاه وقيل الاختلاف في الافضل فان كلا منهما جائز
عندهما لكن الافضل ذلك ثمرة الذكر في التحقيق طرد الغفلة فاذا ارتفعت الغفلة كان العبد ذاكرا وان سكت
ومن ذكر بلسانه ولم يشاهد بقلبه فهو غافل وان حرك لسانه بذكره ولذلك قال الجنيد قدس الله سره
من قال الله بغير مشاهدة فهو مفتري وقوله على جنوبهم في موقع الحال كانه قيل قياما وقعودا
ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض اعتبارا واستدلالا وهو اشرف العبادات كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقال عم تفكر ساعة خير من قنوت ليلة رواه ابن حبان

هذا الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور

وعنه عليه السلام تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة لانه عمل القلب والمقصود
من الخلق والخالص عن الرياء الذي هو الشرك الاصغر وعنه قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق
الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره فان من السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف
نور وهو فوق ذلك وان ملكا من حملة العرش يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله
قد مرقت قدماه في الارض السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا والخالق اعظم من المخلوق
وعن ابي الدرداء قال عليه السلام تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تتفكروا في الله فتهلكوا واعلم ان التوفيق
بينها وبين قوله عليه السلام التفكر في عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة وخير الناس
المتفكرون في ذات الله تعالى وشرهم من لا يتفكر في ذات الله تعالى مشكل صعب وعنه عليه السلام لا تفضلوني
على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قال العلماء وانما كان ذلك التفكر في
امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه
عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان
لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل بين على شرف علم الاصول وفضل اهله
ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول والمعنى يتفكرون في انشاء هذه الاجرام العظام وابداع
صنعتها وتدبيرها مستدلين على كمال قدرة مقدرها وحكمة مدبرها وعظم شانه وكبرياء سلطانه قائلين
ربنا ما خلقت هذا باطلا وهذا اشارة الى الخلق والمراد به المصدر او المخلوق كانه قيل ويتفكرون
في مخلوق السموات والارض او الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق والمعنى ما خلقت هذا الخلق باطلا
العجيب الشان باطلا بغير حكمة بل خلقته بحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
ومستقرا الذي لا بد له منه منعما عليه فيه بفنون النعم ودلالة تدل على معرفتك ووجوب طاعتك
واجتناب معصيتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك ومن البعيد ما يقال انه تابع
للمتفكر فيه وانه كان صحيحا بحسب المعنى لماله الى احد الوجهين السابقين سبحانك تنزيها لك من ان تخلق
الباطل وهو اعتراض للتنزيه من العبث وانه لا يفعل شيئا بغير حكمة فقنا عذاب النار فاحفظنا واعصمنا من
عذاب النار اي جزاء من ظن ان خلقها للعبث لا للحكمة وهو مظنون الذين كفروا كما قال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ويجوز ان يكون عذاب النار كناية
الظن السوء ونحوه من المعاصي بذكر المسبب وارادة السبب وعلى المصدر ان يكون التقدير فقنا السيئات
والمعاصي التي تفضي الى عذاب النار فانه جزاء من عصى ولم يطع وقيل فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه
والقيام بما يقتضيه ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فقد اهنته وفضحته ونظيره اعنه اذا بالغ في اهانته
وقيل فقد ابلغت في اخزائه ونظيره من ادرك الضمان فقد ادرك وانما حمل الجزاء على اخص الخصوص لقصد
المبالغة ولو ابقي على اطلاقه لم يكن فائدة في ذكره لظهور لزومه للشرط حينئذ وعن ابي بكر الاقطان قوله
الحسن من تخليد النار والظاهر ان استعاذتهم بالله من النار وفي التحقيق من اسبابها من الكفر والنفاق

بدليل قوله وما للظالمين من انصار اي وما للكافرين من مانع يمنعهم من عذاب الله تع ولقوله عليه السلام ان الله لا
يهتك ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير رواه انس وقوله عليه السلام ان الله لا يعذب من خلقه الا المارد المترد
عليه يابى ان يقول لا اله الا الله رواه ابن عمر رض وقوله عليه السلام ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وعن معاذ بن جبل قال كنت ردف النبي عليه السلام على حمار فقال
يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله تع ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا
ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا وعنه عليه السلام امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها
في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والاخبار فيه كثيرة وفي وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان ظلمهم اي
كفرهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في النجاة منهم فالخوف كل الخوف من الاسباب ظاهرا
او من مسبب الاسباب تحقيقا وزعم كثير منهم ان المراد من الظالمين المذنبون من اهل الايمان منهم الزمخشري
والقاضي البيضاوي فقال الزمخشري اللام فيه اشارة الى من يدخل النار يعني انها للعهد والاعلام بان من يدخل
النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ولا تحقيق فيه مثل الفساد حيث انكر الشفاعة وخرق اجماع اهل الحق على ان الاية
انما تدل على نفي الناصر فقط ونفيه لا يدل على نفي الشفيع ولهذا لم يكن بينهما كما في قوله تعالى لا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون تكرارا فان النصرة دفع بطريق القهر والغلبة والشفاعة بطريق المسئلة فلا يلزم من نفي النصرة
نفيها وانما رجع ناصرها لا ظرفا في جمع ظاهر وما قيل ان فاعلا لا يجمع على افعال فهو ضعيف لا يلتفت اليه
لانه قال به من لا ريب في كونه ثقة في العربية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان فوقع مثل قولنا
سمعت رجلا يقول فالمحققون على ان يقول حال او بدل او بيان بتاويل المصدر اي سمعت قول رجل قائلا
كذا او قوله كذا وزعم بعضهم انه ثاني مفعولي سمع وقال المصنف انه اوقع الفعل على الرجل وحذف المسموع
لوصفه بما يسمع او جعله حالا عنه فاستغني به عن ذكر المسموع ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان
يقال سمعت كلام فلان او قوله وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه
ثم تقييده تعظيم لشانه واظهار لفضله اذ لا منادي اعظم وافضل من مناد ينادي للايمان ونظيره قولك مررت
بهاد يهدي للاسلام وذلك المنادي هو الرسول عليه السلام ادعوا الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن
كعب القران والنداء والدعاء والهداية والندب يتعدى باللام والى لان معنى الاختصاص والانتهاء واقعان جميعا ان
آمنوا بربكم فامنا ان مفسرة بمعنى اي او مصدرية بحذف الباء اي بان امنوا والمعنى ينادي للايمان بطلب الايمان
فان معنى ان آمنوا بلفظ الامر طلب الايمان في زمانه كما ان آمنوا بلفظ الماضي حصول الايمان في زمانه وان يؤمنوا
بلفظ المستقبل حصول الايمان في المستقبل وفيه تنبيه على انه لو اريد مجرد معنى المصدر لم يكن فائدة في ذكر
لتكرار لفظ الايمان حيث قيل ينادي للايمان بالايمان فوجب ان يحمل على طلب الايمان ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا
فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة لكنها مكفرة عن مجتنب الكباير ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم والابرار جمع بر او بار

كرب وارباب وصاحب واصحاب وفيه رد لما قيل ان جمع فاعل على افعال لم يثبت على ما يخفي على المصنف ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك يجوز ان يكون متعلقا بالوعد اي ما وعدتنا على تصديق رسلك ولا يخفي ان ذكر المنادي
وهو الرسول وقوله آمنا اي صدقنا يدلان على هذا المقدر المضاف وان يكون متعلقا بمحذوف تقديره ما وعدتنا
منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل معناه على السنة رسلك
والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء وقرء الاعمش وابن عمير رسلك بسكون السين ولا تخزنا يوم القيمة ولا تفضحنا
يوم القيمة ومن ادعيته عليه السلام اللهم لا تخزنا يوم القيمة ولا تفضحنا يوم اللقاء ومنها ولا تخزني يوم القيمة
فان من الخزية يوم الباس فقد اخزيته وقيل قوله تعالى ولا تخزنا يوم القيمة اشارة الى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
فانه ربما ظن الانسان انه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح ثم انه يظهر له يوم القيمة ان اعتقاده كان ضلالا و
عمله كان ذنبا فهناك يحصل الخجالة والحسرة الكاملة والاسف الشديد وذلك هو العذاب الروحاني فاول
دفع العذاب الجسماني وآخرها دفع العذاب الروحاني انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة دعائه وانما
استحال الخلف منه في ذلك لانه نقص مناف للالوهية وكمال الغني وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت
واعلم ان كل ما وعده الله تعالى فقطعي الوقوع لان الله لا يخلف الميعاد فالمقصود من الدعاء رد القدر كما صرح النبي
حيث قال لا يرد القدر الا الدعاء الحديث وعنه عليه السلام ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد
الله بالدعاء رواه ابن عمر ودفع الغضب لقوله عليه السلام ان الله يغضب على من لا يسئله ولا يفعل ذلك احد غيره
وقوله عليه السلام من لم يسئل الله يغضب عليه فاذا اراد الله تعالى عن عبده ما قدر من السوء ودفع عنه غضبه
حصل له الفوز بجميع السعادات الدنيوية والاخروية وعند ذلك يصير عبدا موفقا لكل خير متجنبا من شر الدارين
مندرجا في المصطفين وهو اجل المراتب واعلاها وذلك نتيجة الدعاء فقل لي اي عبادة اعظم منه واي عمل
افضل منه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء اكرم على الله من الدعاء وعنه عليه السلام من اعطي
الدعاء لم يحرم الاجابة فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو ابلغ من اجاب لزيادة بنائه وقيل هما بمعنى وقيل
هو اخص من اجاب لان الاجابة نوعان قد تكون بالمراد وقد لا تكون بخلاف الاستجابة فانها اجابة بالمراد
لا غير ويتعدى باللام وهو الشايع وبنفسه كقوله عليه السلام اسئلك ان تستجيب دعوتي فاني مضطر ومنه
قول كعب الغنوي وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب وقيل البيت على حذف
المضاف اي لم يستجب دعاءه اني لا اضيع عمل عامل منكم وفي الاستجابة واضافة رب اليهم ووقوع
الفعل في سياق النفي وتنكير عامل دلالة قطعية على ان كلا من جنسهم اذا دعا باسمائه واثنى
عليه بصفاته لم يحرم الاجابة بل لا بد ان يجيبه ويعطيه مراده معجلا او مؤجلا فان لم يدرك الاجابة
رجوع العلة اليه لا الى العبد وهو سبحانه منزه عن ذكر علو كبيرا ولذلك قال عم من اعطي الدعاء لم يحرم
الاجابة ويشهد بذلك قوله عم اذا احب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعا
قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول الله تعالى دعوا
عبدي فاني احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء الا

لك وما تسألني شيئا إلا أعطيتك إما أن أعجل لك ما سألت وإما أن أدخرك عندي أفضل منه وإما أن أدفع عنك
من البلاء ما هو أعظم من ذلك قرئ إني بالكسر على إرادة القول وبالفتح على حذف الباء وقرئ لا أضيع بالتشديد من ذكر أو أنثى
بيان عامل على أن المراد به الشخص العامل ليشملهما بعضكم من بعض لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر أو لأنهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال
والاتحاد أو للاجتماع والاتفاق في الدين وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعاملين وروي
أن أم سلمة قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أسمع الله عز وجل يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين
هاجروا تفصيل لأعمال العاملين منهم وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم كأنه قال فالذين عملوا هذه
الأعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن الشرك والوطن والعشيرة وتحمل مشاق الجلاء عن ديارهم وتحمل الأذى
في سبيل الله تع والقتل والقتال لإعلاء كلمة الله ولعز دينه وأخرجوا من ديارهم أي واضطروا إلى الخروج من
أوطانهم بما سامهم المشركون من الخسف وذلك لأن المشركين لم يكن منهم إخراج بل إيذاء وظلم اضطرهم إلى الخروج
وأوذوا في سبيلي أي لأجل سبيلي وبسببه يعني سبيل الدين وبه فسر قولهم جاهد في سبيل الله وبعث فلان في سبيل الله
وقاتلوا وغزوا الكفار وقتلوا واستشهدوا وقرأ حمزة والكسائي بالعكس أي قتلوا وقاتلوا لأن الواو لا توجب
ترتيبا والثاني أفضل أو لأن المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا ولم يستكينوا والباقون قاتلوا
وقتلوا إلا ابن كثير وابن عامر فقرآ قتّلوا بالتشديد للتكثير وقرئ وقتلوا وقتلوا على بناء الأول للفاعل والثاني
للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل وقوله لأكفرن عنهم سيئاتهم عنهم سيئاتهم لأمحونها ولأدخلنهم
جنات تجري من تحتها الأنهار تفصيل للثواب وإخبار على سبيل القسم بمحو السيئات وإدخال الجنات وعظم الثواب
من الله الجامع لصفات الكمال ثوابا من عند الله في موقع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبا من عند الله لأن قوله لأكفرن
عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم ولما كان الله اسما للذات الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره في
معرض الوعد منبئا عن غاية الكرم والرضا والرحمة ونهاية الثواب وفي معرض الوعيد عن غاية السخط والانتقام
ونهاية العذاب وفي الخبر أن ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار مما لا يدرك غايته والله عنده حسن الثواب ليس
معناه أن الثواب بحضرته وبالقرب منه على ما هو حقيقة لفظ عنده بل مثل كونه بقدرته وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره
بحال الشيء يكون بحضرة أحد لا يد عليه لغيره أي يختص بقدرته وفضله فالاختصاص مستفاد من هذا التمثيل حتى
لو جعل حسن الثواب فاعل عنده لا مبتدأ مؤخرا عنه كان الاختصاص بحاله وهذا المعنى قوله الذين يذكرون الله
إلى قوله حسن الثواب تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع وإعلام بأسباب الإجابة والإثابة وهي
الإيمان المعتد به المقترن بالأعمال الصالحة فإن الاستجابة مرتبة على إيمانهم وذكر أعمالهم وأفكارهم والمتعارهم
عن الذنوب والأعمال السنية من المهاجرة وتحمل المشاق في دين الله والجهاد أسباب لإدخال الجنة وحسن الإثابة
لكن في ترتيب سؤال الوقاية من العذاب على الأذكار والأعمال والأفكار وسؤال الثواب والنجاة على وعده و
التصريح بإسناد إدخال الجنة إلى ذاته والتكرير أن الثواب من عنده رمز إلى أن الأعمال وسائل عادية لا أسباب
حقيقية وأن له أن يعذب مع الأعمال ويثيب مع الإخلال لأن الكل من عنده والفضل بيده يؤتيه من يشاء فينبغي
أنه يخاف مع الطاعة عذابه ويرجو مع المعصية ثوابه وتكريره ربنا من باب الابتهال وعن جعفر الصادق من حزبه
مع

أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وبعضهم قوله إذا قال العبد يا رب يا رب قال الله تع
لبيك عبدي سل تعطه وعن الحسن يحكي الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب
به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء ومراده برفع الدعاء العمل الصالح ملحوظ من قوله تع والعمل الصالح يرفعه لا يغرنك تقلب الذين كفروا
في البلاد الخطاب للنبي صلعم والمراد أمته أو تثبيته على ما كان عليه كقوله تع ولا تطع المكذبين أو لكل أحد أي لا تنظر إلى ما الكفار عليه
من الحظ وسعة الرزق والمضطرب ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم وعن ابن عباس
هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في خصب ورخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء
الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزل الله تع لا يغرنك تقلب الذين كفروا الآية والنهي في الظاهر للتقلب وفي المعنى
للمخاطب على تنزيل السبب منزلة المسبب فإن السبب غرة التقلب والمسبب الاغترار بالتقلب فورد النهي عن الأول وأريد النهي عن الثاني
وهو الاغترار مجازا أو كناية وقيل السبب تقلبهم والمسبب الغرور به فنهى السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل
خبر مبتدأ محذوف أي ذلك التقلب في البلاد متاع قليل لقلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين أو بالنظر
إلى تقضيه وزواله وكل زائل قليل قال صلعم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم
وبئس المهاد وبئس ما مهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل
والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيها الظرف أعني لهم ويجوز أن يكون جنات مبتدأ والظرف خبرا مقدما
فيكون حالا من الضمير فيه وقيل إنه مصدر مؤكد لمضمون جملة لهم جنات كأنه قيل رزقا وعطاء وعلى هذا لا يكون اسما لما يعد للنازل
بل مصدرا بمعنى إعطائه وتهيئته وقيل التقدير أنزلوها نزلا وقرأ أبو جعفر لكن والحسن نزلا بسكون النون وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله ومآله إلى الفناء والعذاب لتقلبهم فيه وروي في نكته خير وأبقى وقرأ
مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن
بالله نزلت في عبد الله بن سلام وأشياعه من مسلمة أهل الكتاب وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل
إلى رسول الله صلعم فقال اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى
عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وفيه كلام لأنه كان عالما وما كان
اللام على اسم إن لفصل الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله حال
من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من أحبارهم وقوله وما أنزل
إليكم وما أنزل إليهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعد في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم
كفلين من رحمته والاختصاص [illegible] أولئك مبتدأ وأجرهم مبتدأ ثان وخبره الظرف وعند ربهم حال [illegible]
أو من الضمير في الظرف والجملة خبر أولئك والجملة [illegible] أو لهم خبر [illegible] أجرهم فاعل الظرف [illegible] على المبتدأ
إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء واستغنائه عن التأمل فيوفي الأجور كل عامل على ما ينبغي قدرا ووقتا ويجوز
ما نزله وصف نفسه بسرعة الحساب دلالة على أن الأجر الموعود سريع الحصول لأن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا أيها الذين

امنوا اصبروا على ما كلفتم من التكاليف وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا
منهم وثباتا ولعدو عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى والتاب المصابرة باب من الصبر ذكر بعد الامر بالصبر تخصيصا لشدته وصعوبته فيكون
افضل من الصبر على ما سواه فعطف عليه كعطف جبريل على الملائكة تنبيها على فضله حتى كانه ليس من جنسه ورابطوا رابط الجيش اقام
في الثغر بازاء العدو مرابطة ورباطا اي واقيموا في الثغور رابطين خيولكم فيها مستعدين للغزو قال الله تع ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وقيل رابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعات كما قال عم من الرباط انتظار
الصلوة بعد الصلوة وعن ابن عباس قال النبي عم الثغور كنانة الله واهلها سهام الله عز وجل الامن رابط في سبيل الله فواق ناقة بعده الله
من النار سبعين سنة وعنه عم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل الا لحاجة عدل الشي بكسر
مثله من جنسه وبالفتح مثله من غير جنسه وقال الزجاج اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ورابطوا اي اقيموا على جهاده بالحرب واتقوا الله
في المحافظة على حدوده وما امركم به وما نهاكم عنه في الجهاد وغيره لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه الخصال كلها وانتم راجون للفلاح
طامعون فيه غير مستيقنين له ولا تتكلوا على اعمالكم او اذ نيكم ما فيها من الاجر العظيم الذي لا يقادر قدره ولا يمكنه كنهه لعلكم تفلحون تعملون عمل
اهل الفلاح في المحافظة عليها والعمل بها وعن النبي اصبروا على الصلوة الخمس وصابروا على قتال عدوكم بالسيف ورابطوا في سبيل الله لعلكم تفلحون والفلاح
في الاصل الفوز بالمطلوب ومدار التركيب على الشق والقطع وقيل واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون
بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة وقوله واتقوا القبائح لا يخفى فيه تأمل وكونه وضع حيث وضع لفظ القبائح موضع لفظ الله ولو قال اتقوا معاصي الله
او عقابه او ما اشبه ذلك لكان مصيبا عن رسول الله عم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عم من قرأ السورة التي يذكر
فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس اللهم وفقنا للعمل بما تحب وترضى وزينا بالملبس التقوى بحق نبي محمد المصطفى وآله وصحبه معالم

سورة النساء مدنية مائة وخمس وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس
ابيكم آدم وقرأ ابن ابي عبلة من نفس واحد بغير تاء وخلق منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسه لتكون لحصل لكم من انفسكم
ازواجا والظاهر انه عطف على خلقكم على ان الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم الرسول لانهم المامورون بالاتقاء حقيقة لما روي عن ابن عباس انه
لاهل مكة او للعرب خاصة اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء اما اهل مكة فلانهم كانوا مشركين قاطعين
للرحم المحلي باليتيم فزجرهم الله عن الشرك بقوله اتقوا ربكم واتقوا الله وعن الكبر بقوله خلقكم من نفس واحدة وعن قطع الرحم بقوله والارحام وعن اكل مال اليتيم
بقوله وآتوا اليتامى اموالهم واما العرب فبقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام لان المناشدة بالله والرحم طريقة العرب خاصة او عطف على محذوف يدل عليه
المعنى ولفظ الخلق قبله وبعده كانه قيل خلقكم اي شعبكم من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم وتفريعهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا
ونشر منهما نوعي جنسه الذكور والاناث والمقصود من هذا الوصف بيان كيفية خلقهم وتفريعهم منها وتفصيل ما اجمل اولا مستقلا
فعلى هذا يكون المراد بالناس بني آدم كلهم وغلب الحاضر على الماضي والآتي في امر الاتقاء سيما الماضي لانه لا يمكن امر من مضى بالاتقاء واما
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها لان الحكمة تقتضي ان تكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وقيل يجوز عطفه وخلق على خلقكم مع عموم
الناس لان المراد باخراج الذرية من نسل آدم قبل حواء وقيل هو عطف على واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت وشعبها الله بزوج ثم خلقهما
من ازواجهما واحدة على التفصيل ذكر وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة البالغة
التي توجب طاعة مولاها تحملهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط في القيام بشكرها ويجوز ان يراد بالتقوى ما يتعلق بحفظ الحقوق بينهم كان

الله الذي تساءلون به والارحام اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله وبالرحم واصله تتساءلون فادغمت
التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها لان الثقل عندها يحصل ولان الاولى حرف مضارعة
وقرأ النخعي يساءلون بالياء وتشديد السين وقرأ الحسن تساءلون بالتاء وتشديد السين وحذف الهمزة
وقرأ ابو عمرو في رواية خارجة يسألون بالياء وسكون السين والهمزة وقرأ تسالون به مهموزا وغير مهموز
وعمرا وتعضده قراءة عبد الله تسألون به وبالارحام وبالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او يتساءل به وبالجر وهو في حرف حمزة عطفا على الضمير المجرور به باعادة الجار تقديره كما في قوله فاذهب
فما بك والايام من عجب وقوله فطرب ما فيها غيره وفرسا او على ان الارحام مقسم بها مجرورة بواو القسم تعظيما
لشانها حثا على صلتها مع التنبيه على انها مما يقسم به ورد بان قسم السؤال لا يكون بالواو مع ما يجب بانه قسم
سؤال بل قسم اخبار واستئناف كانه قيل والارحام انه مطلع على ما تفعلون وبالجملة فهي قراءة ثابتة صحيحة وقرأ بها
والنخعي ويحيى بن وثاب فانكارها كما نقل عن نحاة البصرة ليس بسديد لان العطف على الهاء المجرورة من غير تقدير
تكرير الجار جائز عند الكوفيين ولو سلم فهو عطف على الضمير المجرور باعادة الجار لان الاعادة اعم من ان يكون
تحقيقا او تقديرا وايضا على تقدير كون الواو للقسم دون العطف لم يبق خلاف في صحته والمعنى انهم كانوا يقررون
بان لهم خالقا ويتساءلون به وبذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتناشدون به واتقوا
الارحام فلا تقطعوها وهو معنى قراءة النصب او مع تقدير الرفع او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره واذكار
الرحم وهو معنى قراءة الجر واحد تقدير الرفع وقد نبه تع اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وقد ورد
في ذلك آيات واخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله وعن ابن عباس الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع
احتجبت منه وهو معنى قول الحسن اذا سألك بالرحم فاعطه واذا سالك بالرحم جنت عند العرش وقال عليه السلام
من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه وعنه عليه لا يدخل الجنة قاطع وعن ابن عيينة عن عليه
عليه السلام تخيروا لنطفكم واجتنبوا الناكح وعليكم بذوات الاوراك فانهن انجب فقال يعقوب للاولادكم [illegible]
بيعه ولده في الظلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صحتان يختار الموضع للحلال فلا يقطع
رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدقيقة ولا يضعه موضع سوء ويتبع شهوته وهواه
بغير هدى من الله ان الله كان عليكم رقيبا يمنعكم من المعاصي فيما امركم به ونهاكم عنه بما انزل عليكم من الكتاب
وارسل عليكم من الرسول ونصب لكم من الدليل والجمهور على ان الرقيب كالحفيظ وقيل هو اخص من الحفيظ لان
الرقيب هو الذي يرعى الشيء بحيث لا يغفل عنه اصلا ويلاحظه دائمة لازمة لزوما لو عرفه الممنوع عن ذلك
الشيء لما اقدم فكانه يرجع الى العلم والحفظ ولكن باعتبار اللزوم وبالاضافة الى ممنوع عنه محروس
عن الشيء وقيل الرقيب الحافظ الذي لا يغيب وقيل الذي يعلم ريبه ولا يخفى عليه السر والنجوى وقيل الذي يحفظ
جميع المحدثات وتقدمت رؤيته جميع المكونات وقيل المطلع على الضمائر والشاهد على السرائر وحكي ان ابراهيم
رضي الله عنهما مر بغلام يرعى غنما فقال الربيع بنا شاة وقال انها ليست لي فقال قل لمالكها ان الذئب اخذ واحدة

فقال الغلام فاين الله فاشتراه ابن عمر فاعتقه واشترى تلك الغنم ووهبها له وكان ابن عمر يقول بعد ذلك في كل ساعة فاين الله
وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتمى وهو جمع يتيم كما جمع اسير على اسرى ثم على اسارى بالفتح واليتيم
من مات ابوه فانفرد عنه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وفي المغرب اليتيم في الناس من قبل الاب وفي
البهائم من قبل الام او جمع يتيم كما قيل وافايل والاصل يتايم فقلب بان قدم الميم على الياء وجمع فعيل على فعايل في
الصفات قليل لكن اجرى اليتيم مجرى الاسماء كصاحب وفارس ولهذا قلما يذكر معها الموصوف والاشتقاق يقتضي
وقوعه على الصغار والكبار لتحقق معنى الانفراد لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ والاية تحتمل كليهما لكن اذا اريد بها
الصغار كان ايتاؤهم اموالهم مجازا عن حفظها سالمة لهم وان اريد الكبار فتسميتهم يتامى اما حقيقة لغوية لا عرفية
او مجاز باعتبار ما كان او لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم اسم
اليتامى والصغار ان اونس منهم الرشد ويعضده ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما
بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي عليه السلام فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب
الكبير فدفع اليه ماله فقال عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الغلام ماله انفقه
في سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق
في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال
اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا
الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار
والمستخلف المتبدل اراد وبالوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ
جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة قالوا وهذا تبديل وليس بتبدل لان معنى تبدلت
هذا بذاك اخذت هذا وتركت ذاك وكذا استبدلت ومعنى بدلت هذا بذاك اخذت ذاك واعطيت هذا
فاذا اعطى الردي او المهزولة واخذ الجيد او السمين كان هذا اعطاء الخبيث واخذ الطيب لا اخذ الخبيث وترك
الطيب ليكون تبدل الخبيث بالطيب هذا اذا اعتبر الاخذ والاعطاء من الولي بالنظر الى حال نفسه كما نقله البغوي
عن ابن المسيب والنخعي والزهري والسدي واما لو اعتبر منه بالنظر الى حال الصبي فهو كلام لا اشتباه فيه فان
الولي اذا جعل مهزولة من ماله مكان سمينة من مال الصبي فقد اخذ للصبي الخبيث الردي واعطى الطيب
الجيد فيكون تبديلا وانما يكون تبدلا هو بالنظر الى حاله حيث اعطى الخبيث واخذ الطيب وقرا ابن محيصن ولا
تبدلوا بادغام التائين ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوا اموالهم مع اموالكم وظاهره النهي
عن اكلها معها وحقيقته النهي عن ضمها اليها في الانفاق وعدم الفرق بينهما كانه قيل ولا تضموها اليها
في الانفاق حتى لا تفرقوا بينهما او ولا تنفقوها معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد
على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف وفي التقييد بالمعية تنبيه على غاية قبح فعلهم حيث كانوا ياكلون
اموال اليتامى مع انهم كانوا مستغنين عنها بما رزقهم الله من مال الحلال ولم يعتنوا بها ويجعلوها كما هو حال

الانعام

الانعام فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم قيل الى متعلق بمحذوف هو في موقع الحال اي مضافة الى اموالكم
وقيل هو مفعول به على المعنى انه تضمين للاكل انه كان حوبا كبيرا الحوب والحوبة الذنب ومنه قوله عليه السلام
توبا توبا لا تغادر علينا حوبا وقيل الحوب الذنب العظيم ومنه قوله ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه
كان ذنبا عظيما كبيرا فان قيل قد تحقق ان العظيم فوق الكبير فاي فائدة في وصفه بالكبير بعد ذكر اجيب بانه ذكر
حيث افرد كل والعظيم ههنا في ضمن الحوب والكبير هو الكبير في العظيم والصواب ان يقال ان الفرق بينهما
تخلف لقوله تعالى في نبينا عليه السلام وكان فضل الله عليك عظيما وفي موضع آخر ان فضله كان عليك كبيرا وقرا الحسن
حوبا بالفتح وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو مصدر ايضا كالقول والقال ومنه الطرد والطرد وان
خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم
منها فخافوا ايضا ترك العدل في حقوق النساء فلا تكثروا منهن وآثروا التقليل بان لا تجاوزوا عن هذا الاربع لان المتحرج
من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون
من تكثير النساء فيتزوج بعد العشر من الازواج والثماني والست فربما يقع الجور في حقهن فنزلت وقيل
كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا
ايضا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد يتيمة ذات مال فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما يجتمع عنده منهن عشر فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلم حقوقهن
ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تعدلوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال
للاناث اليتامى كالذكور وهو جمع يتيمة على القلب والاصل يتايم ونظيرها ايامى فانها يقال للذكور والاناث ممن
لا زوج له وهو جمع على القلب لان الاصل ايايم جمع ايم فعيل من آم الرجل وآمت المرأة اذا لم يتزوجا بكرين كانا
او ثيبين وقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وعبر عنهن بما ذهابا
وغلبه في غير العاقل اجراء لهن مجرى غير العقلاء ومنه او ما ملكت ايمانكم او ذهابا الى الصفة والمعنى فانكحوا
الموصوفة باي صفة اردتم من البكر والثيب والجميلة الى غيرها من الاوصاف وقرا النخعي تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يعني وان خفتم ان تجوروا وقرا ابن ابي عبلة من طاب لكم مثنى وثلاث ورباع
معدولة عن اعداد مكررة هي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ومنعت الصرف للعدل والصفة الاصلية
وعليه الجمهور وقال ابن السراج لما فيها من العدلين لفظا ومعنى لان مثنى معدولة عن لفظ اثنين وعن معناه
وهو الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين وذهب الكوفيون الى انها منعت الصرف للعدل والتعريف كما في عمر اذ لا يدخلها
اللام وانها اذا اجريت على النكرة محمولة على البدل ومن قال الحال انها نكرات يعرفن بلام التعريف فلا بد له من
مستشهد في استعمالها معرفة باللام وهي في موقع الحال من فاعل طاب او من النساء ولان المراد تقييد نكاح ما طاب
بكونها معدودات هذا العدد فكانه قيل فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا
ثلاثا واربعا اربعا ولو جعلت من للبيان دون التبعيض لم يبعد ان يكون حالا من النساء لكن الظاهر هو
التبعيض وقيل منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد

المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو
أفردت وقلنا اقتسموا هذا المال درهما وثلاثة وأربعة لم يكن له معنى ولم يصح جعل درهمين حالا من المال الذي هو ألف
درهم ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد وقيل هو بدل من ما طاب وذهب بعض جهلة معاني الكلام
إلى جواز التسع مستندا لأن الواو للجمع فيجوز الثنتان والثلاث والأربع وهي تسع وهذا باطل من وجوه أما أولا
فلأن من نكح الخمس وما فوقها لم يحافظ على القيد المذكور وهو كون النكاح على هذا التعديد ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا بل جاوز إلى خماس وسداس وأما ثانيا فلأن الإجماع قد وقع على أن أحدا من الأمة
لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة وأن الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لا مشاركة من الأمة معه لاحد
فيها وأما ثالثا فلأنه قد روي عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وعنده عشر نسوة فقال النبي عليه السلام أمسك أربعا
وفارق سائرهن وروي أن قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله طلق
أربعا وأمسك أربعا قال فجعلت أقول للمرأة التي لم تلد مني يا فلانة أدبري والتي قد ولدت يا فلانة أقبلي وقرأ ابن
وثاب والنخعي وابن أبي عبلة وثلث وربع بغير ألف فيهما فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك
العدل فيما فوقها فواحدة فانكحوا واحدة أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية فإن الخير كله في العدل فأينما
وجدتم العدل فعليكم به وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف وخبره كأنه قيل فكفت واحدة أو فالمقنع واحدة
أو ما ملكت أيمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر ولا
توقيت عدد لأنهن أخف مؤنة من المهائر وأقل تبعة وأقصر شغبا ولعدم وجوب القسم بينهن وقرأ ابن أبي
عبلة من ملكت ذلك إشارة إلى التقليل أو اختيار الواحدة أو التسري أدنى أن لا تعولوا أقرب أن لا تميلوا
يقال عال الميزان إذا مال وليس من عال يعول إذا احتاج وسال كما يتبادر إلى الوهم وفي المغرب عال الحاكم مال
وجار ومنه ذلك أدنى أن لا تعولوا وعال الميزان مال وارتفع ومنه عالت الفريضة عولا وهو أن ترتفع السهام
وتزيد فيدخل النقصان على أهلها كأنها مالت عليهم فنقصتهم وقد روت عائشة رضي الله عنها ألا تعولوا ألا تجوروا
وفسر بعضهم بأن لا يكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا أنفق عليهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة النفقة
على الكناية فإن كثرة العيال يستلزم كثرة الإنفاق عليهم فذكر اللازم فأريد الملزوم وهذا التفسير منقول
عن زيد بن أسلم وهو تابعي ويعضده قراءة طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد
بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالنسبة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج
الواحدة بالنسبة إلى تزوج الأربع وفسر المجاهد بأن لا تضلوا وقال الفراء أن لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم
وأصل العول المجاوزة ومنه عول الفرائض وآتوا النساء صدقاتهن أي أعطوهن مهورهن وعنه عليه السلام
أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ بضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة
النحلة والنحل والنحل العطية يعني نحله كذا إذا أعطاه إياه بطيبة من نفسه من غير عوض ومنه حديث أبي بكر رضي
الله عنه أنه نحل عائشة جداد عشرين وسقا ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ
بالعالية

وانتصابها

وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء كأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن
بطيبة أنفسكم أو على الحال من الفاعل أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من المفعول
الثاني أي منحولة معطاة بطيبة الأنفس وقيل المعنى نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن فيكون
حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنها مفعول له أو حال من الصدقات
أي دينا من الله شرعه وفرضه وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا
يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه وقال الحضرمي كان أولياء
النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العقد وعن
ابن عمر أن رسول الله صلعم نهى عن الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته الرجل على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما
وفي المغرب الشغار أن يشاغر الرجل الرجل وهو أن يزوجه حريمته على أن يزوجه الآخر حريمته ولا مهر إلا هذا
وذهب الآخرون إلى أن الخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسائهم الصداق وهذا أصح لأن الخطاب في السابق
واللاحق مع الناكحين فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير راجع للصداق حملا على المعنى فإن الصداق
في معنى الصدقات بدليل آتوا النساء صدقاتهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين
من حيث إنه ذكر الضمير نظرا للواقع موقع صدقاتهن كما جزم المعطوف نظرا للواقع فأصدق في موضع
المجزوم إذا قيل لولا أخرتني إلى أجل قريب أصدق بالجزم لكونه في المعنى جواب التمني المستفاد من التحضيض في
الماضي وقيل الأقرب هو الأصل أي باعتبار أن المراد ما تحل واحدة من النساء صداقها وهذا صحيح لكنه مخالف
لوجه ما ذكرنا وهو أن الصداق في معنى الصدقات وتجري مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كقوله
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومنه قول رؤبة كأنه في الجلد توليع البهق أراد كأن ذاك وقيل
للإيتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد فإن الواحد دال على الجنس والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق
وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم
وجعل العمدة طيب النفس للمبالغة فكلوه هنيئا مريئا فخذوه حلالا بلا تبعة قيل لو أن وهبت له ثم طلبت
منه بعد الهبة علم أنها لم تطب به نفسا وعن عمر أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة
فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فيها فذلك وعن ابن عباس أن النبي صلعم سئل عن هذه الآية فقال
إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة
وروي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة
من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأن المراعى
هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فإن طبن لكم عنها بعثا
لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة

هنيئاً مريئاً صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما كانه قيل هنأ
مرأ او وصف بهما المصدر المحذوف اي كلا هنيئاً مريئاً او جعلتا حالا من الضمير اي كلوه وهو هنئ مرئ وقيل
الهنئ ما يلذه الاكل والمرئ ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم لمرؤ م
الى فم المعدة المرئ لمرء الطعام فيه وهو انسياغه وهذه اعني هنيئاً مريئاً عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة
وازالة التبعة وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء او على الوجه الاول وقرأ الحسن والزهري
هنياً مرياً ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهى للازواج عن ان يؤتوا النساء اللاتي لا رشد لهن اموالهم
فيضيعنها وهو الملائم للايات السابقة وعليه الحسن ومجاهد والضحاك وغيرهم فقال الحسن
السفهاء هي امرأتك السفيهة وابنك السفيه وقال مجاهد نهى الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم وهن سفهاء من كن
ازواجا او بنات او امهات وقال الضحاك النساء من اسفه السفهاء وقال عكرمة نهى الرجل ان يعطي ماله امرأته
التي لا تحسن تحفظه وتصلحه وابنه الغني الذي لم تنضبه كسب المال فيكون بذلك مضيعا لقوام عيشه
وعيشهم وعن ابن عباس لا تعمد لمالك الذي خولك الله وجعل لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك
فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم
في رزقهم ومؤنتهم او للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها فاضاف المال الى الازواج والاولياء
اما الاول فظاهر واما الثاني فلانه اي المال في تصرف الاولياء وتحت ولايتهم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم
يكون عندك يقول لا تؤته (تعالى اموالكم) اياه وانفق عليه حتى يبلغ وانما اضاف الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها
وفيه اشعار بان الخطاب للاولياء والصواب هو الاول وهو ان الخطاب للازواج والاولياء من غير تخصيص
وقال الزمخشري الخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم مع انها ملك اليتامى ونهم لانه لم يقصد بها الخصوصية
الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعايش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا المعنى
لا تختص باليتامى كما قال ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى جنس النفوس دون خصوصيات انفس المخاطبين وقال
فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات قصدا الى جنس الايمان وجنس الاماء اذ ليس المعنى على الامر بنكاحهم
مملوكاتهم بل المعنى على الاذن بالنكاح والتزوج باماء الغير والدليل على ان المراد جنس المال لا شخصه ارشاده
تعالى وصفه بوصف الجنس بقوله التي جعل الله لكم قياماً اي سبب قيام ابدانكم وبقائها ولا شك انه وصف
لا يختص بمال دون مال وفيه دلالة على انه لا يجوز ان يحمل اضافتها الى الاولياء على الاضافة بادنى ملابسة
قال الامام الرازي انما حسنت هذه الاضافة اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية فالمال والتي
مالهم لكنهم اتحد بحسب الماهية والنوع فيكون منسوبا اليكم كما ان المراد بقوله فاقتلوا انفسكم قتل غيره
لا ان يقتل نفسه بحسب النوع كانها عن قتل نفسه وكذلك ما ملكت ايمانكم اريد به ملكت ايمان غيركم وغيركم انتم
فهو مما ملكت ايمانكم فالزمخشري اعتبر النوعية في المضاف وهو الاموال والامام اعتبرها في المضاف اليها
والدليل على ان الخطاب عام الايات المتقدمة من قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله فان خفتم

الا تعدلوا

الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وقوله واتوا النساء صدقاتهن فانها كلها متعلقة باحوال الازواج
والنساء والايات المتأخرة فانها متعلقة باحوال الاولياء واليتامى وقرأ الحسن والاعرج اللاتي جعل الله وقرئ
قيما بمعنى قياما اي تقومون بها وتنتعشون وقرأ ابن عمر قواما وهو ما يقام به الشيء ولعمري انه بها يتقوم الحج
والجهاد واعمال البر وبها فكاك الرقاب من النار وقيل الخطاب لكل احد امر الله بان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء
قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده وهذا القول اعم من الاول فعلى هذا يكون اضافة
في اموالكم على حقيقتها والغرض النهي عن صرف المال الى من يضيعه والحث على حفظه وارزقوهم فيها واكسوهم
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه حتى لا ياكلها الانفاق
وفي الاية دلالة على وجوب الاكتساب والتعرض بما فيه الترويح والتوسع في المعيشة اذ في تركه افساد كل
الفساد وكذلك كان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل
دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك عن رسول الله صلعم التاجر الصدوق تحت ظل العرش
يوم القيمة وعنه عليه السلام التاجر الامين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيمة وعنه عليه السلام
التاجر الفاجر في النار لانه يحدث ويكذب ويكذب فيفجر وقال عليه السلام التاجر اذا كان فيه اربع خصال طاب كسبه
اذا اشترى لم يذم واذا باع لم يمدح ولم يدلس في البيع ولم يحلف فيما بين ذلك التدليس اخفاء العيب وقولوا لهم
قولا معروفا اي قولا لينا يطيب به نفوسهم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت جعلت لك حظا
وقال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وقيل هو الدعاء وعن ابن زيد ان لم يكن
ممن يجب عليك نفقته فقل عافاك الله واياك وبارك الله فيك وكل ما لا ينكره الشرع والمروة فهو معروف وما هو
بخلاف ذلك فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى
ضبط المال وحسن التصرف والابتلاء عند اصحابنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه وعند
مالك والشافعي ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين حتى اذا بلغوا النكاح
حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل ثمانية عشرة سنة عند ابي حنيفة وخمسة عشرة عند صاحبيه والشافعي
وبلوغ النكاح عبارة عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا الايناس الابصار والبيت الذي
يطيبه فيه وهو انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس
وقيل الاستيضاح فاستعير للتبين اي علم الشيء بينا اذ الرشد مما يعلم ولا يبصر وهي استعارة محسوس لمعقول
ان اريد بالايناس الحالة المخصوصة المحسوسة وان اريد معنى الابصار وهو المعرفة البينة الى الادراك فهي استعارة
معقول لمعقول لكن يستعقب تشبيه الرشد المعقول بالشيء المحسوس والرشد التهدي الى التصرفات المالية
عند ابي حنيفة والصلاح في الدين والمال عند مالك والشافعي لان الفسق مفسدة للمال وعن ابن عباس الصلاح في العقل
والحفظ للمال وقرئ احستم بمعنى احسستم قال الاخفش فحذفت الى تشويش وقرأ الحسن وابو عمرو في رواية الرشد بالضم
وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين احدهما من الرشد والرشد في القصر لا التجارة او طرفا من الرشد
ومخيلة من مخائله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وقد جعل

على ان الصبا ايضا من اسباب المنع كالجنون ونظم الاية وان اتسع جزائيه جواب اذا والجملة باسرها غاية للابتداء
كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وفيه
تنبيه على ان حتى الابتدائية ايضا معنى الغاية كالجارة وان اذا الشرطية هي الظرفية التي بمعنى الوقت واعلم
انهم قد اتفقوا على ان الصبي اذا بلغ غير رشيد يمنع عنه ماله ولم يسلم اليه لقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم الى قوله فان انستم منهم رشدا اي لا تؤتوا المبذرين اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها
وتثميرها واضاف الاموال الى الاولياء على معنى انها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا
انفسكم فيما ملكت ايمانكم او لانهم المتصرفون فيها القوامون عليها ثم علق ايتاء الاموال اياهم بايناس
رشدهم على وجه التنكير المفيد للتقليل حيث قال فان انستم منهم رشدا اي فان عرفتم ورايتم فيهم تهديا
الى وجوه التصرف في المال كما عند اصحابنا وصلاحا في الدين كما عندهما فادفعوا اليهم اموالهم فاقام
ابو حنيفة السبب الظاهر للرشد وهو ان يبلغ سن الجدية وهي خمس وعشرون سنة مقام الرشد فان هذا
سن اذا بلغ المرء يمكن ان يكون جدا لان اقل مدة البلوغ اثنتا عشرة سنة واقل مدة الحمل نصف سنة ففي
هذا المبلغ يمكن ان يولد له ابن ثم ضعف هذا المبلغ يولد لابنه ابن فالظاهر ان يونس منه رشد ما في سن
خمس وعشرين سنة وهذا اقل سن يمكن ان يصير المرء فيه جدا فقال يدفع اليه المال بعد خمس وعشرين سنة
اونس منه الرشد او لم يونس وهما اعني صاحبيه ابا يوسف ومحمدا احتجا بظاهر الاية فقالا لا يدفع اليه
المال ما لم يونس منه الرشد [illegible] وعنده قبل هذا السن يصح تصرفه في ماله بيعا او شراء ونحوهما
وقالا لا يصح لانه لو صح لم يكن منع المال عنه مفيدا اجيب بانه بل يفيد لان غالب تبذير السفهاء بالهبة
فمنع المال يمنع الهبة ثم بعد خمس وعشرين سنة يسلم اليه ماله وان لم يونس منه رشد فان هذا السن مظنة
الرشد فيدور الحكم معها تنبيه بلوغ الصبي بالاحتلام والانزال والاحبال والصبية بالحيض والاحتلام
والحبل فان لم يوجد فبتمام ثمانية عشرة سنة له وسبع عشرة لها وقالا فيهما بتمام خمس عشرة وعليه الفتوى
وادناه اثنتا عشرة له وتسع سنين لها فان راهقا فقالا بلغنا صدقا وهما كبالغ حكما ولا تاكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم يفرطون في انفاقها ويقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر
اليتامى فينزعوها من ايدينا فهما مصدران في موضع الحال ويجوز ان يكونا مفعولا لهما والحاصل انكم الى الكبر
والغنى ما تاتي اخذ ماله مكانهما يسبقان ويجوز ان يكون من واحد ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا
وبين ان يكون فقيرا بقوله ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع من اكلها والعفة الامتناع من الاكل
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف دلالة
على ان للوصي حقا لقيامه عليها اما الاستعفاف فلانه مبالغة في العفة ولا يتحقق بمجرد الامتناع عما
لا حق له فيه اصلا واما الاكل فلانه اساس الاستعفاف ولا يعبر به ما لم يكن له حق في مال الصبي وعن
النبي صلعم ان رجلا قال ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله
فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت

تبغي ضالتها

تعالج جربها بالقطران

ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب
بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة
وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن ابي العالية والشعبي ما اكل فهو دين عليه وعن مجاهد
يستسلف فاذا ايسر اداه وعن ابن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر
قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر اني انزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف
واذا ايسرت قضيت وفي الحل ما يدل على جوازه لكن بوجه لا يخل بالاحتياط وقيل لا يجوز ذلك لقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فان تلك الاية من المحكم وهذه من المتشابه فيرد حكم المتشابه
الى المحكم وقيل هذه منسوخة بتلك ولعمري ان الاحتراز عنه افضل واقرب الى التقوى وابعد عن الحرام واستعفف وتعفف
بمعنى لكن استعفف ابلغ لما فيه من جهة دلالة السين على الطلب كانه طلب ذلك عن نفسه ويبالغ في زيادة العفة عنه والاكل الاثم غير متعد
كما توهم فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه ادخل في الامانة وانفى التهمة وابعد من التخاصم
والتجاحد الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق
الا بالبينة فكان في الاشهاد الاحتراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تعدوا ما حد لكم او شاهدا عليكم بالدفع والقبض وقيل الحسيب الكافي في خلق للعباد
في امورهم فهو صفة فعلية من قولهم واكرمني فلان واحسبني اي اعطاني حتى قلت حسبي وقيل المحاسب باخبار
المكلفين بما فعلوا من خير وشر فيرجع للصفة كلامية للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بالاقربين المتوارثين من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر
بدل مما ترك باعادة العامل وقيل حال من الضمير المحذوف في ترك اي مما تركه قليلا او كثيرا نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا
واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به وقيل حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبه وقيل مفعول الفعل المحذوف
تقديره اوجب لهم نصيبا روي ان اوس بن صامت الانصاري وقيل ثابت مات وخلف زوجة ام كجة وثلث بنات
فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على عادة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء
والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل
على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث [illegible]
المال من الاقتسام واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم وهو امر ندب للبلغ من الورثة
وقيل امر وجوب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء
من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار
كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع

في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت
والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس وكونها محكمة قول ابن عباس والشعبي والنخعي وقتادة والزهري ويحيى بن يعمر وقولوا لهم
قولا معروفا القول المعروف ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي
ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق
والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى
فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على
خلاف الشفقة والرحمة او للحاضرة بان يشفقوا على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين
انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
في الوصية وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا
فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا فلا يتركوه ان يضرهم
بصرف المال عنهم ولو بما في حيزه صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن
من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا بعد صافي وفي كلام بعض النحاة ان لو هذه بمعنى
ان وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف
بحال اولاده وقرا الحسن والزهري وابو حيوة وليخش بكسر اللام وكذا روى عبد الوارث عن ابي عمرو في قوله فليقضين في سورة
الحج وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى وقرا الاسود بن يزيد ضعفا بفتح الضاد كاتيد
ضعيف فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي نهاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا
والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم امرهم بالقول السديد وهو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم مثل ما
يكلمون اولادهم بالشفقة وحسن الادب ويدعوهم يا بني ويا ولدي هذا اذا كان لمن يجالسين الى المريض
فهو ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول النبي عليه السلام لسعد انك ان تترك
ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين يستحبون ان لا
تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع افضل من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا
القول ويجملوه للحاضرين ويقولوا لهم عذرا جميلا ولا يذكروا الميت الا بخير ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته ويتبعهم انما ياكلون في بطونهم نارا اي ياكلون ما هو في
بطونهم ما يجر الى النار ويؤدي اليها فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة
والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا
وعن ابي بردة قال النبي عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال
الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا في بطونهم

ادخل الجنة في بطونهم وليس بظرف لياكلون وسيصلون سعيرا وسيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عباس
عن عاصم بضم الياء وتخفيف اللام كقوله ونصليه جهنم وقرئ بالتشديد على التكثير كقوله وتصلية جحيم
قال الجوهري يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق
قلت اصليته بالالف وصليته تصلية وقراءة يصلى سعيرا بالتخفيف من صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا
احترق قال الله تعالى هو اولى بها صليا قال العجاج والله لولا النار ان نصلاها والسعير من سعرت النار اذا الهبتها
او من سعرت الحرب اذا اوقدتها يقال نار سعير شديد او منه المسعار والمسعر الخشب الذي تسعر به النار
وفي الحديث قال النبي عليه السلام رايت ليلة اسري بي الى السماء قوما لهم مشافر كمشافر الابل احدهم قد قلصت
على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما يوصيكم الله اي يامركم الله ويعهد اليكم وقرا ابن ابي عبلة يوصيكم الله
بتشديد الصاد في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال وقوله للذكر مثل حظ الانثيين في موضع التفصيل
والبيان لا مفعول يوصيكم باعتبار كونه في معنى القول او الفرض او الشرع اي يعد كل ذكر بانثيين
حيث اجتمع صنفان فيضاعف حظه وفي الابتداء ببيان حظ الذكور دون الاناث مع ان مقتضى
الظاهر عكسه مخالفة لمقتضى الظاهر لان القصد الى الابتداء ببيان حظ الافضل يكون دليلا
على فضلهم بطريق القصد لا لتفضيلهم واشعارا بان التضعيف كاف في الفضل فلا يتمادى في حرمانهن
حتى يحرمن مع استواء الفريقين في الادلاء واشتراكهما في الجهة والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم
فحذف الراجع اليه لانه مفهوم [illegible] به كقولهم السمن منوان بدرهم وهو عام لكنه
قد خصص بقوله عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث كقوله تعالى فاقتلوا المشركين كافة فانه
خصص وقوله عليه السلام في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب وعنه عليه السلام القاتل لا يرث وذهب الامام
الاوزاعي [illegible] الى ان اختلاف الملة في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني
من المجوسي لقوله عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين شيئا والاحسن ان يقال ان هؤلاء الكفار المعاندين
والكفر كله ملة واحدة فلا يمنع توريث بعضهم من بعض فالمراد بقوله عليه السلام اهل ملتين شتى الاسلام والكفر
واليه ذهب [illegible] وقد اشتهر [illegible] باخذ [illegible] كان [illegible] ونسخ الوصية
للوارث باية المواريث وقال عليه السلام ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وهو من نسخ الكتاب
بالكتاب لا بالسنة كما سبق لبعض الاوهام فان الايصاء الذي فوضه الله تعالى الى العباد قد تولاه بنفسه لعلمه
بجهلهم وعجزهم عن معرفة مقادير [illegible] بيان المواريث كاية الايصاء وعن عطاء عن ابن عباس كان
الميراث للولد والوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تعالى ذلك فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وللوالدين السدس
وللمراة الثمن او الربع وللزوج الشطر او الربع وقرا ابن ابي عبلة ان للذكر بزيادة ان فان كن نساء اي فان كان الاولاد نساء النصف
خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر ومنه قولهم من كانت امك او باعتبار المولودات فوق
اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم

ويدل على المعنى وان كانت اى المولودة او البنت واحدة فلها النصف وقرا نافع واحدة بالرفع على كان التامة والنصب
احسن طبقا بقوله فان كن نساء واختلف فى البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين
لما فوقهما وقال سائر الصحابة حكمهما حكم الجماعة وعللوا قولهم بوجوه ثلثة الاول انه تعالى قال للذكر مثل حظ
الانثيين وادنى مراتب الاختلاط ابن وبنت فللابن الثلثان بالاتفاق يعرف بهذه الاشارة ان البنتين
لهما الثلثان فى الجملة وليس ذلك فى حالة انفرادهما عن الابن فلا حاجة الى بيان حالهما بل الى حال ما فوقهما فلذكر
قبل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين
وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت الثانى ان البنتين اشد رحما
بالميت من الاختين اللتين تحوزان الثلثين فهما اولى بذلك الثالث ان الاخت لما كانت مع اخيها وجب لها
الثلث فبالاولى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت اخرى وكذا للاخرى بجميع اخرها مثل ما كان يجب لها
لو انفردت مع اخيها فوجب لهما الثلثان ولابويه ولابوى الميت لكل واحد منهما بدل من الابويه بتكرير العامل
وفائدة هذا البدل التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس على ان فى الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا
السدس مما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا وانثى من ولد الصلب او ولد الابن فان لفظ الولد يشمل الكل ولا قرينة
تخصه باحدها فيتبين قسمة الثلث عليهما بذلك اعنى بقوله لكل واحد منهما السدس دفعا لوهم ان يكون للاب
ضعف ما للام فان الحكم المعلق بالمثنى والجموع قد يقصد تعلقه بكل فرد وقد يقصد تعلقه بالمجموع فيتبين
بالبدل ان القصد الى الاول والسدس مبتداء خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان اى بيان ان
الحكم متعلق بكل فرد لا بالمجموع وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن
والولد اسم للذكر والانثى لكن يختلف حكم الاب فى ذلك وتحقيق المقام ان للاب حالا ثلثا احدها الفرض
المطلق اى الخالص عن التعصيب وهو السدس وذلك مع الابن وابن الابن وان سفل الثانى الفرض والتعصيب معا
وذلك مع البنت وابنة الابن وان سفلت وذلك انه تعالى لما قال ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد
فقد نص على ان فرض الاب مع الولد هو السدس لكن اسم الولد يشمل الابن والبنت فان كان مع الاب ابن فله فرضه اى السدس
والباقى فى الابن لقوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما ابقت فلاولى رجل ذكر من العصبات هو الابن كما تقرر فى موضعه وان
كانت معه بنت فله سدس وللبنت النصف بالفرض وما بقى فللاب لانه اولى ذكر من العصبات عند عدم الابن وابنه الثالث
التعصيب المحض وهذا عند عدم الولد وولد الابن وان سفل وذلك قوله تعالى فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلامه الثلث
مما ترك اذ يفهم منه ان الباقى للاب فيكون عصبة وذكر انه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى
للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها مع احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه بعد اخراج نصيب
الزوج كما قال الجمهور لا ثلث ما ترك كما قال ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ثم الجد الصحيح
كالاب عند عدمه فى ثبوت كل الاحوال الثلث له فى جميع احكام الميراث الا فى اربع مسائل اوليها ان ام الاب لا ترث
معه وترث مع الجد وثانيتها ان الميت اذا ترك الابوين واحد الزوجين فللام ثلث ما بقى بعد نصيب احد الزوجين ولو كان

مكان

مكان الاب جد فللام ثلث جميع المال الا عند ابى يوسف فان لها ثلث الباقى ايضا وثالثها ان بنى الاعيان والعلات
كلهم يسقطون مع الاب اجماعا ولا يسقطون مع الجد الا عند ابى حنيفة رضى الله عنه والرابعة ان اب المعتق
مع ابنه يأخذ سدس الولاء عند ابى يوسف وليس للجد ذكر بل الولاء كله للابن ولا فرق بينهما عند سائر الائمة اذ لا يأخذ
شيئا من الولاء والجد الصحيح هو الذى لا يدخل فى نسبته الى الميت ام كاب الاب وان علا وقرا حمزة والكسائى فلامه الثلث بكسر
اللام والميم المشددة المكسورة فان كان له اخوة سواء كانوا من جهة الابوين معا او من جهة احدهما فان لفظ الاخوة
يشمل الكل للاشتراك فى الاخوة ولا قرينة تخصه باحدها وقرا الاعرج اخوة بضم الالف فلامه السدس باطلاقه يدل
على ان الاخوة يحجبون الام عن الثلث ويردونها منه الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب فلها السدس وللاب
خمسة الاسداس ويستوى فى الحجب الاثنان فصاعدا وهو مذهب الجمهور فانهم قالوا المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة
من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات خلافا لابن عباس فانه قال لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة
ولا الاخوات الخلص استدلالا بظاهر قوله فان كان له اخوة حيث اشترط فى كون نصيب الام السدس وجود الاخوة والاخوان
ليسا باخوة والحجب بالاخوين ثبت باتفاق من الصحابة كما روى ان ابن عباس قال لعثمان رضى الله عنهما حين رد الام
من الثلث الى السدس بالاخوين قال الله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس وليس الاخوان اخوة فى لسان قومك فقال عثمان
نعم لكن لا استطيع ان اخالف قوما قبلى فيما راوا وروى لا استطيع ان انقض امرا كان قبلى وتوارثه الناس اشار الى ان ذلك اجماع
فان قيل كيف يصح ان يتناول الاخوة اخوين والجمع خلاف التثنية اجيب بان الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة من غير
تقييد بكمية معينة بان يكون الاثنين او ثلثة مثلا فالتثنية كالتثليث والتربيع فى انها تفيد الكمية بالخصوص
وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرا حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى
قبلها اتباع الاضعف للاقوى وقيل بالعكس والسدس نصف الثلثين وقد ذكر فى ثلثة مواضع من بعد
وصية يوصى بها او دين هذا من حيث المعنى متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده ومن حيث اللفظ
خبر مبتدأ محذوف اى هذه الانصباء للورثة من بعد وصية يوصى بها او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو
دلالة على انهما متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة
فى الشريعة لانها تشبه الميراث فى كونها ماخوذة من غير عوض فيشق اخراجها على الورثة لا تطيب انفسهم بها فكانت لذلك
مظنة للتفريط فيها بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فقدم ذكرها بعثا على ادائها معه وتنبيها على انها مثله
فى وجوب الاداء والمسارعة اليه ولذلك جىء بكلمة او للتسوية بينهما فى الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم
ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر فى الجنة
سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم امن اوصى منهم او من لم يوص يعنى ان من اوصى ببعض ماله
فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم ماله
هو عرض من الدنيا وانما جعل الله ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا نظرا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان
كان اقرب فى الصورة لكنه فان فهو فى الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو فى
الحقيقة الاقرب الادنى فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية وقرا عاصم وابن كثير وابن عامر يوصى بها على البناء
للمفعول والباقون على البناء للفاعل وقرا الحسن يوصى بتشديد الصاد فريضة من الله مصدر مؤكد اى فرض ذلك فرضا

وقيل يجوز ان يكون مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض
وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد
وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
وعنه عليه السلام تارك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في الاخرة الشنار اقبح العيب وقد اجمعوا على تقدم الدين على الوصية
كما روي عن علي كرم الله وجهه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان
الدين مقدم على الوصية والمعنى من بعد وصية ان كانت او دين ان كان فالارث مؤخر عن كل واحد منهما وسيجيء فيهما زيادة
تقرير ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق
الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا القياس في كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام
والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والجماعة منهن في الربع والثمن فانه لما كان للرجل ربع لسوة فهن يشتركن فيهما
وحاصل الصور ان للزوج حالتان النصف عند عدم الولد وولد الابن وان سفل او عدمهما معا والربع مع الولد او ولد الابن
وان سفل وللزوجات حالتان الربع للواحدة فصاعدا عند عدمهما والثمن مع احدهما وقرا الحسن الثلث والربع والسدس
والثمن باسكان الحرف الثاني وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث وهو صفة رجل كلالة خبر كان
اي ان كان رجل موروث منه كلالة او يورث خبر وكلالة حال من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث على البناء للفاعل
وكلالة حال وفي مصحف ابن مسعود وان كان رجل او امراة ورث كلالة وقرا الاعمش وان كان رجل يورث كلالة
فيكون هي الموروث عنه او مفعول له فيكون الوارث وكان على الوجهين تامة او ناقصة خبرها يورث والكلالة ما
خلا الوالد والولد ويطلق على الموروث والوارث وعلى القرابة من غير جهة الوالد فمن الاول قوله قل الله يفتيكم في الكلالة
ومن الثاني ما يروى ان جابر قال يا رسول الله ليس يرثني الا كلالة ومن الثالث قولهم ما ورث المجد عن كلالة واما قوله
تعالى وان كان رجل يورث كلالة فيحتمل الاوجه على اختلاف القراآت والتقريرات وهي من الكلال الضعف او من
الاكليل العصابة ومنه السحاب المكلل المستدير او ما تكلله البرق وامراة عطف على رجل وله اي وللرجل وكنى
بكل عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ
او اخت من الام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة لام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين
الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزاد على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة
لام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من ساير الاخوة والاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم كما روي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عنها فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن
الشيطان والله بري منه الكلالة ما خلا الولد والوالد وقال عطا والضحاك ان الكلالة هو الموروث وقال سعيد بن جبير
هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام للدليل ذكرناه فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث وتوضيح ذكران لاولاد الام احوالا ثلثا السدس للواحد لقوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت
فلكل واحد منهما السدس والمراد اولاد الام اجماعا ويدل عليه قراءة ابي والثلث للاثنين فصاعدا لقوله فان كانوا اكثر من
ذلك فهم شركاء في الثلث سوية بين الذكور والاناث في القسمة والاستحقاق اما في القسمة فلان الانثى منهم تاخذ مثل ما ياخذ
الذكر كما دل عليه جعلهم شركاء في الثلث واما في الاستحقاق فلان الواحد منهم ذكرا كان او مؤنثا يستحق السدس وان
تعددوا ذكورا او اناثا او مختلفين استحقوا الثلث فالاستحقاق يعم الواحد والمتعدد بخلاف القسمة وقد اشترط

في ارثها عدم الولد والوالد اجماعا لقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت وقوله عليه السلام
الكلالة من ليس له ولد ولا والد لكن ولد الابن داخل في الولد لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل والجد داخل في الوالد
لقوله كما اخرج ابويكم من الجنة فلا ارث لاولاد الام مع هؤلاء الاربع الولد والوالد وولد الابن والجد ثم اتفقت كلمة
الايمة على ان الكلالة في الاصل بمعنى الاعياء وذهاب القوة كقول الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة ثم استعيرت
لقرابة من عدا الولد والوالد كانها كلالة ضعيفة في القياس الى قرابة الاولاد ويطلق ايضا على من لم يخلف ولدا ولا والدا
وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته وذلك ان يوصي
بزيادة على الثلث او قصد المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وهو حال من فاعل يوصي المذكور
في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى المبني للمفعول في قراءة عاصم وابن كثير وابن عامر واعلم انه قد ذكر ان النكتة
في تقديم الوصية انها تشبه الميراث في كونها ماخوذة بلا عوض فيشق اخراجها على الورثة فكانت لذلك مظنة للتفريط
فيها بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فقدم ذكرها للبعث على ادائها معه والتنبيه على انها مثله في
وجوب الاداء والمسارعة ولذلك جي باو وايضا ان كانت الوصية بالتبرعات وليس في التركة وفاء بالكل
فتقديمه عليها ظاهر لان قضاء الدين فرض عليه يجبر على ادائه في حال حياته والوصية المذكورة تطوع ولا ريب ان
الفرض اقوى وان كان بفرض من فروض الله تعالى فان كانت بما سوى الزكوة كالصلوة والصوم مثلا فدين
العباد مقدم على هذه الوصية ايضا ولتعد بافي الفرضية لانه يجبر على اداء الدين بالحبس ولا يجبر على اداء شي
من تلك الفروض فالدين اقوى وان كانت بالزكوة التي تساوي الدين في الاجبار بالحبس على الاداء فالدين المذكور
اقوى لان القاضي اذا وجد من مال المديون ما يجانس الدين ياخذه بلا رضاه ويدفعه الى صاحبه وليس له ذلك
في الزكوة وان ظفر بجنسها وايضا اذا اجتمع حق الله وحق العباد في عين وقد ضاقت عن الوفاء بهما يقدم
حق العباد لاحتياجهم مع استغناء الله تعالى وتحقيق المقام على ما ذكر ان الدين ان كان للعباد فالباقي
بعد تجهيز الميت ان وفى به فذاك والا فان كان الغريم واحدا يعطاه الباقي وما بقي له على الميت ان شاء عفى وان شاء
تركه الى دار الجزاء وان كان متعددا فان كان الكل دين الصحة وهو ما ثبت بالبينة او الاقرار في حال الصحة او الكل
دين المرض فانه يصرف الباقي اليهم على حسب ديونهم وان اجتمع الدينان معا يقدم دين الصحة لان المريض
انه محجور في مرض موته عن التبرع بما زاد على الثلث ففي اقراره نوع ضعف واما اذا علم دين المريض
بطريق المعاينة كما يجب بدلا عن مال ملكه او استهلكه كان ذلك بالحقيقة من دين الصحة اذ قد علم وجوبه بغير اقراره
فيكون سواء في الحكم وان كان الدين من حقوق الله تعالى كما سبق من الفروض من الصلوة والصوم والحج والنذور والكفارة
فان اوصى به الميت وجب عندنا تنفيذه من ثلث ماله الباقي بعد دين العباد والا فلا يجب لكن اذا فاتته صلوات
واوصى ان يطعم عنه فعلى الورثة ان يطعموا عنه من الثلث لكل صلوة نصف صاع من بر وكذا الوتر عند
ابي حنيفة اذ قد روي عنه ان الوتر فريضة وان فاته صوم رمضان بمرض او سفر ولم يمكن من قضائه بعد برئه
او اقامته ولم يقض حتى مات واوصى بالاطعام فعلى الورثة ان يطعموا من الثلث لكل يوم نصف صاع من بر
لما روي عنه عليه السلام انه سئل عن ذلك فقال ان مات قبل ان يطيق الصوم فلا شيء عليه وان اطاقه ولم يصم فليطعم

بالوصية ودين القربة صفة قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في

عنه بالاطعام ايد لعليه حديث ابن عمر موقوفا ومرفوعا لا يصوم احد عن احد ولا يصلي احد عن احد فوجب الحمل على الطعام
لان الفدية تقوم مقام الصوم في حق الشيخ الفاني كذلك في حقه لاشتراكهما في وقوع الياس عن اداء الصوم وان كان
الدين الزكوة واوصى بها يجب اداؤها من ثلث ماله وان كان الحج واوصى به يؤدى من الثلث ايضا ولو حج عنه الورثة
بلا وصية يرجى من الله قبوله وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية او منصوب بغير مضار على انه مفعول به
الفاعل المضاف اليه المعتمد على ذي الحال او النفي تقديرا كانه قيل لا مضار والمعنى لا يضار وصية من الله وهو
الثلث فما دونه بالزيادة عليه او وصيته من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب ويؤيد هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة فان هذه اضافة لاسم الفاعل الى المفعول
قطعا ومعنى مضارة الوصية الاخلال بها وجعلها على غير وجهها والله عليم حليم وعيد وتهديد اي عليم بالمضار حليم
لا يعجل بعقوبته بل يؤخر الى اجل مسمى تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في الايتام والوصايا والمواريث والعدل
في النكاح وارث البعض من البعض حدود الله شرايعه التي هي كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز
لهم ان يتجاوزوها الى ما ليس لهم تحققه ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير
في يدخله وجمع خالدين حملا على اللفظ من ومعناه فان يطع الله كثيرون فكانه ترك هنا في جانب المعصية تنبيها
على ان الخالدين في النار قليلون بالنسبة الى الخالدين في الجنة اما حقيقة او اعتبارا وفيه تاييد لما قيل ان
الكفار الذين لم يبلغهم التبليغ كلهم من اهل الجنة على ما ذهب اليه الغزالي وغيره وقرا نافع وابن عامر ندخله
بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صايدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين
لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريتا على غير من هما له فان خالدين لمن يطع الله وخالدا لمن يعص الله
واذا جعل صفة كان جاريا على الموصوف بخلاف ما اذا جعل حالا فان ذا الحال الضمير في يدخله فيكون جارية
على من هي له واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها
بمعنى وفي قراءة عبد الله ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها وقرا زيد بن علي واللاي ياتين
والتخريج والتي بغير الف فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي فاطلبوا اربعة من رجال المؤمنين يشهد عليهن
وفيه دلالة على ان الزنا لا يثبت الا باربعة من الشهود وقرا زيد بن علي بن عمير فليشهد اربعة منكم فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن واعلم ان الحكم في قوله تعالى فامسكوهن في البيوت قد نسخ بقوله
تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله فهذا منسوخ التلاوة دون الحكم وقوله فامسكوهن
بالعكس منسوخ الحكم دون التلاوة وان لم يكن قرانا متواترا متلوا مكتوبا في المصاحف لكنه يحصل من نظم الكتاب الا انه
ولهذا قال عمر رضي الله عنه لولا انني اخشى ان يقال زاد عمر في القران ما ليس منه لالحقت الشيخ والشيخة الى اخره
بالمصحف وقيل معناه فخلدوهن محبوسات في البيوت وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله
الزانية والزاني الاية ويجوز ان يكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني الاية ويكون
المراد بها التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج من البيوت والتعرض

البعض

للرجال حتى يتوفاهن الموت اي حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة او حتى يأخذهن
الموت ويستوفي ارواحهن فالمعنى على الاول بحذف المضاف وعلى الثاني بطريق الاستعارة بالكناية شبه الموت
بشخص مستوف ارواحهن من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقبضته او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح
يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد المخلص عن الحبس لانه لم يكن مشروعا في ذلك الوقت واللذان
ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية والهاء للفاحشة فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما
اما خفتما الله وقيل سبوهما وقيل بوخا بالتعيير وضرب النعال وقرا ابن كثير واللذانّ بتشديد النون على ان
احدى النونين عوض من الياء المحذوفة لان الاصل اللذيان مثل العميان والشجيان حذفت الياء لالتقاء
الساكنين لان هذا الاسم مبني والمبنيات لا يلتفت الى التثنية الصناعية فالحذف موقوف بان التثنية ههنا مخالفة
للقياس وقيل حذف لطول الكلام بالصلة ويقولون في تصغيره اللذيان فترد الياء المحذوفة والباقون بتخفيف
النون على اصل التثنية فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض
والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم قيل هذه
الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل نزلت الاولى في اللاتي ياتين الفاحشة
في السحاقات بقرينة صيغة الاناث والتبعيض بقوله من نسائكم وهذه اي واللذان ياتيانها منكم في اللواطين
بقرينة صيغة المذكرين والتبعيض بقوله منكم وعلى هذا القول لا نسخ في شيء من الايتين ومن قال كلا الايتين
في الزنا او فيما يعمه واللواطة قال الاولى لبيان حكم النساء وهو الامساك والثانية لما يعم الفريقين وهو الايذاء
الى التوبة فيحمل اللذان مع الحكم على التغليب انما التوبة على الله ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده
من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له لا من تاب العبد اذا رجع اليه وكلمة على للوجوب ولذلك قالوا معنى الاية
ان قبول التوبة واجب على الله لكن الوجوب عند المعتزلة بمعناه واما عندنا فمعنى الوجوب ان عادة الله
جارية بقبول التوبة بحيث استمرت ولم يقبل التغيير فلذا عبر عنه بعلى التي هي للدلالة على تحقق القبول البتة
بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات قال الامام الرازي الله تعالى وعد قبول التوبة واذا
وعد شيئا لا بد ان ينجز وعده لان الخلف في وعده محال ولما كان سببها بالواجب صح اطلاق كلمة على
للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها لان ارتكاب الذنب سفه وانما قيد الجهالة بالسفه وليس
للجهل بكونه سوءا ومعصية لان التوبة لا يختص هؤلاء بل ربما لا يحتاجون اليها وعن قتادة اجمع اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدا كان او لا وان كل من عصى الله فهو جاهل
وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وعن الكلبي لم يجهل انه ذنب لكن جهل
عقوبته وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من
زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت بدليل قوله حتى اذا حضر احدهم الموت وعن ابن عباس قبل
ان ينزل به سلطان الموت اي غلبته وظهور آثاره وعن الضحاك قبل معاينة ملك الموت وعن عكرمة
قبل الموت وعن السدي والكلبي القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وهو ليس بلازم لقوله

قوله عليه السلام ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه ابن عمر وقوله عليه السلام ان الشيطان
قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب عز وجل وعزتي
وجلالي وارتفاع مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني والمؤمن يستغفر ويتوب ما دام الروح
في جسده وقال ابن عباس في رواية عطية من قريب قبل موته بفواق ناقة وفي رواية الوالبي وهو ما بينه وبين
ان ينظر الى ملك الموت وفسر النبي عليه السلام التوبة بالندم والاستغفار وتكلموا رويته عايشة رضي الله عنها وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة الندم والاستغفار وعن النبي عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر
من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه عز وجل وعنه عليه السلام التائب عند الله بمنزلة الشهيد وعنه عليه
السلام التوبة تغسل الحوبة وان الحسنات يذهبن السيئات واذا ذكر العبد ربه في الرخاء انجاه الله من
البلاء واي بلاء اشد من الموت وحضوره وسابقه ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان الذي
هو ما قبل ان يفارق الروح من الجسد اعني الزمان الممتد الى مفارقة الروح لقوله صلى الله عليه وسلم
من تاب قبل ان يغرغر بالموت تاب الله عليه والغرغرة تردد الروح في الحلق ومعلوم ان هذا الوقت ليس بوقت
لتلافي ما فات من الحقوق فليس له التوبة في هذا الوقت الا الندم بالقلب كما روى ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الندم توبة وهو مذهب الاكثرين من اهل القبلة حيث قالوا من لم يمكن من قضاء ما فاته من فرايض الله
واداء حقوق عباده لضيق وقت فعنده فان الندم المجرد له توبة فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء
بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله والمعتزلة يحملون قوله تعالى هذا على وجوب التوبة عليه بدلالة
لفظ على ومعناه اللزوم واستحقاق الذم على الترك لمخالفة الحكمة كما في وجوب الطاعة على العبد وان قوله فاولئك
يتوب الله عليهم وعد بانه يفي بما وجب عليه والاعلام بان الغفران كاين لا محالة بدلالة العدول الى الجملة الاسمية مع
ظهور الفعلية كما في وعد العبد الوفاء بالواجب وعندنا لا وجوب على الله وكلمة على للدلالة على تحقق القبول البتة
كما ذكرنا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجز له ومن اوعده الله تعالى على عمل عقابا فهو
فيه بالخيار رواه انس فلله الحجة البالغة على خلقه وله ان يعذب مع الاعمال ويثيب مع الضلال ويتجاوز عن الكباير
ويعاقب على الصغاير فضلا منه وعدلا اذ الكل عنده سبحانه عن ظلم عباده وتعالى علوا كبيرا وكان الله عليما
باعمال عباده وباخلاصهم فيها وصدقهم فيجازيهم على حسب ذلك حكيما لا يوقع شيئا الا في موقعه او عليما باخلاصهم
في التوبة ولا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
ولا الذين يموتون وهم كفار الموصول الثاني عطف على الاول سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من
الفاسق والكافر وبين من مات على الكفر في نفي التوبة مبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء هكذا قيل وفيه نظر لان الكلام في عدم قبول التوبة عن الكافر والمايت على الكفر واما
عن الفاسق ففيه الف كلام يدل عليه قوله عليه السلام من تاب وهو يغرغر بالموت تاب الله عليه فان التوبة
في تلك الحالة تمحو عن الذنوب والاثام ولو لم فلا دليل للمعتزلة وغيرهم المراد بالسيئات ههنا الشرك
والمعنى ليست التوبة لمن عمل بالشرك حتى اذا حضره الموت وذكر عند معاينته باسور الاخرة ولحاقها قال اني

تبت الآن

تبت الآن اي رجعت الى الايمان بالله وتصديق كتبه ورسله وليست التوبة ممن مات على كفره
اذا رد الى ربه وقال سعيد بن جبير قوله انما التوبة للمؤمنين وقوله وليست التوبة للمنافقين وقوله
ولا الذين يموتون وهم كفار للكافرين والكافر غير المنافق تقبل توبته اذا حضره الموت ولعل حديث
الحجاب يشهد ولا الذين يموتون وهم كفار لهذا وهو قوله عليه السلام ان الله يغفر لعبده ما لم
يقع الحجاب قالوا يا رسول الله وما الحجاب قال ان تموت النفس وهي مشركة وقال الضحاك التوبة مبسوطة
له ما لم يؤخذ بكظمه وعن ابن عمر حد حضور الموت الا السوق وقال الحسن لما اهبط ابليس قال بعزتك لا افارق
ابن ادم ما دام الروح في جسده قال الله تعالى فبعزتي لا احجب التوبة عن ابن ادم ما لم يغرغر بنفسه اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما اعلام بان الانتقام كاين لا محالة بدلالة العدول الى الجملة الاسمية اعتدنا هيأنا من العتاد
وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها فان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن
على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل
لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج
امراة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها او تخلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن عطف على ترثوا ولا لتاكيد النفي والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج وقيل ثم الطلاق بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في هذا الموضع والباقون بالفتح وهما لغتان وقيل بالضم المشقة
وبالفتح ما يكره عليه وفي المغرب الكره بالفتح الكراهة ومنه الفتح كره والكره بالضم الكراهة وفيها يجيء من
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وسوء العشرة من جهتهن
فقد عذرتم في طلب الخلع وشكك عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقراءة ابن مسعود الا ان يفحشن بفاحشة والاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن
لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقيل هو في موضع الحال تقديره الا في حال اتيانهن الفاحشة وقيل هو استثناء
متصل تقديره ولا تعضلوهن في حال الا في حال اتيانهن الفاحشة وعن الحسن الفاحشة الزنا
فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراته فاحشة اخذ منها ما ساق
اليها واخرجها فنسخ ذلك بالحدود وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن
قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وعاشروهن بالمعروف بالوجه المعروف
والطريق المالوف فيما بين الناس السالكين طريق الانسانية وبالجملة الطريق الذي لا ينكره الشرع والمروءة
وهو الانصاف في الفعل والاجمال في القول وبالمعروف في موضع النصب على الحال او المفعول وقرا ابن كثير
وابو بكر مبينة بفتح الياء والباقون بكسرها وقرا ابن عباس مبينة بكسر الياء من الابانة فان كرهتموهن

فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ويشق عليها ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين واقرب الى الخير قالوا ان جميع ما يكلف به الانسان وارد على هذا الطريق حيث تكرهه النفوس ويشق عليها ولا يلزم منه كراهة حكم الله ومحبة خلافه وهو ينافي كمال التصديق لان معناه كراهة نفس ذلك الفعل كوجع الضرب في الحد مع كمال الرضا بالحكم والاذعان له وهذا كما تقول ان الكل بقضاء الله ومشيته مع ان البعض مكروه منكر غاية الانكار كالقبائح والشرور وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان تكرهوا فاعل عسى ولا خبر له هنا لان المصدر اذا تقدم صار عسى بمعنى قرب فاستغنى عن تقدير المفعول المسمى خبرا وقيل خيرا كثيرا هو ولد صالح او ان يعطفها الله عليها وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطلقوا امراة وتتزوجوا اخرى قال ابو البقا مكان ظرف للاستبدال واتيتم احديهن قنطارا اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها تشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وقال مجاهد القنطار سبعون الف دينار وقال عطا سبعة الف دينار وقال حسن الف دينار واثنا عشر الف درهم وقيل مائة رطل من الذهب وثمانون الفا من ورق وقال ابن عباس في رواية ابي صالح الف مثقال مما كان من ذهب وفضة وعن عمر انه قام خطيبا فقال يا ايها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلعم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثني عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول واتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء وروى شبل عن ابن محيصن واتيتم احديهن بوصل الالف فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ وانتصاب بهتانا على الحال اي لا ينبغي ان تاخذوه باهتين واثمين ولم تاخذونه ويجوز ان يكون مفعولا له كقولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانكم واقترافكم الماثم وقيل انتصابه بفعل محذوف تقديره تصيبون في اخذه بهتانا والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذا فسر هنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه باشرها وتقرر المهر والافضاء في الاصل الوصول ومنه قولهم افضى فلان الى فلان اذا وصل اليه حقيقة وصار في فضائه وهو في هذه الاية كناية عن المباشرة ومن قال عبارة عن الخلوة فقد نظر الى اصل الاشتقاق وهو قول الفراء حيث قال الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها ومذهب مالك حيث قال يوجب المراة على زوجها جميع الصداق اذا خلاها وامكنته من نفسها وان لم يكن منه وقاع وعن زرارة بن اوفى قضى الخلفاء الراشدون والمهديون

انه من اغلق بابا وارخى سترا فقد وجب المهر والعدة وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا خلا بها خلوة صحيحة وجب المهر والعدة واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا اى بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقال الحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك هو قول الولي عند النكاح زوجتكها على ما اخذ الله على الرجال وانه عليهم من امساك بمعروف او تسريح باحسان قال الشعبي وعكرمة هو ما روي عن النبي عليه اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وروي استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن لا الاخر اي قبلوا الوصية فيهن بالخير وعاملوا خيرا محذوف اى يا ايها الناس خيرا او ايتوهن خيرا عوان جمع عانية بمعنى الاسير كجوار في جارية كان اهل الجاهلية ينكحون ازواج ابائهم فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم اى لا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وقيل ما ههنا لذا الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين وعن اشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله استامره فاخبرته فنزلت الا ما قد سلف قيل استثنى ما قد سلف من ما نكح اباؤكم تاكيدا ومبالغة في النهي كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم مبالغة في النفي فان معنى ان سيوفهم بهن فلول جمع الشجاعة من العيب لا بد ان يكون على تقدير انها عيب فيكون وجود العيب فيهم انما يكون على تقدير ان تكون الشجاعة عيبا وهو محال وما لا يثبت الا على تقدير المحال يكون محالا لا محالة فكذلك في الاية استثنى الا ما قد سلف عن قوله ما نكح ومعنى الاستثناء انما يكون على تقدير امكان نكاح ما قد سلف فجواز نكاح ما نكح الاباء لا يكون الا على تقدير ذلك وهو محال فيكون جواز نكاح ما نكح الاباء محالا فهو من قبيل تاكيد الشيء بما يشبه نقيضه وابراز الممكن في معرض المحال ومبالغة في رفع اباحته والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وذلك غير ممكن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف من ذلك فانه معفو عنه ولا مواخذة عليه وعلى ذلك يكون النهي للمستقبل وما قد سلف ماض فلا يكون من جنسه ومعنى المنقطع لا يكون داخلا في الاول بل في حكم المستانف وتقديره لكن انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله وما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند اصحاب المروات ولذا كانوا يسمون الولد الحاصل من زوجة ابيه المقتي فاحشة اي قبيحة زائدة على حد القبح والفحش اشد البغض وابلغه واطلاقه على المقموت من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وساء سبيلا ساء بئس طريقا طريقه وهو ان ينكح حليلة ابيه وعن البراء بن عازب مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب فقال بعثني النبي الى رجل تزوج امراة ابيه بعده امر حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم

وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت من باب الحذف والاطلاق فانما اذا قيل اختك عليك
حرام فمعناه انما منشأ الحرمة نكاحكم او نكاحها حرام على انه مجاز من باب اطلاق المحل وارادة الفعل
الحال فيه او هو على حذف المضاف لدلالة العقل على ان الاحكام انما تتعلق بالافعال دون الاعيان كما في
قوله واسئل القرية اي اهل القرية او القرية مجاز عن الاهل اطلاقا للمحل على الحال ولدلالة ما قبله وما
بعده فانهما في النكاح ولان الغرض الاظهر من النساء نكاحهن ولما ختم بقوله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم النكاح الذي هو وسيلة الاستمتاعات علم حرمتها بطريق الدلالة سواء كان بملك النكاح
او بملك اليمين فانه يتصور في بعض المعطوفات على الامهات وذهب بعضهم الى ان الحكم
يتعلق بالعين كما يتعلق بالفعل ومعنى حرمة العين خروجها من ان يكون محلا للفعل شرعا كما ان حرمة
الفعل خروجه من الاعتبار شرعا ولا ضرورة الى اعتبار المجاز والحذف وايضا معنى الحرمة المنع فمعنى
حرمة الفعل ان يمنع العبد عن اكتسابه وتحصيله فالعبد ممنوع والفعل ممنوع عنه وهذا كما يقال
لا تشرب هذا الماء وهو بين يديه والحاصل ان حرمة الفعل منع الرجل عن الشيء وحرمة العين منع الشيء
عن الرجل بان يصب الماء مثلا وهو اوكد وابلغ وذكر في الميزان ان المعتزلة انما انكروا حرمة الاعيان
لئلا يلزمهم نسبة خلق القبيح الى الله تعالى بناء على ان كل محرم قبيح والاقرب ما قيل ان الحرمة صفة
فعل لا صفة محل الفعل لكن متى ثبتت الحرمة لمعنى في العين اضيف اليها لانها سبب كما يقال جرى
النهر لانه سبب الجريان وطريق يجري فيه فيقال حرمت الميتة لان خبثها المعنى فيها ولا يقال حرمت
شاة الغير لان حرمتها لاحترام المالك وامهاتكم تعم الجدات من الطرفين وان علت وبناتكم تشمل
بنات الاولاد وان سفلت واخواتكم سواء كانت من الاب والام او من احدهما وعماتكم تدخل فيهن
اخوات الاباء والاجداد وان علوا وخالاتكم تتناول اخوات الامهات والجدات وبنات الاخ وبنات
الاخت بناتهما وان سفلن لتناولها القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
نزل الرضاعة منزلة النسب قال عليه السلام ان الرضاعة تحرم ما تحرم من الولادة وقالوا تحريم
الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه
من النسب ويجوز من الرضاع لان المانع في النسب وطئه امها وهو لم يوجد في الرضاع والثانية
لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطي الاب اياها
وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وقد يلحق بها اخريان ام النافلة وجدة الولد فانهما يحرمان من
النسب لا من الرضاع ولا حاجة الى استثناء هذه الصور لان ما هو جهة الحرمة في النسب غير موجود
ههنا مثلا اخت الابن انما تحرم من جهة كونها بنتا او ربيبة وكذا البواقي واعلم ان الجمهور على ان
قليل الرضاع وكثيره محرم وعن ابن الزبير لا بد ان يوجد خمس رضعات متفرقات وبه قال
الشافعي لحديث عائشة كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن

ومعنى حرمة الغير
انها منعت عن العبد تصرفا فيها
فالعين ممنوع عنه وذكر تأييدا
صب الماء الذي بين يديه

بخمس

بخمس رضعات معلومات وعن ام الفضل قال عليه السلام لا يحرم الرضعة والرضعتان والمصة
والمصتان وقال ابن عباس وابن عمر وابن المسيب وعروة وابن شهاب وغيرهم ان مصة
واحدة في الحولين تحرم واليه ذهب مالك وقرأ ابن مسعود اللاتي بغير تاء وامهات نسائكم
يعني من نكح امرأة حرمت عليه امهاتها وجداتها وان علت وربائبكم اللاتي في حجوركم جمع ربيبة وهي
بنت امرأة الرجل سمي به لانه يربها في الغالب وحجر الانسان بالفتح والكسر حضنه وهو ما دون ابطه الى
الكشح ثم قالوا فلان في حجر فلان اي في كنفه ومنعته ومنه الاية الكريمة وقوله من نسائكم حال عن ربائبكم
والموصول مع صلته اعني اللاتي دخلتم بهن صفة لنسائكم ولا يجوز ان يتعلق من بالامهات ايضا
لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر فانه اذا تعلق بربائبكم يكون للابتداء وان تعلق بالامهات يكون
بيانا لنسائكم ولا يصح حمل الكلمة الواحدة في خطاب واحد على معنيين مختلفين الا اذا جعل للاتصال
كقوله فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني فانه حينئذ يصح ان يتعلق بالربائب و
الامهات جميعا حالا منهما على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لان امهاتهن
بناتهن كما انهن بناتهن لكن الاتفاق على تحريم امهات النساء مدخولات بهن او غير مدخول بهن يأبى هذا المعنى
وقد فرق النبي عليه السلام بينهما فقال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس
ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد
وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله وروي عن علي وابن عباس
وابن عمر وزيد وابن الزبير انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول
والله ما نزل الا هكذا وعن ابن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها
واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب
المهر وفائدة قوله في حجوركم التعليل للتحريم والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم
او لكونهن بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم وعن
علي انه شرط في التحريم كونهن في تربيته وبه اخذ داود والربائب يحتمل القريبة والبعيدة وقوله
دخلتم بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب والباء للتعدية يعني ادخلتموهن الستر وعند
ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه يقوم مقام الدخول وعند عمر انه خلا بجارية فجردها فطلبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اني لم اصب منها الا ما يحرمها
على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها
انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها
وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعريها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح
ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده قالوا لم تدخلوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم قالوا والاية تدل على ان التحريم وان الاثار المذكورة فانما تدل على نفي التحريم

او غير مدخول بهن لازم

بتقدير اللمس لا غير ثم قال اولا الاية اياه وحمل الدخول على حقيقته فلم يبق للقياس ولا سبيل اليه مع صريح
قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن وحلائل ابنائكم زوجاتهم وسميت الزوجة حليلة لانها تحل زوجها في
فراش الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وقد تزوج النبي عليه السلم زينب بنت جحش امرأة حين
فارقها زيد بن حارثة وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا بين الاختين
سواء كانتا في النكاح او في الوطي بملك اليمين فان تحريم الاختين وطيا بملك اليمين ثبت ايضا بالعبارة لان قوله
ان تجمعوا في معنى مصدر معرف بالاضافة او اللام وانما حرم الجمع بين الاختين نكاحا صيانة للقرابة عن
القطيعة بسبب المنافرة التي تكون بين الضرائر وعن عثمان وعلي رضي الله عنهما وطيا بملك اليمين حلتهما اية
وهي قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم لانه يدل على حل وطي كل امة مملوكة سواء كانت مجتمعة مع اختها في الوطي او لا
وحرمتهما اية وهي وان تجمعوا بين الاختين فانها تدل على حرمة الجمع بين الاختين سواء كان الجمع بطريق النكاح او
بطريق الوطي بملك اليمين فرجح علي التحريم وعثمان التحليل والمحرم راجح على المبيح وهو قوله وان تجمعوا
بين الاختين وعن النبي عليه السلم ما اجتمع الحلال والحرام الا وقد غلب الحرام الحلال قول علي كرم الله وجهه
اظهر وارجح الا ما قد سلف استثناء منقطع وهو ان يكون شي بعد الا واخواتها غير مخرج بالمعنى المذكور
وبيان ذلك ان قوله ما قد سلف اي الجمع بين الاختين الذي قد سلف داخل في الجمع بين الاختين لكنه غير مخرج
من حكم صدر الكلام وهو الحرمة لانه حرام ايضا لكن اثبت فيه حكما اخر وهو انه مغفور بدليل قوله ان
الله كان غفورا رحيما فانهم كانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام وعن محمد بن الحسن كان اهل الجاهلية يعرفون
هذه المحرمات الا اثنين احدهما نكاح امراة الاب والاخر الجمع بين الاختين الا ترى انه قال ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ولم يذكر في ساير المحرمات الا ما قد سلف ولم يذكر في ساير المحرمات
الا ما قد سلف وقال عطاء والسدي الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وراحيل
ام يوسف وكانتا اختين وكذلك لا يجوز ان يجمع بين المراة وعمتها او خالتها لقوله عليه السلام لا يجمع
بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها والمحصنات يريد بالمحصنات ههنا ذوات الازواج وفي قوله
فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الحراير وفي قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب العفايف
والاماء الكتابيات وهو عطف على وان تجمعوا اي حرمت عليكم المحصنات والجمهور على فتح الصاد
لان الازواج او التزوج احصنهن اي اعفهن وقرا الكسائي بكسر الصاد على ان النساء احصن فروجهن
او ازواجهن واشتقاق الكلمة من التحصين وهو المنع والحرز ومنه لتحصنكم من باسكم وقرا الاعمش و
علقمة بضم الصاد وقوله من النساء حال منه الا ما ملكت ايمانكم يعني حرمت عليكم ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم
من سبايا فانهن حلال لكم اذ بالسبي يرتفع النكاح بينهما وبين زوجها لقول ابي سعيد الخدري اصبنا سبايا
يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن وسالنا النبي عليه السلم فانزل الله تعالى الاية
فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق
وقد اجمع ابو حنيفة والشافعي على ان المراة اذا سبيت واخرجت بانت لكن علة الفرقة عندهم

تيابن الدارين

تيابن الدارين وعنده السبي فانه يوجب خلوص الملك للسابي ولهم ان السبي وضع لاثبات ملك الرقبة
دون ملك النكاح وهو ينفك عنه ثبوتا وزوالا كما اذا كانت المسبية منكوحة لمسلم او ذمي فلا يؤثر في
زواله كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا يعني تحريم هؤلاء وقرا
ابن عباس كتاب الله بالرفع واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله ويدل عليه قراءة
اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم ومن قرا
واحل لكم مبنيا للمفعول وهو في حرف حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص فقد عطفه على حرمت
على قضية المناسبة ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثماني المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كساير محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم مفعول له اي بين لكم
ما يحل مما يحرم ارادة ان تبتغوا النساء بالمهور او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال والابتغاء
هو الطلب بالعقد الصحيح لعدم وجوب المهر بالعقد الفاسد اجماعا بل يتراخى الى الوطي لا بالاجارة
والمتعة لقوله تعالى غير مسافحين كما قالوا الباء لفظ خاص موجب للالصاق يعنون انه حقيقة في الالصاق
مجاز في غيره ترجيحا للمجاز على الاشتراك فلا ينفك الابتغاء عن المال اصلا فيجب بنفس العقد محصنين
غير مسافحين حال من الفاعل في تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فان الغرض منه وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني
وماذيني من المذي والاموال المهور وما يخرج في المناكح ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه
قيل ان تخرجوا اموالكم او ان تصرفوا اموالكم فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات
من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن عليه فان المهر في مقابلة
الاستمتاع فاسقط العايد الى ما لانه لا يلتبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ولو كانت شرطية
لستغني عنه لان الخبر مجموع الشرط والجزاء وفيه عائد ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ذهابا الى
الوصف والتنزيل منزلة غير ذوي العقول ومن للتبعيض او للبيان وضمير به يعود الى ما نظرا الى
افراد اللفظ وكذا ضمير فاتوهن اجورهن نظرا الى جمعية المعنى فريضة حال من الاجور بمعنى
مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها من مقداره
وقيل فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين
فتحت مكة ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب وغير ذلك
ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى
برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي عليه السلام انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس
اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة فالمتعة هي النكاح الى
وقت معلوم وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وقال الربيع ابن سليمان سمعت الشافعي يقول لا اعلم

في الاسلام شيا أحل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وعن علي كرم الله وجهه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وعليه الجمهور فانهم ذهبوا الى ان المتعة حرام
والاية منسوخة وكان ابن عباس يرى انها محكمة وعن ابي نضرة سالت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرأ
سورة النساء فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قلت لا اقراها هكذا فقال والله لانزلها الله هكذا ثلث مرات ويروى انه رجع
عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي بالصرف ان الله كان عليما فيما شرع
من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل ومنه
الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة
يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة وهذا تفسير قول الزجاج ان الطول القدرة على المهر وقد قيل هو الغنى وفسر
بغنى المال فيصير الى الحال الاول ويكون الحرة تحته وفيه نظر ان ينكح المحصنات المؤمنات محل ان ينكح
النصب والجر على حذف الجار او اضماره وهو على ولا ونظيره لا جناح عليكم ان تنكحوهن والاضمار وقول
الخليل وعليه الكسائي وعن الشعبي اذا وجد الطول الى الحرة بطل نكاح الامة فعتاه بالحق وكذا ذكر عن ابن عباس
وجابر وسعيد بن جبير لا يتزوج الامة الا من لا يجد طولا الى الحرة وعنه من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب
عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وعليه مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالغني والفقير سواء في جواز
نكاح الامة ويفسر الاية ان لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطي فله ان ينكح امة وتقرير المقام
ان الاية توجب عدم جواز نكاح الامة عند طول الحرة عند الشافعي ويجوز عند اصحابنا فانه
علق جواز نكاح الامة بعدم القدرة على نكاح الحرة فان كانت القدرة على نكاح الحرة ثابتة يثبت
عدم جواز نكاح الامة عنده فيصير مفهوم هذه الاية مخصصا عنده لقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم
وعندهم لما لم يدل على نفي الجواز لا يصلح مخصصا ولا ناسخا لتلك الاية فيثبت الجواز بتلك الاية
وهذا الخلاف مبني على انه اعتبر المشروط بدون الشرط فانه يوجب الحكم على جميع التقادير
فالتعليق قيده بتقدير معين واعدمه على غيره فيكون له تاثير في عدمه وهم يعتبرونه معه
فان الشرط والجزاء كلام واحد اوجب الحكم على تقدير فالمشروط بدون الشرط مثل انت طالق
اي المشروط وهو قوله انت طالق في قوله انت طالق ان دخلت الدار اذا اخذ مجردا عن الشرط فهو بمنزلة
انت فانت طالق لانه ليس بكلام بل مجموع الشرط والجزاء كلام واحد فلا يكون موجبا للحكم على جميع التقادير
كما زعم فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات يقولون للعبد فتى وللامة فتاة
ويحل نكاح الكتابية عندهم لا عنده بناء على ان التخصيص بالوصف يوجب نفي الحكم عما عداه عنده
لا عندهم فقوله من فتياتكم المؤمنات ينفي جواز نكاح الكتابية عنده ولو مع طول حرة خلافا لهم بناء على ان
التعليق بشرط يوجب العدم عند عدم الشرط فقوله ومن لم يستطع منكم طولا دل على انه لو كان له طول الحرة لم
يجز نكاح الامة اما عندهم فهو ساكت عن هذا الحكم فيبقى على تقدير الطول على الحل الاصلي وكذا في الامة
الكتابية والمراد بطول الحرة القدرة على نكاحها بان يكون له مهر الحرة ونفقتها وفي رواية عن ابن عباس

انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا واعلم انه
ينبغي ان لا يجوز نكاح الكتابية لا سيما اليهودية والنصرانية لان الله تعالى جعل اهل الكتابين
من المشركين حيث قال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
ونكاح المشرك لا يجوز لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقد اكد النهي
وبالغ في التنفير بقوله اولئك يدعون الى النار مطلق المشركين والمشركات وكذا قوله من فتياتكم المؤمنات لا يجوز
نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز لكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه
على الفضل على الفضل دون الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا
انه ليس فيهن على الاتفاق ولكنه افضل وجوز بعض اصحاب الشافعي نكاح الامة لمن قدر على الحرة
الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وهو الاظهر وانما كان نكاح الامة منحطا عن
نكاح الحرة لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان عما يدل الا النكاح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين
والله اعلم بايمانكم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان فربما امة تفضل الحرة فيه ورب امراة
افضل فيه من الرجل ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل الحسب والنسب والمراد تانيسهم
بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون
متناسبون نسبكم من ادم عليه السلام ودينكم الاسلام لا يفضل حر احدا الا برجحان في الدين وفيه
ارشاد الى ان المنكوحة ينبغي ان تكون ذات دين فان هذا هو الاصل وبه يتبع لا بنفع الاعتبار وكذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها وانكح المراة لدينها
وقال عليه السلام تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وعنه
عليه السلام من نكح المراة لمالها وجمالها ومن نكح لدينها رزقه الله مالها وجمالها وانما بالغ في الحث الى
مثل هذه المراة تكون عونا على الدين وايضا اذا لم تكن متدينة كانت ضعيفة في صيانة نفسها وفرجها
شاغلة عن الدين وينغص بذلك عيشه ويشوش بالغيرة قلبه فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط لاذن
المولى في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن المولى
لا عقدهم وقد يجاب بان عدم الاعتبار لا يوجب اعتبار العدم فلعل العاقد قد يكون هو المولى او وكيله
فلا يلزم جواز عقدها وآتوهن اجورهن واتوا اليهن مهورهن باذن اهلهن وللمولى ايضا
وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللد
محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان ولا مسترات به والاخدان
الاخلاء في السر جمع الخدن وهو الصديق في السر والمخادنة المصادقة قال الحسن المسافحة هي ان كل
من دعاها تبعته وذات الخدن ان تختص بواحد اي لا يزني الا معه والعرب كانت تحرم الاولى
وتجوز الثانية فاذا احصن بالتزويج قال الجوهري فاذا احصن على المجهول اي زوجن وقرا الكسائي

وحمزة وابو بكر أحصن على البناء للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن اي حفظن وقال ابن مسعود اسلمن فان اتين بفاحشة يعني الزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي على الحراير من الحد كقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف وفيه دلالة على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم وفائدة الشرط اعني فاذا احصن نفي ما يتوهم من تفاوت حال الاماء قبل التزوج وبعده كما في الحراير وبهذا سقط الاستدلال بالاية على انه لا حد على المملوك قبل التزوج والحاصل ان حد المملوك نصف الحر متزوجا كان او غير متزوج وعند جمهور العلماء وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا لانه تعالى قال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهو مما روي عن ابن عباس وبه قال طاوس وعنه عليه السلام اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا والعنت في الاصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بافحش القبايح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء خير لكم خبره اي وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم وقال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت اللام في ابا لك لتاكيد اضافة الاب فيكون في محل النصب على انه مفعول به والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد هذه الاحكام ليبين ويهديكم سنن الذين من قبلكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من المهتدين لتسلكوا طرايقهم وتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وقال عطاء يبين لكم ما يقربكم منه وقال الكلبي يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم ويرشدكم سنن الذين من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات والله عليم بمصالحكم في امر دينكم ودنياكم وانتم لا تعلمون حكيم فيما دبر من اموركم والله يريد ان يتوب عليكم وقيل كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا قال مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون وقال السدي هم اليهود والنصارى وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم وقيل هم جميع اهل الباطل ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم في اتباع الشهوات واستحلال المحرمات يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وقال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته وقال الحسن هو انه خلقه من ماء مهين ويعضده قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف وقرئ ان يميلوا

بالياء والضمير

بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان مبنيا للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وعن جماعة من المفسرين ان معنى ضعف الانسان هو استيلاء شهوة الجماع عليه وقلة صبره عن النساء وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وعن ابن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقال بعضهم اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وقال بعضهم ذهب ثلث دينه وحكي ان رجلا لعبد الله بن المبارك لعنه فقال ذلك اقوى لك على القيام بامراته قل ما قوي ذكر رجل الا سلب الخشوع وغفل عن ذكر الله وجهد بها هدة شهوة وهواه ومن دعاء النبي عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه من نحو السرقة والخيانة والرشوة والغصب والنهب والقمار والغناء وعقود الربوا ونحو ذلك او بالباطل متعلق بتاكلوا وكذا بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم الاستثناء منقطع اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او لكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وتخصيص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها منوط بها قال عليه السلام تسعة اعشار الرزق في البيع والشراء وعنه عليه السلام التاجر اذا كان فيه اربع خصال طاب كسبه اذا اشترى لم يذم واذا باع لم يمدح ولم يدلس في البيع ولم يحلف فيما بين ذلك والتدليس اخفاء العيب وقيل المراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ حمزة والكسائي وعاصم تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة عن تراض وقرأ النخعي وابن وثاب الا ان يكون تجارة بالياء اي يكون ذلك الشيء تجارة والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين وحمل قوله عليه السلام المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار على الفرقة بالابدان لا الالتزام والالتزام بالايجاب والقبول ولا تقتلوا انفسكم ولا يقتل بعضكم بعضا جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وايضا الانسان قلما يقتل غيره الا قتل نفسه لانه يقتص منه وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة وعنه عليه السلام خرج برجل فيمن كان قبلكم جراح فجزع منه فاخرج سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وقال ابو عبيدة لا تهلكوا انفسكم كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما وفيه دلالة على كمال رحمته وشفقته بانه نهاهم

ومن يفعل ذلك

حيث امر بنو اسرائيل بقتل الانفس ونهي للامة المرحومة عن ذلك ولم يكلفهم التكاليف الشاقة الصعبة وهذه الاية
خير لهم مما طلعت عليه الشمس وغربت اشارة الى ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن
الحق واتيانا بما لا يستحقه وهما مصدران منصوبان على الحال او المفعول له وقيل ذلك اشارة الى قتل النفس
والمعنى ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقيل اراد بالعدوان التعدي
على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله نارا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه
بتخفيف اللام وتشديدها وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى
او لذلك من حيث انه سبب للصلي وقرأ اليماني اصليه وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا هينا لا عسر فيه
ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه على ارادة الجنس اي ما كبر من المعاصي
التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلفت في الكبائر والاقرب
روي ابن عمر انها تسعة الشرك بالله تعالى وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار عن الزحف
والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وزاد علي السرقة وشرب الخمر وزاد
عبد الله ابن عمر واليمين الغموس وزاد ابو هريرة اكل الربا وزاد عمر ابن الخطاب ثلثة اخرى وهي قتل
بهيمة بغير حقها وان ينتقص من مهر امرأته وان يظلم اجيرا اجره وزاد ابو بكرة شهادة الزور وعن ابن عباس
انه قرأ من اول هذه السورة حتى بلغ ثلثين اية ثم قرأ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه قال هو ما نهي
عنه من اول السورة الى هذه الاية وروي عنه الوالبي انه قال الكبائر كل ذنب ختم الله تعالى ذكره بنار او غضب
او لعنة او عذاب وبه قال الحسن والضحاك واصل هذا حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلعم الكبائر كل ذنب ادخل صاحبه النار وروي عن ابن سيرين انه قال كل ما نهى الله عنه كبيرة وعن طاوس
قال رجل لابن عباس الكبائر سبع فقال هي الى السبعين اقرب وروي عنه ابن جبير انه سئل فقيل له الكبائر
سبع فقال هي الى السبعمائة اقرب غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال اياس
بن عامر لقيت عليا كرم الله وجهه في العمرة فقلت يا امير المؤمنين ما اكبر الكبائر قال الامن من مكر الله
واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله وقيل الكبيرة كل ما علم حرمته بقاطع وقيل ما كان
مفسدته مثل مفسدة شيء مما ذكر او اكبر منه وقيل كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه
وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة وقال صاحب الكفاية
والحق انهما اسمان اضافيان لا يعرفان بذاتهما فكل معصية اضيفت الى ما فوقها فهي صغيرة وان اضيفت
الى ما دونها فهي كبيرة والكبيرة المطلقة هي الكفر اذ لا ذنب اكبر منه ولذلك جوزي ذووه باعظم العقوبات
وهو الخلود في النار نعوذ بالله من ذلك وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد
والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يعفو واحتج بقوله عليه السلام ينادي مناد من
بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله تعالى قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم
وادخلوا الجنة برحمتي وبالجملة فانما وعد الله المغفرة من اجتنب الكبائر وعنه عليه السلام الصلوات الخمس

والجمعة الى

والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر وقرئ يكفر عنكم بالياء
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا حسنا مرضيا وقرأ نافع بفتح الميم وهو
ايضا يحتمل المكان والمصدر وروى عبد الوارث عن ابي عمرو يكفر بالنون ويدخلكم بالياء ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية لان ذلك بقضاء الله وقدره وقسمته التي قسم بين
عباده وعن زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي ساخط لقضائي غير راض بقسمتي التي
قسمت بين عبادي وقال ابن عباس يريد لا يتمنى الرجل فيقول ليت لي مال فلان واهله ولكن سلوا
الله من فضله وعن النبي صلعم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون
فحق على كل احد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد اخاه على حظه فان الحاسد لا ينال من الله الا بعدا وعقابا
ولا ينال من الملئكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة
وهولا ولا عند الموت الا فضيحة ونكالا وقال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو ولهم
ضعف ما لنا في الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا واخذنا من الميراث مثل ما اخذوا فنزلت للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب
ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل اكتسبوا
استعارة تبعية شبه ايجاب حال كل منهما ذلك النصيب باكتسابه اياه وصح ما جعل ما قسم له
بعضا مما اكتسبه لانه لا اكتساب باخر من غير الاموال وحملها على البيان بعيد وقيل لما نزل
قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء في الاخرة بالحسنات فيكون
اجرنا على الضعف من اجرهن كما فضلنا عليهن في الميراث لنا سهمان ولهن سهم واحد فقال الله تعالى
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن معناه ان الرجال والنساء في الاخرة سواء
في الاجر فان الحسنة بعشر امثالها يستوي فيه الرجال والنساء وقيل مما اكتسبوا اي من امر الجهاد وما
اكتسبن اي من طاعة الازواج وحفظ الفروج يعني اذ كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة
الازواج وحفظ الفروج واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا ان يزول ما للناس من نعمة ويكون
لكم وهو الحسد بل ان يكون لكم مثل ما لهم وهو الغبطة وقد علم بذلك حقيقة كل من الحسد والغبطة فان
الحسد تمني زوال نعمة الغير والاول حرام والثاني حلال قال عليه السلام المؤمن يغبط والمنافق يحسد
وبالجملة فالحسد عين جهالة ومحض حماقة اولا تتمنوا واسئلوا من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم
وقال ابن جبير اي من عبادته فهو سؤال التوفيق على العبادة وقال ابن عيينة لم يامر بالمسألة الا ليعطي
واعلم ان هذا الامر للوجوب لقوله عليه السلام ان الله يغضب على من لا يسئل ولا يفعل احد سوى ذلك
وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا بفتح السين وحذف الهمزة والباقون بالسكون والهمزة ان الله
كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم له شان وفي هذا التأكيد دلالة على ان
ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة من حكمة وعلم باحوالهم فعليهم ان يرضوا بما قسم لهم وصدقه

وان الغبطة تمني مثل نعمة الغير بلا زوال منه

للتمني والامر كانه قيل نهيهما نهى عنه وامر بما امر لفرط علمه باموركم واحوالكم وبما فيه صلاح لكم وقد ورد
مثلها عقيب تعقيب الامر والنهي بالتاكيد والمبالغة على وجه التعليل في التنزيل كثيرا ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون المراد بكل اما المال او الوارث او المورث فالمعنى على الاول ولكل
مال مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا وراثا يلونه ويحوزونه فموالي مفعول اول لجعلنا ولكل مفعول
الثاني له جعلنا وتنزيه لكل مال تركه هؤلاء قيل وفيه ضعف للفصل بين الموصوف وهو كل والصفة
وهو مما ترك كقولك لكل رجل جعلت درهما فقير واجيب بان العامل لم يتخلل بالمفعول قد تقدم
في التحلل من ذلك فلم يضعف اذ حق المفعول التاخر عن عامله فلم يكن الموصوف مقرونا بصفته
وعلى الثاني ولكل قوم جعلنا موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع
اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر واورد عليه ان جعل الجار والمجرور مبتدأ بتقدير الموصوف قليل
وانه لكل قوم من الموالي جميع ما ترك الوالدان والاقربون لا نصيب وانما النصيب لكل فرد واجيب بانه
مع قلته ثابت في القران ومنا الا له مقام معلوم ومنا دون ذلك وان ما يستحقه القوم بعض التركة لما فيها
من مؤن التجهيز للميت ومن الوصية شرعا والدين عرفا واما حمل من على البيان للمحذوف فبعيد جدا وعلى
الثالث ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان
والاقربون استئناف يفسر الموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون ويرد عليه ان الموالي لا ينبغي
ان يكون في الاصل اسما لا صفة ليكون من صلة له والجواب ان ذكر التضمن معنى الفعل وثانيا ان مع الموروثين
من الموالي لا بل موالي واحد والجواب ان ذكر بحسب التوزيع الجنسي يعني ان لكل من الاحاد شيئا من جنس
الموالي قل او كثر حتى ان من لا وارث له فبيت المال مولاه وثالثا ان تفسير الموالي بالوالدين والاقربين
يخرج الاولاد وان اريد مجرد المعنى اللغوي بحيث يتناول الاولاد فكذا يتناول والجواب انه ترك التصريح
بالاولاد لظهور امرهم وصرح بالوالدين مع تناول الاقربين اياهم لشرفهم وزيادة الاهتمام بهم والذين عقدت
ايمانكم والمراد بهم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك
وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من الميراث
للحليف فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن النبي عليه السلام انه خطب يوم الفتح
فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام
وعند ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة
خلافا للشافعي وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الاية فيه ثم نسخ فالمعاقدة تعني
عاقدت ايمانكم عاهدتهم ايديكم وماسحتموهم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره قوله
فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان
فيكون المضمر في فآتوهم للموالي وقال ابراهيم ومجاهد اراد فآتوهم نصيبهم من النصر
والرفد ولا ميراث وعلى هذا تكون الاية غير منسوخة لقوله تعالى اوفوا بالعقود وقال ابن عباس

[illegible]

نزلت هذه الاية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار حين قدموا
المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون الرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال
والذين عاقدت ايمانكم من النصرة والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له وقرا الكوفيون
حمزة والكسائي وعاصم عقدت بغير الف بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم فحذف المفعول واقيم
الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى وقرأت ام سعد بنت سعد بن
الربيع عقّدت بتشديد القاف قالت نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حلف ان لا يورثه
من ماله شيئا لاباءه من الكفر فلما اسلم نزلت والذين عقدت ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد
على منع نصيبهم ومعنى الشهيد العالم بالغائب والحاضر ابلغ من الشاهد الرجال قوامون
على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين قيام الولاة على الرعايا ولكونهم قوامين عليهن
سمي قواما وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي بما فضل الله بعضهم على بعض الضمير في بعضهم
للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال
على بعض وهم النساء بكمال العقل والحزم والعزم وحسن التدبير ومزيد القوة في الكتابة غالبا
والفروسية والرمي سيما النبوة والامامة والجهاد والاذان والخطبة والولاية في النكاح واقامة الشعائر
والشهادة في مجامع القضايا وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والطلاق والرجعة
وعدد الازواج والانتساب اليهم ذكره وبما انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم
في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن
ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف
في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص
الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بحقوق
الازواج حافظات للغيب وهو خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب يعني يحفظن في
غيبة الازواج ما يجب عليهن حفظه من الفروج والبيوت والاموال وعنه عليه السلام خير
النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الاية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر
رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب
او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على
الخيانة وما مصدرية على الوجوه الثلثة ويجوز ان تكون موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من
المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرأ ابو جعفر بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة

[illegible]

فاتها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله امانة الله وهو
التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ عبد الله فالصوالح قوانت حوافظ للغيب
بما حفظ الله فاصلحوا اليهن وقرأ الحلبي والاعمش فالصوالح قوانت حوافظ واللاتي تخافون نشوزهن
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز وهو الموضع المرتفع يقال نشزت المرأة على زوجها فهي
ناشز اذا استعصت عليه وابغضته وعن الزجاج النشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل واحد منهما
صاحبه فعظوهن واهجروهن في المضاجع اي في المراقد يعني لا تداخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن
فيكون فيكون كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي
يبتن فيها الا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف حالهن وتحقق امرهن
في النشوز امر بوعظهن اولا [redacted] ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن
الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار
وهذا من تفسير الثقلاء لانه عدول عما كان هو غاية في الجلاء وايضا لم ينقل انه مشروع فضلا ان يكون
مامورا به واضربوهن قالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب
الوجه وقال عطاء ضربا بالسواك وعن النبي عليه السلام علق سوطك حيث يراه اهلك وقد جاء في الحديث عن النبي
عليه السلام في حق المرأة ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر
الا في البيت وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا
غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات • ولولا بنوها حولها لخبطتها •
واعلم ان للزوج ان يضرب امرأته لاجل الخروج من البيت وترك الصلوة والزكوة وغيرهما من الفرائض
والواجبات وترك الاجابة الى الفراش وترك الزينة لزوجها وهو يريدها وترك ضرب جاريته غيرة ولا تتعظ
بوعظه وترك ما نهى الله ورسوله عنه فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالتوبيخ
والايذاء والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد
وترك النشوز فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقيل اي فلا تطلبوا حيلة الفراق ان الله كان عليا كبيرا
فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه مع علو شأنه وكبرياء سلطانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب
عليكم اذا رجعتم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم اذا رجعن وعن ابي مسعود الانصاري رفع سوطه
ليضرب غلاما له فبصر به النبي عليه السلام فصاح به يا ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق
الغلام والعلي الكبير هما المتكبرة في المعنى وان خفتم شقاق بينهما تفصيل اخر للنشوز هو
واصله شقاقا بينهما اي خلافا بين المرء وزوجته فاضيف الشقاق للاتصال على طريق الاتساع لاجرائه
مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار وهو مجاز حكمي حيث جعل البين مشاقا والليلة
مسروقة او للفاعل كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين فهو

من اضافة المصدر للفاعل المجازي والكل بمعنى اللام والضمير في بينهما للزوجين وان لم يجر ذكرهما
لجري ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء والخوف بمعنى العلم ويجوز ان يكون بمعنى الظن فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما من
اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وربما يكون في ضمائرهما
ما لا يحبان ان يطلع الاجانب عليه وهذا على وجه الاستحباب لجواز نصب الحكمين من الاجانب وقيل
الخطاب للحكام وقيل للازواج والزوجات وليس لهما الجمع بينهما والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يتخالعا دون رضاهما ان وجدا الصلاح فيه كالحكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن
على وفق مرادهما وعن ابن سيرين عن عبيدة السلماني انه قال في هذه الاية وان خفتم شقاق بينهما
فابعثوا حكما من اهله جاء رجل وامرأة الى علي رض ومع كل واحد فئام من الناس فامرهم ان يبعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما
وان رأيتما ان تجمعا جمعتما قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي ولي قال الرجل اما الفرقة فلا فقال
علي كذبت والله حتى تقر بمثل الذي اقرت به وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى
الحكمان جاز فانهما ما جعلا حكمين الا وابيهما بناء الامر على ما يقتضيه رأيهما ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما اي يريد الحكمين وفي بينهما للزوجين اي ان قصد الحكمان اصلاح ذات البين اوقع
الله بحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل كلاهما
للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة
الواحدة ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وزوال الشقاق يلق
الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه وقيل ضمير يريدا للزوجين وضمير بينهما للحكمين اي ان يرد الزوجان
اصلاحا يوفق الله بين الحكمين اصلاحهما يعني يصلان بالصلاح ان الله كان عليما خبيرا
بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الالفة والوفاق لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله وحدوه مخلصين ولا تشركوا به
شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وعن ابن عباس كل عبادة في القران فانما يعني
به التوحيد والخطاب عام وقيل للكفار وقيل للكفار والمنافقين والمعنى وحدوا الله والمجمع
فيما امركم به وما نهاكم عنه ولا تشركوا بعبادته احدا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
وبمن بينكم وبينه قرابة من اخ او عم او غيرهما وقربة مصدر قريب خلاف بعد قربا وقربة وقرابة
وقربة وقيل القريب في المكان والقربة في المنزلة والقرابة في الرحم واليتامى والمساكين وعن علي

امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم من مسح راس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات
ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى رواه احمد
وغيره وعن ابي الدرداء قال اتى النبي عليه رجل يشكو قسوة قلبه قال ان اردت ان يلين قلبك وتدرك
حاجتك فارحم اليتيم وامسح راسه واطعمه من طعامك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله عليه والذي
بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيمة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول
على جاره بفضل ما اتاه الله عز وجل والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار
قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما او على نزع الخافض اي واحسنوا
بالجار ذي القربى وهو الاوجه والجار الجنب اي الذي بعد جواره او الذي لا قرابة له وقيل الجار القريب
النسب والجار الاجنبي وعن طلحة قالت عايشة يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى
اقربهما منك بابا وعن ابن عمر قال رسول الله صلعم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار
وهو المشرك من اهل الكتاب وقرئ والجنب بفتح الجيم وسكون النون وقرا اليماني وابن ابي عبلة بالنصب
على نزع الخافض اي واحسنوا بالجار الجنب والصاحب بالجنب هو الذي صحبكم بان حصل
بجنبكم من رفيق في سفر او جار ملاصق وشريك في تعلم او قاعد الى جنبكم في مجلس او مسجد او غير ذلك
ممن بينه وبينكم ادنى صحبة فعليكم ان ترعوا ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقال
علي وعبد الله والنخعي الصاحب بالجنب هو المراة تكون معه الى جنبه وقال ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وقتادة هو الرفيق في السفر وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف وعن النبي
عليه من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم
ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وما ملكت ايمانكم اي المماليك من العبيد
والاماء وعن ابي بكر عن النبي عليه لا يدخل الجنة سيء الملكة ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف
عن اقاربه واصحابه ومماليكه ولا يلتفت اليهم وقيل المختال ذو الخيلاء والكبر ومما يجب ان يتنبه له ان هذا من العام
المخصوص ويجيء تقريره في سورة الحديد فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
بدل من كان نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون
عما منحوا به ويامرون الناس بالبخل او الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة
وقرا حمزة والكسائي وخلف بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بضم الباء وسكون
الخاء وقرئ بضمتين وعن ابي رجاء بالبخل بكسر الباء وسكون الخاء وعنه بالبخل بفتح الباء وكسر الخاء ويكتمون
ما اتيهم الله من فضله الغنى والعلم ومن فضله في موقع الحال اي من ما او من العايد المحذوف واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمة فله عذاب يهينه

موضع المضمر

وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام

كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة رسول الله صلعم وكتموها وقيل
في اليهود الذين كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عاب الله
بكتمان نعمة الله وما اتاهم من فضله من نعمة الغنى والتفاقه الى الناس وعن النبي عليه اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان
ترى نعمته على عبده وقال السدي نزلت في المنافقين وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة النبي عليه والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما اوجبه
الله تعالى وشرعه من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف وقد دل عليه قوله ومن
يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث قرنهم
وحملهم على البخل والرياء والكفر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وقرا عمرو بن عبيد فساء بامالة
السين وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق
في سبيل الله والاستفهام للذم والتوبيخ والام بتقدير لانه معلوم انه لا ضرر ومنفعة في ذلك فلا معنى للاستفهام بانه اي
ضرر فيه كما لا معنى للاستفهام في اي ضرر لك لو عفوت فيما كان بينك وبينه لو كنت بارا لانه معلوم انه لا ضرر ولا مضرة فيه
في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل لهما لم يكن المنفعة ولما قدم الايمان على الانفاق ههنا واخره في الاية
المتقدمة لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم وفي ماذا عليهم وجوه احدها ان ما مبتدا وذا بمعنى الذي وعليهم
صلة ومجاوزان والثاني ان يكونا مبتدا وما جرا مقدما لانه استفهام والثالث ماذا مبتدا بمعنى اي شيء وعليهم خبره
وذكروا في لو وجوها احدها انها على اصلها والكلام محمول على المعنى اي لو امنوا لم يضرهم والثاني انها بمعنى ان الناصبة
والثالث انها بمعنى ان الشرطية هكذا قالوا واعلم ان كلمة لو ههنا ليست لامتناع الشيء لامتناع غيره ولا للمضي بل المراد بها عدم
تحقق الحكم البتة كانه قيل اي ضرر عليهم لو تحقق الايمان منهم لكن لم يتحقق لنفاقهم وانكارهم وذلك لان هؤلاء ممن
لم يكن ليتحقق الايمان منهم لا في الماضي ولا في الحال ولا في الاستقبال اما الماضي فدليله قوله لو امنوا بالله واليوم الاخر
واما الحال والاستقبال فلقوله ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قد وقع الفعل المضارع في سياق النفي دالا على انهم كانوا بالله
واليوم الاخر مستمرين على ذلك وتنبيها على افراطهم في الجحود والخبث وتماديهم في الامتناع وكان الله بهم عليما وعيد لهم او
عليما بما يضرهم بعاده ويفعلون وصوب وراء الجزاء بهم حيث شاء ومتى شاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب ادنى شيء واصغره كالذرة وهي النملة الصغيرة وقرا عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب
فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة قيل وفيه دليل انه لو نقص من الاجر شيئا
او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعل لاستحالته في الحكمة في القدرة وذلك لا تجعل نفي اقل ما يكون من الظلم كناية
عن اعطاء الاجر بتمامه من غير نقصان وعن عدم زيادته في عقاب السيئة ادنى شيء ومع ان الدليل على ان القصد الى الكناية قوله
وان تك حسنة يضاعفها ومن نجعل عدم نقصه الاجر وزيادته العقاب جنسا على وعده لاستحالة الخلف فيه لانه نقص
مناف للالوهية وكمال الغنى والمتعال منفصل عن النقل وفي ذكرها ايماء الى ان الدوام صح قدره عظمه او نوع والظاهر ان انتصابه
على المفعولية وقيل هو صفة مصدر محذوف واي ظلم مثقال ذرة وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانث ضميره المثال
لاضافته الى مونث او لتانيث الخبر وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا نافع وابن كثير حسنة بالرفع

على كان التامة وروى شبل عن ابن كثير وابن محيصن وان يك حسنة بالياء يضاعفها يضاعف ثوابها قيل يضاعف
ثواب الحسنة بحسب الزمان لا بحسب المقدار فان الثواب المستحق لا يقبل الزيادة وقيل المراد من هذه المضاعفة المضاعفة بحسب
المقدار مثلا يستحق على طاعة عشرة اجزاء يجعل الله عشرين جزءا او ازيد بحسب المشية لان مدة الثواب غير متناهية و
تضعيف للذة الغير المتناهية محال وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله عليه
يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة
ثم تلا هذه الاية وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون وقرا الضحاك وابن عمير يضعفها
عنها بالرفع والحسن وابو واقد نضعفها بالنون وتشديد العين وسكون الفاء وروى عمرو عن الحسن نضعفها
بضم الياء مخففا من الاضعاف والتكثير يعني ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما
وعد في مقابلة العمل وكل من لدن وعند يستعمل في المكان وفي غير المكان اما الاول فظاهر واما الثاني فلورود
استعمالهما في شيء يستحيل اعتبار المكان فيه ومنه قوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقوله وعلمناه
من لدنا علما ويؤت من لدنه اجرا عظيما عطاء جزيلا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وانما سماه اجرا لانه تابع للا
جر يزيد عليه وعن ابي هريرة اذا قال الله اجرا عظيما فمن يقدر قدره واعلم ان في الاية دلالة بينة على تحقق المعاد الجسماني
والروحاني معا لاشتمالها على اللذات الجسمانية واللذات الروحانية التي هي اعلى مراتب السعادات وذلك ان قوله وان
تك حسنة يضاعفها صريح في ادراك المحسوسات واللذات الجسمانية المعدة الموعود بها في الجنة وقوله ويؤت من لدنه اجرا
عظيما صريح في استيفاء اللذات الروحانية فان الاجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه هو اللذات الحقة عند النظر الى
وجه الله تعالى وعند الاستغراق في معرفته ومحبته وهذا قد جاء مطابقا لما هو مقتضى العقل وموجبه فان العقل قد دل على
ان كمال سعادة الاجسام في ادراك المحسوسات واللذات الجسمانية وان كمال سعادة الارواح برؤية الله والاستغراق
في محبته ومعرفته والجمع بين هذين الكمالين في هذه الدار وهذه الحيوة ليس يمكن لزيادة نقصانها وكمال ضعف الارواح
البشرية في هذا العالم فان الانسان مع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه الالتفات الى اللذات الروحانية ومع استغراقه
في تجلي انوار عالم الغيب لا يمكنه ان يلتفت الى شيء من اللذات الجسمانية ولولا انه تعالى قدره وكتب في اللوح ان ذلك لا يكون
الا بعد مفارقة الارواح بالموت فانها اذا فارقت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت فلو اعيدت الى الابدان
مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الامرين وقد ورد في ذلك الاخبار واتفقت عليه الاراء وبالجملة فمن انكر
احد المعادين فقد انكر الحق وكابر انكار ما هو من ضروريات الدين القويم والصراط المستقيم فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد على قبح اعمالهم وفساد عقائدهم
بنبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك وهو
يا محمد على هؤلاء المكذبين شهيدا والاولى ان يكون هؤلاء اشارة الى الفريقين اي شاهدا على صدق هؤلاء الشهداء
وكذب المكذبين لعلمك بعقائدهم لجمع شرعك مجامع قواعدهم السنية وقيل اشارة الى المكذبين من جميع الامم
حتى شهد عليه السلام وقيل الى المؤمنين لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن مسعود انه قرا
سورة النساء على النبي عليه السلام حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى عليه السلام وقال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه

تذرفان يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم يوم القيمة اي يود الذين جمعوا
بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او يودون انهم
لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها فالباء في بهم للالصاق اي
تستوي الارض ملتبسة بهم وقيل للسببية او بمعنى على والوجهين الاخيرين صلة وقرا نافع وابن عامر تسوى بفتح التاء و
تشديد السين على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وماضيه سوى كاذكى وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء
الثانية فلزم فتح التاء الاولى وتخفيف السين وعاصم وابن كثير وابو عمرو بضم التاء وتخفيف السين ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم
لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وان يدفنوا فيها وقال عطاء ودوا لو تسوى
بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد عليه السلام ونعته وقال الحسن انها مواطن ففي موضع لا يتكلمون ولا تسمع الا
همسا وفي موضع يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موضع يعترفون وهو قوله
فاعترفوا بذنوبهم وفي موضع يتساءلون وفي موضع يسالون الرجعة واخر المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو
قوله ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى لا تقوموا الى الصلوة واجتنبوها كقوله
ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وتقرير للعبارات قوله وانتم سكارى قيد ورد بعد النهي والقيد الوارد يجوز ان يتعلق
بالنهي الذي هو طلب الترك والكف عن الفعل وبالمنهي الذي هو الفعل اعني قربان الصلوة ههنا وبالمطلوب الذي هو ترك الفعل
والكف عنه وهذه ثلثة اقسام يصح اعتبار كل منها ههنا فان قوله وانتم سكارى يجوز ان يكون قيدا للطلب الكف وهو
القسم الاول فيكون المعنى انهاكم عن ان تقربوا الصلوة في حال السكر اي لا يكن منكم القيام الى الصلوة في هذه الحالة ولا خفاء
في صحة هذا المعنى ووضوحه وان يكون قيد الفعل كقولك لا تصل وانت محدث فيكون المعنى اجتنبوا الصلوة في حال السكر
وفي حال انك محدث وان يكون قيدا للترك كقولك لا تبالغ في الاختصار وانت تريد به الافهام اي اتركوا قربان الصلوة
في حال السكر واترك المبالغة في الاختصار حال الارادة والسهو اشغلك بالتامل والتدبر في مثل لا تصل وانت سكران
وصل وانت صاح والتوغل فيما ذكرنا لان المقام من معارك الاراء ومصادم الاهواء ومسارح الافكار ومطارح الانظار
روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة فدعا نفرا من اصحاب النبي عليه السلام حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء
وقت صلوة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت الاية فكانوا لا يشربون
في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها و
قيل المراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة بل النهي عن الافراط
في الشرب فيكون من باب حذف المضاف ومن اطلاق الحال على المحل وقال الضحاك عني به سكر النعاس وغلبة النوم
عن الصلوة عند غلبة النوم وعن النبي عليه السلام اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى
وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وسكارى جمع سكران والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بفتح
السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل ومفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى

كقولك امراة سكرى وقرئ سكرى بضم السين كحبلى على انها صفة الجماعة فيكون سكرى وسكرى بالفتح في الصفة المشبهة
للمؤنث مثل كسلى وكسلى بالفتح والضم على ما حكاه ابن جني حتى تعلموا ما تقولون حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلو
وقدم ان حتى الداخل على الافعال قد يكون للغاية وقد يكون لمجرد السببية والمجازاة وقد يكون لمطلق المحض اي تشريك من غير
اعتبار غاية وسببية والاول هو الاصل فيحمل عليها ما امكن في ذلك بان يكون ما قبل حتى محتملا للامتداد وضرب المدة وما بعد
صالحا لانتهاء ذلك لامر الممتد اليه وانقطاعه عنده كقولك تنام حتى يبطو الجرية وقوله حتى تستانسوا اي تستاذنوا ولا جنبا
عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وفي الشواذ قرا النخعي وابن وثاب
ولا جنبا بسكون النون ههنا وفي المايدة الا عابري سبيل استثناء مفرغ واقع موقع الحال من المخاطبين اي لا تقربوا
الصلوة جنبا كائنين على حال من الاحوال الا مسافرين ومما عيي ولا جنبا الا عابري سبيل حالان من فعل واحد على الا
جتماع واعتبار الثانية في الاولى اي لا تصلوا في حال الجنابة كائنين على حال من الاحوال الا مسافرين لا على الاستقلال
اذ لا صحة لمثل لا تصلوا جنبا ولا تصلوا الا عابري سبيل ويجوز ان يكون الا صفة بمعنى غير لجنبا اي لا تقربوا الصلوة
جنبا غير عابري سبيل يعني جنبا مقيمين غير معذورين ويصح صلوة الجنب لعذر السفر بناء على ان الاستثناء من النفي اثبات
وذلك ان المراد بالجنب غير مغتسلين كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين ومن
فسر الصلوة بمواضعها وهي المساجد فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد اي لا تقربوا المسجد جنبا
الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلم فيه وهو قول ابن مسعود وابن المسيب والضحاك وبه
قال ابو حنيفة وذلك لان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص
لهم العبور وجوز الحسن المكث على الاطلاق وبه قال مالك والشافعي وروي ان رسول الله عليه لم ياذن لاحد ان
يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد وجوز احمد المكث فيه والجمهور
لا يجوزه حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حتى حال الجنابة قيل وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل
قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا لا يقدر معه على استعمال الماء اشتد مرضه حتى لا يشترط خوف التلف
خلافا للشافعي اذ خرج اشتداد المرض فوق ضرر زيادة الشين وهو يبيح التيمم ومرضى جمع مريض نحو جرحى جمع جريح او على
سفر لا يجد واقيا لماء الوضوء او جاء احد منكم من الغايط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغا
يط المطمئن من الارض ثم قيل لقضاء الحاجة لما بينهما من اللزوم في الخارج بحسب العادة فانه لما وقع في العرف قضاء
الحاجة في المكان المطمئن حصل بينهما ملازمة في الخارج لكن لا بحسب الخلقة بل بحسب عادة الناس وقرئ من الغيط
قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغايط او لامستم النساء قرا حمزة والكسائي لمستم ههنا وفي المايدة والباقي
لامستم وهما بمعنى الجماع عند ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقال ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي هو التقاء البشرتين
بجماع كان او بغيره وقال مالك الملامسة هنا الجماع لما روى الشعبي عن علي وابن جبير عن ابن عباس انهما قالا الملامسة
الجماع ومعناه ان كان اللمس بشهوة ينقض الطهر والا فلا وبه قال احمد وليث بن سعد واسحق وقال الشافعي مس المراة مطلقا
حدث لقوله او لامستم النساء وحقيقة اللمس باليد ولانه سبب لخروج الحدث فاقيم مقامه حقيقة وعند اصحابنا ليس

بحدث

بحدث لقول عايشة رضي الله عنها كان النبي عليه يقبل بعض نسائه ثم يخرج الى الصلوة ولا يتوضا وعنها انها قالت كنت نايمة الى
جنب رسول الله عليه ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول اعوذ برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واصح القولين من الشافعي ان مس المحارم كالام مثلا
لا ينقض الوضوء لانها ليست محل الشهوة وكذا مس اجنبية صغيرة فلم تجدوا ماء فلم تقدروا على استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب
لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغني عن تفصيل
احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغايط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا واقصدوا شيئا طاهرا من وجه الارض الصعيد وجه الارض
ترابا كان او غيره قال الزجاج لا اعلم اختلافا بين اهل اللغة في ذلك وان كان صخرا لا تراب عليه فلو ضرب المتيمم يده عليه ومسح
لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وما قيل انه فعيل بمعنى مفعول او فاعل من الصعود ففيه نظر وذهب
الشافعية الى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار لما روي عن ابن عباس وابن عمر انهما قالا في تفسير صعيدا
طيبا اي ترابا طاهرا وعن حذيفة ان النبي عليه قال فضلنا على الناس بثلاث جعلت لنا الارض مسجدا وجعل ترابها طهورا لكذا
بعد ذكر الارض الى ذكر التراب ولولا اختصاص الطهورية بالتراب لقال جعلت لنا الارض مسجدا وطهورا وفيه نظر ولقوله تعالى
في المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية بمعنى ان المسح يبتدا منه وان لم يعلق منه شي
باليد تعسف اذ لا يفهم احد من العرب من مثل مسحت براسي من الدهن ومن الماء ومن التراب الا التبعيض والجواب بان من للسببية
وضمير منه للحدث المذكور كما في قولك تيممت من الجنابة بعيد عن الظاهر وقطع للتعبير عن الاقرب واللفظ منه اذ السببية تفهم
من الفاء وجعل المسح في معرض الجزاء فامسحوا بوجوهكم وايديكم التيمم ضربتان ضربة لمسح الوجه وضربة لليدين مع المرفقين ولا
يشترط فيه الترتيب عند اصحابنا واشترطوا الاستيعاب حتى لو بقي شي قليل لا يجزيه واذا لم يدخل الغبار بين اصابعه
فعليه ان يخلل اصابعه فيحتاج الى ضربة ثالثة لتخليلها وقال علي وابن عباس التيمم ضربة للوجه واليدين وهو مذهب احمد والاوزاعي واسحق
استدلالا بحديث عمار وهو ما روي انه جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اصب الماء فقال عمار لعمر اما تذكر انا كنا
في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت في التراب وصليت فذكرت ذلك للنبي عليه فقال عليه السلام انما يكفيك هذا فضرب
النبي عليه بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وفي رواية اخرى قال عمار لما تمعكت فاتيت النبي عليه فقال يكفيك
الوجه والكفين وقال الزهري يمسح اليدين الى المنكبين لقول عمار تيممنا الى المناكب وحد الوجه من قصاص الناصية الى منتهى
الاذن واسفل الذقن لان اسم الوجه يقع على هذا القدر عرفا وعادة وتمام اليد اسم للعضو من المنكب الى اطراف الاصابع وما روي
انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا
غفورا في معرض التعليل لقوله وان كنتم مرضى الى اخره وهو كقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فدلالته
بعبادة التيمم والعفو والمغفرة مجاز عن الترخيص والتيسير انتقالا من الملزوم الى اللازم وكذا الكفاية مثلا ان سبوح جرى وليس
في تلك الاعذار شي من الحرج فلا يصح اجراؤه على ظاهره فوجب الحمل على المجاز وانما لم نقل هو كناية بناء على ما ذكره الزمخشري
علماء البيان قد جعلوا مبنى على الانتقال من الملزوم الى اللازم ومبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم والاول المجاز فهو المعتبر

هنا بخلاف الثاني فانه لم يصح اعتباره فيه يعني لكمال عفوه عن الخاطئين وعادته ان يغفر للمذنبين يسر الامر عليكم ورخص
لكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يكره ان يؤتى معاصيه رواه العبادلة ابن مسعود وابن عمر وابن عباس
وعنه عليه السلام افضل امتي الذين يعملون بالرخص فان قيل الاقسام الاربعة اسباب لامور متغايرة وان سببية المرض
والسفر انما هي للرخصة وسببية الحدث لوجوب الوضوء والجنابة لوجوب الغسل فكيف جمع الكل في سلك واحد في الشرط لم يجب
عليه جزاء واحد وهو الامر بالتيمم عند عدم وجدان الماء اجيب بالقصد الى الترخيص في التيمم بالتراب لكل من وجب عليه
التطهير ولم يجد الماء فقيد عدم الوجدان راجع الى الكل وقيل وجوب التطهير المكني عنه بالمجيء من الغائط او الملامسة اللذين هما
من اغلب الاسباب وجوب التطهير معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما تخصيص قبل التعميم بناء على انهم المتقدمون في استحقاق
بيان الترخيص لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة فكانه قيل ان جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء خصوصا المرضى والمسافرين فتيمموا وحسبته مضمون الشرط المصنوع لجزاء بنظام الم تر الى
الذين اوتوا تعجيب من شانهم وتقرير اي حمل على الاقرار بما دخل النفي وصلة الرؤية بالى ان كانت بمعنى الابصار فلاعتبار
معنى النظر اي الم تنظر اليهم وان كانت رؤية القلب ادراكه فلتضمين معنى الانتهاء وللمعنى الرؤية علمك اليهم ويجوز ان
يخاطب به من لم يرهم لان حالهم وقصتهم من شيوعها وشهرتها بحيث ينبغي لكل احد ان يتعجب منها كانه حقيق بان يحمل على الاقرار
برؤيتهم وان لم يرهم ولم يسمع بصفتهم وشانهم نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود واي حظا وافرا من
التوراة ومن للتبعيض او للبيان اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم وفي على تقدير اللام
للجنس تكون من للتبعيض او للابتداء وعلى تقدير العهد والمعهود اللوح للابتداء وقيل نصيبا من الكتاب اي حظا يسيرا من
علم التوراة يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل وقيل ياخذون الرشا ويحرفون التوراة ويريدون
ان تضلوا السبيل ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ
ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون
بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره
او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا لانهم يهود ونصارى وما بينهما من قوله والله اعلم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وبيان
لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا والعدو ونصرناه من القوم الذين كذبوا اي يجعلكم منتصرين منهم او منع قول القائل
اللهم انصرني على جماعتهم منتصرين منهم او خبر مبتدا محذوف وصفته قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون
الكلم كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها والشائع في مثل هذا
المقام تقديم الخبر كقوله من المؤمنين رجال صدقوا ولكنه يميلون الكلم عن مواضعه التي وضعها الله فيها بازالته عنها واثبات غيره مكانه وذكر
نحو تحريفهم الرجم عن موضعه في التوراة بوضعهم الحد بدله وتحريفهم اسمر ربعة بوضعهم ادم طوال مكانه وقرئ يحرفون
الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة
وصرف اللفظ عن معناه الحق الى الباطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدعة في الآيات القرآنية المخالفة لمذهبهم وقرئ
النخعي

وابن

وابن وثاب موضعه بغير الف ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير
مسمع وهو قول يحتمل للذم اي اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا ويحتمل الذم اي اسمع
منا مدعوا عليك لا سمعت لصمم او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك لا تعيه نبوا عنه فهو اعني غير مسمع على هذا يكون مفعولا به لا حالا وقرا ابو جعفر غير مسمع بكسر الميم وراعنا
انظرنا ونفهم كلامك وهي يحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا
بالنبي الكريم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام وقرا ابن مسعود وراعونا وقرا
الحسن وراعنا بالتنوين ليا بالسنتهم فتلا بالسنتهم وصرفا للكلام الى ما يشبه السب اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث وضعوا
راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بها ما يضمرونه من السب والتحقير الى ما يظهرونه من التوقير
والتوقير نفاقا فليا حال من فاعل يقولون وطعنا في الدين تهكما وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو
ثبت قولهم سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم من سمعنا وعصينا واقوم واعدل واسد من اسمع غير مسمع وراعنا
وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه فان ان مع اسمها وخبرها في معنى مصدر ماخوذ من مضمون الجملة
لذلك الفعل المحذوف ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم الله بسبب كفرهم وابعدهم عن الهدى والرحمة وفيه تنبيه على ان من كفر
رسول الله بعيب في خلق او خلق او غير ذلك فهو كافر فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به
وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي … اي عديم التشكي او الا قليلا
منهم قد امنوا ومنهم ابن سلام وشيعته او سيؤمنون وقال السدي القليل قولهم ربنا الله والجنة حق والنار حق وقال الكلبي
لا يؤمنون الا بقليل مما في كتابهم يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا كما امن المؤمنون المخلصون بما نزلنا وهو القرآن المنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معكم من الكتاب غير مخالف له وفيه رد لادعائهم الايمان بكتابهم فانهم اذا كفروا بما يوافق
كتابهم فقد كفروا به روي انه عليه السلام كلم احبار اليهود فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي
جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فنزلت من قبل ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب
وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في
الآخرة وقال ابن عباس نجعلها كخف البعير والطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة وقد يراد به القلب
والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث
جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقربه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها
بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة روي ان عبد الله بن سلام
لما سمع الآية جاء الى النبي عليه السلام قبل ان ياتي اهله ويده على وجهه واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول
وجهي الى قفاي وكذلك كعب الاحبار لما سمعها اسلم في عهد عمر رضي الله عنه فقال يا رب امنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت الاكثرون ومنهم ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك على ان المراد بلعن اصحاب السبت مسخهم قردة وخنازير
والمعنى نخزيهم بالمسخ كما اخزينا اصحاب السبت ونمسخهم مسخا مثل مسخ اصحاب السبت وقيل المراد باللعن هو القول المقتضي
بالطرد والابعاد عن الرحمة اي نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير في نلعنهم لاصحاب الوجوه

لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم اذ الوجه لابد له من صاحب او للذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة
او للوجوه ان اريد بها الوجهاء والرؤساء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن
حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل قيام الساعة وقيل كان هذا الوعيد
مشروطا بعدم الايمان فلما امن عبد الله بن سلام واصحابه رفع ذلك عن الباقين وقيل اراد به في القيامة وقرا ابن الحنفية
اذ نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضى به مفعولا
نافذا وكائنا فلا بد من وقوع ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه رتب الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه
لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه
واحسانا واجمع اهل الحق فالمبتدع على ان من كلمة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يدل على العفو عن الكبيرة قبل التوبة فان غير الشرك
داخل فيه ولا يعلق التقييد بالتوبة لان الشرك مغفور معها فلزم تساوي ما نفي عنه الغفران وما اثبت له وذلك مما لا يليق بكلام
عاقل فضلا عن كلام الله تعالى والمعتزلة لما لم يقولوا بالتفرقة بين الشرك وما دونه من الكبائر في انهما يغفران بالتوبة ولا
يغفران بدونها حملوا الاية على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفي
هذا التقييد من الفساد ما لا يخفى قيل وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم
فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها والاية كما هي حجة عليهم حجة على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك فان صاحبه خالد في النار وعن ابن عمر لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية قام رجل فقال والشرك يا رسول الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به وعنه كنا
على عهد رسول الله عليه اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت الاية فامسكنا عن الشهادة
وعن علي ان هذه الاية ارجى اية في القران وعن الكلبي نزلت في وحشي واصحابه فانه قد جعل له على قتل حمزة ان يعتق فلم
يوف بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه لا يمنعنا
عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا
فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث عليه السلام بهما اليهم فلما قراوا
كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث
بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي عليه فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك
غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان الى ان مات ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه
الاثام وهو تقرير التفاوت فيما بينه وبين ما عداه من الكبائر ومن سواء كانت موصولة او شرطية فيها دلالة على السببية
اي الشرك سبب للخصوم ارتكاب اكبر الكبائر فجزاؤه اعظم الجزاء وهو الخلود في النار نعوذ بالله من ذلك كله والافتراء هو
الكذب عن عمد وقد يطلق على الفعل الا يصح كونه وقيل الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم هم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى النبي عليه السلام فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم

الايات وقد دعونا مع الله الها اخر

ما عملنا

ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها من زكى نفسه واثنى عليها الا لغرض صحيح
كان النبي عليه قد قال والله اني لامين في السماء امين في الارض حين قال المنافقون اعدل في القسمة ارشادا لهم وردا من
التكذيب الى التصديق مع شهادة الله بالتزكية ومنه تزكية النفس مدحها وعن ابن مسعود ان الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع
فياتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقول والله انك ذيت وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرا الم تر الى الذين يز
كون انفسهم الاية وعن النبي عليه اياكم والمدح فانه الذبح بل الله يزكي من يشاء اي يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم
الزكاة فوصفهم به وفي هذا الاضراب وبناء الفعل على المبتدأ دلالة بينة على اختصاصه به وان لا مزكي الا الله وقيل اصل التزكية نفي
ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون فتيلا الضمير للذين يزكون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق
جزائهم او لمن يشاء اي من يشاء يثابون على زكاتهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وفتيلا اي
ادنى ظلم واصغره وهو اسم للخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة والقطمير اسم القشر الذي على النواة والنقير
اسم لنقطة تكون على ظهرها وروي بضرب ما عن نافع ولا تظلمون بالتاء انظر خطاب للنبي عليه ويجوز ان يكون خطابا لكل من
يتاتى منه النظر والرؤية بالبصيرة كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله واذكياء عنده وفي حكمه وقضائه وكفى
به على هذا او بالافتراء اثما مبينا من بين سائر اثامهم وقيل الضمير في به للكذب واثما تمييز ومبينا لازم ومتعد يقال ابان الشيء
اذا ظهر وابنته اي عرفته بينا ظاهرا مكشوفا لا شبهة فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
الهمزة اذا دخلت على النفي تفيد التقرير وحمل المخاطب على الاقرار بما دخل النفي نقول المعنى الى الاثبات والتعجب سواء كان المخاطب
عالما به او لا وكل من يتاتى منه الرؤية اما الاثبات فظاهر لان انكار النفي نفي ونفي النفي اثبات واما التعجب فلان الايمان بالاصنام
من اهل العلم مع ضد التصادق والتوفيق لهم على الايمان بها محل تعجب يعظم ان كل عاقل ناظر في هذه الحالة يتعجب بل محل التعجب
وما التعجب يعني معنى اسمع يا محمد وانظر واسمعوا ايها السامعون وانظروا ايها الناظرون وتعجبوا من كفرهم وجهلهم مع هذا
التصادق والتوفيق ووصفهم بانهم صاروا احبارا بمعرفة الانبياء والرسل منزلا
للكتب بينهما مطلقا وهوى عليهم بانهم صدق الصانع بالذي يكفرون به وصدور الكفر منهم مع التصادق والتوفيق محل تعجب
تعجب وروي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة النبي عليه فقالوا انتم
اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت
والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا ثم قال كعب لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فلنلزق اكبادنا بالكعبة
فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا
يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونحر دينا
وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا فنزلت والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل هو الساحر والكاهن والطاغوت اسم لكل
معبود باطل وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان وعن ابن عباس الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب
بن الاشرف وعن عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء
اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار ان يكون لهم نصيب من الملك بمعنى لو كان

والتعجب

نصيرا

نصيب منه لاستحقاقهم حرمانه او ليس لهم نصيب من الملك من شيء وفيه رد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم والفاء في قوله
فاذن لا يؤتون الناس نقيرا السببية والجزائية لشرط محذوف والمعنى ليس لهم نصيب من الملك بسبب انهم لو اوتوا نصيبا منه لما
اوتوا احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهو معنى السببية او اذا اوتوا نصيبا منه فاذن لا يؤتون الناس ما يوازي نقيرا وهو النقرة
في ظهر النواة يضرب المثل في القلة كالفتيل والقطمير والجملة في معرض التعليل والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا او ملك الله تعالى وهذا
او صفهم بالشح والبخل حيث يبخلون بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين [illegible]
قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية ويجوز ان تكون الفاء عاطفة ومعنى الهمزة في ام انكار انهم قد اوتوا نصيبا
من الملك وانهم لا يؤتون الناس مما يملكون شيئا فيكون الانكار على مجموع الجملتين يعني لا ينبغي ان يكون هذا واذن اذا وقع
بعد الواو والفاء جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا بالنصب لان اذا اعملها النصب وتعرب المضارع
عليها قيل ان اذن تنصب المضارع اذا كانت مستقلة نحو اذن اكرمك في جواب انا آتيك ويلغو اذا كانت متعلقة بما قبلها
نحو انا اذن اكرمك وكذلك ان اعتمد ما بعدها على ما سوى المبتدا من شرط او قسم نحو لئن تاتني اذن اكرمك ووالله اذن
لا افعل واذا كانت بعد الواو والفاء العاطفة فمن جهة حصول الربط بدونها يكون الحرف [illegible] مستقلا [illegible]
فتعمل كما في قراءة عبد الله ومن جهة ان العاطف كالحرف في الارتباط حتى كان ما بعدها من تمام ما قبلها يكون كالعاطف للتوسط
بين المعمولين والمتأخر عنهما فتلغو كما في قراءة العامة كما قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ونحوه قوله تعالى واذا لا يلبثون
خلافك وقرئ لا يلبثوا وفي قولك ان تاتني آتك واذن اكرمك ثلاثة اوجه الجزم والنصب والرفع ام يحسدون الناس بل ايحسدون
رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه يعني انه لا ينبغي ان يكون وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله
من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين وكان بينهما
تلازم وتجاذب مع ان الحسد اقبح من البخل بما في يده لان الحسد في الحقد والغضب وفيه تسخط قضاء الله تعالى والا
عتراض عليه وانما صار الحسد تسخطا على الله واعتراضا عليه لانه تعالى عالم لا يجهل حكيم لا يفعل العبث ولا يضع الشيء الا موضعه
وكل ما اعطى العباد فهو الحكمة المحضة والحاسد المنعم عليه كانه يرى ان وضع الشيء في غير موضعه حيث يريد ازالة النعمة ولا يراه موضعا
لها فكانه ينسبه تعالى الى الجهل والعبث ان الله تعالى عن صفة الاوصاف وعلوا كبيرا لعنهم الله واكرمنا عن جميع مناهيه ووفقنا
لما يحبه ويرضاه انه حكيم خبير وعلى ما يشاء قدير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد [illegible]
حسد انه [illegible] وذهاب [illegible] بقول الحديث [illegible] في ظل العرش [illegible]
بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه وقال احدثك بعمله ثلث كان لا يحسد على ما آتاهم الله من فضله وكان
لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة فقد آتينا آل ابراهيم الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم
وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم وعن ابن عباس الملك في
آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فبين لهم كيف استكثر نساء داود وسليمان فكان لداود مائة وسليمان
ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية وعن ابي بكر الوراق كل شهوة تقسي القلب الا الجماع فانه يصفي القلب ولهذا كان الانبياء
يفعلون ذلك فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
بعض آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر وذلك لما اتى ابراهيم زرع الناس فهلك زرعهم وزكى زرع ابراهيم

فاحتا

فاحتاجوا اليه فكان يقول من آمن بي اعطيته فمن آمن به اعطاه ومن لم يؤمن منعه وقرأ ابن مسعود وابن عباس وعكرمة صد
ببناء المفعول وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم
ونكر سعيرا لانه نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى وهي النار الشديدة الاتقاد وعن الحسن انه من اسماء جهنم ان الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا في الآخرة وهذا بمنزلة البيان والتقرير لذلك وقرأ ابن عمر نصليهم
بفتح النون كلما نضجت جلودهم احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها غير الجلود المحترقة بان نعيدها
على صورة اخرى وعن ابن عباس يبدلون جلودا كامثال القراطيس وعن عمر قال للقارئ [illegible] فاعادها
وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى
وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وعن بعضهم يبدلون جلودا بيضا
كالقراطيس او بان يزول عنها اثر الاحراق ليعود احساسها للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع وقيل
يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع
عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات من جمع بين الايمان والعمل الصالح سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا مقيمين فيها ابد الآبدين قدم ذكر اعدائه ووعيدهم على ذكر اوليائه ووعدهم لان
الكلام فيهم لهم فيها ازواج مطهرة من دنس الظاهر والباطن والتنكير للتعظيم والتكثير وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
فيه لالتفاف الاشجار ودائما لا ينسخه الشمس ولا يحميها الحر ولا برد والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كقولهم شمس
شامس وليل اليل ويوم ايوم قال الامام المرزوقي ان من شأن العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما
يتبعونه به تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك قولهم ظل ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر وقال الضحاك يعني ظلال اشجار
الجنة وظلال قصورها وقال مقاتل ظلالا لا كظل الدنيا بل كانت القصور ظلا اي لا خلل فيه وقال الكلبي يعني دائما ولما ذكر الكفار
واوعدهم بالعذاب السرمدي [illegible] بذكر عباده المؤمنين وثوابهم [illegible] ومعاظم اللذات المسكن والمشرب والمطعم والمنكح
فوصف الاول بقوله جنات منكرا تعظيما وتكثيرا والثاني بذكر الانهار معرفا مرادا به الجنس والعهد والتنويع والثالث بقوله
وندخلهم ظلا ظليلا اذ لا بد لكل الاشجار من الثمار والرابع بقوله ازواج مطهرة في الخلق واكملها بذكر الخلود والدوام
في الرزق [illegible] فالآية دالة على كل النعم والسرور ورزقنا الله كل النعم
بمنه وكرمه انه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وقرأ ابن مسعود سيدخلهم بالياء وقرأ ابن وثاب والنخعي [illegible]
فيها ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم كل احد في كل امانة وان نزلت في عثمان بن طلحة فان العبرة
لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة كما كان يفعل وابى
ان يدفع اليه المفتاح وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله الكعبة وصلى
ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة وكان اشد فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا [illegible]
[illegible] الخطاب فقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل [illegible]

وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل بالانصاف والسوية إن الله نعما يعظكم به ما منصوبة موصوفة
بيعظكم اي نعم شيئا يعظكم به او مرفوعة موصولة به اي نعم الشيء الذي يعظكم به وعلى التقدير
ين المخصوص بالمدح محذوف وكانت قبل نعما يعظكم بهذا وهو الامر باداء
الامانات والعدل في الحكومات وقيل ما تمييز بمعنى شيئا او فاعل بمعنى الشيء ويعظكم صفة موصوف محذوف وهو المخصوص بالمدح
وفيه نظر وقرئ نعما بفتح النون على الاصل ويكون فيه وجوه اخر قدمت بيانها في قوله بئسما اشتروا به انفسهم اذ نكروا ان الله
كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فيها وفي بعض ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المقسطون عند الله على منابر من نور
على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين هم الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وعنه عليه السلام ان احب الناس الى الله يوم
القيمة امام عادل واشدهم امام جائر لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها والعدل في الحكومات امر الناس بان يطيعوهم
وينزلوا على قضاياهم بقوله يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال ابو هريرة المراد باولي
الامر الامراء والولاة واليه يميل علي حيث قال حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة واذا فعل ذلك
حق على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا ويعضده قوله عليه السلام من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وقوله عليه السلام من كره من اميره شيئا فليصبر عليه فانه ليس احد
من الناس يخرج من السلطان شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية وفيه دلالة بينة على ان المراد بالامام هو السلطان في قوله
عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وقال ابن عباس هم العلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم
واليه ذهب الحسن والضحاك ومجاهد استدلالا بقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم وقيل هم امراء السرايا وقال عطاء هم المهاجرون والانصار والذين اتبعوهم باحسان واحتج بقوله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين الاية وقال عكرمة اراد بهم ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وكانه احتج بقوله عليه السلام اقتدوا باللذين من بعدي
ابي بكر وعمر والاطلاق للحصر عند من لم يجوز اطلاق الجمع على الاثنين اللهم الا ان يقال مثل هذا يجوز ان يطلق على
الجمع والاثنين والمفرد لكن كلامهم في هذا المواضع بالجمع حتى هو ايضا اشار اليه بلفظ الجمع حيث قال ...
وعلى راي من يجوز ذلك وعن الحسن عن انس عن النبي عليه السلام مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا
بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهذا يؤيد الوجه الاول
اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات
وان ازم الاختلاف فردوه الى الله والرسول فارجعوا فيه الى الكتاب والسنة لا الى اولي الامر عن ابن عمر قال النبي عليه
على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعنه عليه السلام لا طاعة
في معصية الله انما الطاعة في المعروف رواه علي في الصحيحين واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤ
يد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت
بالرد اليهما على وجه القياس في قوله الرد الى الله والرسول ... ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك وهذا من باب التهييج فان الواجب على كل مؤمن ان يتصلب في الايمان ويتحمل الجهد

والمشا

والمشاقة فيه ذلك اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تأويلا اي عاقبة وقيل احسن تأويلا من تأويلكم
انتم بغير رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن
عباس ان منافقا يقال له بشر خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فقال
رسول الله عليه السلام انت الفاروق فالطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل وانما سمي طاغوتا لافراطه في الطغيان
وعداوة رسول الله او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا الجملة الاخيرة عطف على الجملة الحالية وتنبيه على الوجه الاخير للشيطان اي انهم انما
امروا ان يكفروا بالشيطان لا بكعب بن الاشرف وتعين الاولى للطاغوت باتحاد الوصف لا الذات وقد امروا ان يكفروا بمن هو
مفرط في الطغيان او مشابه بالشيطان وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بها على ان
الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها واذا قيل لهم تعالوا الى
ما انزل الله والى الرسول اي هلموا اليه وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا ثم ضم اللام لواو الجمع
بعدها والوجه فتح اللام لانها عين الفعل رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا يعرضون عنك اعراضا والصدود مصدر
مؤكد وقيل اسم المصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السداد غير محسوس والصد محسوس يصدون في موقع الحال
فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردون اذا اصابتهم مصيبة
كقتل المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ... ثم جاءوك
حين يعتذرون اليك عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال من فاعل جاءوك ان اردنا ما اردنا
بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا
وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله
فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب والاعتذار عند حلول باس الله فاعرض عنهم
اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم بالنصيحة عما هم عليه وقل لهم
في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم والغلظ عليهم في التخويف والانذار وقال الضحاك فاعرض عنهم وعظهم
في الملاء وقل لهم قولا في السر والخلوة وقيل هذا منسوخ باية القتال والظرف يعني في انفسهم متعلق بقل لهم اي قل
لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وهو ان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا
يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين
بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة
فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح والمبالغة فيه

المنافق

بالترغيب والترهيب وذلك مقتضي شفقة الانبيا عليهم وضعف تعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم
موثرا فيها التي يبلغ من قلوبهم كل مبلغ ويتمكن في نفوسهم تمكن المظروف في الظرف وعلل ذلك بان معمول الصفة لا يتقدم
للموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
اي وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع بسبب اذن الله في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه ويمتثلوا لما يا
به وفيه دلالة على ان من لم يرض بامره وان اظهر الاسلام كان كافرا جديرا بالقتل فان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع
كان من لم يطعه ولم يرض بامره وحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك فهو كافر مستوجب القتل ويجوز ان يراد بتيسير الله
وتوفيقه في طاعته وقيل بعلم الله وقضائه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك
تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله من ذلك بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول
واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا الى الله ومستغفرا وانما عدل عن الخطاب حيث لم يقل واستغفرت لهم
مع انه اخصر تفخيما لشان رسول الله عليه وتعظيما لاستغفاره حيث اسند الى لفظ ينبي عن علو رتبته وتنبيها
على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان وان من حقه ان يشفع في كبائر الذنوب ويقبل اعتذار من يتوب لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه توابا اي لتاب عليهم وقبل توبتهم وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا
من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم وقوله
لا يؤمنون جواب القسم فان قيل هلا يجوز ان تكون لا مزيدة لتظاهر لا في لا يؤمنون ومساوتها والتنبيه من اول الامر على ان
القسم نفي اجيب بانه يجيء قبل القسم سواء كان الجواب نفيا او اثباتا يدل على انها لتاكيد القسم لا لمضاهرة النفي في الجواب فانها قد
جاءت في النفي والاثبات وهو قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم لان قوله انه لقول رسول كريم
مثبت فلو كانت لتظاهر النفي لما جاءت في الاثبات حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك
في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين وهذا يلائم القول بان الايمان هو المعرفة والاعتقاد والاول يلائم القول بانه
التصديق اي الاذعان والقبول ويسلموا تسليما وينقادوا ويذعنوا لما تقضي به جميعا حتى لا يصدر منهم الاباء
والجحود على شيء من قضائك فلا يكونوا مؤمنين وتسليما تاكيد للفعل كتكرير وينقادوا لحكمك انقيادا بظاهرهم
وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وعن عروة بن الزبير ان الزبير كان يحدث انه خاصم رجلا من الانصار
قد شهد بدرا الى رسول الله عليه في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة وله فلما احفظ
رسول الله استوعب الزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون
انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة
منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن
شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن

مسعود

مسعود وعمار بن ياسر فقال عليه السلام والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من
الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك
فنزلت الاية في ذلك ونزلت في شان هولاء القايلين الاية الثانية وهي قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم
حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل منهم وفيه توبيخ عظيم حيث جعلهم اقل
انقيادا من بني اسرائيل والرفع على البدل من الواو في فعلوه ونصبه ابن عامر ليس هولاء غاصبا بل الموضع جميعا وقرأ
ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في
نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى
الهمزة المتصل بالفعل وقرأ ابن عامر قليلا منهم بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا مما قالت الضمير
في فعلوه الام يرجع قلت الى كل من مصدري الفعلين او الى المكتوب الذي دل عليه كتبنا ولو انهم فعلوا ما يوعظون
من طاعة الرسول والاتباع والانقياد لحكمه لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم
واجلهم واشد تثبيتا تحقيقا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه او لثوابا لعالهم ونصبه على التمييز واذا
لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبت فقيل واذا
والله لاتيناهم فالكلام جواب قسم مضمر كما قال الامام المرزوقي في قوله اذا لقام بنصري معشر خشن ان الكلام
يمين مضمر والتقدير اذا والله لقام وقدر بعضهم الشرط بعد اذا اي واذا لو ثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب
وجزا وهو انما عطف على لكان خيرا لهم او على جملة لو انهم فعلوا وانما استهانه كما بينا وقوله من لدنا اجرا
عظيما مثل قوله ويوت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطا المتفضل به من عنده وهو النظر الى وجهه والاستغراق
في معرفته ومحبته بقرينة من لدنه لان الكل من عنده فلولا القصد الى ذلك لما احتيج الى ذكره وسماه اجرا لانه تابع
للاجر لا يجب الا بثبات والمعنى لاعطيناهم من عندنا على سبيل التفضل عطا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما
ولثبتناهم ووفقناهم للازدياد في الخيرات ... ناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح
عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم هذا كقوله عليه السلام من دخل دار ابي سفيان فهو امن الوارد بعد من موصولة كانت
او شرطية بسبب الجزوم الانعام وكلا من هذا ترغيب للمومنين في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم عباد الله
واعظمهم قدرا من النبيين حال من الموصول او من الضمير في عليهم والصديقين جمع صديق وهو من امن بالله
ورسله القول تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والتاويل بانهم عند الله بمنزلة الصديقين
خلاف الظاهر فانه يمنع للمغايرة تعريف الطرفين وضمير الفصل الا انهم على طبقات في مراتب متفاوتة كالشهداء
والصالحين افضلهم افضل من صحب الانبيا كابي بكر الصديق ... وايضا الوعد بان يجعل الله من امن به ورسله
من الصديقين يعني الذين هم افاضل اصحاب الانبيا دلالة على ان الصديقية مخصوصة في هذا الايمان وتنبيها على جلالة
هذا الايمان وان من الله بمكان وترغيبا للمومنين في الثبات عليه ولاهل الكتاب في الانتظام في حكم والشهداء والصالحين

وقيل المراد بالشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وهو الملائم بالاطلاق وقيل الذين استشهدوا
يوم احد وهذا تقييد لا دليل عليه وعن عكرمة النبيين ههنا محمد صلعم والصديقين ابو بكر والشهداء عمر وعثمان
وعلي والصالحين سائر الصحابة والجار والمجرور في موقع النصب على انه حال من الذين او من ضميره وعن بعضهم
قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون
بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات
واخرى بمعارج التصفية والرياضة الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها كما هي ثم الشهداء الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان
او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء
قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم
وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون
السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين فيستعمل استعمال نعم المدح
ويجيء بفاعله معرفا بلام الجنس والمخصوص بالمدح و رفيقا نصب على الحال او التمييز والاشارة الى الاربعة المذ
كورين او التمييز لانه من الاوصاف الجارية مجرى الاسماء المستوى فيها الواحد والجمع كالصديق والخليط
ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس من غير نظر الى تعدد الانواع فيكون تمييزا من اولئك باعتبار الجنس ولا يجب المطابقة
لحاقه بالاسماء كما ثم روي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه
فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال يا ... ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك
واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك
عن جماعة من الصحابة وعن الشعبي ان انصاريا اتى النبي صلعم فقال والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي
وولدي واهلي ولولا اني آتيك فاراك لرايت اني سوف اموت وبكى الانصاري فقال عليه السلام
ما ابكاك قال ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يجبه بشيء
فنزلت وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي اري الاذان وذكر
ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه واخبره ان النبي صلعم توفي فقال اللهم اذهب بصري
حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره وعن قتادة ذكر لنا ان رجالا قالوا هذا نبي الله نراه في الدنيا واما
في الآخرة فيرفع بفضله فلا نراه فانزل الله ومن يطع الله والرسول الآية ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر
العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم او الى فضل اولئك المنعم عليهم ومزيتهم وقوله

الفضل

الفضل صفة اسم الاشارة من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال العامل فيه معنى الاشارة
او صفة للفضل لكونه في معنى النكرة والمجموع في موقع الخبر بذلك والمعنى ان ذلك فضل من
الله ورحمة اتاها اياهم عن ابي هريرة قال رسول الله صلعم قاربوا وسددوا واعلموا انه لا ينجو احد منكم
بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل فلا ثواب
بالاستيجاب ولا توفيق للاستحقاق بل الكل فضل من الله يؤتيه من يشاء وقوله وكفى بالله
عليما في معرض التذييل لذلك اي هو العليم بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تشبيه الحذر بالسلاح استعارة بالكناية بقرينة ايقاع
الاخذ عليه تخييلا والاخذ على معناه الاصلي والمجاز انما هو في ايقاعه على الحذر والحذر والحذار
واحد كالاثر والاثر والمعنى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اي فاخرجوا
الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا
تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وهي جمع ثبة من ثاب اليه قومه اذا وفدوا جماعة بعد جماعة
وقيل من ثبت على فلان تثبيته اذا ذكرت متفرق محاسنه وتجمع ايضا على ثبين قال ابو عيينة وانشد
لعمرو بن كلثوم واما يوم خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصبا ثبينا والآية وان نزلت في الحرب لكن اطلاق
لفظها يقتضي وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات وقرئ فانفروا بضم الفاء
وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد والخطاب لعسكر النبي صلعم المؤمنين و
المنافقين والمبطئون منافقوهم من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وهو غير المتعدي او
ليبطئن غيرهم وليثبطنه عن الغزو كما بطأ عبد الله بن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ
كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء وتدخل على اسم ان اذا تقدم الخبر كما في هذه الآية والا فعلى
الخبر كقوله ان الله لغفور والثانية جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
والقسم بجوابه صلة من والعائد اليه ضمير ليبطئن والصلة جملة خبرية مؤكدة بالقسم واما الانشائية
فجرد القسم وهو اقسم بالله وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ عني ثقل
ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا لما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله والمراد فضل مخصوص هو الفتح و
الغنيمة لوقوعه في مقابلة مصيبة مخصوصة وليلائم الخصوص تطبيق الوقوع فلذا استعمل مع ان دون
اذا وانما استعمل في الفضل فعل الماضي اما لفظا فلالتزامهم ذلك في الشرط الداخل عليه اللام الموطئة
واما معنى فلان الله ذو الفضل العظيم فيه شائبة التحقيق ليقولن اكد تنبيها على فرط تحسرهم وقرأ
الحسن ليقولن بضم اللام حملا على معنى من فان القسم فيه ما يؤول اليه فان المعنى وان منكم للطائفة
التي تبطئ عن الغزو كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين معموله وهو
يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنصيص على عدم مصادقتهم وسوء عقيدتهم والتنبيه على انهم يحبون

نصيبهم

بخير يصيب المؤمنين كانه يفرح ن بشر والمعنى كان لم يتقدم له معكم مودة لان المنافقين كانوا
يوادون المؤمنين في الظاهر وان ابغضوهم في الباطن والظاهر انه تهكم لانتفاء المودة قطعا فان لا
تدور بينه لنفاقهم وسوء اعتقادهم وشدة حقدهم وحسدهم للمؤمنين فكيف يوصفون بالمودة
الا على وجه التهكم فهكذا جعلهم او حال من الضمير في ليقولن اي ليقولن المبطي من ثبطه من المنافقين و
ضعفة المسلمين تطرية وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز
يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا
ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص تكن بالتاء لاسنادها
الى المودة والباقون بالياء بناء على ان المودة في معنى الود وان تانيثها غير حقيقي وان الفصل بين يكن وبينها
بينكم وبينه قايم مقام علامة التانيث والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه
على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرا بالرفع على تقدير المبتدا اي فانا افوز في ذلك الوقت او
على انه عطف على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا فليقاتل في
سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها والمعنى ان بطا هؤلاء فليقاتل
المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة امروا بان يثبتوا على القتال او الذين يشترون الحيوة الدنيا
بالاخرة والضلالة بالهدى وهم المبطئون المثبطون امروا بان يتركوا ما هم فيه من النفاق وسوء
الاعتقاد وان يجاهدوا كما جاهد المؤمنون الذين تركوا الدنيا واختاروا الاخرة والفاء في فليقاتل
للتعقيب يعني ينبغي لهم ان يعقبوا ما صدر عنهم من التثبيط عن القتال والثبات على النفاق بالدخول في القتال
والخروج عن النفاق والمراد حثهم على ترك ما هم عليه ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم قتل او غلب تحريضا على القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في القتال وان لا يلتفت الى ما عدا
من القتال ولا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء كلمة الله واعزاز دينه كما يشعر به قوله في سبيل الله
اي لاجله وبسببه وعن رسول الله صلعم تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله
وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وعنه عم مثل
المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصايم الذي لا يفتر من صلوة ولا صيام حتى يرجعه الله الى اهله بما
يرجعه من غنيمة او اجر او يتوفاه فيدخله الجنة وعن ابن عباس قوله اجرا عظيما يريد ثوابا لا يوصف وقرا
اليماني والاعمش وطلحة فيقتل او نغلبه بالنون والاعمش فسوف يؤتيه بالياء وما لكم مبتدا وخبر
قوله لا تقاتلون في سبيل الله حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي
وما لكم قاعدين عن القتال في سبيل الله والواو في والمستضعفين واو العطف والمعنى وما عذركم في
ترك القتال او واي عذر لكم في ترك القتال والذين استضعفوا بمكة من المؤمنين والمؤمنات يدعون
الى الله ويدعونه بالخلاص من الحبس والعذاب قال ابن عباس يريد قوما بمكة قد استضعفوا وحبسوا

وعذبوا قال وكنت انا وامي من المستضعفين والجمهور على انه عطف على سبيل الله اي في سبيل
الله وفي خلاص المستضعفين لا على اسم الله وان كان اقرب على ما زعم بعضهم لان خلاص المستضعفين
سبيل الله لا سبيلهم ويجوز نصبه على الاختصاص يعني واخص من سبيل الله خلاص المستضعفين
لان سبيل الله يعم ابواب الخير وخلاص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار من اعظمها واخصها من الرجال
والنساء والولدان بيان للمستضعفين وفي ذكر النساء والولدان اشارة الى تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الى اضعف الناس وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء جمع وليد الذين يقولون ربنا
اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها قال ابن عباس كانوا يدعون الله يقولون ربنا اخرجنا الى المدينة
دار الهجرة من هذه القرية التي جعل اهلها الشرك وانما خفض الظالم لانه نعت لاهل فلما عاد الاهل
على القرية صار كان الفعل لها قال الفراء وقيل اللام بمعنى التي ولم يونث اسم الفاعل وان كان نعتا للقرية
في اللفظ لانه قد عمل في الاسم الظاهر المذكور وهو اهلها وكل اسم فاعل اذا جرى على غير من هو له فتذكيره
وتانيثه على حسب الاسم الظاهر الذي عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا اي
من لدنك من يلي امرنا ومن يمنع العدو عنا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي
بعضهم الى الفتح حتى جعل لهم من لدنه خير ولي وناصر ففتح مكة على خير الانبياء وسيد المرسلين محمد صلعم فتولاهم
احسن ونصرهم اقوى النصر ثم استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد وهو ابن ثماني عشرة سنة فراوا منه الولاية و
النصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة وراى النبي عليه
اسيدا في الجنة بعد موته على الكفر فاستيقظ وقال ذلك ابنه عتاب فشهد له بالجنة وفي الاية دلالة
على وجوب الخروج من قرية ظالمة الى قرية صالحة والانتقال من الاستضعاف عند الشدايد وعن ابي سعيد عن
النبي صلعم انه قال ان رجلا قتل تسعة وتسعين رجلا فخرج يسال هل له من توبة فاتى راهبا فقال ليس لك توبة
فقتل الراهب ثم جعل يسال ثم خرج من قريته الى قرية فيها قوم صالحون فلما كان في بعض الطريق ادركه الموت
فناى بصدره ثم مات فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وكان الى القرية الصالحة اقرب فجعل
من اهلها الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اي لاجله وقيل فيما يصلون به الى الله وقيل في طاعة الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي لاجل الشيطان وقيل فيما يبلغ بهم الى الشيطان وقيل في طاعة الشيطان
فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده ومكره للمؤمنين بالنسبة الى كيد الله لهم
ضعيفا لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه وقال ابن عباس اذا رايتم الشيطان
فلا تخافوه واحملوا عليه وتلا ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال مجاهد كان الشيطان يتراءى لي في الصلوة فا
قرا ابن عباس فاحمل عليه فيذهب عني الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال وذلك ان المسلمين
كانوا مكفوفين عن القتال في قتال الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال بالمدينة عطف على قيل لهم وجواب لما محذوف
قوله اذا فريق منهم يخشون الناس اي يخشون فريق منهم وامتنع خوفا من الموت على ما يقتضيه ما جبل عليه
قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون

وجماعة من الذين اسلموا بمكة وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا قبل ان يهاجروا وقالوا يا رسول
الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجروا
الى المدينة وامروا بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم خوفا وجبنا لا شكا في الدين ولا رغبة عنه
وقوله يخشون الناس وهم مشركوا مكة خبر فريق ومنهم صفته واذا للمفاجاة كخشية الله في موضع المصدر
او الحال من فاعل يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف على تقدير الحال
دون الاول لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا
عن ضمير يخشون ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول يخشى فلان اشد خشية فتنصب خشية مرادا بها
المصدر وانما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم
الا ان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية
اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او
كخشية اشد خشية منها وقيل هو من عطف الجمل اي يخشون الناس كخشية الله او يخشون الناس اشد خشية
على ان الاول مصدر والثاني حال وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال قيل لم كتبت علينا القتال استعفاء
لا اعتراض لان الاعتراض على الله كفر وفيه دلالة على ان القائلين به المؤمنون لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت وقيل قال ذلك جماعة المؤمنين الذين لم يكونوا راسخين
في العلم فاوجبنا لا اعتقادا ثم تابوا والمؤمنون يختلفون في قوة اليقين ولضعف البصيرة وقيل يحتمل
انهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في انفسهم فحكى الله عنهم وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال
نافقوا وشق عليهم وسقط في ايديهم ونافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد وبالجملة فهو كلمة كبيرة لا ينبغي
ان يتفوه بمثل ذلك مؤمن ولا ينطق به لسان والمعنى هلا تركتنا حتى نموت باجالنا قل متاع الدنيا قليل
اي منفعتها والاستمتاع بها قليل اي سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى اي ثواب الاخرة افضل لمن اتقى
الله ورسوله ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء او شيئا من ثواب اعمالكم فلا ترغبوا عن القتال
او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون بالياء لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في الجملة الاسمية ومنه من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه
كلام مبتدا واينما متصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم
حروب او غيرها والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا ويجوز ان يقال الحمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو
اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير بقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه اي جار على قواعد فانه كثيرا ما يجعل المتوهم كالمحقق ومن
قرا يدرككم بالجزم فعلى تقدير الفاء وقرا طلحة يدرككم بغير ادغام ويدرككم بالنصب ولو كنتم في بروج حال
من يدرككم ان جملة بمعنى الاستقبال اي وان تكونوا في بروج اي قصور او حصون وهي في الاصل
بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت مشيدة مرتفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه
او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء [illegible]

وما قالوا فرد الله عليهم بقوله اينما تكونوا الاية وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ليس المراد ههنا مطلق الحسنة والسيئة وهو ظاهر بل نوع مخصوص منها
وهو الخصب والرخاء وكذلك السيئة لان الاية نزلت في اليهود لعنوا حيث تشاءموا برسول الله عليه السلام وقالوا
منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق
ويقبضها حسب ارادته اي كل من النعمة والبلية من الله لا فاعل لها سواه ولا واسطة في ابلائهم وانعامهم
دون النبي على ما زعموا والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط
وشؤم اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى
وصالح وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد يقولوا هذه
من عندك اي انت الذي حملتنا عليه ثم وصفهم بالجهل وقلة الادراك بقوله فما لهؤلاء القوم يعني اليهود
لا يكادون يفقهون حديثا يفهمون معنى القران فانهم لو فهموه لعلموا ان الكل من عند الله ولا فاعل لها
سواه او حديثا ما كبهائم لا فهم لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب وتمام الرد بقوله ما اصابك يا انسان خطاب لجميع نوع
الانسان من حسنة من نعمة واحسان وفيه دلالة على ضعف ما قال الاشعري من ان ما اعطى
الكافر في الدنيا من النعم كالغنى وسلامة القوى والانتهاء ونحو ذلك ليس نعمة وليست بنعمة لانها سبب
العذاب والنعمة ما يتوسل به الى الثواب فمن الله تفضلا منه واحسانا فان جميع طاعة الانسان لا
توجد فكيف بالغير وما اصابك من سيئة من بلية ومصيبة فمن نفسك لانها السبب فيها بما اكتسبت اي
اي بفعلك قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله
فان الكل منه ايجادا لها وايصالا لا غير ان الحسنة اختبار وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قال عليه السلام
لا يصيب رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعن علي ابن ابي طلحة
ان ابن عباس قرا هذه الاية ثم قال الحسنة والسيئة من الله اما الحسنة فانعم الله بها عليك واما السيئة
فابتلاك بها وروي عنه مجاهد انه كان يقرا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
وانا كتبتها عليك وكذلك في قراءة ابي وابن مسعود وعن ابن عمر عن النبي عليه السلام تحاكم جبرئيل وميكائيل
الى اسرافيل فقضى بينهما ان الحسنات والسيئات من الله وقرا ابن مسعود وزيد بن علي فمن نفسك اي ما
اصابك من حسنة وسيئة فمن الله فاني نفي بقدر نفسك وارسلناك للناس رسولا تمييزا للناس للاستغراق
اي ارسلناك رسولا لجميع الناس لا لبعضهم الذي هم العرب كما زعم بعض الكفرة وما ارسلناك الا كافة
للناس قالوا وانما لم يحمل على العهد او للجنس لان الناس لا العالم والغالب للجنس الناس للجن فيصار الكلام
الناس لا الجن للجن وكلا المعنيين فاسد لانه رسول لكل الناس لا لبعضهم خاصة وللانس والجن لا
للانس خاصة وهذا الكلام في امرين احدهما جعل الغالب المعهود هو الكل وانا يقابله البعض
الاخر من الجن فالاولى ان يقال لو حمل على العهد لكان المعنى لمن الحصة من الناس كالعرب فلا
خفي الاثر

كالعجم وثانيهما جعل للناس متعلقا برسولا قدم للتخصيص وانما هو متعلق بارسلناك اي وحال من رسولا
وقد كان وصفا له في الاصل فلا يكون من التقديم على العامل بل من تقديم بعض المعمولات على البعض وهو ليس
للتخصيص بل المراد ان التقييد بالحال ايضا تخصيص بمنزلة الوصف فيدل بحكم مفهوم المخالفة على نفي المقابل
ويتم الكلام ورسولا حال مؤكدة او مصدر وكفى بالله شهيدا على رسالتك وحقيته رسالتك فلا يخرج عن طاعة عنك
الا الخارج عن طاعة وتلك فوجب على كل احد ان لا يخرج عن طاعته واتباعه في جميع ما امر به ونهى عنه وقيل
شهيدا على ان الحسنة والسيئة كلاهما من عند الله والاحسن ان يقال شهيدا على جميع ما ارسل اليك ليعم ما ذكر
كله وذلك لوروده مطلقا والتقييد خلاف الظاهر من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر بشيء ولا
ينهى عن شيء الا بوحي الله فطاعته طاعة الله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد
اطاع الله وقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما
اتخذت النصارى عيسى فنزلت وقرا الربيع من حيث من لطاع الرسول ومن تولى عن طاعتك فاعرض عنه
فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وهو الكاف ويقولون
اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب ورفعها للدلالة على ثباتها و
استقرارها ومنه قول القايل حمد الله وثناء عليه وروي النصب عن زيد بن علي فاذا برزوا من عندك
اي خرجوا بيت طائفة منهم دورت طائفة وسودت غير الذي تقول خلاف ما قلت لها او خلاف ما قلت
لك من الطاعة والقبول لانهم ابطنوا العصيان لا الطاعة والرد لا القبول وانما ينافقون بما يقولون
ويظهرون وقال ابن عباس بيت اي غير الذي عهد اليهم النبي عليه والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء
الامر وتدبيره بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يدبر ويسوى وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة
بالادغام لقربهما في المخرج وقرى الطين يقول بالياء والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايفهم للمجازاة
او في جملة ما يوحي اليك لتطلع على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم وقرا ابن محيصن يكتب ما يبيتون
بادغام الباء في الميم قال ابو حاتم يجوز ذلك لان مخرجهما واحد فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام انتقام
منهم وقيل لا تعاقبهم وقيل لا تخبر باسمائهم منع عليه السلام من الاخبار باسماء المنافقين وعن
ابن عباس فاصفح عنهم قال وكان نهي عن قتالهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا
يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وما يؤول اليه
في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل وتصفح ولو كان من عند غير الله اي لو كان من كلام البشر كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه
بحيث يكون بعضه واصلا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني
وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه مطابقا للواقع دون بعض فان الكلام الطويل ولو من البليغ
مخصص لا يخلو عن غث وسمين ولو وكك ومبين عادة لنقصان القوة البشرية وقران العظيم مع طوله
خال عن امثال ذلك لكونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة ولا ينبغي لاحد معارضة

والاتيان بمثله وفي ذلك دلالة قاطعة على انه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر
واما نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان فليس باختلاف عند المتدبرين اذ لا منافاة بين كون العصا ثعبانا وكونه يشبه الجان
ولا امتناع في ان يسالوا في موقف دون موقف او وقت دون وقت ولذلك اجمع المحققون على ان
الاختلاف المنفي في الاية انما هو التناقض والاضطراب في النظم المخل بالبلاغة التي لاجلها وقع التحدي
والالزام بكونه من عند الله لا الاختلاف في الاحكام الشرعية فانه واقع قطعا ولا ينكر انتهائه
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة
المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استنباط للامور اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه او
اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم
مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اي ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم اي
الى رايه والى راي كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا
وقرئ لعلمه بكسر اللام والتين الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بذكائهم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المؤمنين ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وكانوا امسكت حتى الاجيف تسمعه منهم وتعلم هل هي مما يذاع اولا
يذاع لعلم ذلك هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون
علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البير اول ما تحفر ثم استعير لاستخراج
ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه وجودة طبيعته من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لولاهما لا اتباع النبي لوجود غيره والفضل التفضل والرحمة الترحم والمعنى ولولا اي تفضلت
ان تفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها ارسال الرسول وانزال الكتاب وان ترحم عليكم
في الاخرة بالعفو والمغفرة لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم بفضل الله عليكم بعقل
راجح اهتدي به الى سواء الطريق او عصمه عن اتباع الشيطان كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهما
سواهما او الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله جواب شرط محذوف اي ان لم يوا فتولك فقاتل انت وحدك لا تكلف
الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك
كما ينصرك وحولك الالوف روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله
القتال فيها فكره بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده و
قري لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين
وما عليك من شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا عسى
اللغة للطمع وهو من الله عليه واجب فان عسى وعد الله على عادة الملوك حيث يقولون في بعض الحوايج
عسى او لعل فلا يبقى للمحتاج شبهة في تمام ذلك والله لا يخلف وعده فهو هنا للتحقيق كانه قيل ان الله يكف

باس الذين كفروا وقد كفت باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا
السويق ولا يلقونه الا في عام مخصب فرجع بهم والباس والبوس الشدة وتسمى الحرب بأسا لشدتها وقرا
زيد بن علي ان يكف بضم الياء وسكون الكاف وكسر الفاء والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا
من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع عنه بها ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء وجه الله ومنها الدعاء
لمسلم قال عم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو
ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب
من وزرها وهو مساو لها في القدر وقيل الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس والسيئة هي الغيبة
واساءة القول فيهم وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال الزبير وذي ضغن
كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموال الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت
او شهيدا وهو العالم بالغيب والحاضر او حفيظا وقد يجيء بمعنى خالق الاقوات وبمعنى المقتدر وكلاهما لا يلايم
ههنا واشتقاقه من القوت لانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
التحية في الاصل مصدر حياك الله من الحياة ثم سمي ما يحيى به من سلام ونحوه تحية ومن ثم جمعت على تحيات
وتحايا وحقيقة حيي فلانا قال له حياك الله اي عمرك واحياك واطال حياتك ونظيره قولهم صلى على النبي
اي دعا له اي قال له صلى الله عليك ومن فسر التحية في هذه الاية بالعطية وكذا من ادعى ان حقيقتها الملك
وانما هي مجاز وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يحيون الملوك بقولهم ابيت اللعن ولا يخاطبون به غيرهم حتى
ان احدا اذا تولى الامارة والملك قيل له فلان نال التحية وقال الامام محيي السنة التحية هي دعاء
الحياة والمراد بالتحية ههنا السلام اذا سلم عليكم احد فاجيبوا باحسن مما سلم والمراد باحسن منها الزيادة
في الجواب وان المسلم اذا قال السلام عليك فيقول المجيب عليك السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليك
ورحمة الله فيزيد وبركاته وروي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال عليك
السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال
اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله ورد السلام ورجع جوابه بمثله وجواب التسليمة واجب والتخيير
انما وقع بين الزيادة وتركها ويدل على وجوب الجواب قوله فحيوا وهذا الوجوب على الكفاية وعن ابن عباس
الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه
الملائكة وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابي يوسف من قال لاخر اقرأ فلانا مني السلام وجب عليه
ان يفعل ولا يسلم على من يسب الناس او ينظر في وجوه النساء ولا يعرف توبته ولا على الكذاب او اللاغي او
الشيخ المازح او المرتد ولا على من جلسوا في المسجد للقراءة او التسبيح او انتظار الصلاة لانهم ما جلسوا فيه لدخول
الزائرين عليهم فليس هذا اوان السلام ولهذا قالوا لو سلم عليهم الداخل وسعهم ان لا يجيبوه ولا يسلم المتفقه على
استاذه ولو فعل لا يجب رد سلامه وكذا الخصمان اذا سلما على القاضي ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة
القران وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني

والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وعن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بالازلام والشطرنج
والنرد وما كان من هذه فلا تسلموا عليهم فان سلموا عليكم فلا تسلموا عليهم وكان
الطحاوي المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي عليه السلام انه تيمم لرد السلام
قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ولا يرد عليها ان كانت
شابة ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار
والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد
يعني الجهر الكبير وعن ابن عمر ان رسول الله عليه السلام قال ان اليهود اذا سلم عليكم
احدهم فانما يقول السام عليك فقل عليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام و
لا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله
فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وعن النخعي يجوز ان يبتدا اهل الذمة بالسلام اذا دعت
الى ذلك حادثة تحوج اليهم وعن ابي حنيفة لا تبتدا بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا
تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل والسلام على من اتبع الهدى وليت شعري كيف يلايم
بقوله عليه السلام سلموا اليهود والنصارى ولا تسلموا على يهود امتي الحديث وعنه عليه
السلام اذا سلم عليك اليهودي فقل عليك فانه يقول السام عليك ولا باس بالدعاء له
بما يصلحه في دنياه ولا باس بمصافحة المسلم جاره النصراني اذا رجع بعد الغيبة ويتاذى
بترك المصافحة وقيل السلام انما يكون على من جلس للتحية والزيارة ان الله كان على كل شيء حسيبا
اي محاسبا يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها فطوبى لمن لا يرى الناس ولا يحاسبهم علمه
حسابه وقلة وقوفه وقال مجاهد حفيظا وقال ابو عبيدة كافيا يقال حسبي اي كفاني
الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والجملة وقعت بيانا للوحدانية او لا اله الا هو اعتراض
والخبر قوله ليجمعنكم الى يوم القيمة واللام جواب قسم محذوف اي الله والله ليحشرنكم الى
يوم القيمة والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيام الناس من القبور او قيامهم
للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين لا ريب فيه اي في ذلك اليوم او الجمع وهو حال
من اليوم او صفة المصدر وقيل الى بمعنى في كانه قيل في القيمة وقيل ليجمعنكم من القبور مفضين
الى حساب يوم القيمة وقيل ليجمعنكم في البرزخ الذي بين الموت والبعث الى يوم القيمة ومن
اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اصدق منه اي لا اصدق منه لانه صادق لا يتطرق
الكذب الى خبره بوجه ولا يجوز ومن سواه من الصادقين ليس كذلك لان الكذب يعتري
على الشأن لا يتطرق الى سرادقات قدسه شائبة النقصان وايضا الكذب الذي هو
الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه اما للاحتياج اليه جلبا لمنفعة او دفعا لمضرة

وأما الجهل بقبحه وأما للسفه وعدم الفرق بين الصدق والكذب في الأخبار و
الكل على الله محال فإنه عز وعلا غني لا يجوز عليه الحاجة عالم لا يجوز عليه الجهل حكيم لا
يجوز عليه السفه وقرأ حمزة والكسائي كل صاد ساكنة بعدها دال بحرف بين الصاد والزاء
والباقون بالصاد الخالصة وهو اثنى عشر موضعا اثنان في هذه السورة وثلثة في الأنعام
وسبعة في سبع سور الأنفال ويونس ويوسف والحجر والنحل والقصص والزلزال فما لكم في
المنافقين فئتين قال مجاهد هم قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول
الله صلعم إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون في
إسلامهم وقال زيد بن ثابت لما خرج النبي عليه السلام إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان
الصحابة فرقتين فرقة كانت تقاتلهم وفرقة لا فنزلت وقيل هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا
إلى رسول الله إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن وقيل هم العرنيون
الذين أغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون
المشركون والمعنى ما لكم أيها المؤمنون اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه
فرقتين وما لكم لا تبتوا القول بكفرهم وفئتين حال من معنى الفعل في ما لكم كقولك ما لك قائما
بمعنى ما تصنع قائما وفي المنافقين متعلق بما دل عليه فئتين من معنى الاختلاف والتفرق والله
أركسهم أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا جزاء بما عملوا من الارتداد والاحتيال
أو أركسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم أتريدون أن تهدوا
من أضل الله أن تجعلوه من المهتدين وقيل أن تقولوا إن هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله ومن
يضلل الله ومن يخلق الله فيه الضلال فلن تجد له سبيلا إلى الهداية ذم عليهم وإيذان
بأن من لم يسلم وجهه لله ولم يجاهد في سبيله فلم يعنهم ولم يرشدهم إلى نيل الكرامة
السنية والاختصاص بالهداية التي هي أس السعادة الدنيوية والدينية ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم شرعا واحدا فيما هم عليه
من الضلال واتباع دين الآباء وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز وقرأ
الشعبي فيكونون سواء بالياء أي يستوون معكم فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل
الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا
في سبيل أي في الله أي لأجله وبسببه وقيل سبيل الله ما أمر بسلوكه فإن تولوا فإن أعرضوا
عن الإيمان المظاهر بالهجرة وقيل أو عن إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
في حل أو حرم كسائر الكفار ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا
منهم ولاية ولا نصرة إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم أي إلا الذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم ويتصلون بهم والقوم هم خزاعة

وقيل هم الأسلميون فإنه عليه السلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي
على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي
لهلال وقال الضحاك عن ابن عباس أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد
مناة كانوا في الصلح أو جاؤكم عطف على صفة قوم ظاهرا وأما في التحقيق فهو من عطف موصوف بصفة
على موصوف بصفة أخرى كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال
لا عليكم ولا لكم وكذا الكلام إذا جعل عطفا على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون
بالمعاهدين أو الذين كفوا عن قتالكم وهذا أظهر من الأول لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
وألقوا إليكم إلى آخره الضمائر الواقعة بعد والعاطفة كلها راجعة إلى الموصول بخلاف العطف
على الصفة فإنها حينئذ راجعة إلى قوم فيلزم بعض انفكاك النظم على أن ضمير اعتزلوكم لا يعود إلى قوم
وقرأ أبي جاؤكم بغير العاطف على أنه صفة بعد صفة لقوم أو بيان ليصلون أو استئناف كأنه قيل كيف
وصلوا إلى المعاهدين ومن أين علم ذلك أو بدل منه بدل الكل أو البعض أو الاشتمال حصرت صدورهم
حال بإضمار قد بدليل قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل
صفة لموصوف محذوف أي أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لقوله جاؤكم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أي ضاقت وانقبضت
صدورهم أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم من جهة العهد الذي بينكم
أو يقاتلوا قومهم معكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم جملة معترضة للامتنان على المؤمنين
والدلالة على أن تركهم للقتال بسبب أن الله لم يسلطهم وقذف في قلوبهم الرعب وقوله فلقاتلوكم
عطف على لسلطهم عطف الجواب على الجواب وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد وهو أبلغ
في الامتنان فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم أي فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم أي
الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام وفتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أي فما
أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من
أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين
فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى الكفر
وإلى قتال المسلمين وقرأ الأعمش وابن وثاب ردوا بكسر الراء أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا
فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو وقرئ وركسوا فيها على جمع التفعيل مكان
الإفعال رواه الأعمش عن ابن مسعود وروي أيضا عنه ركسوا بالتخفيف هكذا ذكر في
كتاب غرائب القراءات فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويبدوا إليكم العهد ويكفوا أيديهم
عن قتالكم فخذوهم أي خذوهم أسارى ومنه قيل للأسير أخيذ واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

حجة واضحة في التعرض لهم بالاسر والقتل لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم و
غدرهم واضرارهم باهل الاسلام او سلطانا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا العرب يستعملون كان في معنى صح وتجب ثم لما ارادوا نفي الامر
ما بلغ الوجوه قالوا ما كان لك ان تفعل كذا حتى استعمل فيما هو محال وقريب منه نفي الاول
قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد ومن الثاني قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطاء اي ما صح لمؤمن ولا استقام ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص وقوله الا خطأ
الا على وجه الخطاء منصوب على الحال او المفعول له اي ما ينبغي ان يقتله في حال من
الاحوال الا في حال الخطاء او لا يقتله لعلة من العلل الا للخطاء وحده او على انه صفة مصدر
الا قتلا خطاء وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطا فجزاؤه
ما يذكر والمراد بالخطاء ههنا عدم التعمد في القتل بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا
على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد كعصا بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي
ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل الهجرة
النبي صلعم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه
الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال
اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا
عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث
لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم
هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه
فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلعم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل
مؤمنا خطاء فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق
الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرائمها
وحر الوجه لاكرم موضع منه والرقبة عبارة عن النسمة وهي النفس كما عبر عنها بالراس في قولهم
فلان يملك كذا راسا من الرقيق مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة وعليه الجمهور وعن الحسن
لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار
فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة
الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ودية
مسلمة الى اهله اي دية مؤداة الى اهل القتيل وهم الذين يرثونه يقتسمونها كسائر المواريث
لا فرق بينها في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان
المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال انا وارث من لا وارث له وعن عمر انه قضى بدية المقتول

فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون
عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلعم يامرني ان اورث
امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث
من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام
الجنين وحدها وهو قول الجماعة وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله
الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كما سمي التصدق بالمهر واسقاطه عفوا في
قوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم فان معناه العفو على المعسر واسقاط الحق عنه
سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو اي ان يصدقوا
متعلق بعليه المقدر في قوله فتحرير رقبة وتسليم دية الى اهله في جميع الاحيان الا حين يتصدقوا
عليه فيسقط الدية ومحلها النصب على الحال من اهله بمعنى الا متصدقين او الظرف بتقدير حذف
الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا وقرا ابي تصدقوا بالتاء وتخفيف الصاد وابن مسعود
يتصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المقتول مؤمنا من قوم
كفار اهل حرب كرجل اسلم في قومه الكفار ولم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطاء دون الدية
لانهم كفار محاربون ولا وراثة بينه وبينهم وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم
جيش المسلمين فيقتل فيهم خطاء لانهم يظنونه كافرا يقاتلونه مثلهم وقرا زيد بن علي فتحرير بالرفع
اي فواجبه عليه تحرير رقبة وكذلك فدية مسلمة بالنصب وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الى اهله الا ان وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه
حكم مسلم من المسلمين في وجوب الدية لا مسلم من المحاربين حتى يكون الواجب الكفارة فقط
فمن لم يجد رقبة بان يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فالواجب عليه صيام
شهرين متتابعين او فعليه وقرا ربين على فصيام بالنصب على فاوجبنا صيام توبة نصب على المفعول
له اي شرع ذلك توبة من الله او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي قبولا منه ورحمة منه
من تاب الله عليه اذا قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع اليه وهو ظاهر او على المصدر كانه
قيل تاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها و
كان الله عليما بحاله حكيما فيما امر من شانه ومن عباده ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا اليما لما فيه من الابراق
والتهديد العظيم قال ابن عباس ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان
اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني
لغفار لمن تاب وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولقوله صلعم من مات لا يشرك بالله
شيئا دخل الجنة وعن النبي صلعم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي قال انس قيل يا رسول الله لمن تشفع

قال لاصحاب الدماء والعظايم وقال عم في حديث اخر لمن قال لا اله الا الله مخلصا فقد
صرح عليه السلام بانه شفعه الله في جميع امته وانه لا يخرج من شفاعته اصحاب واهل الكبائر
ومن لم يعمل سوي الايمان خيرا وعليه اجماع العلماء من اهل الحق اذا لم ينقل فيه خلاف من احد
منهم وقيل هو مخصوص بمن قتل مؤمنا مستحلا ويعضده انه نزل في مقيس بن صبابة الكناني وجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته مائة
من الابل ثم انصرف نحو المدينة وحمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا وهو الذي استثناه النبي عم
يوم فتح مكة عمن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة والمراد بالخلود المكث فان الدلائل متظاهرة
على عدم خلود عصاة المؤمنين وعلى العفو والمغفرة عما سوي الشرك من غير تقييد بالتوبة يا ايها
الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم بالغزو فتبينوا وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا
وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه لتعرف المؤمن من
الكافر ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام قرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي السلم بغير الالف
والباقون السلام بالالف وهما الاستسلام والانقياد وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو
تحية اهل الاسلام اي لا تقولوا لمن انقاد واسلم وسلم عليكم وقرا عاصم الجحدري وابو الرجاء السلم
بسكون اللام والحسن وابو رجاء السلم بكسر السين لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا
بالفتح اي مبذولا له الامان من امنه اي لا نؤمنك وروى عن ابن عباس لست مؤمنا اي مؤمنا
روي ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلعم
فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راي الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر
ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلعم
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال
اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وتحمل عليه
الكفارة فقط دون الدية لاهله لانهم كفار محاربون فلا وراثة بينه وبينهم وروي عن اسامة انه
قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها ام لا وقيل نزلت
في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه
دليل على ان المجتهد يخطي ويغتفر خطاؤه وعلى صحة ايمان المكره وعن ابن عباس مر رجل من بني سليم على نفر
من الصحابة ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ عنكم فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلعم
فنزلت تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد وهو الذي دعاهم الى
ترك التثبت وقلة البحث عن حال من قتلتموه وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة
وقلة البحث فعند الله مغانم كثيرة تاخذونها مغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من
التعرض لتاخذوا ماله وعند الله اجور كثيرة لمن اتقى معاصيه التي من جملتها قتل المؤمن كذلك كنتم من قبل

اي اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم
من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله بالاستقامة في الدين والاشتهار بالايمان والتقدم
فيه فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم واعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة
ولا تبادروا الى قتلهم ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا بصدق النية فتجعلوه سلما
الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله على اتقاء الف كافر اهون عند الله من قتل مسلم
وتكرير الامر بالتبين تاكيدا عظيما لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم وكان
النبي عم اذا بعث سرية قال اذا رايتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا وفيه دلالة
على ان الغزاة اذا دخلوا موضعا فيه شعار الاسلام كفوا عن اهله ولم يتعرضوا لهم ان الله
كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحترزوا واحتاطوا في
ذلك لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير
الذي فيه غير اولي الضرر قرا حمزة وابن كثير وابو عمرو وعاصم غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين
لان غير لا يتعرف باضافته الى المعرفة والقاعدون عام لا يقصد به قوم باعيانهم فهو في حكم
النكرة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس
لشيء بعينه وله في القران نظاير او بدل منه قاله المبرد وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب
على انه استثناء منهم او حال عنهم وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض او
العاهة من عرج او عمى او زمانة او نحوها وقرا زيد بن علي اولي الضرر بالادغام وعن زيد بن ثابت
انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا
يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيت رسول الله السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها
فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون
عن بدر والخارجون اليها وعن المقاتل الى تبوك والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي
لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة ومانع وفايدة نفي الاستواء بين القاعد والمجاهد
تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليانف القاعد ويرغب في الجهاد ويحترز رفعا لرتبته وانفا
عن انحطاط منزلته الى ارتفاع طبقاته ونحوه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قصدا
الى ما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف الجاهل ولينفض بنفسه عن ضعة الجهل الى
شرف العلم فيعتني لتعلمه ويرغب فيه وفي ارتفاع رتبته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم
لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى
المتضمنة لهذا الوصف ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى
التفضيل

ووقع موقع المرة منه كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره ضربه سوطا اي ضربة او على
الحال بمعنى ذوي درجة ويجوز ان يكون المفعول الثاني بمعنى الاعطاء وكلا من القاعدين
والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عملهم وخلوص نيتهم وان كان
المجاهدون مفضلين عقايدهم ومحض نياتهم وكانت افئدتهم تهوي للجهاد وبهم ما يمنعهم
من المسير من ضرر او غيره وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان
فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه بدل من اجرا عن النبي م بين المجاهد والقاعد مائة درجة بين كل
درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومغفرة ورحمة كل واحد منهما بدل من اجرا ويجوز ان
ينتصب درجات ونصب اجرا عظيما على انه حال من درجات تقدمت عليها ومغفرة ورحمة على
المصدر باضمار فعلهما كأنه قيل وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة قيل كرر تفضيل المجاهدين وبالغ
فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للمجاهدين وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة
والظفر وجميل الذكر والدرجات ما جعل لهم في الآخرة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولذا وصفها بقوله منه وجمعها باجرا عظيما ومغفرة ورحمة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع
منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل الدرجة للمجاهدين بالاموال والانفس
والدرجات للمجاهدين على الاطلاق بحيث يتناول صرف القلب عن الالتفات الى سوى الله
وقيل القاعدون هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم
لان الغزو فرض كفاية وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد
نفسه التي هي اعدى عدو وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان
الله غفورا [illegible] عليهم لما عسى يفرط منهم رحيما منعما عليهم بالاميزات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفيهم كما قرئ توفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم
فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها وهو على حكاية الحال وقصد الاستحضار وقرا
عيسى ابن عمر توفيهم ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بالقعود عن الهجرة وموافقة الكفرة
فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي قال الملائكة
للمتوفين توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وقيل في اي الفريقين كنتم في المسلمين
ام في المشركين سؤال توبيخ وتقرير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة اهل الشرك وقرا اليماني
فيما كنتم بالالف قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا
بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة وعجزوا عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا
اي الملائكة تكذيبا لهم ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي ان ارض الله كانت

واسعة

واسعة كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بلد آخر لا تمنعون فيه من اظهار دينكم ومن
الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة كما لوا وفيه دليل على وجوب الهجرة من موضع
لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وكذا اذا علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة
وعن النبي م من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة
وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد وعنه عليه م احب شيء الى الله تعالى الغرباء قيل من الغرباء قال
الفرارون بدينهم يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى ابن مريم فاولئك مأواهم جهنم لتركهم ما فرض
الله عليهم وتكثيرهم سواد الكفرة ومساعدتهم اياهم وهو خبر ان وتضمن الاسم معنى الشرط
دخلت الفاء فيه وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد
محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا ساءت
في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مصيرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مصيرا هي
الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع من الذين ماتوا على ترك
الهجرة واوعدوا بان مأواهم جهنم لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر
الولدان ان اريد به المماليك البالغون فظاهر وان اريد الاطفال فللمبالغة في امر
الهجرة وايهاما انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانهم لا محيص لهم منها البتة
اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين او للرجال او للنساء والولدان اذ لا توقيت فيه ونظيره قوله كمثل الحمار
يحمل اسفارا فانه يحمل صفة للحمار ومنه قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان الموصوف وان كان
فيه حرف فلم يقصد به معهود وفي هذا الوصف اعني عدم الاستطاعة والاهتداء دلالة على
العلة في عدم استحقاق الوعيد حتى لو انتفى استحقوا الوعيد او حال منه او من المستكن ومعنى
عدم استطاعة الحيلة عدم وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه ومعنى اهتداء السبيل عدم
معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم عسى في اللغة الطمع والطمع في
الاشفاق من الله تعالى واجب وهو في مثل هذا المقام للتحقيق كانه قيل ان الله سيعفو عنهم وقيل
في ذكر كلمة الاطماع ولفظ العفو ايذان بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر في حقه ان
لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا اي يريد ان من عادته ان يعفو
للخاطئين ويغفر للمذنبين وقد عفى عنهم وغفر لهم والعفو والمغفرة ههنا والله اعلم على
الحقيقة لاستدعائها سبق جريمة وههنا كذلك فحمل اجاوة على ظاهره ومما يدل على ان المراد
الحقيقة دون المجاز قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم اي يتجاوزون منهم ومن يهاجر في سبيل
الله ومن يفارق وطنه وقومه لاجل الله يجد في الارض مراغما كثيرا اي ذا متحول متحولا
من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم سلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل

والهوان واصله لصوق الانف بالرغام ومنه قوله حتى يخرج منه الرغم اي يخضع ويذل ويخرج منه كبر الشيطان يقال راغمه اذا فارقه عن رغمه ومنه راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب ومنه اذا خرج مراغما اي مغاضبا والمراغم المهرب وقرئ مرغما وقرأ ابو واقد ونبيح والجراح مرغما بالتشديد وسعة في الرزق واظهار الدين والشكر للتعظم ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع بناء على انه خبر محذوف اي هو يدركه وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله عجبت والدهر كثير عجبه من عنزي سبني لم اضربه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا وهو على اعتبار العطف على مصدر الفعل السابق والمعنى ومن يكن منه خروج ثم ادراك الموت وسيكون عن ذلك ولحاق كما يقال في اكرمني اكرمك اي ليكن منك اكرام ومني اكرام وفي مصحف ابن مسعود فيدركه بالفاء فقد وقع اجره على الله عبر مبهمة لا يقاس امرها في العظم والمعنى اما عبدا وشخص يخرج من بيته مفارقا وطنه وقومه حبا لله ورسوله ثم يدركه الموت حق على الله ان يعطيه اجره وفي كلمته على دلالة على تحقق الاجر البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه فان وعد الحتوم والخلف محال لكونه نقصا منافيا للالوهية وكمال الغنى قال البيضاوي الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب وقال الزمخشري معناه فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه يريد ان لفظ الوجوب حقيقة في الوقوع فصح اطلاق الوقوع وارادة الوجوب بمعنى اللزوم واستحقاق الذم على الترك اولزوم مخالفة الحكمة وعندنا لا وجوب على الله ان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله لان الاعمال وسائل عادية لا اسباب حقيقية فله ان يثيب مع الاخلال ويعذب مع الاعمال روي انه لما نزلت ان الذين توفيهم الملائكة الى اخر الاية سمعه جندب بن ضمرة فقال ما انا ممن استثنى الله وانى لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة او ابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فلما بلغ التنعيم ادركه الموت فطفق يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلعم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله الاية وكان الله غفورا يستر عليهم ويمحو ما صدر عنهم رحيما ينعم عليهم بالاكثر كميه ولا ابعاد قدره فلا يضيع اجرهم قال الكلبي هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله فان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم والسافر من قصد سيرا وسطا ثلاثة ايام ولياليها وفارق بيوت بلده فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها في الظهر والعصر والعشاء التخيير

عاقب

فيه

والامام العصر

بنظام

هو المتبادر الى الفهم من نفي الجناح وان كان مفهومه بحسب العقل مجرد عدم الحرمة او الكراهة على ما يشمل الواجب والمندوب ايضا لكن صلاة المسافر رخصة اسقاط الاكمل احدهما قوله ع م ان هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته حين سأله عمر القصر الصلاة ونحن امنون وانما سأل عمر لان القصر متعلق بالخوف بناء على ان التعليق بالشرط يدل على انتفاء الحكم عند انتفاء الشرط كقولك انت طالق ان دخلت الدار ولم اطلقك ان صليت قوله هذه اشارة الى صلاة المقصورة وقوله فاقبلوا صدقته معناه اعملوا بها واعتقدوها وقيل هذه الاية دليل على ان التعليق بالشرط لا يدل على العدم عند عدم الشرط وكذلك سؤال عمر دليل عليه ايضا لانه لو كان دالا على عدم الحكم لفهم فلم يسأله ورد بانه يجوز ان يكون السؤال بناء على خلاف ما فهم كما يشعر به سياق القصة المروية عنه على ان الفعل بمفهوم الشرط انما يكون اذا لم يظهر له فائدة اخرى مثل الخروج مخرج الغالب كما في هذه الاية فان الغالب من احوال في ذلك الوقت كان الخوف وكذا قوله تع وكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فان الغالب ان الا انما يكاتب العبد اذا علم فيهم خيرا وذهب فخر الاسلام الى ان المراد في الاية قصر الاحوال كالا في القراءة والتخفيف في الركوع والسجود بالايماء قصرا لا يحل بجوازه وهو ضعيف لان الاية كالجميعين على ان الاية في قصر اجزاء الصلاة وثانيهما ان الخيار انما يثبت للعبد اذا تضمن رفقا كما في الكفارة والرفق هنا متعين في القصر فلا يثبت الخيار فيكون الرخصة رخصة اسقاط وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وعن عمر رض صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رض اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وذهب الشافعي الى التخيير لما ثبت من انه ع م اتم في السفر مع انه قصر فيه من غير خوف ويعضده ان عائشة اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب عليها كما يتم ويقصروا اقل سفر يقصر فيه عند ابي حنيفة ستة برد مسيرة يومين وهي جمع بريد بريد وهو اثنا عشر ميلا اثنا عشر الف قدم والفرسخ ثلثة اميال وقرأ ان تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد وقرأ حسن ان يقصروا بالياء وطلحة بن عمرو ان قصرتم بالتخفيف والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم وبالسنة في حال الامن كما ذكرنا فان قيل كيف يعمل بالسنة على خلاف الكتاب اجيب بانه لا مخالفة اذ التقييد بالشرط لا يدل على نفي الحكم عند عدمه بل هي حجة ثبوته عند ثبوته ولم يسلم فيها اذا لم يظهر له فائدة اخرى وههنا الشرط خارج مخرج الاغلب ولا دلالة فيه على النفي وفاقا ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقرأ عبد الله من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم

والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره وقرأ يدل على ان يفتنكم بضم اليا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا علة لخوف الفتنة فان كلمة ان اذا وقعت بين الكلامين يكون لتعليل الاولى
بالثانية كما في قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء ونظايره كثيرة قال بعضهم
فاما ان يكون ان في مثل هذا الكلام للتعليل وهو الحق ان يكون تقديره لان والحذف غيرها
وهو باطل لان ما ذكره في تعليل ان من اعتبار حذف اللام انما يكون في ان بالفتح واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول حيث شرط كونه فيهم وعامة
الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده وانهم نواب عنه وقوام بما كان يقوم
في كل عصر فيكون حضورهم كحضوره وقيل لو جعل الخطاب خاصة وثبت الحكم في غيره بالقياس او
دلالة النص لم يبعد والضمير في فيهم للخائفين جميعا لو كان الخطاب في كنت للرسول ولكل امام
والاظهر للخائفين ممن يحضر مع النبي عليه السلام ويصلي بهم فلتقم منهم بعدك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك فتصلي بهم وقرأ عيسى بن عمر فلتقم بكسر اللام وكذلك ولتأت طائفة
وليأخذوا اسلحتهم اي وليأخذوا المصلون اسلحة لا تشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما
وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليه وقرأ وليأخذوا بكسر اللام
فاذا سجدوا اي المصلون فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف
عند ابي حنيفة ان يجعل الامام طائفة نحو العدو ويصلي باخرى ركعة في الثنائي ان كان
مسافرا وركعتين في غيره مقيما وتمضي هذه الى العدو وتجيء تلك ويصلي بهم ما بقي ويسلم وحده
وتذهب اليه وتجيء الاولى وتتم صلوتها بلا قراءة ثم الاخرى بقراءة ويصلي بالاولى في المغرب
ركعتين وبالاخرى ركعة وان زاد للخوف صلوا ركبانا فرادى بايماء الى ما شاؤوا ان عجزوا عن التوجه
ويفسدها القتال والمشي الى غير العدو والركوب والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة لان ذهاب
الطائفة الاولى عنده يكون عقيب سجودهم لا عقيب صلوتهم كما هو عند مالك فان السجود عنده
بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين
ويذهبوا الى العدو ثم يصلي بالاخرى ركعة وينتظر قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعل صلعم
بذات الرقاع ويؤيده قوله تعالى ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك لانه يدل
على ان الطائفة الاولى قد صلوا والثانية يصلون معه لا منفردين قال البيضاوي ظاهره
يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله صلعم ببطن النخل وذلك ما روي
جابر ان النبي صلعم كان يصلي بالناس صلوة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين
ثم سلم لكنه ما روي انه صلى بطائفة اخرى ركعتين حتى يكون مع كل واحدة مرة وقرأ عيسى
فلتقم ولتأت بكسر اللام وبالياء فيهما لان الطائفة يذكر ويؤنث وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
جعل الحذر والتحرز والتيقظ آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا مأخوذين ونظيره قوله والذين

والايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم فيه واستقامتهم عليه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء والحاصل ان الاخذ لم يتعلق
بالحذر الا بعد جعله بمنزلة الآلة وان التبوء لم يتعلق بالايمان الا بعد جعله بمنزلة المستقر والمتوطن والتبوء فلم يلزم من
الجمع فيهما محذور قال مجاهد قال ابو عياش الزرقي كنا مع رسول الله صلعم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد
فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلوة فنزلت الآية بين الظهر والعصر ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم تمنوا ان يصيبوا منكم غرة في صلوتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح وقرأ سعيد بن جبير لو يغفلون بالياء وعلى
غير فيميلون بضم الياء وقرئ وامتعاتكم بالالف والالجمع امتعة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم رخص لهم في وضع الاسلحة اذا ثقل عليهم اخذها وحملها بسبب مطر ومرض ولزمهم
مع ذلك باخذ الحذر تكريرا لزيادة التحرز والتيقظ ولئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو وبيان ذلك انه اقتصر في الاول وهو قوله
وليأخذوا اسلحتهم على اخذ الاسلحة وفي الثاني ضم اليه اخذ الحذر لان الكفار يتنبهون لكون المسلمين في الصلوة
فيهجمون فرصة للهجوم عليهم فلاجرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة التحفظ والتيقظ وفي الثالث كرر تلك
الزيادة بقوله وخذوا حذركم تاكيدا وقصدا الى تمكين المكرر في النفوس وتقريره ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
التعليل لما مر ان ان الواقعة بين الجملتين تكون للتعليل غالبا لكنهم يقولون انها هاهنا لدفع الوهم الناشي من
الامر بالحذر من العدو لانه يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام بان لعدوهم ان يصيبهم بعذاب
من عنده او بايدي المؤمنين لتقوية قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان التحرز
في نفسه عبادة كما ان قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ليس نهيا ومنعا عن الاقدام في الحرب بل امرا بالتحرز والتيقظ
ايذانا بان ذلك تعبد من الله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم سكنت
قلوبكم من الخوف وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج والكلام
واقيموا الصلوة للعهد فهو يقول بوجوب القضاء والجنس عند القول بعدم الوجوب ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا تعليل لاقامة الصلوة فان الغالب من حال ان التي تقع بعد الامر والنهي ان تكون للتعليل ويغني غناء
الفاء وقد ذكر عبد القاهر انها في مثل هذه المواقع تقع كذلك ولذلك قد ذكر في اكثر الكتب انها في مثل تلك المواقف من
من قبيل التفريع دون الايماء وان ذهب اليه بعضهم نظرا الى انها لم توضع للتعليل وانما وقعت في هذه المواضع لتقوية
الجملة التي يطلبها المخاطب ويتردد فيها ويسأل عنها ولان الجواب عن العلية ايماء للصريح فقوله كتابا موقوتا اي فرضا
محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال خوفا وامنا وفيه دلالة على ان المراد بالذكر الصلوة
على ما ذهب اليه الشافعي فاذا وجبها على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن
فعليه القضاء وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله
مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فانكم ما انتم
فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه والالتجاء اليه فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا

ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه فان ما يكابدون من الالم بالجرح والقتل غير
مختص بهم بل مشترك بين الفريقين وهم يرجون من الله ما لا يرجون عدوهم من اظهار الدين واستحقاق الثواب فينبغي
ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرأ الاعرج ان تكونوا بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون
قوله فانهم يألمون كما تألمون تعليلا للنهي على هذه القراءة واما على القراءة بكسر الهمزة فهو جزاء الشرط وقرأ النخعي ان يكونوا
يألمون بالياء فيهما وقرئ تيلمون كما تيلمون بكسر حرف المضارعة وقلب الهمزة ياء وقيل الرجاء ههنا بمعنى الخوف اي وتخافون
من عذاب الله ما لا يخافون والآية نزلت في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما باحوالكم واعمالكم
ظاهرة وباطنة حكيما فيما يأمركم به وينهاكم عنه فيما يجري اموركم ولا يدبرها الا على حسب ما يصلحكم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد فحلف ما
اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له
ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ
اليهودي فهم رسول الله صلعم ان يفعل ويعاقب وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس بمعنى الرؤية بمعنى الابصار
ولا بمعنى العلم لاستدعائه ثلثة مفاعيل وهو لم يتعد ههنا الا الى مفعولين احدهما الكاف والآخر محذوف وهو العائد الى الموصول
تقديره بما اراكه الله وعن عمر رضع لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي
من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف وفيه اشعار بان غير النبي عليه السلام من اهل الرأي
والاجتهاد كلهم من اهل التكلف ولقائل ان يقول ما التوفيق بينه وبين التكلف الذي في قوله عليه السلام انا وصالحو امتي
براء من التكلف وايضا قال الله عز من قائل قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين فان جمهور ائمة التفسير
والاصول والنحو قد اتفقوا على ان الجمع المعرف باللام يتناول كل واحد من الافراد كالمفرد حتى ذكروا في قوله تعالى وما الله يريد ظلما
للعالمين انه نكر ظلما وجمع العالمين على معنى لا يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه وذهبوا في قوله لا تدركه الابصار الى ان
معناه لا يدركه شيء من الابصار الى غير ذلك ولا تكن للخائنين اي لاجل الخائنين والذب عنهم خصيما مخاصما للبراء يعني لا
تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي وقيل واستغفر من جدالك عن طعمة ان الله
كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع الضرر اليهم وجمع
الخائنين ويختانون مع ان السارق طعمة وحده ليشمل طعمة واشباهه واتباعه وقومه لانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا بالبراءة
وتعصبوا له ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما التفصيل للنهي الخوان كثير الخيانة والاثيم كثير الاثم وفيهما دلالة على ابرام طعمة في الخيانة
وركوب المأثم وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر بن الخطاب انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي
وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس يستترون منهم حياء و

منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه على انه احق بان يستحيى منه ويخاف وهو معهم وهو عالم
بهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف وشهادة الزور وقيل ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي عليه
فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من اليهودي لكفره فلم يرض الله ذلك منهم وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء
ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او كقولك
انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك او اولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه
في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم الله عنهم يوم القيمة اذا اخذهم بعذابه وقرأ عبد الله ولي تعنه اي عن طعمة ام من
يكون عليهم وكيلا حافظا وحاميا يحميهم من عذاب الله وام في مثل هذا الموضع تكون بمعنى بل لا متصلة ولا منقطعة [illegible]
لحمل على احدهما تأويل وقيل الظاهر ان ام منقطعة لان الاستفهام في من يكون للانكار والنفي [illegible]
ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه كالحلف الكاذب
وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثم يستغفر الله بالتوبة والانابة يجد الله
غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته طعمة وقومه ومن عداهم عظم جناياتهم
اولا ثم اردفها بسعة مغفرته وعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اجل واعظم وفيه حث
على التوبة والانابة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه لان وباله يعود عليه ولا يتعداه ومن يكسب خطيئة
صغيرة او ما لا عمد فيه وقيل سرقة الدرع او اثما اي كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة
زيدا وضمير به عائد الى الاثم وقيل الى الكسب [illegible] وقيل الى احد الشيئين المدلول عليه باو [illegible]
ايضا يكون باهتا وقرأ معاذ بن جبل ومن يكسب بكسر الكاف والسين للشدة واصله يكتسب وقرأ اليماني ثم يرم بها بريئا
بزيادة الميم فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة والظاهر ان المراد بالاثم ههنا
ما يعم الخطيئة ايضا تغليبا او نظرا الى ان الرمي بالخطيئة اعظام لها وادراج في حكم الاثام او الى انه قد يطلق على
مطلق الذنب كما في كبائر الاثم [illegible] الاشكال في مغايرة احتمال الاثم والبهتان مع الاتصاف بهما لكسب الاثم والرمي به
واجيب بان تغاير المفهوم كاف وان التفخيم الحاصل من التنكير يعطي التغاير وانه على اسلوب من [illegible] النعمان فقد
ادرك المرعى وهذا الاخير مستفاد من جعل الجزاء امرا ظاهر اللزوم للشرط [illegible]
فيحمل على الخصوص ليفيد والمعنى على هذا فقد بلغ في احتمال البهتان وهو الكذب الذي يبهت ويتحير فيه
ولولا فضل الله عليك ورحمته الفضل التفضل اي ولولا اني قضيت ان اتفضل عليك وارحمك بضروب النعم التي منها
الوحي والاطلاع على الاسرار لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم
فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القضية [illegible] جواب لولا والظاهر ان القصد الى نفي همهم [illegible] لولا الاحكام
التي لا يوجد غيره ولكنهم يقولون ليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي همهم [illegible] ما شرع فيه والمعنى لولا فضل
الله لاضلوك اذ قد هموا وانت غير مطلع على حقيقة الحال وما يضلون الا انفسهم لان ما ازلوك عنه من الحق وباله
عليهم وما يضرونك من شيء لان الله قد عصمك وما خطر ببالك كان عملا بظاهر الحال لا ميلا في الحكم اذ لم [illegible]

والاثم [illegible] والبهتان

يخطر ببال الحقيقة على خلاف ذلك ومن شيء في موقع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
المراد بالكتاب القرآن وبالحكمة السنة وقيل المراد بالحكمة هاهنا القضاء بالوحي وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن
امور الدين والاحكام ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويعود ضمير منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين وكان فضل الله عليك
عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة سيما اذا كان مع سيادة الاولين والآخرين الافضلين من الانبياء والمرسلين لا خير في كثير من نجواهم
اي من تناجي الناس الا من امر بصدقة على تقدير مضاف اي الا نجوى من امر فهو على حذف مجرور بدل من كثير كقولك لا خير في
قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او معروف هو كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل صدقة التطوع وعن النبي عليه
كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وعنه عليه السلام الساكت عن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليس مؤمنا بي ولا بالقرآن او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين عن ابي الدرداء قال رسول الله عليه
السلام الا اخبركم بافضل من درجة الصوم والصدقة والصلوة قلنا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذات البين هي الحالقة
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما اي ومن يامر بالصدقة او المعروف والاصلاح طلبا لمرضات
الله وخالصا لوجهه لا لغرض ناجز من متاع الدنيا فسوف يعطيه ثوابا عظيما لا يكتنه به وفي اضافة المصدر الى المفعول
دلالة على ان الآمر بالخير ينبغي ان يكون مطمح نظره ومقصد همته عبادة الله وجنابه والتقرب اليه ويقتصر على طلب رضاه
ولا يلتفت الى ما سواه وفي ذكر الامر بالخير وترتب الجزاء على الفعل دلالة على ان الآمر اذا دخل في زمرة الخيرين كان الفاعل
فيهم ادخل وان العمدة والعرض هو الفعل او اعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيل الفعل بان يكون لطلب مرضات
الله لان الاعمال بالنيات قرا ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء والباقون بالنون ومن يشاقق الرسول اي يخالفه من الشق فان
كلا من المختلفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى من بعد ما ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ظهورا لا شبهة
فيه ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولى من الضلالة
ونخل بينه وبين ما اختاره فالآية دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كالكتاب والسنة لان الله جمع مشاقة
الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد ولا شك ان مشاقة الرسول وحدها حرام يستوجب الوعيد فلو
لا ان الاتباع المذكور حرام لم يكن في ضمه الى المشاقة فائدة وكان الكلام حينئذ كما لو قيل من يشاقق الرسول ويأكل
الخبز واذا حرم اتباع سبيل المؤمنين يجب اتباع سبيلهم اذ لا مخرج عنهما لان ترك اتباع غير سبيلهم يدخل في اتباع سبيلهم
والاجماع سبيلهم فيجب اتباعه ولفظ الغير عام لاضافته الى الجنس بدليل صحة الاستثناء على انه لا يجب المتابعة في المبا
حات ثم سبيل المؤمنين لا يجوز ان يكون عين ما اتى به الرسول عليه لانه ان كان كذلك فاتباع غيره يكون مخالفة الرسول
ويكون المعطوف عين المعطوف عليه وهو المشاقة واعترض بانه يجوز ان يكون عينه ويكفي في صحة العطف تغاير اللفظين
فان مفهوم مشاقة الرسول غير مفهوم اتباع غير سبيل المؤمنين كقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان طاعة
الرسول طاعة الله بحسب الوجود الخارجي لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله لكنه غيره بحسب المفهوم واجيب
بانهم لا يمنعون ذلك من جهة انه لا يصح العطف بل من جهة ان سبيل المؤمنين على لا يختص لما ثبت اتيان
الرسول به مع ان حمل الكلام على الفائدة الجديدة اولى من حمله على التكرار وتغاير المفهومين كما في قولنا اتبعوا

القرآن وكتاب الله والتنزيل ونحو ذلك فان قيل يجوز ان يراد بسبيل المؤمنين في متابعة الرسول او مناصرته او الاقتداء
او فيما صاروا به مؤمنين وهو الايمان به وقد نزلت الآية في طعمة حين سرق درعا وارتد ولحق بالمشركين اجيب بان العبرة
للعمومات والاطلاقات دون خصوصيات الاسباب والاحتمالات والثابت بالنصوص ما دلت عليه ظواهرها ولم تصرف
عنه قرينة وقد يقال ان التمسك بالظواهر موجب للعمل بها انما ثبت بالاجماع ولولاه لوجب العمل بالدلائل المانعة
عن اتباع الظن ثم السبيل وان كان في الاصل الطريق الذي يمشى فيه فانه غير مراد اتفاقا فالمراد به الطريق الذي اتفق
عليه الامة من قول او فعل او اعتقاد ونصله جهنم اي وندخله فيها وقرا الاعمش يوليه ويصله بالياء فيهما وقرئ ونصله
بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم ان الله لا يغفر لا يغفران ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا كرره للتاكيد وقيل ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلعم فقال اني شيخ منهمك
في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة على الله وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وقوله ضلالا بعيدا اي عن الحق لان الشرك
اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة ان يدعون وقرات عائشة ان تدعون بالتاء من دونه الا اناثا
هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان
وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله تعالى الله عن ذلك وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى
كرباب وربي وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كاسد واسد واثنا على
قلب الواو لضمتها همزة نحو اجوه في وجوه وقرات عائشة اوثانا وقرئ الرهم ابو البرهسم الاموات وان يدعون
اي وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فاطاعوه فجعلت طاعتهم
له عبادة والمريد المارد المتمرد الذي لا يعلق بخير وقيل المريد المارد وهو العاتي واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد
وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك عطف عليه اي
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتعالى
اولا ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا بان ذكر اناثا فان الانثى
غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة
اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى الثاني انه ملعون
لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من
هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته نصيبا مفروضا اي مقطوعا واجبا لي فرضته لنفسي من قولهم فرض له
في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعون الى النار وقال الجوهري نصيبا مفروضا اي مقتطعا
محدودا ولاضلنهم عن الحق اراد به التزيين والاغواء لا الاضلال من شيء كما قال لازينن لهم في الارض ولامنينهم الاماني
الباطلة كطول الحياة وركوب الاهواء وان لا بعث ولا جنة ولا نار وقيل ادراك الآخرة مع ركوب المعاصي قال ابن عطية
التسويف لهم بالتوبة وقيل لاوسوسن لهم بالاماني وقيل لافتحن عليهم باب تمني الجزاء بالخير مع اطراحهم طرق البر
وقيل لاعلقنهم على ما يتمنونه من الشهوات المحرمات حتى يدركوها ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل

الله وهي عبارة عما كانت العرب يفعلونه بالبحاير والسوايب يحرمون على انفسهم الانتفاع بها ولامرنهم فليغيرن خلق الله
من وجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قالوا من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك
وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب
من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصا قال انس تغيير خلق الله الخصاء وبه قال ابن عباس في رواية عكرمة وقد ورد النهي
عن خصاء البهايم وهو ما رواه ابن عباس ان النبي عليه السلام نهى عن صبر الروح وخصاء البهايم ونهى عنه عمر ايضا وقال الحي
النماء في الذكور واباحه كثير من علماء التابعين كعروة بن الزبير والحسن وطاوس ولكن عمر بن عبد العزيز ناسا من الجند بخصا
خيل لهم وعليه عامة العلماء ووجه الاباحة دعوى الحاجة الى ذلك ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله باسياره ما يدعو
عوا اليه عما امر به وتجاوزه عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه
من النار يعدهم الفقر وما لا ينجز وقرا الاعمش يعدهم بسكون الدال على التخفيف ويمنيهم ما لا ينالون وقيل يمنيهم
بان لا بعث ولا جنة ولا نار وقيل الاماني العاجلة وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
وهو الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليايه وقيل يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل
وما يجري مجراها فيوسع قلبه للتبرر الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضاء الله وقدره اولئك ماويهم جهنم و
ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومفرا من حاص يحيص اذا عدل عنه حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا
فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات كثيرة عظيمة في غاية العظمة وقرا يحيى وابراهيم
سيدخلهم بالياء تجري من تحتها الانهار اسناد الجري الى الانهار من المجاز في الاثبات واللام للجنس او العهد او العوض
عن المضاف اليه واوثر تجري قصدا الى استمرار ذلك وحصوله حالا فحالا وان الماء الجاري من اجل النعم وفيه الانس الاعظم
جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها وجعلها ملازمة وقرينها وقدمه على ساير نعوتها خالدين فيها
ابدا حال من المفعول اذ لا يخوف الزوال منهم ولا سعي لكمال النعم والسرور وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون سندخلهم جنات هو الوعد لا غير فيكون وعد الله تاكيدا لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان الخبر
المذكور من حيث انه خبر يحتمل غير الحق فيكون حقا تاكيدا لغيره اي لاجل دفع الغير وهو الباطل وفاعل الحق مضمر وقيل يجوز ان
ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا توكيد ثالث بليغ لدلالته على صدق اخبار الله وحقيقة مقاله مع انكار وجود قايل اصدق منه وفايدة هذه التوكيدات
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليايه ترغيبا للعباد في تحصيل فعل
الطاعات وترك السيئات ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب يعني ما وعد الله من الثواب لا ينال بامانيكم ايها
المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل وروي ان الفريقين افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله
منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين
ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا بعث ولا حساب وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن
خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة

الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وانما الامر بالايمان والعمل الصالح ثم قرر ذلك
بقوله من يعمل سوءا يجز به عاجلا واجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام
اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما الاخرون فيجمع ذلك لهم
حتى يجزوا يوم القيمة وعن ابن عباس لما نزلت شق على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف
بالجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت
تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما من كان جزاؤه في الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل
سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيوتي كل ذي فضل فضله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه وقال الحسن هذا اي قوله من يعمل سوءا يجز به
الاية للكفار لقوله تعالى وهل نجازي الا الكفور ومن يعمل من الصالحات من زايدة عند الاخفش وصفة عند سيبويه اي شيئا
من الصالحات ولقايل ان يقول لم لا يكون تبعيضية اي ومن يعمل بعض الصالحات لان كل احد لا يتمكن من كلها لاختلاف
احوال المكلف من السفر والاقامة والفقر والغنى والمرض والصحة وغير ذلك فكم من مكلف يسقط عنه الزكوة والحج
والجهاد وكذا الصلوة في بعض الاحوال ولذلك قالوا ليس المراد بالصالحات في قوله وعملوا الصالحات جميع الجنس والا لزم
الجمع وان قل اذ لا يكفي ثلثة من الاعمال بل المراد ما بين الكل والاقل وهو جميع ما يجب في الدين بالنظر الى كل مكلف ويليق
بحاله فليس لكل احد متعلق بالكل من ذكر او انثى من هذه لتبيين الابهام في من يعمل في موقع الحال من المستكن في يعمل وجعلها
للابتداء والظرف حالا من الصالحات اي كاينة صادرة من ذكر او انثى ليس ببعيد من حيث المعنى وهو مؤمن حال
وفيه دليل على ان الاعمال غير داخلة في الايمان لانه جعل شرط صحة الاعمال والمشروط لا يدخل في الشرط قطعا لامتناع
اشتراط الشيء بنفسه فلا اعتداد للعمل بدون الايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ولا ينقص شيء
من الاجر واذا لم ينقص اجر المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الرحماء فالظلم منه ممتنع لكونه نقصا
منافيا للالوهية وكمال الغنى ولانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص
نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله لله وقيل فوض امره الى الله وفي هذا
الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن فاعل للحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا الى ملة الاسلام غير زايل عنه وهو حال من ابراهيم كقوله بل ملة
ابراهيم حنيفا او من الملة او المتبع واتخذ الله ابراهيم خليلا اي اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند
خليله وانما ذكره تفخيما وتنصيصا على انه الممدوح والخليل المخال وهو الذي يوافقك في خلالك ويسايرك في طريقك
من الخل وهو الطريق في الرمل وقيل من الخلل فان كلا من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما
يتوافقان في الخصال والجملة اعتراض يفيد تاكيد وجوب اتباع ملته لان من كان مشهودا له بالاستقامة على الحق
وبلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته قالوا وفيه اعتراضية ليست حالية
وحالية وقيل الجملة استينافية جيء به للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر

روي ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء
من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى
واختبزت واستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي
الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ما يشاء وقيل
متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجا
زاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها
وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو لها ابقى وانفع ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب
نزوله ان عيينة بن حصين جاء الى النبي عليه السلام فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم
في الكتاب في محل الرفع عطفا على اسم الله او الضمير المستكن في يفتيكم لوقوع الفصل بالمفعول والجار والمجرور فيكون
الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين او استينافا معترضا لتعظيم المتلو عليهم
على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ لا القرآن ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض
على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا القسم ايضا لمعنى التعظيم ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم
على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد والاضافة في يتامى النساء بمعنى من لانها اضافة الشيء
الى جنسه وقرئ في ييامى بيائين على انه ايامى فقلبت الهمزة ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان
الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها
وترغبون ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لجمالهن او عن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا جاءه
ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة
ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج
اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها هكذا قيل والمستضعفين من
الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثون الاطفال والنساء وانما يورثون
الرجال القوام بالامور ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
وان تقوموا لليتامى بالقسط هذا ايضا عطف عليه اي يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا ويجوز ان ينصب على معنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا
لهم ويستوفوا حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وما تفعلوا من خير فان الله كان
به عليما بعث على الخير وان تقوموا بالنصفة في شأن هؤلاء وان امرأة خافت من بعلها
نشوزا اي توقعت منه ذلك لما ظهر لها من مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها

حلية

نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب او ضرب او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها لكبر في
السن او ملال او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا فلا بأس بهما في ان يصلحا
بان تهب له شيئا تستميله او تحط له بعض المهر او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان
يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة رضي الله عنها من قلبه فوهبت لها يومها
وقال ابن جبير كان رجل له امرأة مسنة لها منه اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت
لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو
احب الي فاقرها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له فنزلت وقرا الكوفيون حمزة وعاصم والكسائي
ان يصلحا بضم الياء وتسكين الصاد من اصلح والباقون ان يصالحا بفتح من اصالح بمعنى اصطلح
وقرئ يصطلحا وقرا عبيدة السلماني يصالحا وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وان اصلحا
بكسر الالف وقيل طلق رافع خولة مرتين وتزوج باخرى فلما قاربت العدة صالحته
على بعض الايام فنزلت وقد اباحت للزوج ما رضيت به ولا يلزم من الطرفين والصلح
ومواسم من المصالحة خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او من الخصومة
او الصلح خير لكل احد من غيره لانه يوجب المودة والمغفرة ويقلع الشحناء والبغضاء كما
قال النبي عليه السلام تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد
لا يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا
او الصلح خير من الخيور اي الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله
واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما الاول للترغيب في المصالحة والثاني
لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك
عنه يعني انها مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بقسمتها وبغير قسمتها ولا الرجل يسمح بان يقيم
لها وان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا رغب عنها او كرهها واحب غيرها وان تحسنوا
بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة
وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى نقص حق فان الله كان بما تعملون
خبيرا اي عليما بجميع اعمالكم التي من جملتها الخصومة والاصلاح والاحسان والتقوى فيجازيكم
على ذلك وعتبكم اثابه. اول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها
ولكن يداها ورجلاها تشهد بما كانت تعيب لزوجها وتشهد عليه يداه ورجلاه بما كان
يؤذيها وحكي ان عمران بن حطان الخارجي كان من اذم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت
في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على انا واياك
من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت
وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ومحال في العادة ان تعدلوا بين النساء في القسم والمحبة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة

جعلها الشح

لان عايشة رضي عنه كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ في الصعوبة جدا يوهم
انه غير مستطاع لانه يجب ان يستوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال
والممالحة والمفاكهة والموانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فكالخارج من حد الاستطاعة
هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن وبعضه معنى ذلك الاستحالة قوله
ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم واجتهدتم فيه فلا تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل يه الاحظة وتطلبون او حلف او
بين ذلك تعليق وقال قتادة كالمحبوسة وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل وروي ان عمر رضي الله عنه بعث الى
ازواج النبي عليه السلام مالا فقالت عايشة رضي الله عنها الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا
لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه
كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ رضه
امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد
وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله
كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وجوركم وان يتفرقا قرئ وان يتفارقا اي وان
يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا من سعته يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا
اهنا من عيشه والسعة الغنى والمقدرة وكان الله واسعا حكيما الواسع الغني المقتدر الحكيم
المتقن في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته واقتداره
واتقانه في افعاله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي كل اهل الكتاب من قبلكم
كاليهود والنصارى ومن تقدم عليهم والكتاب للجنس ومن متعلق بوصينا او باوتوا ومساق
لتاكيد الامر بالاخلاص وايكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون
ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
ولا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصيكم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك وكان الله غنيا
عن الخلق كله وعبادتهم حميدا في ذاته حمدوا لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا
للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات يدل لحاجتها على غناه وبما افاض
عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا محمودا على نعمه وهو تقريب
لما يوجب تقواه وكفى بالله وكيلا تنبيه على كمال غناه واحتياج الخلق اليه فان الوكيل
هو المتكفل بامور الخلق وحاجاتهم او المكول اليه ذلك حيث وكلوا اليه مصالحهم اعتقادا في
احسانه وعلمه بحقايق الاشياء ودقايقها كما هي وقيل هو راجع الى قوله يغن الله كلا
من سعته فانه يوكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك وقيل وكيلا شهيدا روي عن ذلك
عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل دافعا ومجازيا وقيل الذي ابتدا عطاءه بعنايته وولانه
بحسن

بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ... فتذروها ... ع

بحسن رعايته ثم ختم لهم بجميل ولايته ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنيكم و
يعدمكم كما اوجدكم والمفعول يشا محذوف دل عليه الجواب فيكون الخطاب عاما وقيل
اي يهلككم فيكون الخطاب للكفار خاصة ويات باخرين ويوجد قوما اخرين مكانكم او خلقا
اخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا
يمتنع عليه شي اراده وهذا ايضا تقرير لغناه واقتداره وتخويف لمن عصاه وكفر به وقيل
هو لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم
هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطيه الغنيمة وله في
الاخرة ما هي في جنبه كلا شي او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كل ما يريده لقوله من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عالما بالاعمال والاعراض فيها
فيجازيهم على حسب ذلك يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل
مواظبين عليه شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها اي لوجهه خالصا لذلك
ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاعراض سوى اقامة الحق ورد الظلم
ودفعه وهو خبر ثان وقال ابن عباس كونوا قوالين بالعدل في الشهادة على من كانت
ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
للحق سوا كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين او على والديكم واقاربكم ان يكن
اي المشهود عليه او كل منه ومن المشهود له غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا
يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما اي اولى بجنسي الغني والفقير بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان
الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر وقرأ ابي فالله اولى بهم شاهدة
على ان المراد بالضمير في بهما جنس الغني وجنس الفقير اي الاغنياء والفقراء وقال الحسن رحمه الله
معناه فالله اعلم بهما وقرا عبد الله ان غني او فقير على كان التامة وفي مصحف انس وابي فالله
اولى بهم وقرأ ابن عمر اولى به فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ان اقمتم الشهادة بالحق فلا تتبعوا الهوى
النفس فيها ارادة لعدلكم او اتركوا اتباع الهوى في الشهادة لتكونوا عادلين او انهاكم عن اتباع
الهوى في الشهادة كراهة لعدولكم او ارادة لعدلكم وان تلووا اي وان تغفلوا وتميلوا السنتكم عن
شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بحذف الواو الاولى بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة
فهو من الليف المفروق وحمله القراءة الاولى من المقرون او تعرضوا عن ادائها وعن ابن عباس رضي
الله عنه ان الاية واردة في الشهادة ما نعة له ان يلوي فيحرف او يعرض فيكتم فان الله كان
بما تعملون خبيرا فيجازيكم على ذلك وقرأ النخعي يعملون بالياء يا ايها الذين امنوا خطاب
للمسلمين والمنافقين او لمومني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله
انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسله

ودموا عليه والكتاب الذي نزل على رسوله وهو القرآن العظيم المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم وقرأ الحسن نزل بالتخفيف والكتاب الذي انزل من قبل
اراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب بدليل قوله وكتبه وفي افراد القرآن
بالذكر وتقديمه اجلال لشانه واظهار لفضله على غيره كان اهل الكتاب مؤمنين
ببعض الكتب السماوية دون الكل فامروا ان يومنوا ايمانا عاما يعم الكتب فان الايمان
بالبعض دون البعض ليس بايمان لان كل واحد منها مصدق للاخر وهم اذا كفروا بما يصدقه
فقد كفروا به ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء
من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وقرئ و
كتابه على ارادة الجنس وقرأ الحسن وكتبه بسكون التاء ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا
بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل او كذبوا بالانجيل وعيسى ثم آمنوا بعد عوده
اليهم ثم كفروا بمحمد بعدما كانوا مؤمنين به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على
ذلك وطعنهم فيه في كل وقت ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم
بكل آية تنزل او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر
ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم واللام في ليغفر لتاكيد النفي والدلالة على انه ليس من
شانه ذلك ولا مما يصدر منه والظاهر انه خبر كان من غير تقدير شيء وقيل خبر كان في
امثال ذلك محذوف تتعلق به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم والتقدير تكلف يحصل
الغرض بدونه وقيل آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم آمنوا بالتوبة ثم كفروا بعيسى
او آمنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى وعن زيد بن علي ولا ليهديهم
بسكون الياء قيل ولا وجه له الا ان يكون سكونها لكثرة الحركات قلت سكونه على تسكين
المنصوب للتخفيف كما قيل فيمن قرأ فأواري بسكون الياء حال النصب بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما قيل هذا يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا
في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد
الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم وقيل مكان اخبر بمعنى الاخبار
الخاص الذي هو انذار وقوله الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ذم منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يتخذون او هم الذين يتخذون وليس بنعت لوجود الفاصل
فلا يرتكب حيث لا ضرورة ايبتغون عندهم العزة يتعززون بموالاتهم فان العزة
لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا يؤبه بعز غيرهم بالاضافة وقد نزل عليكم في الكتاب في القرآن قرأ
عاصم نزل بفتح النون والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي وقرأ الاعرج وابو البرهسم نزل
بالتخفيف

او له موضع النصب بنزل ح ع

بالتخفيف والخطاب في عليكم للمسلمين ان اذا سمعتم آيات الله هي ان المخففة
من المثقلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان
ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موقع الرفع بنزل على ما هو قراءة
عاصم والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت
الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين
كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون فنهى المسلمون عن القعود معهم
ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا
ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات
جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره هو جزاء الشرط والضمير في معهم عائد الى الكفرة المدلول عليهم بقوله
يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها حتى يأخذوا
في حديث غير ذلك من الكفر والاستهزاء فلا باس بالقعود معهم حينئذ وقال الحسن
لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى واما ينسينك الشيطان
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والجمهور على الاول لان آية الانعام
مكية وهذه مدنية والمتأخر اولى بالعمل وقوله انكم اذا مثلهم علة للنهي لما مر
من ان الغالب من حال ان الواقعة بعد الامر والنهي ان يكون للتعليل ويغني غناء
الفاء والمعنى نهاكم عن القعود مع الكفار حين يكفرون بالقرآن ويستهزئون به لانكم
اذا مثلهم في الكفر والاستهزاء ان رضيتم بذلك فان الرضا بالكفر كفر وذلك لان الشخص
اذا كان له القدرة على الاعراض عن الكفار والفساق والانكار عليهم ثم لم يعرض
ولم ينكر فترك الاعراض والانكار منه انما هو لرضاه ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التارك للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مومنا بي
ولا بالقرآن وايضا الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار
كانوا منافقين ويدل عليه قوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم
جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ مثلهم على البناء لاضافته الى مبني كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم اي ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين
يتخذون او صفة للمنافقين في قوله تعالى ان الله جامع المنافقين او ذم منصوب او
مرفوع او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الزيادة
والظهور في الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفار

الكفار الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه
كان احوذيا نسيج وحده وهو يتصوب ويتشوق في المجي على الاصل اذ القياس
فيها ان يقال استحاذ يستحيذ واستصاب يستصيب كاستقام يستقيم
مثلا كان المنافقين جعلوا انفسهم رعية الكفار حيث اطاعوا لهم اطاعة
~~الرعية الكفار حيث اطاعوا لهم اطاعة~~ الرعية للملوك كانه قيل قالوا
ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا
في مظاهرتهم عليكم فاشركونا فيما اصبتم وسمى ظفر المسلمين فتحا وظفر
الكافرين نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان
ظفر المسلمين امر عظيم تفتح ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما
ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا وقرئ ونمنعكم منصوبا
باضمار ان في جواب الاستفهام بالواو وقال الحطيئة الم اك جارك ويكون
بيني وبينكم المودة والاخاء او من قبيل ولحق بالمجاز من غير نظر
الى الاستفهام فالله يحكم بينكم يوم القيمة بين اهل الايمان وبين
اهل الكفر والنفاق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
قال علي كرم الله وجهه في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه المراد
بالسبيل الحجة وقيل الظهور على اصحاب النبي عليه السلام واستدل به
الشافعية على فساد شرى الكافر للمسلم وايضا فيه اذلال بالمسلم
من جهة الكافر وذلك لا يجوز وفيه خلاف الحنفية كما عرف في موضعه
ان المنافقين يخادعون الله الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريد به من
المكروه واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين
في العنق والمخادعة مفاعلة بين اثنين يقتضي ثبوت الخدع من الطرفين
لكن خدعهم الله تعالى بان يوقعوا في علمه تعالى خلاف ما يريدون
محال لانه تعالى عليم لا يخفى عليه خافية وخدع الله اياهم بان يوقع في قلوبهم
خلاف ما يريد ليغتروا ثم يصيبهم بالمكروه لا يصح لان الحكيم الغني
لا يخدع فالمراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف واما
المعاملة الشبيهة بالخداع واما حقيقة الخداع بزعمهم الفاسد
واعتقادهم الباطل لان من ادعى الايمان بالله نفاقا لم
يبعد من مثله لكمال جهله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا
ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على
عباده ويخدعهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كانه قيل ان

الى ملككم

ان المنافقين يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم وهو
خادعهم يعني لما اصطنعوا مع الله صورة صورة صنيع المخادع حيث امر
باجراء احكام المسلمين عليهم في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال
باس ونقمة ورعب والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
اذا غلبته وكنت اخدع منه وعن الحسن يعطى كل مؤمن ومنافق نورا يمشون به
يوم القيمة فاذا انتهوا الى الصراط يمضي المؤمنون بنورهم عليه ويطفأ
نور المنافقين فينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وتلا الآية ثم قال فذلك خدع الله اياهم واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين متقاعسين كمن يفعل شيئا
على كره من غير رغبة وطيبة نفس وقرئ كسالى بضم الكاف وفتحها
وهما جمعا كسلان نحو سكارى في سكران وقرا يحيى بن ابراهيم عليهما السلام
كسالى بكسر الكاف يراءون الناس يقصدون بصلوتهم الريا والسمعة
والمراءاة مفاعلة من الرؤية بمعنى التفعيل كنعم وناعم وفنق وفانق
او للمقابلة فان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه ويدل
على الاول قراءة ابن ابي اسحق يرءون بهمزة مشددة اي يبصرونهم
اعمالهم ويراءون الناس كذلك وقرئ الاشهب العقيلي وابو
البرهسم يرءون بغير الالف ولا يذكرون مثل يرعون والزهري يراءون
بالالف وضم الواو وعن الحسن يرهون بضم الياء وسكون الواو
ولا يذكرون الله الا قليلا الا عند رؤية المؤمنين لهم وهو اقل
من احوالهم ولو ارادوا بذلك التقليل وجه الله لكان كثيرا وقال
قتادة انما قل ذكر المنافقين لان الله لم يقبله وكل ما قبل الله فهو
فهو كثير وقيل لان ذكرهم باللسان قليل بالنسبة الى الذكر بالقلب
وقيل اراد بالذكر الصلوة لانهم لا يصلون قط غائبين عن عين
الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم لو وجدوا
مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او لا يذكرونه
بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة ويجوز ان
يراد بالقلة العدم بمعنى لا يصلون قط او لا يذكرون قط
لان ما يتفق من صلوتهم او ذكرهم ليس بصلوة او ذكر لانهم

لم يريدوا بذلك وجه الله وقيل اراد به الذكر في الصلوة
لانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين
بين ذلك منصوب على الذم او على الحال من واو يراءون
كقوله تعالى ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين والمعنى
مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء
مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال
بمعنى يتذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كما جاء
صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين
بين وقرا ابو جعفر رضي الله عنه مدبدبين بالدال غير المعجمة
بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين
على دبة واحدة وهي الطريقة ومنه دبة قريش
وعن الحسن رضي الله عنه من طريق الحلواني مذبذبين بفتح
الميم وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين
او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية او لا منضمين الى
هؤلاء مجتمعين معهم ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا طريقا الى الهداية وعنه عليه السلام
مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير
الى هذه مرة والى هذه مرة وعن قتاده ذكر لنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضرب للمؤمن
والمنافق مثلا مثل ثلثة دفعوا الى نهر
فوقع المؤمن فقطع ووقع المنافق حتى
اذا كاد يصل الى المؤمن ناداه الكافر
ان هلم الي فاني اخاف عليك
وناداه المؤمن ان هلم الي فان عندي
وعندي يحصي له ما عنده فما زال
المنافق يتردد بينهما حتى اتى عليه
اذى فغرقه يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين فان ذلك صنع المنافقين وديدنهم
نهي المؤمنين عن موالات الكفار وبالغ فيه بقوله اتريدون

ان تجعلوا

ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي حجة بينة يعني ان موالاة الكفرة دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم
عقابه والهمزة للانكار اي منكر انكم تريدون ذلك ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التي
في قعر جهنم وقال ابن مسعود الدرك توابيت من حديد مقفلة في النار وقال ابو هريرة بيت مقفل
عليهم توقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وجعل ذلك مصيرهم ومقرهم لانهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله اذ
ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين وخلطوا بالشرك تمويها وتدليسا وما قال عليه السلام ثلث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وسميت طبقات النار دركات وهي سبع لانها متداركة متتابعة بعضها
اسفل من بعض وقرا اهل الكوفة في الدرك بسكون الراء وهو لغة كالنهر والنهر والتحريك اوجه لقولهم
ادراك جهنم فان افعالا لا يكون جمع فعل بالتحريك كجمل واجمال لا بالسكون فانه شاذ ولن تجد لهم نصيرا يقدر
على اخراجهم منه ويمنعهم الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال
النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وعن علي كرم الله وجهه المنافقون شر من كفر
بالله واولاهم بمقته وابعدهم من الانابة اليه لانه شرط عليهم في التوبة الاصلاح والاعتصام ولم يشرط
ذلك على غيرهم واخلصوا دينهم لله لم يريدوا بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤ
منين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما اي اجرا لا يكتنه وصفه فيشاركونهم
فيه ويساهمونهم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يستجلب به نفعا او يدفع ضرا
كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني المتعالي عن ذلك كله وانما يعاقب المعتر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي
الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر
اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم
فيؤمن به ويشكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكان الله شاكرا اي يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما
لا يضيع عنده عمل عامل فيثيب الشاكر وايمان مؤمن لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم
استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقال مقاتل نزلت
الاية في ابي بكر الصديق شتمه رجل وهو جالس عند النبي عليه السلام فسكت ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام عليه السلام فقال
يا رسول الله شتمني وانا ساكت فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت فقال عليه السلام ان ملكا كان يجيب عنك فلما
رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس عند مجيء الشيطان فنزلت هذه الاية بعد رأي ابي بكر رضي الله
عنه وفيه دلالة على ان الذي بدأ بالشتيمة يرد عليه ثم قال الله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل وعنه
عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه
فنزلت ترخيصا له ان يشكو ويذكر ما صنع به ويقول فيهم وقرئ الا من ظلم مبنيا للفاعل فيكون الاستثناء
منقطعا بمعنى لكن الظالم لا يحب فهو يكتسب ما لا يحبه الله ويجهر بالسوء ولكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول
ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا اي لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم وذكر الله لزيادة التحقيق في حق النعمة عنه

ومنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله على أن المعنى لا يعلم الغيب أحد إلا الله وذكر من في السموات و
الأرض تحقيقاً وتأكيداً لنفي علم الغيب عنهم وهو لغة بني تميم فإنهم قد يجوزون في غير الجنس البدل على جعله من البدل
منه منزلة غير المذكور حتى كان الاستثناء مفرغ والنفي عام كقولهم ما جاءني زيد إلا عمرو وقال سيبويه أصله ما جاءني
إلا عمرو فهو استثناء مفرغ وتقديره ما جاءني أحد إلا عمرو فهو في المجاز كلام أحد غير عمرو أو يقرب من التأويل كاليعا
فير من الأنيس وكان الله سميعاً لكلام المظلوم عليماً بالظلم ومن أسند إليه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيمة بصلوة و
صيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار
وعنه لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء إن تبدوا خيراً طاعة
وبراً أو تخفوه أو تفعلوه سراً أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو حث على العفو وترك الجهر بالسوء بعد ما أطلقه
وأذن فيه وجعله محبوباً بعثاً على الأحب الأفضل وذكر إبداء الخير وإخفائه تسبيب له وتوطية وإنما عطف عليهما
معه وخوله فيهما اعتداداً به وتنبيهاً على قدره ومنزلته وكونه من الخير بمكان وسيط والدليل على أن العفو هو المقصود
بذكرهما قوله فإن الله كان عفواً قديراً أي بليغ العفو عن عصاته بليغ القدرة على الانتقام فاقتدوا بسنته في العفو و
التجاوز وعن النبي عليه السلام إذا كان يوم القيمة ينادي مناد أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا
أجوركم وحق لكل مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة قالوا العفو مندوب إليه وقد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع
ترك العفو مندوباً إليه إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض من الكتب والأنبياء ويريدون أن يتخذوا بين ذلك — ويكفر ببعض من ذكر ح
سبيلاً ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر كقوله وابتغ بين ذلك سبيلا أي طريقاً وسطاً في القراءة وهو ما بين الجهر
والمخافتة وقد أخطأوا لعدم الواسطة بين الإيمان والكفر فإن سبيل الإيمان هو المجموع والكفر بالبعض إنكار لها
وتكذيب وهو يستلزم الكفر بالجميع فالكافر بالبعض كافر بالكل فماذا بعد الحق إلا الضلال ولذلك قال أولئك — في نسخة قطعاً من الإيمان ح
هم الكافرون أي هم الكاملون في الكفر تصريحاً بأنهم ليسوا من الإيمان بالله ورسله وأن الإيمان بغيرهما على أبلغ
وجه وأكد حقاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة نحو هو عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً وهو كونهم كاملين في الكفر أو صفة
لمصدر الكافرون أي هم الذين كفروا كفراً حقاً أي ثابتاً يقيناً لا شبهة فيه وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً
وهيناهم عذاباً يهينهم كما أهانوا أجل الشيم ما الدين الأقدم قال قتادة اتخذوا اليهودية والنصرانية وجانبوا عثمان
وتركوا الإسلام فحكم الله عليهم بالتحقق في الكفر وأحضر لهم المهين والذين آمنوا بالله ورسله كلهم ولم يفرقوا بين
أحد منهم أي من الرسل واحدية مع الجماعة وهذا كحد قوله بين عليه وهو غير الأحد الذي هو أول العدد في مثل
قل هو الله أحد وما قيل من أنه في معنى الجماعة باعتبار كونه نكرة في سياق النفي نهي فهو وهم يدفعه المحققون
الأخير فإنه يستقيم لم يفرقوا بين رسول من الرسل بتقدير عطف أي رسول ورسول وقوله لستن كأحد
من النساء ليس في معنى كامرأة منهن أولئك سوف نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصدير بسوف تأكيد

الوعد وتثبيته ودلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء
حملاً على ما قبله والباقون بالنون على طريق الالتفات وكان الله غفوراً بليغ الستر لما فرط منهم رحيماً منعماً
عليهم بما لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء روي أن كعب بن الأشرف
وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله عليه السلام إن كنت نبياً صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به
موسى فنزلت وقيل كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما كانت التورية وقيل كتاباً إلى فلان وكتاباً إلى فلان بأنك
رسول الله وقيل كتاباً نعاينه حين ينزل سألوا ذلك تعنتاً وعناداً لا زيادة في البصيرة واليقين قال الحسن ولو
سألوا ليتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية وروى العباس عن أبي عمرو ينزل خفيفة بالياء وعبد الوارث عن الحسن
ينزل بالياء وتشديد الزاي والفاعل هو الله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وقرئ أكثر بالثاء وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا تابعين
لدينهم راضين بسؤالهم والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة عياناً
أي أرنا نره جهرة أو مجاهرين معاينين له أو مجاهرة معاينة فأخذتهم الصاعقة أي الرجفة لقوله فلما أخذتهم الرجفة
قال رب لو شئت وقال ابن جريج الصاعقة التي أصابتهم هي الموت وأماتهم الله قبل آجالهم عقوبة ثم بعثهم وقيل النار وقيل
الصيحة وعن عبد الرحمن بن معاوية أن ابن عباس في قوله تعالى فقالوا أرنا الله جهرة أنهم إذا رأوه فقد رأوه إنما هو
قالوا جهرة أرنا الله وقال أبو عبيدة جهرة أي علانية في إعلانهم ذلك زيادة جراءة وقرئ جهرة بفتح الهاء وقرئ الصعقة
بظلمهم أي بسبب فرط التعنت والعناد وطلب المستحيل منهم فإنهم طلبوا الرؤية في الدنيا ومع الظن أنه تعالى يشبه الأجسام
وذلك لا يقتضي امتناعها للمؤمنين في الآخرة القائلين بأنه لا يشبه شيئاً ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اذكر كيف
الجنايات الأخر بعد ظلم آخر بين فذكر أن هذا مما أقر فيه أيضاً وإليهم والبينات أي المعجزات لا التورية إذ لم تأتهم بعد — العجل م
فعفونا عن ذلك أي عن ذكر الذنب العظيم وهو اتخاذهم العجل إلهاً وعبدوه وقيل الذين اتخذوا العجل غير الذين
قالوا أرنا الله جهرة فعفونا عنهم بعد أن جعل توبتهم قتل بعضهم بعضاً وآتينا موسى سلطاناً مبيناً تسلطاً واستيلاء ظاهراً
عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة من اتخاذهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا له
من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً على لسان
موسى والطور مظل عليهم قال قتادة هو باب بيت المقدس وقيل باب بالمدينة الجبارين وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
على لسان داود أو على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن الاعتداء الذي فيه المسخ في عهد داود فالأحسن — لسان
أن يقال على لسانهما وقرأ نافع لا تعدوا بإسكان العين وتخفيف الدال من عدا يعدو إذا تجاوز حده ونافع لا تعدوا
بفتح العين وتشديد الدال من اعتدى أي بالغ في مجاوزة الحد واختلس فتح العين قالون وأكثر وورش وقرئ لا تعتدوا
على الأصل وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً على أن لا يعدوا في السبت وهو قولهم سمعنا وأطعنا فلما نقضوه لعنوا وقال — ونقضوا م
أي عظم أخذ الله منهم عهداً مؤكداً في الإيمان بالنبي عليه السلام فبما نقضهم ميثاقهم الباء متعلق بمحذوف أي فخالفوا فلعنا
بهم ما فعلنا أو متعلق بحرمنا عليهم وقيل المعنى التقدير فبنقضهم ميثاقهم طبع على قلوبهم وقيل تقديره فبما نقضهم
ميثاقهم لا يؤمنون وما مزيدة للتأكيد ومعناه تحقيق أن العقاب وتحريم الطيبات بسبب نقض العهد وما عطف عليه

الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها لانه رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف وتوهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل في جاره وقيل ما نكرة تامة ونقضهم بدل منها وقرئ على انها نقضهم بفتح الضاد على ان ما استفهامية وكفرهم
بالرفع وكفرهم بايات الله بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق عندهم لانهم قتلوهم بغير وجه يستحقون به
القتل عندهم وتنكير الحق يفيد العموم كالجنس في قوله بغير الحق على ما في سورة البقرة والمعنى ان قتلهم اياهم بالملاحرف
وظلم محض في اعتقادهم ايضا كما في الواقع وهو نعم الجنسية هناك وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي خلقة
مغشاة باغطية لا يتوصل اليها شي من الذكر والموعظة ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل غلف
تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم نحن لا نفتقر الى ما عندنا الى غيره بل طبع الله عليها بكفرهم رد عليهم
بان الامر ليس كذلك بل انما طبع الله عليها وختم لها بسبب انهم مرنوا القدرة والارادة الى الكفر فخلقه الله تعالى
في قلوبهم ولو صرفوا الى الايمان لخلقه فيها على ما جرت به عادته فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
او ايمانا قليلا لا اعتداد به وهو ايمانهم ببعض الكتاب وبعض الانبياء ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم بمعنى
لا يؤمنون قط لان ما يتفق من اذعانهم وقبولهم ليس باذعان وقبول وبكفرهم بعيسى عطف على كفرهم لانه من
اسباب الطبع او على فيما نقضهم وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم تابع لقوله وقولهم قلوبنا غلف على سبيل الاستطراد
ويجوز ان يعطف مجموع هذا على مجموع ما عطف عليه ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم لانهم كفروا
بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني التزنية قال مقاتل قذفوها بيوسف بن يعقوب
بن ماثان وهو ابن عمها لانها بنت عمران بن ماثان وقال ابن قتيبة اشاعت اليهود الفاحشة على ذكريا
ومريم فهرب منهم لذلك فدخل في جوف شجرة فشقوها بنصفين وقرأت في الانجيل ان يوسف هذا خطب مريم وتزوجها
فعلم انها حبلى ولم يباشرها وكان رجلا صالحا فاهتم لئلا يسيرها خفية فتراءى له ملك فقال يا يوسف بن داود هكذا
نسبه في الانجيل ان امراتك تحبلي وسوف تلد ولدا اسمه عيسى وهو ينجي امته من خطاياهم وخافت مريم على نفسها
الملك هيرادس فذهب يوسف بها وبابنها عيسى الى مصر وبهتانا مصدر يعمل فيه القول لانه ضرب منه كقولهم قعد
القرفصاء او صفة محذوف اي قولا بهتانا وقيل منصوب بفعل المحذوف اي بهتوا بهتانا وقيل في موقع الحال
اي باهتين وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله بن عمهم وقالوا ذلك على وجه الاستهزاء كقول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح ورسول الله كذلك وصفة لعيسى او نصب على
المدح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم اللهم انت ربي و
بكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله
فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عليه صح
فقتلوه وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه
فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه صح

عيسى

عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم
على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار
والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد
ولكن ارجف بقتله وشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه
وقرأ زيد بن علي شبه بفتح الشين وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال
بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال الكلبي اختلافهم فيه هو ان اليهود قالت نحن قتلناه وقالت لا، صح
طائفة من النصارى نحن قتلناه وقالت طائفة منهم ما قتله هو لا ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر
اليه وقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي
شك منه في موقع جر على انه صفة لشك اي في شك حاصل منه اي من جهته لفي تردد والشك يطلق على ما لا يترجح احد
طرفيه وعلى مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
واعلم ان جمعا من المحققين كالامام الرازي وغيره جعلوا الشك والوهم من اقسام الاعتقاد المرادف للتصديق
او الحكم وليس بصحيح اذ لا اعتقاد ولا حكم فيهما اما في الشك فلانه تردد الذهن في الثبوت والانتفاء من غير
رجحان واما في الوهم فلانه ملاحظة الطرف المرجوح وكلاهما تصور لا حكم معه اصلا وذلك انا اذا تصورنا
نسبة امر الى اخر ايجابا او سلبا او شككنا في ذلك المتصور الذي هو النسبة الايجابية او السلبية اي ترددنا بين
اثباتها ونفيها فقد علمنا ذينك الامرين والنسبة ضربا من العلم اما النسبة فلانا لا نشك فيما لا نتصوره ولا
نفهمه اصلا واما الامران فلاستحالة العلم بها دونهما فلنا في هذه الحالة نوع من الادراك ثم اذا ازال الشك وحكمنا
باحد طرفي المتصور من الايجاب والسلب فقد علمنا تلك النسبة نوعا اخر من العلم هو المسمى بالحكم والتصديق
وحقيقته اذعان النفس وقبولها لوقوع النسبة او لا وقوعها فتميز هذا النوع من الادراك عن الاول بحقيقته
وجدانا وبلازمه المشهور وتباين اللوازم دال على اختلاف حقائق ملزوماتها ولا يخفى ما في هذا البيان من الدلالة
وسمها ادراكا لانها مقصودة من العبارة
على ان الشك من قبيل التصور وان الحكم نفس التصديق وانه ادراك لا ان الحاصل بعد زوال الشك هو الحكم
فقط ولو لم يكن حكما وادراكا بل فعلا لكان علم المتاخرين لم يحصل هناك نوع اخر من العلم متعلق بالنسبة
فجعل الشك والوهم من اقسام التصديق بعيد عن التحقيق واما الظن فالمذكور في عبارة القوم انه الحكم باحد
النقيضين مع تجويز الاخر وتبادر منه انه مركب من اعتقادين وليس كذلك بل المعتبر في الظن ان يكون بحيث
لو اخطر النقيض بالبال لحكم بامكانه حتى ان الظن بسيط لا تركب عن اعتقادين وقد لا يخطر نقيضه بالبال اعتقاد صح
واعلم ايضا انه قد يراد بالظن ما ليس بيقين فيشمل الظن العرفي والجهل المركب واعتقاد المقلد وقد اعتبر هنا جميعها
الا اتباع الظن بالرفع على انه استثناء من المجرد وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين
وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذاكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما

وتحرير حقا اذا بالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي العلم عنهم بالكلية على وجه التاكيد من الاستغراقية ثم قيل
وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما ويجوز ان يكون يقينا تاكيدا للنفي دون المنفي كقولك ما قتلوه حقا اي حق انتفاء
قتله حقا بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا غالبا لا يقدر على كل ما يريده حكيما يدبر امور العباد
ويجريها على حسب ما يصلحهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به
واللام جواب قسم محذوف اي والله ليؤمنن والجملة واقعة صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى وعبارة
اخرى وان احد من اهل الكتاب فحذف الموصوف الذي هو احد واقيم صفته الذي هو من اهل الكتاب مقا
مه كقول القطامي ثبتا مما من الحي الا بطل قريب لكوكبه شعاعا فكنت كالحريق اصاب غابا فيخبو ساعة ويهب
ساعا اي ما في من الحي والمعنى ومامن اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت
عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه ويعضد ذلك قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى
الجمع وفائدة هذا الاخبار الوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم
لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال
اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت دبره
الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني
اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان
متكيا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه
ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية فقال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية فقال لي
وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان
خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وقيل الضمير في موته
لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله
وعن النبي صلعم قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يقبله احد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل الضمير في به يعود الى الله تعالى وقيل الى محمد صلعم وقرا طلحة الشمان وان بتشديد
النون الا ليؤمنن به بالنون الخفيفة وفي مصحف ابي قبل موتهم بضمير الجمع ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد
على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل شهيدا انه قد بلغهم رسالة ربه واقر بالعبودية
على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فبظلم من الذين هادوا الباء متعلق بحرمنا وهو بدل
من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واعيد لفظ في البدل لما طال الفصل وتنكير الظلم يحتمل الوجوه اي فبظلم اي ظلم منهم
والمعنى فبظلم عظيم صدر من اليهود وهو ما ذكر من نقضهم الميثاق وكفرهم بايات الله وبهتانهم على مريم وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يريد ما ذكره في قوله وعلى الذين ها

دوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات
من المطاعم وغيرها اي حرمنا عليهم تناول طيبات احلت لهم تناولها وتقديره التناول ولابد من تقدير لانه يريد
خلل فيه شرب لبان الابل فانها من جملة ما حرمت عليهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وبمنعهم ومن ظلمهم عن سبيل الله
ناسا كثيرا وصدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة
النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل اي بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب وسائر
الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم لكن الثا
بتون في العلم الغائصون فيه بغير قاطع المتقنون يعني الذين اسلموا من احبار اليهود كعبد الله بن سلام و
شيعته والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك خبر الراسخون وقراهما اليمان معطوفين وقوله والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان
فضل الصلوة وقيل عطف على ما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء والمسلمون او عطف
على قبل بتقدير ومن قبل المقيمين اي المسلمين فحذف قبل واقام المضاف اليه مقامه وفي مصحف عبد الله والمقيمون
بالواو وقراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه
مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قيل
قدم عليه الايمان بالكتب والانبياء وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا
عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرا حمزة سيؤتيهم بالياء حملا على ما قبله والباقون بالنون على طريقة
الالتفات انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم
رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء ويقال اوحي اليه
كلاكما اذا تكلم بكلام يخفى عن الغير وقيل بدا بذكر نوح لانه كان ابا البشر كادم عليهما السلام قال الله تعالى
وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبياء الشريعة واول نذير على الشرك واول من عذبت امته لردهم
دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة فلم ينقص
سن ولم يشب له شعرة ولم تنتقص له قوة ولم يصبر على اذى قومه ما صبر هو على طول عمره وروي عن ابن عباس ان من اليهود
قالوا للنبي صلعم ما اوحي اليك ولا الى احد بعد موسى شيئا فكذبهم الله بهذه الاية واوحينا الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم وتصريحا بتكذيب اليهود فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون من اشرف
ومشاهيرهم قيل في الاية دلالة على تفضيل محمد صلعم حيث شبهه ما اوحي اليه بجميع ما اوحي الى النبيين كلهم وفي ضمن ذكر
تفضيل ما اوحي اليه على ما عداه وقرا الحسن وابن جبير ويونس بكسر النون والسلمي بفتح النون قيل صلعم من ان يونس
معلوم تاو محبوا وعن الحسن هو اسم اعجمي واتينا داود زبورا لما اشار بقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و
النبيين من بعده الى تفضيل رسول الله صلعم قال بقوله واتينا داود زبورا على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان
امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم امة محمد

وانه وفي تنكيره وجوه ان يريد وآتينا داود بعض الزبر او بعض الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلعم من
الزبور فيه ذكر نبي لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا زبورا والزبور كعباس فعول بمعنى المفعول وغيره ذكر
قرا حمزة زبورا بضم الزاء حيث كان وهو جمع زبر بمعنى مزبور وهو الكتاب او مصدر كالقعود سمي به الكتاب
المنزل على داود عليه السلام والباقون بالفتح وقرا الحسن بن عمران وابو واقد ونبيح والجراح زبورا بفتح الزاء والباء
روي انه كان يبرز الى البرية ويقوم ويقوم خلفه علماء بني اسرائيل ويقوم الناس خلف العلماء والجن خلف الناس
الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما منه والطير ترفرف
على رؤسهم فلما قارف الذنب لم ير ذلك فقيل له قال ذلك او بما قرئ قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه
السورة او اليوم وقيل نصب بنزع الخافض اي اوحينا الى نوح والى رسل ورسلا لم نقصصهم عليك عن علي رضي
ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه وفيه دلالة على ان الاولى ان لا يقتصر على عدد في التسمية و
ان روي بيان عدد الانبياء في بعض الاحاديث فانه عليه السلام سئل عن عددهم فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا فلا يؤمن في تعيين العدد مخالفة الواقع وهو عد بعضهم من
غيرهم وقيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من ساير الناس وقيل كان
بين موسى وعيسى اربعة الاف نبي وقيل سبعون الفا الا انهم كانوا على دين موسى فجاء عيسى فنسخ الشريعة
وكلم الله موسى تكليما عن ابن عمر قال رسول الله صلعم ان الله تعالى كلم موسى بمائة الف واربعين الفا وثلثمائة وثلثة عشر
كلمة فكان الكلام من الله والاستماع من موسى فقال اي رب انت الذي تكلمني ام غيرك قال الله تعالى انا الذي اكلمك لا رسول
بيني وبينك وعن ابن عباس عن النبي صلعم ان الله تعالى ناجى موسى بمائة الف واربعين الف كلمة في وصايا كلها في ثلثة
ايام فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام الله تعالى وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى
قال النبي صلعم ان الله تعالى اعطى موسى الكلام واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود وقرا ابراهيم
ويحيى بن وثاب وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب
الفتن رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او التكرير او البدل او التأكيد وقيل باضمار ارسلنا
او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا والاول هو الاوجه لان المدح مقصود
منبئ عن التعظيم ونكر للتعظيم والتكثير جميعا اي رسلا اي رسلا ذوي عدد كثير وآيات عظام واعمار طويلة
ونحوه كذلك قوله مبشرين ومنذرين اي مبشرين لاهل الايمان والطاعة بالجنة والثواب ومنذرين لاهل الكفر
والمعاصي بالنار والعذاب لان ذلك مما لا سبيل للعقل اليه وان كان فبانظار دقيقة لا يتيسر الا لواحد بعد واحد
وقرا يحيى وابراهيم مبشرين من الابشار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لما لم يستقل العقول والحواس
بمعرفة تفاصيل احوال الجنة والنار وما اعد فيهما من الثواب والعقاب واحكام القضايا من الوجوب و
الامتناع والحل والحرمة والاباحة وما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد كان من فضل الله تعالى ولطفه
ورحمته بعثة الرسل الكرام وارسالهم ليبينوا للناس ما يحتاجون اليه من الامور الدينية والدنيوية
كما قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلولا البعثة لقالوا لولا ارسلت الينا

وان يكون مع

ويقرأ الزبور مع

غيرهم منهم او عد بعضهم

رسولا ينبهنا على التفاصيل ويزيل الموانع ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه دلالة على ان ارسال الرسل ضرورة
لقصور الكل عن معرفة جزئيات المصالح والاكثر عن معرفة كلياتها فالبعثة صارت واجبة لا بمعنى
الوجوب على الله بل بمعنى ان قضية الحكمة تقتضيه لما فيه من الحكم والمصالح وكان الله عزيزا لا يعجزه عما
يريده حكيما ذا حكمة بالغة في جميع ما يفعله ويذره فان قلت بم يتعلق اللام في لئلا قلت بقوله رسلا
جمع رسول من الرسالة وهو سفارة العبد بين الله وبين ذوي الالباب ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة و
تفصيلا لما قصرت عنه عقول الناس من امور الدنيا والدين او بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها
او صفة لكن الله يشهد لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا
اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقرا ابو عبد الرحمن السلمي ونبيح والجراح لكنّ بالتشديد
وقيل لما نزلت انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد بما انزل اليك ومعنى شهادة الله
بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم
بانه حق وصدق وعن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلعم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود
وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم والله انكم لتعلمون
اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله ذلك وقرا الحسن بما انزل مجهولا انزله بعلمه ملتبسا بعلمه الخاص
من لا يعلمه غيره وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله
اليك وانك مبلغه وقيل بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه وقيل انزله وهو عالم رقيب عليه حافظ
له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن فانه يسلك من بين
يديه ومن خلفه رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين وقد علم الله ما لديهم اي كان رقيبا عليه
حافظا له وهذه اربعة اوجه متمايزة بان العلم على الاول عبارة عن المعلوم وهو من ذكر التاليف الخارج عن طوق
البشر والباء للآلة كما في قولك خلقه بقدرته وفعله بعلمه فيكون وصفا للقرآن بكمال الحسن ونهاية
البلاغة وعلى الثاني والثالث حقيقة لكن الظرف على الثاني حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول
وعلى الرابع عبارة عن كونه رقيبا عليه حافظا له والظرف حال من الفاعل وقيل الباء في هذه الوجوه كلها
بمعنى الملابسة وايضا الجملة على الاول بيان للشهادة وان شهادته لصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت
للقدرة واما على الثاني والثالث فليست مبينة لها بل تكون تعليل الصلة وبيانها انه انزل اليك ومن احمد بن
حنبل كان لا يقول لمن قال القرآن مخلوق انه كافر حتى رأيت آيات من القرآن فعلمت ان من قال ان القرآن مخلوق كافر
قال الله تعالى انزله بعلمه وقال ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم فالقرآن علم الله ومن زعم ان علم الله
مخلوق فهو كافر ولا يخفى ما فيه من التكفير المعتزلة القائلين بحدوث الصفات ومن علماء اهل السنة ما حدث لنا ابو حنيفة
في ذكر [illegible] ورأيه على ان القائلين بخلق القرآن كانوا ارادوا المعنى القائم بذاته لا المؤلف
من الاصوات والحروف لامتناع قيام الحادث بذاته تعالى وتقدس والملائكة يشهدون شهادتهم تبع لشهادة

الله فانهم يشهدون بصحته مايشهد بصحته قيل وفيه تنبيه على انهم لو دون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه
يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولاسبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر
فلو اتي هولاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما
اقام من الحجج على صحته ذلك عن الاستشهاد بغيره قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قراءة عكرمة والاعرج وصدوا بضم الصاد قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الكفر والاضلال والمضل ابعد من
الانقلاع عن الضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه خلاصهم وصلاحهم
او باعم من ذلك وفي الاية دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرائع فيعصون بترك الواجبات وفعل المنهيات
اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم عما فيه صلاحهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ولا ليهديهم الى
طريق ومعنى اللام فيهما تاكيد النفي وان المغفرة والهداية منافيان لحالهم في التصميم على الكفر والظلم وهي شد لام
لاستحيل البشر خلقته من طيلسان الى طريق جهنم يعني اليهودية والنصرانية نزلت في كفرة اهل الكتابين جحدوا و (في قوله لم اكن لاسجد مع)
صدوا وظلموا محمدا لم يهبهم الله المغفرة والهدى الى طريق النجاة ويسرهم لطريق جهنم كما قال فسنيسره للعسرى
وقيل عدم الهداية مجاز عن ترك اللطف بهم ولا يخلو عن شايبة تحكم ودعوى تجوز الدلالة واتفقت كلمة اهل الحق (اولا يهديهم يوم القيامة الا طريق جهنم)
قاطبة على ان المعاصي كلها بتقدير الله وعلمه وقضائه ومشيته لا بمحبته ورضاه والطاعات كلها بها بناء على ان جميع افعال (فالهداية على هذا تهكم مع)
العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها لا غير ويخلق في بعضهم المعاصي نعوذ بالله منه وفي بعضهم
مايحب ويرضى به لايسال عما يفعل وهم يسالون وقال اعظم الايمة الاربعة ان الله تعالى لم يزل فاعلا بفعله وفعله
صفته في الازل فالفاعل هو الله تعالى والمفعول مخلوق وصفاته ازلية غير مخلوقة ولا محدثة فمن قال انها مخلوقة او
محدثة او وقف فيها او شك فيها فهو كافر بالله تعالى وفيه تصريح بكفر من قال بحدوث افعال الله وصفاته والاذان باسمه
والكيفية ثم يجب على كل احد ان لايتعرض بالكيفية ونحو ذلك مما فيه شايبة الاعتراض على الله لان الاعتراض عليه كفر ومع ذلك لايد
ركن الخالق وافعاله على ما اتفق عليه المحققون ولذا قال عليه السلام تكلم في ذات الله جميع خطا بالهوى الذين لم
يوجد بعدهم مثلهم في كمال العقل ودرك الحقايق فالمتكلم عن دونهم خالدين فيها ابدا قد سبق القول من الله ان من
مات على الكفر نعوذ بالله من ذلك ليبعث عليه العذاب حتما مقضيا ويخلده في النار وخالدين حال مقدرة وكان
ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما عددهم
الله تعالى فرق المكلفين من اهل الايمان والكفر والنفاق وبين صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم واحتج
عليهم بما يثبت نبوة محمد صلعم وتحققها ويدحض الشبهة في كون ما انزل اليه معجزة بلغت من الجزالة
وحسن النظم درجة لايدرك كنهها وعلم الطريق الموصل الى العلم بها وعرفهم ان من انكرها فقد تربع
في غاية الجهل ونهاية سخافة العقل وسجل على نفسه بالغي المبين والظلم العظيم اقبل عليهم بالخطاب وهو من
الالتفات المذكور عند قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل يعتريك لادراكه
السامع وينشطه الاستماع وبالحق في موقع الحال اي ملتبسا بالحق مقترنا به وقيل الباء متعلق بجاء اي جاءكم
بسبب اقامة الحق فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او اقصدوا واتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه من الكفر والنفاق

في لا حاجة مع

وهو الايمان وقال الاخفش اعملوا خيرا لكم وقيل التقدير يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لايضمر مع اسمه
عندهم وقيل انتصابه على الحال ومثله انتهوا خيرا لكم في جميع وجوهه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض
يريد وان تكفروا فان الله غني عنكم لايتضرر بكفركم ومعاصيكم ولا ينتفع بشكركم وايمانكم وانما امركم
بالايمان لرحمته وكان الله عليما باحوالكم حكيما فيما دبر لكم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفعه عن مقداره
حيث اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق بقوله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك (بمعنا مع)
والولد وانتصابه على انه مفعول لا تقولوا اي لا تقولوا الا القول الحق لا تذكروا ولا تعتقدوا والقول يعم الكلام
او المصدر وقيل الا الحق بانقطاع اشبه لان الحق التنزيه لا يكون مقولا عليه بل له وفيه لان معنى قال عليه افترى
وفيه نظر لان على بمعنى الباء فيه كما ذهب اليه الجمهور في قوله تعالى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق وفيه وجوه
اخر ذكرت هناك فلنطالعها انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته قرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن
السكيت وانما قيل عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب ولا نطفة
تسمية للمسبب باسم السبب كما في الشحم بالندى والعشب بالسماء القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها
وهو حال باضمار قد من معنى كلمته وهو المكون بكلمته من غير اب او من الضمير المجرور والعامل معنى الاضافة تقديره وكلمة الله
ملقيا اياها وروح منه وذو روح كاين منه بلا توسط المادة وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب وقيل
روح منه اي رحمة منه وعن ابي بن كعب لما اخذ الله ارواح بني ادم من ظهره واخذ عليهم الميثاق ثم ردها الى ظهره ولم
يرد اليه روح عيسى فلما اراد خلقه ارسله الى مريم فدخل فيها وقيل الروح نفخ جبريل وقيل الوحي الى عيسى
ان كن فكان وقيل اريد به جبريل معناه كلمته القاها الى مريم والقاها اليها ايضا روح منه باسره وهو جبريل كما قال
ارسلنا اليها روحنا يعني جبريل فامنوا بالله ورسله فاجعلوا ايمان الايمان بالله ورسله فان القرينة قد دلت على
ان المراد وحملك الايمان بالجميع ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله وعيسى ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة والمشهور انهم
يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية اي الهية وانسانية من جهة الاب ومن جهة الام ويدل عليه قوله انما المسيح
بن مريم الاية وقوله سبحانه ان يكون له ولد فان سياقها للرد عليهم وقد تعرض فيها الى نفي الاتحاد بالله بحذف
الولدية وقد اثبت ان اتحاد المسيح من جهة انه ولد لها وصار القدر بقوله انما المسيح عيسى بن مريم واثبت انه
لها ليس الا من جهة انه رسوله وانه موجود بامره وابتدع جسده حيا من غير اب ولا نطفة وتجوز ان
يكون التقدير ولا تقولوا لنا او في الوجود الهة ثلثة او ثلاثة الهة على ان ثلاثة صفة مبتدا محذوف والخبر محذوف
متعلق لا خبر له كما قيل التقدير ولا تقولوا الهتنا ثلثة وهو مرجوح ووجهه مذكور في الايضاح انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه لما تقدم من الاضمار انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد
تعالى بالكم انزه ذاته عن ذلك بقوله واحد ونحوه ولانه على نفي الولد ايضا وكذا واذا قال واحد علم انه ليس

بلغ

له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن تكون له صاحبة
لم يتأت أن يكون له ولد سبحانه أن يكون له ولد أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة
ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان له ما في السموات وما في الأرض اختص به جميع ما
في العالم ملكا وخلقا وعلما لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وفيه إبطال الولد من وجهين أحدهما أنه ما من شيء من
العالم الكبير والصغير إلا وهو مخترعه ومالكه والعالم به ومن كان هذا شأنه كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه
المحتاج وثانيهما أن شيئا منها السموات والأرض وهي أجسام عظيمة يمتنع أن يوصف بالولادة لأن الولادة
من صفات الأجسام ومبدع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا فإنه تعالى متعال عن أن يكون والدا
أو مولودا لأن الحدوث والجسمية لازمان لهما والله قديم لا أول لوجوده وليس بجسم ولم يماثله أحد أما أنه
ليس بجسم فلأن الجسم مركب ومتحيز وذلك أمارة الحدوث وأما أنه لم يماثله شيء فلأنه واحد بمعنى أنه ليس في الوجود
موجود آخر يساويه في كونه واجب الوجود أو بمعنى أنه في ذاته غير مركب من الأجزاء والأبعاض وكلا المعنيين
سلب محض كما لا يخفى وإذا لم يماثله شيء من الموجودات فلم يكن له ضد ولأنه هو المتحد في الحقيقة المتوحد في
الإلهية المتفرد بالتدبير ليس له شيء مستقر في شيء من الأوصاف وفي الكلام دلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى
ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه إذ من المحال أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد وكفى بالله وكيلا
يكل الخلق كلهم إليه أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه تنبيه على غناه عن الولد لن يستنكف المسيح لن يأنف من
نكفت الدمع إذا نحيته بإصبعك كيلا يرى أثره عليك أن يكون عبدا لله لأن عبوديته عزة وشرف ساج بذلك وإنما المذلة
والاستنكاف في عبودية غيره روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف
عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار ألحق به وقرئ
أن يكون عبيد الله بكسر الهمزة ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله عبيدا مع
واحتج به المعتزلة وبعض الأشاعرة على تفضيل الملائكة وذلك أن أهل اللسان يفهمون من ذلك أفضلية الملائكة
من عيسى إذ القياس في مثله الترقي من الأدنى إلى الأعلى يقال لن يستنكف من هذا الأمر الوزير ولا السلطان
ولا يقال السلطان ولا الوزير لا قائل بالفصل بين عيسى وغيره من الأنبياء وأجاب بعضهم بأن النصارى
استعظموا المسيح بحيث يترفع من أن يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي أن يكون ابنا له لأنه مجرد لا أب له
وقادر يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بخلاف سائر عباد الله من بني آدم فرد عليهم بأنه لا يستنكف
من ذلك المسيح ولا من هو أعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم ويقدرون بإذن الله تعالى على
أفعال أقوى وأعجب من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فالترقي والعلو إنما هو في أمر التجرد وإظهار الآثار
القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة له على أفضلية الملائكة وقد يجاب بأن الآية رد على عبدة المسيح
والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون
التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة

الكروبيون الذين حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل
أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ولهم تمسكات أخر ورددناها مع أجوبتها في سورة البقرة ومن يستنكف
عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذا عطف عليه وإنما يستعمل الاستنكاف حيث لا استحقاق بخلاف
التكبر فإنه قد يكون باستحقاق وقيل الاستنكاف التكبر مع الأنفة والاستكبار التكبر من غير أنفة فسيحشرهم
إليه جميعا فيجازيهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله عن ابن مسعود
قال عليه السلام في قوله تعالى فيوفيهم أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن و
جبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا ويجوز أن يراد بالزيادة ههنا النظر إلى وجه الله كقوله
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما وإنما التفصيل المجازات
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام فإنه قد طوي ذكر أحد الفريقين في المفصل كأنه قيل ومن يستنكف و
يستكبر ومن يؤمن ويعمل صالحا فيحشرهم إليه جميعا لدلالة التفصيل على ذلك كما طوي أحدهما في التفصيل الآية
في قوله فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ويجوز أن تقول ومن يستنكف عبادته ويستكبر فيعذبهم
بأنبار الجحيم وبنار الحسرة عند رؤية أجور العاملين والاطلاع على تكليمهم قصدا إلى تفصيل عذاب
المستكبرين لكثرة ما به بقوله فيحشرهم وعذابهم أي المؤمنين من العذاب وقرئ بالياء والسلمي والمفضل عن عاصم فنحشرهم يعذبهم عم
فنوفيهم ونزيدهم فنعذبهم كلها بالنون ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يلي أمورهم ولا ينصرهم يا أيها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا أراد بالبرهان ما يبرهن به وهو المعجزات وبالنور
القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل هما القرآن ومعطف أنزلنا
على قد جاءكم برهان لتغاير العنوان في البرهان والنور وقيل البرهان الدين أو محمد صلى الله عليه وسلم والنور المبين
هو القرآن فأما الذين آمنوا بالله صدقوا بالله أو بجميع ما جاء من عنده واعتصموا به والتجأوا إليه في جميع
أمورهم أو استمسكوا بدينه وقيل الضمير المجرور للنور المبين فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قيل في ثواب مستحق
وتفضل وعن ابن عباس الرحمة الجنة على إطلاق الحال وإرادة المحل والفضل ما يتفضل عليهم بما لا عين رأت
ولا أذن سمعت على تسمية المفعول بالمصدر ومقصد هذا التقسيم قوله يا أيها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وقد حذف فيه ذكر فريق غير المؤمنين المعتصمين لأن أحد الفريقين يدل على الآخر ويهديهم
إليه أي إلى عبادته وقيل إلى الله وقيل الموعود صراطا مستقيما هو الإسلام في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
قيل هو ثاني مفعولي يهديهم وإليه حال منه ولا حسن أن يكون إليه مفعولا ثانيا ويكون صراطا
بدلا من إليه أو حالا من مفعول يهديهم أي يهديهم متوجهين إلى عبادته طريق الإسلام ومعنى الهداية
ههنا التوفيق للعبادة والتثبيت على الإسلام لحصول أصل الهداية قبل ذلك وقيل الرحمة والفضل محمولان
على ما في الجنة من المنفعة والتعظيم وأما الهداية فالمراد منها السعادات الحاصلة بتجلي أنوار عالم القدس في
الأرواح البشرية وهذا هو السعادة الروحانية وأخر ذكرها عن القسمين الأولين تنبيها
على البهجة الروحانية أشرف من اللذات الجسمانية وقال عليه السلام من آمن بالله واعتصم بالقرآن عصمه من ظلام

بلغ

واغناه من فضله وهداه صراطاً مستقيماً يستفتونك اي في الكلالة وانما حذفت لدلالة الجواب عليها
روي ان جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلعم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت
وهي اخر ما نزل من الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة من تفسير الكلالة فلا نعيد ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بفعل
يفسره الظاهر وقوله ليس له ولد صفة له او ليس حالا كما زعم بعضهم لان ذا الحال امرؤ وهو نكرة
غير موصوفة وانما نهر هلك وهو مفسر غير مقصود رها يدي انه لا ضمير فيه لانه تفسير للفعل فقط والمراد بالولد اعم
من الابن والبنت لا الابن فقط كما توهم الزمخشري لوجهين احدهما انه لو نوعه نكرة في حيز النفي عام وتقييده بالابن
تخصيص من غير مخصص وهو باطل طلاو والتعليل بان الابن يسقط الاخت دون البنت ليس بسديد
لان المعنى الاية ان الله تعالى فرض للاخت النصف اذا لم يكن له ولد وهذا الحكم ثابت عند عدم الابن والبنت غير ثابت
عند وجود احدهما اما الابن فلانه يسقط واما البنت فلانها تصير عصبة لا شيئين لها فرض نعم يكون نصيبها
مع بنت واحدة النصف بحكم العصوبة لا الفرضية فلا حاجة الى تفسير الولد بالابن لا منطوقاً ولا مفهوماً والثاني
ان الكلام في الكلالة وهو من لا يكون له ولد اصلا ولا والد وهذا الكلام في تخصيص الولد بالابن في مسئلة
الكلالة كما سيجي والواو في قوله وله اخت فلها نصف ما ترك للعطف والمراد بالاخت الاخت من الاب
والام او الاب فقط لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وابن الام لا يكون عصبة واما الاخت
من الام فلها السدس في اية المواريث مستوي بينها وبين اخيها وهو يرثها اي والمرء يرث اخته وقرا اليماني
وهو وارثها ان لم يكن لها ولد وضحان الله تعالى فرض للاخ جميع مال الاخت وهذا الحكم مشروط بعدم الابن
والبنت جميعا اذ مع الابن يسقط الاخ ومع البنت يكون عصبة وان لم يرد بين ثم يرث جميع مالها بل الارث
في الجملة فالتقييد بالابن صحيح من جهة انه الذي يسقط الاخ لا البنت لكنه لا يكون كلالة قال البيضاوي
والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع
الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
الضمير لمن يرث بالاخوة اي فان كان من يرث بالاخوة الاثنتين وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه
باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار التعدد دون الصغر والكبر وغيرهما وقال البغوي اراد اثنتين فصاعدا
وهو ان من يرث بالاخوة ذكوراً واناثاً فلو له مات وله اخوات فلهن الثلثان وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كان من يرث بالاخوة ذكوراً واناثاً فاراد بالاخوة الاخوة والاخوات
تغليباً لحكم الذكور يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم اي من شانكم اذا خليتم وطباعكم تحرزوا
عنه وتحروا خلافه ويبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقال الفراء وابو عبيدة لئلا
تضلوا الخوف وقرا زيد بن علي ان لا تضلوا قال قتادة ذكر لنا ان ابا بكر الصديق رض قال في خطبته
ان الاية الاولى التي في سورة النساء من شان الفرايض انزلها الله تعالى في الوالدين والاولاد
والثانية انزلها في الزوج والزوجة والثالثة في الاخوة من الام والاية التي في اخر السورة انزلها
في الاخوة من الاب والام والله بكل شيء عليم فهو عالم باحوال العباد واعمالهم ومصالحهم في المحيا و
الممات

الاحكام صح

والاخوات صح

والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث
ميراثاً واعطي من الاجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك
وكان في مشية الله من الذين
يتجاوز عنهم